

التيسيرُ في فهم التفسيرِ

د. محمود خالد الزهار

المجلد الرابع

من سورة المؤمنون إلى سورة غافر

الطبعة الأولى

٢٠٢١م - ١٤٤٣هـ

المحتويات

٣	سورة المؤمنون
٣٦	سورة النور
٧٥	سورة الفرقان
١٠٢	سورة الشعراء
١٤٩	سورة النمل
١٨٠	سورة القصص
٢١٥	سورة العنكبوت
٢٤٥	سورة الروم
٢٧٠	سورة لقمان
٢٨٥	سورة السجدة
٢٩٩	سورة الأحزاب
٣٣٥	سورة سبأ
٣٦٠	سورة فاطر
٣٨١	سورة يس
٤٠٧	سورة الصافات
٤٤٤	سورة ص
٤٦٨	سورة الزمر
٥٠٢	سورة غافر



سُمِّيَتْ بهذا الاسم لافتتاحها بالإخبار عن المؤمنين وفلاحهم، ويسمونها (قد أفلح) في السنة ويسمونها سورة الفلاح. وهي مكِّيَّة بالاتفاق، وترتيبها السادسة والسبعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الطور، وقبل سورة تبارك، وعدد آياتها (١١٨) آية عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)

﴿قَدْ﴾: حرفٌ يفيد التحقق مع الماضي، والثبوت، لأنه جاء مع الفعل الماضي ﴿أَفْلَحَ﴾: جاء اللفظ القرآني الفلاح على وجهين، هنا بمعنى: فازوا، وسعدوا، ونجوا، وحصلوا على الفلاح ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: الذين آمنوا بقلوبٍ صادقةٍ بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ضمَّت الآية الكريمة أقسام الكلام الثلاثة، الحرف والفعل، والاسم، لتفيد أنّ من عمل عمل المؤمنين حقق الفلاح والفوز، وبذلك جمعوا الصفات التالية:

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٢)

وهذه أولى أسباب الفلاح ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من الذكور والإناث ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب والمقصود، هنا بالضمائر تحديداً ﴿فِي صَلَاتِهِمْ﴾: وأيضاً بظواهر عملهم يؤدون الصلاة، وهي هنا للترغيب للناس في الحفاظ على الصلاة، وهذه الأولى ﴿خَاشِعُونَ﴾: مُتَذَلِّلُونَ، قال ابن عباس: خائفون ساكنون، وقال الحسن البصري: خشوع القلب، وقال علي بن أبي طالب: خشوع يُؤدِّي إلى غصّ البصر، وخفض الجناح، والنظر إلى مكان السجود.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٣)

﴿و﴾: أيضاً الَّذِينَ ﴿هُم﴾: تحديداً ﴿عَنِ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد المجاوزة ﴿اللَّغْوِ﴾: جاء اللفظ القرآني اللغو على ثلاثة أوجه، هنا بمعنى الباطل، الذي يشمل: الشرك، والمعاصي، وما لا فائدة فيه من القول والفعل ﴿مُعْرِضُونَ﴾: يبتعدون، ولا يخوضون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ قَاعِلُونَ﴾ (٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق، أيضاً ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿هُم﴾: ضمير لجمع المذكر الغائب ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الزَّكَاةِ قَاعِلُونَ﴾: يُنْفِقُونَ زكاة المال، مع أنّ هذه الآية مكِّيَّة، وقد فُرِضت الزكاة بالمدينة من الهجرة في السنة الثانية، ويبدو أنّ أصل الزكاة كان واجباً

بمكّة، وقد تكون الزكاة هنا زكاة النفس من الشرك والدنس، وقد يكون الأمران معاً: زكاة النفس، وزكاة المال؛ والله ﷻ أعلم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٥)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: تحديداً ﴿ل﴾: حرف تخصيص بمعنى على ﴿لأُزْوَاجِهِمْ﴾: ممسكون لها بالعفاف عمّا لا يحلّ لهم، حفظوا أجهزة التناسل الخارجية في الذكور والإناث عن الزنا، وهي هنا تعني الرجال فقط؛ بدليل ما بعدها ﴿حَافِظُونَ﴾: الذين حفظوا فروجهم عن الزنا، واللواط، وعن كلّ أشكال الفواحش، ومن الحرام.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٦)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾: حُفِظَتِ الْعَوْرَاتُ إِلَّا عَنْ زَوَاجَتِهِمْ ﴿أَوْ﴾: حرف يُفِيدُ التَّخْيِيرَ ﴿مَا﴾: بمعنى الذي، لم يقل الله ﷻ من ملكت لأنّه أراد وصفهن بغير العاقل في هذا المقام ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: من الإماء، لا يقربون سوى أزواجهن بالحلال، أو ما ملكت عصمتهم بالنكاح، ورقيقتهن بالشراء ﴿ف﴾: حرف يفيد التعليل والسبب ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿غَيْرُ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿مَلُومِينَ﴾: لا لومَ عليهم، ولا حرج.

التكليف: قال ﷻ أو ما ملكت أيمانهم ولم يقل ومن ملكت لأنه أريد من جنس العاقل وما يجري من غير العقلاء وهو النساء، والله ﷻ أعلم.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٧)

﴿فَمَنِ﴾: للاستفهام عن العاقل فالذي ﴿ابْتَغَىٰ﴾: من أراد أو تعاطى أو طلب ﴿وَرَاءَ﴾: غير ﴿ذَلِكَ﴾: من الزوجات والإماء ﴿ف﴾: بسبب ذلك يكون ﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشارةً للقریب والبعيد ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْعَادُونَ﴾: المُتَجَاوِزُونَ إِلَىٰ مَا لَا أَحِلُّ لَهُمُ اللَّهُ ﷻ، الْمُعْتَدُونَ، الَّذِينَ يَقْعُونَ فِي الْحَرَامِ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، عَلَىٰ حَرَمَةِ الْاسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨)

﴿و﴾: أيضاً تفيد العطف وهي هنا للترتيب ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿هُمُ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾: حرف اللام للتخصيص الذين إذا ائتمنهم الناس، لم يخونوا أماناتهم ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: إذا اتفقوا وعاهدوا ﴿رَاعُونَ﴾: لا ينقضون اتفقاتهم، ومن يخالف ذلك فهذه من صفات المنافقين، قال ﷻ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ^(١).

(١) صحيح البخاري ١/١٦٦ (٣٣).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال، جاء هنا للترتيب البدني ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع لبيان أهميتها وضرورة الاستمرار في أدائها والمحافظة عليها، يؤدونها في وقتها، قال قتادة: مواقيتها، وركوعها، وسجودها.

التكليف: جاء هذا الترتيب في الأفعال البدنية، وجاء الخشوع في الصلاة أمراً قلبياً، والقلب أشرف ما في اللسان، كما اللغو من أفعال اللسان، فهو دليلٌ على ما في القلب.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةٌ للقريب والبعيد ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْوَارِثُونَ﴾: الذين يستحقون بأن يكونوا الوارثين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ^(١)، وقال مجاهد: الجنة هي الفردوس.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١)

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: هو أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، قال الرسول ﷺ: فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ^(٢) ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص والتكرار؛ والتأكيد ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿خَالِدُونَ﴾: مُقيمون أبداً، لا تتقطع متعهم فيها، لا يخرجون منها ولا يموتون فيها. التكليف: نلاحظ هنا: بدأت سورة المؤمنون، بذكر الصلاة آية (٢)، واختتمت الآية (٩) بالصلاة؛ لإبراز فضلها.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف اللام تحديداً لإثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿خَلَقْنَا﴾: والخلق هو إيجاد السبب من غير سابق وجود، جاء اللفظ القرآني "خلق" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى خلق الإنسان، ولم يكن من قبل في الدنيا ﴿الْإِنْسَانَ﴾: المقصود آدم ﷺ؛ أول البشر ﴿مِنْ﴾ حرف جرٌّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾: من صلصالٍ من حمأ مسنون، قال ابن عباس: من صفوة

(١) سنن ابن ماجه ١٤٥٣/٢ (٤٣٤١)، قال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح البخاري ١٢٥/٩ (٧٤٢٣).

الماء، ومعنى هذا أنّ الإنسان استُخرج من ماءٍ مختلطٍ بترتبه الأرض، من خلاصةٍ من ماءٍ مختلطٍ بمكونات الأرض، وقال قتادة: أُسْتَلَّ آدَمُ مِنَ الطينِ قال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضَتِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَالْحَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ^(١).

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (١٣)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابعَ الزمني غير السريع **﴿جَعَلْنَاهُ﴾**: الضمير يعود على جنس الإنسان، لاحظ هنا اللفظ القرآني جعل ولم يقل خلق؛ لأنّ الخلق للبويضة وللحيوان المنوي، فهي لا تُخلق في الرحم، وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم **﴿نُطْفَةً﴾**: هي الحيوان المنوي الذي ينزل من خصية الرجل، ومن البويضة التي تخرج من مبيض المرأة **﴿فِي قَرَارٍ﴾**: هو رحم المرأة **﴿مَكِينٍ﴾**: مستقرٌ متمكنٌ له مكانة عظيمة؛ ومهياً لحفظ الجنين داخله في مدة الحمل التي تستمر أربعين أسبوعاً.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَنَبَأْرَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع من التباعد الزمني، الحرف يفيد التباعد الزمني بين النطفة والعلقة **﴿خَلَقْنَا﴾**: والخلق هو إيجاد شيء لم يكن موجوداً **﴿النُّطْفَةَ﴾**: المقصود الحيوان المنوي والبويضة **﴿عَلَقَةً﴾**: ملتصقة عالقة في جدار الرحم من الداخل **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب، وجاء الحرف هنا يفيد القرب الزمني بين النطفة والمضغة **﴿خَلَقْنَا﴾**: زاد تركيبها وحجمها **﴿الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾**: وهي طورٌ من أطوار الجنين، تكون على شكل قطعة طعامٍ ممضوغةٍ **﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾**: بعد ذلك نمت العظام فيها **﴿فَكَسَوْنَا﴾**: غطينا **﴿الْعِظَامَ لَحْمًا﴾**: نمت العضلات التي تلتصق بطرفيها في العظام بينهما **﴿ثُمَّ﴾**: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع **﴿أَنْشَأْنَاهُ﴾**: كوّنناه **﴿خَلْقًا آخَرَ﴾**: تُنفخ فيه الروح، ويكتمل الشكل، والتركيب الذي يولد عليه الطفل، وهذا ما يشرحه علم الحمل والولادة، ماذا يقول علم الأجنة؟ أصل الإنسان من الخصية والمبيض، وكلاهما ينشأ فيما يعرف بزاوية الكلية، وهي الزاوية بين العمود الفقري الصلب وبين آخر الضلوع الترائب، يوجد هذا النسيج في اليمين وفي الشمال، كلُّ جهةٍ تتميز إلى نسيجٍ، يصبح الكلية، ونسيج يصبح إمّا خصيةً في الذكور، أو مبيضاً في الأنثى، ثم ينزل برباطٍ قابضٍ يشدُّ الخصية إلى كيسها، ويشد المبيض إلى جانب الحوض على مقربة من الرحم، وبجوار قناة

^(١) سنن أبي داود ٤/٢٢٢ (٤٦٩٣)، قال الألباني: صحيح.

متصلة بالرحم بفتحة، والفتحة الأخرى بجوار المبيض، وحين يصل الإنسان إلى مرحلة البلوغ؛ تنتج الخصية السائل المنوي، ومنه يُقَدَّف حوالي (٢٥٠) مليون نطفة في المرة الواحدة، يسمى في الطب الحيوان المنوي، وفي الأنثى تخرج بويضة كل شهر من جانب، والشهر التالي من الجانب الآخر، بالتبادل ﴿فَتَبَارَكَ﴾: ﴿وَتَرَفَّعَ﴾، وكثُر نفعه ﴿اللَّهُ﴾: النشاء، والبركة، وتنزه عن النواقص والقصور ﴿أَحْسَنُ﴾: أتقن وأفضل ﴿الْخَالِقِينَ﴾: الذين يوجدون الشيء بغير سابق وجود.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (١٥)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد أن تنقضي أعماركم التي قدرها الله ﴿لَمَيِّتُونَ﴾: حرف تخصيص ﴿مَيِّتُونَ﴾: تنتهي حياتكم. التكليف: جاء اللفظ مَيِّت بفتح الميم لتفيد فعل الموت، ولو جاءت مَيِّت بكسر الميم فتفيد أن الموت لم يقع بعد، وهنا مثال: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات-١٢] وجاء التعبير عن الموت بصيغة الاسم، وجاء عن البعث بصيغة الفعل تبعثون؛ بهدف التأكيد.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (١٦)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التباعد والتراخي الزمني ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد، جميع البشر ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾: النشأة الأخرى، يوم المعاد، يوم البعث من القبور، يوم المحشر للحساب وللعقاب لتحياوا حياة أبدية لا يعقبها موت.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (١٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل بصورة كبيرة وفي هذا دليل على أن السماء مبسوطة ولو كانت كروية لما كانت فوق الأرض ﴿خَلَقْنَا﴾: والخلق هو إيجاد الشيء بغير سابق وجود، جاء ذكر خلق السموات بصيغة الجمع لعظم الفعل، وللتناسب مع عظمته ﴿فَوْقَكُمْ﴾: إن كل ما يعلوكم هو سماؤكم، ولأن الأرض بيضاوية؛ فإن فوق كل مكان سماء ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سبع سموات، بعضها فوق بعض، قال ﴿سَبْعَ لُحُوفٍ لَهَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء-٤٢] ﴿وَوَجَدْنَاهُمْ عَلَىٰ هَذِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَتَنَّا رَبَّكَ فِي الْمَقَابِلِ﴾: حرف نفي ﴿كُنَّا﴾: كان الله ﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة ﴿الْخَلْقِ﴾: من أوجدناهم بغير سابق وجود ﴿غَافِلِينَ﴾: لسنا غائبين عن الخلق، ولا توجد سماء محجوبة عنا، ولا جبل، ولا سهل، ولا نهر إلا يعلم الله ما في قعره، وما فيه وما فوقه.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿أَنْزَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع منه ﷺ، تُبين فضل الله ﷺ الكبير بنزول الماء؛ فقد قال ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء- ٣٠] ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وحولها؛ بسبب كروية الأرض من السحاب الذي فوق الأرض الذي يعلوها ﴿مَاءً بَقَدْرٍ﴾: بقدر حاجة الخلق إليه من الشرب والانتفاع، يأتيها هذا من بلاد أخرى، تحمله السُّحب، وبعضه يسير في أنهار، وبعضه تختزنه الأرض في باطنها، ويحمل معه تربةً خصبةً، كما في نهر النيل، والفرات، والأمازون مثلاً ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿أَسْكَنَاهُ﴾: اختزنه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: إنّه مخزون الماء الضخم الذي في جوف الأرض التي سخرها الله ﷺ لتخزن به ﴿وَأَنَا﴾: بالتأكيد ﴿عَلَى ذَهَابٍ﴾: ضياع ﴿بِهِ﴾: يفيد التعدد ﴿ل﴾: حرف الابتداء هنا يفيد التوكيد ﴿قَادِرُونَ﴾: إنّه ﷺ قادرٌ أن يُمسك نزول المطر، أو يصرفه إلى المناطق الفقير، والسبخة، أو يجعله ملحاً أجاجاً، أو ينزله في باطن الأرض فلا يمكن الوصول إليه.

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١٩)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿أَنْشَأْنَا﴾: أنبتنا للإنسان والحيوان والطيور ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿جَنَّاتٍ﴾: البساتين والحدائق والمزارع ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿نَخِيلٍ﴾: شجر البلح، وقد ناقشناه في قصة مريم، عليها السلام ﴿وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ بِجُدِّ النَّخْلَةِ﴾ [مريم- ٢٥] ﴿و﴾: أيضاً أنبتنا ﴿أَعْنَابٍ﴾: أنواع العنب المتعددة الطعم والألوان، يحتوي العنبُ على السكر، أحادي الجزيء؛ اللازم لطاقة الجسم، كما يحتوي على موادٍ تحمي من أمراض القلب، وفيه بروتينات، ودهون أحادية الجزيء سكر فركتوز، وبه ألياف، ومادة رسفيرترال المضادة للأكسدة، التي تحافظ على صحة القلب ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً وتمليكاً، سخرها ﷺ لمنفعتكم ﴿فِيهَا فَوَاكِهُ﴾: جمع فاكهة وهي ما تؤكل تلذذاً بطعمه، أمّا لفظ الطعام فيعني ما يسدُّ الجوع ﴿كَثِيرَةٌ﴾: وهي كلُّ الثمار ﴿وَمِنْهَا﴾: بعض ﴿تَأْكُلُونَ﴾: واليوم يأكلون ومنها يستخرجون السكر.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَنِيعٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: أيضاً ﴿شَجَرَةً﴾: وهي الزيتون جاءت هنا معطوفةً على جناتٍ؛ أي أخرجنا بماء السماء شجرةً، بصيغة نكرةٍ لتفيد عظم شأنها؛ وأهميتها للإنسان فهي مباركة، أي كثيرة الخيرات ﴿تَخْرُجُ﴾: تنبت ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿طُورٍ﴾: ما امتد منها من البناء، والطور هو الجبل، وقيل إذا كان على الجبل شجرٌ سُمِّي

بالطور، وإذا لم يوجد عليه شجر؛ سمي الجبل، حوله من جبالٍ عليها أشجارُ الزيتون ﴿تَنْبُثُ﴾
ب: ﴿حرف باء الصلة﴾ **الدَّهْنِ**: يخرج منها الزيت ﴿وَصَنِغَ﴾: قال قتادة: ما يؤكل من النسيج
وهو الأدم ﴿لِلْأَكْلِينَ﴾: لمن يأكل؛ قال ﷺ: كُلُوا الزَّيْتِ وَأَدَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ (١)؛
أي كثيرة الخيرات.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾
(٢١)

﴿و﴾: أيضًا وهي هنا للاستئناف ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا
وتمليًا ﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾: يُستدلُّ بخلقها وأفعالها على عظيم القدرة الإلهية، وهي الإبل، والبقرة،
والضأن، والغنم، والمعز ﴿ل﴾: حرف للابتداء والتوكيد ﴿عِبْرَةً﴾: بدراستكم للأنعام، البقر،
والإبل، والغنم، تعرفون فضل الله عليكم؛ فقد ذلَّلها، وسخَّرها لمنافعكم، ﴿نُسْقِيكُمْ﴾: جاء بصيغة
الجمع لفضل الحدث ﴿مِمَّا﴾: اسم موصولٌ بمعنى من الذي ﴿فِي بُطُونِهَا﴾: إنَّ الطعام الذي
في أحشائها، يذهب إلى جسمها، ثم يُكوِّن الحليب من بين فرث، ودم، ولا أحد يُنكر قيمة الحليب
الغذائية للأطفال لأمهاتهم ولل كبار؛ حيث تتوافر فيه العناصر الغذائية الغنية المتعددة ﴿و﴾:
عطفًا على ما سبق ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿فِيهَا مَنَافِعُ﴾: فوائدٌ ومصالحٌ ﴿كَثِيرَةٌ﴾: يُلبس من
صوفها، ووبرها، وأشعارها، ويُصنع من جلودها الملابس، والحقائب، والأحذية، وتُستخدم في
صنع البيوت بيوت الشعر، ومن عظامها تُصنع أشياء كثيرة ﴿وَمِنْهَا﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ
للنوع، يفيد هنا بعض المنافع التي ﴿تَأْكُلُونَ﴾: وتأكلون لحمها.

التكليف: نلاحظ هنا ثلاثة مُؤكدات إِنَّ وحرف اللام في لَكُمْ وحرف اللام في لَعِبْرَةً.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (٢٢)

﴿وَعَلَيْهَا﴾: يركب الإنسان الإبل من دون سائر الأنعام من البقر والغنم، ويسافر في المناطق
الصحراوية الوعرة والمنبسطة، ويحملون على ظهورها الأمتعة والبضائع ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السفن
والبواخر الصغيرة والعلاقة ﴿تُحْمَلُونَ﴾: هذا من فضل الله ﷻ، علَّم الإنسان قانون الطفو؛
فصنع المراكب الصغيرة، والعلاقة التي تحمل مئات الأطنان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣)

﴿و﴾: حرف يفيد هنا الاستئناف ﴿لَقَدْ﴾: حرفٌ يفيد التحقق بصورة كبيرة في الماضي ﴿أَرْسَلْنَا
نُوحًا﴾: يخبر الله ﷻ قصة نوح عليه السلام أنه ﷻ أرسله ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾: رسولاً بالبيئات، وهو أول

(١) سنن الترمذي ٢٨٥/٤ (١٨٥١)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

الأنبياء ﴿ف﴾: حرف يُفيد العطف، وهو هنا يفيد أيضًا الاستثناء، بمعنى بعد إرساله لقومه تكلف بالرسالة ثم ﴿قَالَ يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْم﴾: هم كلُّ جماعةٍ من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب عقيدةٍ واحدةٍ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: دعا نوحٌ ﷺ، قومه إلى طاعة الله وحده قائلاً ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية ﴿إِلَهُ﴾: معبودٍ مُطاعٍ ﴿غَيْرُهُ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ليس لكم من يرزقكم ويحميكم غير الله ﷻ ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهامٍ يفيد الاستنكار ﴿تَتَّقُونَ﴾: ألا تخافون إن أشركتم أن يصيبكم عذابه الأليم، فاتقوه ﷻ.

التكليف: كانت دعوة نوح ﷺ الأولى، وكانت دعوة محمد ﷺ الأخيرة.

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾

﴿ف﴾: حرف يفيد هنا الاستثناء ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: قال سادةٌ وكبراءُ القوم وزعماءُهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: الذين غطّوا ما في قلوبهم، وعملوا عند الناس على تغطيتها، وهي حقائق عن الخالق، الرازق، المعطي، الوهاب على الناس ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿قَوْمِهِ﴾: هم جماعةٌ من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هَذَا﴾: إشارةٌ إلى نوح، ﷺ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بَشْرٌ﴾: من بني آدم ﴿مِثْلُكُمْ﴾: إنّه نوح ﷺ من دمٍ ولحمٍ، لا فضل له بذلك عليكم ﴿يُرِيدُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَتَفَضَّلُ﴾: يتمايز ويتعالى ﴿عَلَيْكُمْ﴾: يرغب أن يترفع ويتعاضم عليكم بالادعاء أنّه نبيّ، ويدّعي أنّ الله يوحى إليه من دونكم ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الامتناع والاستحالة، ليست على الله ﷻ ﴿شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: وقالوا كذبًا إنّ الله تخصيصًا: لو أراد أن يبعث رسولًا؛ لأنزل ملائكةً علينا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾: وليس عندنا تجربة سابقة على بعث بشر إلينا كالأنبياء، لأنّ نوحًا ﷺ كان أول الرسل، بعثه الله ﷻ في قومه بعد ألف سنة من خلق آدم ﷺ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (٢٥)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر يعني هنا نوح ﷺ، ما هو ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿رَجُلٌ﴾: مثل كلِّ الرجال في خلقه وتكوينه ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾: أصابه الجنون؛ مما دفعه أن يدعي أنّه رسول الله إليهم ﴿ف﴾: هنا ربط جواب الشرط بمعنى من أجل ذلك ﴿تَرَبِّصُوا﴾: من الربص وتعني الانتظار لأمرٍ يُنتظر زواله، أو حصوله ﴿بِهِ﴾: انتظروا

موته ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلّ على انتهاء الغاية الزمنية ﴿حِينَ﴾: فاصبروا عليه؛ حتى يفتضح أمره للناس، أو بموته.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ (٢٦)

﴿قَالَ﴾: نوح ﷺ، يدعو ربّه ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم وانتقم منهم بما تشاء وكيف تريد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي بسبب أنّهم ﴿كَذَّبْتَنِي﴾: انتقم منهم، واهزم الذين كذبوني.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحَيْنَا فَأِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾ (٢٧)

﴿ف﴾: حرف يفيد هنا العطف؛ أي سبب ما كان الأمر ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: أمره الله ﷻ وحيًا ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد تفسير ما بعدها وتأكيده الفعل ﴿اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾: أن يصنع سفينة ﴿ب﴾: حرف يفيد هنا الاستعانة والملابسة ﴿أَعْيُنِنَا﴾: بمعنى برعايتنا ﴿وَّوَحَيْنَا﴾: بمرأى من الله ﷻ، بعين الله وتوجيهاته، يصنع نوح السفينة بإحكام وإتقان، وهي أوّل سفينة سارت على وجه الماء على الأرض ﴿فِذَا﴾: حرف يفيد المفاجأة ﴿جَاءَ﴾: صدر وقضى ﴿أَمْرُنَا﴾: إذا أمرناك بركوبها أنت ومن معك ﴿وَفَارَ﴾: أيضًا خرج الماء ﴿التَّنُّورُ﴾: من مخبز قومك؛ فاعلم أنّهم هلكوا ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: احمل في السفينة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: جاءت بتتوين عوضٍ تعني كلّ من وما أمرتك أن تحمله ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: من الذكور والإناث من كل صنفٍ من الحيوانات، والنباتات، والثمار؛ لدورة حضارية جديدة ليستمر النمو والتكاثر ﴿و﴾: أيضًا احمل فيها ﴿أَهْلَكَ﴾: واحمل فيها من آمن من أهل بيتك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ﴾: اسم موصول يفيد هنا من جنس الناس ﴿سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: الذين كتب الله ﷻ عليهم الهلاك، الذين لم يؤمنوا من قومه، منهم ابنه، وزوجته ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تُخَاطِبُنِي﴾: لا تطلب مني العفو ﴿فِي الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الجميع، في أمر ﴿ظَلَمُوا﴾: الذين لم يؤمنوا ﴿إِنَّهُمْ﴾: جاء هنا إنّهم لتعليل سبب غرقهم بالتأكيد ﴿مُعْرِقُونَ﴾: صدر القول: إنّهم يموتون غرقًا بسبب كفرهم؛ ﴿وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحَيْنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾ [هود-٣٧]، ما كان نوح ﷻ والذين معه يعرفون كيف سينجيهم الله ﷻ مما هم فيه، ولكنّه اليقين بالله ﷻ.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

(٢٨)

﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿اسْتَوَيْتِ﴾: إذا ركبت السفينة ﴿أَنْتِ وَ﴾: أيضًا، استوى ﴿مَنْ مَعَكَ﴾: من الذين آمنوا من أهلك وأتباعك، ﴿عَلَى الْفُلِّ﴾: وأيضًا حمل في السفينة من الدواب، والطيور، وأخيرًا استقر الجميع عليها ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا ربط الجواب ﴿قُل﴾: أمر ربّاني ﴿الْحَمْدُ﴾: الثناء والشكر ﴿لِلَّهِ﴾: هذه النجاة تستحق حمد الله ﷻ ﴿الَّذِي نَجَّانَا﴾: أنقذنا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿الْقَوْمِ﴾: الجماعة الذين من أصل واحدٍ أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الذين ظلموا وجاروا علينا وظلموا أنفسهم، هم الذين سيصيبهم الغرق؛ فيموتون كفارًا، ظلمًا لأنفسهم؛ فأوردوها جهنّم.

التكليف: كان الدعاء الحمد لله بعد اكتشاف وتحقق كيفية صناعة السفن.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٢٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قُل﴾: أمر ربّاني بالقول ﴿رَبِّ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُرَبِّي، وهو إنشاء الشيء حالًا فحال إلى حدّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمري كلّهُ ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا﴾: دعوة الله ﷻ أن يُنزلهُ مُقَامًا أو مكانًا ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخيرات ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ﴾: الأكثر نفعًا ﴿الْمُنْزِلِينَ﴾: أنت خير من تُنزل أولياءك خير المنازل في الآخرة، وتنجيهم من عذاب الدنيا؛ كالغرق في الدنيا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ (٣٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في هذا الذي حدث، مما قصّه الله ﷻ علينا من أمر نوحٍ عليه السلام، نجاة المؤمنين، وهلاك الكافرين بالغرق ﴿ل﴾: حرف علة ﴿آيَاتٍ﴾: أدلّة، وحججًا، وبراهين واضحة على صدق دعوة نوح عليه السلام لقومه، ودعوة كل الرسل لقومهم ﴿وَإِن﴾: حرف تأكيد ﴿كُنَّا﴾: قبل ذلك ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾: نمتحن ونختبر قوم نوح عليه السلام، من العباد؛ بإرسال المرسلين.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٣١)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التراخي أي بعد ذلك بفترة زمنية ﴿أَنْشَأْنَا مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِمْ﴾: أنشأ الله ﷻ قومًا غير قوم نوحٍ ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾: أممًا أخرى، هم عاد الأولى قوم هود، عليه السلام، ثم قوم ثمود، وقوم فرعون، وغيرهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣٢)

﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب ﴿أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾: بعث الله ﷺ في هذه المجتمعات الجديدة رسولاً من بين أظهرهم ﴿مِنْهُمْ﴾: رسولاً من أصولهم يتكلم بلغتهم، وينحدر من نسبهم؛ يعرفونه كعادة الرسل ﴿أَنَّ﴾: حرف تفسير الفعل ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أوامره، وآمنوا به ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الكلية ﴿إِلَهُ﴾: معبود ﴿غَيْرُهُ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ما دعا إليه الرسل من عباده؛ وتوحيده، حرف استثناء ﴿أَفَلَا﴾: استفهام يفيد الاستنكار ﴿تَتَّقُونَ﴾: ألا تريدون أن تتجنبوا غضب الله ﷻ وعذابه الذي حل بقوم نوح، أيقنوا بوعي أنه الخالق الذي يستحق العبادة، واطمعوا في رضاه.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: جاء الاسم معبرًا عن القوم الذين إذا ما خرجوا على الناس يملؤون عيونهم مهابةً من كبار القوم، الأشراف، والقادة، والزعماء، حاشية الملوك والرؤساء ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز للنوع، يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿قَوْمِهِ﴾: الضمير يعود على الرسول الذي أرسل في قومه، ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿كَفَرُوا وَ﴾: أيضًا ﴿كَذَّبُوا﴾: أنكروا، وغطوا حقيقة القيامة ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿لِقَاءِ﴾: موعد ﴿الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة؛ يوم الثواب والعقاب ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾: أيضًا نعمناهم ووسعنا عليهم وعاشوا في رفاهية ورخاء ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أطعاهم وغرهم ما رزقهم الله ﷻ كثيرًا من أدوات الترف، والمال، والنساء، والجاه، والسلطان، فقالوا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هَذَا﴾: قالوا مُنكرين؛ ما هذا الذي أرسل فيكم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾: أنكروا تفضيل الله ﷻ لرسوله إليهم، بسبب أنه بشر مثلهم ﴿يَأْكُلُ مِمَّا﴾: بعضًا أو جزءًا من الذي ﴿تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: وأيضًا يأكل ويُخرج كما تأكلون وتُخرجون، يشرب ويبول، ويغوط كما تغولون وليس بملك.

التكليف: لا تزال هذه الحُجَّة قائمةً إلى اليوم؛ فكلُّ داعيةٍ مسلمٍ يتناولهُ الكُفَّار بالتجريح الشخصي، والتحقير، والتشويه، والسجن، والإبعاد، والاضطهاد.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (٣٤)

﴿وَلَئِنْ﴾: عطفًا على ما سبق، حرف شرط ﴿أَطَعْتُمْ﴾: سمعتم، وقبلتم، واتبعتم ﴿بَشَرًا﴾: فردًا من بني آدم ﴿مِثْلَكُمْ﴾: شخص مثلكم؛ يأكل مما تأكلون، ويشرب مما تشربون ﴿إِنَّكُمْ﴾: فأنتم بالتأكيد ﴿إِذَا﴾: جواب هذه الحالة ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿خَاسِرُونَ﴾: جاء اللفظ القرآني الخاسرون على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى العاجزون، وجاءت بالمعنى نفسه في قوله ﷻ ﴿قَالُوا

لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَّاسِرُونَ ﴿يوسف-١٤﴾، ستعبدون ما لا ينفعكم ولا يضركم؛ فتخسروا في الحياة الدنيا، وأموالكم، وأولادكم، وملذاتكم، ولا بعث لكم بعد الموت.

﴿أَبْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ (٣٥)

﴿أ﴾: حرفٌ تعجبٍ يُفيد الاستنكار، والتكذيب والاستبعاد ﴿يَعِدْكُمْ﴾: هذا تحريض الكافر على الرسول ﷺ هل تصدقون ما يعدكم به هذا الإنسان الذي يقول ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مِتُّمْ وَ﴾: عطفًا على موتكم ﴿كُنْتُمْ﴾: صرتم ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: إذا دُفنتم، وتحللت أجسادكم، وتآكلت عظامكم، وتحولت إلى رمادٍ، وبلية ﴿أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾: هل من حياةٍ من هذا القبر بعد التحلل، هل من خروج؟ كيف؟ التكليف: هذه سنةٌ من سنن الكفار لم تتغير ولم تتبدل؛ إلا في المفردات، فالיום حجةٌ هؤلاء هي المعطيات المادية، التي يعتمدون عليها، لا يؤمنون بأن الذي خلق الإنسان من ترابٍ سيعيد الخلق، وهو قادرٌ عليه ﷻ.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (٣٦)

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد، وتدلُّ على استبعاد الأمر جدًّا؛ وإنكارهم للشيء حتى امتنع، لدرجة الاستبعاد والاستحالة ﴿لِمَا﴾: لبيان المُستبعد الذي ﴿تُوعَدُونَ﴾: البعث من القبور والحساب، والمعنى المقصود، أي: بُعدًا كبيرًا أن يقع ما يعدكم به.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٣٧)

﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى ما ﴿هِيَ إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطعٍ ﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: حياتنا فقط هي حياة الدنيا، وليس بعدها بعثٌ ولا نشور ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿نَحْنُ﴾ ب: حرف بهذا السبب ﴿مَبْعُوثِينَ﴾: ما نحن بخارجين من القبور في بعثٍ جديد.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨)

﴿إِنْ﴾ حرف شرط ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر يعني هنا رسولهم ﴿إِلَّا﴾ حرف استثناءٍ منقطعٍ ﴿رَجُلٌ﴾ ما هذا الداعي لكم إلى ما يسميه الإيمان إلا رجلاً مثلنا، وليس بملاك، ولا فضل له علينا ﴿افْتَرَى﴾ اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ هنا اعترفوا أن الله ﷻ هو الخالق الواحد، وأن هذا الرجل قد قال على الله كذبًا، بأنه رسول من عنده ﴿وَمَا﴾ حرف نفي ﴿نَحْنُ لَهُ﴾ تخصيصًا ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ لن نصدقه ولن نتبعه.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ (٣٩)

﴿قَالَ﴾: الرسول ﴿رَبِّ﴾: تعني كلمة الرب: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بما وبمن فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو ﷺ مالكُ أمري كلّه ﴿أَنْصُرْنِي﴾: طلب رسولهم من الله ﷻ أَنْ ينصره على الكافرين ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي، بسبب أنهم ﴿كَذَّبُون﴾: تكذيبهم إياه، واستفتح الرسول عليهم؛ فأجاب الله دعاءه. ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ (٤٠)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ؛ استجابة لرسوله ﴿عَمَّا﴾: تفيد قلة المدّة وقصرها ﴿قَلِيلٍ﴾: أي في وقتٍ قصيرٍ قريبٍ ﴿لَ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يُصْبِحُنَّ﴾: يؤكد ﷻ أنهم سيصيرون، يؤولون ﴿نَادِمِينَ﴾: يشعرون بالأسف والأسى على ما فعلوا بعد أن يروا العذاب الأليم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤١)

﴿فَ﴾: بسبب ذلك وفي مدةٍ قصيرةٍ ﴿أَخَذَتْهُمُ﴾: قضت عليهم، ذهبت بهم ﴿الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾: هل كانت صيحة جبريل عليه السلام؟ الله أعلم، هي صوتٌ مرعبٌ، مصحوبٌ بالريح الصرصر العاتية، شديدة البرودة؛ التي تُدمر كلَّ شيءٍ بأمر ربّها ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً﴾: كالشيء الحقير التافه، الهالك، كالرغوة فوق سطح الماء ﴿فَبُعْدًا﴾: هلاكًا ودمارًا وبعْدًا من رحمة الله ﷻ ﴿لِلْقَوْمِ﴾: تخصيصًا هم جماعةٌ كانوا أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم، ومخالفة رسولهم ﷺ.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ (٤٢)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني مع التراخي ﴿أَنْشَأْنَا﴾: جننا بأمةٍ أو أجيالٍ جديدةٍ ﴿مِنْ﴾: حرفُ جرٍّ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيدُ هنا بداية الغاية الزمانيّة ﴿بَعْدِهِمْ﴾: تشكلت من بعدهم أقوام، صالح ولوط وشعيب أمم، كلُّ أمةٍ هي شعوبٌ من عرقٍ واحدٍ ﴿قُرُونًا﴾: أممًا عظيمةٍ ﴿آخَرِينَ﴾: جماعاتٍ سكانيّةٍ غير الأمة التي حقّ عليها القول؛ مثل قوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يونس عليهم السلام، وغيرهم، واحدةٌ بعد الأخرى.

التكليف: الأصل فيها ما تسبق أمةٌ أجلها وجاء الحرف مِنْ لتقوية النفي وتوكيده.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ (٤٣)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَسْبِقُ﴾: تأتي قبل موعدها ﴿مِنْ﴾: حرفُ جرٍّ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيدُ هنا بداية الغاية المكانية؛ يفيدُ هنا تقوية النفي وتوكيده ﴿أُمَّةٍ﴾: ما تتقدم كلُّ طائفةٍ في قرنٍ أجلها المكتوبة لها في الهلاك، ولا تتأخر عنها ﴿أَجَلَهَا﴾: لا تبيدُ أمةٌ قبل ما قدره الله ﷻ لها

في كتابه المحفوظ، وتأتي بعد أمة، ثم بعدها أمة ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾: كما أنهم لا يأتون قبل ما قدره الله ﷻ؛ فإنه لا يتأخر زوالهم بعد الوقت الذي حدده الله ﷻ لهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلًّا مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني، بعد فترة طويلة؛ أمة بعد أخرى، على التراخي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: كلنا ﴿رُسُلَنَا﴾: الأنبياء والرسل ﴿تَتْرَى﴾: مُتتابعين على فترات، قال ابن عباس: يأتي بعضهم بعد بعض ﴿كُلِّ مَّا﴾: حدثت ظاهرة التكرار والتعميم ﴿جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا﴾: كلما بعث الله ﷻ في أمة رسولا منهم ﴿كَذَّبُوهُ﴾: كذب أغلب الأمة رسولهم، وأنكروا بعثته، وجدوا دعوته، وعصوه، وكفروا، واستكبروا ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾: جعلناهم يتبعون بعضهم ﴿بَعْضًا﴾: أهلكتناهم تباعا، أمة تهلك بعد أمة هلكت ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أصبحت حياتهم وديارهم أخبارا، وأحاديث للناس من بعدهم ﴿فَبُعْدًا﴾: هنا دعاء عليهم بالزوال ﴿لِقَوْمٍ﴾: حرف اللام للتخصيص، جماعة من مذهب واحد، مذهب الكافرين ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: كان الزوال للقوم الكافرين.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٤٥)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع بعد فترة طويلة ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾: أعد الله ﷻ موسى، وأخاه هارون عليهما السلام بالرسالة، مكلفين بدعوته ﷻ، ومزودين ﴿ب﴾: حرف باء السببية؛ بمعنى مع ﴿آيَاتِنَا﴾: هي التسع آيات التي جاء ذكرها سابقا، ومنها العصا، واليد البيضاء وغيرها ﴿و﴾: أيضا ﴿سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: البراهين، والحُجج القاطعة الواضحة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٤٦)

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: إلى حاكم مصر الفرعون ﴿و﴾: أيضا إلى ﴿مَلَأَهُ﴾: ورجاله، وحاشيته، ومستشاريه، وبطانته من الأشراف ﴿ف﴾: وبسبب هذا ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: استعلوا عن الانقياد والاتباع لموسى، وهارون عليهما السلام ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿كَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾: من المُستكبرين على الناس القاهرين، والظالمين لهم.

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (٤٧)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿قَالُوا﴾: كانت حجتهم ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار، والتكذيب، والتعجب والاستبعاد، هل يُعقل أن تؤمن ونصدق من كان مثلنا من البشر؟ ﴿تُؤْمِنُ﴾: هل نصدق ﴿لِبَشَرَيْنِ﴾: تخصيما هما موسى وهارون، عليهما السلام ﴿مِثْلِنَا﴾: وهي حجة

كلّ الأمم التي كفرت قلوبهم ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿قَوْمُهُمَا﴾: نسل، وأتباع إسرائيل ﷺ
﴿لَنَا﴾: تخصيصاً ﴿عَابِدُونَ﴾: وكانت هذه حجة الكافرين الثانية: أنّ أهل الرسولين هم عبيدهم؛
نذبح أبناءهم، ونُبقي نساءهم؛ خدماً لنا، هذا نمط قديم من التمييز العنصري.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ (٤٨)

﴿ف﴾: حرف عطفٍ، يُفيد بسبب ذلك ﴿كَذَّبُوهُمَا﴾: أنكروا رسالتهما، وأصروا على تكذيبهما
﴿فَكَانُوا﴾: صاروا ﴿مِن﴾: حرف جرّ لبيان وتمييزٍ للنوع، يفيدُ هنا بداية الغاية المكانية
﴿الْمُهْلَكِينَ﴾: فغرقوا جميعاً.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٤٩)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف اللام جاء للابتداء والتوكيد والتحقق الكبير في الماضي ﴿آتَيْنَا﴾: منحنا وأعطينا
﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾: بعد هلاك فرعون وجنوده الأقباط وما سبقه من هلاك الأمم الكافرة؛ أنزل
الله ﷻ التوراة على موسى ﷺ؛ فيها الأحكام، والأوامر، والنواهي ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرفٌ يُفيد التحقق؛
إذا جاءت من الله ﷻ وتقيد الرجاء إذا جاءت من البشر ﴿يَهْتَدُونَ﴾: والمقصود هو قوم موسى
وليس قوم فرعون؛ الذين غرقوا قبل نزول التوراة؛ علّمهم يتبعون تعاليم الله ﷻ؛ فيهدون إلى
أمور دينهم.

التكليف: بعد نزول التوراة على بني إسرائيل من بعد فرعون، لم يهلك الله ﷻ الأقسام عامّة، بل
أمر المؤمنين بقتال الكافرين؛ لأنّ المؤمنين زادوا، ولم يكونوا كما في الأمم السابقة، كلّها تكفر؛
فيأخذها العذاب.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿جَعَلْنَا﴾: جعل الله ﷻ عيسى ﴿ابْنَ مَرْيَمَ وَ﴾: أيضاً
جعل ﴿أُمَّهُ﴾: مريم عليهما السلام ﴿آيَةً﴾: علامة تدلّ على عظيم قدرته، جاء اللفظ آية في
القرآن الكريم على وجهين: هنا بمعنى عبرة دليلاً للناس على قدرة الله ﷻ، فكما خلق الله ﷻ
آدم بلا أمّ وبلا أب، وخلق حواء من أب بلا أمّ؛ وخلق عيسى ﷺ، من أمّ بلا أب، خلق بقية
البشر من أبٍ وأمٍ ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿آوَيْنَاهُمَا﴾: جعلنا لهما سكناً؛ يأوون إليه ﴿إِلَى﴾
﴿رَبْوَةٍ﴾: مكانٍ مرتفعٍ من الأرض، وفيه ينبت الزرع، وعن مكان الربوة: قال ابن عباس: أنها
دمشق، وقال سعيد بن المسيّب: إنها منطقة الغوطة في الشام، وقال مجاهد: هي منطقة الرملة
في فلسطين، وقال الضحاك وقتادة: المقصود هي بيت المقدس؛ وهي الأظهر والأقرب والله
أعلم ﴿ذَاتِ﴾: فيها ﴿قَرَارٍ﴾: مكانٍ مستوٍ يمكن الاستقرار عليه، أرضٍ خصبةٍ ﴿و﴾: أيضاً فيها

﴿مَعِينٍ﴾: قال ابن عباس: ماء ظاهر، وقيل استوى الماء فيها، وقيل عن المعين هو الماء الجاري، والأقرب هو ماء النهر الجاري، والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنَادِي وهو الله ﷻ وبين والمُنَادَى عليه، قلنا يا أَيُّهَا ﴿الرُّسُلُ﴾: قلنا دعوة الرسل ومن خلفهم الأتباع المؤمنين ﴿كُلُوا﴾: ليكن طعامكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز للنوع، يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: كل ما يستمتع به الجسد وتقبله النفس، وما يُستطاب ويستلذ من الحلال، قال الحسن البصري، وابن جبير، والضحاك: الحلال من الطعام، كان عيسى ﷺ يأكل من غزل أمّه، وما من نبيّ إلا رعى الغنم، وكان داوود يأكل من كسب يده ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿اعْمَلُوا صَالِحًا﴾: ما فيه صلاح النفس، والمال، والدين ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: أحصي وأجزى عن كلّ قولٍ وعملٍ.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ (٥٢)

﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿هَذِهِ﴾: اسم إشارة للمفرد المؤنث، كل الذين آمنوا في عهد كلّ رسولٍ، عليهم السلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: هم جماعة أصحاب ملّة واحدة ﴿أُمَّةً﴾: جماعة تعتقد ملّتهم ملّة ﴿وَاحِدَةً﴾: هي أمّة الإسلام ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾: الله ﷻ، خالق هذه الأمم، وتعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي، وهو إنشاء الشيء حالًا فحال إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو مالك هذا الكون ﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب ﴿اتَّقُون﴾: أطيعون في أوامري ونواهي ولا تفعلوا ما يُوجب العقوبة عليكم مني.

﴿فَنَقُطِعُوا أَمْرَهُم بِبَيْنِهِمْ زُبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٥٣)

﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب والتتابع السريع ﴿نَقُطِعُوا﴾: جعل أتباع الأنبياء دينهم قطعًا مختلفة وتفرقوا إلى مجموعات، وهي الأمم التي بعث الله ﷻ فيهم أنبياء ﴿أَمْرَهُم بِبَيْنِهِمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأمر" على ثلاثة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى دين الإسلام ﴿زُبْرًا﴾: جاء اللفظ القرآني "الزبر" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى قطعًا، فرقًا، وأحزابًا وجاءت بنفس المعنى في قوله ﷻ ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف - ٩٦] ﴿كُلُّ﴾: تفيد العموم ﴿حِزْبٍ﴾: كل جماعة كافرة ﴿بِمَا﴾: اسم

موصول هنا بمعنى الذي ﴿لَدَيْهِمْ﴾: ما عندهم من الدين الذي ارتضوه، مُدَّعِين أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ، مُنْكَرِينَ غَيْرَهُ ﴿فَرِحُونَ﴾: مسرورون.

﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٥٤)

﴿فَ﴾: حرف هنا لربط جواب الشرط، من أجل ذلك ﴿ذَرَهُمْ﴾: اتركهم يا محمد ﷺ ﴿فِي عَمْرَتِهِمْ﴾: ضلالهم، وجهلهم، وغييهم، وحيرتهم ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الزمنية ﴿حِينٍ﴾: حتى يحين يومٌ هلاكهم، جاء في المعنى: ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلَهُمْ رُؤْيَا﴾ [الطارق-١٧].

﴿أَيُّحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ (٥٥)

﴿أَ﴾: حرف يفيد الاستفهام بغرض الاستنكار عليهم أن ﴿يُحْسَبُونَ﴾: هل يظنُّ هؤلاء، هل يتأكدون ﴿أَنَّمَا﴾: حرف يفيد التوكيد ﴿نُمِدُّهُمْ﴾: نعطيهم ونمنحهم ﴿بِهِ مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيد هنا ﴿مَّالٍ﴾: أن ما وهبناهم من أموالٍ وكنوزٍ ﴿و﴾: أيضًا نرزقهم ﴿بَنِينَ﴾: وأولاد أشداء.

﴿سَارِعٌ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٦)

﴿سَارِعٌ﴾: نعجل ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾: هل يعتقدون أننا وهبناهم هذه الأموال وهؤلاء الأولاد؛ لكرامتهم علينا، ورضانا عنهم ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: قال قتادة: إنما نستدرجهم ونمدُّ لهم، إنَّ هذا مكر الله ﷻ في الكافرين بأموالهم، وأولادهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (٥٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيد هنا بداية الغاية ﴿خَشْيَةِ﴾: خوفٍ من ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كلِّه، هؤلاء الذين آمنوا بالله ﷻ، وعملوا الصالحات؛ خوفًا منه ﷻ ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون من الله ﷻ، قال الحسن البصري: إنَّ المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإنَّ المنافق جمع إساءة وأمنًا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٨)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من الرجال والنساء ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص هنا لهذا الصنف من النَّاسِ تحديدًا ﴿بِآيَاتِ﴾: الأدلَّة والبراهين ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كلِّه، بالآيات الكونية، والمنزلة على رسله، وخلق الإنسان، والنبات

والحيوان، والقضاء، والقدر، ويوم القيامة، والثواب والعقاب، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: إيمانهم وتصديقهم، وتسليمهم لله ﷻ خالصٌ وصادقٌ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من البشر ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص للذين ﴿ب﴾: باء الصلة ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كلّه ومربيهم ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُشْرِكُونَ﴾: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدون الله ﷻ، ويوقنون أنّه لا إله إلا هو، ليس له نظير.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٦٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾: يُعطون العطاء من البر والإحسان ﴿مَا﴾: الذي ﴿آتَوْا﴾: الذي يقدمونه في سبيل الله ﷻ ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: قلوبهم خائفة أن يكونوا مقصرين في شروط العطاء من باب الاحتياط، قال ﷺ في هذا مجيباً عائشة حين سألته: أهُمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْحَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ^(١) ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: إلى المنشئ لهم ومربيهم ومالك أمرهم كلّه ﴿رَاجِعُونَ﴾: أنهم سيموتون، ثم يوم القيامة يُحشرون، ثم يُحاسبون، وهم يخافون التقصير وعدم القبول.

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٦١)

﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿يُسَارِعُونَ﴾: الذين لا يتأخرون ويبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾: في كل ما ينفع الخلق ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب ﴿لَهَا﴾: تخصيصًا ﴿سَابِقُونَ﴾: عندما لبّوا أمر ربّهم فاستبقوا الخيرات وكذلك سارعوا إلى مغفرة من ربهم وجنّاتٍ، ويتقدمون على غيرهم في فعل الخيرات.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٢)

﴿و﴾: حرف استئناف هنا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نُكَلِّفُ﴾: نأمر ونشرع ﴿نَفْسًا﴾: عبدًا من عبادنا ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: ما يطيق الإنسان حمله، ويقدر على القيام به ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿كِتَابٌ﴾: وعند الله ﷻ الكتاب الذي يُسجل الأعمال ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: حرف باء السببية، يسجل صدقًا وعدلًا ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُظْلَمُونَ﴾: لا يُنقصُ الله ﷻ ولا

(١) سنن الترمذي ٣٢٧/٥ (٣١٧٥) قال الألباني: صحيح.

يبخسُ من أعمالهم الصالحات شيئاً، ومن كرمه، ورحمته أنه ﷺ يعفو، ويصفح عن سيئات كثيرةٍ لعباده.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ (٦٣)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: إنّما قلوب الكفار وهي مركز الإدراك والإيمان ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: كأن الضلال يغمر قلوبهم وقلوب أنصارهم فلا يرون الحق؛ فهم في غطاءٍ وغفلةٍ وضلالٍ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيدُ هنا بداية الغاية ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة للمفرد المذكر وهو هنا من القرآن الكريم، الذي نزل على محمد ﷺ ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿أَعْمَالٌ﴾: الأعمال السيئة ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾: التي هي غير الشرك ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب ﴿لَهَا﴾: حرف تخصيص ﴿عَامِلُونَ﴾: يعملون دون توقّف، وقيل كُتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ (٦٤)

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية ﴿إِذَا أَخَذْنَا﴾: إذا حلَّ عذابُ الله ﷻ ونقمته التي تصيب ﴿مُتْرَفِيهِمْ﴾: الذين تتعموا في الحياة بغير الحق ﴿بِالْعَذَابِ إِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُم يَجْأَرُونَ﴾: يصرخون يستغيثون.

﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنْهَا لَا تَنْصُرُونَ﴾ (٦٥)

﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَجْأَرُوا﴾: تصرخوا، ولا تستغيثوا ﴿الْيَوْمَ﴾: قيل لهم ليزداد يأسهم وقنوطهم؛ لا تصرخوا، ولا تستغيثوا بأحدٍ وأنتم في العذاب ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿مِنْهَا﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع، هنا من الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَنْصُرُونَ﴾: لن يسمع لكم أحدٌ، ولن يستجيب لكم أحدٌ؛ مهما صرختم، أو استغثتم، لن ينصركم أحدٌ من الله ﷻ.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ﴾ (٦٦)

﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿كَانَتْ﴾: في الماضي ﴿آيَاتِي﴾: ما أرسل الله ﷻ من رسلٍ وآياتٍ، وبراهين، وأدلةٍ واضحةٍ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: تُقرأ عليكم وتسمعونها واضحةٌ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿كُنْتُمْ﴾: في السابق ﴿عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: كنتم ترتدون للخلف؛ بدلاً من أن تتقدموا في طريق الإيمان ﴿تَنْكِبُونَ﴾: ترجعون وتمتنعون، وتأبون وترفضون سماعها.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ (٦٧)

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: تتعالون وتتكبرون عن سماع القرآن، حرف باء الالتصاق ﴿سَامِرًا﴾: كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يتسامرون، وكان عامّة سمرهم ذكر القرآن بالسوء والطعن فيه، وبدل سماع القرآن كنتم تتسلّون في البيوت؛ ترحون، وتسخرون بالقول: إنّه سحر؛ إنّه شعر، إنّه كهانة، إنّه افتراء، يقصدون القرآن، قيل إنّ الضمير به يعود على محمد ﷺ، يذكرونه في جلساتهم بالنعوت التي لا تليق به، ويقولون إنّه شاعر أو كاهن، أو ساحر، أو مجنون، أو كذاب، وقيل المقصود البيت الحرام؛ يعتقدون أنّهم أولياؤه ﴿تَهْجُرُونَ﴾: تهذون في شأن القرآن، تتركونه وتعرضون عنه، قال ابن عباس: إنّما كرهه السمر، صار مكروهاً بسبب هذه الآية.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨)

﴿أَفَلَمْ﴾: أداة تقييد الإنكار والتوبيخ ﴿يَدَّبَّرُوا﴾: كان الأولى بالأشراف من الكفار أن يتفكروا في القرآن فيعرفوا صدقه؛ يدرسوا، ويتفكروا، ويقبلوا ﴿الْقَوْلَ﴾: كلمات ومعاني القرآن الكريم ﴿أَمْ﴾: بمعنى هل ﴿جَاءَهُمْ﴾: وصلهم من قبل كتاب ﴿مَا﴾: الذي ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ﴿يَأْتِ﴾: يصل ﴿آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: أجدادهم، لقد خصّهم الله ﷻ بهذا الذكر دون آبائهم، لما فيه من أشرف القول، وأعظم التعاليم، وأعمّ النعم.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٦٩)

﴿أَمْ﴾: بمعنى هل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَعْرِفُوا﴾: هل سبب نكرانهم هو عدم معرفتهم ﴿رَسُولَهُمْ﴾: بمحمد ﷺ وقد عُرف بينهم بالأمين الصادق، هم يعرفون حسن أخلاقه، ويعرفون نسبه، وهذا ما قاله جعفر بن أبي طالب ﷺ للنجاشي ملك الحبشة، وهو ما قاله المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم، وأيضاً ما قاله أبو سفيان لملك الروم ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿هُمْ لَهُ﴾: لمحمد ﷺ ﴿مُنْكَرُونَ﴾: رافضون كأنّهم لا يعرفونه؟

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْتَرَهُمُ لِحَاقٍ كَارِهِونَ﴾ (٧٠)

﴿أَمْ﴾: حرف عطفٍ واستفهام بغرض التوبيخ ﴿يَقُولُونَ بِهِ﴾: بمحمد ﷺ ﴿جِنَّةٌ﴾: اتهموا الرسول بالجنون، وهذا قول المشركين عن محمد ﷺ وقالوا أيضاً إنّه يتقول على الله ﷻ ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾: هذه شهادة الله ﷻ في صدق محمد ﷺ ﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿أَكْتَرَهُمُ لِحَاقٍ كَارِهِونَ﴾: هذه هي المشكلة، إنّ غالبيتهم لا يحبون الحق الذي جاء من عند الله ﷻ؛ ويحبون الباطل من عَرَض الدنيا وزينتها، واستجابتهم لأهوائهم، ومصالحهم الزائلة التي عاشوا عليها.

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١)

﴿وَلَوْ﴾: حرفٌ يُفيدُ النفي والامتناع والاستحالة، ليست على الله ﴿اتَّبَعَ﴾: لو استجاب ﴿الْحَقُّ﴾: جاء اللفظ القرآني الحق على أحد عشر وجهًا، هنا بمعنى هو الله ﷻ ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: لو شرع الله ﷻ لهم ما يوافق رغباتهم الفاسدة وما في أنفسهم من المطالب ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿فَسَدَتِ﴾: بطل عمل ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: كل ما علا الأرض وأحاط بها، الشمس، والقمر، والكواكب ﴿و﴾: أيضًا فسدت ﴿الْأَرْضُ﴾: جاء اللفظ القرآني "الفساد" هنا بمعنى هلكت الأرض، ﴿وَمَنْ﴾: من البشر ﴿فِيهِنَّ﴾: وفسدت المخلوقات التي عليها؛ لفسادهم ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَتَيْنَاهُمْ﴾: جنناهم ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾: حرف باء المصاحبة، جاء الذكر هنا بمعنى العزة والشرف الذي جاءهم في القرآن الكريم الذي فيه عزتهم، وبقاؤهم، ورفعتهم، ورفع اسمهم ﴿ف﴾: بهذا السبب ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍ يفيد المجاوزة ﴿ذِكْرِهِمْ﴾: عن شرفهم وفخرهم ﴿مُعْرِضُونَ﴾: يتجاهلون ويتعدون، وينأون، ويرفضون.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٧٢)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾: هل تطلب منهم أيها الرسول ﴿خَرْجًا﴾: قال الحسن: أجرًا، وقال قتادة: جُعلاً؛ أي تجعل لهم نصيبًا ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السبب ﴿خَرَجَ﴾: رزق ﴿رَبِّكَ﴾: إن ثواب مالك أمرك كله هو الثواب الجزيل ﴿خَيْرٌ﴾: كثير؛ لأنك تحتسب ما عند الله ﷻ، وثوابه، وكرمه ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر يعني ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل وأكرم ﴿الرَّازِقِينَ﴾: الله أكرم وأعظم وأفضل من يعطي عباده من الخير.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد يا محمد ﷺ ﴿لَتَدْعُوهُمْ﴾: تدعو قومك تخصيصًا وغيرهم وتهديهم إلى الجنة، وتبعدهم عن النار، وهذا ما يطلبه المؤمنون، جاء في المعنى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة-٦] ﴿إِلَى﴾: حرف جر يدل على المصاحبة ﴿صِرَاطٍ﴾: طريق الإسلام ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾: معتدل لا عوج فيه، وهو الدين الحق، أقصر الطرق لتحقيق الغاية في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ﴾ (٧٤)

﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: هم الكافرون ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْآخِرَةَ﴾: الذين يكفرون، ويُنكرون يوم القيامة هم ﴿عَنْ﴾: حرفٌ يفيد المجاوزة ﴿الصِّرَاطِ﴾: هو الطريق عن الإسلام ﴿لِ﴾: حرف توكيد؛ يفيد هنا توكيد الزيغ عن الصراط المستقيم ﴿نَاكِبُونَ﴾: من نكب؛ أي زاغ عن العدل، وانحرف، وضلَّ عنها، وهو من المناكب، أي جانب الكتف التي تفيد الإعراض.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٥)

﴿وَلَوْ﴾: حرفٌ يفيد هنا الامتناع، يقول ابن عباس: كلُّ ما فيه لو؛ فهو مما لا يكون ﴿رَحِمْنَاهُمْ﴾: لو أراد الله ﷻ بهم رحمةً ﴿وَكَشَفْنَا﴾: لأزاح الله ﷻ عنهم ﴿مَا﴾: الذي ﴿بِهِمْ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيدُ هنا بداية الغاية المكانية ﴿ضُرٍّ﴾: الضرر، من القحط، والجوع ﴿الْجُوعِ﴾: بسبب هذا ضجروا، وما انقادوا، ولا أطاعوا، وتمادوا في ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾: في ظلمهم وكفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: عمون، زائغون، يتخبطون، ويترددون، ويتيهون عن الرشد، ويضلون، والعمى هو الضلال.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٧٦)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرفٌ يفيد التحقق ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾: ابتليناهم، اخترناهم ﴿بِ﴾: باء السببية ﴿الْعَذَابِ﴾: المصائب الشداد ﴿فَمَا﴾: حرفٌ، يفيد خبرًا؛ ينفي هنا أنهم ﴿اسْتَكَانُوا﴾: ما طلبوا السكينة والخضوع، ما خضعوا ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّهِمْ﴾: المعبود، والمُربي، وهو إنشاء الشيء حالاً فحال إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، وهو ﷻ مالك أمرهم ﴿وَمَا﴾: أيضًا هنا نفي ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتوسلون ويرجون، ما دعوا الله ﷻ، وما تابوا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٧)

﴿حَتَّىٰ﴾: حرفٌ جرٌّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿فَتَحْنَا﴾: بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ﴾: وهو يوم القيامة، عندما تأتي الساعة بغتةً قيل يوم قتلهم في موقعة بدر بالسيف ﴿شَدِيدٍ﴾: عذاب الله ﷻ الذي ما كانوا يحسبون له حسابًا ﴿إِذَا هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب ﴿فِيهِ﴾: في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾: يائسون من كلِّ خير، ومن كلِّ راحة.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨)

﴿وَهُوَ﴾: الله ﷻ ﴿الَّذِي أَنْشَأَ﴾: خلق ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿السَّمْعَ﴾: جهاز السمع المكوّن من الأذن، والعصب السمعي، ومركز السمع في المخ، وكلّها من المعجزات الطبية، لاستماع الكلام ﴿و﴾: أيضاً خلق ﴿الْأَبْصَارَ﴾: وهي العيون، ومركز العصب البصري ومركز الإبصار في المخ، لتشاهدوا ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: وأيضاً أوجد من غير سابق مثال القلوب، مركز الإدراك، والوعي، والتفكير، والتدبر ﴿قَلِيلًا﴾: ومع كل هذه النعم فإنكم قلّ ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَشْكُرُونَ﴾: كان شكرُكم قليلاً لله ﷻ على نعمه عليكم في خلقكم، ورزقكم، وخلق الكون من حولكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٩)

﴿وَهُوَ﴾: الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿ذَرَأَكُمْ﴾: زاد أعدادكم، ووزعكم، ويُنبتكم فيها كما تنبت الحبوب ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: على الأرض مع اختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: يوم الزحام، يوم يجمع الله ﷻ الأولين والآخرين بعد تفرقهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٨٠)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد، والمقصود هنا هو الله ﷻ ﴿يُحْيِي﴾: الذي يُحيي الرميم ﴿وَيُمِيتُ﴾: الأفراد والأمم ﴿وَلَهُ﴾: ملكه وهو بيده ﴿اِخْتِلَافُ﴾: تعاقب ﴿اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: الذي سخر دوران القمر حول الأرض، ودورانها حول الشمس؛ فينشأ الليل، والنهار، دون أن يفتر أحد، ولا يفترق، جاء في المعنى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس-٤٠] ﴿أَفَلَا﴾: حرفٌ استفهامٍ يفيد الاستنكار ﴿تَعْقِلُونَ﴾: ألا تُدركون بعقولكم قدرته ﷻ، ألا يستحق هذا التأمل والتفكر في قدرة الله ﷻ؛ أن تؤمنوا بالبعث والحساب.

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١)

﴿بَلْ﴾: حرف يفيد الخراب الذي يبطل؛ أي أبطل كونهم يعقلون كونهم يُقلّدون آباءهم الذين أنكروا البعث ﴿قَالُوا﴾: بدلاً من أن يؤمنوا قالوا ﴿مِثْلَ مَا﴾: الذي ﴿قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾: مثلما قالت الأمم السابقة قوم نوح، وعاد، وشمود، وغيرهم التي بادت، واندثرت.

﴿قَالُوا إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٨٢)

﴿قَالُوا﴾: على سبيل الاستبعاد ﴿إِذَا﴾: حرف الألف استفهام يفيد الاستنكار والتعجب لما يُستقبل من الزمان يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مِنَّا﴾: ودُفناً وتحللت أجسادنا ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿كُنَّا﴾: صرنا ﴿تُرَابًا﴾: وهو الجزء الطري من الجسم، يصير

رمادًا ﴿و﴾: أيضًا صرنا ﴿عِظَامًا﴾: هل نحن بعد التحلل في القبور وبعد أن نكون ترابًا؟ أنكروا ما قاله الله ﷻ ورسوله ﷺ لهم ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿لن﴾: حرف علّةٍ وسبب ﴿مَبْعُوثُونَ﴾: هل سنعود من بعد أن نصير ترابًا، ويصينا البلى؛ هل سنبعث من قبورنا مرةً أخرى؟ لقد نسي الجاهلون حقيقة أن مَنْ أنشأ من العدم قادرٌ أن يُعيد النشأة الأولى.

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٣)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿وَعَدْنَا﴾: هذا البعث وُعد آباؤنا من قبل ذلك لم نره في الحقيقة، والذين وعدونا هم رُسُلنا ﴿نَحْنُ﴾: ضميرُ رفعٍ منفصلٍ يُفيدُ الجمع، يشهدون أن الرسلات وصلتهم ﴿وَآبَاؤُنَا﴾: وعدنا وآباؤنا وأجدادنا ﴿هَذَا﴾: البعث بعد الفناء، والحساب بعد البعث، والجنّة أو النار؛ فأنكروا ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيدُ هنا بداية الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلُ إِنْ﴾: بمعنى ما ﴿هَذَا﴾: قالوا هذا القول وهذا الوعد ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ليست حقيقة، ولكنه ﴿أَسَاطِيرُ﴾: قصص، وأقوال، وأكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: روايات وقصص الأمم السابقة، بذلك أنكروا، وكذبوا، وموعدهم ما أنكروه.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤)

﴿قُلْ﴾: يا محمد وأتباع محمد ﷺ قولوا، واسألوا أهل مكة هذه المقالة، وسلهم من يملك هذه الأرض ومن عليها ﴿لِمَنِ﴾: من الذي يملك ﴿الْأَرْضُ﴾: أليست للذي خلقها ﴿وَمَنْ﴾: الذي يملك ما ﴿فِيهَا﴾: وكلّ خلقٍ فوقها، وكلّ أشكال وألوان البشر ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إذا عندكم علم غير ما قال الله ﷻ.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥)

﴿س﴾: حرف يفيد تأكيد الفعل في المستقبل ﴿يَقُولُونَ﴾: سيبحث الكافرون عن جواب، ولن يجدوا؛ فسيعترفون ولا بد لهم أن يقولوا ذلك ﴿لِلَّهِ﴾: ﷻ؛ عندها ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷻ ﴿أَفَلَا﴾: حرف استنهامٍ يُفيد الاستنكار ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: وتعلمون أن الله ﷻ هو القادر على بعثكم ونشوركم ألا يُوجب عليكم بعد اعترافهم؛ أن تقولوا لهم: ألا تتعظون من مصير الأمم السابقة، التي أنكرت؟

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ ربّاني لمحمد ﷻ أن يسألهم ﴿مَنْ﴾: حرف استنهام عن العاقل ﴿رَبُّ﴾: مالك أمر ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كرويّة الشكل ﴿السَّبْعِ﴾: سلهم يا

محمد ﷺ من مالك السموات والأرض؟ بعد أن أقرؤا بخلقه ﷺ لها ﴿و﴾: أيضًا سلهم مَنْ ﴿رَبُّ﴾: من الذي يملك العالم العلوي، بما فيه من كواكب وملائكة، يعملون بأمره ﷺ في سائر الكون، وهو الذي أخبر أنه مالك ﴿العرشِ﴾: العظيم، الذي هو سقف هذه المخلوقات قال ابن عباس: سُمِّي بالعرش لارتفاعه، وقال أيضًا: العرش لا يقدر قدره أحدٌ إلا الله عزَّ وجل ﴿العظيم﴾: الكبير، قال الحسن البصري: الكريم وقال ابن مسعود: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه الكريم.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٨٧)

﴿س﴾: حرف استقبال يؤكد وقوع الفعل ﴿يَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: سيقرؤون أن الله ﷻ مالك هذا الكون وما فيه ﴿قُل﴾: أخبرهم ﴿أفلا﴾: حرف استفسارٍ بغرض الاستنكار لقولهم وفعلهم ﴿تَتَّقُونَ﴾: قل لهم يا محمد أفلا تعتدرون، أفلا تؤمنون؟ فتتجنبوا غضبه ﷻ.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨)

﴿قُل﴾: سلهم يا محمد ﷺ ﴿مَنْ﴾: الذي تعرفون من دون الله ﷻ ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: هذا الملك الواسع ﴿كُلِّ﴾: عمومًا بلا استثناء ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتؤكد عموم الأشياء، من الحاكم المتصرف المالك بهذا الكون وما فيه؟ ﴿و﴾: عطفًا على سؤالكم فأنتم تعرفون ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر، يعني هنا الله ﷻ ﴿يُجِيرُ﴾: الذي يُغيث وينجي ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: لا أحد يمتنع عن العقوبة إذا قدرها الله ﷻ عليه، وحده ﷻ هو الذي يقدر على كل شيء، ولا يقدر عليه أي شيء ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إذا كنتم تعلمون؟ وأنتم في الحقيقة لا تعلمون.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (٨٩)

﴿س﴾: حرف يؤكد وقوع الخبر في المستقبل، وهو هنا ﴿يَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: سيجيبون وهذا جوابهم عن سؤال من بيده ملكوت كل شيء؛ اعترافًا بأنه ﴿قُل﴾: أمرٌ بالقول لضرورة ﴿فَأَنَّى﴾: حرف استفهامٍ أفاد الاستبعاد بمعنى كيف ولأي سبب ﴿تُسْحَرُونَ﴾: كيف تلغون عقولكم؟ كأنتكم أصابكم السحر، فتعبدون غيره، وأنتم تعلمون قدره.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠)

﴿بَل﴾: حرف اضطراب ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، يفيد هنا اضطراب حالهم فكذبوا بما ﴿أَتَيْنَاهُمْ﴾: جنناهم وأخبرناهم ﴿بِالْحَقِّ﴾: أنه لا إله إلا الله، بالأدلة الدامغة ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿كَاذِبُونَ﴾: شهادة من الله ﷻ أنهم عبدوا

من دون الله ﷻ غيره، بلا برهانٍ، أو دليلٍ، إمّا اتباعًا لأبائهم، وإمّا مصلحةً ومنفعةً في الدنيا، وإمّا جهلاً بالحقائق الكونية أن لكلّ مخلوقٍ خالقًا.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدَّ هَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿اتَّخَذَ﴾: اعتمد أو اختار ﴿اللَّهُ مِنْ﴾: جاء من لتأكيد نفي أن يكون لله ﷻ ﴿وَلَدٍ﴾: ولأنّ الله ﷻ واحدٌ أحد، ليس له صاحبة، زوجة؛ فليس له ولد، ولم يتخذ له ولدًا ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾: ولو كان هناك إلهٌ غيره، لو تعددت الآلهة ﴿إِذَا﴾: حرفٌ جوابٍ وجزاء ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿ذَهَبَ﴾: انقضى وزال ومضى ﴿كُلُّ﴾: تفيد العموم ﴿إِلَهٍ﴾: معبود ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق مثال، لانفرد كلُّ إلهٍ بالذين خلقهم، واتبعوه، وهنا يحدث الاختلاف، وهنا لا ينتظم الوجود، وهنا يغيب كمالُ الكون ووحده ﴿وَلَعَلَّ﴾: أيضًا تطاول ﴿بَعْضُهُمْ﴾: عدّد منهم ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾: على جزءٍ آخر ﴿سُبْحَانَ﴾: تنزيهاً وتكريماً ﴿اللَّهُ عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُصِفُونَ﴾: يقولون لأنّه سيعمل كلُّ إلهٍ على قهر الآخر إذا اختلفا، فينتصر بعضهم، ويهزم الآخر، ولا يليقُ بخالقي أن يكون مهزوماً مقهوراً.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٩٢)

﴿عَالِمِ﴾: يعلم علم قدرٍ مكتوبٍ، قدره قبل أن يبرأه، وعالمٌ بما صنع المخلوق، وعالمٌ بما سيؤول إليه يوم القيامة، وهو في ﴿الْغَيْبِ﴾: يعلم ﷻ الذي لا يراه ولا يعرفه المخلوق ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: أيضًا يعلم كلُّ الذي تراه، وتشاهده المخلوقات ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿تَعَالَى﴾: تقدّس، وتنزّه، عزّ وجلّ ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُشْرِكُونَ﴾: عمّا يقوله المشركون من شركٍ وكفرٍ وجحود.

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْبِي مَا يُوعَدُونَ﴾ (٩٣)

﴿قُلْ﴾: يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء ﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كلّهُ ﴿إِمَّا﴾: حرف شرط يحمل معنى التخيير ﴿رِيْبِي﴾: فاجعني أشاهد في حياتي ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُوعَدُونَ﴾: من العقاب في الدنيا.

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٩٤)

﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كلّهُ، تقريباً من الرسول ﷺ لله ﷻ وحبّاً ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهى ﴿تَجْعَلْنِي﴾: ألا يكون مصيري ﴿فِي الْقَوْمِ﴾: إن أنزلت عليهم

النقمة والعذاب فاجعلني خارجًا عنهم، فلا ينالني من العذاب شيئًا لأنني مؤمنٌ بك ومصدقٌ
وعدك ولا تجعلني مع ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بدخول النار.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ (٩٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نُرِيكَ﴾: لو أردنا أن نجعلك تشهد ﴿مَا﴾: الذي يحلّ بهم من النقم ﴿نَعِدُهُمْ﴾: ما حذرناهم من العذاب ﴿ل﴾: حرف يُفيد العلة والسبب ﴿قَادِرُونَ﴾: لأريناك بكل تأكيد.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦)

بعد جولة النقاش: حول الكفّار وردّ الله ﷻ على أكاذيبهم، يأتي الإرشاد إلى الطريق الصحيح ﴿ادْفَعْ﴾: بالقول والعمل ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الَّتِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المؤنث ﴿هِيَ﴾: ضمير رفع للمفرد المؤنث الغائب ﴿أَحْسَنُ﴾: يُرشدُ الله ﷻ رسوله ﷺ إلى أفضل السبل في مخالطة البشر، الدفع، أي الردّ بالمسامحة، والصلح والإحسان إلى من يسيء إليه؛ يدفعُ بها ﴿السَّيِّئَةَ﴾: وهي القول القبيح، فتطيبُ الخواطر، وتتحول العداوة إلى صداقةٍ ومحبةٍ ﴿نَحْنُ﴾: هو الله الواحد الأحد، جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحبُ العلم الشامل ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿يَصِفُونَ﴾: الله ﷻ يخبرُ نبيه ﷺ أنه يعلم ما يدبرون، وما يمكرون، وما يقولون، وما يفترون.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٩٧)

﴿و﴾: أيضًا ﴿قُلْ﴾: أمرٌ بالقول واجبٌ على محمد ﷺ ﴿رَبِّ﴾: المُعبود، والمُرَبِّي؛ هو مالكٌ أمري كله ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾: قل يا محمد ﷺ داعيًا: ألتجئُ واحترزُ وأتحصنُ من المشركين ومن الشياطين؛ بحماك؛ لأنه لا ينفع معهم الكلام، ولا ينفادون لمعروف ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييزٍ للنوع، يفيدُ هنا بداية الغاية المكانية ﴿هَمَزَاتِ﴾: وساوس مغرية، والوساوس التي تُلقِيها ﴿الشَّيَاطِينِ﴾: في قلب الإنسان.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ (٩٨)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَعُوذُ﴾: ألتجئُ إليك وأحتمي ﴿بِكَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَحْضُرُونَ﴾: أن يكونوا حاضرين في أمرٍ من أموري؛ في الأكل، أو الذبح، وفي كلِّ أمرٍ؛ أمرُ الله ﷻ المسلمين وعلمهم الدعاء التالي: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمَزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ

(١)، والدعاء: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ (٢).

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩)

﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، والابتداء، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَ﴾: حضر ﴿أَحَدَهُمْ﴾: واحد من الكافرين ﴿الْمَوْتُ﴾: حتى إذا أشرف أحدهم على الموت وشاهد ما أعدَّ الله ﷻ له من العذاب ﴿قَالَ رَبِّ﴾: هنا يعترف المجرمون أن الله ﷻ ربهم ﴿ارْجِعُونِ﴾: يطلب الرجعة إلى الحياة الدنيا؛ ليعمل صالحًا؛ بدلًا عن الفساد، والكفر، والجرائم التي اقترفها.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٠٠)

﴿لَعَلِّي﴾: حرف يُفيد الترجي ﴿أَعْمَلُ﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس ﴿صَالِحًا﴾: هنا يطلب المجرم فُرصةً أخرى؛ ليعمل بعمل المؤمنين ﴿فِيمَا﴾: في الذي ﴿تَرَكْتُ﴾: ما سلف من العمر، والإجابة الربانية ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع، وزجر، واستتكارٍ ورفض ما طلب، قال ابن أسلم: يقولها لا محالة كلُّ محتضرٍ، ظالمٌ لنفسه، وقد تكون كلمةً يقولها، ولكن لا يعمل بها؛ حتى إذا رجع، جاء في المعنى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام- ٢٨] وقال قتادة: والله ما تمنى أن يعود إلى أهلٍ ولا عشيرةٍ ولا بأنه يجمع الدنيا، ويقض الشهوات، ولكن تمنى أن يعمل بطاعة الله ﷻ. إذا سأل الكافر الرجعة؛ قال الله ﷻ له: كَلَّا كذبت ﴿إِنَّهَا﴾: هي بالتأكيد ﴿كَلِمَةٌ هُوَ﴾: ضميرٌ يعود هنا على الكافر يتمنى أن يرجع إلى الدنيا كي يعمل صالحًا ﴿قَائِلُهَا وَ﴾: وقد حدث حاجز يمنعه من العودة للدنيا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية الزمانية ﴿وَرَائِهِمْ﴾: أمامهم وينتظرهم ﴿بَرْزَخٌ﴾: الحاجزُ والحدُّ بين الشيئين، قال مجاهد: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة، وقال محمد بن كعب: ما بين الدنيا والآخرة، ليسوا من أهل الدنيا، يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم، وقال أبو صخر: ليسوا في الدنيا ولا هم في الآخرة، إنَّه تهديدٌ للمحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، جاء في المعنى: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية- ١٥]، يستمر عذابهم ﴿إِلَى يَوْمِ﴾

(١) سنن أبي داود ٢٠٦/١ (٧٧٥)، قال الألباني: صحيح.

(٢) سنن أبي داود ٩٢/٢ (١٥٥٢)، قال الألباني: صحيح.

يُبْعَثُونَ: إلى يوم القيامة، قال ﷺ: **فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ** (١)؛ أي في القبر حتى يوم القيامة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١)

﴿ف﴾: حرف مفاجأة وأمر بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾**: نفخة النشور، يوم يقوم الناس لرب العالمين، من القبور **﴿فَلَا﴾**: حرف تخصيص ونهي يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهى عن أن تكون **﴿أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾**: تقطعت الصلات العائلية **﴿يَوْمَئِذٍ﴾**: كلمة مركبة من يَوْم وإِذ؛ تعنى في ذلك الوقت، لا تتفع الأنساب والقراية، لا يرثي ولدٌ لوالده، تتقطع صلات الدنيا، فلا يحمل أحد عن أحدٍ وزراً ولو كان وزن جناح بعوضة، جاء في المعنى: **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾** [عبس-٣٤-٣٥-٣٦]، بل يفرح المرء إذا كان له مظلمة عند والده أو أخيه. **﴿و﴾**: أيضاً **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾**: لا يسأل أحدٌ عن أحدٍ.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢)

﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي عن العاقل **﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾**: ممن كثرت ورجحت حسناته على سيئاته، عند الحساب ولو بواحدة **﴿فَأُولَئِكَ﴾**: اسم إشارة للجماعة للبعيد والقريب **﴿هُمْ﴾**: ضمير منفصل مرفوع للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿الْمُفْلِحُونَ﴾**: الفائزون بما أحبوا، قال ابن عباس: الذين نجوا من النار، ودخلوا الجنة.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ (١٠٣)

﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل **﴿خَفَّتْ﴾**: والذين طاشت **﴿مَوَازِينُهُ﴾**: وثقلت سيئاته على حسناته **﴿فَأُولَئِكَ﴾**: اسم إشارة للقريب والبعيد **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد الجميع من الرجال والنساء من **﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾**: صفتهم خاسرة؛ فخابوا وهلكوا ومصيرهم **﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾**: مقامهم النار دائماً، بلا خروج.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِونِ﴾ (١٠٤)

﴿تَلْفَحُ﴾: تحرق بشدة **﴿وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾**: عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن رسول الله ﷺ: **﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِونِ﴾** [المؤمنون-١٠٤] قَالَ: «شَوِيهِ النَّارُ فَتَقْلَصُ شَفْتَهُ الْعُلْيَا

(١) سنن الترمذي ٣/٣٧٥ (١٠٧١)، قال الأرناؤوط في حاشية مسند أحمد ٢٨/٣٤٤: صحيح لغيره.

حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْجِي شَفْعَهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ»^(١)، وقيل في المعنى: ﴿وَتَعَشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم-٥٠]؛ يسيل لحمهم على أرجلهم ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب ﴿فِيهَا﴾: داخلها بالتأكيد ﴿كَالْحُونَ﴾: قال ابن عباس: عابسون ارتفعت شفاههم من كثرة النفخ.

التكليف: قال ﷺ: إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تُوَضَّعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاعُهُ^(٢)؛ كنايةً عن حجم عذاب جهنم وشدته وما يجدون من الوجع.

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُثَلِّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (١٠٥)

﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهامٍ تقريرى؛ يفيد التوبيخ والإنكار فيقع في قلوبهم الألم والوجع ﴿تَكُنْ﴾: لقد كانت ﴿آيَاتِي تُثَلِّى﴾: تُقرأ وتُفسَّر ﴿عَلَيْكُمْ﴾: هذا تفرغٌ من الله ﷻ للكافرين؛ ألم ينقل لكم الرُّسُلُ الحُجج، والبراهين والأدلة على صدق دعوتهم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: حرف الباء يفيد السبب، خالفتم، وعصيتم، وارتكبتم المحارم والجرائم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٠٦)

﴿قَالُوا﴾: أهل النار ﴿رَبَّنَا﴾: فهو مالك أمرنا كلّه ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: استولت علينا وملكتنا أهواؤنا، كنا أشقياء، تغلبت علينا طباغنا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿قَوْمًا﴾: جماعة أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿ضَالِّينَ﴾: تائهين بعيدين عن الحق. التكليف: يقول الكافرون في الآخرة ربنا ولم يقولوها في الدنيا.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٠٧)

﴿رَبَّنَا﴾: يا مالك أمرنا كلّه ﴿أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، بعد أن دخلوا النار؛ قالوا ربنا، اليوم اعترفوا أن الله ﷻ ربهم، قالوا رُدنا إلى الدنيا نعمل صالحًا ﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿عُدْنَا﴾: رجعنا إلى أفعالنا السابقة من الكفر والإنكار ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الكافرين بصيغة الجمع للتوكيد ﴿ظَالِمُونَ﴾: لأنفسنا نستحق العقوبة.

﴿قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ (١٠٨)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤٢٨/٢ (٣٤٩٠). وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(٢) صحیح البخاری ١١٥/٨ (٦٥٦١).

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ رَدًا على طلبهم الخروج من النَّار، والرجعة إلى الدنيا ﴿أَخْسَأُوا﴾: اسكتوا، ابقوا صامتين، وابتعدوا، وامكثوا ﴿فِيهَا﴾: في النَّار صاغرين أذلاء مُهانين ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تُكَلِّمُونَ﴾: قطع الله ﷻ كلامهم، وقال عمر بن عمرو: إنَّ أهل جهنم يدعون مالكا؛ فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يرد عليهم؛ إنكم ماكنون، ثم يخبرهم لماذا؟ التكليف: خساً الكلب بمعنى أبعد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: إنَّ أهل جهنم يدعون مالكا فلا يُجيبهم أربعين تماماً، ثم يرد عليهم: إنكم ماكنون. وقيل الصحيح إنه يُجيبهم بعد ألف سنةٍ وعندها ينقطع رجاؤهم ويُقبلُ بعضُهم على بعضٍ فيتناجون كالكلاب وقد أطبقت عليهم النَّار والعياذ بالله ﷻ.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٠٩) ﴿إِنَّهُ﴾: حرف تأكيد ﴿كَانَ﴾: في الحياة الدنيا ﴿فَرِيقٌ﴾: جماعة مؤمنةٌ سالحةٌ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿عِبَادِي﴾: المؤمنين بالله ﷻ يدعون الله ﷻ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾: يا مالك أمرنا كله، وبذلك ﴿آمَنَّا﴾: يعلنون إيمانهم، ويدفعون ثمن ذلك من أذى الكفار ﴿ف﴾: بسبب ذلك الإيمان ﴿اغْفِرْ لَنَا﴾: سامحنا بما ارتكبنا من ذنوب؛ لأنَّ كلَّ ابن آدم خطاءٌ ﴿وارْحَمْنَا﴾: نطلب رحمتك؛ لأنَّك أنت ﴿وَأَنْتَ خَيْرٌ﴾: أنفع وأكرم وأعزُّ ﴿الرَّاحِمِينَ﴾: من يرحم.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (١١٠) ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد هنا سبب وسرعة الموقف ﴿اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾: جعلتم منهم ﴿سُخْرِيًّا﴾: فاشتغلتم بالاستهزاء بهم وجعلتم منهم مادة سُخرية، واستهزاءً بسبب دعائهم، وتضرعهم إليَّ ﴿حَتَّىٰ﴾: حرفٌ جرٌّ يدلُّ على انتهاء الغاية بمعنى إلى أن ﴿أَنْسَوَكُم ذِكْرِي﴾: من شدَّة كرهكم لهم، نسيتم ما أرسلته إليكم؛ أذكركم بضرورة طاعتي، وعبادتي ﴿وَكُنْتُمْ﴾: في الدنيا ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع من بعضهم ﴿تَضْحَكُونَ﴾: اتخذتم من صلاتهم سُخريةً، ومن طاعتهم استهزاءً، ومادةً للضحك.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (١١١) ﴿إِنِّي﴾: أنا الله حرف تأكيد ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾: كتبت لهذا الفريق من عبادي المؤمنين، ثواباً وجزاءً ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿بِما﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي، بسبب أنهم ﴿صَبَرُوا﴾: جزاء صبرهم على الأذى والاستهزاء وطاعة الله ﷻ ﴿أَنَّهْمُ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشكِّ

﴿هُم﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد
﴿الْفَائِزُونَ﴾: الناجون من النار، والسالمون من العذاب، والداخلون الجنة.

﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (١١٢)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ مخاطبًا الكافرين الخاسرين والأشقياء في النار، وهو أعلم ﴿كَمْ﴾: استنساؤٌ
عن العدد ﴿لَبِئْتُمْ﴾: مكثتم، أقمتم إقامةً دائمةً كم كان عمركم القصير ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في
حياتكم على الأرض ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾: كم سنة أمضيتم في الدنيا؟ وقد يكون المعنى كم لبثتم في
القبور؛ لأنّ اللفظ جاء في الأرض، ولم يقل ﷻ على الأرض، وقد يكون المقصود المعنيين،
والله ﷻ أعلم، والإجابة هي ما لبثتم إلا قليلاً؛ فلو صبرتم فيه على طاعة الله ﷻ؛ لفرتم اليوم.

﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ (١١٣)

﴿قَالُوا﴾: أهل النار لهول الموقف وشدة العذاب ﴿لَبِئْنَا﴾: أقمنا إقامةً دائمةً ﴿يَوْمًا﴾: بدت لنا
حياتنا اليوم أنّها يوم واحد ﴿أَوْ﴾: حرفٌ تسويةٍ بين موضوعين يفيد هنا التشكيك ﴿بَعْضَ﴾:
جزء من ﴿يَوْمٍ﴾: أو أقل من يوم ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد جواب الشرط ﴿اسْأَلِ الْعَادِينَ﴾: سل
الحاسبين، الذين أحصوا أقوالهم، وأعمالهم، من الملائكة المكرمين.

﴿قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١٤)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿إِنْ لَبِئْتُمْ﴾: مكثتم أقمتم إقامةً دائمةً في الدنيا ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ يفيد الحصر
﴿قَلِيلًا﴾: كانت حياتكم مدةً قصيرةً ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يفيد الاستحالة ﴿أَنْتُمْ﴾: بالتأكيد ونفي الشك
﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْلَمُونَ﴾: لو أدركتم الحقيقة، ولم تفضلوا الفاني على الباقي، لو
علمتم الحقيقة لما أوردتم أنفسكم هذا المصير، لو فعلتم مثلما فعل المؤمنون، لفرتم كما فازوا،
هذا من حديث الله ﷻ؛ لأهل النار يوم القيامة.

﴿أَفْحَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥)

﴿أ﴾: حرفٌ استنهام بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿حَسِبْتُمْ﴾: هل ظننتم،
هل تأكدتم ﴿أَنَّكُمْ﴾: أداة حصرٍ تفيد التوكيد ﴿خُلِقْتُمْ﴾: أوجدناكم من غير سابق وجود
﴿عَبَثًا﴾: هل تظنون أننا أوجدناكم من عدمٍ بلا هدف، ولا حكمةٍ لنا فيه، والقائل هو الله ﷻ،
أمضيتم حياتكم للعبث؛ واللعب بلا ثواب؟ ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿أَنْتُمْ﴾: حرفٌ
تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿إِنِّيْنَا﴾: إلى الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُرْجَعُونَ﴾: هل ظننتم أنك
لن تُبعثوا يوم القيامة، ولن ترجعوا إلى الله ﷻ ليوم الحساب.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (١١٦)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَعَالَى﴾: تقدس وتترّه عن العبث ﴿اللَّهُ﴾: ﴿أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا عَبَثًا﴾، لعبًا أو لهوًا؛ لأنّه ﴿الْمَلِكُ﴾: صاحب وخالق هذا الكون ﴿الْحَقُّ﴾: المُنَزَّه عن الباطل ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر، يعني هنا الله ﷻ، لا ربّ، ولا معبود، ولا مالك لهذا الكون سواه ﴿رَبُّ﴾: فهو مالك وصاحب ﴿الْعَرْشِ﴾: إنّ العرش سقّف جميع المخلوقات ﴿الْكَرِيمَ﴾: جاء اللفظ القرآني الكريم على سنّة أوجه؛ هنا بمعنى الله ﷻ، وهذه من صفات الله ﷻ، وإذا كان المقصود العرش؛ فمعناه: كريمٌ حسنُ المنظر، بهي الشكل، جاء في المعنى: ﴿أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء-٧].

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١١٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿يَدْعُ﴾: يُشْرِكُ، ويعبد، ويُطِيع ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا﴾: معبودًا ﴿آخَرَ﴾: غير الله ﷻ أو معه، أي يجعل له شريكًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿بُرْهَانَ﴾: دليل ﴿لَهُ﴾: تحديدًا ﴿بِهِ﴾: جملةً معترضةً تقول إنّ الذي عبد غير الله ﷻ دون دليل أو إثباتٍ أو حُجّةٍ صحيحةٍ ﴿فَإِنَّمَا﴾: حرفٌ يفيد التحديد ﴿حِسَابُهُ عِنْدَ﴾: ظرف زمان، وظرف مكان جاء اللفظ القرآني "الحساب" على وجهين هنا بمعنى الجزاء، وأنّ عقابه عند الله ﷻ ﴿رَبِّهِ﴾: والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُفْلِحُ﴾: ينجح في الآخرة ﴿الْكَافِرُونَ﴾: هذه هي النتيجة التي ينتظرها الكافرون؛ لا نجاح، ولا نجاة، ولا فلاح للكافرين.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١١٨)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿قُلْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لمحمد ﷺ وأتباعه المؤمنين من بعده أن يدعو لنفسه ويدعوا لأنفسهم وللمؤمنين أيضًا، سائلًا ربّه ﷻ الغفران والرحمة ﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كله ﴿اغْفِرْ﴾: اطلب من الله ﷻ بغرض الدعاء والتضرع وطلب الرحمة ومحو الذنوب، وسترها ﴿وَارْحَمْ﴾: يشملكم برحمته، طلبٌ ورجاءٌ أن يُسَدِّدَ اللهُ ﷻ خطاكم، ويوفقكم، في القول والعمل ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ﴾: أنفع وأفضل وأحسن ﴿الرَّاحِمِينَ﴾: من يعطف ويشفق ويكرم الخلق.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر وعاقبة كلٍّ منهجٍ منهما، ولذلك كانت فاتحة السورة الفلاح للمؤمنين.

سُمِّيت بهذا الاسم في عهد النبي محمد ﷺ ولا يُعرف لها اسم آخر، ووجه التسمية لأنّ فيها آية النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آية-٣٥] والسورة مدنيّة باتفاق أهل العلم، ولا يُعرف مخالف في ذلك، وقد عُدّت هذه السورة رقم (١٠٠) في ترتيب نزول سور القرآن، وعدد آياتها (٦٤) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾: ينبّه الله ﷻ بضرورة الاهتمام بهذه السورة، وهي عبارة عن آياتٍ مسرودةٍ، لها بداية ولها خاتمة، ﴿و﴾: أيضًا ﴿فَرَضْنَاهَا﴾: أوجبنا العمل بأحكامها عليكم، ويُقال في ﴿فَرَضْنَاهَا﴾: «أَنْزَلْنَا فِيهَا فَرَائِضَ مُخْتَلَفَةً»، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿فَرَضْنَاهَا﴾ [النور-١]: "يَقُولُ: فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ"^(١)، وأنزلنا في غضوننا وتضاعفها ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: جاء تكرار لفظ النزول لكمال الغاية ﴿فِيهَا آيَاتٍ﴾: أدلّة وبراهين ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحاتٍ، مُفسراتٍ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف الكاف هنا للخطاب، حرفٌ يُفيد إشفاق الله ﷻ على عباده ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: لا تنسوا العمل بها، والالتزام بتطبيقها.

أسباب النزول: نزلت العشر آيات الأولى في السيدة عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، بدأت بحكم رمي المُحصنات، ثم جاء الحديث في الآية (١١) عن حادثة الإفك، وهو كلٌّ مصروف على وجهه الصحيح، وقيل نزلت هذه الآيات في "هلال بن أمية" الذي اتهم زوجته بالزنا مع ابن سحماء.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

﴿الزَّانِيَةُ﴾: تقديم الزانية لأن الزنا في النساء أفتح وأضرُّ في الحمل، وأكثرُ معرّةً لمن تُمارس الفاحشة من النساء؛ لأنّها موجودة في كلّ مجتمع؛ ووجودها في مجتمعٍ يُغري بعض الرجال على ارتكاب جريمة الزنا؛ الذي لا يتم إلا برغبة المرأة، وإغرائها له، أمّا الزنا رغماً عنها فهو

(١) صحيح البخاري ٩٩/٦ سورة النور.

الاجتصاب ﴿و﴾: أيضًا ﴿الزَّانِي﴾: المُرتكب لجريمة الزنا، وهو وطء الرجل المرأة في قبلها من غير عقد زواجٍ بينهما، أو شبهة نكاح، والحديث عن حدِّ الزنا ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد هنا السبب ﴿اجلدوا﴾: ضربٌ بالسياط رغم أن المكلف بإقامة الحدِّ هو الوالي لكن جاء اجلدوا بصيغة الجمع، ليشهد عدد من الناس العقوبة ﴿كُلَّ﴾: تفيد العموم ﴿واحدٍ﴾: إذا كان حرًّا غير محصن ﴿منهُما﴾: الرجلُ والمرأة على حدٍ سواء ﴿مائة جلدَةٍ﴾: إن كان الزاني بكرًا لم يتزوج؛ فقد أجمع العلماء، رحمهم الله، على أن البكر إذا زنى فإنه يُجلد مائة جلدَةٍ؛ ولكن اختلفوا؛ هل يجب تغريبه أو لا يجب تغريبه، وذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: مذهب الإمام أحمد والشافعي وداؤد الظاهري أنه إذا زنى الرجل البكر بالمرأة البكر فإنه يجب جلدُ كلِّ واحدٍ منهما مائة جلدَةٍ، ثم يُغَرَّب سنة كاملة عن أهله، واحتج أصحاب هذا القول بما ثبت في الصحيح من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُدُّوا عَنِّي، خُدُّوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبُكَرُ بِالْبُكَرِ جُلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالنَّيِّبُ بِالنَّيِّبِ جُلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ»^(١). وجه الدلالة من هذا الحديث: أن النبي ﷺ أوجب جلد كلِّ بكرٍ مائة جلدَةٍ، وأوجب تغريبه أيضًا، ولم يفرق بين الذكر والأنثى.

الثاني: فقالوا لا يجب التغريب أصلاً، لا على الرجل ولا على المرأة، وهذا هو قول الإمام أبي حنيفة، رحمه الله عليه. وأما حديث السنة فهو زيادةٌ أحادٍ فلا يُعمل بها لئلا يكون ذلك من باب نسخ القطعي بالظني، وذلك لا يجوز.

الثالث: أنه يجب تغريب الذكر ولا يجب تغريب الأنثى، وهذا هو قول الإمام مالك، رحمه الله، قال: إذا زنى الرجلُ أقمْتُ عليه الحدَّ مائة جلدَةٍ، وأغْرَبُهُ عامًا كاملًا عن أهله، وأما المرأة فإنه يجب جلدُها مائة جلدَةٍ ولا تغرَّب، قال: أمَّا الرجل فاحتج بحديث عبادة بن الصامت ﷺ عنه في قوله: (البكر بالبكر؛ جلد مائة وتغريب عام) أما الأنثى فإني أسقط عنها التغريب؛ لأنني إذا غرَّبْتُها فإنه لا يخلو الأمر من حالتين: إمَّا أن أغرَّبها دونَ محرم، فأخالف النص الذي ينهى عن سفر المرأة دونَ محرم، فعن أبي هريرة رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ»^(٢)، وإن غرَّبْتُها مع محرمها؛ فإنني أعاقب بريئًا لا ذنب له، وهو محرمها الذي سيغرَّب معها، فعلى كلا الوجهين يقول بعدم التغريب لهذا، وأمَّا الزاني المتزوج؛ فحدُّه الرجم، يكتمل قرار الرجم إذا توافرت واحدة

(١) صحيح مسلم ٣/١٣١٦ (١٦٩٠).

(٢) صحيح البخاري ٤٣/٢ (١٠٨٨).

من ثلاث: البيّنة وهم الشهود، أو الحَبَل الحمل، الاعتراف ﴿وَلَا﴾: عطفًا على ذلك ينهاكم الله ﷺ أَنْ ﴿تَأْخُذْكُمْ﴾: تصيبكم ﴿بِهِمَا﴾: الزاني والزانية ﴿رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: لا شفقة أو عطف في حكم الله ﷻ وقضائه، الرأفة التي تجعل الحاكم يترك الحدّ، مع الرأفة في الضرب، أي الضرب غير المُبرح ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أن يكون الدافع تطبيق شرع الله ﷻ ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿لَنْ﴾: حرف اللام هنا للأمر بوجوب الشهادة على الزناة ﴿يَشْهَدُ﴾: يحضر إقامة الحدّ ﴿عَذَابُهُمَا﴾: الجلد ﴿طَائِفَةٌ﴾: عددٌ، قال مجاهد وعكرمة: الطائفة من الرجل إلى الألف، وقال الزهري: ثلاثة نفرٍ فصاعدًا، وقال الإمام مالك: أربعة نفرٍ فما فوق؛ لأنّه لا يكفي في شهادة الزنا أقلّ من أربعة، وقال الحسن البصري: عشرة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانيّة ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: وهذا فيه تنكيل للزناة المستحقين الجلد بحضرة الناس، هذا أبلغ في زجرهما، وأنجح في ردعهما وردع غيرهما بالضرب والفضيحة. قال الحسن البصري: إقامة الحدّ علانية.

التكليف: من رحمة الله ﷻ أن جعل الحدود زواجر، ولم يجعلها مهلكة، لم يقل الله ﷻ رحمة؛ لأن عقوبة الزنا هي الرجم أو الجلد؛ وهذا لا يتناسب مع الرحمة.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

سبب النزول: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بغيّ يقال لها عناق، وكانت صديقته، قال: جئت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فدعاني فقرأها عليّ وقال: "لا تنكحها"^(١).

وعن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، أن رجلاً من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها: "أم مهزول" كانت تُسافح، وتشرط له أن تُنفق عليه، قال: فاستأذن رسول الله ﷺ أو: ذكر له أمرها قال: فقرأ عليه رسول الله ﷺ: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.^(٢)

(١) سنن أبي داود ٣/٣٩٦ (٢٠٥١) قال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) مسند أحمد ١١/٦٩٩ (٧٠٩٩) قال الأرناؤوط: حسن.

ومن هنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب فإن تابت صحَّ العقدُ عليها وإلا فلا، وكذلك لا يصحُّ تزويج المرأة الحرّة العفيفة بالرجل الفاجر، المسافح حتى يتوب توبةً صحيحة.

إِنَّ **الزَّانِي**: الذكر **لَا**: حرف نفي **يُنْكَحُ**: لا يزني **إِلَّا**: أداة حصر **زَانِيَةً أَوْ**: حرف يفيد التخيير **مُشْرِكَةً**: إنّ غالب الزناة لا يرغب في الزواج من زانيةٍ مثله؛ لأنّه لا ترضى للزاني إلا المرأة الزانية، أو المشركة التي لا ترى حُرمةً في ذلك، بل تراه حريةً، وحقًا من حقوق الإنسان **وَقَدْ**: أيضًا **هُمْ**: ضمير للجمع المذكر الغائب **الزَّانِيَةَ**: المرأة التي تزني **لَا يَنْكِحُهَا**: يزني بها **إِلَّا زَانٍ**: عاصٍ من المسلمين، **أَوْ مُشْرِكٌ**: حرف يفيد التسوية، هنا هو الذي لا يعتقد بتحريم الزنا، مع ملاحظة أنّه لا يُطلق لفظ النكاح على الزنا **وَقَدْ**: حرف عطفي يفيد هنا الحال والاستئناف **حَرَّمَ**: جعله الله **حَرَامًا ذَلِكَ**: إشارة للبعيد، الزنا **عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**: حَرَّمَ الله **الزنا** على المؤمنين، وحرّم على المؤمنين نكاح الزوان.

ملحوظة: قال ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب: أنّ هذه الآية نسختها الآية التي بعدها: **﴿وَانكحوا الأيَامَى مِنْكُمْ﴾** [النور- ٢٢].

التكليف: في هذه الآيات البيّنات منهاج الله تعالى في الأرض، وهو العقّة و الطهارة، وُبعد المرأة عن كلّ مقدمات الزنا، وعدم الرأفة في إقامة الحدود.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤)

﴿وَقَدْ﴾: حرف يفيد هنا الاستئناف **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصول يفيد هنا جميع من **﴿يَزْمُونَ﴾**: يتهمون ويقذفون بالفاحشة أنفسًا عفيفةً من النساء العفيفات **﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾**: النساء الحرائر، البالغات، العفيفات **﴿ثُمَّ﴾**: حرف يفيد التباعد الزمني مع التراخي **﴿لَمْ﴾**: نفي **﴿يَأْتُوا بِ﴾**: حرف جرّ، بمعنى مع **﴿أَرْبَعَةَ شُهَدَاءَ﴾**: اختيار أربعة شهداء يُصعّب الإتيان بهم، إذا لم يأت القاذف ببينة على صحّة ما قال **﴿فَب﴾**: حرف الفاء يفيد هنا السبب يهدف لترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿اجْلِدُوهُمْ﴾**: اضربوهم بالسياط **﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾**: وهذه هي العقوبة الأولى **﴿وَقَدْ﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿لَا﴾**: حرف للنهي، تحريم أن **﴿تَقْبَلُوا لَهُمْ﴾**: منهم **﴿شَهَادَةً﴾**: ألا تقبل شهادتهم في أيّ شأن **﴿أَبَدًا﴾**: طول العمر، وهذه العقوبة الثانية **﴿وَأُولَئِكَ﴾**: إشارة للقريب والبعيد **﴿هُمْ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد

﴿الْفَاسِقُونَ﴾: يُعَدُّ فِي حُكْمِ اللَّهِ ﷻ فَاسِقًا، وَهُوَ الْخَارِجُ عَنْ حُدُودِ اللَّهِ ﷻ، وَعَنْ عَادَاتِ النَّاسِ الْحَسَنَةِ، وَهَذِهِ الْعُقُوبَةُ الثَّلَاثَةُ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥)

﴿إِلَّا﴾: حَرْفُ اسْتِنَاءٍ ﴿الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مُوصُولٌ يَفِيدُ جَمِيعَ مَنْ ﴿تَابُوا﴾: كَانَتْ تَوْبَةً صَادِقَةً وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ قَلْبِيَّةٌ ﴿مِنْ﴾: حَرْفٌ جَرٌّ يُعِيدُ بَيَانَ وَتَمْيِيزَ لِلنَّوْعِ؛ وَبِدَايَةِ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بَعْدَ تَأْدِيَةِ الْعُقُوبَةِ ﴿و﴾: عَطْفًا عَلَى ذَلِكَ ﴿أَصْلَحُوا﴾: صَوَّبُوا أَعْمَالَهُمْ وَفَقَّ الشَّرِيعَةَ ﴿فَإِنَّ﴾: حَرْفٌ تَأْكِيدٌ ﴿اللَّهُ غَفُورٌ﴾: مَسَامِحٌ ﴿رَحِيمٌ﴾: كَثِيرُ الرَّحْمَةِ بِخَلْقِهِ ﷻ.

التكليف: دلت نصوص الكتاب والسنة على حرمة عرض المسلم، وأنه لا يجوز للمسلم إذا أراد أن يخاطب أخاه المسلم أن يستطيل في عرضه دون حق، فإذا اتهمه بالزنا كان ذلك من الاستطالة في العرض، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (١)، فمن أشد وأقبح ما يكون من الإنسان من أن يتسلط على امرأة مؤمنة غافلة بعيدة عن الفحشاء، فيتهمها بالزنا، وينسبها إلى ما لم يكن منها؛ زورًا وبهتانًا، فذلك أذية لله وأذية لعباد الله، ولذلك توعدهم الله عز وجل بما سبق من العقوبة.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦)

سبب النزول: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ عُومِرًا، أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلَانَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَتَى عَاصِمَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكِرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَسَائِلِ، فَسَأَلَهُ عُومِرُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا، قَالَ عُومِرُ: وَاللَّهِ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَجَاءَ عُومِرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ»، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَلَاعَنَةِ بِمَا سَمَى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَلَاعَنَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ حَبَسْتَهَا فَقَدْ ظَلَمْتَهَا فَطَلَّقَهَا، فَكَانَتْ سُنَّةً لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا فِي الْمُتَلَاعِنِينَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) صحيح البخاري ١٠/٤ (٢٧٦٦).

﴿:﴾ «انظروا فإن جاءت به أسحم، أدعج العينين، عظيم الأليتين، خدلج الساقين، فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحمير كأنه وحره، فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها»، فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعد يُنسب إلى أمه^(١)، وعن ابن عباس، أن هلال بن أمية، فدفع امرأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتبس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فليُنزلن الله ما يبزي ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور-٦] فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور-٩] فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب» ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجهة، قال ابن عباس: فتكأنت ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها، فإن جاءت به أكل العينين، سابع الأليتين، خدلج الساقين، فهو لشريك ابن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»^(٢). ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الذين﴾: اسم موصول يفيد الجميع من الرجال ﴿يرمون﴾: الذين يقذفون ﴿أزواجهم﴾: زوجاتهم بالزنا ﴿ولم﴾: حرف نفي ﴿يكن لهم﴾: لا يملكون ﴿شهداء﴾: من يشهد من المسلمين ﴿إلا﴾: أداة حصر، أي حصر ﴿أنفسهم﴾: هم فقط وحصرًا الذين شاهدوا الحادثة، وليس معهم شهداء آخرون ﴿فشهادة أحدهم﴾: جعل الله ﷻ لهذه الحالة مخرجًا، يقوم الحاكم ويطلب من الشاهد أن يحلف التأكيد بالله ﴿أربع شهادات ب﴾: حرف باء القسم ﴿الله﴾: أن يحلف بالله أربع مرات ﴿إنه﴾: هو بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿من﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الصادقين﴾: صادقًا فيما رماها بالزنا؛ فيسقط عنه حد القذف.

﴿وَالْخَامِسَةُ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الخامسة﴾: وتكون الشهادة، الحلف الخامس ﴿أن﴾: حرف تأكيد ﴿لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كان من﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿الكَاذِبِينَ﴾: فإذا

(١) صحيح البخاري ٩٩/٦ (٤٧٤٥)

(٢) صحيح البخاري ١٠٠/٦ (٤٧٤٧)

قال ذلك، وهي الملاعنة؛ أصبحت زوجته مُحَرَّمَةً عليه أبدًا، ويعطيها مهرها، ويتوجب عليها حدّ الزنا، ويكون مخرج الزوجة في الآية التالية.

﴿وَيَذَرُهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٨)

﴿و﴾: أيضًا **﴿يَذَرُ﴾**: يوقفوا، ويمنعوا **﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾**: يُمنع عن المرأة إقامة الحد؛ حدّ الزنا **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿تَشْهَدُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِ﴾**: حرف باء القسم **﴿اللَّهِ﴾**: تحلف أربع مرّات بالله ﷻ **﴿إِنَّهُ﴾**: هو زوجها الذي رماها بالزنا بالتأكيد **﴿لَنْ﴾**: حرف تخصيص **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿الْكَاذِبِينَ﴾**: أنّ ما رماها به من الزنا كذب.

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٩)

﴿و﴾: أيضًا **﴿الْخَامِسَةَ﴾**: والشهادة الخامسة أن تحلف المرأة الخامسة على نفسها **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك **﴿غَضِبَ﴾**: الطرد من رحمة **﴿اللَّهِ عَلَيْهَا﴾**: أن يحلّ عليها غضبُ الله ﷻ **﴿إِنْ كَانَ مِنَ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع **﴿الصَّادِقِينَ﴾**: إن كان زوجها رماها بالزنا صادقًا. التكليف: خصّ الله ﷻ المرأة في هذه الحالة بغضبه، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق، ثم يحدد عنه؛ لأنّ الرجل لا يفترى على امرأته الكذب، وهو معذورٌ فيما رأى من زوجته، وهي تعلم صدقه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠)

﴿وَلَوْلَا﴾: حرفٌ يُفيد امتناع الحكم الثاني لوجود الأول **﴿فَضْلٌ﴾**: تفضل وكرم **﴿اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾**: هنا جواب "لَوْلَا" محذوف تقديره لعاجلكم بالعقوبة؛ ولفضح أحد الكاذبين. هنا صورةٌ من فضل الله على المؤمنين بهذا التشريع للأزواج والزوجات لحلّ بالكاذب من المتلاعنين ما دعا على نفسه فيصيبه الله ﷻ بعذابٍ عظيم **﴿وَرَحْمَتُهُ﴾**: أيضًا لصعبت عليهم كثير من أمورهم، خاصّة في هذا الموضوع: الزنا **﴿وَأَنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿اللَّهُ تَوَّابٌ﴾**: يُسامح ويعفو عن المخطئين من عباده؛ حتى بعد الحلف والأيمان المُغلّظة **﴿حَكِيمٌ﴾**: يُحقّق الغاية العظمى فيما يشرّعه فلو عاجل بالعقوبة على الذنب لكانت الفضيحة.

التكليف: هذه التشريعات رحمةٌ من الله ﷻ بعباده؛ لأنّ النساء يختلفن في العفة والتباعد عن الوقوع في الفاحشة، فلو أنّ الله ﷻ أوقف الزوج بين الخيارات الثلاثة: بين أن يَقْتُلَ فيُقْتَلَ، وبين أن يسكت على الغيظ، وبين أن يقذف فيجُد الحد، والعياذ بالله! لكان في ذلك من البلاء ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، فنزلت هذه الآيات رحمةً بعباده، ولطفًا منه ﷻ بخلقه.

والملاحظة الثانية أن الكلام فيه أدب رفيع: ﴿يُرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ﴾، فمن البلاغة أن الألفاظ التي تخدش الحياء يجب ألا تذكر، وأيضاً أن الشيء الذي يُعهم من دون أن يُذكر يجب ألا يُذكر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١)

سبب نزول: قالت عائشة رضي الله عنها: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ لِسَفَرٍ أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتَهُنَّ حَرَجَ سَهْمَهَا حَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا فَحَرَجَ فِيهَا سَهْمِي وَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ بَعْدَمَا نَزَلَ الْحِجَابَ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنزَلُ فِيهِ فَسَرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تَلَّكَ وَقَفَلًا وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آدَنَ لَيْلَةٍ بِالرَّحِيلِ فَفَقُمْتُ حِينَ آدَنَ بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ أَطْفَارٍ (١) قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَأَلْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِعَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطَ الَّذِينَ كَانُوا يُرْحَلُونَنِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَيَّ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنِّي فِيهِ قَالَتْ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَلِكَ خِفَافًا لَمْ يَتَّقُلْنَ وَلَمْ يَعْشُهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعَلَقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةَ حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا وَوَجِدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَحِثُّتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيَّ قَدْ عَرَسَ (٢) مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَدْلَجَ (٣) فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي وَكَانَ قَدْ رَأَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَحَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي وَاللَّهُ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئْتُ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَهْودِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ مِنْ شَأْنِي وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَاهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِينِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْلِمُ ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ فَذَلِكَ الَّذِي يَرِينِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَفِهْتُ وَخَرَجْتُ مَعِي

(١) الجزع: خرز معروف في سواده بياض كالعروق، وظفار مدينة في اليمن.

(٢) التعريس: النزول في السفر لنوم أو استراحة.

(٣) (هو السير آخر الليل)

أَمْ مِسْطَحٌ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرِّزْنَا وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بِيوتِنَا وَأَمْرًا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّنْزِهِ فِي الْبَرِيَّةِ وَكُنَّا نَتَأَدَّى بِالْكَنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا فِي بِيوتِنَا فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَمَّ مِسْطَحٌ وَأُمُّهَا خَالَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنَهَا مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنَةُ أَبِي زُهْمٍ أُمَّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَنْتَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِيمِرْطَهَا (كسَاء من صوف أو كتان) فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِسْمَا قُلْتُ تَسْبِيحَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ أَيُّ هُنَّاهُ (أي: يا هذه) أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: " كَيْفَ تَيْكُمُ؟ " فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْدُرُّ لِي أَنْ آتِي أَبَوِي قَالَتْ وَأَنَا حِينِيذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيِّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهَا فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَبَوِي فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهِ؟ فَقَالَتْ: أَيُّ بُنْيَةِ هَوْنِي عَلَيْكَ فَوَ اللَّهُ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرَنَ عَلَيْهَا. قَالَتْ فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَا؟ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يُرْفَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَبْتُ الْوَحْيَ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوَدِّ فَقَالَ أُسَامَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُصَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ الْخَبَرَ قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: " أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ مِنْ عَائِشَةَ " فَقَالَتْ لَهُ بَرِيرَةَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتِ مِنْهَا أَمْرًا قَطُّ أَعْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنَ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْدَرَ^(١) مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سَأَلَ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ: " يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعِذْرَنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي فَوَ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي " فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَنَا أَعِذْرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا بِأَمْرِكَ. قَالَتْ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اِخْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَمَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ

(١) (أي من يعذرني فيمن أذاني في أهلي)

لَنَقُتْلَهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِ فَتَتَاوَرَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَفْتَتِلُوا
وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا وَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
قَالَتْ: وَبَكَيْتَ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يُرْفَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبْوَايَ يَطْنَانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقَ كَبِدِي
قَالَتْ فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذْ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ
تَبْكِي مَعِي فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ
عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ قَالَتْ فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ " أَمَا بَعْدَ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُئُكَ
اللَّهُ وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتَوْبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ
عَلَيْهِ" قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسَسُ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لِأَبِي
أَجِبْ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي أَجِيبِي رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةَ السِّنِّ لَا أَفْرَأُ
كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ
فَلَيْنَ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونَنِي وَلَيْنَ اعْتَرَفْتُ بِأَمْرٍ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي
مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونَنِي فَوَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ " فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ عَلَى مَا تَصِفُونَ " قَالَتْ: ثُمَّتُ حَوَلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي قَالَتْ وَأَنَا وَاللَّهِ
أَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ مُبْرئِي بِرَاءَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزِلَ فِي شَأْنِي
وَحْيٌ يُتْلَى وَلِشَأْنِي كَانَ أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ
يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئَنِي اللَّهَ بِهَا قَالَتْ: فَوَ اللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا
خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيَّ نَبِيَّهُ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبِرْحَاءِ عِنْدَ
الْوَحْيِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ
عَلَيْهِ. قَالَتْ فَسَرِيَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ " أَبْشِرِي يَا
عَائِشَةُ أَمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّكَ " قَالَتْ فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قَوْمِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ
وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بِرَاءَتِي وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ
عُصْبَةٌ مِنْكُمْ " الْعَشْرَ الْآيَاتِ كُلِّهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بِرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَكَانَ يُنْفِقُ
عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرَهُ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ
اللَّهُ ﷻ " وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى - إِلَى قَوْلِهِ - أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ

إلى مسطح النعقة التي كان يُنْفِقُ عَلَيْهِ. وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَنْزِعَهَا مِنْهُ أَبَدًا: قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: " يَا زَيْنَبُ مَاذَا عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتِ ؟ " فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ ﷺ بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتَهَا حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشِ تُحَارِبَ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ. ^(١) ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الجمع من النساء ومن الرجال ﴿جَاءُوا بِ﴾: باء السببية ﴿الإفك﴾: هو كل مصروفٍ عن وجهه الصحيح: هو أقبحُ الكذب، وأكثرهُ فحشًا، والبهتان وهو ما وقع من الإفك على أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها ﴿غَضَبَةٌ﴾: جماعة، ليس واحدًا ولا اثنين، بل جماعة ﴿مِنْكُمْ﴾: من المسلمين، وكان في مقدمتهم عبد الله بن أبي بن سلول، رأس المنافقين، الذي تولى نشر هذه الفرية، ﴿لَا﴾: حرف نهى وتحريم ﴿تَحْسَبُوهُ﴾: لا تُقَدِّرُوا أَنَّهُ كَانَ ﴿شَرًّا﴾: فيه ضررٌ ﴿لَكُمْ﴾: تحديدًا الحديث لآل أبي بكر ﷺ ﴿بَل﴾: حرف إثبات "إضراب" ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا حديث الإفك الذي هو كلُّ مصروفٍ عن وجهه الصحيح ﴿خَيْرٌ﴾: منفعة ﴿لَكُمْ﴾: في الدنيا والآخرة، لسانُ صدقٍ في الدنيا، ورفعةٌ ومنزلةٌ في الآخرة، إظهار شرف أمنا عائشة رضي الله عنها ﴿لِ﴾: حرف تمليك ﴿كُلِّ﴾: تغيد العموم ﴿امْرئٍ﴾: إنسان ﴿مِنْهُمْ مَا﴾: الذي ﴿اكتسب﴾: اقترب ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُغيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الإثم﴾: هو الذنب والعمل الذي لا يحل؛ الذي يستحق العقوبة عليه، هنا لكل من رمى أم المؤمنين، رضي الله عنها، بشيءٍ من الفاحشة؛ نصيبٌ من العذاب ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الَّذِي﴾: اسم موصولٍ للفرد المذكر ﴿تَوَلَّى﴾: أخذ على عاتقه، وتحمل معظمه، رأس المنافقين ﴿كِبْرَهُ﴾: نشر معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾: هو عبد الله بن أبي بن سلول الذي ابتداءً به، والذي كان يجمعه، ويندعه، ويشيعه ﴿لَهُ﴾: سيناله تحديدًا وتمليكا ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: مضاعفٌ، جزاءً ما اقترب من جرم.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (١٢)

﴿لَوْلَا﴾: حرفٌ للحضِّ والحثِّ يُغيد التوبيخ والتقرير، كان الأجدر بكم ﴿إِذْ﴾: حرفٌ يدلُّ على ما مضى من الزمن وأيضًا تغيد هنا التعليل ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾: كان ينبغي على المسلمين حين سمعوا ما قال أهل الإفك أن يقيموا ذلك على أنفسهم، وهو ما رميتم به أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها ﴿ظَنَّ﴾: اعتقد ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَ﴾: أيضًا اعتقدت ﴿الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾:

(١) صحيح البخاري ١٧٣/٣ (٢٦٦١).

حرف باء الالتصاق، لو طبقوا هذا الكلام على أنفسهم، هل يفعلون ذلك؟ فأَمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُولَىٰ مِنْهُمْ بِالْبِرَاءَةِ ﴿وَوَ﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالُوا هَذَا﴾: ما قيل في شرفها ﴿إِفْكٌ﴾: كذبٌ وافتراءٌ ﴿مُبِينٌ﴾: واضحٌ، لامرأته، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ آيُوبَ: يَا أَبَا آيُوبَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ بَلَىٰ، وَذَلِكَ الْكُذِبُ، أَكُنْتِ يَا أُمُّ آيُوبَ فَاعِلَةً ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ قَالَ: فَعَائِشَةُ خَيْرٌ مِنْكَ^(١).

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٣)
 ﴿لَوْلَا﴾: حرفٌ للتخصيص والتوبيخ والتقريع ومبالغة في عتابهم، وأن يقيسوا ما يقولون على أنفسهم وعلى زوجاتهم ﴿جَاءُوا عَلَيْهِ﴾: كان عندهم دليلٌ على ما يقولون ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: يشهدون على صحّة ما جاؤوا به ﴿فَ﴾: حرف الفاء استثنائي وللاستئناف؛ يهدف لترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿إِذْ﴾: حرف يفيد التعليل والسبب ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾: إذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة ﴿فَأُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للقريب والبعيد ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْكَاذِبُونَ﴾: فهم في حكم الله ﷻ أنهم من الكاذبين.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤)

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف شرط يفيد امتناع ما بعدها بسبب ما جاء قبلها ﴿فَضْلٌ﴾: كرم وجود ﴿اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: يا من خضتم في عرض أمِّ المؤمنين عائشة، رضي الله عنها ﴿وَوَ﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿رَحْمَتُهُ﴾: لكم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: من رحمته ﴿لَ﴾: جواب شرط ﴿مَسَّكُمْ﴾: لولا أنني قضيت عليكم بالفضل في الدنيا بالنعم ومنها إمهالكم، والرحمة في الآخرة بالعفو لعاجلتكم بالعقاب، ولأصابكم في العمق من نفوسكم وأجسادكم ﴿فِي مَا﴾: بسبب الذي ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: بما خضتم فيه من الكذب ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: هؤلاء الذين نافحوا عنها رضي الله عليها وعليهم، وليس هذا للذين أفاضوا في عرضها، وفضحهم الله ﷻ في كتابه الكريم إلى يوم القيامة.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥)

(١) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٣٣٥).

﴿إِنْ﴾: يُفيد ما مضى من الزمن حين ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ تتلقفون الإفك ﴿بِ﴾: حرف يفيد السبب، هنا يفيد الالتصاق ﴿أَلَسِنْتَكُمْ﴾: قال مجاهد: أن يرويه بعضكم عن بعض ﴿و﴾: أيضًا ﴿تَقُولُونَ﴾ تتناقلونه بينكم ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: هل سمعت فلانًا، وقد قال فلان كذا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ يفيد النفي ﴿لَكُمْ﴾: تحديدًا ﴿بِهِ﴾: حرف باء الإلصاق ﴿عَلِمَ﴾: تُرددون ما لا تعلمون ﴿وَتَحْسَبُونَهُ﴾: أيضًا تظنونه ﴿هَيِّنَا﴾: تقولون في أم المؤمنين، وتحسبون ذلك عند الله ﷻ سهلًا يسيرًا، وينطبق هذا على نساء المسلمين جميعًا، فكيف بزوجة رسول الله ﷺ رضي الله عنها ﴿وَهُوَ﴾: هذا الإفك ﴿عِنْدَ﴾: تفيد ظرف مكان في حكم، أي مكانكم وعقوبتكم عند الله ﷻ ﴿اللَّهُ عَظِيمٌ﴾: كبر أن يُقال في زوجة نبيّه ورسوله ﷺ ما قيل، إن الله ﷻ يغارُ لهذا. التكليف: قال ﷻ إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ^(١).

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦) هذه الآية الكريمة من آداب المعاملات ﴿وَلَوْلَا﴾: حرف يفيد التخصيص، امتناع الثانية لوجود الأولى هلاً قلتم عند سماعكم إياه ﴿إِنْ﴾: ما حدث فيما مضى يفيد هنا التوكيد ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾: عندما سمعتم هذا الكلام ﴿قُلْتُمْ مَا﴾: لا ﴿يَكُونُ﴾: يجب شرعًا ﴿لَنَا﴾: لا ينبغي لنا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾: أي حرامٌ أن نتكلم في هذه الأعراس، تنزه الله ﷻ أن يُقال هذا الكلام على زوجة رسوله الكريم ﷺ ﴿سُبْحَانَكَ﴾: نُنزهِكَ عَنْ كُلِّ النِّقَائِصِ ﴿هَذَا﴾: الذي قيل في خلق زوجة الرسول ﷺ ﴿بُهْتَانٌ﴾: لأن هذا كذبٌ يُحِيرُ العقول لفظاعته، كذبٌ فاضحٌ بواخٍ واضحٌ؛ ﴿عَظِيمٌ﴾ كبير هذا تأديب ربّانيّ إضافي.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾: ينهاكم الله ويأمركم، فإذا وعظ الله ﷻ فهذا أمرٌ واجبٌ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَعُودُوا﴾: تُكرروا ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿مِثْلِهِ﴾: يُشْبِهُهُ ﴿أَبَدًا﴾: على طول العمر، أن تقعوا في مثل هذا الكلام على زوجة رسول الله ﷻ في المستقبل، وفي عامّة المسلمات ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أن من يخوض في هذا الحديث فهو كافرٌ بالله ﷻ.

﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٨) ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يُبَيِّنُ﴾: يُوضِّحُ ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾: تحديدًا ﴿الآيَاتِ﴾: يذكر الله ﷻ لكم الأدلّة والبراهين التي تُوضِّحُ الأحكام الشرعية ﴿و﴾: حرف يفيد هنا الاستئناف، واعلموا أن

(١) صحيح البخاري ١٠١/٨ (٦٤٧٨).

﴿اللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما يُصلح عباده، علم الصانع لصنعتة ﴿حَكِيمٌ﴾: في شرعه، يفرض على عباده كيف تستقيم حياتهم، بحكمته البالغة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من الرجال ومن النساء ﴿يُحِبُّونَ﴾: هذا التأديب الرباني الثالث؛ إن الذين يرغبون ويختارون ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾: جاء اللفظ القرآني "الشيع" في القرآن الكريم على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى النفسي، أن ينتشر الكلام القبيح ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾: في المجتمع المؤمن ﴿لَهُمْ﴾: ينالهم تخصيصاً ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾: سينالهم حدُّ القذف في الدنيا ﴿و﴾: أيضاً لهم في ﴿الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة نارٌ جهنم الأشدُّ إيلاًماً ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: هو الذي يُرشدكم إلى طريق النجاح ﴿وَأَنْتُمْ لَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْلَمُونَ﴾: ستبكون في الحياة الدنيا لا تحيطون بالعلم إلا بإرادة الله ﷻ.

التكليف: قال الرسول ﷺ: لَا تُؤَدُّوا عِبَادَ اللَّهِ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ طَلَبَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ^(١)

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠)

﴿وَلَوْلَا﴾: حرفٌ يفيد امتناع أمرٍ لوجود أمرٍ أولٍ ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾: بسبب كرم الله ﷻ على من وقع في حديث الإفك ورحمته بهم؛ وأن الله ﷻ يرحم عباده المؤمنين رحمةً واسعةً في عاجلهم وآجلهم لما بيّن هذه الأحكام والمواعظ لكم؛ لكان له أمرٌ آخرٌ ﴿عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بكم؛ فتاب عليكم، في هذه القضية، فطهر من طهر بإقامة الحدِّ عليهم، جواب لولا محذوف تقديره لهلكتم ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ رَءُوفٌ﴾: عطفٌ على عباده؛ حتى بإقامة الحدِّ عليهم ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم من عذاب جهنم وبئس المصير.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المنادي، هنا هو الله ﷻ وبين المنادى عليهم وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من الرجال ومن النساء ﴿آمَنُوا لَا﴾: حرفٌ يفيد النهي ﴿تَتَّبِعُوا﴾: تسلكوا وتعتمدوا ﴿خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾: قال ابن عباس: لا تتبعوا طرق، وسبل، ومنهج الشيطان الذي

(١) مسند أحمد ٣٧/٨٨ (٢٢٤٠٢)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

يُزَيِّن الباطل، وقال عكرمة: نزعات الشيطان، وقال قتادة: كل معصيةٍ فهي من خطوات الشيطان ﴿و﴾: واستثنافاً على ما سبق ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿يَتَّبِعُ﴾: يسير على منهج ويقلد ويعتمد ﴿خَطَوَاتِ﴾: أسلوب ونهج ﴿الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾: حرف تأكيد الفعل والقول ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾: ما قبح وعظم قبحه من الذنوب ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: ما ينكره الشرع ويكرهه الله ﷻ هذا هو سبب نهي الله ﷻ عن اتباع نهج الشيطان؛ لأنه يؤدي لفحش القول وفحش العمل، وهو ما نهى عنه الله ﷻ ﴿وَلَوْلَا﴾: حرف شرط يفيد امتناع شيء لوجود غيره ﴿فَضْلٌ﴾: كرم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَكُمْ﴾: على الإنسان في كل شيء ﴿وَرَحْمَتُهُ مَا﴾: حرف نفي ﴿زَكَى﴾: ما طهر إنسان من الذنوب ﴿مِنْكُمْ﴾: بعضكم ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿أَحَدٍ﴾: واحدٍ بالتوبة، وإتاه يطهر النفوس بقبول التوبة من آثامها، وفجورها، وذنوبها، وما اكتسبت من أخلاق سيئة، ولولا الله ﷻ ما تطهر أحدٌ من ذنوبه ﴿وَلَكِنْ﴾: يفيد الاستدراك ﴿اللَّهُ يُزَكِّي﴾: يطهر ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: يختار من عباده من هو يرغب في التوبة، ويضلل من يشاء، ويُرديه إلى الضلال بضلاله؛ فإن الزنا والفحشاء من أمر الشيطان الذي يُعربد في العالم اليوم رافعاً شعار حرية المرأة ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع كل شيء ﴿عَلِيمٌ﴾: عليم بما كان وما يكون، وما سيكون، علم الخالق لما ولمن خلق.

﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيُغْفِرُوا وَلِيُغْفَرُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢)

أسباب النزول: قال أبو بكر الصديق ﷺ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهُ لَا أَنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة-١٧٣] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَىٰ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحِ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ^(١)، ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿يَأْتِلِ﴾: لا يتخلف ولا يقصر ﴿أَوْلُو﴾: أصحاب ﴿الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع، الأثرياء أصحاب الإنفاق، والإحسان ﴿وَالسَّعَةِ﴾: الأغنياء أصحاب المال الوفير ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُؤْتُوا﴾: يُنْفِقُوا على ﴿أَوْلِيَ﴾: أصحاب ﴿الْقُرْبَىٰ﴾: لا يحفظوا إلا يُنْفِقُوا على أقاربهم ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾: الضعفاء الفقراء الذين لا يملكون ﴿و﴾: أيضاً

(١) صحيح البخاري ١٧٣/٣ (٢٦٦١).

﴿المُهَاجِرِينَ﴾: الذين تركوا أرضهم وديارهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ﴾: عطفاً على ذلك ﴿ل﴾: حرف يُفيد الأمر؛ أمرهم أن يعفو ﴿يَعْفُوا﴾: أمرهم ﷺ أن يسامحوا لمن أساء لهم ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾: حرف اللام يفيد السبب، أن يسامحوا ما سبق من الإساءة والأذى ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه يفيد الطلب والعرض ﴿ثُجْبُونَ أَنْ﴾: تتأكدون أن ﴿يَغْفِر﴾: يمحو عنكم سيئاتكم ﴿اللَّهُ نَكَمٌ﴾: سؤال معروفة إجابته، نحب يا ربنا، وهذا ما قاله أبو بكر ؓ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: واسع المغفرة ﴿رَحِيمٌ﴾: أرحم على الإنسان من الأمّ على وليدها. ومن هنا كان الصّحاح والعفو عنّ أساء من مظاهر الكمال ودلائل الإيمان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
(٢٣)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يَزْمُونَ﴾: يتوعد الله ﷻ الذين يفترون الكذب، ويقولون بفاحشة ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾: المتزوجات، العفيفات، الطاهرات، وأيضاً وهن لا يعرفن شيئاً عما يقال في حقهنّ ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: قال الضحاك، وابن عباس: يدخل في ذلك زوجات الرسول ﷺ؛ خاصةً دون غيرهن، وقال ابن جرير عن ابن عباس: إنّها في زوجات الرسول ﷺ، وعامة المؤمنات ووصفها مبهمة ﴿لَعُنُوا﴾: أنزل الله عليهم لعنته ﴿فِي الدُّنْيَا وَ﴾: عطفاً على ما سبق أيضاً أنزل لعنته ﷻ عليهم في ﴿الْآخِرَةِ﴾: طردهم الله ﷻ من رحمته، ووجبت عليهم اللعنة، والغضب، وسخط من الله ﷻ في الدنيا والآخرة ﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿لَهُمْ﴾: سينالهم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: شديد الإيلام.

التكليف: قال رسول الله ﷺ: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالنَّوْلي يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ (١).

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤)

﴿يَوْمٌ﴾: يوم القيامة ﴿تَشْهَدُ﴾: تتطرق ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على المشركين يوم القيامة تشهد عليهم ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَ﴾: يشهد عليهم أيضاً ﴿أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا﴾: بالذي ﴿كَانُوا﴾: في حياتهم الدنيا ﴿يَعْمَلُونَ﴾: وكذلك تتطرق أيديهم وأرجلهم بما عملت. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ

(١) صحيح مسلم ١/٩٢(١٩).

الله ﷻ: فَضَحِكَ، فَقَالَ: هَلْ تَذُرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مِنْ مَخَاطِبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَإِلِكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُّ عَلَى فِيهِ، فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انطِقي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكَرَنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ^(١).

﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٥)

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كلمةٌ مكوَّنةٌ من "يومٍ وإذٍ" بمعنى في ذلك الوقت، يوم الحساب يوم القيامة ﴿يُؤْفِقِهِمُ﴾: يُعْطِيهِمُ ﴿اللَّهُ﴾: ﷻ ما يستحقون ﴿دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: جزاؤهم الثابت، قال ابن عباس وآخرون: حسابهم ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يوقنون ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾: جاء اللفظ القرآني الحق على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى العدل وجاءت أيضًا بنفس المعنى في قوله ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف-٨٩]، وفي قوله ﷻ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص-٢٢] أَنْ وَعَدَهُ وَوَعِيدَهُ وَحَسَابَهُ هُوَ الْعَدْلُ ﴿الْمُبِينُ﴾: الواضح، لا جور فيه.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٦)

أسباب النزول: قال ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبیر، والشعبي، والحسن البصري، وابن جرير: نزلت في عائشة، رضي الله عنها ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾: الخبيث هو كلُّ فعلٍ محرّمٍ؛ كالزنا، والخمر، وكلُّ شيءٍ فاسدٍ، وباطل، والقول الخبيث ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْخَبِيثِينَ﴾: بمعنى يتزوج الرجال الخبيثون من النساء الخبيثات ﴿و﴾: أيضًا ﴿الْخَبِيثُونَ﴾: من الرجال ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾: من القول ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾: كلُّ طيبٍ من الرجال ومن النساء والأقوال والأفعال مناسبة للطيب وموافق له، كلُّ ما يستمتع به الجسد وتقبله النفس من ذوات طيب الكلام ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾: تخصيصًا من الرجال ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾: من الرجال ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾: من القول المعنى: أهل القبح من الكلام أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس

(١) صحيح مسلم (٤/٢٢٨٠) (٢٩٦٩).

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد، هما السيدة عائشة رضي الله عنها، وصفوان بن المعطل رضي الله عنه ﴿مُبَرَّرُونَ﴾: هم أبرياء ﴿مَمَّا﴾: من الذي ﴿يَقُولُونَ﴾: كلُّ هؤلاء مبرؤون مما يرميهم به الخبيثون من السوء فما نسبوه إلى عائشة، رضي الله عنها، من كلامٍ هم أولى به وأحق، وهي أحقُّ بالبراءة والنزاهة منهم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، وعليه فما كان الله ﷻ ليجعل عائشة زوجة الرسول ﷺ، إلا وهي طيبة، ولو كانت خبيثةً لما صلحت له شرعاً، ولا قدرًا ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مَغْفِرَةً﴾: عفو ومسحُ ذنوبٍ مما قيل فيهم من الافتراء ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أيضًا لهم جنات النعيم، وتكون زوجة الرسول ﷺ في الجنة.

التكليف: جاء لفظ الخبيثات والطيبات بمعنيين؛ الأول: الكلام، والثاني: الزوجات؛ والله ﷻ أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧)

من أعظم آيات الأدب الرباني هذه المعاملة في الضيف والمضيف، إن الذين يدعون التحضر لم يصلوا إلى معشار هذه التعاليم في واجبات الضيف ﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنَادِي وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليهم وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: أمرٌ رباني إلى كلِّ المؤمنين، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿لَا﴾: حرف نهى، حرامٌ عليكم أَنْ ﴿تَدْخُلُوا بُيُوتًا﴾: مساكن ﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾: هذا محرّم بشرط ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أَنْ ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾: قال ابن عباس وقتادة: حتى تستأذِنوا، وقال مجاهد: أن يُحرّك نعليه ليصدر صوتًا ﴿وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾: أوجب الله ﷻ على الضيف؛ مجموعةً من الواجبات في المعاملة: الأولى: أن يقف على جانب الباب يمينًا أو شمالًا، وليس في مواجهة الباب، الثانية: أن يقول السلام عليكم، ثلاث مرات، والثالثة: أن يُفصح عن اسمه، أو كنيته المعروفة للنّاس، الرابعة: ألا يطرق الباب ليلاً؛ حتى لا يُخيف أحدًا، حتى وإن كانوا أهله، والخامسة: إذا لم يُردّ عليه؛ فعليه الانصراف، والسادسة: ينطبق ذلك حتى على أهل بيت القادم، حتى لا يرى أمه، أو أخته عريانة، أو في عملٍ لا تحب أن يراه من أعمال البيت.

﴿ذَلِكَ﴾: الاستئذان ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: للضيف والمضيف، من الدخول ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرفٌ يفيد التوقع والترجي عند النّاس، وإشفاق من الله ﷻ ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾: الاتعاظ والعمل بما أمروا به.

التكليف: يجب مراعاة هذه الآداب واستحضارها في كلِّ حال.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨)

﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ﴿تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾: لم يكن فيها أحدٌ من أصحاب البيوت ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا لا ﴿تَدْخُلُوهَا﴾: حتى لا يتصرف من لا يملك في ملك غيره ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرٍ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: بعد سماح أهل البيت ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرطٍ وتأکید ﴿قِيلَ﴾: قال من أهل البيت تحديداً ﴿ارْجِعُوا فَ﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿ارْجِعُوا﴾: إذا لم يُؤْذَنَ لكم بالدخول أو قيل لكم ارجعوا؛ فارجعوا، ولا تقفوا على الباب ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﴿أَزْكَىٰ﴾: أظهر لكم من دنس الغيبة والشك ﴿لَكُمْ﴾: لقلوبكم وأفضل ﴿و﴾: عطفاً على هذا اعلموا أن ﴿اللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: يعلم كيف تتصرفون في هذا الأمر وغيره.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٢٩)

﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ يفيد النفي ﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: لا إثم هنا، جواز الدخول دون استئذان وبلا حرج ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ﴾: حرف صفة، أي صفتها غير مسكونة ﴿مَسْكُونَةٍ﴾: البيوت غير المسكونة، والأماكن العامّة ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾: أثاث أو أموال أو بضاعة ﴿لَكُمْ﴾: إذا كان للداخل متاعٌ فيها بغير إذن، مثل بيت المضافات، أو إذا أخذ من أصحابها أدناً، وقيل هي بيوت التجار؛ كالفنادق، والخانات، ومنازل المسافرين، وبيوت مكّة، وما شابه ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق اعلموا أن ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿تُبْدُونَ﴾: تُظهرون ﴿و﴾: أيضاً يعلم ﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾: لا تبوحون به، يذكر الله ﷻ أنه يعلم ماذا ستفعلون من خيرٍ ومن شرٍ في هذه البيوت.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ ربّاني ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: أدبٌ تخصيصاً يا محمد ﷺ المؤمنين بأدبٍ من ربك ﴿يَغُضُّوا مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع هنا للتبويض ويفيد بداية الغاية المكانية ﴿أَبْصَارِهِمْ﴾: ألا ينظروا إلى المحارم، فإذا وقع بصرهم على شيءٍ منها؛ ليصرفوا أبصارهم عنه بسرعة قال ﷺ: يَا عَلِيُّ

لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ ^(١) ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: لأن البصر يؤدي إلى فساد القلب، والله ﷻ حرم الزنا ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿أَزَكَى لَهُمْ﴾: أظهر لقلوبهم، ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ خَبِيرٌ﴾: يعلم علم ومعرفة الصانع لصنعتة ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿يَصْنَعُونَ﴾: إن الله ﷻ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قُلْ﴾: أمرٌ ربّاني ﴿ل﴾: حرف يفيد هنا الأمر، عليك أن تأمر تخصيصًا ﴿الْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد التبعية ﴿أَبْصَارِهِنَّ﴾: لماذا اختص الله ﷻ بتحريم نظر النساء إلى ما يحرم عليهن البصر في هذه الآية، فإن نظراتهن، فيها أقوال: ألا تنظر المرأة إلى الرجل بشهوة، أو بغير شهوة، وقيل جواز النظر إلى الرجل بغير شهوة ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَحْفَظْنَ﴾: صيانة ﴿فُرُوجَهُنَّ﴾: قال سعيد بن جبير: عن الفواحش، وقال قتادة: عما لا يحلّ لهن، وقال مقاتل: الزنا، وقال أبو العالية: كلُّ آية نزلت في القرآن فيها ذكر حفظ الفروج؛ فهو من الزنا، إلا هذه الآية؛ فتعني ألا يراها أحدٌ ﴿وَلَا﴾: ومحرم عليهن أن ﴿يُبْدِينَ﴾: يُظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَا﴾: الذي ﴿ظَهَرَ مِنْهَا﴾: لا يرى منها الأجنبية زينةً إلا الذي لا يمكن إخفاؤه؛ كالثياب والوجه والكفين وفي ذلك قال ابن مسعود: الثياب، وقال ابن عباس: وجهها، وكفيها، والخاتم؛ وهي الأصح، وقال مالك: الخاتم والخلخال، بمعنى منتصف الكفّ والقدمين ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾: حرف اللام للسبب؛ يُشدّد الخمار على الرقبة والصدر ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿خُمُرِهِنَّ﴾: غطاء الرأس، ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾: أن يكون للخمار طولًا مناسبًا يغطي الصدر والضلوع، وفي هذا مخالفة لنساء أهل الجاهلية؛ حيث كنّ يسرن بصدورهن مكشوفة، وأعناقهن، وشعورهن، وأقراط الأذان مثل نساء هذا الزمان ﴿وَلَا﴾: حرام عليهن أن ﴿يُبْدِينَ﴾: يُظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ﴾: ما تتزين به المرأة باطنًا كالتي في الشعر أو

(١) سنن أبي داود ٤٨١/٣ (٢١٤٩)، قال الأرناؤوط: حسن لغيره.

على الصدر كالقرط والحلق والقلادة وغيرها ﴿الَا﴾: حرف استثناء ﴿ل﴾: حرف حصرٍ وتخصيصٍ ﴿بُعُولَتِهِنَّ﴾: أزواجهن ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾: الآباء ﴿أَوْ﴾: حرف عطفٍ يفيد التسوية بين متعاطفين ﴿آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾: تظهر المرأة بزینتها للنساء المسلمات، وليس لنساء أهل الذمّة؛ حتى لا يصفن النساء المسلمات لأزواجهن المشركين، وقال مكحول وعبادة بن أنس: يُكره تقبيل المرأة المسلمة المرأة النصرانية، والمجوسية، واليهودية ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: ما ملك المسلمون من نساء المشركين؛ لأنها أمتها، وأن تظهر على الرقيق عندها من الرجال والنساء ﴿أَوْ﴾: حرف عطف معطوفة على ﴿التَّابِعِينَ غَيْرِ﴾: حرف استثناء ﴿أُولِي﴾: أصحاب ﴿الإِزْبَةِ﴾: كناية عن الحاجة إلى النكاح ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الرِّجَالِ﴾: وهؤلاء هم العاملون عندهم الأجراء والأتباع غير الأكفاء، قال ابن عباس: المُغفَلُ الذي لا شهوة له، وقال مجاهد: الأبله الذي لا شهوة له، وقال عكرمة: المخنث الذي لا يقوم ذكره ﴿أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ بالجماعة الذكور ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُظْهَرُوا﴾: يطلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾: الأطفال الذين لا يفهمون أحوال النساء، وعوراتهنّ، ودلالهنّ في السير والكلام، أمّا إن كان مراهقاً؛ فيعرف الحال؛ فلا تظهر له امرأة، ونهى رسول الله ﷺ عن أخي الزوج، ووصفه الحمو الموت (١) ﴿وَلَا﴾: أيضاً تحريم ﴿يَضْرِبْنَ﴾: الأرض ﴿بِ﴾: حرف جرٍ للسبب ﴿أَنْجُلِهِنَّ لِ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يُعْلَمَ مَا﴾: الذي ﴿يُخْفِينَ﴾: يسترن ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد ابتداء الغاية المكانية، جزءاً أو بعضاً ﴿زَيْنَتِهِنَّ﴾: يعني المرأة التي تضرب الأرض بقدمها؛ فيسمع صوت الخلخال، كما نهى رسول الله ﷺ عن التعطر والتطيب عند خروجها من البيت؛ فيشم الرجال رائحتها، وقال ﷺ: لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ لِامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا الْمَسْجِدِ، حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الْجَنَابَةِ (٢) ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿تُؤْبَأُ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّةَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: افعلوا ما أمركم به الله ﷻ من الصفات الجميلة، واركبوا ما كان عليه أهل الجاهلية ﴿اعْلَمُوا﴾: حرف يُفيد التحقّق لأنها من الله ﷻ ﴿تُفْلِحُونَ﴾: إنّ الفلاح كلّه في اتّباع ما أمر الله ﷻ، والانتهاه عما نهى عنه الله ﷻ.

التكليف: هذه مبادئ سامية؛ تحفظ المجتمع من الرذيلة، ولا تحرم إنساناً من المتعة الحلال.

(١) صحيح مسلم ٤/١٧١١(٢١٧٢).

(٢) سنن أبي داود ٤/٧٩(٤١٧٤)، قال الألباني: صحيح.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٢)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَنْكِحُوا الْأَيَامَى﴾: تزوجوا المرأة التي لا زوج لها، مفردها أيم، وتقال للرجل الذي لا زوجة له، ويقال عنه أيم ﴿مِنْكُمْ﴾: بعضكم ﴿و﴾: أيضاً تزوجوا ﴿الصَّالِحِينَ﴾: جاء اللفظ القرآني الصلاح على سبعة أوجه؛ هنا بمعنى المؤمنون الذين يتصفون بالصلاح ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني العباد على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى المماليك، أي ما تملكون ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿فُضْلِهِ﴾: كرمه ورزقه، حتّى الرسول ﷺ على تزويج الفقراء بأقلِّ ما يملك؛ حتى أن يكون صداقها أن يعلمها ما تعلمه من القرآن الكريم ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد هنا الحال؛ اعلموا أن ﴿اللَّهُ وَاسِعٌ﴾: المغفرة والرزق ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوال عباده.

﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لَنْ﴾: حرف يفيد هنا الأمر، أن ﴿يَسْتَغْفِرَ﴾: أن يعفّ ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾: عدم توافر شروط الزواج من المال والمسكن والعمل وغيرها، يستغفون عن الفاحشة والمحرمات ﴿حَتَّى﴾: حرف جرٍ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿فُضْلِهِ﴾ من لا يستطع الزواج، عن الحرام، فعليه بالصوم؛ فإنه له وقاية ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ﴾: إذا طلب العبد من سيده الكتابة على دفع مالٍ ليتحرر ﴿مِمَّا﴾: بعض أو جزء ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من العبيد بحيث يكون للعبد وسيلةً للكسب لسد الدين، قال الشعبي، والبخاري: ذهب كثيرون أنه أمرٌ مُستحب، وليس واجباً، وقال عطاء: واجبٌ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب وهي واقعة هنا في جواب الشرط أن ﴿كَاتِبُوهُمْ﴾: تكتبوا إليهم ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿عَلِمْتُمْ﴾: تأكدتم ﴿فِيهِمْ خَيْرًا﴾: وهذا فيه جواب المُكاتبَة، وتعني: الأمانة، وقيل الصدق، وقيل مالاً، وقيل إيجاد مهنة عمل ووسيلة كسب مشروع ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ﴾: جزءاً أو بعضاً ﴿مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾: قال ابن عباس: سامحوا من المكاتبَة جزءاً، وقيل نصيباً من أموال الزكاة

﴿وَلَا﴾: نهي وتحريم ﴿تُكْرَهُوا﴾: تُجبروا وتضعفوا ﴿فَتَيَاتِكُمْ﴾: بناتكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾: جاء اللفظ القرآني البغاء على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الزنا كما في قوله ﷺ ﴿يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم-٢٨]، كان الجاهليون يرسلون إماءهم تزني، ويأخذون عليها ضريبة، ومن بين هؤلاء كان عبد الله بن أبي بن سلول، ونزلت فيه الآية، وكان اسم جاريته معاذة ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿أَرَدْنَ﴾: شئن ﴿تَحَصَّنَا﴾: إذا رفضن الزنا ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿تَبَتَّغُوا﴾: تريدون ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أخذ أموالهن، ومهورهن، وأولادهن ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿يُكْرَهُنَّ﴾: يُجبرهنَّ ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿اللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يقول ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنِّ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ^(١)

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٤) ﴿وَلَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿أَنْزَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث، والقائل هو الله ﷻ ﴿إِلَيْكُمْ آيَاتٍ﴾: ما جاء في القرآن الكريم ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾: موضحات، ومفسرات ﴿و﴾: أيضًا أنزل ﷻ ﴿مَثَلًا﴾: قصصًا من أخبار الأمم السابقة كقصص يوسف ومريم عليهما السلام وقصتهما شبيهتان بحادثة الإفك ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية الزمانية ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الجميع ممن ﴿خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾: فيه أخبار الأمم التي سبقت، الذين خالفوا، وعصوا، وكفروا، وما حلَّ بهم من عقاب الله ﷻ ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: نصيحةً وعلماً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: تخصيصًا للذين ينتفعون بالمواعظ القرآنية والنبوية، يعبدون الله ﷻ بوعي؛ طمعًا في رحمته، وخشية عذابه، دون الكفرة.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣٥)

﴿اللَّهُ نُورٌ﴾: جاء اللفظ "النور" في القرآن الكريم على عشرة أوجه، هنا بمعنى الله ﷻ به استتارت السماوات والأرض وما فيهما، قال العلماء معناه منورها وقال أبو عبيد معناه بنورك يهتدي أهل السماوات والأرض ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الإنسان والأرض، وأحاط بها؛

(١) سنن ابن ماجه ٦٥٩/١ (٢٠٤٣)، قال الألباني: صحيح.

لكونها كروية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: الجرم المقابل للسماء وصيغة الجمع أرضون، قال ابن عباس: كما النور يهدي الناس؛ فالله ﷻ سَخَّرَ الشمس، والقمر، والنجوم، ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: ضميران: قال ابن عباس: عائدٌ إلى الله ﷻ، مثل هُداة في قلب المؤمن، وقيل الضمير عائد على المؤمن، يعني مثل نور المؤمن الذي في قلبه ﴿كَ﴾: حرفٌ تشبيهه بمعنى حال أو تشبهه ﴿مِشْكَاتٍ﴾: كَوَّةٌ في حائط، توضع فيه المصابيح، وقال ابن عباس ومجاهد: موضع الفتيل من القنديل ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: شيءٌ يضيء، قال مجاهد: المشكاة هي الكوَّة التي لا منفذ لها، وقال أيضاً: هي الحديد المعلق فيه ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾: حرفٌ تشبيهه يفيد تقريب الفكرة ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: كوكبٌ من درٍ، وقال أبي بن كعب: كوكبٌ مضيءٌ، وقال قتادة: مضيءٌ، مبین، وضخم ﴿يُوقَدُ﴾: مواد وقوده ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾: زيتُهُ من شجرةٍ كثيرةٍ الخيرات ﴿زَيْتُونَةٍ لَا﴾: حرف نفي ﴿شَرْقِيَّةٍ﴾: ليست في شرق الأرض، فلا تصل الشمس إليها من أول النهار ﴿و﴾: حرفٌ عطْفٍ يفيد هنا الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿عَرَبِيَّةٍ﴾: ولا في غرب الدنيا؛ فينحسر عنها الضوء قبل الغروب، بل هي في وسط الأرض، يصلها الضوء من أول النهار لآخره، وهذا يؤكد العلم أنّ التمثيل الضوئي مهم جداً؛ لينمو كل نبات، قال ابن عباس: شجرةٌ في الصحراء لا يُظلمها شجرٌ، ولا جبلٌ، ولا كهفٌ، ولا يواربها شيءٌ، وهذا أجود لزيتها ﴿يَكَادُ﴾: يوشك ﴿زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: وهذه من صفات أجود أنواع الزيوت، قال ابن عباس: الشجرة المباركة هي الرجل الصالح، لا شرقية ولا غربية؛ لا يهودي ولا نصراني ﴿وَلَوْ﴾: حرفٌ يفيد المستحيل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَمَسَّسَهُ﴾: تصيبه ﴿نَارٌ﴾ شيءٌ مشتعل ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: قال ابن عباس: هو إيمانُ العبد وعمله، وقال أبي بن كعب: المؤمن يتقلب في خمسةٍ من نور: كلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور، يوم القيامة في الجنة ﴿يَهْدِي﴾: يدلّ ويرشد ﴿اللَّهُ لِ﴾: حرف تخصيص ﴿نُورِهِ﴾: نور الله ﷻ ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يِشَاءُ﴾: يرشد الله ﷻ إلى هدايته من يختاره من خلقه ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿يَضْرِبُ﴾: يذكر ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: يعلم الله ﷻ من خلقه من يستحق الهداية، ويضلُّ من يستحق الضلال، ولذلك قال ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: بجمیع والعموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد الجميع والعموم ﴿عَلِيمٌ﴾: بكلِّ خلقه، ظاهره، وباطنه.

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُنذَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦)

﴿فِي بُيُوتٍ﴾: هي المساجد ﴿أَذِنَ﴾: سمح وأجاز ﴿اللَّهُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿شُرِّفَ﴾: أنْ تُبْنَى، وتُطَهَّر، وتُرعى ويُعظَّم شأنها وتُنزَّه عن الأقدار ﴿و﴾: أيضًا ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾: فيها ذكر الله ﷺ عند الدخول، وعند الجلوس، وفي الصلاة، وعند الخروج، وقال ابن عباس: وقيل ما يتلوه الناس من القرآن ﴿يُسَبِّحُ﴾: يُنزه عن النواقص ﴿لَهُ﴾: لله تخصيصًا ﴿فِيهَا﴾: في الصلاة، يُنزه الخلق لله ﷺ عن كلِّ النواقص ﴿بِ﴾: بآء الظرفية ﴿الْعُدْوِ﴾: صباحًا ﴿وَالْأَصَالِ﴾: ومساءً، الأصال جمع أصيل، وهو آخر النَّهار، وقال ابن عباس: العدو صلاة الفجر؛ قال ﷺ: مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ^(١)، وعن خصالٍ لا تُقام في المساجد: ولا يُتخذ طريقًا، ولا يشهر فيه سلاح، ولا ينبض فيه قوس، ولا ينثر فيه نبل، ولا يمر فيه بلحم نيئ، ولا يقام فيه حد، ولا يقتص فيه أحد، ولا يُتخذ سوقًا، وتتخذ على أبوابها ليس بداخلها المظاهر.

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧)

﴿رِجَالٌ لَا﴾: حرف نفي ﴿تُلْهِيهِمْ﴾: تشغلهم عن العبادة ﴿تِجَارَةٌ﴾: والتجارة هي استخدام رأس المال طلبًا للربح المسموح، هي معاملات مالية ﴿وَلَا﴾: حرف نفي أن تلهيهم ﴿بَيْعٌ﴾: والبيع هو إعطاء الشيء المُثمن وأخذ الثمن، لا تلهيهم تجارةً وخاصة البيع؛ لأنَّ فيه كسب ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة، بسبب أنهم عن ﴿ذِكْرِ اللَّهِ وَ﴾: أيضًا ﴿إِقَامِ الصَّلَاةِ﴾: جاء اللفظ القرآني "الذكر" على ستة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى الصلوات الخمس كما في قوله ﷺ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة-٢٣٩] هذا طرازُ المؤمنين أصحابِ الهمم العالية، لا تشغلهم زينة الدنيا عن ذكر الله ﷻ، فكلُّ شيءٍ عندهم يبدأ باسم الله ﷻ، ويرون الله ﷻ في كلِّ معاملةٍ، ويقدمون طاعته ومحبته على مريح تجارتهم، ويغلقونها وقت الصلاة، وقال ابن عباس: عن الصلاة المكتوبة، وقال السدي: عن صلاة الجماعة، وقال مقاتل بن حيان: حضور الصلاة، وقال ﷺ: خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنَّ^(٢)، وقال أيضًا: صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَصَلَاتِهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا^(٣) ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾: يدفعونها بحقها في وقتها لمن يستحقها

(١) صحيح مسلم ٣٧٨/١ (٥٣٣).

(٢) صحيح ابن خزيمة ٩٢/٣ (١٦٨٣)، قال الألباني: حسن.

(٣) سنن أبي داود ١٥٦/١ (٥٧٠)، قال الألباني: صحيح.

﴿يَخَافُونَ﴾: خشية العبد لخالقه ﴿يَوْمًا﴾: يوم القيامة ﴿تَتَقَلَّبُ﴾: تتغير ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ﴾: مراكز الوعي والإدراك ﴿و﴾: أيضًا تتقلب فيه ﴿الْأَبْصَارُ﴾: تزيغ الرؤى؛ من شدة الخوف.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٨)
﴿ل﴾: حرف علة وسبب، وتخصيص ﴿يَجْزِيَهُمُ﴾: يُعْطِيهِمْ ﴿اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: أفضل ثواب ما عملوا، قبول الحسنات، والتجاوز عن السيئات ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانيّة ﴿فَضْلِهِ﴾: من كرمه، يقبل الحسنات، ويزيد ويضاعف أجرها، جاء في المعنى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا﴾ [الأنعام- ١٦٠] ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿بِغَيْرِ﴾: حرف استثناء ﴿حِسَابٍ﴾: قبول الأجر هو دخول الجنة، ويزيدهم من فضله هي الشفاعة لمن وجبت له.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ على سبيل الترجيح بالجماعة الذكور، ويشمل الإناث أيضًا ﴿كَفَرُوا﴾: المنكرين لأصول دينهم الحق ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: في هذا المثل يشبهه الله ﷻ أعمال الذين غطوا حقيقة الإيمان وأنكروها ﴿ك﴾: حرف بمعنى حال ومثل ﴿سَرَابٍ﴾: سُمِّي بهذا الاسم لأنه يسرب كالماء في جريانه يلتصق بالأرض. والسراب، هو شعاع أبيض يُشاهد في منتصف النهار وكأنه ماء؛ حيث يتخيل الإنسان أنّ هناك ماءً، وهو عطشان ﴿ب﴾: باء الظرفية ﴿قِيَعَةٍ﴾: جمع قاع، المكان المنخفض في الأرض، تبدو الأرض المستوية المتسعة كأنها بركة ماءٍ ﴿يَحْسَبُهُ﴾: يظنّه بغير يقين ﴿الظَّمَانُ﴾: العطشان ﴿مَاءً حَتَّى﴾: حرف يفيد سبب ما جاء قبله ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَهُ﴾: وصل إلى المكان ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَجِدْهُ شَيْئًا﴾: لم يجد فيه ماءً، ووجده مثل ما حوله، ليس فيه شيء، مثل المنافق الذي يعمل ويظنّ أنّ عمله مقبول ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾: ويوم القيامة لم يجد ثوابًا ووجد نفسه أمام الله ﷻ، وقد كان ينكره، ويغضبه في الدنيا ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿وَفَّاهُ﴾: جازاه ﴿حِسَابَهُ﴾: إذا سأله الله ﷻ وهو أعلم عن أفعاله؛ فلم يجد شيئًا من خير أو إيمان يقوله ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: لا يُوجَلُّ عذاب الكافرين، يكون الجزاء على ما جاء في كتاب كلّ إنسان.

التكليف: قال ﷺ: وَغُيِّرَتْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيَدْعَى الْيَهُودُ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ فَقَالُوا:

عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلَّا تَرُدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ^(١).

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠)

﴿أَوْ﴾: حرفٌ يُفيدُ التسوية بين متعاطفين ﴿ك﴾: مثل وحال ﴿ظُلُمَاتٍ﴾: وهذا المثل الثاني بعد مثل السراب، تكون أعمال المجرمين كعتمة ﴿فِي بَحْرِ لُجِّي﴾: قال قتادة: بحر عميق ﴿يَعْشَاهُ﴾: يُغْطِيهِ ﴿مَوْجٌ﴾: الموج المرتفع المتتابع؛ فتظلم الدنيا أكثر، وقال ابن عباس: هي غشاوة القلب، والسمع، والبصر، جاء في المعنى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾ [البقرة-٧] حيث إن الكافر يتقلب يوم القيامة في خمسة من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومُدْخَلُهُ ظلمة، ومُخْرَجُهُ ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات، إلى النار ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يُفيدُ بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾: فيغْطِيهِ موج، فتُظلم أكثر ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾: فتزيد الظلمة ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: طبقاتٌ متراكمة من الظلمات ﴿إِذَا﴾: عطفاً على هذه الظلمات ما ﴿أَخْرَجَ يَدَهُ﴾: رفعها ونظر فيها ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَكِدْ﴾: يوشك أن ﴿يَرَاهَا﴾: إذا مدَّ يده أمامه لم يشاهدها؛ من شدة الظلام، هذا قلب الكافر الجاهل، الذي ينفاد لأنظمة الكفر، من أصحاب الأفكار القديمة والجديدة، مثل حكم الشعب للشعب، ودستور الشعب المخالف للدين ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد هنا الحال ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿بِجْعَلِ اللَّهُ لَهُ﴾: تمليكا ﴿نُورًا﴾: من لم يطلب نور الله ﷻ ويسعى إليه حُرْمَهُ وعاش في الظلمات؛ إذا لم يهده الله ﷻ بالإيمان ﴿فَمَا﴾: حرف يفيد الخبر بمعنى ليس ﴿لَهُ﴾: تمليكا ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿نُورٍ﴾: ليس له من يهديه، ولا كتابٌ يستتير به، فله هذه الظلمات، كلامه، وعمله، ومدخله، ومخرجه، ومصيره يوم القيامة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١)

﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهامٍ تُفيدُ الإنكار ﴿تَرَ﴾: تشاهد فتعلم ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ﴾: يسبحُ ويحمُدُ وينزهُ له كل ﴿مَنْ﴾: في السماوات والأرض من المخلوقات كل عاقل من الإنس وغيرهم ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا وأحاط بها لكونها ببيضاوية الشكل

(١) صحيح البخاري ٤٤/٦ (٤٥٨١).

﴿و﴾: أيضًا في ﴿الْأَرْضِ﴾: في السموات وفي الأرض ﴿وَالطَّيْرِ﴾: أيضًا كلّ ذي أجنحة يطير في الهواء ﴿صَافَاتٍ﴾: وتسبح له الطير، وقد صَفَّتْ أجنحتها وهي تطير تسبيحًا؛ ألهمها الله ﷻ وأرشدنا إليه ﴿كُلُّ﴾: مخلوق منها بلا استثناء ﴿قَدْ﴾: حرفُ جزم أفاد التحقق لأنّه جاء مع الفعل الماضي ﴿عَلِمَ﴾: عرف وأدرك ﴿صَلَاتُهُ﴾: عبادته ﴿وَتَسْبِيحُهُ﴾: تنزيهُ الله ﷻ عن النواقص، أرشده الله ﷻ طريقه، وهو ﷻ يعلم ذلك؛ فالإنسان يُصَلِّي، ومنها أهل التسبيح وهم الطير ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا﴾: بالذي ﴿يَفْعَلُونَ﴾: يعلم علم الخالق البارئ المقدر.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٤٢)

﴿و﴾: عطفًا على هذا فإن ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: هو صاحبها، ومالكها، الذي خلقها وهو المتصرف فيها، وهو الذي يستحق العبادة الطاعة، يحكم ولا رادّ لحكمه ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: كلّ مخلوقٍ ذاهبٍ إلى يوم القيامة؛ لتُجزى كلُّ نفسٍ ما عملت.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (٤٣)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: حرفٌ يُفيد دائمًا الوجود، أيها الإنسان أنت تشاهد، ألم ينته إلى علمك يا رسولنا ﴿أَنَّ﴾: بالتأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ يُزْجِي﴾: يسوق الله ﷻ ﴿سَحَابًا﴾: بقدرته ﷻ يكون من ذرّات الماء التي تتبخّر من البحار والمحيطات ومن كلّ تجمعات الماء ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾: يجمعه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾: وبمرور الوقت يصبح متجمّعًا مترامًا بعضه فوق بعض ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿تَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿خِلَالِهِ﴾: ينزل الماء منه ومن هنا للتبعيض ﴿وَيُنزِلُ مِنَ﴾: يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض وأحاط بها ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿جِبَالٍ فِيهَا مِنْ﴾: بعض ﴿بَرَدٍ ف﴾: يفيد هنا السبب ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ﴾: الذي من جنس بني آدم ﴿يَشَاءُ﴾: يرسله رحمة منه ﷻ لمن أراد من الخلق، وقد يكون إصابة نعمة أو نعمة ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿يَصْرِفُهُ﴾: يؤخره أو يمنعه ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿يَشَاءُ﴾: عمّن يشاء من الخلق، وقد يكون رحمةً بهم، إذا كان الهدف الانتقام من البشر ﴿يَكَادُ﴾: يوشك ﴿سَنَا﴾: الضوء الشديد ﴿بَرْقِهِ يَذْهَبُ﴾: يقضي و يزيل ويمضي يأخذ فيصيبُ بالعمى

﴿بِالْأَبْصَارِ﴾: حرف باء السبب، وهذه ظاهرة علمية غاية في الأهمية؛ فعندما تُعزل التيارات الهوائية ذات الشحنات الكهربائية السالبة السفلى عن الشحنات الكهربائية العليا؛ ينتج تفرغ كهربائي على هيئة ضوء.

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٤٤)

﴿يَقْلِبُ﴾: يُظْهِرُ هذا ويخفي ذلك ﴿اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: يتصرف الله ﷻ فيهما؛ فيطيل أحدهما ويُقصر الآخر؛ حتى يتعادلا، فهو المتصرف؛ وهذا دليل عظمته وقدرته، فالشمس تدور والأرض تدور؛ فإذا واجهت مساحةً من الأرض ضوء الشمس؛ كان فيها نهار، وإن غابت عنها؛ صار ليلاً ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ﴾: حرف الام للسبب عظة ﴿لِّأُولِي﴾: أصحاب ﴿الْأَبْصَارِ﴾: من كان يعرف من البشر يوم بعثة محمد ﷺ أن الأرض والشمس والقمر والكواكب تدور، إن الذي أخبرهم هو رجلٌ منهم يتيمٌ، فقيرٌ، أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب؟

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق اعلموا أن ﴿اللَّهُ خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿كُلِّ﴾: حرف يفيد الجميع ﴿دَابَّةٍ﴾: خلق الله ﷻ، كلُّ ما يُدبُّ على الأرض، الخلق هو إيجادٌ بغير سابق وجود ﴿مَنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿مَاءٍ﴾: من نطفة، رغم اختلاف أشكالها، وألوانها، وحركاتها ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ﴾: الذي ﴿يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾: مثل الثعابين، وما شابه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ﴾: الذي ﴿يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾: كالإنسان ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾: كالأنعام وسائر الحيوانات ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: إنَّ صاحب القدرة يخلق ما يشاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ﴾: يفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد العموم ﴿قَدِيرٌ﴾: تأكيدٌ من الحق ﷻ على ما سبق في الآية الكريمة.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٦)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿أَنْزَلْنَا آيَاتٍ﴾: جاءت بصيغة الجمع، والله ﷻ واحدٌ أحدٌ؛ لعظم الآيات والأدلة والبراهين ﴿مُبِينَاتٍ﴾: وصفها الله ﷻ بالواضحات، إنَّ كلَّ باحث في العلوم الحديثة يجد في اكتشافاته ما يؤكد ما جاء في القرآن الكريم والسنة المشرفة ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿اللَّهُ يَهْدِي﴾: يُرشد

ويُدَلُّ **﴿مَنْ﴾**: جنس العاقل **﴿يَشَاءُ﴾**: من هؤلاء أهل العلم، الذين يصلون إلى الإيمان بقناعةٍ وصدقٍ وإخلاصٍ **﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾**: منهج **﴿مُسْتَقِيمٍ﴾**: قويم معتدل.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾
(٤٧)

﴿وَيَقُولُونَ﴾: يعلنون **﴿آمَنَّا﴾**: صدّقنا **﴿بِ﴾**: باء الصلة **﴿اللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾**: المقصود بالقائلين هنا هم المنافقون، الذين يُظهرون الإيمان، ويقولون طبقنا تعاليم الله ﷺ **﴿ثُمَّ﴾**: حرف يفيد التتابع مع التباعد والتراخي **﴿يَتَوَلَّى﴾**: يذهب **﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾**: بعضهم؛ فيخالفون بأعمالهم وأقوالهم شرع الله ﷻ، هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا﴾**: حرف يفيد النفي **﴿أُولَئِكَ﴾**: إشارة للقريب والبعيد **﴿بِ﴾**: باء المصاحبة **﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾**: هم المنافقون، ومصيرهم الدرك الأسفل من النار.

التكليف: ما أكثر المنافقين في هذا الزمان، فالرؤساء، والملوك، والأمراء، وحولهم شيوخ النفاق والمعصية، وأصحاب الفتاوى، الذين يُزينون للكافرين من الحكام أعمالهم، ويدلسون على الشعوب إلى حدّ وصف السّفاحين من الحكام بالأنبياء والرسل من عند الله ﷻ.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَإِذَا﴾: حرف يفيد عطف ما بعدها على ما سبقها وهو النفاق **﴿دُعُوا﴾**: إذا قيل للمنافقين تعالوا نفصّ نزاعنا مُحتمكين **﴿إِلَى﴾**: حرف جر يدل على انتهاء الغاية الزمانية **﴿اللَّهُ وَ﴾**: أيضًا مُحتمكين إلى سنّة **﴿رَسُولِهِ﴾**: بحسب ما أنزل الله ﷻ من الكتاب الكريم والسُنّة النبوية **﴿لِ﴾**: حرف علّة وسبب **﴿يَحْكُمَ﴾**: يقضي **﴿بَيْنَهُمْ﴾**: ليقضي بينهم، معتمدين على شرع الله ﷻ **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿فَرِيقٌ﴾**: جماعة **﴿مِنْهُمْ﴾**: بعضهم **﴿مُعْرِضُونَ﴾**: استكبروا وابتعدوا ورفضوا؛ لأنهم سيخسرون متاع الدنيا.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ (٤٩)

﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿يَكُنْ لَهُمُ﴾**: حرف تخصيصٍ وتمليكٍ **﴿الْحَقُّ﴾**: إذا كان الحكم لصالحهم وفي جانبهم **﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾**: جاؤوا سامعين، مطيعين **﴿مُذْعِنِينَ﴾**: أي مُنقادين، أي راضين، وهذه هي الانتهازية التي عليها العالم الضال.

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ اذْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٥٠)

﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستتكار والتوبيخ؛ هل ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: سؤال استنكاري، يُقرر أن في قلوبهم مرضُ النفاق ﴿أَمْ﴾: هل ﴿ارْتَابُوا﴾: هل أنهم يشكّون في صدق الرسول الكريم ﷺ؛ فهم في ريبهم يترددون ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَحِيفُ﴾: أن يجور ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾، أي يظلمونهم، ويحكمون عليهم ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الظَّالِمُونَ﴾: أيًا ما كان في نفوسهم، فهم ظالمون، مجرمون، والله ﷻ ورسوله مبرّان مما يظنّ هؤلاء ويتوهمون.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥١)

على النقيض من المنافقين في مسألة النزاع على أمرٍ من أمور الدنيا ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيد التحديد والتخصيص ﴿كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بألسنتهم، وتُصدّق قلوبهم، ويؤمنون ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِي﴾: حرف علةٍ وسبب ﴿يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: للحكم في قضاياهم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَقُولُوا﴾: بلا ترددٍ في كلّ زمانٍ ومكانٍ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: أي سمعًا وطاعة ﴿و﴾: عطفًا على هذا، يشهد الله ﷻ لهم أن ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: هم أهل الفوز بالتصديق، ونيل المطلوب من الله ﷻ، كان الحكم لهم أو عليهم، ومن هنا وجبت طاعة الأمير، وأولي الأمر من المسلمين.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥٢)

﴿وَمَنْ﴾: حرف استفهامٍ عن العاقل أيضًا ﴿يُطِعِ﴾: من سمع وأطاع ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾: فيما أمر الله ﷻ أن يعمل، وما نهى عن فعله أو قوله ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿يَخْشِ اللَّهَ﴾: يخاف على نفسه من ذنوبه السابقة ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: يتجنب غضب الله ﷻ في المستقبل ﴿فَأُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للجماعة القريب والبعيد ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْفَائِزُونَ﴾: الذين فازوا برضا الله ﷻ لهم على كلّ حال، وأمنوا شرّ الدنيا وفتنتها، وشرّ الآخرة وهي جهنم.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥٣)

ويأتي الحديث هنا عن المنافقين، يوضح مزيداً عن سلوكهم ﴿و﴾: أيضاً ﴿أَقْسَمُوا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿اللَّهُ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: يحلفون إيماناً مُغلظة ﴿لَنْ﴾: حرف شرطٍ يتبع ما بعده ﴿أَمْرَتُهُمْ لِيَخْرُجْنَ﴾: يقولون إذا دعانا الرسول للغزو والجهاد في سبيل الله؛ لنطيعكم ونخرج معكم ﴿قُلْ﴾: أمرٌ ربّاني يفضح المنافقين ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَقْسِمُوا﴾: قل لهم يا محمد ﷺ لا تحلفوا لأنها ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾: نحن نعلم حقيقة طاعتكم هي قول، وليس فعلاً، وحلفكم كذب، جاء في المعنى: ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [التوبة-٩٦] وشهد الله ﷻ لهم في موضعٍ آخر ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة-١٦]، وقيل ليكن أمركم طاعة معروفة، بالمعروف، من غير حلفٍ، أو قسمٍ كما يفعل المؤمنون ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: الله أعلم بالطائعين والعاصين، مهما ساد الحلف، وراج بين الناس؛ للتدليس؛ فالله ﷻ أعلم بإسرارهم وعلا نبيهم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٥٤)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ أخبرهم ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾: مرهم أن يتبعوا كتاب الله ﷻ، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ عطفًا على طاعتكم طبقوا سنة رسوله ﷺ طاعةً ظاهرة وباطنة ﴿فَإِن﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَوَلَّوْا﴾: جاء اللفظ القرآني "تولوا" هنا بمعنى أعرضوا؛ أي تركوا رسولهم وابتعدوا عنه ﴿فَإِنَّمَا﴾: حرفٌ تحديدٍ وتخصيصٍ ﴿عَلَيْهِ﴾: على الرسول ﷺ ﴿مَا﴾: الذي ﴿حُمِّلَ﴾: فاعلموا أتمًا على الرسول تبليغ ونقل ما أمر به من التبليغ وفد فعل بكلّ أمانة، فقد أدى واجبه؛ بأن بلغهم ﴿و﴾: أيضًا ﴿عَلَيْكُمْ مَا﴾: الذي ﴿حُمِّلْتُمْ﴾: عليكم أن تقبلوه وتطبقوه، هذا واجب كل طرفٍ ﴿وَإِن﴾: حرف شرطٍ ﴿تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: وانصحهم وقل لهم إن نفذتم ما عليكم من واجباتٍ؛ ستحققون أهدافكم بأسرع ما يمكن ﴿وَمَا﴾: حرف نفي، أيضًا ليس ﴿عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿الْبَلَاغُ﴾: إن مهمة كل رسولٍ هي أن يبلغ بصدق رسالته ﴿الْمُبِينُ﴾: البلاغ الواضح، المفصل، ليس من مهمة الرسل أن يجبروكم، ولا أن يحملوا عنكم من خطاياكم شيئًا.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥٥)

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿آمَنُوا مِنْكُمْ﴾: حرف ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية، هذه أركان فتوحات المسلمين، وعد الله ﷻ المؤمنين وعدًا

حقًا ﴿و﴾: أيضًا وعد الله الذين ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قرنوا الإيمان بالفعل الصالح، وفق القرآن الكريم ﴿ل﴾: حرف تمليك وتخصيص ﴿يَسْتَخْلِفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: بأدوات التأكيد اللام والنون أن يكونوا حُكَّام الأرض وسادتها ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: في عهد الأنبياء السابقين عليهم السلام ﴿وَلِيَمَكِّنَ لَهُمْ﴾: أيضًا يثبت قوتهم وسيطرتهم وعزيمتهم ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصا وتمليكا ﴿دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾: فرضه عليهم ﴿وَلِيُبَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾: أيضًا يغيّر بالتأكيد حالة ﴿مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أُمَّنًا﴾: جاءت بلغة التأكيد يُمَلِّكون القوة، والمال، والرجال، والسلاح، والأرض ﴿يَعْبُدُونِي﴾: يطيعونني ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾: لا يطيعون سوى الله ﷻ، ولا يطيعون أي قوة في الأرض مهما بلغت ﴿وَمَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: من نكص بعد هذا النصر العظيم ﴿فَأُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للجماعة القريب والبعيد ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْفَاسِقُونَ﴾: الذين خرجوا عن تعاليم دينهم.

كيف كتب التاريخ هذه الآيات واقعا: أولا: فتوحات الرسول ﷺ في حياته: فتح مكة، وفتح البحرين، وسائر الجزيرة العربية، وكل أرض اليمن، وأخذ جزية يهود هجر، وبعض أطراف الشام، وتسلم هدايا من ملك الروم، ومن حاكم مصر المقوقس، وملوك عُمان، والنجاشي ملك الحبشة، ثانياً: فتوحات أبي بكر الصديق ﷺ: عندما أرسل جيش خالد بن الوليد إلى بلاد فارس؛ فتحوا طرفاً منها، وقتلوا من أهلها، وأرسل جيشاً آخرًا بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إلى أرض الشام، وأرسل جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى بلاد مصر، وفتح الله على يدي أبي بكر بصرى ودمشق، ثالثاً: فتوحات عمر بن الخطاب ﷺ: فتح بلاد الشام بكاملها، وكل مصر، وأكثر بلاد فارس، وبلاد كسرى، وهزم قيصر، وأجلاه عن بلاد الشام، ودخل بلاد القسطنطينية، رابعاً: ممالك الدولة العثمانية في أقصى بلاد الشرق، وأقصى مغاربها، والأندلس، وقبرص، والقيروان، والصين، وقتل كسرى، والاستيلاء على ملكه كله، والعراق، وخراسان، والأهواز، وبقية الأتراك، وقتل ملكهم حاقان، وجبى الأموال من مشارق الأرض ومغاربها.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: يأمر الله ﷻ عباده بإقامة الصلاة التي هي عبادة الله ﷻ وحده، لا شريك له ﴿و﴾: أيضًا ﴿آتُوا الزَّكَاةَ﴾: دفعوا الأموال المستحقة للفقراء وضعاف شرائح الشعب، تقرُّبا لله ﷻ، وتنفيذاً لأوامره، وتقويةً للمجتمع المسلم ﴿وَأَطِيعُوا﴾

الرَّسُولِ: فطاعته ﷺ هي تنفيذ ما أمر الله ﷻ؛ فهي طاعة لله ﷻ **لَعَلَّكُمْ**: يفيد التوقع عند الناس ولكنها من الله ﷻ مؤكدة **تُرْحَمُونَ**: لعل الله ﷻ يرحمكم؛ فيحقق آمالكم في الدنيا والآخرة.

التكليف: تربط الآية الكريمة بين تقوية صلة العبد بربه ﷻ، وتقوية المجتمع بمساعدة فقرائه وضعاؤه، وثواب الله ﷻ وهي الرحمة.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

لَا: حرف نهي **تَحْسَبَنَّ**: لا تعتقد يا محمد ﷺ بالتأكيد **الَّذِينَ**: اسم موصول يفيد جميع من **كَفَرُوا**: الذين كذبوك، وأنكروا حقيقة الدين، لا تعتقد أن هؤلاء **مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ**: أن الله ﷻ غير قادر عليهم **وَالنَّارُ**: بل سيعذبهم الله ﷻ في المأوى الأخير، وهي جهنم **وَلَبِئْسَ**: شرّ وسوء **الْمَصِيرُ**: المآل، وبئس القرار.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصْعُقُونَ نِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

يَا أَيُّهَا: كلمة تواصل هنا بين المُنَادِي وهو الله ﷻ وبين المُنَادَى عليهم، وهم **الَّذِينَ**: اسم موصول يفيد جميع من **آمَنُوا**: بأركان الإيمان **ال**: حرف علة وسبب **يَسْتَأْذِنَكُمْ**: عليهم أن يطلبوا الإذن قبل أن يدخلوا مجالسكم **الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**: الخدم، والعاملون عندكم **وَالنَّارُ**: حرف عطف يفيد هنا الحال **الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ**: من أطفالكم الذين لم يصلوا سن البلوغ **ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**: في أوقات ثلاثة مُحدَّدة **مِنْ**: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية الزمانية **قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ**: لأن بعض الناس لا تزال نائمة؛ وتريد استبدال ملابسهم بملابس أخرى **وَالْحِينَ**: في وقت **تَصْعُقُونَ نِيَابَكُمْ**: تتحللون من بعض ملابسكم **مِنْ**: بعض وقت **الظَّهِيرَةِ**: وقت القيلولة، حيث يستبدل ثياب اليوم بثياب القيلولة، وعودة الناس من أعمالهم **وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ**: لأنه وقت النوم **ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ**: يُطلب من الخدم ألا يدخلوا على الناس؛ حيث يأوي الناس إلى أهلهم **لَيْسَ**: فعل ماض ناقص يفيد النفي **عَلَيْكُمْ وَلَا**: حرف نفي **عَلَيْهِمْ**: تحديداً **جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ**: لا مانع من الزيارات في غير هذه الأوقات **طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ**: يسرون في

خدمتكم، ويدخلون عليكم ﴿بِعُضُكُمْ﴾: جزء منكم ﴿عَلَىٰ بَعْضِ كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضح ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾: تحديداً ﴿الآيَاتِ﴾: هذه تعاليم الله ﷻ، تُراعي حاجة الناس، وحقهم في الحياة مع أزواجهم. لقد حدّد الله ﷻ آداب الزيارة؛ التي تحقق الغايات ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: صاحب العلم الكلي ﴿حَكِيمٌ﴾: يقول الحق ويفعل ويأمر بما أراد ﷻ.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد بداية الغاية المكانية، بعضكم الذين جاء ذكرهم في الآية السابقة الخدم، والعاملين ﴿الْحُلُمَ﴾: بلغوا مرحلة البلوغ والاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَسْتَأْذِنُوا﴾: أن يستأذن الأولاد، والأقارب قبل الدخول عليكم في كلّ الأوقات ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿اسْتَأْذَنَ﴾: طلب الإذن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ على سبيل الترجيح بجماعة الذكور ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضح ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾: تحديداً ﴿آيَاتِهِ﴾: يوضح الله ﷻ لكم قواعد السلوك في العورات الثلاث ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بكلّ شيء يُصلح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يضع من التشريع المناسب للحدث المناسب؛ ليحقق الغاية الكلية.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦٠)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿الْقَوَاعِدُ﴾: جمع قاعد دون حرف التاء وهي المرأة الأيسة من الحيض والحمل والولادة، كبار السن ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿النِّسَاءِ﴾: اللواتي انقطع عنهن الحيض، ولم يعد بقدرتهن الإنجاب ولا يرغبن في ﴿اللَّاتِي لَا﴾: حرف نفي ﴿يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: لا يردن النكاح ﴿فَلَيْسَ﴾: حرف يفيد النفي ﴿عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: ليس عليهن في التستر كما على غيرهن من النساء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: قال ابن مسعود: الجلباب أو الرداء، وقال أبو صالح: تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار ﴿غَيْرَ﴾: حرف استثناء ﴿مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾: قال ابن جبير: لا بوضع، خلع الجلباب؛ لئرى ما عليهن من زينة، وقالت عائشة رضي الله عنها: يا معشر النساء قستن كلهن واحدة، أحلّ الله لكن الزينة غير متبرجات، أي لا يحلّ للرجال أن يروا منكن مُحَرَّمًا ﴿وَأَنْ﴾

يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴿٦٠﴾: لا يخلعن ما جاز من خلعه، الذي كان جائزاً في الماضي، خيرٌ لهن
﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع كل شيءٍ من الكلام ﴿عَلِيمٌ﴾: بكل شيءٍ من الأعمال.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ
تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ
صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

سبب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة-١٨٨] "تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى، والأعمى، والأعرج، وقالوا:
الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله ﷻ عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع
الطعام الطيب، والمريض لا يستوفي الطعام بسبب مرضه، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على
الطعام فنزلت الآية الكريمة ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾، وعن سعيد بن المسيب أنه قال: "إن
ناساً كانوا إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض
وعند أقاربهم، وكانوا يأمرتهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا؛ فكانوا يتقون أن يأكلوا منها
ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فنزلت هذه الآية^(١).

﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ يفيد النفي عن أصحاب الأعداء هنا من العميان، وذوي العرج، والمرضى
إثمٌ في ترك الأمور الواجبة التي لا يقدرُونَ على القيام بها ﴿عَلَى الْأَعْمَى﴾: الذي لا يُبصر
﴿حَرْجٌ﴾: ذنبٌ ﴿وَلَا﴾: حرف نفي، أيضاً ﴿عَلَى الْأَعْرَجِ﴾: الذي أصاب ساقه أو ساقيه ضررٌ
﴿حَرْجٌ﴾: الحرج هو الإثم، المقصود في حالات الجهاد، لضعفهم وعجزهم، وقيل كان هناك
حرجٌ من الأكل مع الأعمى؛ لأنه لا يرى الطعام، فيختار الطيب وما يريد، ولا مع الأعرج لأنه
لا يتمكن من الجلوس كغيره، والمريض الذي لا يستوفي طعامه؛ فكان مكروه الأكل معهم؛ حتى
لا يُظلموا ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَ﴾: أيضاً ﴿لَا﴾: مانع ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾:
ما يخصكم أنتم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَأْكُلُوا﴾: تتناولون الطعام ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد
بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿بُيُوتِكُمْ﴾: وهذا منطقي فهذا مالكم ومنه طعامكم
وفيكم أهلكم ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التخيير أو التسوية بين المتعاطفين ﴿بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾:
الآباء والأجداد ﴿أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: منهنّ الجدات ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾: والأخ والأخت هم

(١) أسباب النزول للواحدى ١٨٧.

المشارك لآخر من الأب والأم أو أحدهما والمقصود هنا الإخوة الذكور ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ﴾: الأخوات الإناث ﴿أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ﴾: إخوة الأب ﴿أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ﴾: أخوات الأب ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ﴾: إخوة الأم ﴿أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾: أخوات الأم، إن مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل: أن هذا من واجب نفقة الأقارب، بعضهم على بعض ﴿أَوْ مَا﴾: الذي ﴿مَلَئْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾: هم خدم الرجل، لا بأس أن يأكل الرجل مما استودعه عندهم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: ومسموح الأكل من بيوت أصدقائكم وأصحابكم؛ إذا كان ذلك لا يشق عليهم ﴿لَيْسَ﴾: تفيد النفي ﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: ذنب أو مانع ﴿أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾: يتحقق الأكل في صحبة الآخرين ﴿أَوْ أَشْنَاءًا﴾: أن تأكلوا متفرقين، ولكن الرسول ﷺ يحث على أكل الجماعة، وأثر أن أصحاب النبي، ﷺ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَقْتَرِفُونَ؟» قالوا: نَعَمْ، قَالَ: فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ^(١)، وقال أيضًا: طَعَامُ الْإِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ^(٢)، ﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط، وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَ﴾: حرف الفاء استثنائي يهدف لترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿سَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: ليسلم بعضكم على بعض، قيل إذا دخلت على أهلك؛ فسلم عليهم تحية من عند الله طيبة مباركة، قال عطاء: ليس واجباً أن يسلم، ولكنك أحب إليّ، وقال قتادة: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، وقد أخبر الرسول أن الملائكة ترد عليه، قال النبي ﷺ: إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ فَأَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ^(٣) ﴿تَحِيَّةً﴾: سلاماً ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الكلية ﴿عِنْدِ﴾: ظرف زمان ومكان ﴿اللَّهُ مُبَارَكٌ﴾: كثيرة الخيرات ﴿طَيِّبَةٌ﴾: كل ما يستمتع به الجسد، وتقبله النفس قال ابن عباس: إن رسول الله كان يقول: ما أخذت التشهد إلا من كتاب الله ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضح ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿الآيَاتِ﴾: الأدلة والبراهين ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: إشفاق من الله ﷻ على البشر ﴿تَعْقِلُونَ﴾: هذه الآية من آيات العبادات الشافية التي تؤدي إلى التعقل.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٢)

(١) سنن أبي داود ٣/٣٤٦ (٣٧٦٤)، قال الألباني: حسن.

(٢) صحيح البخاري ٧/٧١ (٥٣٩٢).

(٣) البخاري، الأدب المفرد ص: ٩٨٩/٥٥٢، قال الألباني: حسن.

﴿إِنَّمَا﴾: أداة تُفيد الحصر ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: حقاً هم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من الرجال والنساء مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: لا يكتمل الإيمان إلا إذا صدقوا ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: فنانة قلب وتصديق جوارح ﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها على ما قبلها ﴿كَانُوا مَعَهُ﴾: إذا كان المؤمنون مع رسول الله ﷺ ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾: موضوع ﴿جَامِعٍ﴾: على أمر طاعة يجتمعون عليه، هي اللقاءات العامة، مثل صلاة الجمعة، أو الصلاة العادية، أو صلاة العيد، أو اجتماع مشورة ونحو ذلك ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَذْهَبُوا﴾: يمضوا ويقضوا وينصرفوا عن الاجتماع ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿يَسْتَأْذِنُوهُ﴾: أن يطلبوا منه الإذن قبل الانصراف ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾: يطلبون الإذن ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿اسْتَأْذِنُوكَ﴾: طلبوا منك إذناً بالسماح لهم ﴿ل﴾: بمعنى على ﴿بَعْضٍ﴾: جزء من ﴿شَأْنِهِمْ﴾: لأمر يريد المسلم أن يفعله ﴿فَأَذَنَ﴾: اسمح لمن شئت منهم بحسب ما تقتضي المصلحة له ولدينه وللمسلمين ﴿لِمَنْ﴾: جنس العاقل ﴿شِئْتِ﴾: أردت ﴿مِنْهُمْ﴾: فأذن له إذا كان خروجه لا يُفسد أمراً من اللقاء الجامع، أو فيه مصلحة للشخص أو الجماعة ﴿وَ﴾: عطفاً على ذلك ﴿اسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ﴾: أن يدعو الرسول ﷺ له ولهم بالمغفرة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ غَفُورٌ﴾: مسامح ﴿رَحِيمٌ﴾: واسع العطف والرأفة بعباده المؤمنين.

التكليف: عن أبي هريرة قال ﷺ: إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيَسَلِّمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيَسَلِّمْ فَلْيَسْتِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْأُخْرَى^(١)؛ هذا أدب الجماعة مع قيادتها، الرحمة والدعاء.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣)

﴿لَا﴾: أداة نهي ﴿تَجْعَلُوا﴾: لا تستخدموا ﴿دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾: ألفاظ النداء بينكم لنداء النبي ﷺ كانوا يقولون يا محمد، يا أبا القاسم ويا أبا عبد الله ﴿ك﴾: مثل وكحال ﴿دُعَاءٍ﴾: نداء ﴿بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾: هنا جاء النهي لا، ولكن قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله؛ ولا تدعوه لأموالٍ تافهة، كالتي بين الناس؛ من باب الأدب ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾: ينصرفون خفية ﴿مِنْكُمْ﴾: حرف ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿لِوَاذًا﴾: قال السدي:

(١) سنن أبي داود ٤/٣٥٣ (٥٢٠٨)، قال الألباني: حسن صحيح.

لاذ بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عن الرسول ﷺ؛ فلا يراهم ﷺ، وقيل ينتعدون عن رسول الله ﷺ، وعن كتاب الله ﷻ ﴿فَ﴾: يفيد السبب ﴿أَنَّ﴾: يفيد العلة والسبب ﴿يَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿أَمْرِهِ﴾: قال مقاتل: أي عن سبيله ومنهجه، هم المنافقون الذين يستكثرون الحديث يوم الجمعة؛ فيلجؤوا مع بعض صحابة رسول الله حتى يهربوا من المسجد، كان بعضهم يشير بإصبعه لرسول الله ﷺ؛ فكان يأذن لهم دون أن يتكلم ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ﴾: أن يصيب قلوبهم كفرٌ، أو نفاقٌ، أو بدعة ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين ﴿يُصِيبُهُمْ﴾: يلُمُّ بهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا كالقتل، أو إقامة الحد، أو حبس. ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٤)

﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿لِلَّهِ مَا﴾: جاء اللفظ "ما" الذي يفيد غير العاقل لكثرتة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: كلُّ ما هو فوق الأرض، وحولها ﴿وَالْأَرْضِ﴾: لا جرم أن الله ﷻ هو خالقهم ومالك أمرهم والمستحق بالعبادة؛ ﷻ هو مالك السموات والأرض، وما فيهن ومن فيهن ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد، وليس للاحتمالات ﴿يَعْلَمُ مَا﴾: قد أحاط الله ﷻ جميع الذي ﴿أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: إنَّ الله ﷻ يعلم علم المشاهد، الذي لا يغرب عنه متقال ذرة في السموات والأرض، يعلم أحوال الخلق، سرهم، وعلنهم ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يوم ترجع الخلائق إلى الله ﷻ، يوم القيامة ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾: يخبرهم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿عَمِلُوا﴾: في الدنيا من عمل؛ قليل أو عظيم، صغير أو كبير، جاء في المعنى ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة- ١٣]، وجاء في موضع آخر: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف- ٤٩] ﴿وَ﴾: عطفًا على ذلك إنَّ ﴿اللَّهُ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكره؛ تفيد العموم ﴿عَلِيمٌ﴾: صاحب العلم الكامل، وهذا ما أكدته الآية الكريمة، والحمد لله رب العالمين.

التكليف: بدراسة هذه السورة الكريمة؛ نجد أنَّ الآيات ركزت على كيفية تحصيل المجتمع المسلم من أسباب الفاحشة، وحثرت من دور المنافقين فيها، وكيفية التعامل بأداب الإسلام في الحياة الدنيا.

سُمِّيت بهذا الاسم في عهد النبي ﷺ ولا يُعرف للسورة اسم غيره، جاء وجه التسمية لوقوع لفظ الفرقان فيها ثلاث مرّات في أولها ووسطها وآخرها، وهي سورة مكيّة عند الجمهور، وهي السورة رقم (٤٢) في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة يس، وقبل سورة فاطر، عدد آياتها (٧٧) باتفاق أهل العدد.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١)

﴿تَبَارَكَ﴾: الله ﷻ، وتمجد، وتعظيم، وكثُر خير الذي يحمد نفسه، ويأمر النَّاس بالحمد على ما أنزله، هذا التفاعل من البركة التي هي الكثرة من كلِّ خيرٍ، المستقرة الدائمة ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا للفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿نَزَّلَ﴾: نَزَلَ بوزن فَعَلَ تُفيد التكرار، والتكاثر، وأنزل ﴿الْفُرْقَانَ﴾: القرآن الكريم، متفرقًا أي مُنجمًا بحسب المناسبات بعد أن أنزل مرّةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، تحديد بيت العزّ؛ حتى يفرّق بين الحق والباطل، به يفصل الله ﷻ بين الغيِّ والرشاد، وبين الهدى والضلال؛ فقد كانت الكتب السابقة تنزل جملةً واحدةً، أمّا القرآن فنزل مفرقًا، مفصلاً، آيةً بعد آية، حُكماً بعد حكم، وسُورًا بعد سور، وهذا أحفظُ وأبلغُ اعتناءً ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾: ثناءً وكرماً على محمد ﷺ مُنجمًا، ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾: تخصيصًا للناس كافةً، فرقانًا عظيمًا، للأبيض والأسمر والأحمر ﴿نَذِيرًا﴾: مُحدِّرًا من الكفر، والمخالفة، والعصيان. تمجيد الله ﷻ متعةً للعبد المؤمن وراحةً نفسٍ، واطمئنان؛ لأنّها شهادة حق.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

فَقَدْرَهُ تَفْدِيرًا﴾ (٢)

﴿الَّذِي لَهُ﴾: حرف تمليك ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾: كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها؛ لكونها كرويّة الشكل ﴿وَ﴾: أيضًا له ﷻ مُلك ﴿الْأَرْضِ﴾: هو خالق هذه المخلوقات، ومسيّرها، وهو مالِكها بما فيها، وما عليها دون غيره فهو المتصرف فيهما ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: نَزّه الله ﷻ نفسه أن يكون له ولد، أو زوجة ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَكُنْ لَهُ﴾: تحديدًا ﴿شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: لا شريك له في الخلق ولا في الملك ﴿وَ﴾: عطفاً على ذلك ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق مثال ﴿كُلِّ﴾: عموم الخلق ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتؤكد العموم، فما من مخلوق إلّا من خلقه ﷻ، فالله خالقه، ومالِكه، وإلهه، والكلُّ تحت قهره ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب

﴿قَدَرَهُ﴾: حدّد وخصّص ﴿تَقْدِيرًا﴾: قدر لكل مخلوق صفاته وأعطاه إيّاها ثم هداه، جاء في المعنى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه-٥٠].

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (٣)

﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أيضًا اعتمد المشركون العرب مع كل هذه الأدلة معبوداتٍ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية ﴿دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿الِهَةً﴾: معبودات غير الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَخْلُقُونَ﴾: لا يُوجدون شيئًا من عدم ﴿شَيْئًا﴾: لا تستطيع خلق شيء، والله ﷻ خلقها وخلقهم، وهذه من علامات قصور آلهتهم المزعومة، لا يستطيعون خلق شيءٍ من العدم ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿يَخْلُقُونَ﴾: قد جاء الله ﷻ بهم؛ ولم يكونوا من قبل ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُونَ﴾: لا يقدرُونَ ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾: ما يضرهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿نَفْعًا﴾: لا ينفع أحدهم نفسه إلا بإذن الله ﷻ، فكيف سيمنحون عبيدهم ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾: لا يملكون أن يميتوا أحدًا ﴿وَلَا حَيَاةً﴾: ولا يستطيّلون عمرًا لهم أو لغيرهم، ولو لحظة واحدة ﴿وَلَا﴾: أيضًا لا يملكون ﴿نُشُورًا﴾: ولا يبعثون أحدًا بعد الموت، جاء اللفظ القرآني "النشور" هنا بمعنى البعث أي لا يقدرُونَ أن يبعثوا من في القبور مَنْ صار رمادًا، بينما قال ﷻ عن نفسه: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس-٥٣].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿كَفَرُوا﴾: وهم الكفّار في كلّ وقتٍ وحينٍ بسفاهةٍ عقولهم؛ الذين أخفوا الحقائق التي جاءت في القرآن ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا﴾: القرآن الكريم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿إِفْكٌ﴾: ما هذا القرآن إلا كذب وبهتان اختلقه محمد وأعانه على ذلك أناسٌ آخرون ﴿افْتَرَاهُ﴾: اخترعه اختلقه من تلقاء نفسه، يقصدون محمدًا ﷺ ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَعَانَهُ﴾: ساعده ﴿عَلَيْهِ﴾: على اختلاقه ﴿قَوْمٌ﴾: جماعةٌ من أصلٍ واحدٍ أو أصحابٍ مذهبٍ واحدٍ ﴿آخَرُونَ﴾: والقائل أبو جهل لعنه الله، قال إنّ رجلين هما جبر مولى الحضرمي، وعدّاس غلام عتبة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: قال: «انظروا كيف يصرفُ الله

عَنِّي شَتْمٌ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، إِنَّهُمْ يَشْتِمُونَ مُدَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُدَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»^(١)، **﴿فَقَدْ﴾**: حرفٌ يفيد التحقق في الماضي **﴿جَاءُوا﴾**: اختلقوا وافتروا **﴿ظَلَمًا﴾**: تجاوزوا العدل **﴿وَزُورًا﴾**: كان هذا قول الكافرين بشهادة الله ﷻ، افتراءً عظيمًا.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما جاء سابقًا **﴿قَالُوا﴾**: الكفارُ كذبًا وافتراءً **﴿أَسَاطِيرُ﴾**: أكاذيبهم وقصصهم **﴿الْأَوَّلِينَ﴾**: المكتوبة في كتب الأمم السابقة **﴿اكتتَبَهَا﴾**: استنسخها، وهم يعلمون أن النبي أمي لا يقرأ **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿هي تُمَلَى عَلَيْهِ﴾**: يقرأها عليه **﴿بُكْرَةً﴾**: صباحًا **﴿وَأَصِيلًا﴾**: ومساءً بمعنى أنها تُملَى عليه دائمًا، إن من سخافة الكافرين أن الرسول ﷺ لم يتعلم الكتابة والقراءة، ومات على ذلك، كما عُرف عنه الأمانة؛ فلجؤوا إلى اتهامه فقالوا: ساحرٌ، وقالوا: كاهنٌ، وكذابٌ، ومجنونٌ.

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٦)

﴿قُل﴾: يا محمد وكل أتباع محمد ﷺ **﴿أَنْزَلَهُ﴾**: أنزل القرآن **﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾**: هو الله ﷻ، الذي يعلم ما خفي من خلقه **﴿في السماوات﴾**: هي كل ما علا الأرض وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل **﴿وَالْأَرْضِ﴾**: فكما يعلم ﷻ الأسرار، يعلم الظواهر في السموات وبين أيضًا الأسرار في الأرض **﴿إِنَّهُ﴾**: ﷻ بالتأكيد **﴿كَانَ﴾**: سيبقى فهو باقٍ بلا نهاية **﴿غَفُورًا﴾**: يغفر ويزيل ويمحو الذنوب إذا تابوا **﴿رَحِيمًا﴾**: بخلقه جميعًا، تشجيعًا لعباده بالتوبة مهما كانت جرائمهم.

﴿وَقَالُوا مَالٌ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿قَالُوا﴾**: كفّار قريش الذين أنكروا نبوة محمد ﷺ **﴿مَالٌ﴾**: كيف **﴿هَذَا﴾**: اسمُ إشارةٍ للمذكر المفرد **﴿الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾**: مال هذا الذي يدعي أنه رسول؛ استهزاءً وسخريةً؛ يأكل الطعام مثلنا **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾**: جاء اللفظ القرآني "المشي" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى المشي بعينه كما جاء في قوله ﷻ **﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾** [الإسراء-٩٥]، يمشي مثلنا ويشترى من الأسواق مثلنا، ويتكسب مثلنا **﴿لَوْلَا﴾**: حرف جزم ينفي المضارع **﴿أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾**: الأولى به أن يُنزل عليه من السماء ملكٌ من الملائكة، أي حتى

(١) سنن النسائي ١٥٩/٦ (٣٤٣٨) قال الألباني: صحيح.

يكون رسولاً من الله؛ لنصده **﴿ف﴾**: حرف الفاء استثنائي يفيد السبب؛ يهدف لترتيب الأمر، ويفيد سرعة التنفيذ **﴿يَكُونُ مَعَهُ﴾**: يساعده في إقناعنا **﴿نَذِيرًا﴾**: ويحذّرنا من مخالفة أمره إذا جاء اللفظ نزول الملك على شخص يعني؛ ليهديه، ولكن إذا جاء أنزل إليه ملك؛ ليساعده ويعينه.

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾
(٨)

﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية إمّا نزول ملك أو **﴿يُلْقَى﴾**: يُغذّف **﴿إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾**: يستمر الكافرون في مطالبهم أن يهبط على محمد ﷺ كنز من المال؛ يُنفق، كما يفعل الناس الذين يشتررون ولاء الناس بالمال **﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ﴾**: تملكيا **﴿جَنَّةٌ﴾**: مزارع مثمرة **﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾**: أو يكون له بستان مثمر دائم الثمار، أو مصدر رزق يأكل منه **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿قَالَ الظَّالِمُونَ إِن﴾**: حرف شرط **﴿تَتَّبِعُونَ﴾**: ما وافقتم له واتبعتموه **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿رَجُلًا مَسْحُورًا﴾**: ما هو إلا رجل يتعامل مع السحر.

التكليف: إنّ مطالب كفّار هذا الزمان على منهج كفّار زمن الأنبياء، إذا قيل لهم سنحقق بالإسلام طردًا للاستعمار، أو طردًا للاحتلال من البلاد العربية؛ قالوا هاتوا الأدلة المُسبقة، ليس من باب البحث عن الحقيقة لاتباعها؛ ولكن لوضع شروط تعجيز.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٩)

﴿انظُر﴾: تأمل وتفكر، واستخلص العبر يا محمد، ويا أتباع محمد ﷺ **﴿كَيْفَ﴾**: حرف استفهام يفيد التعجب والاستكار **﴿ضَرَبُوا﴾**: ذكروا **﴿لَكَ﴾**: تحديدًا **﴿الْأَمْثَالَ﴾**: وضعوا شروطًا، إنّ الله ﷻ قادرٌ على أن يحققها وأكثر، ولكن لحكمةٍ قدر لرسوله الدعوة للفهم بالعقل، وليس بالغريرة، أو المصلحة **﴿ف﴾**: حرف الفاء للسبب؛ يهدف لترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿ضَلُّوا﴾**: تاهوا، وتكبو الطريق، ووصفوك بساحرٍ، وكاهنٍ، ومجنونٍ، وكذابٍ، وشاعرٍ، فضلت خطواتهم **﴿فَلَا﴾**: حرف تخصيصٍ ونهي يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن **﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾**: لا يقدرّون **﴿سَبِيلًا﴾**: لا يسيرون على الطريق المستقيم.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُوزًا﴾
(١٠)

﴿تَبَارَكَ﴾: تكاثرت، ونمت البركات من الله ﷻ **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ للفرد المذكر **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿شَاءَ﴾**: إذا أراد **﴿جَعَلَ﴾**: هبًا ووهب **﴿لَكَ﴾**: تخصيصًا **﴿خَيْرًا مِنْ﴾**: حرف بيان

وتمييزٍ للنوع ﴿ذَلِكَ﴾: رزقك أكثر، وأفضل مما عرضوا لك في الدنيا ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾: جنّات الآخرة وأنهاها ﴿و﴾: حرفٌ عطفيّ يفيد هنا الحال ﴿يَجْعَلُ لَكَ﴾: تخصيصًا ﴿فُضُورًا﴾: القصر في لغة العرب، أهل قريش: هو كلُّ بيتٍ من حجارةٍ، كبيرًا كان أو صغيرًا.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١١)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفى ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، جاؤوا بأعجب من ذلك كله ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾: أنكروا يوم القيامة فهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتفكرون فيها ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَعْتَدْنَا﴾: رصد وجّهز الله ﷻ بمشيئته ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾: حرف باء السببية، نارا، شديدة الحرارة تُسعر بمن كذب محمداً ﷺ ودعوته، وكذب بالقيامة، ومصيرُ أهل الكفر فيها ﴿سَعِيرًا﴾: جهنم المشتعلة.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ (١٢)

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط، وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَتْهُمْ﴾: يَصوّر الله ﷻ أنّ النار تنظر إليهم، إذا رأت النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: قال السدي: في مقام الحشر، من مسيرة مائة عام ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾: جاء الكفار صوت جهنم ﴿تَغِيظًا﴾: سمع الكفار صوت اشتعال النار وزفيرها من شدة تغيظها وحنقها وغضبها الشديد عليهم، جاء في المعنى: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك-٧]، وجاء أيضًا: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك-٨] ينفصل بعضها عن بعض؛ من شدة الغيظ على الكفار ﴿و﴾: أيضًا سمعوا لها ﴿زَفِيرًا﴾: قال عبيد بن عمير: إنّ جهنم لتزفر زفرةً لا يبقى ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ؛ إلّا خرّ لوجهه ترتعد فرائصه.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أُلْقُوا مِنْهَا﴾: إذا أُلقي الكافرون في النار ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾: أي كما يُحشر المسمار في الخشب، والوتد في الحائط ﴿مُقَرَّبِينَ﴾: مُقَيَّدَةً أيديهم في رقابهم ﴿دَعَوْا﴾: علا صوتهم يدعون يتضرعون ﴿هُنَالِكَ﴾: في هذا المكان ﴿ثُبُورًا﴾: قال ابن عباس: الويل، وقال الضحاك: الهلاك.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (١٤)

﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَدْعُوا﴾: ترجوا وتطلبوا ﴿الْيَوْمَ تُبْورًا﴾: الهلاك والويل ﴿وَاحِدًا﴾: تُبُورًا وَاحِدًا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿ادْعُوا تُبُورًا كَثِيرًا﴾: يقال لهم لا تدعوا هلاكًا واحدًا؛ بل ادعوا تُبُورًا كثيرًا.

﴿قُلْ أَدْنٰكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ (١٥)

﴿قُلْ﴾: يأمر الله ﷺ رسوله محمدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ ﴿أَمْ﴾: حرف استفهام ﴿ذٰلِكَ﴾: هل الذي وضعناه في عذاب الذين يُحْشَرُونَ على وجوههم، إلى جهنم، في أماكنها الضيقة، وتغيظ، وزفير بلا نصير أو مجير ﴿خَيْرٌ﴾: هل هذا فائدة؟ ﴿أَمْ﴾: أو الذي في ﴿جَنَّةِ الْخُلْدِ﴾: الجنة التي يُخَلَد فيها أصحابها في نعيم ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: التي وُعدت للذين آمنوا بالله ﷻ، وصدقوا رسوله؛ طمَعًا في جنة الله ﷻ؛ وخوفًا من عذابه ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾: أُعدت مخصصة ﴿جَزَاءً﴾: كانت هذه الجنة مقابل إيمانهم ﴿وَمَصِيرًا﴾: هي أيضًا مستقر لهم، ومستقبلهم.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ (١٦)

﴿لَهُمْ﴾: تملك وتخصيص، للمتقين ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿مَا﴾: كل الذي ﴿يَشَاءُونَ﴾: يُريدون من سكن، ومأكل، ومشرب، وملبس، ومركب، ومشاهد مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿خَالِدِينَ﴾: ماكتين فيها بلا انقطاع، أبدًا دائمًا سرمدًا ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ﴾: قدره الله ﷻ وكتبه ﴿وَعْدًا مَسْئُولًا﴾: بمعنى قال ﷻ وعدنا فأنجزنا وعدنا.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾: يجمع الله ﷻ كل الكفار حشرًا ودفعًا وإهانةً من عهد آدم ﷺ وحتى يوم القيامة ﴿وَمَا﴾: معهم الذين من جنس غير العاقل ﴿يَعْبُدُونَ﴾: يطيعون ويتبعون ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: المعبودين من دون الله ﷻ، قال مجاهد: هو عيسى ﷺ، والعزير، والملائكة ﴿فَيَقُولُ﴾: الله ﷻ تقريبًا وتوبيخًا للمجرمين ﴿أَمْ﴾: حرف بغرض الاستفهام والاستنكار والتوبيخ ﴿أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ﴾: أبعدتم عن الطريق الصحيح ﴿عِبَادِي﴾: هل أنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني ﴿أَمْ﴾: حرف استفهام بمعنى هل ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص؛ أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم؟ ﴿ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾: أم هم حادوا عن طريق الهداية والرشاد بمحض إرادتهم.

﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨)

﴿قَالُوا﴾: قال المعبودون من دون الله ﷻ ﴿سُبْحَانَكَ﴾: ننزهك عن كلِّ النواقص ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ يَنْبَغِي لَنَا﴾: لا يجوز ولا يصح ﴿أَنْ﴾: تأكيد الخبر أَنْ ﴿نَتَّخِذُ﴾: نعتد ﴿مِنْ دُونِكَ﴾: غيرك ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وسفيد هنا بداية الغاية المكانية وتمييزٍ للنوع ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: أَنْ نوالي، أو نحبّ، أو نعبد، أو ننصرَ أحدًا سواك ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿لَكِنْ﴾: حرف استدراك ﴿مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ﴾: طال عمرهم، وتمتعوا بنعم الله ﷻ هم وآباؤهم وأجدادهم ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية بمعنى إلى أَنْ ﴿نَسُوا الذِّكْرَ﴾: ضيّعوا ما نزل عليهم على ألسنة الرسل الذين دعوهم إلى عبادة الله وحده ﴿وَكَانُوا﴾: صاروا ﴿قَوْمًا﴾: جماعة أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿بُورًا﴾: قال ابن عباس: قومًا هلك، وقال الحسن البصري: لا خير فيهم، ومن المعلوم في لغة العرب أنّ البور هو الذي لا يُنتج، فالأرض البور أرضٌ جرداء، لا زرع فيها ولا ماء، كما أعمالهم بلا ثواب.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١٩)

﴿فَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: يا أيها الكافرون لقد كذبكم ما عبدتم من دون الله ﷻ، وقد زعمتم إنّهم لكم أولياء ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿تَقُولُونَ﴾: عندما قلتُم أنّهم وسطاء بينكم وبين الله ﷻ ﴿فَمَا﴾: حرف يُفيد خبرًا ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾: لن تقدروا ﴿صَرْفًا﴾: على صرف العذاب عنكم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿نَصْرًا﴾: ولا انتصارًا لأنفسكم ﴿وَمَنْ﴾: الذي ﴿يَظْلِمُ مِنْكُمْ﴾: بعضكم تأذى بظلم نفسه؛ بعبادة من لا يستحق من دون الله ﷻ ﴿نُذِقْهُ﴾: يُصليه الله ﷻ بالتفخيم، بتعظيم وتغليظ العذاب ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾: كبير الحجم، طويل المدة، شديد الإيلام.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢٠)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: الأنبياء والرسل ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطع ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف تأكيد ﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: يأكلون، ويهضمون، ويُخرجون الفضلات، ككل البشر ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: للتكسب وطلب الرزق، أي لا يرزقون أنفسهم، ولا ينتظرون رزقًا من السماء ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿جَعَلْنَا﴾: قررنا، وهينأنا ﴿بَعْضَكُمْ﴾: جزءًا منكم ﴿لِبَعْضٍ﴾: لجزءٍ ﴿فِتْنَةً﴾: ابتلينا بعضكم ببعضٍ؛ امتحانًا واختبارًا ﴿أَنَّ﴾: حرف استفسارٍ للتقرير ﴿تَصْبِرُونَ﴾:

لنرى من يصبر، ويطع الله ﷻ، وممن يعص ولا يصبر على طاعته ﷻ **﴿وَكَانَ﴾**: ويكون وسبقى أبدأ يرى، ويسمع، ويعلم **﴿رَبُّكَ﴾**: المعبود، والمُرَبِّي، وهو المشيء لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ؛ إلى حدّ التمام، وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدَبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمرِك كلّه **﴿بَصِيرًا﴾**: مشاهدًا مشاهدة علم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ (٢١)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَرْجُونَ﴾**: يتمنون **﴿لِقَاءَنَا﴾**: قال الذين لا يأملون لقاء ربهم بعد موتهم لإنكارهم له، هم الذين يكفرون ولا يتمنون يوم القيامة **﴿لَوْلَا﴾**: هلاً **﴿أُنزِلَ﴾**: من السماء **﴿عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾**: قالوا لو ينزل الله ﷻ عليهم الملائكة، يحملون رسالة ربهم؛ ليروها، ولو رأوها ما صدقوا **﴿أَوْ﴾**: حرف يفيد التسوية بين نزول الملائكة وبين **﴿نَرَى رَبَّنَا﴾**: نراه عيانًا بيانًا؛ قالوا إمعانًا في الكفر **﴿لَقَدِ﴾**: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل **﴿اسْتَكْبَرُوا﴾**: نشدوا التكبر والتجبر **﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾**: هم مرضى بمرض إبليس لعنه الله، الذي قال: **﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾** [ص-٧٦] **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد هنا الحال **﴿عَتَوْا﴾**: ظلّموا وتجبروا **﴿عَتَوْا﴾**: وظلموا ظلماً **﴿كَبِيرًا﴾**: وكفروا أشدّ أنواع الكفر، وظلموا أفحش أنواع الظلم.

﴿يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٢٢)

﴿يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ﴾: يوم احتضارهم؛ فتأتي الملائكة، والكفار في سكرات الموت، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ "تبشّرهم الملائكة بالنار؛ قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي دميمة، وأبشري بحميمٍ وعساقٍ، وأخر من شكله أزواج، فلا تزال تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فيسنتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي دميمة، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء، فنرسل من السماء، ثم تصير إلى القبر"^(١)، فيضربونه، جاء في المعنى: **﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَنْدَبَاهُمْ﴾** [محمد-٢٧] **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿بُشْرَى يَوْمَئِذٍ﴾**: كلمة مُكوّنة من "يوم و إذ" بمعنى حدث في ذلك الوقت **﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾**: تخصيصًا والبشرى السارة ليست لهؤلاء، بل هي للمؤمنين، جاء في المعنى، يُقال لهم: **﴿نُنزّلُ عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾** [فصلت-٣٠] تقول

(١) مسند أحمد ٣٧٨/١٤ (٨٧٦٩) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

الملائكة لروح المؤمن: اخرجي أيتها النفس الطيبة من الجسد الطيب، إن كنت تعميرينه اخرجي إلى روح وريحانٍ، وربٍ راضٍ غير غضبان ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾: والحجر هو الحرام، هذا قول الملائكة للكافرين؛ ممنوع عليكم اليوم دخول الجنة، والحجر هو المنع، كما يحجر القاضي على ممتلكات أحد؛ بحيث يمنعه من التصرف فيها.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣)

﴿وَقَدِمْنَا﴾: عطفًا على ما سبق جئنا وعمدنا ﴿إِلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿عَمِلُوا﴾: وقدموا إلينا بما عملوه من مظاهر الخير والبر، يوم القيامة، يوم الحساب، جئنا إلى أعمال المجرمين ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿عَمَلٍ﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، ظنوا أنه منجاة لهم، وأنه مقبولٌ عند الله ﷻ، وهو فاقد شرطه الشرعي، وهو الإخلاص، والتوافق مع شرع الله ﷻ ﴿ف﴾: يفيد السرعة والسبب ﴿جَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾: باطلاً مضمحلًا لا ينفعمهم، وقال علي بن أبي طالب، ﷺ: شعاع الشمس إذا دخل كوة كهف، إذا ذهب أحدكم ليقضي عليه لم يستطع وقال ابن عباس: الماء المُهراق، وقال قتادة: الشجر الجاف الذي تذروه الرياح، وقال عبيد بن يعلى: الرماد إذا ذرته الرياح، جاء في المعنى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم-١٨].

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤)

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: الذين يدخلون الجنة يوم القيامة، يتعمون فيها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: وتراهم في ذلك الوقت، يوم الحساب، في الدرجات العلى، والغرف الآمنة ﴿خَيْرٌ﴾: أفضلُ والأكثرُ خيرًا ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: الذي يقيمون فيها أبدًا ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: حيث يرتاح أصحاب الجنة وقت قائلتهم في الدنيا مع الحور العين على الأسرة، بينما يُقيلُ الله ﷻ الكافرين مقرنين مع الشياطين، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَا يَنْتَصِفُ النَّهَارُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّىٰ يَقِيلَ هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ»، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان-٢٤]، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾^(١)، قال ابن جرير عن سفيان الصواف: يُقصرُ يوم القيامة على المؤمن؛ حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، يتقلب المؤمنون في رياض الجنة؛ حتى يفرغ الناس يوم الحساب.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (٢٥)

(١) الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ٤٦٣/١.

﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿يَوْمًا﴾: القيامة، حيث تحدث الأمور العظيمة ﴿تَشَقُّقُ السَّمَاءِ﴾: انشقاق السماء وتقطرها، وهي انفجار الكواكب والأجرام ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْعَمَامِ﴾: حيث تنفجر السماء بالغمام، وهو ظلّ النور العظيم، الذي يبهر الأبصار ﴿وَنَزَلَ﴾: أنزل ﴿الْمَلَائِكَةُ نَنْزِيلًا﴾: يوم نزول الملائكة من السماوات، يحيطون بالخلائق، في مقام المحشر، يأتي الله ﷻ لفصل القضاء، جاء في المعنى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة- ٢١٠] الملائكة هم حملة العرش، وهم ثمانية، أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك.

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٢٦)

﴿الْمَلِكُ﴾: الكون الثابت الدائم الحق ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في ذلك الوقت، يوم الحساب، يوم القيامة ﴿الْحَقُّ﴾: المالك الحق لهذا الكون هو الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿الرَّحْمَنِ﴾: وحده لا شريك له، اختار الله ﷻ اسم الرحمن؛ ليطمئن المؤمنين في يوم الفرع الأكبر، وفي صحيح مسلم: قال ﷺ: يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟^(١)، ﴿وَكَانَ يَوْمًا﴾: سيكون عليهم، جاء بصيغة الماضي؛ لأنه واقع لا محالة ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾: شديدًا، صعبًا.

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧)

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ﴾: يوم الندم؛ يوم يعضُّ الكافر ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾: ندمًا وتحسرًا، لا يعضُّ على إصبع أو يدٍ واحدة، بل يديه؛ يعاقب نفسه ندمًا، وحسرةً وأسفًا ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾: للتمني المستحيل ﴿اتَّخَذْتُ﴾: اعتمدت ﴿مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: اتبعت الرسول، وسلكت مسلكًا غير الذي سلكت وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، كَانَ يَجْلِسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ لَا يُؤَدِّبُهُ، وَكَانَ رَجُلًا حَلِيمًا، وَكَانَ بَقِيَّةَ فُرَيْشٍ إِذَا جَلَسُوا مَعَهُ آذَوْهُ، وَكَانَ لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ حَلِيلٌ غَائِبٌ عَنْهُ بِالشَّامِ فَقَالَتْ فُرَيْشٌ: صَبَأَ ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَقَدِمَ حَلِيلُهُ مِنَ الشَّامِ لَيْلًا، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: مَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ؟، فَقَالَتْ: أَشَدَّ مَا كَانَ أَمْرًا،

(١) صحيح مسلم ٢١٤٨/٤ (٢٧٨٨).

فَقَالَ: مَا فَعَلَ خَلِيلِي ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ؟، فَقَالَتْ: صَبًا، فَبَاتَ بِلَيْلَةٍ سَوْءٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَاهُ ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَحَيَّاهُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّحِيَّةَ، فَقَالَ: مَا لَكَ لَا تَرُدُّ عَلَيَّ نَحِيَّتِي؟، فَقَالَ: كَيْفَ أَرُدُّ عَلَيْكَ نَحِيَّتَكَ وَقَدْ صَبَوْتُ؟، قَالَ: أَوْقَدْ فَعَلْتَهَا فُرَيْشُ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا يُبْرِئُ صُدُورَهُمْ إِنْ أَنَا فَعَلْتُهُ؟، قَالَ: تَأْتِيهِ فِي مَجْلِسِهِ، فَتَبْرُقُ فِي وَجْهِهِ، وَتَشْتُمُهُ بِأَحْبَبِ مَا تَعْلَمُ مِنَ الشَّمِّ، فَفَعَلَ، " فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَسَحَ وَجْهَهُ مِنَ الذَّرَاقِ، ثُمَّ النَّفْتِ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتِكَ خَارِجًا مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ، أَضْرِبُ عُنُقَكَ صَبْرًا "، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَخَرَجَ أَصْحَابُهُ، أَبِي أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: اخْرُجْ مَعَنَا، قَالَ: تَوَعَّدَنِي هَذَا الرَّجُلُ إِنْ وَجَدَنِي خَارِجًا مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقِي صَبْرًا، فَقَالُوا: لَكَ جَمَلٌ أَحْمَرٌ لَا يُدْرِكُ، فَلَوْ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ، طَرَتْ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ، فَلَمَّا هَرَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، وَحَلَّ بِهِ جَمَلُهُ فِي جُدَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، " فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُسِيرًا فِي سَبْعِينَ مِنْ فُرَيْشٍ، فَأَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ أَقْتُلْ؟، قَالَ: " نَعَمْ " فَقَالَ: لِمَ؟، قَالَ: " بِمَا بَرَّقَتْ فِي وَجْهِهِ "، قَالَ: فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ؟، قَالَ: " النَّارُ "، فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَضْرَبَ عُنُقَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾^(١).

﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨)

﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد يقول متحسرًا ﴿وَيْلَتَا﴾: يدعو الكافر على نفسه بالويل
 ﴿لَيْتَنِي﴾: للتمني ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ﴿أَتَّخِذُ﴾: أصادق، وأصاحب، وأطيع ﴿فُلَانًا خَلِيلًا﴾: صديقًا ورفيقًا، قيل أمية بن خلف، أو أخوه أبي بن خلف، وهي عامّة في غيرهما، في كلّ الأمم وفي كلّ زمان.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ (٢٩)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل
 ﴿أَضَلَّنِي﴾: هذا الصديق أبعدني، سلك بي طريقًا للضياع والتهيه ﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة ﴿الذِّكْرِ﴾: عن الاستماع، وحفظ واتباع القرآن الكريم ﴿بَعْدَ إِذْ﴾: يفيد ما مضى وتحقق

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ٤٢٩/١٤ صححه الألباني في صحيح السيرة ص ٢٠٥.

من الزمن ﴿جَاءَنِي﴾: بعد أن بلغني وسمعته عن الرسول ﴿وَكَانَ﴾: بلا انقطاع ﴿الشَّيْطَانُ﴾: وسبقى الشيطان وأعوانه ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾: حرف اللام تخصيص لكل واحدٍ من البشر ﴿حَدُولًا﴾: يصدّه عن الحق، ويستخدمه في الباطل، ويخذله ولا ينصره، ولا ينفعه؛ الحديث هنا عن صاحب الصالح وإن لم يكن كذلك فهو في مقام الشيطان.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قَالَ الرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ شاكياً ما صنع قومه ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿رَبِّ﴾: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿قَوْمِي﴾: قريش التي أشركت ﴿اتَّخَذُوا﴾: تعاملوا مع ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة ﴿الْقُرْآنَ﴾: القرآن الكريم ﴿مَهْجُورًا﴾: المتروك المهمل، جاء اللفظ القرآني الهجر بمعنى هجر القرآن الكريم متمادين في إعراضهم عنه وتركوا تدبره والعمل به، وقيل هجر رسول الله ﷺ وبمعنى المفارقة حتى لا يستمعوا للقرآن، ومن استمع لم يستجب، وكانوا إذا قرئ القرآن أكثروا من اللغظ والكلام؛ حتى لا يسمعوا، ولا يسمحوا لأحدٍ بالاستماع إليه.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ك﴾: حرف يفيد مثل وحال ﴿ذَلِكَ﴾: أيضاً كما حدث معك يا محمد ﷺ ﴿جَعَلْنَا ل﴾: حرف تخصيص ﴿كُلِّ﴾: تُفيد الجميع ﴿نَبِيٍّ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتؤكد جميع الأنبياء، من أقوامهم كما فعل قومك ﴿عَدُوًّا﴾: مُخاصماً ﴿مِن﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: من المكذبين، الكافرين، لا يتركون الرسول ﷺ في دعوته، بل يحاربونه، ويضلون الناس، وهؤلاء من الإنس، ومن الجنّ ﴿وَكَفَى﴾: يكفيك ﴿بِرَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿هَادِيًا﴾: مرشداً ومعيناً لك على أعدائك، أن يكون الله ﷻ هادياً لك، تؤمن بكتابه، وتصدقّه، وتدعو لاتباعه، وتصبر على الأذى ﴿وَنَصِيرًا﴾: ولك الغلبة عليهم، وينصرك في الدارين.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣٢)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: يبينُ الله ﷻ وسائل الكافرين، واعتراضهم، وتعنتهم، بطلباتٍ يظنونها تعجيزيةً وقتها ﴿لَوْلَا﴾: حرف شرطٍ للتخصيص، أو

الدلالة على منع أمر لوجود غيره ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾: هَلَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿جُمْلَةً﴾: دفعة ﴿وَاحِدَةً﴾: كما كان في الرسالات السابقة؛ كالطورة، والإنجيل، والزبور، وغيرها ﴿كَذَلِكَ﴾: هكذا نَزَّلَهُ اللهُ ﷻ مُنْجَمًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ بحسب الوقائع، والحوادث، والأحكام؛ لتعلم كيفية التصرف فيها ﴿ل﴾: حرف عِلَّةٍ وَسَبَبٍ ﴿نُتِبَتْ﴾: نَمَتْنِ، وَنَقَوِي ﴿بِهِ فُؤَادَكَ﴾: بَيْنَاهُ تَبْيَانًا لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ، وَهُوَ مَرْكَزُ الْوَعْيِ وَالْإِدْرَاكِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: أَظْهَرَنَاهُ إِظْهَارًا، وَقِيلَ: فَسْرَنَاهُ تَفْسِيرًا ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾: وَالرَّتْلُ هُوَ انْتِظَامُ الشَّيْءِ عَلَى اسْتِقَامَةٍ، قِرَاءَةٌ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ ﴿تَرْتِيلًا﴾: عَلَمْنَاكَ قِرَاءَتَهُ وَحَفْظَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ؛ حَتَّى تَحْفَظَهُ، وَالْمَقْصُودُ بِالْتَرْتِيلِ؛ هُوَ التَّنْبِيْتُ.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَأْتُونَكَ بِ﴾: بَاءُ الْاسْتِعَانَةِ ﴿مَثَلٍ﴾: مَا ضَرَبُوا لَكَ مَثَلًا، أَوْ حُجَّةً أَوْ شُبْهَةً؛ لِلتَّشْكِيكِ وَلَا قَوْلًا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿جِئْنَاكَ﴾: أَجْبَنَّاكَ ﴿بِ﴾: بَاءُ الْاِلْتِصَاقِ ﴿الْحَقِّ﴾: بِالصِّدْقِ، وَالْبَيَانِ، وَالْوَضُوحِ، وَالْفَصَاحَةِ ﴿و﴾: أَيْضًا ﴿أَحْسَنَ﴾: أَفْضَلَ ﴿تَفْسِيرًا﴾: شَرْحًا، وَتَوْضِيحًا، وَحَيًّا فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَفِي الْمَقَامِ وَالتَّرْحَالِ.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣٤)

﴿الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مَوْصُولٌ عَلَى سَبِيلِ التَّرْجِيحِ لِلْجَمَاعَةِ الذَّكَورِ، وَتَشْمَلُ النِّسَاءَ أَيْضًا ﴿يُحْشَرُونَ﴾: وَيَجْمَعُهُمُ اللهُ ﷻ، وَيُحْشَرُونَ حَشْرًا فِي ضَيْقٍ ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: كَالدَّوَابِّ وَالْحَيَوَانَاتِ، سَأَلَ أَحَدَهُمْ كَيْفَ هَذَا؛ فَقَالَ ﷺ: أَلَيْسَ الَّذِي أَمَشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟^(١) ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ﴾: إِشَارَةٌ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ﴿شَرٌّ﴾: ضَرَرٌ وَسَوْءٌ ﴿مَكَانًا﴾: مَصِيرٌ هَؤُلَاءِ أَسْوَأَ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا، وَأَسْوَأَ مَكَانٍ فِي الْآخِرَةِ؛ وَهُوَ النَّارُ ﴿و﴾: أَيْضًا ﴿أَضَلُّ﴾: الْأَكْثَرُ تِيهًا وَضِياعًا ﴿سَبِيلًا﴾: مَسْلَكًا، لَنْ يَهْتَدُوا فِي الدُّنْيَا إِلَى تَحْقِيقِ أَهْدَائِهِمْ، وَإِنْ حَقَّقُوا فَمَصِيرَهُمْ إِلَى خَرَابٍ وَدَمَارٍ.

التكليف: هذا ما شهد عليه الصراع بين الحركات الإسلامية والكفار والمشركين وحلفائهم من اليهود والصليبيين.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ (٣٥)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿آتَيْنَا﴾: بعثنا وأوحينا إلى ﴿مُوسَى﴾: يذكر الله ﷻ لنبينه محمد ﷺ قصة موسى ﷺ؛ لينذر

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٦١ (٢٨٠٦).

قومه من مصير المكذبين ﴿الْكِتَابِ﴾: التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ﴾: وجعل الله ﷺ معه أخاه هارون ﴿وَزَيْرًا﴾: نبيًا، مؤازرًا، ومؤيدًا.

﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْرنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ (٣٦)

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد السبب وهو تكليف ﴿قُلْنَا﴾: قال الله ﷻ ﴿أَذْهَبَا﴾: كلفهما الله ﷻ أن يمضيا ويذهبا، لدعوة القوم في الأمم السابقة ﴿إِلَى الْقَوْمِ﴾: الذين من أصلٍ واحدٍ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَذَبُوا﴾: أنكروا صدق ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: الذين لم يصدقوا دعوات الله ﷻ السابقة ﴿فَدَمْرنَاهُمْ﴾: أخذهم الله ﷻ بعذابٍ ذهب بهم ﴿تَدْمِيرًا﴾: زوالًا كاملاً، ومن هؤلاء قوم نوح ﷻ.

﴿وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣٧)

﴿و﴾: أيضًا ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾: الذين عاش معهم نبيهم الوحيد ألف سنة إلا خمسين عامًا ﴿لَمَّا﴾: حرفٌ يفيد ما سبق ﴿كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾: كذبوا نوحًا والذين آمنوا معه، فكان عاقبتهم ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾: عاقبهم الله ﷻ بالغرق جميعًا، ولم يُبق منهم أحدًا، ولم يُبق من بني آدم إلا من ركب السفينة ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿جَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾: بني آدم تخصيصًا ﴿آيَةً﴾: عبرةً ومثلاً لعل النَّاس يتعظون ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: جهزنا، وحضرننا ﴿ل﴾: حرف استحقاق ﴿الظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: تخصيصًا، هذه سُنَّةٌ دائمةٌ مستمرة، كلُّ من كفر يعذبه الله ﷻ في الدنيا، أو يؤخره إلى عذابٍ شديدٍ الإيلام في الآخرة.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٣٨)

﴿و﴾: واذكر هود، وثمود قوم صالح، وأصحاب البئر، قال ابن عباس: هم أهل قرية من قرى ثمود، وقال عكرمة: أنهم كانوا في فلج وهم أصحاب يس، وقال أيضًا الرس وهو بئر رسوا فيها نبيهم، أي دفنوه فيها، وقال قتادة: فيلق من قرى اليمامة ﴿وَقُرُونًا﴾: أيضًا أممًا كثيرة، والقرن هو الأمة التي تعيش في زمنٍ واحدٍ، وإذا ذهبوا خلفهم جيلٌ جديدٌ، وقيل إنها مائة عام، وقيل ثمانون عامًا، وقيل: أممٌ كثيرة، أضعاف من جاء ذكرهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿كَثِيرًا﴾: عديدًا.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا نَبَّرنَا تَنْبِيرًا﴾ (٣٩)

﴿وَكُلًّا﴾: أيضًا كلُّ أمة من هذه الأمم ﴿ضَرَبْنَا﴾: ذكرنا ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿الْأَمْثَالَ﴾: خوفاهم وقصصنا عليهم أخبار المكذبين، جاء اللفظ القرآني المثل في القرآن الكريم على أربعة وجوه؛

هنا بمعنى العذاب كما جاء في قوله ﷺ ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم-٤٥] أوضحنا الأدلة، والبراهين، والحُجج ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد هنا الحال ﴿كُلًّا﴾: وكلهم ﴿تَبَرَّنَا تَبَرُّبًا﴾: عذبناهم عذاباً شديداً فأهلكناهم هلاكاً.

﴿وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا سَوْءَ الْمَطَرِ لَقَدْ يَرَوْنَهَا بَلًا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ (٤٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿آتَوْا﴾: جاؤوا ومرّ قومك يا محمد ﷺ مروراً ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾: لقد كان مشركو مكة يمرون في أسفارهم على قرية سدوم، في فلسطين بالقرب من البحر الميت، وكان يسكنها قوم لوط عليه السلام ﴿الَّتِي أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: التي أنزل الله ﷻ عليها حجارة ﴿مَطَرِ السَّوْءِ﴾: الضرر والشر، عندما قلب الله ﷻ الأرض، وأمطر عليهم من السماء الحجارة التي من سجيل ﴿أَفَلَمْ﴾: أداة توكيدٍ وجزمٍ ﴿يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾: لقد مرّ قومك يا محمد عليها وشاهدوها؛ ألا يعتبرون ويتعظون؟ ﴿بَلًا﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿كَانُوا لَا﴾: حرف نفي ﴿يَرْجُونَ﴾: لم يعتبروا؛ لأنهم يُنكرون، ولا يُريدون ﴿نُشُورًا﴾: أن يؤمنوا بيوم القيامة.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (٤١)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَوْكَ﴾: يخبر الله ﷻ عن سلوك الكفار المكذبين، إذا شاهدوك يا محمد ﷺ ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَتَخَذُونَكَ﴾: يعدّونك ﴿إِلَّا﴾: فقط لأنها حرف استثناء ﴿هُزُؤًا﴾: يقصدون إهانتك، ويعيبون عليك، وينقصون منك؛ استهزاءً، وازدراءً ﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستنكار ﴿هَذَا﴾: هل هذا؟ من باب الاستهزاء ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد المذكور ﴿بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾: هل معقول أن يكون هذا اليتيم الفقير رسولاً لله ﷻ، من اللفظ يبدو أنهم يؤمنون بوجود الله ﷻ، ولكنهم لا يريدون طاعته، واتباع رسوله، وهذا نمط العصر الحديث من الكفار، منهم من يصلي؛ ولكنّه لا يريد اتباع سنة رسول الله ﷺ.

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ (٤٢)

﴿إِنْ كَادَ﴾: يعترف الكفار أنّ الرسول ﷺ أوشك أن يهديهم إلى عبادة الله ﷻ، وترك الأصنام ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿يُضِلَّنَا﴾: جاء اللفظ القرآني "الضلال" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى يصرفنا عن آلهتنا فنترك عبادة الأصنام وجاءت بنفس المعنى في قوله ﷻ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴿الأحزاب-٣٦﴾، وفي قوله ﷺ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ [القلم-٢٦] يجعلنا نُخطئ ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة نترك ﴿إِلَيْهِنَا﴾: يصرفنا عن عبادة أصنامنا؛ بحجته البالغة، وصدقه، وأمانته ﴿أُولَا﴾: تفيد هنا امتناع الضلال لوجود الصبر ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿صَبْرْنَا عَلَيَّهَا﴾: لكنهم استعادوا موقفهم، واستمروا، وأصروا على عبادة أصنامهم ﴿و﴾: عطفاً على موقفهم ﴿سَوْفَ﴾: كلمة وعدٍ لعملٍ في المستقبل ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يُدركون ﴿حِينَ﴾: وقت زمن ﴿يَرُونَ الْعَذَابَ﴾: يوم مُعابنة العذاب من الله ﷻ في الدنيا أو في قبورهم ويوم القيامة في الآخرة ﴿مَنْ﴾: أي الفريقين من جنس العاقل ﴿أَضَلُّ﴾: الأكثر تيهًا وضلالًا ﴿سَبِيلًا﴾: منهجًا، الذي ضلّ، وخسر، وخاصة يوم القيامة.

﴿رَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٣)

﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستنكار والتعجب ﴿رَأَيْتَ﴾: هل شاهدت يا محمد ﷺ ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿اتَّخَذَ﴾: اعتمد وجعل من ﴿إِلَهَهُ﴾: ما يعبده معبوده ﴿هَوَاهُ﴾: كيف كان الذي عبد رغباته، ومطالبه، وشهواته، وترك ما أنزل الله ﷻ إليه، جاء في المعنى: ﴿أَفَمَنْ رُئِيَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر-٨]، قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانًا؛ فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني، وترك الأول، هنا قُدّم المفعول الثاني "إله" للعناية والاهتمام ﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستنكار ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: هل هؤلاء الذين تكون وكيلهم وهم سفهاء؟ إنهم لا يستحقون.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿تَحْسَبُ﴾: هل تظن؟ هل أنت متأكد؟ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيدٍ ونفي الإنكار والشك ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: غالبيتهم ﴿يَسْمَعُونَ﴾: فيدركون المعاني التي نزلت من السماء ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد هنا التسوية بين السمع وبين ﴿يَعْقِلُونَ﴾: فيفهمون ما سمعوا من الهدى؛ فيتخذوا موقف العاقل؛ فيؤمنون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿ك﴾: حرف يفيد مثل أو حال ﴿الْأَنْعَامِ﴾: إن مستوى فهمهم من مستوى فهم الأنعام البقر، والماعز، والجمال ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُمْ﴾: تحديدًا وتأكيدًا ﴿أَضَلُّ﴾: أكثر تيهًا ﴿سَبِيلًا﴾: إنّما هم أسوأ من الحيوانات السارحة، التي تسير ولا تعرف سبيلها؛ أو طريقها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٤٥)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تُبصر فتدرك ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ هو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء من حال إلى حال إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، يوضح الله ﷻ لرسوله ﷺ قدرته وعظمته في خلقه ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: قال ابن عباس ومجاهد: هي الفترة ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ولا شك أنّ الظاهرة أشمل من هذا، فالظلّ ناتج عن تغيير علاقة سطح الأرض الكلي بالشمس، حيث تدور الأرض حول الشمس دورة كاملة كل (٢٤) ساعة، فإذا حُجب سطح من الأرض عن الشمس؛ اختفت الإضاءة، لأنّ منطقة أخرى من الأرض تتعرض له ﴿وَلَوْ﴾: حرف يُفيد الاستفهام والنفي ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿لَنْ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿جَعَلَهُ سَائِنًا﴾: باقياً في مكانه ببقاء الشمس في مكانها، وفي هذا أدلّة عملية حديثة عن حركة الأرض، وحركة القمر حول الشمس، جاء في المعنى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر-٢٨] ﴿ثُمَّ﴾: تُفيد التتابع الزمني مع التباعد والتراخي ﴿جَعَلْنَا﴾: سَخَرْنَا ﴿الشَّمْسَ﴾: ليكون ﴿عَلَيْهِ ذَلِيلًا﴾: لولا حركة الأرض حول الشمس؛ لبقيت الحالة الواحدة، وما كان هناك ليلٌ أو نهارٌ.

التكليف: ألم تر: هي حالة الرؤية البصرية وهي من أدوات الإدراك، بينما ألم تعلم: فهي في حال الرؤية القلبية وهي مركز الإدراك.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَا إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (٤٦)

﴿ثُمَّ﴾: تُفيد التتابع الزمني على التراخي ﴿قَبَضْنَا إِلَيْنَا﴾: إذا طلعت الشمس وتقلص الظلّ يسيراً كلما ازداد ارتفاع الشمس، أو إذا أمسك الله ﷻ أشعة الشمس عن الأرض ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾: جاء اللفظ القرآني "يسير" على ثلاثة أوجه، هنا خفياً وقال ابن عباس: سهلاً، أو يسيراً، وقال مجاهد: خفياً، لا يبقى منه على الأرض ظلّ، وقال أيوب بن موسى: قليلاً، قليلاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٤٧)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾: سخر تخصيصاً ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ساتراً، واللباس هو التغطية، فعندما يلبس الإنسان الثوب يغطي جسده؛ فيخفيه عن المشاهدة، وهكذا يكون في الليل عندما يغيب سراج الدنيا وهو الشمس، ولقد جعل الله ﷻ الظلام يعم الوجود ويغشاه، وقال في آية أخرى ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل-٢١] ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال؛ هو ﷻ أيضاً الذي جعل ﴿النَّوْمَ سُبَاتًا﴾: يعني القطع، السبات؛ هو

السكون، وهذا على المستوى المنظور، مثل الحركة، والكلام، والرؤية، ومظاهر الحياة في النهار، وبالنوم لا تحدث هذه الأعمال، حيث يتوقف العقل عن التفكير، وتتوقف الأوامر بالعمل، والكلام، ومظاهر الحياة اليومية، وتخف عدد نبضات القلب، ويقل عدد مرّات التنفس، وتُسمى الحالة السبات الجزئي، وجوهر السبات: هو في العقل، الذي يدير، ويتحكم في وظائف الحياة، وفي الجسم كلّهُ، بينما يبقى الجزء في الجهاز العصبي الذي يأمر باستمرار التنفس، وعمل القلب، واستمرار عمل الأمعاء في الهضم، واستمرار تنقية الجسم من السموم، والمياه الزائدة التي تفرزها الكليتان **﴿وَجَعَلَ﴾**: قدر **﴿النَّهَارَ نُشُورًا﴾**: جاء اللفظ القرآني النشور على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى التفرق أي جعل انتشار النَّاس في النَّهَار؛ طلبًا للرزق.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨)

﴿و﴾: أيضًا **﴿هُوَ﴾**: الله **﴿بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ﴾** **﴿الَّذِي أَرْسَلَ﴾**: ساق **﴿الرِّيحِ﴾**: تحمل ذرّات الماء المبخرة من البحار **﴿بُشْرًا﴾**: تحمل البشرى وهي ما يسرّ الإنسان **﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾**: مقدمة **﴿رَحْمَتِهِ﴾**: تُبَشِّرُ بنزول الغيث؛ الرحمة من الله **﴿لِلنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ، وَالْإِنْسَانَ، وَكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ﴾** **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد هنا الحال **﴿أَنْزَلْنَا﴾**: جاءت بصيغة الجمع؛ لما فيها من خيرٍ عميم **﴿مِنَ﴾**: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿السَّمَاءِ﴾**: كلّ ما علا الأرض وأحط بها **﴿مَاءً طَهُورًا﴾**: الماء النقي، هو ماء الغيث، صالح؛ لاستخدام الإنسان، والحيوان، والنبات.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مِّنَّا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ (٤٩)

﴿ل﴾: حرف علّة وسبب **﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مِّنَّا﴾**: المقصود هو إحياء الأرض الميتة، هي التي لا تُتَبَت؛ فهي ساكنة، هامة كالميت؛ حتى إذا جاء الماء؛ نبت الزرع للإنسان، والحيوان، والطيور **﴿وَنُسْقِيَهُ﴾**: أيضًا يشرب منه **﴿مِمَّا﴾**: بعضًا أو جزءًا **﴿خَلَقْنَا﴾**: يشرب منه خلق الله **﴿أَنْعَامًا﴾**: التي منها اللحم، واللبن، والركوب، والصوف **﴿و﴾**: أيضًا يشرب منها **﴿أَنَاسِيَّ﴾**: من البشر **﴿كَثِيرًا﴾**: العديد من الذين يحتاجون إلى الماء؛ لاستمرار حياتهم، وزرعهم، وهذا جزء من الفضل على الخلق.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هَؤُلَاءَ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٥٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل **﴿صَرَّفْنَا﴾**: بعد نزول الماء من السماء، جاء تصريف الماء على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى التقسيم **﴿بَيْنَهُمْ﴾**: ورّعناه عليهم حيث نشاء، ونمسكه حيث نشاء، فيمرّ السحاب على الأرض

ولا يمطرها، ويذهب إلى غيرها؛ فيمطرها ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يَذْكُرُوا﴾: لغايةٍ قدرها الله ﷻ، ليعتبر الناس بنعمة المطر عليهم؛ فيشكروه وليتذكروا الذين حرمهم الله ﷻ المطر فيسارعوا بالتوبة. قال ابن عباس: ليس عامٌ بأكثر مطرًا من عامٍ، ولكن الله ﷻ يُصِرُّه كيف يشاء ﴿ف﴾: يفيد السبب ﴿أَبَى﴾: رفض وامتنع ﴿أَكْثَرَ﴾: غالب ﴿النَّاسِ﴾: غالبية البشر بني آدم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿كُفُورًا﴾: جحودًا لفضل الله ﷻ عليهم؛ هؤلاء الذين إذا حرمهم الله ﷻ الغيث؛ كفروا، وإن الذين فسروا هطول الأمطار بغير إرادة الله ﷻ كفروا، وليس معنى ذلك إلا أن نُقِرَّ أَنَّ الله ﷻ وضع قوانين البحر، والتكاثر، وأسباب هطول الأمطار؛ فكلُّها من إرادته، وما الظواهر من الطبيعة إلا من خلقه ﷻ، يسخرها كيف يشاء، وقتما شاء، وهم رفضوا آيات الله ﷻ؛ وأنكروها والله ﷻ أعلم.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَنَبَعْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (٥١)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد المستحيل ﴿شِئْنَا﴾: أردنا بالتعظيم ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿نَبَعْنَا﴾: أرسلنا ﴿فِي كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿قَرْيَةٍ﴾: في كلِّ قومٍ، في كلِّ بلدٍ بلا استثناء ﴿نَذِيرًا﴾: رسولًا، ولكن الله أرسل محمدًا ﷺ للعالمين، وخصه بالبعثة إلى جميع الناس في الأرض؛ ليلبغهم القرآن الكريم، عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ»، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ^(١).

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (٥٢)

﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾: الأمر هو عدم طاعة الكفار ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد هنا الحال ﴿جَاهِدْهُمْ﴾: جاء لفظ القرآني "الجهاد" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى جادلهم وناقشهم، وقاومهم ﴿بِهِ﴾: بالقرآن الكريم ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: قاومهم بالصبر على أذاهم، وتحمل ما تواجه من مشاققة كبيرة في الدعوة.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣)

﴿وَهُوَ﴾: أيضًا هو الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿مَرَجَ﴾: خلق فجعل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: البحر العذب والبحر المالح ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: ماءٌ عذبٌ طيب بارد، وأعذب القوم؛ أي صار لهم ماءً عذبًا ﴿فُرَاتٌ﴾: البحر العذب، قال ابن جريج، وابن جرير: هي المياه الساكنة؛ وكالأنهار، والعيون، والآبار، وقد فرَّق الله ﷻ الماء العذب، ووزعه على الناس في كلِّ مكانٍ

(١) صحيح مسلم ١٣٩٧/٣ (١٧٧٤).

بحسب حاجتهم، وكفايتهم؛ لأنفسهم، وزرعهم **﴿وَهَذَا﴾**: حرف تنبيه وإشارة **﴿مَلْحٌ أجاجٌ﴾**: بحرٌ مالحٌ مُرٌّ، وهي البحار والمحيطات، منها ما يجري ويتواصل، ومنها ما هو مُحاطٌ بالأرض، وكلُّها تموج، وتضطرب في وقت الشتاء؛ بفعل الريح، وفيها المدّ والجزر **﴿وَجَعَلَ﴾**: سَخَّرَ وقَدَّرَ **﴿بَيْنَهُمَا﴾**: بين البحر المالح والبحر العذب **﴿بَرَزْحًا﴾**: حاجزًا، وهي الأرض الساكنة **﴿و﴾**: أيضًا جعل بينهما **﴿حِجْرًا﴾**: منعًا **﴿مَخْجُورًا﴾**: عازلاً يفصل بين البحرين. التكليف: لو كانت البحار كلّها عذبة وهي ساكنة؛ لفسد الوجود فيها، وفسد هواؤها، وفسد الوجود حولها، ولهذا كانت البحار والمحيطات الكبيرة هواؤها صحيحة، قال ﷺ هُوَ الطَّهُورُ مَأْوُهُ الحِلُّ مَيْتَةٌ^(١).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (٤٥)

﴿وَهُوَ﴾: الله ﷻ **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ بالفرد وهو هنا الله ﷻ **﴿خَلَقَ﴾**: أوجد من غير سابق وجود **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿الْمَاءِ﴾**: من ماء النطفة وهو النطفة الحيوان المنوي، والبويضة **﴿بَشَرًا﴾**: الإنسان؛ الذكر والأنثى **﴿ف﴾**: ليكون سببًا **﴿جَعَلَهُ نَسَبًا﴾**: هو طفل ثم يشب، وغير متزوج **﴿وَصِهْرًا﴾**: يبلغ ويتزوج؛ فتنشأ المصاهرة، وتحدث القرابة بين أشخاصٍ وعائلاتٍ **﴿وَكَانَ﴾**: ويبقى بلا زوال ﷻ **﴿رَبُّكَ﴾**: المعبود، والمُرَبِّي، الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، **﴿قَدِيرًا﴾**: كان وسيظل ﷻ قادرًا أن يكون هذا الخلق العظيم من النطفة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ (٥٥)

﴿و﴾: حرفٌ يفيد هنا الحال، ومع كلِّ هذه الدلائل على قدرة الله ﷻ ترى الكفار يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم إن عبده **﴿يَعْبُدُونَ﴾**: يُطيعون **﴿مِنْ دُونِ﴾**: غير **﴿اللَّهِ﴾**: ﷻ، والأصنام، والأفكار، والمعتقدات الباطلة **﴿مَا﴾**: الذي **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَنْفَعُهُمْ﴾**: التي لا تنفعهم بشيءٍ مقارنة مع الطاعة لله ﷻ **﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾**: ولا يصيبهم ضررٌ مع العصيان لهذه الأوثان المادية والفكرية **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿كَانَ﴾**: وسبق **﴿الْكَافِرُ﴾**: المنكر لحقيقة الإيمان **﴿عَلَىٰ رَبِّهِ﴾**: مالك أمر كلِّه، يحاربون يعادون الله ﷻ، وعباده، وأنصاره **﴿ظَهِيرًا﴾**: قال مجاهد: يعين الشيطان على حرب الله ﷻ، وقال أيضًا: يُعينُ ويُظاهرُ الشيطان على

(١) سنن أبي داود ٢١/١ (٨٣)، قال الألباني: صحيح.

معصية الله ﷻ، وقال أيضًا عونًا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك، وقال زيد ابن أسلم: مواليًا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥٦)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي واستثناء ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: لقد أرسلناك يا محمد ﷺ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، وهنا للتخصيص ﴿مُبَشِّرًا﴾: تبشر المؤمنين بالنصر والفوز بالآخرة ﴿وَنَذِيرًا﴾: لتحذر الكافرين بعذابٍ أليم، لمن خالف وعصى.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٥٧)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ وهذا أمر متصل إلى أتباعه إلى يوم القيامة ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: لا أطلب منكم، ولا أنتظر منكم ﴿عَلَيْهِ﴾: مقابل بلاغي لكم، وإنذاري إياكم ﴿مَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية ﴿أَجْرٍ﴾: لا أريد منكم ثمنًا كبيرًا أو قليلًا ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿شَاءَ﴾: من قرّر بقناعةٍ، ويقينٍ، وإيمانٍ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَتَّخِذُ﴾: يسلك ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ﴾: مالك الأمر كله ﴿سَبِيلًا﴾: جاء اللفظ القرآني "السبيل" على أربعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى الطاعة، الذين قرروا أن يطيعوا ويقتدوا بالرسول ﷺ طريق الحق؛ ليصلوا إلى رضا الله ﷻ في الدنيا ورضوانه في الآخرة.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (٥٨)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿تَوَكَّلْ﴾: اعتمد بنيةٍ، ويقين صادق ﴿عَلَىٰ الْحَيِّ﴾: ضع كلَّ أمورك على الله ﷻ الحي ﴿الَّذِي لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمُوتُ﴾: الحيَّ أبدًا، الدائم، الباقي، السرمدى، وكلُّ الخلائق سوف تموت ﴿وَسَبِّحْ﴾: نزهه ﴿بِحَمْدِهِ﴾: حرف باء يفيد المصاحبة؛ قم بتتزيهه ﷻ عن النواقص والقصور، وأحمده وأشكره؛ هذا الاقتران بين التسبيح والحمد، هو ما فعله الرسول ﷺ عندما يقول: سبحانك اللهم وبحمدك ﴿وَكَفَىٰ﴾: يغنيك ﴿بِهِ﴾: الله ﴿بُذُوبِ﴾: حرف باء السبب، خطايا وأثام ﴿عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾: الذي يحصي على المذنبين خطاياهم ويُسجل عليهم، ما يخفون وما يعلنون.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ

بِهِ خَبِيرًا﴾ (٥٩)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد الواحد الأحد، ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: الذي أوجد دون سابق وجود بقدرته ﷻ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل، هذا الملكوت العظيم، السموات وما فيها من أجرامٍ، في ارتفاعها واتساعها، وعلاقتها ببعضها تدور حول

بعض، في تناسقٍ بديعٍ، يكشف اليوم علماء الفلك عظمتَهُ ﴿و﴾: أيضًا خلق ﴿الأرض﴾: أيضًا خلق الأرض بسهولها، وجبالها، وكنوزها، ومائها، وجاذبيتها ﴿و ما﴾: وأيضًا الذي من جنس غير العاقل ﴿بينهما﴾: من هواءٍ، وجاذبيةٍ، وشمسٍ، وقمرٍ، ونجومٍ ﴿في ستة أيام﴾: لا يعلم قدر هذه الأيام إلا هو ﷻ؛ هل هي أيام الأرض، أم أيام أخرى؟ ﴿ثم﴾: حرف يفيد التباعد الزمني ﴿استوى على العرش﴾: لا يعلم الاستواء؛ إلا صاحب الاستواء، ﷻ ﴿الرحمن﴾: رغم قوته التي لا تقارن؛ فهو عظيم الرحمة ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿اسأل به خبيرًا﴾: إذا أردت أن تعرف فاسأل من يعرفه حق المعرفة؛ وهو محمد ﷺ فاتبعه. قال مجاهد: ما أخبرتك به فهو ما أخبرتك، وقال شمس بن عطية: أسأل القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (٦٠)

﴿و﴾: عطفًا على هذا أيضًا ﴿وَإِذَا﴾: أداة ربطٍ ما بعدها بما قبلها ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿اسْجُدُوا﴾: إذا طلب المؤمن من الكافر أن يسجد لله ﷻ على نعمه وفضله ﴿ل﴾: حرف استحقاق ﴿الرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾: قالوا لا نعرف الرحمن، يُنكرون عليه ﷻ اسمه الذي سمى به نفسه؛ رافةً بالناس، ﷻ، فقد رفضوا يوم الحديبية أن يكون اسمه ﷻ مكتوبًا في الوثيقة، وقالوا لا نعرفه ولا نُقرُّ به ﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستنكار ﴿نَسْجُدُ لِمَا﴾: حرف يفيد حدوث شيءٍ في الماضي بمعنى حين ﴿تَأْمُرُنَا﴾: هل نسجد لمجرد أنك طلبت منا السجود؟ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿زَادَهُمْ نُفُورًا﴾: ازدادوا ابتعادًا، بينما سجد المؤمنون طوعًا لله ﷻ.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (٦١)

﴿تَبَارَكَ﴾: تمجد وتعظم الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد وتعني هنا الله ﷻ ﴿جَعَلَ﴾: خلق ﴿في السماء﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كرويةً ﴿بُرُوجًا﴾: منازل، قال مجاهد، والحسن وقتادة، وابن جبير: الكواكب العظيمة ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿جَعَلَ﴾: وضع ﴿فيها﴾: في السماء ﴿سِرَاجًا﴾: هي الشمس، كتلهُ غاز الهليوم الضخمة المشتعلة والمنيرة، قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ [الفرقان-٦١] ﴿و﴾: جعل أيضًا ﴿قَمَرًا مُنِيرًا﴾: مُشرقًا، مضيئًا بانعكاس نور الشمس عليه. ولقد قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس-٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٦٢)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد، ويعني هنا الله ﷻ ﴿جَعَلَ﴾: قدر ﴿اللَّيْلِ وَ﴾: أيضاً قدر ﴿النَّهَارِ خَلْفَةً﴾: يخلف أحدهما الآخر، يأتي الواحد بعد الآخر، يتعاقبان بلا تعبٍ، أو ملئ ﴿ل﴾: حرف تخصيص؛ بمعنى الذي ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَرَادَ أَنْ﴾: تأكيد الفعل ﴿يَذَكَّرُ﴾: من فاته عملٌ في أحدهما؛ فعليه أن يدركه في الآخر ومن فاتته عبادةٌ في النهار؛ أدركها في الليل، كما أن في دراسة ظاهرة تعاقب الليل والنهار بهذه الديمومة، والدقة، والتكرار على مدار الزمن؛ أدلة على عظمة الله ﷻ، تجلّت في عظمة صنعته ﴿أَوْ﴾: حرف يُفيد التسوية بين متعاطفين ﴿أَرَادَ﴾: شاء ورغب ﴿شُكُورًا﴾: شكر الله ﷻ على فضله.

﴿وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿عِبَادَ الرَّحْمَنِ﴾: الذين آمنوا وأطاعوا الله ﷻ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: من صفاتهم أن مشيتهم تتميز بالسكينة، دون تصنعٍ، فيها وقار؛ فلا يتزاحمون من غير تجبر، ولا استكبار، لا يمشون من ضعفٍ أو من تصنعٍ، ولا من بطءٍ مشينٍ، فقد كانت مشية رسول الله ﷺ كأنه ينزل من مكان مرتفع، وكانَّ الأرض تُطوى له، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَهْوِي فِي صَبُوبٍ^(١) ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ﴾: إذا تحدث إليهم ﴿الْجَاهِلُونَ﴾: أو إذا تسافه عليهم الكفار، الذين لا يعلمون حقيقة الإيمان بالله ﷻ ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: جاء اللفظ القرآني "السلام" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى الخير كما جاءت بنفس المعنى في قوله ﷻ ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف-٨٩]، وفي قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود-٦٩]، لا يقابلون السفه بمثله من القول، بل يعفون، ويصفحون، ويقولون خيرًا، وقال مجاهد: معناه سدادًا، وقال ابن جبير: ردوا معروفًا من القول، وقال الحسن البصري: قالوا سلامًا، وخلاصة الردّ أنهم لا يقابلون السفه بمثله.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (٦٤)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من الرجال والنساء ﴿يَبِيتُونَ﴾: يكثر من صلاة الليل الذين هم لا يهجعون في الليل إلا قليلاً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّهِمْ﴾: في طاعة الله ﷻ، هو ﷻ المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء من حال إلى حال إلى حدّ التمام والخالق،

(١) سنن أبي داود ٢٦٧/٤ (٤٨٦٤)، قال الألباني: صحيح.

والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، ﴿سَجْدًا﴾: ساجدين ﴿وَقِيَامًا﴾: قائمين في الصلاة، بين سجودٍ، وركوعٍ، وقيام الليل، وقد جاء في مواضع أخرى ما يوضح مثل: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة-٣٢] وجاء أيضًا: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات-١٧، ١٨].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَقُولُونَ﴾: دعاؤهم ﴿رَبَّنَا﴾: ومع اجتهادهم في العبادة يخافون ربهم فيدعونه ﷻ تقربًا وتحببًا: يا من خلقتنا ومالك أمرنا ﴿اصْرِفْ﴾: هذا دعاء وطلب الرحمة، جاء اللفظ القرآني الصرف على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى ابعد ﴿عَنَّا﴾: حرفٌ يُفيد المجاوزة ﴿عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾: يوم القيامة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: ملازمًا دائمًا، قال الحسن البصري: كلُّ شيءٍ يصيب ابن آدم ويزول عنه؛ فليس بغرام، إنّما الغرام اللازم الباقي مادامت السموات والأرض.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٦٦)

﴿إِنَّهَا﴾: جهنّم بالتأكيد ﴿سَاءَتْ﴾: من مسببات الشر والضرر ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: أسوأ منزل يستقر فيه الناس ﴿وَمُقَامًا﴾: أيضًا بنس المُقيم مقامًا فيها دائمًا، ففي النار حيات، وعقارب أمثال البغال الذم، إذا أُلقي عبدٌ فيها؛ خرجت من أوطانها؛ فأخذت بشفاهم وبشرتهم جلودهم، وأشعارهم رؤوسهم.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦٧)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿إِذَا﴾: حرفٌ عطْفٍ ما بعدها على ما قبلها ﴿أَنْفَقُوا﴾: من أموالهم ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُسْرِفُوا﴾: لم يبذروا، بل ينفقون بحسب الحاجة ﴿وَلَمْ﴾: أيضًا حرف نفي ﴿يَقْتُرُوا﴾: ولم يبخلوا على أهلهم، ويقصروا في حقوقهم ﴿و﴾: عطْفًا على ما سبق ﴿كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: بين الإسراف وبين البخل والتقتير ﴿قَوَامًا﴾: خير الأمور أوسطها.

التكليف: إنّ الإسراف هو ما جاوز أمر الله ﷻ، والإسراف يكون في الإنفاق في معصية الله ﷻ؛ وليست النفقة في سبيل الله من الإسراف.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من الرجال والنساء ممن ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ﴾: لا يعبدون ولا يطلبون من غير الله ﷻ ﴿إِلَيْهَا﴾: معبودًا ﴿آخِرَ﴾: من الأصنام والأوثان والأفكار والبشر ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَقْتُلُونَ﴾: يزهقون أرواح ﴿النَّفْسِ﴾: وخاصّة الإنسان ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول للمفرد المؤنث ﴿حَرَمَ اللَّهُ﴾: قتلها ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿بِالْحَقِّ﴾: حرف باء السببية، هم الذين لا يقتلون الإنسان البريء إلا بما شرّعه الله ﷻ؛ مثل المرتد عن دين الله، والزاني المتزوج، والنفس بالنفس ﴿وَلَا﴾: أيضًا حرف نفي ﴿يَزْنُونَ﴾: قال ﷺ: لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بَعَشْرَ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِأَمْرَأَةٍ جَارِهِ (١) ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس الإنسان ﴿يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ﴾: يجني ويحصد مصيره ﴿أَثَامًا﴾: قال عبد الله بن عمرو: هو وادٍ في جهنّم، وقال عكرمة: أودية في جهنّم يُدبّ فيها الزناة، وقال قتادة: نكالًا، وقال السدي: جزاء. ومن يفعل شيئًا من هذه الكبائر:

﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ (٦٩)

﴿يُضَاعَفُ﴾: يزيد مرّات ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَخْلُدُ فِيهِ﴾: في العذاب المضاعف أبدًا، بلا خروج ﴿مُهَانًا﴾: محقرًا ذليلًا.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿مَنْ﴾: جنس الإنسان الذي ﴿تَابَ﴾: في الدنيا توبةً خالصةً من جميع الذنوب، وفي هذه دليلٌ على توبة القاتل ﴿وَ﴾: عطفًا على توبته ﴿آمَنَ﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله.. ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾: أيضًا يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، بدّل العمل السيئ بعملٍ صالحٍ؛ يُرضي الله ﷻ ورسوله ﷺ ﴿فَأُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للجماعة القريب والبعيد ﴿يُبَدِّلُ﴾: يُغيّر ﴿اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: ما عملوا من شرٍ وضررٍ ﴿حَسَنَاتٍ﴾: قال ابن عباس: إنهم التائبون؛ بدّلوا عملهم السيئ بعمل الحسنات، وقال سعد بن جبیر: أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن، وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين، وبدلًا من نكاح الشركات؛ نكاح المؤمنات، وقال مكحول: يغفر لهم ذنوبهم؛ فيجعلها حسنات، وقيل: انقلاب السيئات قبل التوبة إلى حسناتٍ بعدها ﴿وَكَانَ﴾: الله ﷻ بلا انقطاع ﴿اللَّهُ غَفُورًا﴾: مسامحًا ﴿رَحِيمًا﴾: عظيم الرحمة.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٧١)

(١) البخاري، الأدب المفرد ص: ٥٠ (١٠٣)، قال الألباني: صحيح.

﴿و﴾: أيضًا ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿تَاب﴾: أقلع عن الذنوب إقلاع القلب والعقل والجوارح ﴿وَعَمِل﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس ﴿صَالِحًا﴾: صدق ذلك بجوارحه عملاً بالطاعات ﴿فَائِنُهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾: يتوجه لله ﷻ بتوبته، ويقبل الله ﷻ توبته، وقد جاء في المعنى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة-١٠٤].

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْهَدُونَ﴾: لا يحضرون مجالس ﴿الزُّورِ﴾: قيل مجالس الشرك، وعبادة الأصنام، وقيل الكذب، والفسق، والفجور، واللغو، والباطل، وقيل اللغو والغناء، وقيل مجالس السوء والخنا، وقيل الكذب المتعمد على غيره ﴿وَإِذَا﴾: حرف شرط ﴿مَرُّوا﴾: واجهوا في حياتهم ﴿بِ﴾: باء الصلة ﴿اللَّغْوِ﴾: إذا اتفق مرورهم بالزور من الأقوال الساقطة، وأعمال الملاهي المحرمة ﴿مَرُّوا﴾: ساروا ﴿كِرَامًا﴾: مرّوا مرورًا عابرًا لم يتدنسوا منه بشيءٍ من القول أو العمل.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٧٣)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿الَّذِينَ إِذَا﴾: حرف شرط ﴿دُكِّرُوا﴾: بلّغهم أحدٌ ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِ﴾: بالقرآن الكريم بما فيه من أوامر ونواهٍ، إذا سمعوا كلام ﴿رَبِّهِمْ﴾: المعبود، والمُرَبِّي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالك أمرهم كلّهُ ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ينفي المضارع ﴿يَخِرُّوا﴾: لم ينزلوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا﴾: كأنهم لا يسمعون ﴿و﴾: أيضًا لم يخروا عليها ﴿عُمْيَانًا﴾: وكأنهم لا يبصرون؛ بل وجلت قلوبهم، خافت وتغير ما هم عليه، ولم يقبوا على عصيان الله ﷻ، قال مجاهد: مروا عليها كأنهم لم يسمعوا، ولم يُبصروا، ولم يفقهوا، وقال الحسن البصري: كم من رجلٍ يقرؤها ويخرُّ عليها أصم أعمى، وقال قتادة: لم يُصموا عن الحق ولم يُعموا فيه، لأنهم عقلوا الحق، وانتفعوا بما سمعوا.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾: والرّبُّ هو مالك أمرنا كلّهُ ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾: وهي من الدعاء والتضرع بمعنى ارزقنا من عندك، قال ابن عباس: أخرج لنا من أصلابنا، وأرحام نساتنا من يطيعك ويعبدك وحدك، ويعمل بطاعتك؛ فنقر به أعينهم في الدنيا والآخرة، وقال عكرمة: أن يكونوا مطيعين، ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾:

وقال عبد الله بن أسلم: يسألون الله ﷻ لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: ما تطيب به نفوسنا ﴿وَأَجْعَلْنَا﴾: سخرنا ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يعبدون الله ﷻ بوعي وإدراكٍ ﴿إِمَامًا﴾: جاء اللفظ القرآني "الإمام" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى اجعلنا أئمة يُتقدى بنا في الطاعة؛ هداةً مهديين.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (٧٥)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد، هؤلاء الذين جاء ذكرهم في الآيات السابقة ابتداءً من الآية (٦٣) ﴿يُجْزَوْنَ﴾: ثوابهم وعاقبتهم، جزاؤهم يوم القيامة ﴿الْغُرْفَةَ﴾: الغرفات العالية في الفردوس الأعلى، الجنة بسبب موقعها المرتفع ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿صَبَرُوا﴾: بسبب صبرهم ﴿وَيُلَقَوْنَ﴾: يسمعون ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿تَحِيَّةً﴾: تُبادرهم الملائكة بالتحية والإكرام ﴿وَسَلَامًا﴾: أيضًا لهم السلام، وعليهم السلام بعد التحية؛ يدخل الملائكة عليهم من كل باب، جاء في المعنى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد-٢٤].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٧٦)

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مُقيمين في الجنة أبدًا؛ لا يشيخون، ولا يمرضون، ولا يموتون، ولا يزولون عنها، ولا يبعثون عنها حولًا ﴿حَسُنَتْ﴾: الأحسنُ منظرًا، وجمالًا، وبهاءً ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: إقامةً دائمةً ﴿وَمُقَامًا﴾: وطابت موقعًا، ومنزلًا.

﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (٧٧)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للناس ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْزُبُ﴾: لا يبالي ولا يهتم ﴿بِكُمْ رَبِّي﴾: مالك أمري كله، الله ﷻ ولا يكثرثُ بكم إذا عصيتم، ولم تطيعوه ﴿لَوْلَا﴾: حرف يفيد امتناع ما بعدها وهو العذاب لوجود ما قبلها وهو الدعاء ﴿دُعَاؤُكُمْ﴾: لولا إيمانكم ﴿فَقَدْ﴾: حرف هنا يفيد تحقق الكذب فيما سبق ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: طالما أنكم قد كذبتُم ولم تؤمنوا أيها الكافرون ﴿فَ﴾: حرف سبب ﴿سَوْفَ﴾: كلمة تفيّد تحقق الوعد في المستقبل ﴿يَكُونُ﴾: يتحقق ﴿لِزَامًا﴾: سيكون العذاب ملزمًا لكم كما حدث في موقعة بدر وملزمًا لكم في القبر ويوم القيامة، إنَّ جزاء كفركم ملزمًا لكم؛ بسببه تُعذبون، وتُهلكون في الدنيا وفي الآخرة.

التكليف: بدراسة مقاصد السورة الكريمة؛ ندرك نتائج حالة التمايز بين المؤمنين بصفاتهم، ودخولهم الجنة، والكافرين بصفاتهم، في الآية (٧٦)؛ بدخول المؤمنين الجنة، وفي الآية (٧٧) بهزيمة الكفار في الدنيا، ودخولهم النار.

جاءت تسمية سورة الشعراء في كتب السنّة ووجه التسمية لأنها تفردت من بين السور بذكر كلمة الشعراء، وهي سورة مكّية وترتيبها (٤٧) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الواقعة، وقبل سورة النمل، وعدد آياتها (٢٢٧) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طسم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة أنّ الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرف ﴿ط﴾: أراها، والله أعلم، تعني أيها النبي، ويعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٢) آيات الكتاب التي نزلت على محمد ﷺ، وجاء في الآية رقم (٢) ﴿بَاخِعُ نَفْسِكَ﴾ والضمير يعود على محمد ﷺ، وجاء في الآية (٥) ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا﴾ وهو القرآن الكريم الذي نزل على محمد ﷺ، وجاء في الآية رقم (٦) ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بما أنزل على محمد ﷺ، وجاء في الآية رقم (٩) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ وجاء في الآية رقم (١٠) ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ﴾ ولم يأت اسم يعود الضمير عليه قبل ذلك.

حرف ﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل وتوكيد القول في المستقبل، ويعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٤) ﴿نُنزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ وجاء في الآية (٦) ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ حرف الفاء: يفيد السبب، وحرف السين: لتأكيد الفعل يأتهم أنباء. حرف ﴿م﴾: يعني اسم محمد ﷺ، ويدل على هذا ما جاء في الآية رقم (٢) ﴿آيَاتِ الْكِتَابِ﴾ وهي آيات القرآن الكريم، الذي نزل على محمد ﷺ، ولم ينزل القرآن على غيره، وجاء في الآية (٣) ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ﴾ ولم يرد ذكر اسم أحد من قبله في السورة، وجاء في الآية (٥) ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ والذكر هو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، وهذه تعني التأكيد على أنّ هذه آيات القرآن الواضح، طمأنة لنفس محمد ﷺ.

﴿تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (٢)

﴿تِلْكَ﴾: إشارة للمفرد المؤنث البعيد ﴿آيَاتٍ﴾: هي الأدلة والبراهين في ﴿الْكِتَابِ﴾: القرآن الكريم ﴿الْمُبِينِ﴾: آيات القرآن الموضح لكل شيء، الجلي، الذي يفصل بين الحق والباطل.

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

﴿لَعَلَّكَ﴾: حرف يدل على الإشفاق من الله ﷻ على محمد ﷺ ﴿بَاخِعٌ﴾: مهلك قاتل ﴿نَفْسِكَ﴾: ذاتك وجوهرك؛ لشدة حرصك على هدايتهم، وحزنك، وخوفك عليهم ﴿أَلَا﴾: حرف تخصيص ﴿يَكُونُوا﴾: يصيروا ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: أسفاً وحزناً بسبب عدم إيمان قومك بما جاءك من الحق، فقد أصروا على كفرهم.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (٤)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط، بمعنى إذا ﴿نَشَأْ﴾: إذا أردنا أن ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل، نزل عليهم ﴿آيَةً﴾: معجزة تلجئهم إلى الإيمان بالله ﷻ ﴿ف﴾: حرف سبب استثنائي بهدف ترتيب الأمر ﴿ظَلَّتْ﴾: بقيت ﴿أَعْنَاقُهُمْ﴾: وعليها رؤوسهم ﴿لَهَا﴾: تخصيصاً ﴿خَاضِعِينَ﴾: تُجبرهم قهراً على خضوع رؤوسهم، في ذلّة ومهانة، لكن الله ﷻ يريد من الخلق أن يؤمنوا بإرادتهم، ووعيمهم، واختيارهم، وهذا من فضله على الناس، وتكريمه لهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (٥)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: ما يصل إلى المجرمين؛ فيعلمون ﴿مِنْ﴾: حرف جر يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية ﴿ذِكْرٍ﴾: خطاب فيه موعظة، منجماً لهم وتذكيراً ليؤمنوا عن بصيرة ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: من الله ﷻ ﴿مُحَدَّثٍ﴾: كلما نزل كتاب على رسولٍ بعد رسولٍ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿كَانُوا﴾: صاروا ﴿عَنْهُ﴾: حرف يُفيد المجاوزة ﴿مُعْرِضِينَ﴾: مُكذِّبين ومُستكبرين ومُعرضين عن سماعه والتصديق بما فيه.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦)

﴿فَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿كَذَّبُوا﴾: أنكروا بكل رسالة جديدة ﴿ف﴾: حرف يُفيد التعقيب؛ بسبب ذلك ﴿س﴾: حرف يُفيد تأكيد الفعل في المستقبل ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: سوف يُصيبهم، سينزل عليهم ﴿أَنْبَاءُ﴾: أخبار الأمر ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا بِهِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: الذي كانوا به يسخرون جرأً تمردهم على ربهم فإن عاقبة تكذيبهم واستهزائهم بالمؤمنين؛ غضب الله ﷻ، يحقق فيهم عذابه، ولو بعد حين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (٧)

﴿أَوْ لَمْ﴾: اسم مركب يُفيد الاستنكار ﴿يَرَوْا﴾: ألم يشاهدوا ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: ما يحدث في الأرض ﴿كَمْ﴾: تُفيد الكثرة ﴿أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: قصة الزرع المختلفة، بين شجر، وخضار، وحبوب، وزهور، وثمار، وحيوانات، وطيور تعيش على هذه المزروعات، ويتغذى عليها الإنسان ﴿مِنْ﴾

كَلٌّ: تفيد العموم **زَوْجٍ**: من كل نوع **كَرِيمٍ**: جاء اللفظ القرآني "كريم" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى الحُسن، الكريم على الله ﷻ، وصاحب المنزلة كما جاء أيضًا في قوله ﷻ **﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾** [النساء- ٣١]، وفي قوله ﷻ **﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِي إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾** [النمل- ٢٩].
التكليف: قال الشعبي: النَّاسُ من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٨)

﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿فِي ذَلِكَ﴾**: ما جاء ذكره من إنبات الأرض، في خلق هذه المخلوقات الكريمة في الأرض **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿آيَةً﴾**: دليل على قدرة الله ﷻ الخالق لها ولغيرها، بسط، مدّ ومهدّ الأرض، ورفع السماء، وأجرى السحاب من البحار، وأنزله على بذور نباتات، وأشجار **﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿كَانَ﴾**: في الماضي والحاضر والمستقبل **﴿أَكْثَرُهُمْ﴾**: غالبيتهم **﴿مُؤْمِنِينَ﴾**: بالرغم من كل ما سبق ذكره؛ فإن غالبية الناس كفروا، وكذبوا الرسل.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٩)

﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد **﴿رَبِّكَ﴾**: المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو بذلك مالك أمرك كلّ **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾**: الذي لا يغلبه شيء، القاهر، والغالب، والمسخر لإرادته ﷻ كل شيء **﴿الرَّحِيمُ﴾**: عظيم الرحمة بكلّ خلقه؛ فمن عصاه أجله حتى يتوب، فإذا أصرّ على كفره؛ أخذه وقهره؛ فهو عزيزٌ في انتقامه، رحيمٌ بمن تاب.

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠)

﴿وَإِذْ﴾: اسم مبني على السكون يدلُّ على ما مضى من الزمن، واذكر أيها الرسول لقومك يوم **﴿نَادَى﴾**: كلم **﴿رَبُّكَ﴾**: الله ﷻ مالك أمرك كلّ **﴿مُوسَى﴾**: ﷺ من جانب الطور الأيمن وناجاه **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿ائْتِ﴾**: اذهب إلى **﴿الْقَوْمِ﴾**: هم جماعة من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ **﴿الظَّالِمِينَ﴾**: قوم فرعون، الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله ﷻ، وظلموا المؤمنين، وأدلوهم، وقتلوهم، واستخدموا نساءهم.

﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنُ أَلَّا يَتَّقُونَ﴾ (١١)

﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ﴾: الظالمون هم قوم فرعون، وهم سكان مصر في عهد موسى ﷺ ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿يَتَّقُونَ﴾: يخافون الله ﷻ في الخلق وفي أنفسهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كله ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَخَافُ﴾: إنني أتوقع وأخشى ﴿أَنْ﴾: حرفٌ يُفيد تأكيد الفعل ﴿يُكَذِّبُونَ﴾: يتهمونني بالكذب، ولا يصدقون دعوتي.

﴿وَيُضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ (١٣)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿يُضِيقُ﴾: ينقبض ﴿صَدْرِي﴾: يملأ صدري الغم لتكذيبهم، ويكتسي قلبي الهم، والحزن بسبب تكذيبهم ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْطَلِقُ﴾: لا يتكلم ﴿لِسَانِي﴾: أعجز عن الكلام بالحجة البالغة، لعيب في لساني، أو من العنت، أو أخشى من المجادلة؛ ألا أقدر على إقناعهم ﴿ف﴾: بسبب هذا الحال ﴿أَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾: فاجعل أخي هارون رسولاً معي؛ يُصدّقني؛ ويناصح معي.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٤)

﴿و﴾: أيضاً ﴿لَهُمْ﴾: حرفٌ تخصيص لقوم فرعون ﴿عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾: بسبب قتلي للقبطي الذي كان سبباً في خروجي من مصر ﴿ف﴾: بسبب ذلك وبدون تأخير ﴿أَخَافُ أَنْ﴾: حرفٌ يُفيد تأكيد التخوف أن ﴿يَقْتُلُونِ﴾: تكون عقوبة قتلي للقبطي أن يقتلوني، ولا أستطيع تبليغ الرسالة. التكليف: كانت أذار موسى ﷺ، هي تكذيب فرعون له، وضعف قوة موسى وضعف طلاقة لسانه التي يشك في كمالها، وخوفه من القتل، وكلها ليست من منطلق خوفٍ، أو تخاذلٍ؛ فالله ﷻ معه، ولكنّه يريد أن يتقوى بالله ﷻ في مهمةٍ كبيرةٍ، وهذه سنة من سنن الدعاة، قبل الذهاب إليها لا بد من معالجة النقص، وسد الثغرات.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (١٥)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ يا موسى ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع، وزجر، واستنكار، لا تخف من كل ما ذكرت فلن يقتلوك فقد أجبت طلبك في هارون ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَذْهَبَا﴾: أقضيا وأمضيا ﴿ب﴾: باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: إلى فرعون حاملين المعجزات الدالة على صدقكما، جاء الأمر بالمتنى، موسى وأخيه، إشارة إلى قبول الله ﷻ لطلب موسى ﷻ بأن يكون معه أخوه هارون ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، من الله ﷻ، وجاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿مَعَكُمْ﴾: قال الله ﷻ ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾: نسمع، ونرى بحفظنا ونصرنا وتأييننا لكما.

﴿فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿آتِيَا﴾: اذهبا إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾: وملئه، وهم القادة، والوزراء، والأمراء
﴿فَقُولَا﴾: أمر القول لهم بدون تأخير ﴿إِنَّا﴾: نحن الاثنان ﴿رَسُولُ﴾: إِنَّا مُرْسَلَانِ إِلَيْكَ وَإِلَى
قومك، وجاءت رسول بالمفرد؛ لأنَّ الدعوة واحدة، ولم يقلوا إِنَّا رسولا رب العالمين، فكلُّ واحدٍ
منهما رسول، والدعوة واحدة ﴿رَبِّ﴾: مالك أمر كلِّ ﴿الْعَالَمِينَ﴾: ولم يقلوا ربُّك أو ربنا بل
جاءت بكلِّ شمول ربِّ العالمين، مالك كلِّ شيءٍ، وفي هذا تعظيم لقوة من أرسلهما ﷺ، وتخويفاً
لفرعون.

﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٧)

﴿أَنْ﴾: حرفٌ يُفيد تأكيد الفعل ﴿أَرْسِلَ﴾: أطلق بني يعقوب من خدمتك ليخرجوا معي من
مصر، ﴿مَعَنَا﴾: بعد هذه المقدمة كان الطلب؛ اسمح ل ﴿بَنِي﴾: أبناء وأحفاد ﴿إِسْرَائِيلَ﴾:
يعقوب ﷺ، أَنْ يخرجوا من مصر، الذي جاء بهم يوسف ﷺ، منذ سنين، ارفع يدك عن بني
إسرائيل، الذين أسرتهم، وقتلتهم، واستعبدت نساءهم. هذه جرائم كلِّ عصرٍ: القتل، والأسر،
والاستعباد، والنفي.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (١٨)

﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهامٍ تُفيد التقرير، بمعنى استفهامٍ تقريرٍ ﴿نُرَبِّكَ﴾: منحناك
العناية في سن الطفولة ﴿فِينَا﴾: قُمنا بتربيتك في قصرنا، وأنفقنا عليك من مالنا؟ جاء اللفظ
القرآني "في" على سبعة أوجه، هنا بمعنى عند كما في قوله ﷺ ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا
مَرْجُوعًا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [هود-
٦٢] وفي قوله ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود-٩١] ﴿وَلِيدًا﴾: لقد فعلت كلمات موسى وهارون فعلها
في فرعون؛ فبدأ فرعون يذكر فضله عليهما؛ وقال نحن الذين ربيناك عندنا في قصرنا وكننت
وليداً حديثاً ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَبِثْتَ﴾: مكثت، أقمت إقامةً دائمةً ﴿فِينَا﴾: في كنفنا ﴿مِنْ﴾: حرف
جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية الزمانية ﴿عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: أمضيت سنين، وكبرت،
وصرت شاباً في رعايتنا وكنفنا، وعلى موائدنا، وفراشنا.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩)

﴿وَفَعَلْتَ﴾: ارتكبت ﴿فَعَلْتَكِ﴾: قتلت القبطي رغم إحساننا إليك؛ ﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾: جريمتك يوم
نفذت ﴿وَأَنْتَ﴾: عطفاً على ما سبق كنت ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية

الغاية المكانية ﴿الكَافِرِينَ﴾: جاء اللفظ القرآني الكفر على وجهين؛ هنا بمعنى الكفر بالنعمة كما في قوله ﷺ ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة-١٥٢]، كنت من المنكرين لفضلنا عليك، الجاحدين لإحساننا إليك.

التكليف: العجيب أنّ فرعون القاتل بالجملة يهتم بقضية قتل فردٍ واحدٍ من الأقباط، وينسى أنّه كان يقتل نصف المواليد من بني إسرائيل كلّ عامٍ، وهو منهج كلّ عصرٍ، إذا قتلوا الآلاف من المسلمين لا غبار عليهم، وإذا قُتل أحدهم تحركت منظمات حقوق الإنسان، والجيوش.

﴿قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٢٠)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿فَعَلَّهَا﴾: قتلت القبطي، أي المصري ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء ﴿وَأَنَا مِنَ﴾: حرف تمييز وتأکید ﴿الضَّالِّينَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الضلال" على ثمانية أوجه، هنا بمعنى الجهل، قتلته قبل أن يُوجي إليّ ربي، ويُنعِم عليّ بالرسالة، قال ابن عباس: وأنا من الجاهلين.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢١)

﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد السبب؛ هنا بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿فَرَرْتُ﴾: هربت ﴿مِنْكُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الفرار" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى هربت من بينكم، فارًّا إلى مدين، وجاءت بمعنى الكراهية في قوله ﷺ ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة-٨] ﴿لَمَّا﴾: حرف يدلُّ على حدوث فعلٍ في الماضي ﴿خِفْتُمْ﴾: لَمَّا خفت أن تقتلوني بما فعلت من غير عمد، ولكن تغيير الحال ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿وَهَبَ﴾: أعطاني دونَ ثمن ﴿لِي﴾: تخصيصًا ﴿رَبِّي﴾: مالك كلّ أمري ﴿حُكْمًا﴾: وهب لي ربي النبوة والعلم أصبحت قويًّا بالله ﷻ ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿جَعَلَنِي﴾: أعدني لأكون ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: اتسعت مهمتي وأصبحت رسوله ﷻ، وكلفني بدعوتك، وقومك إلى الإيمان؛ فإنّ أطعت نجوت، وإنّ خالفت خسرت.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢٢)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿تِلْكَ﴾: اسمُ إشارةٍ للبعيد المفرد المؤنث ﴿نِعْمَةٌ﴾: فضلٌ ومنَّةٌ على تربيتك لي في بيتك ورعايتي ولم تستعبدني ﴿تَمُنُّهَا﴾: تتفضل بها ﴿عَلَيَّ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿عَبَّدتَّ﴾: جعلتهم عبيدًا ﴿بَنِي﴾: أبناء وأحفاد ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، عليهم السلام، وقد أسأت أنت إلى قومي كلّهم؛ فجعلتهم عبيدًا لك، وسخرتهم لمصلحتك، وكنت تشقُّ عليهم، وتقتل كلّ مولودٍ منهم عامًّا بعد عام.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣)

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: فقد آلمته صراحةً موسى ﷺ، فنقل الكلام ﴿وَمَا﴾: حرف استفهام عن غير العاقل ﴿رَبُّ﴾: لم يعرف فرعون أنّ الربُّ هو المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: هذه مبالغة من فرعون في الكفر والعناد؛ فاستخدام ما التي تُستخدم لغير العاقل ولم يقل من التي تُستخدم للعاقل؛ يسألُ مُستكراً، قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص-٣٨]، هو لا يعترف برَبِّ سواه.

التكليف: سأل فرعون عن الجنس بقوله ما رب العالمين ولو قال من رب العالمين لسأل عن ذات الله ﷻ ولكنه لم يفعل ذلك تكبُّراً وتعالياً.

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٤)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿رَبُّ﴾: مالك ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيبضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضاً ﴿الْأَرْضِ وَمَا﴾: ربّ الذي من غير العاقل، مثل الكواكب، والنجوم ﴿بَيْنَهُمَا﴾: من كواكبٍ، وأقمارٍ، ونجومٍ، وملائكةٍ، وبشرٍ، وغيرهم؛ هو خالقهم، وهو مالِكهم، وهو رازقهم، وهو المُحيي والمميت لمن شاء منهم ﴿إِنَّ﴾: حرفٌ يُفيد الشرط ﴿كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾: تستخدمون عقولكم، وتحكمون قلوبكم، وتستفيدون من أبصاركم، وسمعكم؛ لدراسة ما حولكم وأيقنتم أنّه مالك، صاحب العالمين.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (٢٥)

﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: الذين من جنس العاقل ﴿حَوْلَهُ﴾: من الوزراء، والأمراء، والمستشارين ﴿أَلَا﴾: حرفٌ يُفيد التنبيه، انتبهوا لما ﴿تَسْتَمِعُونَ﴾: جاء استفهامُ فرعون بغرض التهكم والاستخفاف بما يقول موسى ﷺ، من عجيب القول بوجود ربِّ غيري؛ مُستهزئاً مُتهكماً، ومُكذِّباً لموسى، وهارون، عليهما السلام، وهو يُحرِّضُ أعوانه على إبداء تعجبهم مما يقول موسى ﷺ.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (٢٦)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ، مُتحدياً وبإصرارٍ ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾: ومالك آبائكم، وأجدادكم، ومالك الخلق كلّهُ من قبلكم، وفي هذا مخاطبة عقل الحضور، إذا كان فرعون يقول، مالكم من إلهٍ غيره، فمن كان إله من كان قبله، وبهذا يعني أيضاً أنّه إذا مات فرعون لن يبقى لكم إله بعده.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧)

﴿قَالَ﴾: فرعون لخاصته يستثير غضبهم لتكذيب موسى له، قال فرعون مستهزئاً ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَسُولَكُمْ الَّذِي﴾: اسمٌ موصوِّفٌ للواحد المذكور ﴿أُرْسِلَ﴾: نزل ﴿إِلَيْكُمْ﴾: فيكم ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿مَجْنُونٌ﴾: أتهم موسى ﷺ، بالجنون، وهذا منهج كلِّ الكافرين؛ إذا فشلوا في الحجة؛ لجأ الكفار إلى السبِّ، والشتم، والتحقير، هذا ديدنهم في كل زمان، والأوصاف التي تُطلق على الحركات الإسلامية اليوم خير شاهدٍ.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٨)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ، مُستمرّاً في الضغط على فرعون في الصراع على كسب عقول المستمعين ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾: ركز موسى ﷺ، على المشرق فالكل يعرف أنّ الشمس تُشرق، والمشرق الذي تطلع منه الكواكب، وتظهر ﴿و﴾: أيضاً ﴿رَبِّ الْمَغْرِبِ﴾: وهو ربُّ المغرب، الذي تغرب فيه الشمس وهم يرونها ﴿وَمَا﴾: أيضاً الذي ﴿بَيْنَهُمَا﴾: بحيث يفيد هو ربُّ الكرة الأرضية على حدّ ما يرون ﴿إِنَّ﴾: حرف شرطٍ ﴿كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: كنتم توقنون بغروبها في المغرب، وهذا منهج إبراهيم ﷺ يوم قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي الشَّمْسَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة-٢٥٨].

﴿قَالَ لئن اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩)

عندما انقطعت الحجة، وجاء دورُ العنف، منهجُ كلِّ كافرٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿لئن﴾: حرف شرط، بمعنى إذا ﴿اتَّخَذْتَ﴾: اخترت واعتمدت ﴿إِلَهًا﴾: معبوداً ﴿غَيْرِي﴾: حرف استثناءٍ إنْ عبدت غيري ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿أَجْعَلَنَّكَ﴾: بكلِّ أدوات التوكيد؛ سأجعلك ﴿مِن﴾: حرف جرٍّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْمَسْجُونِينَ﴾: سأضعك في السجن، مُذكِّراً بقصة يوسف ﷺ البريء، الثابت براءته. إنَّ سجن الأبرياء خيار الظالم المهزوم حجةً ومنطقاً.

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿أَوْلَوْ﴾: حرف شرط يفيد الاستنكار والاستفسار ﴿جِئْتُكَ﴾: ماذا ستقبل إن أحضرت لك أمام الشعب ﴿بِشَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد العموم ﴿مُبِينٍ﴾: بدليلٍ واضحٍ.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١)

﴿قَالَ﴾: فرعون **﴿ف﴾**: حرف استثنائي يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ **﴿أَتِ بِهِ﴾**: أحضره، اعرض ما عندك من الدلائل بسرعة **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿كُنْتَ مِنْ﴾**: حرف يفيد التمييز، **﴿الصَّادِقِينَ﴾**: إن كنت صادقاً دعنا نراه؛ مُعْرَضًا بصدقه؛ فلسان حال فرعون هو أنك كاذب حتى الآن.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٢)

﴿فَأَلْقَى﴾: موسى **﴿عَصَاهُ ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب والسرعة **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾**: فتحوّلت العصا إلى ثعبان حقيقي، واضح، جسّد ثعبان، وفم كبير، وشكل ضخم؛ وليس كما فعل سحره فرعون. انظر لتفسير قوله **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** [الأعراف-١٠٣].

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق **﴿نَزَعَ يَدَهُ﴾**: أخرج موسى عليه السلام يده من جيبه، وقيل هي فتحة قميصه المفتوحة إلى الصدر أو من تحت إبطه **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر، ويفيد السبب والسرعة **﴿إِذَا﴾**: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها وهو بياض اليد بما قبلها **﴿هِيَ﴾**: أصبحت، صارت **﴿بَيْضَاءُ ل﴾**: حرف تخصيص **﴿النَّاظِرِينَ﴾**: تخصيصاً كقطعة الثلج والقمر تتلألاً، دون برص، أو مرض؛ تبهر الناظرين حقيقة وليس وهماً.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤)

﴿قَالَ﴾: فرعون **﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾**: تخصيصاً للوزراء والأمراء والحاشية **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿هَذَا﴾**: حرف تنبيه مُستهزئاً بموسى **﴿سَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾**: قال فرعون لبطانته، ووزرائه، ومستشاريه: إن موسى **﴿ل﴾**: حرف علّة وسبب **﴿سَاحِرٌ﴾**: وليس رسولاً **﴿عَلِيمٌ﴾**: إنّه ساحرٌ بارع؛ وهذا منهج الكفار المستمر؛ التشكيك في قدرة الله **﴿و﴾** وفي صدق رسله، عليهم السلام.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (٣٥)

﴿يُرِيدُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل **﴿يُخْرِجَكُمْ﴾**: يريد موسى ومن معه أن يُسيطر على قلوب الشعب من حولكم، وتصبحوا له ناصرين، ويقتلحكم **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية، من كل أو بعض **﴿أَرْضِكُمْ﴾**: ممتلكاتكم، وسلطانكم، ويكون زعيم البلاد والعباد، أي ينقلب عليكم، وينزع شرعيتكم هذا **﴿ب﴾**: بآء السببية **﴿سِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾**: يتودد إليهم،

لاستجلاب الرضا في مواجهة المعجزات؛ يقول لهم ماذا تأمرون؛ وهو الجبار المتكبر، وكأنه يريد مشاورتهم؟

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦)

﴿قَالُوا﴾: حاشيةُ السوء ﴿أَرْجِهْ﴾: أجله ﴿و﴾: أيضًا أجل ﴿أَخَاهُ﴾: قال المَلَأَ وطلبوا من فرعون أن يُؤخَّرَ التصرف مع موسى وهارون، عليهما السلام، هل لأنهم شاهدوا معجزاتٍ وليس سحرًا؟ أم أرادوا أن يكون عقابُهم رادعًا لغيره؛ الله أعلم ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَبْعَثْ﴾: أرسل ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾: اجمع النَّاسَ من كلِّ مدن المملكة والأقاليم ﴿حَاشِرِينَ﴾: جمعٌ كبيرٌ، واجعلهم في صعيدٍ واحدٍ.

﴿يَأْتُوكَ بِكَلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ﴾ (٣٧)

﴿يَأْتُوكَ﴾: يجلبون لك ﴿بِكَلِّ﴾: أكثر أو جميع السحرة ﴿سَحَارٍ﴾: الأكثر خبرة وقوةً على السحر، ولم يقل ساحر، بل سَحَارٌ بصيغةِ فَعَالٍ للمبالغة وأضافوا عليها أن يكون ﴿عَلِيمٍ﴾: ضليعٌ عليمٌ بالسحر؛ فهم أصنعُ النَّاسِ، وأسحرهم للنَّاسِ.

﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٨)

﴿ف﴾: بسرعة ﴿جَمَعَ﴾: أحضر ﴿السَّحَرَةَ﴾: جاؤوا مسرورين بدعوة فرعون، فلها ما بعدها، من عطايا ومنح، جاؤوا من كلِّ أقاليم مصر ﴿ل﴾: حرف بمعنى إلى ﴿مِيقَاتِ﴾ تحديد موعِد ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: يومٍ محددٍ بالزمان والمكان، وهو وقت الضحى الذي يتفرغ فيه النَّاسُ من أشغالهم.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قِيلَ لِلنَّاسِ﴾: حرص أعوان فرعون على حشد أكبر عددٍ من النَّاسِ، وسألوهم للتأكيد ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام يفيد التشكك والاستفسار ﴿أَنْتُمْ﴾: بالتحديد ﴿مُجْتَمِعُونَ﴾: أمرهم ولم يستشيروهم؛ ليحضروا، دعاهم فرعون ليشهدوا هزيمة موسى.

﴿لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤٠)

﴿لَعَلْنَا﴾: حرفٌ يفيد التوقع والترجي عند البشر ﴿نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾: نتبعهم في دينهم لنقف نؤيد السحرة، وهذا قولٌ صريحٌ من المَلَأَ إلى النَّاسِ: إننا سنتبع السحرة، ولم يقولوا نتبع الصدق والحق، فالنَّاسُ في حالة القهر يكونون على دين ملوكهم؛ خاصة إذا كانوا من المنتفعين ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانُوا هُمُ﴾: تحديداً ﴿الْغَالِبِينَ﴾: وليست هذه مشروطة، بل هم يتبعون السحرة على كلِّ حال؛ لأن فرعون يريد ذلك.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأْجُزُا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤١)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيد حدوث الخبر ﴿جَاءَ السَّحْرَةُ﴾: عندما اجتمع السحرة عند فرعون، وسط مظاهر العظمة، من خدم، وحشم ووزراء ورؤساء البلاد ﴿قَالُوا ل﴾: حرف تخصيص ﴿فِرْعَوْنَ﴾: حرف استفهام ﴿إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿لَنَا﴾: تخصيصاً ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿أَجْزَا﴾: نحن جننا نريد عطايك ومنحك ﴿إِنْ﴾: بشرط إذا ﴿كُنَّا﴾: تحققت ﴿نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾: غلبتنا وانتصارنا كمنتصرين على موسى وهارون.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (٤٢)

﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿نَعَمْ﴾: كانت الإجابة سريعة نعم أُجيب طلبهم على الفور، ستأخذون الأجر ﴿و﴾: أيضاً ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بكل تأكيد ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مِنَ﴾: حرف جر يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانيّة ﴿الْمُقْرَبِينَ﴾: وستكونون جلسائي وأهل حُظوتي.

التكليف: هذا المشهد لم يخلُ منه عصرٌ من العصور، فأعضاء التنظيمات الضالّة والمنحرفة، يعملون بالأجر، ويسعون بكلّ وسيلةٍ للتقرب من الحاكم؛ الذي يُقربهم لولائهم، وليس لعلمهم.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ﴾ (٤٣)

﴿قَالَ لَهُمْ﴾: تحديداً ﴿مُوسَى﴾: طلب موسى من السحرة في مشهدِ المواجهة الكبرى، والحشد العظيم، واللحظة الفارقة؛ أراد أن يقهرهم بالحجة ويظهر لهم أنّ الذي جاء به يختلف عن سحرهم ﴿أَلْقُوا﴾: ارموا أمام الناس سحركم ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَنْتُمْ مُلقُونَ﴾: ما حضّرتموه للمواجهة من سحركم، الذي تستخدمون.

﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَلْقُوا﴾: رموا ﴿حِبَالَهُمْ و﴾: أيضاً رموا ﴿عِصِيَّهُمْ﴾: يكشف الله ﷻ في هذه الكلمات ما هي أدواتهم، حبال وعصي ﴿و﴾: وعطفاً على إلقاء الحبال والعصي ﴿قَالُوا ب﴾: قيل عن حرف الباء هنا ليست للقسم؛ بل أشبه بالتبرك والاستعانة وهي أشبه بالباء في بسم الله عند المسلمين ﴿عِزَّة﴾: بعظمة ﴿فِرْعَوْنَ إِنَّا﴾: نحن بكل تأكيد ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿نَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾: بالتأكيد نحن نفعل ذلك لرفع شأن فرعون، وهذا بعباء وإنعام فرعون، ولقد كرروا الحديث عن أنفسهم، وهذا منهج الضالّين، إذا تحدثوا كانت أنا حاضرةً على لسانهم دائماً، هذا الغرور الذي يعتقدون أنهم به ينتصرون.

﴿فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥)

﴿ف﴾: يُفِيدُ السببَ والتتابعَ السريعَ ﴿أَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾: بعد أن هدأت الساحة، وتحركت حبالُ السحرة، بما وضعوا فيها من مواد، لتبدو أنها تتحرك، ألقى موسى ﷺ، عصاه، وسط هذه الحبال والعصي ﴿فَإِذَا﴾: حرف يفيد مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هِيَ﴾: عصا موسى ﴿تَلَقَّفُ﴾: تتناول الشيء بالدقة والحذق بالفم، تبتلع وتخطف ﴿مَا﴾: الذي، من جنس غير العاقل، وهي الحبال والعصى ﴿يَأْفُكُونَ﴾: وسائل الخداع وما حدث قبلها وهو إلقاء حبال وعصي السحرة، كل ما ألقى السحرة، اختفت أدواتهم، وزالت حيلهم، ولم يبق على الأرض دليل من كذبهم وسحرهم الضعيف أمام إرادة الله الغالبة.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (٤٦)

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿أَلْقَى السَّحَرَةُ﴾: أدرك السحرة أن عصا موسى ليست سحرًا، وأن موسى ﷺ ليس ساحرًا مثلهم، وأصابهم الرعب من غضب الله ﷻ؛ فخرّوا ﴿سَاجِدِينَ﴾: سجدوا لله رب العالمين.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧)

﴿قَالُوا﴾: الذين كانوا سحرة فرعون ﴿آمَنَّا﴾: صدّقنا وتيقنا ﴿بِرَبِّ﴾: هو مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: مالك السماوات والأرض ومن وما فيهن.

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٤٨)

﴿رَبِّ﴾: خالق ومالك كل أمر ﴿مُوسَى وَ﴾: أيضًا مالك كل أمر ﴿هَارُونَ﴾: قالوا ذلك تبيكياً لفرعون أنه ليس برب، وأن الرب الحقيقي هو الله رب العالمين ومن عباده فرعون نفسه، بآياته الباهرة، والأدلة الواضحة.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٩)

﴿قَالَ﴾: فرعون غاضبًا لهزيمته وتخلي السحرة عنه ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار والتوبيخ على الفعل ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾: هل آمنتم له وسلّمتم بما جاء به، وصدقتموه؟! هنا اقترن الإيمان بحرف اللام آمنتم له؛ فهذا إيمان تصديق، وأمّا إذا اقترن الإيمان بالباء آمنتم به؛ فهو إيمان عقائد ﴿قَبْلَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿آدَنَ﴾: أسمح ﴿لَكُمْ﴾: وهذا منهج المتسلطين الجبارة، كل شيء يجب أن يكون بإذنهم، حتى ولو كان الإيمان، وبدأ فرعون يتهمهم ﴿إِنَّهُ﴾: يؤكد أن موسى ﴿ل﴾: حرف تخصيص وعلّة وسبب ﴿كَبِيرُكُمُ الَّذِي﴾: اسم موصول للفرد

المذكر ﴿عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ﴾: وهذا منهجُ الجبارة، كلُّ شيءٍ حولهم مؤامرةٌ ضدَّهم أو معهم، وهذا كذبٌ فاضحٌ، كيف يكون موسى هو كبيرهم، وكيف يكون هو علمهم، وهم حول فرعون ولم يكن موسى معهم أبدًا قبل ذلك، وبدأ فرعون يُفرغ غضبه ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿ل﴾: حرف يفيد هنا القسم ﴿سَوْفَ﴾: وعد لحدوث شيء في المستقبل وهو هنا العلم ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تدركون الحقيقة ﴿لَأَقْطَعَنَّ﴾: أفصل وأمزق ﴿أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾: وهي أدوات التعذيب والقتل عنده ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يفيد بيانَ وتمييزَ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿خِلَافٍ﴾: قطع اليد اليمنى وقطع الرجل اليسرى، أو العكس ﴿وَأَصْلَبَنَّاكُمْ﴾: أيضًا بالتأكيد سأعلقكم على الصلبان الخشبية ﴿أَجْمَعِينَ﴾: لا أستثني منكم أحدًا.

التكليف: هذا مثلث المتكبرين الظالمين في العصر الحديث، فراعنة كلِّ زمانٍ: الأول: ألا يفعل الشعب شيئًا إلا بإذنه، والثاني: إلصاق التهم بالمعارضين، والثالث: القتل، أو السجن، أو الصلب، أو هذه كلها.

﴿قَالُوا لَا صَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (٥٠)

﴿قَالُوا﴾: المؤمنون ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿صَيْرَ﴾: لا نُبالِي، لا يضرُّنا، ولا يمنعنا ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿إِلَى رَبِّنَا﴾: مالك أمرنا كله ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾: راجعون في كل الأحوال سنموت، ونعود إلى الله ﷻ.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥١)

﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿نَطْمَعُ﴾: والطمع هو نزوع النفس إلى شيءٍ شهوةً له نرجو ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَغْفِرُ﴾: يمحو ﴿لَنَا خَطَايَانَا﴾: يُسامحنا الله ﷻ على ما ارتكبنا من ذنوب السحر والكذب؛ ﴿أَنْ كُنَّا﴾: صرنا ﴿أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: جاء اللفظ القرآني أول على أربعة أوجه، هنا بمعنى أول من آمن نحن الذين بادرننا بالتصديق بموسى، وأمنًا بالله ﷻ في هذا النظام الكافر.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ (٥٢)

كان بعد موت يوسف ﷻ، بفترة طويلة اشتغل بنو إسرائيل في المال والتجارة، وقد كانوا في عهد يوسف ﷻ، من سادة القوم، وبعد أن أفسدهم المال؛ نَقَمَ النَّاسُ والحكامُ عليهم؛ كما يحدث في تاريخهم المعاصر، وفي كل مراحل حياتهم، وبخاصة في أوروبا، وقد عاملهم الفراعنة في السابق بقسوةٍ، فكان فرعون يُذبح كلَّ وليدٍ ذكرٍ في عامٍ، ويترك المواليد الذكور في العام الذي يليه؛ حتى يتوفر منهم العبيد، وبعد المناظرة الكبرى؛ أمر الله ﷻ بأمرٍ ﴿و﴾: عطفًا على تهديد

فرعون للمؤمنين الجُدُّ ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾: أمر الله ﷺ موسى ﷺ ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَسْرٍ﴾: يمشي وقت طلوع الفجر ﴿بِعِبَادِي﴾: أن يتحرك بنو إسرائيل في الليل، ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿مُتَّبِعُونَ﴾: أخبر الله ﷺ موسى، أن فرعون وجنوده سيحاولون اللحاق بهم إذا علموا بهروبهم من مصر.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٥٣)

﴿ف﴾: حرف سبب استئنافي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ؛ فبعد أن علم فرعون بمسير بني إسرائيل من أماكنهم للخروج من مصر ﴿أَرْسَلَ﴾ بعث ﴿فِرْعَوْنُ﴾: أسرع فرعون في طلب جنوده ليجمعوا ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾: التجمعات السكانية الكبيرة، ومراكز الجيوش؛ ليعيدوا بني إسرائيل ﴿حَاشِرِينَ﴾: جمع كبير من الجنود وحُكَّام المدن، أشبه بالتعبئة العامة في عصرنا.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (٥٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَؤُلَاءِ﴾: تنبيه وتحريض وإشارة للبعيد، قال فرعون مُحرِّضًا على بني إسرائيل، فوصفهم ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿شِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾: طائفة حقيرة، عددهم قليل، جاء اللفظ القرآني قليل على ستة أوجه، هنا بمعنى القلة عددًا في مواجهة كثيرين منكم، مُشجعًا لجنوده بعد قضية ثعبان موسى.

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ (٥٥)

﴿وَ﴾: عطفاً على هذا ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد أتباع موسى ﴿لَنَا﴾: لفرعون وأتباعه ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿لَغَائِظُونَ﴾: إن أتباع موسى قد ملأوا صدورنا غيظًا؛ لأنهم خالفوا ديننا وخرجوا من البلاد بغير إذننا؛ لقد سببوا لنا الغضب، والغليظ منذ زمن، وخاصة بعد فوز موسى في يوم المواجهة.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَائِزُونَ﴾ (٥٦)

﴿وَإِنَّا﴾: نحن فرعون وحاشيته ﴿لَجَمِيعٌ﴾: ونحن علينا جميعًا أن نكون ﴿خَائِزُونَ﴾: نتابع تحركاتهم والعمل على إحباط مخططاتهم، ونحذر من كيد موسى ومن معه، ونخشى من غدرهم، وقد قررنا استئصالهم وإبادتهم.

التكليف: هذا منهج الكافرين، اتهام المؤمنين دائمًا بالمؤامرة على الوحدة الوطنية.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٥٧)

﴿ف﴾: حرف سبب استئنافي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَخْرَجْنَاهُمْ﴾: أخرج الله ﷻ فرعون وقومه من أرض مصر بالاستئصال، بهدف إظهار صعوبة خروج المؤمنين مع

موسى ﷺ، قال الله ﷻ بصيغة الجمع؛ أخرجناهم بهدف الإخبار عن عظم ما أصاب فرعون وجنوده ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿جَنَاتٍ﴾: ذات البساتين، والحقول، والمزارع، وخيرات بلادها ﴿و﴾: أيضًا أخرجناهم من الانتفاع من ﴿عَيْنٍ﴾: وينابيع الماء العذب والأنهار، وبخاصة نهر النيل.

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (٥٨)

﴿و﴾: أيضًا أخرجناهم وحرمانهم من ﴿كُنُوزٍ﴾: ما يُستخرج من باطن الأرض من الذهب، والمعادن ومخازن المال ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: جاء اللفظ القرآني المقام على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى المساكن وهي منازل عالية واسعة، فيها من الأموال، والملك، والجاه الوافر، وهذه متاع الحياة الدنيا، وهذا ما هو موجود في مدن مصر حتى الآن.

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٥٩)

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا كما أخرجنا فرعون وقومه من نعيم البلاد قال القرطبي: بعد هلاك قوم فرعون ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَوْرَثْنَاهَا﴾: حلّ محلّهم ﴿بَنِي﴾: أبناء النبي ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: أورث الله ﷻ بني إسرائيل أرض الشام، بنعيمها الذي مثل نعيم مصر.

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ (٦٠)

﴿ف﴾: حرف سبب استئنافي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿اتَّبَعُوهُمْ﴾: سار فرعون بجنوده، وأمراءه، ووزرائه، وكبراء القوم، والجنود ﴿مُشْرِقِينَ﴾: ساروا خلف موسى وبني إسرائيل، وقت شروق الشمس؛ أي طلوعها.

التكليف: من الفوائد ضرورة توقع لجوء كلّ كافرٍ للمواجهة العسكرية، إذا فشلوا في المناظرات، أو الانتخابات.

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (٦١)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيد التتابع والسبب ﴿تَرَأَى﴾: شاهد ﴿الْجَمْعَانَ﴾: شاهد كلُّ فريقٍ الفريق الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى﴾: وقولهم صحيح؛ لأنّ عدوهم الجبابرة كانوا على سهوات الجياد، وفي العربات التي تجرها الخيول ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من أصحاب موسى ﷻ بصيغة الجمع؛ للتوكيد ﴿ل﴾: حرف علةٌ وسبب ﴿مُدْرِكُونَ﴾: لقد لحقوا بنا بالتأكيد؛ وكانوا في رعبٍ، وخوفٍ كبيرٍ.

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع، وزجر، واستنكار، ليس الأمر كما ذكرتم، حقًا، لنْ يدركونا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿مَعِيَ﴾: ومعكم أيها المؤمنون ﴿رَبِّي﴾: حقًا إِنَّ الله ﷻ سيؤيدني وينصرني، ولنْ يدركونا ﴿سَ﴾: حرف تأكيد الفعل في المستقبل ﴿يَهْدِينِ﴾: يدلني على طريق النجاة؛ وقد وصلوا بالفعل إلى بحر القلزم، والأرجح من الجغرافيا والآثار أنه البحر الأحمر، الذي يفصل بين مصر وسيناء، أو خليج السويس، والله ﷻ أعلم.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٣)

﴿ف﴾: حرف سبب استثنافي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَوْحَيْنَا﴾: أوحى الله ﷻ ﴿إِلَىٰ مُوسَى﴾: ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اضْرِبْ بِ﴾: حرف باء الإلصاق ﴿عَصَاكَ الْبَحْرَ﴾: كان هارون في المقدمة ومعه يوشع بن نون، ومؤمن آل فرعون، وخلفهم موسى ﷺ، فلما جاء الأمر بعد دعاء موسى: يا من كان قبل كل شيء، والمكُون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء؛ اجعل لنا مخرجًا ﴿فَانْفَلَقَ﴾: انشق البحرُ إلى اثني عشر طريقًا بعدد قبائل بني إسرائيل، قال محمد بن إسحق: أوصى الله ﷻ البحر إذا ضربك موسى بعصاه؛ فانفلق له فرقًا، فبات البحرُ يضطربُ ويضربُ بعضه بعضًا؛ فانشق بأمر الله ﷻ ﴿فَكَانَ﴾: صار ﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾: كلُّ قطعة انفصلت من البحر ﴿ك﴾: مثل ﴿الطُّودِ﴾: قال ابن عباس، وابن مسعود، والضحاك، وقتادة: كالجبل ﴿الْعَظِيمِ﴾: الكبير، وقال ابن عباس: صار البحر اثني عشر طريقًا لكل سبطٍ طريق، وقال السدي: صار في البحر طاقات نوافذ ينظر بعضهم إلى بعض، وقيل: أرسل الله الرياح إلى قاع البحر؛ ففتحه؛ فأصبح يابسًا كوجه الأرض، جاء في المعنى: ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه-٧٧].

﴿وَأَرْزُقْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ﴾ (٦٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما فات ﴿أَرْزُقْنَا﴾: قرَّب الله ﷻ ﴿نَمَّ﴾: اسمٌ يُشار إلى المكان البعيد، هناك ﴿الْأَخْرِينَ﴾: جاء استعمال كلمة "الأخرين" هنا في حق فرعون ومن معه من جنوده للتحقير.

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (٦٥)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَنْجَيْنَا﴾: جاء اللفظُ بصيغة الجمع لعظم الحدث ﴿مُوسَىٰ وَ﴾: أيضًا أنجينا ﴿مَنْ﴾: الذين من جنس العاقل ﴿مَعَهُ﴾: بني إسرائيل ومن اتبعهم من المؤمنين ﴿أَجْمَعِينَ﴾: لم يهلك أحد.

﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾ (٦٦)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفيد التتابع مع التباعُد الزمني ليس فوراً ﴿أَغْرَقْنَا﴾: كان الغرق ﴿الْآخِرِينَ﴾: لفرعون ومن معه؛ على التراخي لمزيد من العذاب في البحر، فلم يبق منهم أحدٌ إلا هلك، حيث أُطبق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه في إثر موسى وقومه معه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في هذه القصة وما فيها من عجائب وغرائب، وكيف نجا الله ﷻ موسى والمؤمنين، وكيف هلك فرعون والمجرمون ﴿لآيَةً﴾: دليلٌ حكمةً بالغة؛ أنّ نصر الله ﷻ إذا جاء لا يخضع لموازين ومعايير البشر، كانت نجاهُ نوح ﷺ من الغرق، ونجاهُ إبراهيم ﷺ من النار، ونجاهُ لوط ﷺ، من الخسف، ونجاهُ موسى ﷺ من البحر ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾: الغالبية منهم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: هلك المجرمون السابقون ومع ذلك بقيت البشرية تعاني من أكثرية كافرة لا تتعظ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦٨)

﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿رَبَّكَ﴾: المُربي، وهو المنشئ للكون بما وبمن فيه من حالٍ إلى حالٍ؛ إلى حدّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فيها طمأننة لمحمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف تأكيد ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنتقم من أعدائه، صاحب القوة لا يغلبه ولا يغلبه أحبابه أحدٌ ﴿الرَّحِيمُ﴾: واسع الرحمة بعباده؛ يرحمهم من بطش الكافرين في الدنيا، وينصرهم عليهم إن شاء، ويدخلهم جنّته يوم القيامة.

﴿وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩)

﴿وَ﴾: عطفاً على ما سبق وتنتقل السورة إلى قصّةٍ أخرى من قصص الأنبياء قائلًا لنبيه محمد ﷺ ﴿إِذْ﴾: قصّ ﴿عَلَّمْنَا﴾: على المسلمين ﷺ ﴿نَبَأً﴾: خبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: أقصص يا محمد على الكافرين خبر قصة إبراهيم وذلك قبل قصة موسى عليهما السلام، هو خليل الله ﷻ، إمام الحنفاء، يتلوا الله ﷻ قصته على نبيّه محمد ﷺ؛ ليتأسوا به، فقد كان إبراهيم ﷺ رسولاً وهو صبي، وكان قد أنكر على قومه عبادة الأصنام، ولم يسكت على جهلهم.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٧٠)

﴿إِذْ﴾: حرف يدلُّ على ما مضى من الزمن بمعنى حين ﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ ﴿ل﴾: تخصيصاً ﴿أَبِيهِ﴾: سأل إبراهيم أباه وهو يعلم ﴿وَقَوْمِهِ﴾: لم يتركهم دون سؤال ﴿مَا﴾: حرف

نفي، وجاءت هنا ما معبرة؛ فهي تفيّد غير العاقل **﴿تَعْبُدُونَ﴾**: أي شيء تطيعون؛ يريد أن يلزمهم الحُجّة.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ (٧١)

﴿قَالُوا نَعْبُدُ﴾: نُطِيع **﴿أَصْنَامًا﴾**: هي التماثيل **﴿ف﴾**: يُفيد السبب **﴿نَنْظِلُّ﴾**: نبقى مُقيمين مواطنين **﴿لَهَا﴾**: وعلى عبادتها تخصيصًا **﴿عَاكِفِينَ﴾**: أجابوا بلسان حالهم مؤكدين أنهم يعبدون أصنامًا وسيظلون على عبادتها ملتزمين دائمين.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (٧٢)

﴿قَالَ﴾: بدأ الصبي إبراهيم عليه السلام، يُخاطبُ عقولهم بسؤالٍ، وهو يعرف إجابته، ويعرف الإجابة، ولكن ليجعلهم يعيدوا التفكير فيما يفعلون **﴿هَلْ﴾**: حرف استفهام للتشكيك **﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾**: وهي إشارة إلى أنّ آلهتهم جامدة **﴿إِذْ﴾**: حرف يفيد ما مضى من الزمن، سألتموهم حين **﴿تَدْعُونَ﴾**: تطلبون منهم، والإجابة: لا يسمعون شيئًا فكيف تسمع دعاءكم حين تتوجهون إليها بالدعاء. التكليف: جاء أسلوبُ المجادلة هنا أفضل كي يُوصلهم إلى الحقيقة.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (٧٣)

﴿أَوْ﴾: حرفٌ يُفيد التسوية بين متعاطفين **﴿يَنْفَعُونَكُمْ﴾**: لا ينفعوكم بشيء إذا سألتموهم مألًا، وعافيةً، وحمايةً من الأعداء؟ **﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾**: هل إذا أسأتم إليهم يدافعون عن أنفسهم بقوة؟ فيهزموكم أو يضروكم؟ والإجابة: لا.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤)

﴿قَالُوا﴾: الكفار **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾**: وأجدادنا **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل هذا **﴿يَفْعَلُونَ﴾**: إنهم بهذا الرّد كانوا كالأنعام تسير الأولى في الطريق؛ فيتبعها القطيع؛ بلا تفكير، هم على نمط القطيع وجدنا آباءنا يفعلون؛ فقلدناهم.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٥)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام **﴿أ﴾**: حرف استفهامٍ بغرض الإنكاري المتضمن التوبيخ والسخرية **﴿ف﴾**: حرف سبب استئنافي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ **﴿رَأَيْتُمْ﴾**: أما بصرتم بتدبير ما عبدتم من الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع، هل تأملتم حتى تروا **﴿مَا﴾**: يفيد غير العاقل **﴿كُنْتُمْ﴾**: من قبل **﴿تَعْبُدُونَ﴾**: أما بصرتم بتدبير ما كنتم تعبدون في السابق من الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر.

﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ (٧٦)

﴿أَنْتُمْ﴾: هذا الجيل ﴿و﴾: أيضًا الأجيال السابقة ﴿آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾: وأجدادكم الأوائل.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧)

﴿ف﴾: بسبب عبادتكم للأصنام ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿عَدُوٌّ لِي﴾: ما تعبدون من دون الله إنهم أعدائي وأنا عدوهم؛ لأنهم لا ينفعون، ولا أخاف منهم ضررًا، كانت هذه أولى خطوات الإيمان، التبرؤ من كلِّ معبودٍ قبل عبادة المعبود الحقيقي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿رَبِّ﴾: فهو مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: إنَّ مالك الكون والخلق، إنَّه حبيبي وليس عدوي؛ هذه دعوة كلِّ الأنبياء والصالحين؛ الولاء لله ﷻ، والبراء من أعدائه.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿خَلَقَنِي﴾: إنَّ الله ﷻ هو الذي أوجدني في أحسن تكوين، في هذه الدنيا من غير سابق وجود ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﷻ ﴿يَهْدِينِ﴾: يدلني على الصواب؛ وهو ﷻ الذي حدّد لي سُبُلَ العيش، وما خلقت من أجله، كأني مخلوقٌ لا بد أن يتبع تعاليم خالقه، وكلِّ مصنوعٍ يتبع تعاليم صانعه؛ حتى يؤدي دوره على أكمل وجه.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿الَّذِي هُوَ﴾: الله ﷻ ﴿يُطْعَمُنِي﴾: الذي يرزقني وينعم عليّ بالطعام من النبات، والحيوان، وغيره مما يؤكل ﴿وَيَسْقِينِ﴾: يسوق لي الماء من السماء، ومن باطن الأرض؛ فأشرب فأبقي حيًّا.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِذَا﴾: حرفٌ عطفٍ ما بعدها على ما قبلها ﴿مَرِضْتُ﴾: وإذا أصابني المرض فهو يشفيني ويعافيني منه. قال إبراهيم عليه السلام، تأدبًا مع الله ﷻ؛ فنسب المرض إلى نفسه، ولم يقل إذا سبب لي المرض؛ فمن أسماء الله ﷻ الشافي صدقًا، وعدلًا ﴿ف﴾: حرف استثنائي بسبب وترتيب الأمر بدون تأخير ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿يَشْفِينِ﴾: فلا شفاء إلا منه، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أَتَى بِهِ، قَالَ: «أَذْهَبِ النَّاسَ رَبِّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(١).

﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (٨١)

(١) صحيح البخاري ١٢١/٧ (٥٦٧٥).

﴿و﴾: أيضًا هو ﴿الَّذِي يُمَيِّنِي﴾: يُقَدِّرُ لي الموت وقتما قَدَّرَ وِشَاءَ ﷻ ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفِيدُ التتابعَ الزمني غيرَ السريعِ ﴿يُخَيِّنِينَ﴾: يبعثني من القبر يومَ القيامة، يومَ الحساب.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢)

﴿وَالَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد، وهنا هو الله ﷻ ﴿أَطْمَعُ﴾: والطمعُ هو نزوعُ النفسِ إلى شيءٍ له، أرجو، ﴿أَنْ﴾: حرفٌ يفيدُ تأكيدَ الفعل؛ هنا الطمعُ في المغفرةِ ﴿يَغْفِرُ﴾: يمحو عني ذنوبي ويسامح ﴿لي﴾: حرفٌ تخصيصٌ ﴿خَطِيئَتِي﴾: بعد الآية السابقة جاء إقراراً بمصير البشر والخلائق؛ فيطلب إبراهيم ﷺ، من الله ﷻ أن يغفر له ما أذنب من لمم الذنوب؛ رغم أنه أبو الأنبياء ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يومَ القيامة، حيث الثواب والعقاب.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣)

بعد أن قدَّم إبراهيم ﷺ، إقراره بعبوديته لله ﷻ، وأقرَّ أن خلقه وطعامه وشرابه، وموته، وبعثه بيد الله ﷻ دعا ربه ﷻ ﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري ﴿هَبْ لِي﴾: امنحني يا رب هبةً منك العلم والفهم والمعرفة بحدود الله ﷻ ﴿حُكْمًا﴾: قال ابن عباس: العلم، وقال عكرمة: اللب أي العقل الراجح، وقال مجاهد: القرآن الكريم، وقال السدي: النبوة ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَلْحِقْنِي ب﴾: حرف باء الالتصاق، في ركب الأنبياء ﴿الصَّالِحِينَ﴾: اجعلني أحق وأكُنْ مع الذين يأتَمرون بأمرك، وينتهون عن معصيتك في الدنيا وفي الآخرة.

﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَجْعَلْ﴾: هب ﴿لي﴾: وامحني تخصيصاً ﴿لِسَانَ﴾: اجعل لي ثناءً حسناً وذكرًا جميلًا في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة، جاء ذكر اللسان لأنه أداة النطق، الذي يعبر عن الذكر الحسي العقدي، بمعنى ذكرًا جميلًا بعد مماتي ﴿صِدْقٍ﴾: ثناءً جميلًا، يُقْتدى به في الخير، وقد ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ جاء في القرآن الكريم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات-١٠٨، ١٠٩، ١١٠]، وقال مجاهد وقتادة: الثناء الحسن، وقال ليث بن بني أسلم: كلُّ ملة تحبه وتتولاه.

﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (٨٥)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَجْعَلْنِي مِنْ﴾: بعض ﴿وَرَثَتِهِ﴾: الذين يرثون في الآخرة ﴿جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: من عبادك الذين تورثهم نعيم الجنة، بعد أن طلب حُسن الذكر في الدنيا؛ طلب أن يكون من أصحاب منازل الجنة، التي يتنعم فيها الفائزون.

﴿وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿اغْفِر﴾: امسح الذنوب وسامح ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿أبي﴾: دعا إبراهيم ربّه أن يغفر لأبيه وينقذه من الضلال إلى الهدى، فيغفر له، ويتجاوز عن ذنوبه، كما وعد إبراهيم أباه الدعاء له ﴿إنه﴾: هو بالتأكيد ﴿كان من﴾: زمرة ﴿الصّالين﴾: من الذين تاهوا عن الحق، وقد تراجع إبراهيم ﷺ، بعد ذلك عن دعائه لأبيه فقد جاء: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مؤعدةٍ وعدها إياه﴾ [التوبة-١١٤].

﴿ولا تخزي يوم يُبعثون﴾ (٨٧)

﴿ولا﴾: حرف نفي ﴿تخزي﴾: ولا تفضحني بالخزي والذلّ والهوان ﴿يوم يُبعثون﴾: يوم القيامة، يوم يخرج الخلق من القبور للحساب.

﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون﴾ (٨٨)

﴿يوم﴾: ولذلك دعا إبراهيم ﷺ ألا يخزيه الله ﷻ يوم القيامة، يوم ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿ينفع﴾: يُنقذ ﴿مال﴾: لا تُخرج كثرة المال المذنب من النار ﴿و﴾: أيضًا ﴿لا﴾: حرف نفي، لا ينفعه ﴿بنون﴾: الأولاد والأحفاد حيث يكون أول الخلق وآخرهم. كان إبراهيم ﷺ، يخشى الخزي بسبب ضلال أبيه، فكان يطلب لأبيه المغفرة، فيقول له الله ﷻ إنّي حرّمت الجنة على الكافرين.

﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ (٨٩)

﴿إلا﴾: حرف استثناء ﴿من﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أتى﴾: جاء، توجه، وقصد ﴿الله﴾: قال الله ﷻ يكون النفع يوم القيامة ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿قلب﴾: مركز الوعي والإدراك ﴿سليم﴾: أصحاب القلوب السليمة من الدنس والشرك، قال ابن سيرين: الذي يعلم أنّ الله حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وقال ابن عباس: أن يشهد أن لا إله إلا الله، وقال مجاهد، والحسن: خالٍ من الشرك، وقال سعيد بن المسيب: القلب الصحيح؛ لأنّ قلوب الكافرين مريضة، جاء في المعنى: ﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة-١٠]، وقال أبو عثمان النيسابوري: القلب الخالي من البدع.

﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ (٩٠)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿أزلفت﴾: قرّبت ﴿الجنة﴾: يصف الله ﷻ هنا الجنة، فقد قرّبها من أهلها، مزينة؛ مزخرفة لناظرها ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿المتقين﴾: للذين اجتنبوا الكفر والمعاصي، وعبدوا الله ﷻ بقين؛ طمعًا في جنّته، وخوفًا من عذابه.

﴿وتبرزت الجحيم للغاوين﴾ (٩١)

﴿وَبُرِّزَتْ﴾: أيضًا أظهرَ اللهُ ﷻ ﴿الْجَحِيمِ﴾: أظهر اللهُ ﷻ النَّارَ للكافرين، وكشف عنها، وخرجت منها أعناقٌ فزفرت زفرةً بلغت منها القلوبُ الحناجر ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: تخصيصًا ليراها الذين اتبعوا الهوى، الضالِّين عن طريق الحق.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: لم يُحدد اللهُ ﷻ من القائل؛ ومن المعلوم أنه لا أحد غيره يسأل يوم الحساب؛ تحقيرًا لهم وتقريعًا ﴿أَيْنَ مَا﴾: تقال "ما" لغير العاقل من الأصنام والأوثان ﴿كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: الذين عبدتموهم في الدنيا.

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٩٣)

﴿مَنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: الذين عبدتموهم، ولم تعبدوا اللهُ ﷻ؛ ﴿هَلْ﴾: حرف استفسار وتشكيك ﴿يَنْصُرُونَكُمْ﴾: هل يملكُ لكم هؤلاء أصنامكم الأنداد الذين زعمتم أنها تشفع لكم اليوم، هل تتصرکم أصنامكم التي عبدتم وهل تدفع عنكم العذاب أو تدفعه عن أنفسكم ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يساوي بين متعاطفين ﴿يَنْتَصِرُونَ﴾: هل ينتصرون لأنفسهم؟ سؤال توبيخٍ وتقريعٍ؛ والإجابة: لا.

﴿فَكَذَّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (٩٤)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿كَذَّبُوا فِيهَا هُمْ﴾: جُمِعوا وألقوا وقادتهم في جهنم على رؤوسهم مرةً بعد مرةً إلى أن استقروا فيها، قال مجاهد: تدهور بعضهم فوق بعضٍ ﴿و﴾: أيضًا جُمع ﴿الْغَاوُونَ﴾: هم والذين أغروهم للكفر.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (٩٥)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال، أيضًا تمَّ حشرهم مع أصحاب النَّار، وفوقهم كلُّ من غوى الإنسان إلى الكفر ﴿جُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: من جنود إبليس من الإنس والجن، الذين زَيَّنوا لهم الشر ﴿أَجْمَعُونَ﴾: كلهم ولن يفلت منهم أحد.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٩٦)

﴿قَالُوا﴾: المشركون ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿فِيهَا﴾: في جهنم ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: وهم مع من أضلَّوهم يتنازعون في جهنم في ساعات اللوم، والخصام؛ حيث يتخاصم أنصارهم وأعوانهم في الدنيا، واليوم صاروا خُصومهم في النَّار.

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٧)

﴿تَاللَّهِ﴾: أقسم الكافرون واعترفوا بخطئهم أثناء التنازع ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد بمعنى إنما ﴿كُنَّا﴾: في الدنيا ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾: في ضياعٍ وتيهٍ في الفجور والحياد عن الحق، وكنا في الفسق والعصيان نتبعكم، ونعصى الله ﷻ ورسله ودعاته ﴿مُبِينٍ﴾: في ضياعٍ وتيهٍ واضحٍ وبينٍ، هكذا كان تلاوم أهل النار من الضعفاء والأتباع في الدنيا.

﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٨)

﴿إِذْ﴾: حرف سبب يفيد هنا حدث في الماضي ﴿نُسَوِّكُمْ﴾: أن تُطيعكم ونعادلکم ﴿بِرَبِّ﴾: المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بما ومن فيه من طورٍ إلى طورٍ آخر إلى حدِّ التمام وهو الخالق، وهو سبحانه المالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدَبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ؛ هو ﷻ المستحق للعبادة وحده، المالك المتصرف في ﴿الْعَالَمِينَ﴾: الأمر هنا شركٌ في عبادةٍ وطاعةٍ.

﴿وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٩٩)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَضَلْنَا﴾: ما أوقعنا في هذا المصير السيئ الذين أخذونا عن الطريق الصواب إلى التيه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ، كان ضلالنا فقط سببهُ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: الذين كفروا وأشركوا بجرمٍ عظيم، الذين أخذونا إلى عبادة غير الله فاتبعناهم.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (١٠٠)

﴿فَمَا﴾: حرف يُفِيدُ خبرًا بمعنى ليس ﴿لَنَا﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفِيدُ بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿شَافِعِينَ﴾: لا أحد من الشفعاء يشفع لنا ويخلصنا من العذاب، الذين يطلبون الغفران والسماح للمتجاوزين عن الأخطاء؛ لأنَّ الملائكة تشفع يوم القيامة عند الله ﷻ للمؤمنين، رأى أهل النار أنَّ الملائكة لا تشفع لهم، فقالوا ليس لهم من الملائكة شافعين.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٠١)

﴿وَلَا﴾: أيضًا قالوا ليس لنا ﴿صَدِيقٍ﴾: ولا من يصدُقُ في مودتنا ويشفق علينا الذي يعين صديقه، ويُصدقه القول والعمل، وقيل قريب، قال قتادة: يعلمون والله أنَّ الصديق إذا كان صالحًا نفع ﴿حَمِيمٍ﴾: خالص المحبة والمودة وما لهم من القريب إذا كان صالحًا شفيع.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٢)

﴿فَلَوْ﴾: حرف توكيد الخبر؛ تعني الاستحالة ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿لَنَا﴾: تمليك وتخصيص ﴿كَرَّةً﴾: ليت لنا رجعة يتمنون أخرى بالعودة إلى الدنيا ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿نَكُونُ﴾: نصير ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفِيدُ بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية

﴿المؤمنين﴾: نؤمن بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ونعمل بطاعة الله ﷻ ورسله، يُشهد الله ﷻ العالم أنهم لو عادوا إلى الدنيا: ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام-٢٨]؛ فهذا منهج أهل النار، ولقد جاء لفظ "لو"؛ ليدلّ عن امتناع عودتهم للدنيا، لا امتناع إيمانهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: فيما نبأ به إبراهيم ﷺ، من براهين، وفي مصير الذين كذبوا ﴿لآيَةً﴾: دلالة واضحة جليّة على وحدانيّة الخالق ﷻ ﴿وَمَا﴾: أيضًا حرف نفي ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾: أغلبهم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: فقد كان أكثرهم من الكافرين.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤)

﴿وَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿رَبَّكَ﴾: أيها الرسول ﷺ إِنَّ خالِقك، ومالك أمرك ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾: القادر على الانتقام من المكذبين؛ الذي لا يُغالبه أحد، العزيز في ذاته وصفاته وأفعاله، لا يحتاج إلى مخلوق في حاجة، وكلهم في حاجة إليه ﴿الرَّحِيمُ﴾: واسع الرحمة بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، والمنتقم من أعدائه.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٠٥)

بعد قصة موسى جاءت قصة إبراهيم، ثم قصة نوح، عليهم جميعًا السلام، وهو أوّل رسولٍ إلى البشرية بعد ألف عامٍ من نشأة آدم ﷺ ﴿كَذَّبَتْ﴾: جاءت بالتأنيث؛ كونها مُسندةً إلى ﴿قَوْمٍ﴾: والقوم في اللغة هم الجماعة والقبيلة الذين من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ، وهذا من الإبداع اللغوي ﴿نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: كذب قوم نوح رسالة نبيهم فصاروا بهذا التكذيب مكذبين بجميع الرُّسل؛ لأنّ تكذبيهم لم يتوقف على رسالة نوح ﷺ، بل امتد بعده؛ فقد جاءهم مُرسلون آخرون.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٠٦)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يُعيد حدث في الماضي ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾: قال الله ﷻ أخوهم بسبب النسب والعشيرة، وليس بسبب رابطة العقيدة والدين ﴿أَلَا﴾: حرفٌ استفهامٌ يُفيد التنبيه، بمعنى الأمر أنْ ﴿تَتَّقُونَ﴾: جاء اللفظ القرآني "تتقون" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى الخشية من الله ﷻ كما في قوله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء-١]، ألا تخافون من عصيانه وعبادة غيره، خافوا غضبه، ونقمته، وعذابه، وتجنبوا عبادة الأصنام، واتبعوا رسوله إليكم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٠٧)

﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَكُمْ﴾: مرسل إليكم تخصيصاً ﴿رَسُولٌ﴾: مبعوث، من ربِّ العالمين ﴿أَمِينٌ﴾: أبلغكم بصدق وأمانة، أمينٌ على ما بعثني الله ﷻ به، لا أزيد فيه، ولا أنقص منه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٠٨)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اجعلوا الإيمان وقايةً لكم من عذاب الله ﷻ، واعملوا على طاعته بإيمان؛ طمعاً في رحمته، وتجنباً لمعصيته، وخشيةً عذابه ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَطِيعُوا﴾: فإن أطيعموني تحققت لكم التقوى، فقد علمتم صدقي، ونصحي، وأمانتي، وصدق رسالتي إليكم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٩)

﴿وَمَا﴾: أيضاً أنفي أن ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: لا أطلب ولا أريد منكم ﴿عَلَيْهِ﴾: ثمناً لدعوتي لكم بالرسالة؛ لطاعة الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿أَجْرٍ﴾: لا أريد جزاءً، ولا مالاً ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل، ما ﴿أَجْرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء فقط ﴿عَلَى رَبِّ﴾: هو ﷻ مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: إن ثوابي عند الله مالك السماوات والأرض، وما فيهن؛ لأنه كلّفني بهذه الرسالة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١١٠)

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اعملوا على طاعته بإيمان؛ طمعاً في رحمته، وتجنباً لمعصيته، وخشيةً عذابه ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فإن أطيعموني تحققت لكم التقوى، فقد علمتم صدقي، ونصحي، وأمانتي، وصدق رسالتي إليكم.

﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (١١١)

﴿قَالُوا﴾: قوم نوح ﴿أَنْتُمْ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستنكار ﴿نُؤْمِنُ﴾: هل نؤمن ﴿لَكُمْ﴾ رفض الكفار دعوة نوح ﷺ، قالوا هل نؤمن بك يا نوح ﴿وَاتَّبَعَكَ﴾: وقد آمن لك وصدّك ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾: الأقلّ جاهاً ومالاً ويتصفون بالخسة والذلة؛ رفضوا دعوته ليس بسبب غياب الحجّة والدليل، بل بسبب أنّ الذين صدقوه في نظرهم هم أصحاب المقامات الدنيا، فكيف نكون مثلهم في الإيمان بك؟ يشهد العصر الحديث أنّ من هم خارج الحركة الإسلامية هم أصحاب حُججٍ واهية؛ بُنيت على ما قاله قوم نوح.

﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٢)

﴿قَالَ﴾: نوح ﷺ ﴿وَمَا﴾: حرف يفيد النفي ﴿عَلِمِي﴾: كيف أعرف ولماذا أنقّب، وأبحث، وأفحص، وماذا سأستفيد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ما عملوا سابقاً، إنّما أنا أقبل تصديقهم إياي، وأما أسرارهم؛ فالله ﷻ أعلم بها.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾ (١١٣)

﴿إِنْ﴾: بمعنى ما ﴿حِسَابُهُمْ﴾: ما حسابهم والتفتيش عن ضمائرهم وأعمالهم، جاء اللفظ القرآني "الحساب" هنا بمعنى الجزاء كما في قوله ﷻ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون-١١٧]، وفي قوله ﷻ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية-٢٦]، إنّ الثواب والعقاب عند الله ﷻ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، أي ليس غير الله ﷻ، إنّ الحساب ﴿عَلَىٰ رَبِّي﴾: مالك أمري كلّهُ ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿تَشْعُرُونَ﴾: من أهل الفهم والشعور، لو تدركون وتعرفون.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنَا﴾: كأنّ الكفار اشترطوا على نوح ﷺ أن يطرد هؤلاء الذين هم أقلّ منهم قدراً في المجتمع؛ حتى يؤمنوا له، فرفض؛ وقال لست ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿طَارِدٍ﴾: من المستحيل أن أطرد ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: من آمن بي وصدّق برسالتني.

﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (١١٥)

﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنَا إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: ما أنا إلا رسول مبلغ، هذه مهمتي فقط؛ بُعثت لأنذر الناس بعذاب القيامة؛ فمن أطاعني واتبعني دخل الجنة، ومن عصاني مهما كان منصبه، وماله، وأولاده، وعشيرته؛ فهو في عذابٍ أليم.

﴿قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَحْنُ يَا نُوحُ لِتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (١١٦)

﴿قَالُوا﴾: الكفار ﴿لَنْ﴾: حرف شرط ﴿لَمْ﴾: حرف جزم، ﴿تَنْتَهُ يَا نُوحُ﴾: إذا لم تكف عن الدعوة قالوا بأسلوب التهديد والتخويف من العذاب ﴿لَنْ﴾: يفيد العلة والسبب ﴿تَكُونَنَّ﴾: بالتأكيد ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: سوف نسبك ونشتمك بألسنتنا، ونقتلك رجماً بالحجارة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ﴾ (١١٧)

﴿قَالَ رَبِّ﴾: قدّم نوح ﷺ، آخر التقارير إلى ربّه ﷻ وهو ﷻ أعلم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿قَوْمِي﴾: أهلي وعشيرتي ﴿كَذِبُونَ﴾: إنّ قومه كذّبوه، ولا فائدة بعد ذلك من دعوتهم.

﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٨)

﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿أَفْتَح﴾: يا رب احكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: طلب نوح ﷺ من ربه ﷻ أن يحكم بينه وبينهم حكمًا يُبَيِّنُ الْمُحَقَّ مِنَ الْمُبْطَلِ؛ فَتُهْلِكَ مِنْ جَدِّ تَوْحِيدِكَ وَكَذَّبَ رَسُولَكَ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿نَجِّنِي﴾: أنقذني ﴿وَمَنْ﴾: أيضًا نَجِّ ﴿مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أن ينصره، وقد جاء المعنى في قوله ﷻ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ﴾ [القمر- ١٠].

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (١١٩)

﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَنْجَيْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث ﴿وَمَنْ﴾: ونجى الله ﷻ الذين من بني آدم ﴿مَعَهُ﴾: كانت نجاة نوح ومن معه عظيمة؛ فجاءت بصيغة الجمع ﴿فِي الْفُلِّ﴾: السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾: الممتلئة بالناس، والأمتعة، وما حملت من المخلوقات.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ (١٢٠)

﴿ثُمَّ﴾: بعد ذلك مع التباعد الزمني ﴿أَغْرَقْنَا﴾: وأغرق الله ﷻ ﴿بَعْدَ﴾: الذين خالفوهم ﴿الْبَاقِينَ﴾: من عصى نوحًا وخالفه جميعًا. يجب أن تكون الثقة في حتمية نجاة المؤمنين وهلاك المجرمين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٢١)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في قصة نوح مع قومه وما كان من نجاة المؤمنين وهلاك المكذبين ﴿لَآيَةً﴾: دليلًا وبرهانًا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: في حياتهم الدنيا ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: الغالبية العظمى منهم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: كان غالبية القوم الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بالله ﷻ وبرسوله كافرين، وهذا دليل على أن عصيان الأمم يجلب الدمار الشامل عليهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿ل﴾: لام التخصيص ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا الله ﷻ ﴿الْعَزِيزُ﴾: في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره، هو الذي لا يُغَالِبُهُ أَحَدٌ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَظِيمُ فِي ذَاتِهِ، وَصَفَاتِهِ، وَمَلَكِهِ، وَحُكْمِهِ الَّذِي لَا يُغَالِبُهُ شَيْءٌ ﴿الرَّحِيمُ﴾: فهو كثير الرحمة بأوليائه.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣)

﴿كَذَّبَتْ﴾: أنكرت ورفضت ﴿عَادٌ﴾: هم قوم هود عليه السلام، هم الذين سكنوا الأحقاف؛ وهي جبال الرمال المتاخمة لبلاد اليمن، وكانوا غايةً في التنظيم، والقوة، والبطش، وأصحاب أموالٍ، وجناتٍ، وأنهارٍ، ووفرةٍ في الأولاد والثمار، والمزروع، وكانوا يعبدون من دون الله آلهة أخرى؛ فكذبوا ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: أرسل الله ﷺ إليهم هودًا عليه السلام، هو منهم، رسولًا وبشيرًا ونذيرًا، ونلاحظ هنا أن عدد حروف عاد مساوٍ لعدد حروف اسم نبيهم هود.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُوْدٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٢٤)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يُفيد حدث في الماضي ويفيد التوكيد بمعنى حين ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿أَخُوهُمْ﴾: في النسب والقرابة ﴿هُودٌ﴾: واذكر حين أخبرهم رسولٌ منهم قائلاً ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿تَتَّقُونَ﴾: ألا تخشون الله ﷻ فتخلصوا له العبادة بوعيٍ ويقينٍ؛ طمعًا في جنته، وخوفًا من عقابه.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٢٥)

﴿إِنِّي﴾: أنا أؤكد لكم أنني مرسلٌ ﴿لَكُمْ﴾: إليكم تخصيصًا من الله ﷻ ﴿رَسُولٌ﴾: جننكم برسالة ربي ﷻ لهدايتكم وإرشادكم ﴿أَمِينٌ﴾: أنقلها إليكم بأمانة؛ بلا تحريفٍ أو تزيفٍ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٢٦)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اخشوا الله في أقوالكم وأفعالكم ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَطِيعُوا﴾: وأطيعوا أوامري، واجتنبوا نواهي؛ أهدكم سبيل الرشاد.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢٧)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ﴾: جزءًا أو بعضًا ﴿أَجْرٍ﴾: لا أريدُ ثمنًا، أو ثوابًا منكم على إرشادكم إلى التوحيد أو أخذ أي نوعٍ من الأجر؛ إن دعوتي مجانية؛ لا تكلفكم مالًا، وهذا يدلُّ على بُخل القوم، وحبهم للمال ﴿إِنْ﴾: بمعنى ما ﴿أَجْرِي﴾: ﴿إِلَّا﴾: تُفيد الاستثناء؛ بغرض القصر والتخصيص؛ لا أريد أجرًا من أحدٍ باستثناء أجر الله ﷻ ﴿عَلَى﴾: بمعنى من ﴿رَبِّ﴾: مالك أمر الكون بما وبمن فيه ﴿الْعَالَمِينَ﴾: ولا أنتظر ذلك إلا من الله ﷻ الذي كلّفني بالدعوة والتبليغ.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ (١٢٨)

﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿تَبْنُونَ﴾: هل تُشيدون بجهدٍ ومالٍ ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿كُلِّ﴾: جميع ﴿رِيعٍ﴾: الريع هو المكان المرتفع عند أفضل الطرق المشروعة، وهو البيت المرتفع المُحكَّم، الضخم، الباهر ﴿آيَةً﴾: معلمًا ودليلاً مشهورًا، تُشرفون

منه على المازة، مثل الأهرامات في مصر، وفي زماننا هذا مثل الأبراج **﴿تَعَبُّونَ﴾**: لتسخرُوا من النَّاسِ، تبنون ليس من حاجة، ولكن تبتذيراً، وعبثاً، وتفاخراً بالقوة، لا يفيدكم في آخرتكم، وفي هذا ضياعٌ للوقتِ، والمالِ، والجهدِ، وإسراف لا يعود عليكم بفائدة في الدنيا.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (١٢٩)

﴿وَتَتَّخِذُونَ﴾: تعتمدون **﴿مَصَانِعَ﴾**: المصانع هي البروجُ المُشَيِّدَةُ والأبْنِيَةُ الخالدةُ، وهذا الأصح والله أعلم، وقال مجاهد: أبراجُ الحمام، وهذا ضعيف، وقال قتادة: هي مأخُذُ الماء من الآبار **﴿لَعَلَّكُمْ﴾**: حرفٌ يُعِيدُ التَّوَقُّعَ والترجي **﴿تَخْلُدُونَ﴾**: في البناء الذي لا يُسْتخدَم، أو يظنون أنَّ العيش فيها أبداً كأنكم باقون مُخلِدون لا يدركم الموت.

﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (١٣٠)

﴿وَإِذَا﴾: حرفٌ عطفٍ ما بعدها على ما قبلها، تأتي الآيات؛ لتوضِّح صفات قوم هود **﴿بَطِشْتُمْ﴾**: فتكتم فتكاً عنيفاً بالناس، والبطشُ هو تناولُ الشيءِ بقوةٍ شديدةٍ **﴿بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾**: أخذتموهم بعنفٍ، لقد أنكر الله ﷻ عليهم الظلم والسطوة والأخذ بالعنف، جاء اللفظ القرآني "جَبَّار" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى القتال في غير الحق، وهي من صفات الغلظة والقوة المفرطة، والجبروت العظيم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٣١)

﴿ف﴾: لهذا السبب **﴿اتَّقُوا﴾**: خافوا الله ﷻ وامتثلوا ما أدعوكم إليه، اعبدوا **﴿اللَّهَ﴾**: غضب ربكم ﷻ **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿أَطِيعُوا﴾**: أطيعوا رسولكم؛ فإنه أنفع لكم. انظر [الشعراء - ١٠٨].

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢)

﴿وَاتَّقُوا﴾: فخافوا الله وامتثلوا ما أدعوكم إليه، وتجنبوا غضب الله ﷻ **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ للمفرد، وهنا للواحدِ الأحدِ ﷻ **﴿أَمَدَّكُمْ﴾**: أعطاكم الله ﷻ، ووهب لكم **﴿بِما﴾**: اسمٌ موصولٌ بمعنى الذي **﴿تَعْلَمُونَ﴾**: من أنواع النعم وما لا خفاء فيه عليكم، أخفاه بالخيرات التي تعرفون.

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ (١٣٣)

﴿أَمَدَّكُمْ﴾: أعطاكم **﴿بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿أَنْعَامٍ﴾**: من الدواب التي تؤكل وتُرْكَب، ويُستخرج منها فوائد كثيرة **﴿وَبَنِينَ﴾**: ووهبكم من الأولاد والذرية.

﴿وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٣٤)

﴿وَجَنَّاتٍ﴾: أيضًا الحدائق ذات الثمار والبساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾: فجّر لكم منابع الماء الذي به تحيون، ومعكم كثير من المخلوقات.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٣٥)

﴿إِنِّي﴾: أنا بكل تأكيد ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: قال هود عليه السلام، محذرًا لهم، مُشفقًا عليكم إنكم ستُعذبون عذابًا شديدًا في الدنيا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: ختم هود عليه السلام؛ تحذيره لقومه؛ بعذاب الآخرة الذي هو أشد وأبقى.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ (١٣٦)

﴿قَالُوا﴾: هم قوم هود، الكافرون ﴿سَوَاءٌ﴾: يتساوى ويتعادل ﴿عَلَيْنَا﴾: عندنا كان جوابهم النهائي: يستوي عندنا ﴿أَوَعظت﴾: تذكرك لنا، إذا خوفتنا ﴿أَمْ﴾: حرف تسوية بمعنى أو ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَكُنْ مِنْ﴾: بعض ﴿الْوَاعِظِينَ﴾: أو لم تذكرنا وتخوفنا؛ لن نرجع عمّا نحن عليه.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولِينَ﴾ (١٣٧)

﴿إِنْ﴾: حرف توكيد بمعنى إنما ﴿هَذَا﴾: النمط في السلوك والفهم الذي نحن عليه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء في ﴿خُلُقٍ﴾: إلا دينٌ وعاداتٌ ومنهجٌ، بمعنى منهج الكذب وهذا منهج دينهم، وما هم عليه، هو دينهم، ودين ﴿الْأُولِينَ﴾: من آبائهم الأولين، وهم تابعون، يعيشون كما عاش أجدادهم، ويموتون على ما ماتوا عليه.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (١٣٨)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿نَحْنُ﴾: ضميرُ رفعٍ منفصلٍ يُفيدُ الجمع من المتحدثين ﴿بِ﴾: باء السبب ﴿مُعَذِّبِينَ﴾: على ما نعمل من البطش وغيره لأننا لا نؤمن بالبعث؛ فلا عذاب في الآخرة ولا ثواب.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ (١٣٩)

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿كَذَّبُوهُ﴾: كذبت عادٌ رسولهم هود عليه السلام، تكذيبًا نهائيًا ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾: حرف الفاء أفاد السبب، جزاء تكذبيهم، جاءت بصيغة الجمع لتعظيم الهلاك، جاء في أكثر من موقع كيف كان هلاك عاد؛ أرسل الله ﷻ عليهم ريحًا صرصراً عاتية شديدة السرعة، شديدة البرد؛ تُدمر كل شيء بأمر الله ﷻ، جاء في السياق: ﴿تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة-٧]، حتى إذا اختبأوا في المغارات والخنادق؛ نزلت عليهم الريح؛ فرفعتهم في السماء، ثم ضربتهم في الأرض؛ فهشمت أجسادهم، والعبرة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: أي في هلاكهم وانتقامنا منهم ﴿لآيةً﴾: دليلًا وبرهانًا وعبرة لمن بعدهم

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾: كان أكثر الذين سمعوا قصتهم، هم الغالبية العظمى منهم غير ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: بك، أي كانوا كافرين.
 التكليف: إن هذه الظاهرة تتكرر في كثيرٍ من الدول بأسماءٍ أخرى؛ مثل إعصار ساندي، وهو من أقسى الأعاصير التي ضربت أمريكا في السنوات الأخيرة، ومنها إعصار أوكلاهوما، الذي حدث ومن الهلاك كان وباء فيروس كورونا الذي اجتاح الكرة الأرضية كلها في عام ٢٠٢٠ الميلادي.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٤٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: الجامع، والمصلح، والسيد، فهو ﷻ مالك كلِّ أمرك يا محمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿هُوَ﴾: ضمير للمفرد ويعني الله ﷻ بكلِّ تأكيد ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يُغالبه أحدٌ، يملك كلَّ القوة والعزة؛ فيدمرُ بها أعداء الله ﷻ ﴿الرَّحِيمُ﴾: ويُعطي لأوليائه من رحمته، ورزقه، وفضله كثيراً.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١)

﴿كَذَّبَتْ﴾: وتجربةً تاريخيةً أُخرى للكفار المُكذِّبين بالرسول، قصة ﴿ثَمُودُ﴾: هم قوم صالح ﷻ، نلاحظ هنا أنَّ عدد حروف القوم أربعة وعدد حروف اسم رسولهم أربعة، كانوا من العرب، الذين سكنوا مدينة الحجر، التي كانت بين وادي القرى وبلاد الشام، وتُسمَّى اليوم مدائن صالح، وهي تقع جنوب شرق مدينة مدين بلد سيدنا شعيب، وهي التي فرَّ إليها موسى ﷻ من فرعون ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: كان اسمُ نبيِّهم صالح ﷻ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٤٢)

﴿إِذْ﴾: حرف يفيد ما مضى من الزمن السابق، أذكر يوم ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: للكفار في زمانه ﴿أَخُوهُمْ﴾: في النسب والعشيرة وليس في الدين والعقيدة ﴿صَالِحٌ أَلَا﴾: حرف استفهام يفيد التنبيه، بمعنى انتبهوا ﴿تَتَّقُونَ﴾: تتجنبون غضب الله ﷻ؛ بسبب عبادتكم للأصنام من دونه ﷻ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٤٣)

﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَكُمْ﴾: أنا أؤكد لكم تخصيصاً أتي ﴿رَسُولٌ﴾: مُرسلاً إليكم من الله ﷻ برسالة؛ لهدايتكم وإرشادكم ﴿أَمِينٌ﴾: صادق، أنقلها إليكم بأمانة؛ بلا تحريفٍ أو تزيف.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٤٤)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اتَّقُوا﴾: اخشوا ﴿اللَّهَ﴾: ﴿تَلَّحُّوا﴾ في أقوالكم وأفعالكم ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿أَطِيعُونَ﴾: وأطيعوا أوامر الله ﷻ، واجتنبوا نواهيه؛ وأطيعون أهدكم، وأدلكم سبيل الرشاد.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٤٥)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ﴾: بعض ﴿أَجْرٍ﴾: لا أريد ثوابًا منكم على إرشادكم إلى التوحيد أو أي نوعٍ من أنواع الأجر؛ إنَّ دعوتي مجّانية؛ لا تكلفكم مالًا، وهذا يدلُّ على بُخلِ القوم الكافرين وحبّهم للجمّ للمال ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِي﴾: ثوابي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ لا أريد أجرًا من أحدٍ باستثناء أجر الله ﷻ ﴿عَلَى﴾: بمعنى من ﴿رَبِّ﴾: المُربي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، ﴿الْعَالَمِينَ﴾: في الدنيا والآخرة.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ (١٤٦)

﴿أ﴾: حرفُ استفسارٍ بغرض الاستكثار ﴿تُتْرَكُونَ﴾: هل تظنون وتطمعون أنّ تبقوا خالدين ﴿فِي مَا هَاهُنَا﴾: الحال الذي أنتم فيه من خيرٍ في هذه المنطقة أبدًا ﴿آمِنِينَ﴾: تعيشون بأمنٍ وأمانٍ من الموت والعذاب، وأنتم تكفرون بنعمة الله ﷻ عليكم، وتكذبون رسوله صالح ﷺ.

﴿فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٤٧)

﴿فِي جَنَاتٍ﴾: هل ستدوم لكم البساتين والأشجار والثمار ﴿وَعُيُونٍ﴾: أيضًا ستدوم لكم مصادر المياه الجارية للشرب والزراعة؟

﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ (١٤٨)

﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿زُرُوعٍ﴾: كلُّ أنواعِ المزروعاتِ المُفيدةِ ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: ثمرها يانع لين ناضج، قال ابن عباس: الهضيم إذا أነع البلح وبلغ النضج، وقال مجاهد: الذي يبس وتهشم وتفتت وتناثر، وقال ابن جريج عن مجاهد: حيث يطلع تقبض عليه وتهضمه، فهو من الرطب الهضيم، ومن اليابس الهشيم، وقال عكرمة، وقتادة: الهضيم هو الرطب اللين، وقال الضحاك: إذا ركب الثمرُ بعضه فوق بعض؛ فهو هضيم، وقال الحسن البصري: هو الذي ليس فيه نوى، واختصارًا: هو ثمارٌ كلِّ ثمرةٍ يسهل هضمها، وقد نضجت، على سوقها؛ فهو هضيم.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (١٤٩)

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾: تأخذون ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْجِبَالِ﴾: قد يكون المقصود أن تكون البيوت في الجبال لتبقى مدى الحياة مثل المغارات الكبيرة، وقد يكون المقصود قصُ الحجارة من الصخور؛ لتكون مواد البناء، كما في الأهرامات

في مصر؛ والله ﷻ أعلم ﴿بُيُوتًا﴾: مساكن ﴿فَارِهِينَ﴾: قال ابن عباس: حاذقين، بيوتًا محكمة، وقال ابن عباس، ومجاهد، وآخرون: شرهين أشرين ولا خلاف؛ فهي بيوت فارهة، نُحِتت بطرًا، ليست مسكونة، ومزينة، قوية، وثابتة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٥٠)

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: بأداء حقه ﷻ عليكم بتوحيده وإفراده بالعبادة، اعملوا على طاعته بإيمان؛ طمعًا في رحمته، وتجنبوا معصيته، واخشوا عذابه ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَطِيعُوا﴾: فإن أطيعموني تحققت لم التقوى، فقد علمتم صدقي، ونصحي، وأمانتي، وصدق رسالتي إليكم.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥١)

﴿وَلَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تُطِيعُوا﴾: والطوع هو الانقياد بإرادتهم، ورجبتهم، وبحب، لا تتبعوا طوعاً ﴿أَمْرَ﴾: منهج وتفكير وتطبيق ﴿المُسْرِفِينَ﴾: الذين بالغوا في الكفر، والعدا، ومحاربة الرسول ﷺ، والذين أسرفوا في القتل والتنكيل، وقيل الذين عقروا الناقة.

﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (١٥٢)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿يُفْسِدُونَ﴾: وهذا دأبهم أنهم يُغيرون طبيعة خلق، وأمر الله ﷻ ﴿في الأرض﴾: وأخطر الفساد هو فساد العقيدة، وهي الكفر؛ بنشر الشرك بالله ﷻ، ومخالفة العدل والحق ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يُصْلِحُونَ﴾: ما حدث بسبب حالات الكفر.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٥٣)

﴿قَالُوا﴾: كان ردُّ ثمود حين أجابوا رسولهم صالحًا ﷺ؛ كذبًا وزرورًا، الذين أصيبوا بالسحر قالوا ﴿إِنَّمَا﴾: حرفٌ تحديدي وتخصيصي ﴿أَنْتَ﴾: بالتحديد ﴿مِنَ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿المُسَحَّرِينَ﴾: قال مجاهد، وقتادة: المسحورين، وقيل الذين لا عقل لهم.

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٥٤)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتَ﴾: تحديداً ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بَشَرٌ﴾: من بني آدم ﴿مِثْلُنَا﴾: فلماذا أوحى إليك ولم يُوحِ إلينا، جاء في المعنى ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص-٨] ﴿ف﴾: بسرعة حرف يفيد ربط جواب الشرط ﴿أَنْتَ﴾: هاتنا ﴿بِ﴾: بآء السببية ﴿آيَةٍ﴾: دليل أو برهان ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: لم يكن طلبهم للتيقن، ولكن للتعجيز، والتكذيب؛ طلبوا أن يأتي بدليل أو برهان، على أنه رسول من عند ربه، طلبوا أن يأتي لهم بناقية

عشراء، حاملٍ من صخرةٍ صمّاء، سموها له، سألهم صالح إذا جاءتكم هذه الآية؛ هل تؤمنون؟ فأعطوا موثيقهم وعهدهم؛ فدعا عليه السلام ربّه؛ وكان هذا من قمم اليقين بقدره الله ﷻ؛ فانفطرت الصخرة التي أشاروا إليها، وخرجت ناقةً عشراء، كما أرادوها، كيف حملت ولم يكن معها في الصخرة ذكرٌ من جنسها؛ فأمن بعضهم، وكفر أكثرهم.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمٍ مَّغْلُومٍ﴾ (١٥٥)

﴿قَالَ﴾: لهم صالح عليه السلام **﴿هَذِهِ﴾**: جاءهم ب **﴿نَاقَةٌ﴾**: أخرجها الله ﷻ لهم من الصخرة كما طلبوها، قال لهم جاءتكم من الله ﷻ بشروطكم، ولكن عليكم الوفاء **﴿لَهَا﴾**: تخصيصاً **﴿شِرْبٍ﴾**: أن ترد الناقة الماء يوماً **﴿و﴾**: أيضاً **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿شِرْبٍ﴾**: تردوا الماء في **﴿يَوْمٍ مَّغْلُومٍ﴾**: أي تشرب الناقة في يوم وفيه لا تقربون الماء، وفي اليوم التالي تشربون ولا تشرب الناقة.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥٦)

﴿و﴾: عطفًا على هذا **﴿لَا﴾**: حرف نهي وتحريم **﴿تَمَسُّوَهَا﴾**: المسُّ هو الإصابة في العمق، وليس كاللمس، بمعنى لا تتالوها بشيء مما يضرها **﴿ب﴾**: بآء السبب **﴿سُوءٍ﴾**: ما يُسبب شرًا وضررًا، وهو الشرط الثاني: لا تعتدوا عليها بالضرب أو القتل **﴿ف﴾**: بسبب صنيعكم إذا اعتديتم عليها **﴿يَأْخُذْكُمْ﴾**: يُصيبكم بقوة آخذة، ينالكم بشدة **﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**: عذاب كبير الأثر، هذا تحذير شديد من نعمة الله ﷻ السريعة؛ بعذابٍ شديد إذا أدبتم الناقة.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (١٥٧)

استمر الحال بحسب الاتفاق، ومكثت الناقة بينهم حينًا من الدهر، تشرب الماء، وتأكل المرعى، وهم ينتفعون بلبنها يلبون منها ما يكفيهم شربًا؛ ومع هذا شقّ عليهم الحل؛ فتأمروا على قتلها **﴿فَعَقَرُوهَا﴾**: حرف الفاء يفيد السبب وسرعة التنفيذ، قطعوا يديها ورجلها فبركت على الأرض؛ فقتلها الأشقياء **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ **﴿أَصْبَحُوا﴾**: أصابتهم الحسرة، وصاروا **﴿نَادِمِينَ﴾**: الحسرة والعذاب؛ كانت نتيجة الندم الشديد على جريمتهم لما جاءهم العذاب.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٨)

﴿ف﴾: بسبب قتلهم الناقة المعجزة **﴿أَخَذَهُمُ﴾**: أصابهم ونزل بهم بشدة **﴿الْعَذَابُ﴾**: زُلزلت الأرض زلزالًا شديدًا، وجاءت صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من الصدور **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿فِي ذَلِكَ﴾**: العذاب **﴿ل﴾**: حرف علّة وسبب **﴿آيَةً﴾**: هذا دليل صدق؛

تحذير صالح ﷺ، لقومه المجرمين، وعبرة لمن اعتبر بهذا المصير ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾
أَكْثَرَهُمْ﴾: غالبيتهم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: كان أغلبهم كافرين وهذا السبب فيما حلّ بهم من عذابٍ وعقابٍ.
 التكليف: في مثل هذه الحالات ضرورة تصدي الأقلية المؤمنة للغالبية الكافرة؛ لأنّ العقاب إذا
 جاء عمّ الجميع.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (١٥٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿رَبَّكَ﴾: فهو مالك كلِّ
 أمرك يا محمد ﷺ ﴿لَهُوَ﴾: ضمير للفرد ﴿الْعَزِيزُ﴾: القاهر المنتقم من أعدائه، الذي لا يغلبه
 أحدٌ؛ لأنّه يملك القوة المطلقة، والعزّة الكاملة؛ فيدمر بها أعداءه وفي الوقت نفسه إنّه ﷺ
 ﴿الرَّحِيمُ﴾: يعطي كثيراً من رحمته ورزقه لأوليائه.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦٠)

﴿كَذَّبَتْ﴾: وأيضاً لم يصدق ﴿قَوْمُ﴾: أهل وأقارب وعشيرة ﴿لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: النبي المرسل،
 هو عبد الله ورسوله ﷺ، كان إبراهيم ﷺ، عمّه لأبيه، الذي أرسله الله ﷺ في أمةٍ كبيرةٍ. في
 عهد عمّه إبراهيم ﷺ، سكنوا منطقة سدوم بالقرب من البحر الميت في فلسطين، في المنطقة
 المتاخمة لجبال بيت المقدس، كانت جريمتهم ارتكاب الفاحشة في الذكور فقط، ظاهرة لم يسبقهم
 بها أحدٌ من البشر؛ لأنّ ما جاء به المرسلون جميعاً من الله ﷺ هو التوحيد وأصول الشرائع؛
 فكانوا بتكذيبهم رسالة لوطٍ كآتهم كذبوا سائر الرسالات.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٦١)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يفيدُ علّةً وسبباً ما حدث في الماضي ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿أَخُوهُمْ﴾: في
 النسب والعشيرة ﴿لُوطُ أَلَا﴾: حرف استفهامٍ؛ بغرض الحثّ على الفعل ﴿تَتَّقُونَ﴾: تعبدون الله
 ﷻ بيقينٍ راسخٍ؛ طمعاً في رحمته، وخوفاً من عذابه؟

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٦٢)

﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد رسول من الله ﷻ ﴿لَكُمْ﴾: خصيصاً إليكم ﴿رَسُولٌ﴾: مبعوثٌ مكلفٌ
 بتبليغكم رسالة ربّي ﴿أَمِينٌ﴾: صادقٌ في كل ما أبلغكم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٦٣)

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اعملوا على طاعة الله ﷻ بإيمانٍ؛ طمعاً في رحمته، وتجنباً
 لمعصيته، وخشية عذابه ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَطِيعُوا﴾: فإنّ أطعتموني تحققت لكم النجوى،
 فقد علمتم نصحي، وأمانتي، وصدق رسالتي إليكم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: أطلبُ ولا أريدُ منكم ﴿عَلَيْهِ﴾: على دعوتي لكم لطاعة الله ﷻ
﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية ﴿أَجَرِيَ﴾: لا أريدُ جزاءً، ولا مالاً ﴿إِنْ﴾:
ما ﴿أَجَرِيَ إِلَّا﴾: حرفُ استثناءٍ فقط على الله ﷻ ﴿عَلَى رَبِّ﴾: مالك أمر ومصير كلِّ شيءٍ
في ﴿الْعَالَمِينَ﴾: إنَّ ثوابي عند الله مالك السموات والأرض، وما فيهن.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٥)

﴿أ﴾: حرفُ استفهامٍ بغرض الاستتكارِ والتوبيخ ﴿تَأْتُونَ﴾: أتتكونون وتُقيمون علاقاتكم الجنسية
الشاذة مع ﴿الذُّكْرَانَ﴾: في أدبار الذكور من الرجال ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛
وبداية الغاية المكانية ﴿الْعَالَمِينَ﴾: دون عالم الإنس، من بني آدم.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (١٦٦)

﴿و﴾: عطفًا على هذا وبسبب ذلك العمل ﴿تَذَرُونَ﴾: تتركون ﴿مَا﴾: الذي ﴿خَلَقَ﴾: جاء
اللفظ "خَلَقَ" في القرآن الكريم على سبعة أوجه؛ هنا بمعنى جعل ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا وتلميحًا
﴿رَبُّكُمْ﴾: مالك أمركم كله ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾: وتتركون ما خلقه الله ﷻ لكم لتستمتعوا به من
النساء، زوجاتكم ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ﴾: جماعةٌ على منهجٍ
واحدٍ ﴿عَادُونَ﴾: متجاوزون للحدِّ في جميع المعاصي، إنكم تعتدون على ما شرَّعه، و قدره الله
ﷻ لكم.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧)

﴿قَالُوا﴾: كان قولُ المجرمين مهديين ومتوعدين رسولهم ﷺ ﴿لَئِن﴾: حرف شرط يتبع ما
بعده؛ بمعنى إذا ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ﴿تَنْتَهَ يَا لُوطُ﴾: إن لم تكفَّ وتتوقف عن دعوتك لنا بالنهي
عمَّا نعمل الفاحشة ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿تَكُونَنَّ﴾: تصير بكلّ تأكيد ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ
يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْمُخْرَجِينَ﴾: بلغة التأكيد؛ إننا سننفيك نظردك
وننفيك من بيتنا؛ وهو منهجٌ لا يتبدل، فقد جاء: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ
لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم-١٣].

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (١٦٨)

﴿قَالَ﴾: لوط ﷻ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لِعَمَلِكُمْ﴾: تخصيصًا، وهو ما تمارسونه من الفاحشة
في الذكور ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾: من المُبغضين المُنكرين، والمُتبرئين من عملكم، وتوجه لوطٌ إلى
الله ﷻ داعيًا.

﴿رَبِّ نَجْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٩)

﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري ﴿نَجْنِي﴾: أنقذني ﴿و﴾: أيضًا أنقذ ﴿أَهْلِي﴾: دعا لوطُ ﷺ الله ﷻ لنفسه، ولعائلته والمؤمنين ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿يَعْمَلُونَ﴾: أن ينالهم شيءٌ من سيئات قومهم، وأن يُنجيهم ممَّا سيحلُّ بقومهم.

﴿فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (١٧٠)

﴿ف﴾: بسبب دعائه وبسرعة ﴿نَجِّنَاهُ﴾: استجاب الله ﷻ دعاءه ونجَّاه، جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث ﴿و﴾: أيضًا نجَّنا ﴿أَهْلَهُ﴾: المؤمنين ﴿أَجْمَعِينَ﴾: أهل بيته، ومن اتبعه على دينه جميعًا بسبب إيمانهم، وليس بسبب القرابة.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (١٧١)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿عَجُوزًا﴾: هي زوجة لوط، وكانت عجوزَ سوءٍ، بقيت في مسكنها في القرية؛ فهلكت مع من بقي من قومها، فصارت ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾: كانت من الماكثين والباقيين في العذاب أبدًا حتى هلكوا.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ (١٧٢)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿دَمَرْنَا﴾: أهلكتناهم بالخسف والحصب أي الحجارة، جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم التدمير، ﴿الْأَخْرِينَ﴾: لم ينج أحدٌ من قوم لوط؛ إلا الذين اتبعوه.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١٧٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَمْطَرْنَا﴾: أنزل الله ﷻ ﴿عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: نزلت عليهم الحجارة كما ينزلُ المطرُ من السماء، وجاءت بصيغة الجمع لعظم التدمير ﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿سَاءَ﴾: أصابهم الشرُّ، والضررُ، والسوءُ ﴿مَطَرٌ﴾: مثل الماء المنهمر بغزارة من السماء ﴿الْمُنْذَرِينَ﴾: نزلت الحجارة من سجيلٍ منضودٍ، حجارة العذاب الأليم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في هذا العقاب الذي نزل بقوم لوط ﴿ل﴾: حرف سبب لتكون ﴿آيَةً﴾: عبرةً ودليلاً، وبياناً، وحنةً واضحةً ﴿وَمَا﴾: أيضًا نفي ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾: الأغلبية ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: كانت غالبيتهم كافرة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٧٥)

﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿لَنْ﴾: حرف تخصيص ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا بالتأكيد ﷻ: ﴿الْعَزِيزُ﴾: الغالب الذي يقهر المكذبين؛ المنيع الذي لا يُغالبه أحدٌ، ولا يُعجزه شيءٌ ﴿الرَّحِيمُ﴾: واسع الرحمة بمن يُحب ويرضى.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦)

وقصة أخرى من قصص الأولين فقد ﴿كَذَّبَ﴾: أنكر وغطى ﴿أَصْحَابُ﴾: سكان وأهل ﴿الْأَيْكَةِ﴾: هم أصحاب القرية ذات الشجرة، أو الأشجار الوارفة، التي تتلاقى فيها الأغصان بكثافة، هم أهل "مدین" وقيل الأشجار الكثيفة كالغوطة ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: كان نبيهم شعيب ﷺ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٧٧)

﴿إِذْ﴾: حرف يُفيد حدث في الماضي هنا بمعنى حين ﴿قَالَ﴾: واعظًا وناصحًا ﴿لَهُمْ﴾: على وجه الخصوص ﴿شُعَيْبٌ﴾: رسولهم الذي جاءهم برسالة من الله ﷻ، لم يقل الله ﷻ: أخوهم شعيب؛ فقد قُطع نسب الأخوة بينهم؛ لأنه لم يكن آخًا لهم، ولا من عشيرتهم للمعنى الذي نُسبوا إليه، وإن كان هو أخاهم نسبًا ﴿أَلَا﴾: حرف استفهم بمعنى الحث على الفعل ﴿تَتَّقُونَ﴾: تتجنبون غضب الله ﷻ وعقابه عليكم إن عصيتم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٧٨)

﴿إِنِّي﴾: أنا بكل تأكيد ﴿لَكُمْ﴾: مرسل إليكم ﴿رَسُولٌ﴾: من الله ﷻ رب العالمين ﴿أَمِينٌ﴾: أبلغكم بصدق وأمانة، أمينٌ على ما بعثني الله ﷻ به، لا أزيد فيه، ولا أنقص منه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٧٩)

﴿فَ﴾: بسبب ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اعملوا على طاعته بإيمان؛ طمعًا في رحمته، وتجنبًا لمعصيته، وخشية عذابه ﴿وَ﴾: عطفًا على طاعتكم ﴿أَطِيعُوا﴾: فإن أطعتموني تحققت لكم التقوى، فقد علمتم صدقي، ونصحي، وأمانتي، وصدق رسالتي إليكم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٠)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: لا أطلب ولا أريد منكم ﴿عَلَيْهِ﴾: على دعوتي لكم لطاعة الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جر يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿أَجْرٍ﴾: لا أريد جزاءً ولا مالا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط بمعنى ما ﴿أَجْرِي﴾: إنما ثوابي وجزائي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، فقط ثوابي وجزائي ﴿عَلَى رَبِّ﴾: مالك الكون المتصرف في ملكه في ﴿الْعَالَمِينَ﴾: إن ثوابي عند الله ﷻ، مالك السموات والأرض.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١)

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: قال لهم شعيب وقد كانوا ينقصون الكيل والميزان؛ أتموا الكيل للناس وافيًا لهم، الذي هو تحديد الوزن والحجم، وهذه واحدة من الآفات الاجتماعية الاقتصادية، التي وصمت هذه الأمة، قال لهم شعيب عليه السلام: خذوا ما تُعطون، وأعطوا ما تأخذون، وقد كانوا إذا أخذوا زادوا ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: حرف تحريمٍ ﴿تَكُونُوا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْمُخْسِرِينَ﴾: حتى لا تكونوا ممن ينقصون الناس حقوقهم في المكيال والميزان كما في قوله عليه السلام ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن-٩]

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (١٨٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿زِنُوا﴾: إذا تعاملتم بالوزن فليكن ميزانكم ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل في الميزان، وقال مجاهد: العدل وهو باللغة الرومية، وقال قتادة: القسطاس هو العدل ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾: الذي لا غش فيه.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١٨٣)

﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَبْخَسُوا﴾: تُنقصوا ﴿النَّاسَ﴾: عموم بني آدم ﴿أَشْيَاءَ هُمْ﴾: إذا اشتريتم لا تُنقصوا الأثمان، أو تغشوا في الميزان ﴿وَلَا﴾: محرّم عليكم ﴿تَعْتُوا﴾: لا تكثرُوا ولا تمشوا ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا تُفسدوا النَّاسَ في الأرض بالكفر، وتفسدوا التجارة بالغش، وتضييعوا الأمن كقطع الطريق، وقد جاء في المعنى: ﴿وَلَا تَعْتُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف-٨٦].

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ﴾ (١٨٤)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿اتَّقُوا﴾: تجنبوا غضب الله تعالى أطيعوا واعملوا بما شرّع، وخافوا من عذابه ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد؛ هنا المقصود الواحد الأحد تعالى ﴿خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم من غير سابق وجودٍ ﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾: النشأة ﴿الْأُولِينَ﴾: الذي خلقكم وخلق الآباء والأجداد.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ (١٨٥)

﴿قَالُوا﴾: هم قوم شعيب عليه السلام ﴿إِنَّمَا﴾: أداة تُفيدُ التحديد والتخصيص ﴿أَنْتَ﴾: يا شعيب ﴿مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾: ممن أصابهم كثرةُ السحر؛ فغلب السحرُ على عقولكم، وهو قول الأمم السابقة، التي كذبت رسل الله تعالى، فقد قالوا لموسى عليه السلام، القول نفسه:

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٨٦)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتَ إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ، أنت فقط ﴿بَشَرٌ﴾: من بني آدم ﴿مِثْلُنَا﴾: ولأنك مثلنا لا يمكن أن تكون رسولاً ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ﴾: جزء أو بعض

﴿الكَاذِبِينَ﴾: أتكَ كاذب فيما تدعيه على الله، والظنُّ هنا عندهم بمعنى اليقين، نحن متيقنون أنك من الكاذبين.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع؛ ولأننا متأكدون من كذبك نطلب منك ﴿أَسْقِطْ﴾: أن تُنزل ﴿عَلَيْنَا﴾: من فوقنا ﴿كِسْفًا﴾: هو قطعاً من النار أو غيرها من العذاب، كان هذا القول منهم تعنتاً، واستبعاداً، وتعجيزاً، قال قتادة: قطعاً من السماء، وقال السدي: عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: مثلما قالت قريش لمحمد ﷺ بعد ذلك ﴿أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ [الإسراء-٩٢] ﴿إِنْ﴾: بمعنى إذا ﴿كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: الذين يقولون الصدق والحقيقة. التكليف: هذه الماديّة في الأساس هي لغةُ كلِّ العصور، وخاصّة في العصر الحديث، الذي يُخضع كلَّ شيءٍ للعقل، وينسى كيف خُلِقَ الإنسان، ومن الذي خلقه وخلق العقل؟ وكيف يعمل؟

﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨٨)

﴿قَالَ﴾: شعيب عليه السلام ﴿رَبِّي﴾: المُعبود، والمُربي، يؤكد شعيبُ في هذه الظروف عبوديته لله ﷻ، وهو ما يغيظهم؛ ويُثبتُ به فؤاده ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم الكامل ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: ما تكيدون، وتخوفون به، وتمكرون.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩)

﴿ف﴾: بسبب ذلك وبدون تأخير ﴿كَذَّبُوهُ﴾: كانت النتيجة والموقف النهائي هو استمرار تكذيب قوم شعيبٍ لنبيهم عليه السلام ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾: سبب هذا قتلهم وذهب بهم ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾: وهو ما طلبوه عندما قالوا أسقط علينا كسفاً؛ فأصابهم حرٌّ عظيم، مدّة سبعة أيامٍ؛ لا يحميمهم منه شيءٌ، ثم أقبلت سحابةٌ أظلمت؛ فهرعوا إليها يستظلون بها، ولما صاروا جميعاً تحتها؛ أرسل الله ﷻ منها شرراً من نار، ولهيباً، ووهجاً عظيماً، ورجفت بهم الأرض، بحدوث زلزالٍ وجاءتهم صيحةٌ عظيمةٌ الرعدُ الشديد؛ أخذت أرواحهم ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿كَانَ﴾: حدثٌ في الماضي، وبقاى ﴿عَذَابٍ﴾: فيه كلُّ شرٍ وضررٍ وألمٍ ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: شديد الوجع.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٩٠)

﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: هذا العذاب الذي أخذ قوم شعيب ﴿لآيَةً﴾: في قصة شعيب مع قومه برهاناً وعبرةً واضحةً على قدرة الله ﷻ في مؤاخذه المُكذِّبين ﴿وَمَا﴾:

أيضاً نفي ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾: الغالبية ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: كان غالبية القوم كافرين، وهذا دليلٌ على أنّ عصيان غالبية شعب أمة من الأمم يجلبُ الدمارَ الشاملَ عليهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٩١)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك، وأمر الخلق كلّهُ ﴿لَنْ﴾: حرف تأكيد ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿الْعَزِيزُ﴾: إنّ الله هو العظيم الجليل في ذاته، وصفاته، ومملكه، وحكمه الذي لا يُغالبه، ولا يُعجزه شيءٌ ﴿الرَّحِيمُ﴾: واسع الرحمة بعباده وأوليائه.

﴿وَإِنَّهُ لَنُنزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٢)

﴿وَإِنَّهُ﴾: بالتأكيد هو القرآن الكريم ﴿لَنْ﴾: حرف تأكيد ﴿نُنزِلُ﴾: نزل من عند الله ﷻ خالق الخلق ومالك الملك تلك آيات الكتاب التي نزلت وحياً على محمد ﷺ ﴿رَبِّ﴾: مالك وصاحب والمتصرف في ﴿الْعَالَمِينَ﴾: مُوجد الأكوان، ومالكها.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣)

﴿نَزَلَ بِهِ﴾: حرف الالتصاق أنّ القرآن نزل من الله ﷻ من السماء إلى الأرض، جاء به ﴿الرُّوحُ﴾: جاء اللفظ القرآني "الروح" هنا بمعنى جبريل ﷺ، وقد أجمع على هذا ابن عباس، وقتادة، والسدي، والضحاك، وغيرهم ﴿الْأَمِينُ﴾: كان هذا الاسم ضرورة؛ لنفي تدخل أيّ أحدٍ في أيّ حرفٍ من القرآن الكريم.

﴿عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١٩٤)

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: نزل القرآن الكريم سالمًا من النقص والزيادة، سالمًا من الدنس على القلب؛ مركز الوعي والإدراك ﴿لَنْ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿تَكُونَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿مِنَ﴾: حرف جرٍ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْمُنذِرِينَ﴾: كما كان الرسل من قبلك تبشّر به المؤمنين؛ فإنّ عصوا فتنذرهم، وتُحذّرهم من غضب الله ونقمته ﷻ، وقد جاء في هذه السورة قصص أقوام من قبله ﷻ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١٩٥)

﴿بِ﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿لِسَانٍ﴾: لغة ﴿عَرَبِيٍّ﴾: نزل به جبريل ﷻ، باللغة العربية الفصحى ﴿مُبِينٍ﴾: الكامل، والشامل؛ ليكون واضحاً، قاطعاً، مقيماً الحجج، لا يحتاج إلى ترجمان، قال سفيان الثوري: لم ينزل وحياً إلا بالعربية، ثم ترجم كلُّ نبيٍّ لقومه؛ فمن دخل الجنة تكلم بالعربية.

﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٩٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ ذكر هذا القرآن الكريم ﴿لَفِي زُبُرٍ﴾: لمثبت في كتب الأنبياء ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: الأمم السابقة، التي نزلت عليهم بواسطة أنبيائهم، وبشروا بالقرآن في قديم الدهر، وحديثه، ومفردها زبور، وقد وضّحت الآية ذلك ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر- ٥٢].

﴿أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٩٧)

﴿أَوْلَمْ﴾: يسأل الله ﷻ وهو يعلم مستنكرًا ﴿يَكُنْ لَهُمْ﴾: على وجه الخصوص ﴿آيَةٌ﴾: أليس هذا القرآن دليلاً يَكْفِيهِمْ من شهادة صدق ﴿يَعْلَمَهُ﴾: علم اليقين ﴿عُلَمَاءُ﴾: العارفون للحقيقة من ﴿بَنِي﴾: أبناء ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب عليه السلام، لقد وجدوا ذكر القرآن مكتوبًا في كتب اليهود أبناء يعقوب عليه السلام، في كتبهم التي درسوها، وهم العلماء العدول، الذين اعترفوا بصفة محمد ﷺ ومنهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وغيرهم ممن أسلموا.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ (١٩٨)

يقول الحق ﷻ ﴿وَلَوْ﴾: حرفٌ يُعِيدُ النفي والاستنكار ﴿نَزَّلْنَاهُ﴾: القرآن الكريم ﴿عَلَىٰ بَعْضِ﴾: جزءٍ من ﴿الْأَعْجَمِينَ﴾: لو نزل القرآن الكريم على غير العرب؛ ما فهموا معانيه؛ فقد يكون هذا مبررًا لهم لعدم الإيمان به.

﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٩٩)

﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد السبب؛ بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿قَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾: لو قرأه محمد ﷺ عليهم ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: ما فهموا معانيه وما آمنوا به.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٠٠)

﴿كَذَلِكَ﴾: أيضًا ومثل هذا ﴿سَلَكْنَاهُ﴾: أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿فِي قُلُوبِ﴾: مراكز الوعي في المجرمين؛ لم تدركه مراكز الإدراك؛ لأنهم كانوا حقًا ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الكفار والمشركين.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٢٠١)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: لا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من إنكار القرآن، والكفر به ويُصدّقوا بالحق، كتابًا ورسولًا ﴿بِهِ﴾: حرفُ بَاءِ الالتصاق ﴿حَتَّىٰ﴾: حرفُ جرِّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدّقوا إلا بشرط أن ﴿يَرَوُا﴾: يأتيهم عيانًا بيانًا ﴿الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: ينزل بهم العذاب الشديد، ولا تنفعهم توبة.

﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٠٢)

﴿ف﴾: يُفيدُ سببَ وسرعةِ الحدثِ ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: ينزلُ بهم ﴿بِغْتَةٍ﴾: فجأةً، دونَ إنذارٍ ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿يَشْعُرُونَ﴾: دونَ توقعِ الكفَّارِ، بلا إشاراتٍ أو مقدماتٍ.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ (٢٠٣)

﴿ف﴾: حرفُ يفيدُ السببَ وبدونِ تأخيرٍ ﴿يَقُولُوا﴾: يصرخون ﴿هَلْ﴾: حرفُ استفهامٍ للاستفسارِ ﴿نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾: مؤخرون وممهلون لنؤمن ونعمل الصالحات، يطلبون فسحةً من الزمن ليؤمنوا؛ إنها ساعة الندم والحسرة على ما فات من الإيمان، والآيات الدالة على ذلك كثيرة.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٢٠٤)

﴿أ﴾: حرفُ استفهامٍ يفيدُ الاستنكار والتعجب للتوبيخ ﴿ف﴾: بسبب وهو حرف عطف يناسب المقام ﴿ب﴾: حرفُ باءِ المجاوزة ﴿عَذَابِنَا﴾: هم الذين طلبوا ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: لقد طلبوا التعجيل بالعذاب وقت الاستماع، وجاء في المعنى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت-٥٣]؛ فإذا نزل العذاب صرخوا؛ لماذا تستعجلون بعذابنا؟ أمهلونا.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (٢٠٥)

﴿أ﴾: حرفٌ يفيدُ الاستفسارِ ﴿ف﴾: حرفُ استثنائيٍ بهدف ترتيب الأمر، يفيدُ سرعة التنفيذ ﴿رَأَيْتَ﴾: لو تخيلت أخبرني ﴿إِنْ﴾: حرفُ شرطٍ بمعنى إذا ﴿مَتَّعْنَاهُمْ﴾: إذا نَعَمْنَاهم ومتعناهم ﴿سِنِينَ﴾: طويلة؛ طول العمر، وكثرة المال، ووفرة النساء، وتوافر وسائل المتعة.

﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٢٠٦)

﴿ثُمَّ﴾: يفيدُ التتابعَ الزمني غير السريع، بعد فترة من الزمن من المتعة والنعيم ﴿جَاءَهُمْ﴾: حلَّ ونزل بهم ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: حلَّ بهم عذابٌ في الدنيا، أو جاء يوم القيامة بعد مماتهم، أو قبل ذلك، سيأتيهم ما كان وعدهم وتوعدهم به الله ﷻ من عذابٍ وعقابٍ شديدٍ.

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ (٢٠٧)

﴿مَا﴾: حرفُ نفيٍ للإنكارِ ﴿أَغْنَى﴾: رفع ولا دفع ﴿عَنْهُمْ﴾: أو ينفعمهم كونهم ممتعين، هذا التمتع الطويل ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يُمْتَعُونَ﴾: من كثرة ما تمتعوا، فقد زالت النعم، وحلَّ السقمُ، وجاء يوم الحساب، وقد جاء في المعنى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [يونس-٤٥]، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ

أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ^(١).

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ (٢٠٨)

﴿و﴾: أيضًا ﴿ما﴾: حرف نفي ﴿أَهْلَكْنَا﴾: دَمَرْنَا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾: ما أَهْلَكْنَا مِنْ أُمَّةٍ مِنْ الْأُمَمِ
﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿لَهَا﴾: أُرْسِلَ فِيهَا ﴿مُنْذِرُونَ﴾: جَاءَهُمْ مِنْ يُخَوِّفُهُمْ، وَيَحْذَرُهُمْ
من عذاب الدنيا و الآخرة.

﴿ذَكَرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٠٩)

﴿ذَكَرَى﴾: عبرةٌ وعظةٌ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كُنَّا﴾: لم ولن نكون ﴿ظَالِمِينَ﴾: رغم قوتنا
وعظمتنا؛ فإِنتنا العدل لا نظلم أبدًا.

﴿وَمَا نَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢١٠)

﴿وَمَا﴾: أيضًا نفي ﴿نَنْزَلَتْ بِهِ﴾: بالقرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه، لم تنزل به ﴿الشَّيَاطِينُ﴾: بل نزل به جبريل الأمين عليه السلام، الروح الأمين.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٢١١)

﴿وَمَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿يَنْبَغِي﴾: لا يجب ولا يجوز ﴿لَهُمْ﴾: لا يجوز ولا يصح لهم ذلك
لأنَّ طبيعة الشيطان فاسدة، وهدفه ضلال العباد، والقرآن نورٌ وهدى، وبرهانٌ عظيمٌ ﴿وَمَا﴾:
لا ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: حتى لو انبغى لهم ما استطاعوا حمله، وتأديته؛ لأنهم ممنوعون من الاستماع
إليه حال نزوله، جاء في المعنى ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثًّا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا﴾
[الجن-٨].

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَغْرُؤُونَ﴾ (٢١٢)

﴿إِنَّهُمْ﴾: الشياطين بالتأكيد ﴿عَنِ﴾: حرف جرٍ يُعِيدُ المَجَاوِزَةَ ﴿السَّمْعِ﴾: وَإِنْ يَسْتَمِعُوا ﴿ل﴾:
حرف تأكيد ﴿مَغْرُؤُونَ﴾: لأنهم عن استماع القرآن محبوبون، ومرجومون بالشهـب؛ بينهم وبين
القرآن الكريم حجاب، هذه كانت الحقيقة؛ جاء في المعنى: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا
رَصْدًا﴾ [الجن-٩] وهذا تحصيلٌ للقرآن الكريم من تدخل الشياطين.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (٢١٣)

تُبَيِّنُ هذه الآيات وما بعدها الأسلوب الرِّبَّانِيَّ للدعوة إلى الله ﷻ، كيف التعامل مع من
استجاب، ومع من عصى ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهى عن

(١) صحيح مسلم ٢١٦٢/٤ (٢٨٠٧).

﴿تَدْعُ﴾: تطلب وتترجى ﴿مَعَ اللَّهِ﴾: جاء اللفظ القرآني الدعاء في القرآن الكريم على سَنَّةٍ أَوْجِهٍ، هنا بمعنى العبادة فلا تعبد إلا الله ﷻ ولا تُطع ﴿إِلَّهَا آخَرَ﴾: شريكًا أو معبودًا آخر ﴿فَ﴾: بسبب هذا ﴿تَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾: الذين كُتِبَ عليهم العذاب؛ لأنك إن دعوت بغير ذلك فعصيت، يكون جزاؤك العذاب الأليم.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤)

﴿وَ﴾: عطفًا على ذلك ﴿أَنْذِرْ﴾: بَلِّغْ وحثِّر أيها الرسول ﴿عَشِيرَتِكَ﴾: قبيلتك ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾: العشيرة الأقرب فالأقرب من قومك؛ فهم الأكثر معرفةً بصدقك وأمانتك.

﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١٥)

﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿إِخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: أَلْنِ جانِبَكَ بعطفٍ، وحنانٍ، وعودٍ؛ كنايةً عن التواضع ﴿لِمَنِ﴾: تخصيصًا للذي ﴿اتَّبَعَكَ مِنْ﴾: حرف تمييز يفيد بداية الغاية المكانية وهم ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: للذين آمنوا واتبعوا، وتبرؤوا من الذين كفروا، مهما كانت درجة الفرية معه.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢١٦)

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: إذا رفضوا طاعتك والإيمان بك ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿قُلْ إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿بَرِيءٌ﴾: لا أحمل ذنبًا أو وزرًا ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: أتبرأ مما تقولون وتعملون، جاء في المعنى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون-٦].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧)

﴿وَ﴾: عطفًا على ذلك ﴿تَوَكَّلْ﴾: اعتمد في كلِّ شيءٍ، بثقةٍ، ويقين، أن الله ﷻ مُؤَيَّدٌ، وحافظٌ، وناصرٌ، ومُظْهِرٌ على الكافرين ﴿عَلَى الْعَزِيزِ﴾: المنيع الذي لا يُغَالِبُهُ أحدٌ، ولا يُعْجِزُهُ شيءٌ ﴿الرَّحِيمِ﴾: صاحب الرحمة الواسعة للمنيبين والمتوكلين عليه ﷻ، نلاحظ في كلِّ الآيات التي ذُكر فيها العزيزُ تفيدهُ الشدة، والمنعة، وجاء بعدها لفظ الرحيم طمأنة للمؤمنين.

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢١٨)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، وهي هنا خاصة بالله ﷻ ﴿يَرَاكَ﴾: يُشَاهِدُكَ، ويعلم ويسمع ما تقوله في نفسك أو بلسانك ﴿حِينَ﴾: وقت وزمن ﴿تَقُومُ﴾: للصلاة، قال ابن عباس: تقوم إلى الصلاة وقال عكرمة: يرى قيامك، وركوعك، وسجودك.

﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (٢١٩)

﴿و﴾: أيضًا يرى ﴿تَقَلُّبِكَ﴾ قال قتادة: يراك في الصلاة وحدك، ويراك في صلاة الجماعة، ﴿فِي السَّاجِدِينَ﴾: الذين يسجدون في عبادتهم لله ﷻ
﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٢٠)
﴿إِنَّهُ﴾: الله ﷻ بالتأكيد ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾: شديد ودقيق السمع، يسمع كلام عباده ﴿الْعَلِيمُ﴾: يعلم كل حركاتهم وسكناتهم.

﴿هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٢١)
﴿هَلْ﴾: حرف استفهام ﴿أَنْبَأَكُمْ﴾: أخبركم عما سيحدث في المستقبل ﴿عَلَىٰ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿تَنْزَلُ﴾: من الذين يستمعون وسوسة ﴿الشَّيَاطِينُ﴾: الذين زعمتم أنهم تنزلوا بهذا القرآن.

﴿تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٢٢)
﴿تَنْزَلُ﴾: تنزل الشياطين ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: تفيد العموم من هذا النوع من الناس ﴿آفَاكٍ﴾: كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾: تنزل على الفاجر في أفعاله، وهم الكهنة، والفاسقون، وهذه صفات الشياطين، ينزلون على أمثالهم من البشر.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٢٢٣)
﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾: ومن عادة الشياطين أنهم يسترقون، ينتصتون في السماء فيسمعون الكلمة من الملائكة، علم الغيب ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿أَكْثُرُهُمْ﴾: الغالبية من الكهنة هم ﴿كَاذِبُونَ﴾: فيما يقولون، يزيدون عليه الكذب؛ ثم يلقونه إلى أوليائهم من البشر؛ فيحدثون به الكهنة والعرفان؛ فيصدقهم الناس؛ في تلك الكلمة الصحيحة؛ ثم يزيدون عليها؛ ويكذبون على التي سمعوها في السماء.

﴿وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤)
﴿و﴾: عطفًا على ما سبق من المعلوم أن ﴿الشَّعْرَاءَ﴾: قال ابن عباس ومجاهد: هم الكفار ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾: يجاريهم ويسلك مسلكهم، ويكونوا من جملتهم ﴿الْغَاوُونَ﴾: وهم في ضلال الجن والإنس والجن، وقال عكرمة: الشاعران في هجائهما؛ فينتصر لهذا فئات؛ أي بعض من الناس، وقال الإمام أحمد في المسند: هو الشاعر؛ حيث قال ﷺ: ﴿لَأَنْ يَمْتَلِي جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي شِعْرًا﴾^(١)، وعن أبي بن كعب: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»﴾^(٢).

(١) صحيح مسلم ١٧٦٩/٤ (٢٢٥٧).

(٢) صحيح البخاري ٣٤/٨ (٦١٤٥).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (٢٢٥)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: إذا جاءت دللت على الوجع ﴿أَنَّهُمْ﴾: الشعراء الذين زعمتم أن محمداً ﷺ منهم ﴿فِي كُلِّ﴾: جميع وعموم ﴿وَادٍ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فِي كُلِّ لَعْوٍ يَخُوضُونَ»^(١)، ﴿يَهِيمُونَ﴾: يخوضون، وأضاف الضحاك: فِي كُلِّ فِي من الكلام، وقال الحسن البصري: شتيمه فلان مرة، ومدحه مرة أخرى، وقيل الشاعر يمدح قومًا بباطلٍ، ويذم قومًا بباطلٍ بذكر المساوي وهي عكس المدح.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٢٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَنَّهُمْ﴾: تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿يَقُولُونَ﴾: قال ابن عباس: أكثر قولهم كذب ﴿مَا﴾: الذي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَفْعَلُونَ﴾: فيقولون فعلنا وفعلنا، وهم لم يفعلوا.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢٢٧)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، استثنى الله ﷻ من الشعراء الذين اهتدوا بالإيمان وعملوا الصالحات وأكثروا من ذكر الله ﷻ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: مستثنى من هذه الصفات الذميمة التي هي ذكر المساوي، والتي هي عكس مدح الذين آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه ورسله ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أتبعوا الإيمان بالعمل الصالح ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: أيضًا ذكروا الله ﷻ في صلاتهم وغيرها ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾: جاهدوا في سبيل الله ﷻ؛ فنصرهم الله في الدنيا، وأتابهم الجنة في الآخرة ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿س﴾: حرف يفيد تأكيد الفعل والقول في المستقبل ﴿يَعْلَمُ﴾: علم الواقع والحدث ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: قال قتادة: الشعراء، وقيل: المشركون من أهل مكة، والصحيح أنها عامة في كل ظالم ﴿أَيَّ﴾: استفسار ﴿مُنْقَلَبٍ﴾: مرجع ومصير ومآل ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾: سيعلمون أي مرجع سيرجعون إليه، ما مصيرهم في الدنيا وفي الآخرة. التكليف: بدراسة مقاصد السورة الكريمة؛ ندرك كيف دحض الله ﷻ كفر المشركين والمجرمين في الأمم السابقة.

(١) صحيح البخاري ٣٤/٨ باب ما يجوز من الشعر والرجز.

سُمِّيت بِسُورَةِ النَّمْلِ فِي كِتَابِ الصَّحَاحِ، وَتَسْمَى أَيْضًا سُورَةَ سَلِيمَانَ، وَهَذَانِ الْإِسْمَانِ يَقْتَصِرُ عَلَيْهِمْ صَاحِبُ الْإِتْقَانِ، وَهَنَّاكَ مَنْ قَالَ إِنَّهَا سُورَةُ الْهَدَّهِدِ، هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ النَّزُولُ بِالِاتِّفَاقِ، وَتَرْتِيبُهَا (٤٨) فِي عِدَادِ نَزُولِ السُّورِ، نَزَلَتْ بَعْدَ الشُّعْرَاءِ، وَقَبْلَ سُورَةِ الْقَصَصِ، وَعَدَدُ آيَاتِهَا (٩٣) آيَةً.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١)

﴿طس﴾: اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إنَّ الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرف ﴿ط﴾: أرى، والله أعلم، كما في سورة الشعراء أنها تعني أيها النبي محمد ﷺ، فقد جاء هنا بعدها في الآية (١) ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ومن المعلوم أن القرآن نزل على محمد ﷺ، وجاء في الآية (٦) ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾، ولم يأت قبلها اسم يعود عليه الضمير. حرف ﴿س﴾: أرى، والله أعلم، أن معناه كما هو معناه في اللغة؛ هو حرف توكيد القول وتأكيد الفعل؛ فقد جاء في الآية (٢) ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وجاء في الآية رقم (٥) تهديد للكافرين: ﴿لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾، وجاء أيضًا ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾: هذه آيات، وأدلة، وبراهين، وحجج ﴿الْقُرْآنِ﴾: كتاب الله ﷻ المنزل وحيا على رسوله محمد ﷺ ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: كتاب الله ﷻ الواضح البين، لا شك فيه، ولقد وصف الآيات بالوصفين، القرآن الدال على كونه مقروءًا عربيًا معجزًا والكتابة الدالة على كونه مكتوبًا مع الإبانة لمعانيه لمن يقرؤه.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

﴿هُدًى﴾: تؤدي إلى الهداية، وهي معرفة الحقيقة، وعكسها الضلال، وهو التيه، والمصير المظلم ﴿وَبُشْرَى﴾: وهي الهناءة والمسرة وتوصل البشرية إلى قلوب ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالله ﷻ، ورسله، وبالقرآن، واتباع تعاليمه، وعمل بها، وعكس الهدى والبشرى هو الضلال والتهيه، والمصير الخاسر في الدنيا والآخرة.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٣)

﴿الذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: يقيمون ويؤدون الصلاة المكتوبة على الوجه الصحيح؛ حتى تتحقق الهداية والبشرى ﴿و﴾: عطفاً على الصلاة ﴿يُؤْتُونَ﴾: ويدفعون ﴿الزَّكَاةَ﴾: المفروضة لمستحقيها من الفقراء والمساكين، والعاملين عليها، وفي الرقاب ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿هُم يُوقِنُونَ﴾: ويؤمنون بيقين أن القيامة حق، وأن الثواب والعقاب فيها حق.

﴿إِنَّ الذِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الذِّينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: هم الكافرون بيوم القيامة وصفاتهم: أنهم يكذبون، ويُنكرون، ويستبعدون وقوع يوم القيامة ﴿زَيْنًا﴾: جملنا، جعلناهم يتيهون، ويتحIRON ويضلون أكثر ﴿لَهُمْ﴾: تمليكا ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: كل عمل يغضب الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿هُم يَعْمَهُونَ﴾: والعمه هو الحيرة.

﴿أُولَئِكَ الذِّينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ (٥)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةٌ للقريب والبعيد، هنا للذين يُوصفون بأنهم لا يؤمنون بيوم القيامة هم ﴿الذِّينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿لَهُمْ﴾: تمليكا ﴿سُوءَ﴾: كل ما يُسبب ضرراً، وشرّاً ﴿الْعَذَابِ﴾: سينالهم عذابٌ في الدنيا، وأسوأ العذاب في الآخرة ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿هُم﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد؛ جاء التكرار لمزيد من التأكيد ﴿الْأَخْسَرُونَ﴾: هم الأكثر خسارة من غيرهم.

﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (٦)

﴿وَإِنَّكَ﴾: أنت يا محمد ﷺ بالتأكيد ﴿لن﴾: حرفٌ يفيد تخصيص محمد ﷺ ﴿تَلْقَى﴾: جاء اللفظ القرآني "التلقي" على وجهين؛ هنا بمعنى ما يُؤتى ويؤخذ، أي تأخذ ﴿الْقُرْآنَ﴾: ينزل عليك بالوحي، يعلمك ﴿مِنْ لَدُنْ﴾: من عند الله ﷻ ﴿حَكِيمٍ﴾: صاحبُ الحق والصواب في أمره، ونهيه، وحلقه، وشرعه، وتدبيره ﴿عَلِيمٍ﴾: بالأمور كلها؛ كبيرها وصغيرها، جليلها، وحقيقتها؛ هو الصدق المحض، العدل الحق التام، جاء في المعنى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام- ١١٥].

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ

تَضَلُّونَ﴾ (٧)

يسرد الله ﷻ هنا قصة موسى ﷺ بعد أن بعثه، وأيده بآياته، إلى فرعون وملئه، فيذكر الله ﷻ: ﴿إِن﴾: حرفٌ يُفيدُ ما مضى من الزمن يفيد هنا التوكيد ﴿قَالَ مُوسَى ل﴾: حرف تخصيص ﴿أَهْلِهِ﴾: واذكر قول موسى ﷺ وقد سار بأهله في ليلٍ، وظلامٍ، وبردٍ، فرأى نارًا مُشتعلة؛ فقال لأهله ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَنْسْتُ﴾: رأيت ﴿نَارًا﴾: حرفُ تأكيد الفعل سوف ﴿سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ﴾: سوف أذهب حتى أعرف من أشعلها، وقد يدلني على الطريق ﴿أَوْ﴾: حرفٌ يفيد العطف والتسوية ﴿آتِيكُمْ﴾: أحضر لكم ﴿بِشَهَابٍ﴾: شعلة نارٍ ﴿قَبَسٍ﴾: ما أخذته من النار في مكانٍ لتشعل به نارًا أخرى ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: تُفيد الترجي، أرجو لكم أن ﴿تَصْطَلُونَ﴾: توقدوا بها نارًا تتدفؤون من البرد.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع والسبب ﴿جَاءَهَا﴾: وصل موسى ﷺ إليها، ﴿نُودِيَ﴾: ناداه الله ﷻ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿بُورِكَ﴾: تقدس ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿فِي النَّارِ﴾: قال ابن عباس وغيره: لم تكن نارًا إنما كانت نورًا يتوهج ﴿و﴾: أيضًا بورك ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿حَوْلَهَا﴾: من الملائكة، قال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ^(١) وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ^(٢)، ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزه ﷻ في فعله، فلا يفعله غيره، ولا يشبهه شيءٌ، من مخلوقاته، ولا يُحيطُ به شيءٌ من مصنوعاتِه، المخالفُ لجميع المخلوقات، لا تكتنفهُ الأرضُ والسمواتُ، الواحدُ الأحد، الفردُ الصمدُ، لم يلدُ ولم يولدْ، المنزلةُ عن مماثلةِ المُحدثاتِ ﴿رَبِّ﴾: المالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالك كلِّ أمرٍ ﴿الْعَالَمِينَ﴾: الإنس والجن والملائكة والكواكب وغيرها.

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٩)

﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب وللبعيد ﴿مُوسَى﴾: المُنادي هو الله ﷻ ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿أَنَا اللَّهُ﴾: الذي يُخاطبك هو ربُّك ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي عزَّ على كلِّ شيءٍ، وقهر كلِّ شيءٍ، لا يغالبه شيءٌ، ولا يُعجزه شيءٌ ﴿الْحَكِيمُ﴾: في قوله وفعله، فثَقَّقُ الغاياتُ بالتمام والكمال.

(١) صحيح مسلم ١/١٦١ (١٧٩).

(٢) صحيح مسلم ١/١٦١ (١٧٩).

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٠)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَلْقِ﴾: ارم ما بيدك ﴿عَصَاكَ﴾: فألقها موسى ﷺ، من يده، العصا التي جهّزها من قبل من الشجر؛ ليتوكأ عليها، ويهشُّ بها على غنمه ﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ حدث في الماضي ﴿رَآهَا﴾: شاهدها ﴿تَهْتَزُّ﴾: بدأت العصا الجماد تتحرك على الأرض ﴿ك﴾: مثل أو حال ﴿أَنَّهَا﴾: حرفٌ تصوّر ﴿جَانٌّ﴾: الحيّة البيضاء، من نوع الحيات الأكثر حركة، وأكثر اضطراباً، عندها ﴿وَلَّى﴾: أسرع وهرب يبتعد ﴿مُدْبِرًا﴾: تركها خلفه ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُعَقِّبُ﴾: لم يلتفت، ولم يرجع من شدّة الخوف ﴿يَا﴾: حرف نداء من الله ﷻ ﴿مُوسَى لَا﴾: حرف نهي ﴿تَخَفْ﴾: جاءه الوحي؛ ألا يخاف ممّا يرى ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾: في حضرتي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: أبلغه الله ﷻ أنه اصطفاه رسولاً، وجعله نبياً، والرسل لا تخافون لا من حيّة ولا من كلّ الخلق بفضل الله ﷻ.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١)

﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ منقطع ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿ظَلَمَ﴾: لكنّ الذي يخاف هو الظالم لنفسه بالكفر يخاف من كلّ شيء ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع الزمني على التراخي ﴿بَدَّلَ﴾: غير ﴿حُسْنًا﴾: عمل صالحاً ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾: من بعد ذنبٍ سيئ؛ سبب الضرر، ثم تاب ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿إِنِّي﴾: حرف تأكيد أنّ الله ﷻ ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أنا الله أغفر لعبادي وأرحمهم من عذابي.

﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١٢)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك يا موسى ﴿أَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: أنّ يُدخل يده في فتحة قميصه، تحت الرقبة، هذه آيةٌ أخرى إضافة إلى العصا ثم أخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾: يدك ﴿بَيْضًا﴾: تُصبح بعد خروجها ساطعة؛ كأنّها قطعةٌ من الثلج، أو من القمر، لها لمعانٌ، تتلألأ كالبرق الخاطف ﴿مِنْ غَيْرِ﴾: حرفٌ يفيد التمييز، واستثناءً يُفيدُ المجاوزة، بمعنى دون ﴿سُوءٍ﴾: دون ضررٍ أو شرٍّ، ودون أمراضٍ؛ مثل البرص، والبهاق ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾: هاتان آيتان من تسع آياتٍ، يُزوّده الله ﷻ بها، وهي العصا، واليد، والسنون، ونقص الثمرات والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدُم؛ تُعرض ﴿إِلَى﴾: حرف جرّ يدل على المصاحبة ﴿فِرْعَوْنَ﴾: حاكم مصر ﴿وَقَوْمِهِ﴾: وكلف الله ﷻ موسى ﷺ بالذهاب إلى فرعون وأعوانه؛ ليهديهم ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿كَانُوا﴾

قَوْمًا: جماعة من أصل واحد، وأصحاب مذهب واحد **فَاسِقِينَ**: الفسوق هو الخروج عن المسموح؛ لأنهم خرجوا عن أمر وطاعة الله ﷻ، وعصوا، واستكبروا.

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

فَلَمَّا: حرف يُفيدُ التتابع والسبب **جَاءَتْهُمْ**: عُرِضَتْ عَلَيْهِمْ **آيَاتُنَا**: الأدلة والبراهين السابق ذكرها إلى فرعون وملئه **مُبْصِرَةً**: بلغت آيات الله ﷻ إليهم واضحة جليّة، ظاهرة، على صحة نبوة موسى ﷺ، وعلموا صدقها؛ أنكروا ذلك في العن **قَالُوا هَذَا**: آيات موسى ﷺ **سِحْرٌ مُّبِينٌ**: اتهموا النبي، إته جاء بسحرٍ ظاهرٍ؛ لأنهم يعملون السحر، وبذلك يقرون بأن السحر مذموم بذكر المساوي وهي عكس المدح.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

و: عطفًا على اتهام موسى ﷺ، بالسحر **جَحَدُوا بِهَا**: كفروا، وعاندوا، وأنكروا، وكابروا **وَاسْتَيْقَنَتْهَا**: أيضًا تأكّدت منها **أَنفُسُهُمْ**: كانوا على يقين أنها من عند الله ﷻ، ولكن أنكروا **ظُلْمًا**: من أنفسهم لأنفسهم **وَعُلُوًّا**: استكبارًا عن اتباع الرسول **ف**: بسبب ذلك **انظُر**: تفكّر، وتأمل، وأدرس **كَيْفَ**: أداة استفهام **كَانَ**: في الماضي **عَاقِبَةُ**: جزاء وحساب **الْمُفْسِدِينَ**: كانت عاقبتهم الخزي في الدنيا، والغرق، والموت، والهلاك.

التكليف: فليحذر المكذوبون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، عاقبة كذبهم؛ أن يُصيبهم ما أصاب من قبلهم.

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

وقصة أخرى؛ قصة داوود، وسليمان عليهما السلام **وَلَقَدْ**: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل **آتَيْنَا**: وهبنا **دَاوُودَ** ﷺ **و**: أيضًا وهبنا **سُلَيْمَانَ**: إذ أعطاهم الله ﷻ **عِلْمًا**: كلام الطير، وتسخير الجن، والشياطين، وهذا من المواهب الجليلة، والعطايا العظيمة، والصفات الحميدة؛ من المال، والقوة، والسلطان، والنبوة **و**: عطفًا على هذا **قَالَا**: داود، وسليمان **الْحَمْدُ**: كان قولهما الشكر، والثناء **ل**: حرف تخصيص **اللَّهِ الَّذِي**: اسمٌ موصولٌ للمفرد، وهو هنا الله ﷻ **فَضَّلْنَا**: اختصنا بفضلهِ وكرمه بالنبوة **عَلَى كَثِيرٍ**: العديد **مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**: إنَّ التفضيل على الكافرين فضل كبير، والتفضيل على كثيرٍ من المؤمنين فضلٌ أعظم وأكبر.

التكليف: كان الزمن بين سيدنا سليمان ونبينا محمد قرابة ألفٍ وثمانمائة عام، ومع ذلك يبقى العلمُ الصادقُ أساسًا من أسسِ التفضيل بين الخلق.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْ تَبْغُوا دَارَ قَوْمِكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ كَانَ شَهِيدًا﴾ (١٦)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾: ورث سليمان النبوة، قبل وراثة الملك، وهذه من حكمة الله ﷻ؛ عدم وجود أولاد لسيدنا محمد ﷺ في النبوة، وليس في خصوص المال؛ لأنَّ المال يُورَثُ في النَّاسِ على كلِّ الورثة، أمَّا الأنبياء فلا يورثون أموالهم، قال ﷺ: لَا تُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً^(١) ﴿وَقَالَ﴾: سليمان ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿النَّاسِ﴾: وهي عامَّة لبني آدم جميعًا ﴿عَلِمْنَا﴾: عَلَّمَنَا اللهُ ﷻ: لغة ﴿الطَّيْرِ﴾: كلُّ ذي أجنحة، يسبح في الهواء ﴿وَأُوتِينَا﴾: أيضًا وهبنا اللهُ ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ يفيد بيان وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد العموم من الحيوانات على اختلاف أصنافها وما أعطاه اللهُ ﷻ للأنبياء ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿هَذَا﴾: العلم ﴿لَهُوَ الْفَضْلُ﴾: هذا تفضيلٌ من الله ﷻ لنا، وكرمه ﴿الْمُبِينِ﴾: الظاهر، إنَّ أهم ما يحتاج إليه الحاكم هو معرفة ما يجري بين الناس، فكيف إذا كان يعلم لغة الطير، ولغة الحيوانات، إنَّ هذا لفضلٌ عظيم.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿حُشِرَ﴾: جمع اللهُ ﷻ ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿سُلَيْمَانَ﴾: ﷺ، ﴿جُنُودُهُ﴾: الجنود الذين هم في خدمته وطاعته ﴿مِنَ الْجِنِّ وَ﴾: أيضًا مِنْ ﴿الْإِنْسِ﴾: بني آدم ﴿وَالطَّيْرِ﴾: أيضًا من كلِّ ذي أجنحةٍ، سَبَّحَ في الهواء فشكَّل موكبًا عظيمًا، سار أمامهم سليمان ﷻ؛ في عظمةٍ وجلالٍ، كان النَّاسُ خلفه مباشرةً، ومن بعدهم الجنُّ، ثم كان الطير فوق الرؤوس؛ هكذا كان توزيعهم ﴿فَهُمْ﴾: ضمير للجمع ﴿يُوزَعُونَ﴾: يصطفُّ أولهم، وآخرهم، لا يتقدَّم أحدٌ على منزلة غيره، قال مجاهد: جعل قائدًا على كلِّ صنفٍ ورَّعة؛ لئلا يتقدموا في السير. وهو ما يفعله الملوك والرؤساء اليوم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨)

﴿حَتَّى﴾: حرف جرٍّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَتَوْا﴾: جاؤوا ووصلوا ﴿وَادِ النَّمْلِ﴾: عندما وصل موكب سليمان ﷻ، مكان مملكة النمل، وكانت في الشام

(١) صحيح البخاري ٩٨/٩ (٧٣٠٥).

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: ومن السياق يُفهم أنها زعيمة النمل ﴿يَا أَيُّهَا﴾: أداة تواصلٍ بين المُنادي والمُنَادَى عليه وهو ﴿النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾: اختبئوا في جحوركم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَحِطَّمَنَّكُمْ﴾: حتى لا تحطمكم أرجلُ سليمان، والتحطيم هو التهشيم، وهو للأجسام الصلبة المتماسكة، حيث جاء اللفظُ ليؤكد ما يقول العلم الحديث عن تكوين جسم النملة من هيكلٍ صلب؛ يُطلق عليه الهيكل الخارجي الذي يتحطم من جدار جسد النملة، المكوّن من مادة السيلكون الداخلة في صناعة الزجاج، والمادة المُغطّية للنملة هي مادة الكيتين وهي مشابهة للزجاج ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾: وحوافر الخيول ﴿وَهُمْ﴾: أيضًا جنود سليمان ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: تُبرئ زعيمة النمل سليمان وجنوده من قصد قتل النمل ظلماً.

التكليف: كم كانت تلك النملة مؤدبةً مع سيدنا سليمان ﷺ، إن القيادة الراشدة في كل جماعة تخاف على رعيّتها، وتتصح وتقول لهم الصدق، وهذا ما فعلته زعيمة النمل.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٩)

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿تَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾: دخل السرور قلب سليمان ﷺ، ﴿مِنْ قَوْلِهَا﴾: فقد سمعه ووعاه ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالَ رَبِّ﴾: الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك كل أمر ﴿أَوْزِعْنِي﴾: فاستدعى هذا الفضل أن يقول سليمان ﷺ، يا رب ألهمني؛ دلّني ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ﴾: وهي فهم لغة النمل؛ حتى لا يقتلها ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول للمفرد المؤنث، والمقصود هنا هي النعمة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِيَّ﴾: وأيضًا أشكر نعمتك على والدي ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَعْمَلَ صَالِحًا﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، أن يكون عملي مقبولًا عندك ﴿تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي﴾: نعيم جنتك مع ﴿عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾: فاجعلني مع عبادك الذين صلّح عملهم، ورضيت عليهم.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (٢٠)

﴿وَتَفَقَّدَ﴾: من باب تعهد سليمان ﷺ، أن تابع ونظر في حال وأمور ﴿الطَّيْرَ﴾: هي كل ذي أجنحة تسبح في الهواء، ليعلم ما يجب أن يعلم من شئون الطيور، وقد نزل يومًا في أرضٍ جرداء، فطلب الهدهد الذي يستطيع أن يكتشف الماء في باطن الأرض، وهي منحة من الله ﷻ، وصفة ملازمة للهدهد ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿قَالَ مَا لِيَ﴾: هل هناك أمرٌ منعي من رؤيته،

كيف؟ وهو استقهاً للتعجب من عدم رؤيته الهدهد وهو ما لم يُعهد عليه من قبل ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿أَرَى﴾: أجد وأشاهد ﴿الْهُدْهُدُ﴾: هل أخطأه بصري ﴿أَمْ﴾: هل ﴿كَانَ﴾: صار ﴿مِنْ﴾ الغائبين: أم لم يحضر الهدهد، وهو ما لا يجوز له.

﴿لَأُعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٢١)

﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿أُعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: بالتأكيد، أعذب هذا الهدهد نتيجة غيابه تأديباً له، فقد كان عذابُ الطيور ننف ريشهم، واللقاءهم تحت الشمس؛ وبذلك يكون صيداً سهلاً للهوام من الثعابين وغيرهم ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين يربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿لَأَذْبَحَنَّكَ﴾: والذبح هو شقُّ الحلقِ وقطع الأوعية الدموية التي تصل الدم للمخ؛ فيموت قال ابن عباس: لما جاء الهدهد الغائب؛ قالت الطيور: لقد نذر سليمان دمك؟ فقال: هل استنتى؟ قالوا: نعم لأنه قال ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ﴾: يُقدِّم لي عذراً مقبولاً ﴿بِسُلْطَانٍ﴾: بعذرٍ ﴿مُبِينٍ﴾: واضح، عندها قال الهدهد: إذن نجوت، أي كانت عنده حجةٌ وعُذْرٌ.

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (٢٢)

﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿مَكَتْ﴾: الهدهد غاب وبقي ﴿غَيْرَ﴾: حرف استثناء، وهو هنا في مقام اسمٍ بمعنى ليس، أي ليس ﴿بَعِيدٍ﴾: طويلٍ فقد مكث الهدهدُ زمناً غير طويلٍ؛ فعاتبه سليمانُ على غيابه وتخلّفه، قليلاً ﴿فَقَالَ﴾: بعد أن جاء الهدهد أمام سليمان ﷺ، قال: ﴿أَحَطْتُ﴾: اطّلت، وعلمت ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿أَمْ﴾: حرف نفي ﴿نَحِطُّ بِهِ﴾: علمت بالأمر الذي لم تطلع عليه، ولم تعلم به، أنت وجنودك ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿جِئْتُكَ مِنْ﴾: يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿سَبَإٍ﴾: أخبارًا عن سبأ وهم ملوكُ باليمن، وليس المقصود منطقة فيها ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿نَبَأٍ﴾: بخبرٍ ﴿يَقِينٍ﴾: صادقٍ، حقيقي.

التكليف: لقد نهى النبي عن قتل الهدهد وأيضًا نهى عن قتل ثلاثة هي: الضفدع والنحل والصُّرْدُ، ونهى عن قتل النمل أيضًا إلا أن يسبب ضررًا.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣)

﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿وَجَدْتُ امْرَأَةً﴾: هذه من الآيات التي جاءت على ذكر النساء وهي بلقيس بنت شراحيل، ملكة سبأ، وقال قتادة: كانت من بيت مملكة ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾: كانت ملكة، بنت ملك وقيل إن المنطقة هي مأرب، على بعد ثلاثة أميال من صنعاء ﴿وَأُوتِيَتْ﴾: في ملكها وعندها ﴿مِنْ كُلِّ﴾: نقيذ الجميع ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد جميع ما يحتاج إليه ملك، للتمكين، القوة، والحكم، والخبر ﴿وَلَهَا﴾: تملكها ﴿عَرْشٌ﴾: كرسيٌّ ﴿عَظِيمٌ﴾: السرير أو الكرسي

الذي تقعد عليه، كان عظيمًا مُزخرقًا، بالذهب والجواهر، واللؤلؤ، وكان في قصرٍ مشيدٍ عظيمٍ، رفيع البناء تدخله الشمس طوال النهار.

﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤)

﴿وَجَدْتَهَا وَ﴾: أيضًا ﴿قَوْمَهَا﴾: قال الهدد إنَّ الملكةَ وأهلها وعشيرتها ﴿يَسْجُدُونَ﴾: دليلُ عبادة ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿الشَّمْسِ﴾: يسجدون للشمس ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: ولا يسجدون لله ﷻ ﴿وَ﴾: عطفاً على ذلك ﴿زَيْنَ﴾: حببَ وجملَ وحسنَ ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: عبادةُ الشمس من دون الله، وهذا من الشرك ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿صَدَّهُمْ﴾: منعهم وصرفهم ﴿عَنِ﴾: حرفُ جرٍ يُفيدُ المجاوزةَ ﴿السَّبِيلِ﴾: عن طريق الحق ﴿فَهُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْتَدُونَ﴾: لذلك عبدوا من دون الله ﷻ مخلوقات كالشمس. ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (٢٥)

﴿أَلَا﴾: حرف تنبيهٍ ﴿يَسْجُدُوا﴾: دليلُ عبادة، الأصلُ أن يسجدوا ﴿لِلَّهِ﴾: حسنَ الشيطان ذلك لئلا يسجدوا لله ﷻ، فما لهم لا يسجدون لله ﷻ؟ ألا يعرفون سبيل الحق، و أنه تخصيص السجود لله ﷻ وحده ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾: قال ابن عباس: الله الذي يعلم كلَّ خبيثةٍ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وقال عبد الرحمن بن زيد: ما جعل فيها من أرزاق المطر، والنبات في الأرض، وقال سعيد بن المسيب: الخبء هو الماء؛ وهذا ما يتصف به الهدد ﴿وَ﴾: حرفُ عطفٍ يفيدُ هنا الحالَ ﴿يَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿تُخْفُونَ﴾: تسترون وتخبئون ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿تُعْلِنُونَ﴾: يعلم الله ﷻ علم يقين ما يخفيه العباد، وما يعلنون من أقوالٍ وأفعالٍ. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٦)

﴿اللَّهُ لَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿إِلَهَ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: استثناءٌ ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، يعني هنا الواحد الأحد، لا معبود بحق إلا هو، ليس كمثلته شيء ﴿رَبُّ﴾: المالكُ والمتصرفُ في كلِّ شيءٍ، هو صاحبُ ﴿الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: لا يعلم عرشه الكبير المخلوقات غيره، ولقد خصَّ العرش بالذكر لأنه أعظم.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧)

﴿قَالَ﴾: سليمان ﷺ، للهدد ومن وما حوله ﴿س﴾: حرفُ يُفيدُ توكيدَ القول وتأكيدَ الفعل في المستقبل ﴿نَنْظُرُ﴾: نبحث ونتحرى ونتقصى صحة المعلومة؛ لأنَّ الأمر يتعلق بالدين؛ فيما

أخبرنا به الهدد من هذه القصّة، من صدق المعلومات ﴿أَصْدَقْتُ﴾: هل قلت الحق فيما قلت
﴿أَمْ﴾: هل، أو بل ﴿كُنْتُ مِنْ﴾: بعض ﴿الْكَادِبِينَ﴾: الذين لم يقولوا الصدق.

التكليف: من هذا القصص القرآني نستخلص ما يلي:

أولاً: على كلّ مخلوق أن يستخدم ما وهبه الله ﷻ في خدمه دينه، كما فعل الهدد الذي سافر
من فلسطين، مقام سليمان ﷺ، إلى اليمن، بفضل ما حباه الله ﷻ من قدرة على معرفة الماء
في باطن الأرض.

ثانياً: أنّ معرفة ما يجري في بيوت الأعداء والكفار يُفيد المسلمين، وقد يغيّر هذا وجه الحكم
كما حدث في سبأ.

ثالثاً: أنّ على القائد أن يتفقد رعيته، ولا يسمح للمتقلت الغياب دون سبب.

رابعاً: أنّ الجزاء من سنن الحاكم العادل، فمن أحسن جُوزِي خيراً، ومن أساء جوزي بما يستحق.
خامساً: أنّ جهد مخلوق صغير مثل الهدد كان سبباً في إسلام مملكة بكاملها، فلا يستصغرن
مؤمنٌ عمله مهما قلّ.

﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨)

﴿أَذْهَبَ﴾: أفض وأمض إلى أهل سبأ ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿كِتَابِي هَذَا﴾: كتب سليمان
ﷺ، كتاباً، وحمله الهدد، وقال له ﴿ف﴾: بسبب ما سبق وبسرعة ﴿أَلْقَاهُ﴾: ضعه، قدّمه
﴿إِلَيْهِمْ﴾: أن يُوصل الهدد كتاب سليمان ﷺ، إلى ملكة سبأ، وقد ذهب الهدد، وجاء قصر
بلقيس؛ فألقى إليها رسالة سليمان ﴿ثُمَّ﴾: تقيد التتابع الزمني غير السريع ﴿تَوَلَّى﴾: ثم تنحى
جانباً، أدباً، وكياسة؛ ﴿عَنْهُمْ﴾: حرف يُفيد البعد؛ محاولاً معرفة ما يقولون، ينتظر بحسب ما
أمر سليمان ﷺ ﴿فَأَنْظَرُ﴾: شاهد، واعلم ﴿مَاذَا﴾: حرف استفهام ﴿يَرْجِعُونَ﴾: ماذا سيكون
ردُّ بلقيس وقومها.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٩)

﴿قَالَتْ﴾: بلقيس ﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ هنا للقريب ﴿الْمَلَأُ﴾: أيها القادة، والوزراء، والأشراف
﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أُلْقِيَ﴾: وصلني ﴿إِلَيَّ﴾: تسلمت من هذا الهدد هذا الكتاب ﴿كِتَابٌ
كَرِيمٌ﴾: حسنٌ، هذا يدلُّ على تأدب الهدد، وهو أمرٌ لا يفعله ملوك هذا الزمان، وقد يقصد
بالكريم الرسالة من سليمان الكريم الذي أرسل بهذه الصورة الكريمة؛ هذه الرسالة الكريمة، جاء
اللفظ القرآني "كريم" على ستّة أوجهٍ هنا بمعنى الحسن كما في قوله ﷻ ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا

تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿النساء- ٣١﴾، وفي قوله ﷺ ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء- ٧].

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣٠)

قالت لتبين ما في الخطاب ﴿إِنَّهُ﴾: وبالتأكيد ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية، هنا وهو ﴿سُلَيْمَانَ﴾: اعلّموا أنّ المرسل هو سليمان ﴿وَإِنَّهُ﴾: مفتتح ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿اسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: كتاب في غاية البلاغة، والفصاحة، والاختصار.

التكليف: علمت بلقيس أنّ مرسل الكتاب ليس إنسانًا عاديًا؛ لأنّ الكتاب مهمورٌ بخاتمٍ؛ وأنّه تضمن أمرًا من العقيدة وهو بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. لتكن بداية كلّ رسالة، وكلّ مقالة، وكلّ خطبة، وكلّ عملٍ تبدأ باسمه ﷺ.

﴿أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣١)

﴿أَلَا﴾: بمعنى أن لا يفيد النهي ﴿تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾: هي حالة الانقياد للنفس وما هوت، وللمصلحة الزائلة وما غوت. قال قتادة: لا تتجبروا عليّ، وقال ابن أسلم: لا تتمنعوا، ولا تتكبروا ولا تتعاطموا عمّا دعوتكم إليه ﴿و﴾: عطفًا على طلبي ﴿أَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: قال ابن عباس: مؤخّدين، وقيل مُخلصين، وقال سفيان بن عيينة: طائعين. والمطلوب هو الخضوع والانقياد بوعي وإدراكٍ أنّ في هذه الطاعة لله الخير الكبير.

التكليف: إنّ صيغة الرسالة؛ فيها اختصارٌ، ووضوحٌ، وأدبٌ في الكلام، وفي التقديم من قبل الهدد، ووضوح الفكرة؛ وهي الدعوة إلى الإسلام، والطاعة ووضوح الهدف والمبتغى؛ الدعوة إلى الله ﷻ بلا ترددٍ.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣٢)

﴿قَالَتْ﴾: ملكة سبأ ﴿يَا أَيُّهَا﴾: دعوةٌ ونداءٌ هنا للقريب ﴿الْمَلَأُ﴾: دعت بلقيس ملكة سبأ؛ للمشورة وزراءها، وقادة الدولة، وأشرافها ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: أشيروا، من المشورة، عليّ في هذه القضية؛ أين الصواب ﴿مَا﴾: تنفي بلقيس ﴿كُنْتُ﴾: في الماضي، والحاضر، والمستقبل ﴿قَاطِعَةً﴾: مُقررةٌ ﴿أَمْرًا﴾: تذكرهم أنّها لا تُقرّر في شأنٍ ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلّا بشرط أنّ ﴿تَشْهَدُونِ﴾: حتى تكونوا حاضرين، مشاركين، مشيرين.

التكليف: وهذا من نمط الحكم الرشيد المسمى بالشورى.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٣٣)

﴿قَالُوا﴾: الوزراء والمستشارون؛ ردًا على ملكتهم؛ يؤكدون لها أنهم ليسوا خائفين للأسباب التالية
﴿نَحْنُ أَوْلُو﴾: أصحاب ﴿قُوَّةٍ﴾: عندنا جيشٌ، وسلاحٌ، وعددٌ كبيرٌ من الجنود ﴿و﴾: أيضًا
نحن ﴿أَوْلُو﴾: أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قُوَّة في العدد والعدَّة وأصحاب القُوَّة والنجدة والشجاعة،
والعزيمة، في القتال، ﴿و﴾: عطفاً على ما قدما ﴿الْأَمْرُ﴾: القرار النهائي ﴿إِلَيْكِ﴾: عندك؛ هنا
كان التفويض باتخاذ القرار وتحديد الموقف والخطوات؛ لأنهم يؤمنون برجاحة عقلها وخبرتها
في الشأن العام ﴿ف﴾: حرف جواب الشرط ﴿انظري﴾: قرري ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: مرينا نحارب؛
فناحرب، أو نسالم؛ فنسالم؛ فالقرار قرارك.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أُذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤)

﴿قَالَتْ﴾: بلقيس بأمانة القائد الذي يُقلب الأمور من كلِّ الزوايا مُحذرة لهم من مواجهة سليمان
عليه السلام، ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿الْمُلُوكَ إِذَا﴾: حرف ربط ما بعدها بما قبلها
﴿دَخَلُوا قَرْيَةً﴾: إذا فتحوا واقتحموا بلادًا بالقوة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾: هنا بمعنى الإتلاف بعينه والتخريب،
من زروع، ومصانع، وموارد طبيعية ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿جَعَلُوا أَعْرَآةَ﴾: خيرة
وأفضل ﴿أَهْلِهَا أُذْلَةً﴾: جعلوا حكامها وجنودها أذلاء، وأهانوهم؛ إمَّا بالقتل، أو بالأسر
﴿وَكَذَلِكَ﴾: أيضًا مثل هذا الإفساد ﴿يَفْعَلُونَ﴾: هم أصحاب هذا الكتاب، قال ابن عباس: هذا
قول الله ﷻ.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥)

بعد تقديم بلقيس للملأ بيان خطورة دخول الملوك البلاد، وتأكيد قوتها وجيشها، كانت خُطبتها
﴿و﴾: عطفاً على ما قلت ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾: سأرسل هدية تليق
بمقام سليمان ﴿ف﴾: حرف يفي السبب ﴿نَاظِرَةٌ﴾: منتظرة ﴿بِمَ﴾: بأي شيء ﴿يَرْجِعُ﴾: يعود
إلينا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: لا يخفى هنا دهاء وحنكة السياسي الذي يبني موقفه على ما يترتب من
قبول سيدنا سليمان عليه السلام الهدية أم يرفضها؛ فإن قبل الهدية كفَّ يده عنَّا، وقد يضرب علينا
خراجًا ندفعه كلَّ عام؛ فعندما نلتزم بذلك؛ يكفَّ بأسه عنَّا، ولا يُحاربنا، وقالت بذكاءٍ وحنكةٍ
وخبرةٍ؛ إنَّ الهدية تقع موقعًا حسنًا عند البشر، إن قبل الهدية؛ فهو ملك ككلِّ الملوك، سنقاتله،
وإن لم يقبل الهدية؛ فهو نبيٌّ؛ فنتبعه.

التكليف: لقد بيَّنت الآيات حكمة ملكة سبأ، وعلمها بنفوس البشر، وتمييزها بين الملك الذي
يمكن رشوته بهدية وبين النبي الذي لا يُغريه، ولا يُستهويه متاع الدنيا.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُونِنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾
(٣٦)

﴿فَلَمَّا﴾: وفي سياق تتابع الحدث والسبب؛ أرسلت بلقيس بهدية عظيمة ذهبًا، وجواهر، ولؤلؤًا، والمرجح أنها أرسلت إلى سليمان آنية من ذهب ﴿جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾: لما وصل رسول بلقيس بهديتها؛ فلم ينظر سليمان إلى ما أرسلت بل ﴿قَالَ﴾: سليمان عليه السلام ﴿أ﴾: حرف استفهام يفيد الاستتكار ﴿تُمِدُونِنِ﴾: تزودونني ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿مَالٍ﴾: هل تظنون أن المال يجعلني أتركم على شرككم بالله تعالى في مملكتكم ﴿فَمَا﴾: حرف يفيد هنا الخبر ﴿آتَانِي﴾: وهبني ﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾: أكثر أجرًا ونفعًا ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿آتَاكُمْ﴾: لقد وهبني الله تعالى النبوّة، وهذه أعظم، وآتاني الملك، أفضل من هديتهم ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَنْتُمْ﴾ ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿هَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: أنتم من يُغريهم المال، وأمّا أنا فلا أقبل إلاّ الإسلام أو القتال.

التكليف: قال ابن عباس: أمر سليمان عليه السلام، الشياطين أن يُموهوا ألف قصرٍ من ذهبٍ وفضةٍ؛ فلما شاهد رُسل بلقيس القصور، ورجعوا إليها؛ قالت ماذا صنع بهديتنا، وهذا درس استعراض القوة في مواجهة الأعداء واصطناعها.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْنَىٰ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣٧)
﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾: قال سليمان للوفد الذي حمل الهدية؛ وهذا الأرجح، وقد يكون لوفده هو؛ لأنها جاءت بصيغة المفرد، وقد يكون الهدد؛ والله أعلم ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿ل﴾: حرف يفيد القسم ﴿نَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ﴾: سنقوم بالتأكيد بغزوهم عسكريًا بجنود من صفاتهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿قِبَلٍ﴾: لا قدرة ﴿لَهُمْ﴾: لقوم بلقيس خصيصًا ﴿بِهَا﴾: لا قدرة لجنود بلقيس على لقاء هؤلاء الجنود ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ﴾: وعطفًا على هذا سنطردهم بالتأكيد ﴿مِنْهَا﴾: من بلادهم ﴿أَدْنَىٰ﴾: مُهانين مُحقرين مُذَلِّين ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: مهانون، مدحورون.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨)
لما رجعت رسل بلقيس بهديتها المرفوضة، وبما سمعوا من تهديد، أطاعت بلقيس وجّهت قافلةً مع جنودها، خاضعةً، ذليلةً تُفكر مليًا في الإسلام ﴿قَالَ﴾: سليمان عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداء هنا للقريب ﴿الْمَلَأُ﴾: وجهاء القوم وقادتهم ﴿أَيُّكُمْ﴾: من منكم قادرٌ أن ﴿يَأْتِينِي﴾: يُحضر لي ﴿بِعَرْشِهَا﴾: سرير المُلك أو كرسي الملكة، لما علم سليمان بنيّتها الخضوع والدخول في الإسلام؛ قال مسرورًا للقادة والمستشارين في مملكته: من يأتيني بعرش بلقيس؟ ﴿قَبْلَ أَنْ﴾: حرف تأكيد

الفعل **﴿يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾**: قال عطاء الخراساني و السدي: طلب سليمان عرشها قبل أن تسلم بلقيس؛ لأنها إذا أسلمت حرّم عليه أن يأخذها منها.

﴿قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٣٩)

﴿قَالَ عَفْرِيْتُ﴾: يُقال عفرية للجن العارم الخبيث **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿الْجِنِّ﴾**: مارد من الجنّ **﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾**: أحضره لك **﴿قَبْلَ أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿تَقُومَ مِنْ﴾**: يفيد بداية الغاية المكانية والزمانية **﴿مَقَامِكَ﴾**: جاء اللفظ القرآني "المقام" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى المكان كما في قوله **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** [الصافات-١٦٤] قال ابن عباس: قبل أن تنتهي من مجلسك وتتركه، وقال مجاهد: من مقعدك، وقال السدي: حيث كان سليمان عليه السلام يجلس للقضاء للناس، من أول النهار، إلى زوال الشمس **﴿وَإِنِّي﴾**: عطفاً على ما سبق أنا بالتأكيد **﴿عَلَيْهِ﴾**: على المجيء به **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿قَوِيٌّ﴾**: أستطيع حمله **﴿أَمِينٌ﴾**: أحافظ على ما فيه من جواهر؛ فقال سليمان عليه السلام، أريده أسرع من ذلك.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (٤٠)

﴿قَالَ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد المذكر، قال ابن عباس: كان اسمه آصف، وهو رجلٌ صالح عالمٌ، وهو كاتب سليمان عليه السلام، وقال قتادة، وأبو صالح، والضحاك: كان مؤمناً من الإنس، وقال قتادة: كان رجلاً مؤمناً من بني إسرائيل. وقد يكون القائل هو سليمان عليه السلام؛ لأنّ سياق الكلام يعزز ذلك **﴿عِنْدَهُ﴾**: ظرفٌ مكانٍ وزمانٍ **﴿عِلْمٌ مِنْ﴾**: بعض **﴿الْكِتَابِ﴾**: اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به استجاب **﴿أَنَا آتِيكَ﴾**: أحضره لك **﴿بِهِ﴾**: بعرشها **﴿قَبْلَ أَنْ﴾**: حرف تأكيد الخبر **﴿يَرْتَدُّ﴾**: يرجع **﴿إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾**: ارفع بصرك وانظر، وقبل أن تتعب جفونك، ويكلُّ بصرُك أكون قد أتيت به، وقيل امدد بصرُك؛ فلا يبلغ مداه حتى آتيت به، **﴿فَلَمَّا﴾**: حرفٌ يُفيد التتابع **﴿رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾**: ظرفٌ زمانٍ ومكانٍ **﴿قَالَ﴾**: سليمان عليه السلام **﴿هَذَا مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية **﴿فَضْلٌ﴾**: خير وكرم **﴿رَبِّي﴾**: لما رأى سليمان عليه السلام العرش؛ قال هذا من فضل وكرم ومنة الله عليه **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿يَبْلُوَنِي﴾**: ليختبرني **﴿أَشْكُرُ﴾**: هل أحمد وأعترف بفضله عليه من غير حولٍ ولا قوةٍ فأشكر **﴿أَمْ﴾**: أو **﴿أَكْفُرُ﴾**: أكون من الكافرين بنعمته وفضله جلّ في علاه **﴿وَمَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿شَكَرَ فَإِنَّمَا﴾**: حرفٌ تحديديٍّ وتخصيصيٍّ

﴿يَشْكُرُ لِي﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِهِ﴾: إنَّ الذي يشكر؛ فعليه يعود أجرُ العملِ الصالح؛
 ينجيه، جاء في المعنى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [إفصلت-٤٦] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: بترك الشكر
 ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿رَبِّي﴾: المُعبود، والمُربي، وهو تعالى المنشئ للكون بما ومن فيه من حالٍ
 إلى جالٍ إلى حدِّ التمام وهو سبحانه الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر،
 والجابِزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالكُ أمري كلِّه
 ﴿غَنِيٌّ﴾: لا يحتاج، ولا ينقص ذلك من ملكه شيئاً ﴿كَرِيمٌ﴾: يعطي، بغير حساب، مالك
 الملكوت؛ ربِّ كلِّ شيءٍ، يعطي بلا حساب.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٤١)

﴿قَالَ﴾: سليمان ﷺ ﴿نَكِّرُوا﴾: قال مجاهد: أمر سليمان حاشيته أن يُغيِّروا بعض صفات
 العرش ﴿لَهَا﴾: تخصيصاً ﴿عَرْشَهَا﴾: كرسيها ومقعدها ﴿نَنْظُرْ﴾: ليتحقق أمامكم ما نعرف؛
 لنعرف كيف تتصرف عند رؤيته، ترك كلِّ شيءٍ على حاله إلا تغيير الألوان، ما كان أحمرَ
 جعله أصفرَ، وما كان أصفرَ جعله أحمرَ، وقال عكرمة: زادوا فيه أو نقصوه ﴿أَنَّ﴾: حرف
 استفهام ﴿تَهْتَدِي﴾: تعرف عرشها، جاء اللفظ القرآني "الهدى" على سبعة عشر وجهًا، هنا
 بمعنى المعرفة هل ستعرفه ﴿أَمْ﴾: أو ﴿تَكُونُ مِنَ﴾: بعض ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع
 مَنْ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْتَدُونَ﴾: أم تكون من الذين لا يتعرفون على أشياءهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (٤٢)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يفيد التتابع والسبب ﴿جَاءَتْ﴾: وصلت بلقيس؛ عَرَضَ سليمان ﷺ عليها
 العرش ﴿قِيلَ﴾: سألوها ﴿أَهَكَذَا﴾: هنا استفهام تقيري يُراد به الاختبار؛ هل مثل هذا ﴿عَرْشُكَ﴾:
 سألتها: هل هذا كعرشك؟ لم يقل لها هذا عرشك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ﴾: حرف يفيد التشبيه ﴿هُوَ﴾: في
 اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر؛ ويعني هنا بنكاء بلقيس قالت: كأنه
 هو، يشبهه؛ لسببين الأول: لُبُعد المسافة؛ فقد استبعدت أن يكون هو عرشها؛ والثاني: أنها
 وضعت احتمال أن يكون هذا عرشها؛ لدقة ملاحظاتها في شكل الجواهر، وليس ألوانها ﴿وَقَالَ﴾:
 حرفٌ عطفٌ يفيد هنا الحال ﴿أُوتِينَا﴾: أعطانا الله ﷻ ﴿الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾: هذا قول سليمان،
 يؤكد أنه كان يعلم مسبقاً ﷻ ﴿وَقَالَ﴾: أيضاً ﴿كُنَّا﴾: ولا زلنا وسنبقى بفضل الله ﷻ ﴿مُسْلِمِينَ﴾:
 والقاتل سليمان ﷻ.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (٤٣)

وهذا من تمام قول سليمان لمن حوله ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿صَدَّهَا﴾: الذي منعها وصرفها عن عبادة الله ﷻ وحده "مع ذكائها" ما كانت تعبد من دون الله ﷻ، ومن التعرف الكامل على العرش؛ والله أعلم ﴿ما﴾: الذي ﴿كَانَتْ﴾: في الماضي ﴿تَعْبُدُ﴾: تطيع ﴿مِنْ دُونَ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: لم تتعرف على الله ﷻ فتعبده ﴿إِنَّهَا﴾: بالتأكيد ﴿كَانَتْ مِنْ﴾: بعض أو جزء ﴿قَوْمٍ﴾: جماعة أصحاب عقيدة واحدة، وأصل واحدٍ ﴿كَافِرِينَ﴾: قال مجاهد وابن جرير: إنها كانت تعبد آلهة من دون الله ﷻ.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤)

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾: كان سليمان ﷺ، قد أمر الشياطين ببناء قصرٍ عظيمٍ، وجعل فيه الزجاج كهيئة بلاط الأرض، كهيئة السطح لوجه الأرض ﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد السبب والتتابع ﴿رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ﴾: ظنته ﴿لُجَّةً﴾: لما نظرت إلى تحتها حسبته ماءً، ولم تعرف أن فوق الماء زجاجٌ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿كَشَفَتْ عَنْ﴾: حرف يفيد البعد ﴿سَاقَيْهَا﴾: رفعت ملابسها؛ حتى لا تبتل بالماء ﴿قَالَ﴾: سليمان ﷺ ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿صَرْحٌ﴾: هذا زجاجٌ ﴿مُمَرَّدٌ﴾: أُمس فوق الماء ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾: من زجاجٍ شفافٍ ﴿قَالَتْ﴾: بلقيس ﴿رَبِّ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، يا مالك أمري كله ﴿إِنِّي﴾: بالتأكيد ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: عاتبها سليمان بعد أن أظهر لها فضلَ الله ﷻ عليه؛ عاتبها على عبادة الشمس بدلًا من عبادة الله ﷻ، بعد عتاب سليمان لها؛ قالت رب لقد ظلمت نفسي أنني لم أؤمن بك وحدك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾: دخلت الإسلام واستجابت ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ ل﴾: حرف تخصيص ﴿اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: كل ما في الكون، وأشهرت إسلامها طاعة وعبادة لمالك الملك.

التكليف: إن استخدام الاختراعات الحديثة وسيلة إقناع لأصحاب العقول السليمة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٥)

بعد قصة سليمان؛ تأتي قصة سيدنا صالح ﷺ ﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق فيما مضى ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعث الله ﷻ ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: نلاحظ هنا أن عدد حروف القوم أربعة، وعدد حروف نبيهم أربعة، يخبر الله ﷻ أنه أرسل صالحًا إلى قومه ثمود، هو أخوهم في النسب؛ ﴿أَنْ﴾: تأكيد الفعل ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا وابدؤوا الله ﷻ وحده ﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر، ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُم﴾: ضمير رفع

للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص **﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾**: قال مجاهد: فريق المؤمنین، وفريق الكافرين **﴿يَخْتَصِمُونَ﴾**: يعني المجموعتان والفريقان يتنازعان.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٦)
﴿قَالَ﴾: صالح عليه السلام **﴿يَا﴾**: حرف نداء **﴿قَوْمِ﴾**: يا عشيرتي **﴿لِمَ﴾**: لماذا **﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِ﴾**: حرف باء المقابلة **﴿السَّيِّئَةِ﴾**: جاء اللفظ القرآني "السيئة" هنا بمعنى العذاب لماذا ترفضون الإيمان، وتستعجلون العذاب **﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾**: ولا تطلبون الرحمة من الله ﷻ **﴿لَوْلَا﴾**: حرف يُفيدُ هنا امتناع الاستغفار بسبب استعجال السيئة **﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾**: لو أنكم طلبتم المغفرة بعد التوبة والإنابة من الله ﷻ **﴿لَعَلَّكُمْ﴾**: حرف يفيد الترجي والتوقع **﴿تُرْحَمُونَ﴾**: علَّ الله يرحمكم.

التكليف: إنَّ قصص الأنبياء تؤكد أنَّ منْ منهج الكفَّار أنَّهم يبتدرون بالعنف اللفظي، ثم العنف الفعلي؛ إلى النفي والقتل.

﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (٤٧)
﴿قَالُوا﴾: كفارُ ثمود **﴿أَطِيرْنَا﴾**: نتشاءم **﴿بِكَ﴾**: بوجهك **﴿وَ﴾**: أيضًا أطيرنا **﴿بِ﴾**: حرف باء التوكيد **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس البشر **﴿مَعَكَ﴾**: بوجه أتباعك، وجوهكم شؤم، كلَّ مصيبة تُصيبنا هي بسببكم، جاء في المعنى: **﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾** [الأعراف-١٣١] **﴿قَالَ﴾**: صالح عليه السلام **﴿طَائِرُكُمْ﴾**: جزاؤكم **﴿عِنْدَ﴾**: ظرف زمان ومكان **﴿اللَّهُ﴾**: عند الله ﷻ؛ عقابًا لأعمالكم **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿أَنْتُمْ﴾**: تحديدًا، قوم صالح **﴿قَوْمِ﴾**: هم جماعةٌ من أصلٍ واحدٍ أو أصحابُ عقيدةٍ واحدةٍ **﴿تُفْتَنُونَ﴾**: تُختبرون بالخير والشرِّ؛ تُمَحَّصون بابتلاء الطاعة والمعصية، فتُستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال، وقيل تُختبرون بما يُبسِّط أي يوسع عليكم، ولكم من الخير ومن الشرِّ فتنة.

﴿وَكَانَ تِسْعَةً رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨)
﴿وَكَانَ﴾: فيما مضى **﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾**: التي يسكنها صالح عليه السلام، وهي منطقة الحجر **﴿تِسْعَةً رَهْطٍ﴾**: قبائلُ تسعةٌ كبيرة، كانوا دعاة قومهم إلى الإفساد، وقيل سبعة رجال ظلمة، وهو الأقرب والله ﷻ أعلم **﴿يُفْسِدُونَ﴾**: يُخرَّبون عقيدة النَّاس **﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿يُصْلِحُونَ﴾**: كانوا يقودون النَّاس إلى الضلال والكفر، ويحاربون دعوة صالح عليه السلام، فعقروا النَّاقَةَ، وهمَّوا بقتل صالح عليه السلام.

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾
(٤٩)

﴿قَالُوا﴾: قادة رهط المدينة الظالمة بعضهم لبعضٍ ﴿تَقَاسَمُوا﴾: تعاهدوا، واتفقوا، وتبايعوا
﴿بِ﴾: بآء الصلة ﴿اللَّهِ﴾: احلفوا بالله على قتل نبي الله صالح ﴿لِ﴾: حرف علة وسببٍ
﴿نُبَيِّتَنَّهُ﴾: بكل تأكيد نأتيه في بيته في الليل ونقتله، وقال مجاهد: تقاسموا وتحالفوا على هلاك
صالح، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا جميعاً، وأهلهم معهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال
﴿أَهْلَهُ﴾: اتفقوا بعد قتل صالح على أن يقتلوا أهله في برهة الأيام الثلاثة التي وعدهم صالح
﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿لِ﴾: حرف تعليل ﴿نَقُولَنَّ﴾: نقول بكل تأكيد
﴿لِ﴾: حرف تخصيصٍ ﴿وَلِيِّهِ﴾: قريبه أو ناصره ومؤيده ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿شَهِدْنَا﴾:
لم نر ولم نتأكد ﴿مَهْلِكَ﴾: قتل أو زوال ﴿أَهْلِهِ﴾: أقاربه ﴿وَإِنَّا﴾: نحن ﴿لَصَادِقُونَ﴾: وأن نقول
إننا نقول الصدق؛ والله يشهد أنهم الكاذبون، وهذا منهج الكفار: الكذب، والافتراء، والمبادرة
بالقتل.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠)

﴿و﴾: أيضاً ﴿مَكَرُوا مَكْرًا﴾: دبّروا مكيدتهم لقتل صالح ﴿لِ﴾، قالوا لقد أمهلنا صالحاً ثلاثة أيام،
فلنبادر إلى قتله فيها، ونقتل أهله، كان صالح ﴿لِ﴾، يُصلي في مسجدٍ في الحجر عند شعب،
فذهبوا إلى المسجد، واتفقوا على قتله ثم الذهاب إلى أهله؛ ليقتلوهم؛ فأرسل الله ﴿لِ﴾ عليهم
صخرة؛ فهربوا في غارٍ ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿مَكَرْنَا مَكْرًا﴾: عملنا عملاً يُبطل كيدهم؛ فأطبقت
الصخرة عليهم، وقضوا بداخلها كان هذا مكر الله ﴿لِ﴾ عليهم ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي
﴿يَشْعُرُونَ﴾: وهم لا يدركون، ولا يعرفون ما حدث لهؤلاء ولا لهؤلاء.

التكليف: سيبقى مكر الكافرين أبداً، ويبقى إبطال الله ﴿لِ﴾ لمكرهم حافظاً لكل مؤمن.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١)

﴿ف﴾: يا أيها الرسول، نظرة اعتبار إلى عاقبة غدر هؤلاء الرهط بنبيهم صالح ﴿لِ﴾؛ لهذا
السبب ﴿انظُرْ﴾: تأمل وتفكر ﴿كَيْفَ﴾: أداة استفهام ﴿كَانَ﴾: صار ﴿عَاقِبَةُ﴾: نهاية ﴿مَكْرِهِمْ﴾:
من هذه الحالة نستخلص العبر التالية: أراد المجرمون أن يقتلوا نبيهم كما يريد اليوم كل أعداء
الإسلام قتل رجال ونساء الدعوة إلى الله ﴿لِ﴾ ﴿أَنَا﴾: هذا قول الله ﴿لِ﴾ بصيغة الجمع ليفيد تأكيد
الفعل ﴿دَمَرْنَاَهُمْ﴾: أهلكتناهم تماماً ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿قَوْمَهُمْ﴾: قبيلتهم، وأهل
كفرهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾: فقتلهم الله ﴿لِ﴾ جميعاً، عجلوا بالقتل؛ فعجل الله لهم بالهلاك، وأرادوا أن

يخفوا عن أهل صالح سبب قتله؛ فاخترت كل آثارهم؛ فنجّا الله صالحًا ومن معه بما لم يخطر على بالهم.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٢)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿تِلْكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾: هذه بيوتهم فارغة، تهدمت جدرانها، وسقطت سُقُوفُهَا، ليس فيها أحد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿ظَلَمُوا﴾: لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر، وبالعدوان على نبيهم، وأصحابه ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: العذاب ﴿لَآيَةً﴾: ما أصاب الكافرين من عذابٍ كبرهاني ﴿لِقَوْمٍ﴾: جماعة من مذهبٍ واحدٍ ﴿يَعْلَمُونَ﴾: حتى تتعلم الأمم من بعدهم أنّ الله حق، وأتّه ناصرٌ أوليائه، ومدمرٌ أعدائه، وهادم بيوتهم وحصونهم.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَنْجَيْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم؛ لتؤكد على أنّ النجاة كانت غير متوقعة ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾ للمؤمنين، وعظيمة في تدمير الكافرين ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: هذا سبب نجاتهم؛ أنهم عبدوا الله ﷻ وأطاعوه حق عبادة؛ بوعيٍ ويقينٍ؛ طمعًا في نصره في الدنيا، وجنته في الآخرة، وانتهوا عن مخالفته خوفًا من عذابه.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النِّفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٥٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَوْطًا إِذْ﴾: حدث في الماضي ﴿قَالَ لِ﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمِهِ﴾: نصح لوطٌ ﷺ، قومه في قرية سدوم في شرق فلسطين، بالقرب من البحر الميت، موبخًا ومُنكرًا عليهم فعلهم ﴿أ﴾: حرف استنهامٍ بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿تَأْتُونَ﴾: تمارسون ﴿النِّفَاحِشَةَ﴾: الخصال القبيحة، كانت هذه ظاهرةً شاذةً في التاريخ قبل قوم لوط ﷺ إتيان الذكور للذكور، والنساء للنساء ﴿وَأَنْتُمْ﴾: أيضًا كنتم أنتم تحديدًا ﴿تُبْصِرُونَ﴾: تفعلون ذلك جهازًا.

التكليف: هذه الظاهرة انتشرت في العصر الحديث تحت عنوان حق من حقوق الإنسان؛ فأصابهم الله ﷻ بمرضٍ لا شفاء منه؛ وهو نقص المناعة المكتسبة، مرض الإيدز.

﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (٥٥)

﴿أ﴾: حرف يفيد الاستنكار ﴿إِنكُمْ﴾: تأكيد ﴿لِ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿تَأْتُونَ﴾: تمارسون الفاحشة مع ﴿الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾: بشهوةٍ مع الرجال ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿النِّسَاءِ﴾: لا تريدون عفةً، ولا أولادًا ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديدًا ﴿قَوْمٌ﴾: جماعةٌ

أصحاب عقيدة واحدة **﴿تَجْهَلُونَ﴾**: لا تعرفون شيئاً من فطرة البشر، ولا تعرفون شرع الله ﷻ بالبعد عن المعاصي، والتزام الطهر، وإذا عرفتم خالفتم.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ﴾ (٥٦)
﴿فَمَا﴾: حرف يُفيد الخبر **﴿كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾**: ردُّ قوم لوطٍ **﴿إِلَّا﴾**: حرفٌ استثناءً فقط **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿قَالُوا﴾**: قال الرجال من القوم **﴿أَخْرِجُوا﴾**: اطرّدوا، وانفوا **﴿آلَ لُوطٍ﴾**: اطرّدوا المؤمنين مع لوطٍ، وأهله **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ﴾**: بالتأكيد **﴿أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ﴾**: والطهارة نوعان طهارة النفس من الآثام وطهارة الجسد من الأوساخ والكلمة دالّة على طبيعة القوم؛ لا يريدون الطهارة، بل يريدون النجاسة، عندهم الطهارة عيبٌ؛ يستحق الطرد من العيش في وطنٍ مثل هذا الوطن!؟

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٥٧)

﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ لم يمهلهم الله ﷻ كثيراً بسبب ذلك **﴿أَنْجَيْنَاهُ﴾**: أنقذ الله ﷻ بعظمته وقوته لوطاً من العذاب **﴿و﴾**: أيضاً أنقذ الله ﷻ معه **﴿أَهْلَهُ﴾**: المؤمنين **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿امْرَأَتَهُ﴾**: ولم تتج امرأة لوط؛ **﴿قَدَرْنَا﴾**: حكم الله ﷻ عليها أن تكون **﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾**: من الهالكين جاءت قدرناها بصيغة الجمع لعظم الهلاك.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ (٥٨)

﴿وَأَمْطَرْنَا﴾: أيضاً أنزل الله ﷻ؛ جاءت بصيغة الجمع وهو **﴿وَأَمْطَرْنَا﴾** واحدٌ أحدٌ لتعظيم الفعل **﴿عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾**: جاءت بصيغة الجمع؛ لهول المصاب؛ نزلت من السماء كالمطر حجارة من سجيلٍ منضودٍ، تنزل الصخور على رؤوسهم؛ فتشج الأجساد كلّها **﴿ف﴾**: يفيد السبب **﴿سَاءَ﴾**: ضرر وشر **﴿مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾**: بنس المطر هذا العذاب؛ الحجارة تسقط من السماء؛ لأنهم خالفوا رسول الله ﷺ.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلَهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩)

﴿قُلِ﴾: أمر ربّاني **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾**: أمر الله ﷻ محمداً ﷺ وكلّ مسلمٍ من بعده، أن يحمّد الله ﷻ، ويشكره بعد هذه الويلات التي تعرّض لها الأنبياء، ونجاتهم، وهلاك الكفار والمجرمين، الحمد لله على نعمه التي لا تُحصى، الحمد لله على صفاتِ الله العُلى، والأسماء الحسنى **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿سَلَامٌ﴾**: أمنٌ وأمانٌ **﴿عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد الجميع **﴿اصْطَفَىٰ﴾**: الذين اختارهم لرسالته، قال الثوري، والسدي: هم أصحاب محمدٍ رضي

الله عنهم، وقال عبد الرحمن بن أسلم: رسلُ الله ﷺ وأنبيأؤه، وما قيل لا يتناقض؛ فقد أمر الله ﷻ أن يحمده الأنبياء والصحابة، وأيضًا الذين أسلموا لله ﷻ العبادة ﴿آ﴾: حرف الألف يفيد هنا الاستفهام بغرض الاستتكار، والتوبيخ، والتعجب ﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾: نفع وبركة ﴿أَمَا﴾: بمعنى ام الذي للتفضيل والتوكيد ﴿يُشْرِكُونَ﴾: استفهام استتكري على المشركين الذين عبدوا من دون الله ﷻ، هل لهؤلاء الأصنام والأنداد فضلٌ في بناء السموات، وارتفاعها، وصفاتها، ونجومها، وقمرها، وشمسها، وأفلاكها الدائرة، والأرض وما فيها من كنوز، والجبال والسهول، والوديان، والزرع، والثمر، والبحر، والحيوان، وإنزال الماء من السماء؛ ليحيي به الأرض.

﴿أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠)

﴿أَمْنَ﴾: حرف مكوّن من "أم" بمعنى هل و"من" حرف يفيد العاقل؛ ويكون المعنى هل الذي ﴿خَلَقَ﴾: وسلهم من الذي أوجد على غير مثال سابق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿وَ﴾: أيضًا سلهم من خلق ﴿الْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿مَاءً﴾: إنّ في دورة الماء الأرضية لعبرة لكل إنسان؛ يسوق الله الشمس على الأرض؛ فيتبخّر الماء من البحار والمحيطات، ويُرسل الله ﷻ الرياح تحمل هذا البخار يسوقه إلى الأرض، والإنسان، ﴿فَ﴾: بسبب هذا ﴿أَنْبَتْنَا بِهِ﴾: بالماء والزرع، وشرب الحيوان ﴿حَدَائِقَ ذَاتِ﴾: في جوهرها ﴿بَهْجَةٍ﴾: حسن اللون وظهور السرور، بساتين ذات مناظر حسنة، وأشكالٍ بهيّة ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ لَكُمْ﴾: لا تقدروا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾: لا أحد من البشر يقدر على إنباتها، فالماء من عند الله ﷻ، والأرض طوع يده ﴿أَلَيْسَ﴾: حرف استفهام يفيد الاستتكار والتعجب ﴿إِلَهُ﴾: معبود ﴿مَعَ اللَّهِ﴾: هل يوجد مع الله ﷻ إله آخر يستحق العبادة؟ هل يوجد إله خلق، ورزق، وأعطى، ووهب غير الله ﷻ؟ ﴿بَلٌ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُمُ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: ينحرفون، حيث يساؤون، ويعدلون بين الله ﷻ، وآلهتهم؛ ويكونون بذلك ظالمين.

﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١)

﴿أَمْنَ﴾: حرف مكوّن من "أم" بمعنى هل وأيضًا "من" حرف يفيد، العاقل: هل الذي ﴿جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها، تبدو مستقرّة، ساكنة، ثابتة السطح

لا تميد، ولا ترتجف بأهلها؛ لتطيب حياة النَّاس فوقها، مع أنَّها تدور حول الشمس في دورة تستغرق (٣٦٥) يوماً في السنة، وتدورُ الشمسُ حول نفسها ككتلةٍ مشتعلةٍ ﴿وَجَعَلَ﴾: أوجد ﴿خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾: خلق الأنهار ذات المياه العذبة، التي قدر لها أن تسير في أوديةٍ كبيرةٍ وصغيرةٍ، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، يُوزع بها الله ﷻ الرزق على عباده؛ يشربون ويزرعون ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد هنا الحال ﴿جَعَلَ﴾: أوجد ﴿لَهَا﴾: في الأرض ﴿رَوَاسِي﴾: الجبال الشامخة؛ لثحافتُ على دوران الأرض؛ كأنه لا يوجد دوران أو كأنَّ الأرض ساكنة ﴿وَجَعَلَ﴾: أوجد ﴿بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾: فصل المياه المالحة عن المياه العذبة، علماً أنَّ المياه المالحة يتبخر ماؤها، وهو الذي يتكاثف فيسقط ويملأ الأنهار، ويملأ باطن الأرض كأنها جوفية، وأمَّا البحر المالح والمحيطات؛ فهي تنقي الهواء من الدخان، والأتربة، والغازات العادم الصادرة من الإنسان، والحيوان، والمصانع، والسيارات وغيرها ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستتكار والتوبيخ ﴿إِلَهُ﴾: هل معبود آخر ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ ﷻ ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: الغالبية منهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: أكثر النَّاس جاهلون، لا يعلمون هذه الحقائق، وإذا علموها لا يستفيدون منها، فإذا علموها عبدوا الله ﷻ على علمٍ ويقينٍ.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢)

﴿أَمَّنْ﴾: حرفٌ مكوّنٌ من "أم" بمعنى هل وأيضا "مَنْ" حرف يفيد العاقل هل الذي ﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾: هو الذي يجيب المحتاج ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿دَعَاهُ﴾: يستجيب للدعاء ﴿وَيَكْشِفُ﴾: أيضا يرفع ﴿السُّوءَ﴾: ويرفع الضرر، ولا أحد سواه يرفعه ﴿وَيَجْعَلُكُمْ﴾: عطفاً على ما سبق يحقق لكم أن تكونوا ﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾: يخلفُ بكم من قبلكم، ويخلفُ من بعدكم، أمّةٌ بعد أمّةٍ، وجيلاً بعد جيلٍ، وقوماً بعد قومٍ، وهو الذي إذا شاء خلقهم أجمعين ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٌ يفيد الاستتكار والتعجب ﴿إِلَهُ﴾: معبود ﴿مَعَ اللَّهِ﴾: فهل يوجد من يستحق العبادة غير الله ﷻ بعد هذا الذي أخبركم به ﴿قَلِيلًا﴾: ما أقل ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: تذكركم بما ذكركم به الله ﷻ من فضلٍ ونعم إلى الطريق المستقيم.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣)

﴿أَمَّنْ﴾: حرفٌ مكوّنٌ من "أم" بمعنى هل و"مَنْ" حرفٌ يفيد العاقل، أو بمعنى الذي ﴿يَهْدِيكُمْ﴾: يدلّكم على الطريق الصواب ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾: عتمة ﴿الْبَرِّ﴾: على الأرض ﴿و﴾: أيضًا في عتمة ﴿الْبَحْرِ﴾: في الليالي الظلماء، هو الذي خلق لكم وسائل معرفة الطرق والسبل، فمنها معرفة النجوم، ومنها اختراع البوصلة، التي حدّدت بدقةً بالغةً الطُرُقَ في البرِّ، وفي الشوارع الواسعة، وطرق السفن في البحر، وطيرانَ وهبوطَ الطائرات في الجوّ ﴿وَمَنْ﴾: الذي ﴿يُرْسِلُ﴾: يُسَخِّرُ ﴿الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾: بشارات رزق ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾: مقدّمة ﴿رَحْمَتِهِ﴾: هو الذي يُسَخِّرُ السحاب؛ لحمل بخار الماء، ويسوقه إلى حيث قدّر الله ﷻ؛ يسقي البشر، والنمل، والنحل، والدواب، والطيور ﴿أ﴾: يفيدُ الاستنكار والتوبيخ، هل يوجد ﴿إِلَهٌ﴾: معبودٌ ﴿مَعَ اللَّهِ﴾: هل بعد تذكيركم بهذه النعم تجعلون مع الله آلهة أخرى؟ ﴿تَعَالَى﴾: تنزهه وتقدس ﴿اللَّهُ عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُشْرِكُونَ﴾: عن الذي يفترون، وما يقوله المشركون، وما يعبدون من دونه، ومن به يعدلون.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤)

﴿أَمَّنْ﴾: مكونة من حرفين؛ (أم، من) بمعنى أو الذي ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: هو ﷻ بقدرته بدأ كلَّ خلق، ويبدأ كلَّ خلق ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التتابع الزمني على التراخي ﴿يُعِيدُهُ﴾: يبعثه يوم الحساب ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: من ماءٍ عذبٍ ﴿وَالْأَرْضِ﴾: بالغيث الذي يُنَزَّلُ الماء العذب على الأرض؛ فيخرج منها بركاتها من الشجر والزرع، وما يجعله من الماء في باطن الأرض ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿إِلَهٌ﴾: معبود يستحق الطاعة ﴿مَعَ﴾: شريك ﴿اللَّهُ قُلْ﴾: أمر ربّاني ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: إذا كنتم تقولون يوجد إلهٌ آخرُ يفعل ما يفعله الله ﷻ؛ فهاتوا دليلكم ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: وإنكم لستم صادقين، ولو كنتم كذلك؛ لجنّتم به.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ أخبر النَّاسَ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُ مَنْ﴾: الذي من الملائكة وغيرهم ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ﴾: غير المعروف، لا أحد من المخلوقات يعلم الغيب الذب استأثر الله ﷻ بعلمه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهُ﴾: الذي لا تدركه الحواس، والسمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: ولا يحسون ولا يعرفون ﴿أَيَّانَ﴾: متى يوم ﴿يُبْعَثُونَ﴾: يوم الساعة، يوم القيامة، لا أحد من خلق الله ﷻ يعلمها.

﴿بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٦٦)

﴿بَل﴾: حرفٌ عطفٌ بمعنى لكن ويفيد هنا الإثبات ﴿ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ﴾: هل تتابع علمهم بالآخرة فأمنوا بها أم غاب، وتوقف علمهم، ومعرفتهم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: قال قتادة: من معرفة وقتها؟ بجهلهم لله ﷻ، وقال ابن عباس: لم ينفع علمهم عن الساعة، وقال عطاء والسدي: يكتمل علمهم يوم القيامة؛ حيث لا يتفهم علمهم، وقال الحسن: بل أدرك علمهم؛ أي اضمحل علمهم في الدين حين عاينوا الآخرة ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، ثبت يقيناً أنّ ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب ﴿فِي شَكٍّ﴾: المشركون والكافرون يشكون في وقوعها ووجودها تحديداً ﴿بَلِ هُمْ مِنْهَا﴾: عنها ﴿عَمُونَ﴾: يشهد الله ﷻ فيهم أنّ جهلهم أعماهم عن حقيقة القيامة وشأنها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أُنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ (٦٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: من منهج الكافرين استنكار واستبعاد الخروج من قبورهم بالبعث بقولهم ﴿أ﴾: حرف استنهام بغرض الإنكار ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿كُنَّا﴾: صرنا ﴿تُرَابًا﴾: رمادًا ﴿وَآبَاءُنَا﴾: كانت إحدى حججهم قولهم هذا، أي إذا تحللت أجسادنا، وأجساد آباءنا من قبلنا بعد الموت ﴿إِنَّا﴾: هل نحن بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّة، سبب ﴿مُخْرَجُونَ﴾: هل ستُعاد أجسادنا كيف؟ أثبتوا لنا أيها الرسل كيف؟

التكليف: هذا المنهج لم يُفارق الكفار حتى في زمن مركبات الفضاء والطائرات، يريدون أن يروا ويلمسوا كل شيء، وإذا حدث أنكروا، علمًا أنّ الإيمان لا يحتاج إلى معجزات.

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿وَعَدْنَا﴾: أعطينا وعدًا بالبعث ﴿هَذَا نَحْنُ﴾: لقد قيل لنا هذا من قبل ﴿و﴾: أيضًا وعدوا ﴿آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾: من قبلنا، أبلغونا نحن وآباءنا بهذه الحكاية ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا﴾: البعث والنشور ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَسَاطِيرُ﴾: ما هذا لوعده إلا مما سطره الأولون من الأكاذيب من الأكاذيب في كتب وقصص وأحاديث ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: كلام الأجيال السابقة، ولم تقع هذه الوعود ولم تتحقق، ومرت السنون والقرون؛ ما هي إلا أكاذيب قديمة.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٦٩)

﴿قُلْ﴾: لهم ولغيرهم يا محمد ﷺ ﴿سِيرُوا﴾: مسيرة بحثٍ وتأملٍ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: قال الله ﷻ لنبية محمد ﷺ أن يقول للكفار لقد اعتمدتم أيها الكفار على الماضي، وقتلتم سمعنا هذا، وسمع أبائنا من قبل؛ فاسألهم يا محمد أن يقرؤوا تاريخ أجدادهم والأمم السابقة ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب؛ من أجل ذلك ﴿انظروا﴾: استخلصوا، وادرسوا وتحققوا ﴿كَيْفَ﴾: استفهامٌ بغرض التعجب والاستنكار ﴿كَانَ﴾: في الماضي ﴿عَاقِبَةُ﴾: جزاءٌ وعقابٌ ونهاية ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: ألم يُدَمِّروا، ويُعَذِّبوا، ويُهزِّموا؟ وكيف نجى الله ﷻ الرسل من بينهم، ومن اتبعهم من المؤمنين، ولكم في أقوام نوح، ولوطٍ وغيرهم العبرة والعظة.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧٠)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَحْزَنْ﴾: تُشْفِقُ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على المكذبين إذا أصابهم عقاب الله ﷻ؛ لحرصك عليهم، وتمنيك الخير لهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾: لا تشعر بالضيق في نفسك من كثرة ما يمكرون بك، فالله ﷻ ناصرُك، وناصرُ دينه ﴿مِمَّا﴾: بعض الذي ﴿يَمْكُرُونَ﴾: يكيِّدون، ويخططون ضد المسلمين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧١)

﴿وَيَقُولُونَ﴾: حُجَّتْهُمْ وادعأؤهم ﴿مَتَى﴾: في أيِّ وقتٍ ﴿هَذَا الْوَعْدُ﴾: وهذا من أسئلتهم التي يظنون أنها مُعْجِزَةٌ؛ ﴿إِنْ﴾: بمعنى إذا ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: فإن لم يجب عليها الرسول ﷺ؛ شككوا في دعوته.

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٧٢)

﴿قُلْ﴾: دعوة للرسول ﷺ ولكلِّ مسلمٍ من بعده أن يردِّ عليهم بالقول ﴿عَسَى﴾: فعلٌ ماضٍ جامد؛ يفيد هنا الإشفاق؛ لأنها جاءت في الأمر المكروه، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَكُونَ رَدِفَ﴾: اقترب ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿بَعْضُ﴾: جزءٌ من ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد، وهو يوم القيامة ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: قال ابن عباس: ما استعجلتم من العذاب، وقال مجاهد: يعجل لكم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)

﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿رَبَّكَ﴾: المُعْبُود، والمُرَبِّي، المنشئ للكون من طورٍ إلى طورٍ إلى حدِّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمرِك كلِّه ﴿لَذُو﴾: صاحب ﴿فَضْلٍ﴾: تكريماً وتشريعاً لرسوله؛ يقول إنَّ ربَّك صاحبُ فضلٍ ﴿عَلَى النَّاسِ﴾: البشر كافة؛ الظالم لنفسه منهم،

والطائع لربه ﴿وَلَكِنَّ﴾: عطفاً واستدراكاً ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: غالبيتهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْكُرُونَ﴾: فالشاكرون منهم قليل، والمنكرون لفضل الله ﷻ كثير.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٤)

﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿رَبِّكَ لَ﴾: حرف تمليك ﴿يَعْلَمُ﴾: يُخْبِرُ ﷻ أن خالقك يا محمد ﷺ يعلم علم اليقين ﴿مَا﴾: الذي ﴿تُكِنُّ﴾: تحوي ﴿صُدُورُهُمْ﴾: ما بداخل القلوب التي هي ما في الصدور، وما يخفون، وما يمكرون ﴿وَ﴾: أيضاً يعلم ﴿مَا يُعْلِنُونَ﴾: ما يقولونه صدقاً أو كذباً.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٧٥)

﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿غَائِبَةٍ﴾: قال ابن عباس: كل شيء، لا تُدرکه ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض وأحاط بها ﴿وَالْأَرْضِ﴾: أيضاً الذي تفعله المخلوقات في الأرض أو في السماء ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: مسطور منذ بداية الخلق؛ قدره ﷻ بإرادته في اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿هَذَا الْقُرْآنَ﴾: خاتم الكتب المنزل على خاتم الرسل ﷺ ﴿يَنْقُصُ﴾: يُخْبِر ويوضح بحق ﴿عَلَىٰ بَنِي﴾: أبناء وأحفاد ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب ﷺ، الذين نزلت فيهم التوراة، والإنجيل ﴿أَكْثَرَ﴾: غالبية ﴿الَّذِي هُمْ﴾: ضمير للجمع المذكور تحديداً ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: يخبر الله ﷻ؛ أكثر ليس قصوراً في حصر الاختلاف، ولكن لإبراز أهم الاختلافات التي تمس العقيدة، فقد اختلفوا في عيسى ﷺ، فاليهود افتروا وقالوا في أمه، عليها السلام، ما قالوا، والنصارى غالوا فيه، وقالوا هو ثالث ثلاثة، ولكن جاء القرآن الكريم ليقول الحق، جاء في المعنى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم-٣٤].

﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧)

﴿وَ﴾: عطفاً على ذلك ﴿إِنَّهُ﴾: هو القرآن الكريم بالتأكيد ﴿لَ﴾: حرف علة وسبب ﴿هُدَىٰ﴾: هذا القرآن يهدي قلوب المؤمنين، ويُدلُّهم على فعل الطاعات ﴿وَرَحْمَةً﴾: فتتألمهم رحمة الله ﷻ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: تخصيصاً للذين يؤمنون بالله ﷻ، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقضاء والقدر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٨)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: تعني كلمة الرب: المُعبود، والمُربي، هو المنشئ للكون بما وبمن فيه من طورٍ إلى طورٍ إلى حدِّ التمام وهو تعالى الخالق، والمالك،

والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ، فهو ﷺ مالكُ أمرِك كله **﴿يَقْضِي﴾**: يحكم **﴿بَيْنَهُمْ﴾**: أيها الرسول: إن ربك يحكم بين الخلق يوم القيامة **﴿ب﴾**: حرف باء التوكيد **﴿حُكْمِهِ﴾**: بعدله هو يوم القضاء، والقاضي واحدٌ أحدٌ يعلمُ كلَّ شيءٍ **﴿و﴾**: عطفاً على هذا اعلم إنّه **﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾**: القوي في انتقامه الذي لا يغالبه أحد **﴿الْعَلِيمُ﴾**: بأفعال عباده وأقوالهم.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (٧٩)

﴿ف﴾: لهذا السبب **﴿تَوَكَّلْ﴾**: اعتمد والجأ بعد الأخذ بالأسباب **﴿عَلَى اللَّهِ﴾**: القوي المتين **﴿إِنَّكَ﴾**: أنت بالتأكيد **﴿عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾**: إنك على طريق الهداية والرشاد الواضح.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٨٠)

﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾**: كما أنك لا تستطيع أن تسمع الموتى شيئاً فإنك لن تسمع الذين طبع الله ﷻ على قلوبهم؛ فأماتها **﴿و﴾**: أيضاً **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَسْمَعُ الدُّعَاءَ﴾**: وأيضاً لا يسمعُ الكفار منك؛ هم الذين على قلوبهم غشاوة، وفي آذانهم وقر؛ فإن الكفر يُعطلُّ وسائل الإدراك **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿وَلَّوْا﴾**: أداروا ظهورهم؛ وهربوا **﴿مُدْبِرِينَ﴾**: تركوك وهربوا.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨١)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي أيضاً **﴿أَنْتَ﴾**: يا محمد ﷺ **﴿ب﴾**: حرف باء التوكيد **﴿هَادِي الْعُمَىٰ﴾**: أنت لن تستطيع أن تدلَّ العُمَىٰ إلى الطريق الصحيح **﴿عَنْ﴾**: حرف بمعنى التعليل والسبب أي من **﴿ضَلَالَتِهِمْ﴾**: التيه والضياع **﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا﴾**: ما تسمع إلا، استثناء **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يُؤْمِنُ ب﴾**: بآية السببية **﴿آيَاتِنَا﴾**: ولا يمكنك أن تسمع إلا من يُصدّق بآياتنا، تستطيع أن تسمع وتهدي من يؤمن بقلبٍ خاشعٍ، ينفعه بصره إذا أبصر، وينفعه سمعه إذا سمع، ويخضع قلبه لما جاء من الحق من عند الله ﷻ **﴿ف﴾**: بسبب **﴿هُمْ﴾**: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص **﴿مُسْلِمُونَ﴾**: مؤمنون بالله ﷻ، وهم مستسلمون.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

(٨٢)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق **﴿إِذَا﴾**: حرف ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط؛ وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿وَقَعَ﴾**: تحقق **﴿الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾**: إذا جاء أمرُ الله ﷻ في آخر الزمان، ووجب العذاب حيث يفسد الناس، ويتركون أوامر الله ﷻ، ويدلّون دينهم الحق

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿دَابَّةً﴾: تسير على الأرض ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية، وهي ﴿الأرض﴾: علامة من علامات الساعة، قيل من مكة، وقيل من غيرها ﴿تَكَلَّمَهُمْ﴾: يفهمون كلامها، قال ابن عباس والحسن وقتادة: تكلّمهم كلامًا، وتُخاطبهم مخاطبةً، وقال عطاء الخرساني وابن جرير: تقول لهم أنّ الناس لم يعودوا يؤمنون بشرع الله ﷺ، وقد ذُكرت الدابة في أكثر من حديثٍ شريفٍ منها قال ﷺ: إِنَّهَا لَنْ تَعُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَخْرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ^(١)، وقد تعددت أماكن الخروج منها؛ فقد قال بعضهم منطقة سدوم في فلسطين، وقيل من موضع بالبادية بالقرب من مكة، وقال ابن عباس: من بعض أودية تهامة، وذكر ابن مسعود: من صدع بالصفاء ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿النَّاسِ﴾: جاء اللفظ القرآني "النَّاس" على تسعة أوجه؛ هنا بمعنى أهل مكة خاصة، كما في قوله ﷺ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة-١٩٩]، وفي قوله ﷺ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء-٦٠]، وفي قوله ﷺ ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس-٢٣] ﴿كَانُوا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: الأدلة والبراهين ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُوقِنُونَ﴾: يعتقدون؛ لأنّ الكفر يعطل وسائل الإدراك في القلب.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٨٣)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿نَحْشُرُ﴾: يحشر الله ﷻ الناس جميعًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿أُمَّةٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم، من كل قوم وقرنٍ ﴿فَوْجًا﴾: جماعة ﴿مِمَّنْ﴾: من نموذج الذي ﴿يُكَذِّبُ﴾: من الكفار الذين كذبوا ﴿بِآيَاتِنَا﴾: بآيات الله ﷻ ورسله ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿يُوزَعُونَ﴾: قال ابن عباس: يُدفعون، وقال قتادة: يُدفعون ويُساقون؛ إذلالًا وتحقيرًا وطرْدًا، يُردّ أولهم على آخرهم، وقال عبد الرحمن بن

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٢٥ (٢٩٠١).

زيد: يُساقون، وهو موقف واضح جمع كبير محشور، يُدفعون من كل جانب؛ دلة ومهانة، وتحقيرًا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨٤)

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءُوا﴾: إذا حُشر المجرمون يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ ﴿قَالَ﴾: الله ﷻ يسأل توبيخًا، وتقريعًا، وتحقيرًا لهم ﴿أ﴾: حرف استفهام يفيد التوبيخ ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: أنكرتم ﴿بِآيَاتِي﴾: لقد كذبتُم بالبراهين ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾: لقد جاءكم الرسل؛ وسمعتُم منهم، وعلمتُم وأحطتُم؛ فهل كذبتُم لأنكم لم تُحيطوا بها علمًا ﴿أَمَآذَا﴾: تتكون من "أم" بمعنى أو، و"ماذا"، حرف استفهام؛ والمقصود التبكيت والتوبيخ ﴿كُنْتُمْ﴾: تعملون في الحياة الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: شغلكم عن النظر والتفكير، أم ماذا فعلتُم بعد الفهم والإدراك غير الرفض والاستكبار؟

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٨٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿وَقَعَ﴾: جاء وتحقق ﴿الْقَوْلُ﴾: العذاب ﴿عَلَيْهِمْ﴾: ثقیلاً، بُهتوا فلم يردّوا، فحقّ عليهم عذابُ الله ﷻ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿ظَلَمُوا﴾: به أنفسهم بالكفر؛ فخرسوا آخرتهم ﴿فَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْطِقُونَ﴾: ماذا سيقولون؟ لا حجة لهم، ولا برهان، ولا تفسير، ولا تبرير.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٦)

﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿يَرَوْا﴾: ألم يتفكر هؤلاء في خلق الله ﷻ، في الكون الفسيح من حولهم، مما يقودهم إلى الإيمان ﴿أَنَّا﴾: أنّ الله ﷻ ﴿جَعَلْنَا﴾: شئنا وقدّرنا أن يكون ﴿اللَّيْلَ ل﴾: حرف تخصيص ﴿يَسْكُنُوا فِيهِ﴾: إنّ قيمة الليل ليست الراحة فقط، إنّ كلّ خلية عملت في النهار، واشتغلت، وحرقت المواد، وأنتجت الطاقة، وتراكمت فيها المواد السامة الناتجة؛ تحتاج في الجسم إلى سكون؛ ليتخلص من مفرزات العمل النهاري، فتتجدد الحيوية، ويصحّ البدن، ويرتاح العقل ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿النَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: تضيئه الشمس، وينطلق فيه الخلق؛ يعملون، ويجدّون، ويبحثون عن طعامهم وشرابهم، ويسعون في المكسب والأسفار والتجارة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿لآيَاتٍ﴾: أدلة وبراهين ﴿لِقَوْمٍ﴾: جماعة من أصل واحد، وأصحاب مذهب واحد ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: هم المصدقون المقتنعون.

التكليف: بدراسة ظاهرة الليل والنهار وعلاقتها بنوم الإنسان والحيوان تقود إلى حكمة الله ﷻ البالغة في خلقه.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (٨٧)

﴿وَيَوْمَ﴾: القيامة ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: يخبرُ اللهُ ﷻ عن هولِ يومِ القيامة؛ حيث إنَّ النافع هو الملكُ إسرافيلُ بأمرِ اللهِ ﷻ ﴿فَ﴾: بسبب النفخة ﴿فَرَع﴾: جاءت بصيغة الماضي دلالة على تحقق وقوع الأمر بلا شكٍ، نفخةٌ طويلةٌ هي نفخة الفزع، والرعب، والخوف الشديد، وهذا في آخر عمر الدنيا، حيث يكون النَّاسُ الأحياء من الأشرار ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: ما علا الأرض وأحاط بها كونها ببيضاوية الشكل ﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد هنا الحال؛ أيضًا فرع ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: إنَّ هذا الفزع الشديد سيُطال المخلوقات في السماء كما يطال من في الأرض ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ شَاءَ﴾: أراد ﴿اللَّهُ﴾: باستثناء من أراد اللهُ ﷻ، ﴿وَكُلُّ أَتَوْهُ﴾: جاؤوا لله ﷻ ﴿دَاخِرِينَ﴾: مُذعنين، أي مُنقادين، ثم ينفخ فيه نفخة القيام؛ القيام لرب العالمين، كلهم جاء صاغراً مطيعاً، لا يتخلف عن أمره أحدٌ، كلهم مطيعٌ، ذليلٌ

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨٨)

﴿وَ﴾: عطفًا على ما سبق ﴿تَرَى﴾: تشاهد ﴿الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا﴾: تتأكد أنها ﴿جَامِدَةً﴾: كأنها ثابتة راسخة باقية ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾: تسير أمامك ﴿مَرًّا﴾: سير ﴿السَّحَابِ﴾: وهي تسير سير السحاب؛ تزول من أماكنها جاء في المعنى: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور-١٠] ﴿صُنِعَ﴾: إنَّه خلق ﴿اللَّهُ﴾: الإبداع والعظمة ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ هنا للفرد الواحدِ الأحدِ، هو ﷻ ﴿أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: صنع أفضل صنعة، وأتقن خلقه، وأودع فيه من حكمة خلقه ما أودع ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿خَبِيرٌ﴾: صاحب الخلق ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿تَفْعَلُونَ﴾: علمٌ بما يفعل الخلق من خيرٍ ومن شرٍّ، يُحصيه مكتوبًا، واليوم يوم الحساب.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (٨٩)

﴿مَنْ﴾: هو المخلوق العاقل ﴿جَاءَ﴾: عمل ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْحَسَنَةِ﴾: قال قتادة: الإخلاص، وقال زين العابدين: هي لا إله إلا الله ﴿فَ﴾: بسبب ذلك ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿خَيْرٌ﴾: كلُّ ما ينفع ويفيد ﴿مِنْهَا﴾: وقد جاء في القرآن: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام-١٦٠]

﴿وَهُمْ﴾: أيضًا تحديداً ﴿مِنْ فَرْعٍ﴾: الخوف الشديد، من هنا نعلم أنّ النفخات ثلاث: نفخة الصعق، ونفخة البعث، ونفخة الفرع، وقيل نفختان؛ أن تكون نفخة الفرع تابعة لأي من النفختين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كلمة مكونة من يوم، وإذ؛ بمعنى في ذلك الوقت؛ أي يوم القيامة ﴿آمِنُونَ﴾: هم لا يفرعون يوم الفرع، وقد جاء: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء-٢٣].

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٠) ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس الإنسان ﴿جَاءَ بِ﴾: حرف باء المقابلة ﴿السَّيِّئَةِ﴾: الشرك، والكفر، وارتكاب المعاصي، أحاطت به سيئات ما عمل، ورجحت سيئاته على حسناته ﴿فَب﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿كَبَّتْ﴾: ألقوا على ﴿وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بمعنى ما ﴿تُجْزَوْنَ﴾: يكون أجركم وثوابكم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَا﴾: الذي مقابل الذي ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: جزاء السيئة ما تستحقون من العذاب.

﴿إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩١)

﴿إِنَّمَا﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿أَمْرٌ﴾: أمرني الله ﷻ أمر وجوب ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَعْبَدَ﴾: يخبر الله ﷻ رسوله ﷺ أنه أمر أن يعبد ﴿رَبِّ﴾: مالك أمر ﴿هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾: مكة المكرمة؛ فقد أضاف الله ﷻ ربوبية إلى هذا البلد؛ على سبيل التشريف، والحفاظ عليها، والاعتناء بها ﴿الَّتِي حَرَّمَهَا﴾: التي جعلها الله ﷻ حراماً، شرعاً، وقدرًا، قال ﷻ يوم فتح مكة: إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَلَا يُحْتَلَى خَلَاةً^(١) ﴿وَلَهُ﴾: أيضًا ملكه ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم، خصّ الله ﷻ كلمة رَبِّ لأنه مالك الأمر كله ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَمْرٌ﴾: أمرني ربي ﷻ ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾: ثم يكمل محمد ﷺ الأمر الإلهي بأن تكون أول الموحدين، المطيعين.

﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (٩٢)

(١) صحيح البخاري ١٠٤/٤ (٣١٨٩).

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَتْلُو﴾: أمرني ربي ﷺ أَنْ أقرأ القرآن تعبدًا وتعليمًا وتبليغًا ﴿الْقُرْآنَ﴾: أقرأه عليهم، أبلغهم معانيه، وأنذر به ﴿فَمَنْ﴾: حرف استنهام استثنائي عن العاقل ﴿أَهْتَدَى﴾: فمن سمع؛ وأدرك، وآمن بما فيه، وصدق ﴿فَأِنَّمَا﴾: نقيذ التحديد والتخصيص ﴿يَهْتَدِي لِ﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِهِ﴾: فإن خير ذلك جزاؤه والفائدة له يجنيها هو لنفسه ﴿وَمَنْ﴾: والذي من جنس العاقل، وهو الإنسان ﴿ضَلَّ﴾: تاه، وتتكب، وضاع في مسالك الكفر ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿قُلْ إِنَّمَا﴾: حددت وخصصت نفسي ﴿أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾: إن دوري أن أبلغه، وأنذره، وأحذره؛ فإن أصرّ على ضلاله؛ فقد أدبت واجبي.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣)

﴿وَقُلِ﴾: أمر رباني ﴿الْحَمْدُ﴾: الشكر والثناء ﴿لِلَّهِ﴾: أحمد الله ﷻ الذي لا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بِالْعَدْلِ بعد إقامة الحجّة والإنذار ﴿س﴾: حرف توكيد الفعل في المستقبل ﴿يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: سيطلعكم على قدرته عليكم، وعلى الخلق في الحياة الدنيا، وما الكوارث والصواعق والأمطار إلا بعضًا من آياته ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَعْرِفُونَهَا﴾: تكون سببًا في معرفتها ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿رَبُّكَ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بما وبمن فيه من طورٍ إلى طورٍ إلى حدّ الكمال والتمام وهو سبحانه الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو ﷻ مالك أمرك كله ﴿بِغَافِلٍ﴾: غائب، لاه ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: قال عمر بن عبد العزيز: ما معناه إنَّ الله لا يغفل ما تعفي الرياح من أثر قدمي ابن آدم.

التكليف: من مقاصد السورة الكريمة امتنان الله ﷻ على رسوله ﷺ، وعلى الخلق بالقرآن الكريم.



سُمّيت سورة القصص بهذا الاسم ولا يُعرف لها اسم آخر، ووجه التسمية لوقوع لفظ القصص في السورة، وهي سورة مكّية في قول جمهور التابعين، وترتيبها (٤٩) في عداد نزول سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة النمل وقبل سورة الإسراء، وعدد آياتها (٨٨) آية باتفاق العادين.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طسم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة أنّ الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرف ﴿ط﴾: أرى، والله أعلم، أنّها تعود على محمد ﷺ؛ فقد جاء في الآية رقم (٢) ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ وهو القرآن الكريم الذي نزل عليه ﷺ وجاء في الآية رقم (٣) ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾، ولم يأت ما يشير إليه الضمير غير محمد ﷺ.

حرف ﴿س﴾: هي في اللغة تعني حرف توكيد القول والفعل، ويعزز هذا المعنى ما جاء في الآية رقم (٥) ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾، وجاء في الآية رقم (٦) ﴿وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

حرف ﴿م﴾: أرى، والله أعلم، أنّه يعني محمدًا ﷺ، فإضافة إلى ما جاء في السور السابقة؛ جاء في الآية (٣) ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾ ولم يسبق اسم يعود عليه الضمير، أي على محمد ﷺ ﴿مَنْ نَبَأٍ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (٢)

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة للحروف في هذه الآيات في القرآن الذي أنزلته عليك أيها الرسول هي ﴿آيَاتُ﴾: الأدلّة والبراهين ﴿الْكِتَابِ﴾: القرآن الكريم ﴿الْمُبِينِ﴾: مبينًا كلّ ما يحتاج إليه العباد في دنياهم وآخرتهم، الكاشف لحقائق ما كان، وما هو كائن، وما سيكون.

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأٍ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣)

﴿نَتْلُو﴾: نخبرك نقرأ ﴿عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية ﴿نَبَأٍ﴾: خبر وقصة ﴿مُوسَى وَ﴾: أيضًا نتلو عليك خبر ﴿فِرْعَوْنَ﴾: حاكم مصر في عهد موسى ﷺ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق إنّ خير الصدق ما يشاهده الإنسان، ستسمع كلامنا بالصدق والعدل؛ كأنك حاضره يكون عونًا لك ﴿لِ﴾: حرف تخصيص يفيد لأجل ﴿قَوْمٍ﴾: هم جماعة أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون بهذا القرآن أنّه من عند الله ﷻ، ويعملون بهديه؛ ويؤمنون بملائكته، وكتبه، ورسله، والقضاء والقدر والقيامة؛ وهم الذين ينتفعون بما يسمعون وما يقرؤون.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَ هُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَ هُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِرْعَوْنَ﴾: حاكم مصر في عهد موسى ﷺ ﴿عَلَا﴾: تجبر، وتكبر، وطغى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في البلاد ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿جَعَلَ﴾:

من مظاهر جبروته أن قسّم **﴿أَهْلَهَا شَيْعًا﴾**: فرق النَّاسَ أصنافًا، من أصناف التمييز العنصري بين الخلق **﴿يَسْتَضْعِفُ﴾**: يُذَلُّ وَيُضْعَفُ **﴿طَائِفَةً﴾**: جماعة متجانسة **﴿مِنْهُمْ﴾**: جعل بني إسرائيل الذين كانوا خيرة النَّاسِ مع يوسف **﴿الْعَلِيِّ﴾**، سخرهم في أحسن الأعمال **﴿يَذْبَحُ﴾**: يقتل ذبحًا **﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾**: مواليدهم الجدد، يقتل في عام كلِّ المواليد الذكور؛ خشية أن يخرج منهم من يذهب بملكه، ويُبقي مواليد العام التالي؛ ليكونوا له خدمًا **﴿وَيَسْتَحْيِي﴾**: أيضًا يُبقي أحياء **﴿نِسَاءَهُمْ﴾**: يبقي المواليد الإناث لخدمته **﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**: شهادة من الله **﴿اللَّهُ﴾** أن أعمال فرعون كانت فسادًا وإفسادًا.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥)
﴿و﴾: عطفًا على هذا **﴿نُرِيدُ﴾**: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿نَمُنُّ﴾**: نتفضل، ونتكرم **﴿عَلَى الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد الجمع من النساء والرجال **﴿اسْتُضِعُّوا﴾**: نريد أن نتفضل على الذين استضعفهم واستذلهم واستخدمهم فرعون في الأعمال المُذلة والمهينة **﴿فِي الْأَرْضِ﴾**: في مصر **﴿وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً﴾**: أن يقودوا الأمة **﴿و﴾**: أيضًا **﴿نَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**: يرثون فرعون، ويرثون هداية البشر على منهج العدل.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (٦)
﴿و﴾: أيضًا **﴿نُمَكِّنُ﴾**: نثبت ونقوي **﴿لَهُمْ﴾**: حرفٌ تخصيصٍ وتمليكٍ **﴿فِي الْأَرْضِ﴾**: نجعلهم مقتدرين عليها يتصرفون فيها كيف شاءوا، وأن يكون هلاك فرعون على أيديهم في البلاد؛ فيصيرون أصحاب السلطان في مصر **﴿وَنُرِي﴾**: نذيق **﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾**: وزيره **﴿وَجُنُودَهُمَا﴾**: أن نجعل فرعون ووزيره هامان، وقادة جنده يشاهدون ويعانون **﴿مِنْهُمْ مَا﴾**: الذين **﴿كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾**: ما كانوا يخشون وقوعه؛ وهو أن تصدق الرؤية التي تقول بزوال فرعون جسدًا، وحاشيةً، وحكمًا على يد طفلٍ من بني إسرائيل؛ حيث تربي هذا الطفل، وهو موسى **﴿الْعَلِيُّ﴾**، في بلاط الملك، في بيته، وفراشه، وغذائه، ورعايته.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧)

جاء ذكر مولد موسى **﴿الْعَلِيُّ﴾**، في العام الذي يذبح فيه الذبائح من جنود فرعون، الذين يذبحون ذكور بني إسرائيل، وسبقه بعام مولد هارون؛ انظر [طه-٣٩] **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿أَوْحَيْنَا﴾**: أبلغ الله **﴿اللَّهُ﴾** وحياً بصيغة الجمع، وهو واحدٌ أحدٌ للتعظيم عبر ملكٍ كريم **﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَى﴾**: ألهم الله **﴿اللَّهُ﴾** أم موسى أمرًا، جاء الوحي هنا بكيفية معينة هي الإلهام الفطري **﴿أَنَّ﴾**:

حرف تأكيد الفعل ﴿أَرْضِعِيهِ﴾: لتعينه على العيش أياماً ﴿فَإِذَا﴾: حرف يفيد هنا المفاجأة والأمر، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿خَفَّتْ عَلَيْهِ﴾: بسبب خوفك على موسى ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَلْقِيهِ﴾: ضعيه ﴿فِي النِّيمِ﴾: في نهر النيل والله أعلم، كانت أم موسى تسكن بالقرب من شاطئ نهر النيل، فصنعت له صندوقاً من الخشب، وحصنته من تسرب دخول الماء، ووضعت موسى الرضيع؛ فيه وحتى لا يأخذه التيار؛ ربطته بحبل؛ حتى يمر النّهار، وحافظت عليه ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ وفي يومٍ نسيت أن تربط الحبل؛ فذهب النهرُ بالتابوت ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿رَادُوهُ﴾: سترجعه ﴿إِلَيْكَ﴾: إلى أم موسى ﴿وَجَاعِلُوهُ﴾: عطفاً على ما سبق نعدّه ونؤهله ليكون ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: ومرّ التابوت على قصر فرعون؛ فالتقطته الجوّاري، وذهبن به إلى امرأة فرعون، فلما فتحته أوقع الله ﷻ محبة موسى في قلبها، ولم تعلم أم موسى أين ذهب طفلها، فتملكها الخوف.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾
(٨)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والسرعة ﴿الْتَقَطَهُ﴾: انتقله بسرعة ﴿آلُ فِرْعَوْنَ﴾: أخذه جنود فرعون، فأخرجوه من النّهر ﴿ل﴾: حرف سبب؛ أن يصير في يد آل فرعون ﴿يَكُونُ﴾: ليحقق غاية الله ﷻ ﴿لَهُمْ﴾: لفرعون وقومه ﴿عَدُوًّا﴾: يُخَاصِمُهُمْ وَيُخَالِفُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال؛ هنا لِيُسَبِّبَ لَهُمْ ﴿حَزَنًا﴾: بضياح الملوك منهم، وغرقهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾: هو وزير فرعون ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾: قواتهما المسلحة ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾: يشهد الله ﷻ في هؤلاء المتكبرين، أنهم كانوا خاطئين؛ فسيكون حزنهم، وهلاكهم، وزوال ملكهم على يد هذا الوليد، كانوا خاطئين يوم قرروا قتل الأطفال، وكانوا خاطئين يوم التقطوا موسى ﷺ، ولكنهم لا يملكون من قدر الله ﷻ حافظاً، جاء اللفظ القرآني "خاطئين" على ثلاثة أوجه، هنا بمعنى ذنب الشرك بالله ﷻ؛ كما في قوله ﷻ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة-٣٧].

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ﴾: هي محبتي؛ وتتربى على عيني، وتحقق ما يرضيني، وتخفف من حزني ﴿لِي﴾: تخصيصاً ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَكَ﴾: عندما هم فرعون بقتل موسى ﷺ؛ قالت زوجته آسية بنت مزاحم تحب فرعون في موسى، إنه سيكون ما تقرُّ به عينها، وعين فرعون، قال فرعون أما لك فنعم، وأما لي فلا؛ لهذا قالت زوجة فرعون ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَقْتُلُوهُ﴾: وكانت صاحبة رأيٍ مسموعٍ ﴿عَسَى﴾: فعلٌ ماضٍ جامد يفيد هنا الترجي في الأمر المحبوب، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَنْفَعُنَا﴾: وقد نفعها الله ﷻ به، وشهد القرآن الكريم لها بذلك ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم- ١١] ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التخيير بين ﴿تَتَّخِذُهُ﴾: نعمته، ونعده ﴿وَلَدًا﴾: فقد حدث وهداها الله ﷻ به ﴿وَهُمْ﴾: قوم فرعون ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: لم يعلم قوم فرعون مصيرهم بالنقاط هذا الرضيع من النهر، وأثره في تاريخ البشرية فكم من الأحداث الصغيرة غيرت وجه التاريخ.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَصْبَحَ﴾: صار ﴿فُؤَادُ﴾: من الفعل فأد أي احترق قلب، مركز الوعي والإدراك ﴿أُمِّ مُوسَى فَارِعًا﴾: خالياً من أي أمرٍ من أمور الدنيا إلا من أمر موسى ﷺ ﴿إِنْ كَادَتْ﴾: أوشكت من شدة حُزنها وخوفها على ولدها ﴿ل﴾: حرف سببٍ ﴿تُبْدِي بِهِ﴾: أن تخبر أنه ولدها، وتكشف سره ﴿لَوْلَا﴾: ما منعها إلا أمرُ الله ﷻ ﴿أَنَّ﴾: حرف تحقق الفعل ﴿رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾: تثبتها الله وصبرها ﴿ل﴾: حرف سببٍ أن ﴿تَكُونَ مِنَ﴾: حرف يفيد التمييز ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: ليطمئن قلبها أن الله ﷻ لن يضيع وليدها.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١١)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿قَالَتْ﴾: أم موسى ﴿ل﴾: حرف تخصيصٍ ﴿أُخْتِهِ﴾: قالت الأم لابنتها التي تعقل ما يجري ﴿قُصِّيهِ﴾: اذهبي في أثره، وابحثي عن أخباره ﴿ف﴾: بسرعة وبسبب بحثها عنه ﴿بَصُرَتْ﴾: شاهدته ﴿بِهِ عَنْ﴾: حرف يفيد من ﴿جُنْبٍ﴾: قال ابن عباس: عن جانب، وقال مجاهد: بصرت به عن بُعد، وقال قتادة: تنظر إليه كأنها لا تريده، خاصة وقد استقر في بيت فرعون، وأحبته امرأة الملك ﴿وَهُمْ﴾: قوم فرعون ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: لم يلاحظوا اهتمام الأخت واهتمام الأم بالطفل، موسى ﷺ.

التكليف: من الواضح أنّ أخت موسى ﷺ كانت على درجة من الذكاء وحسن التدبير فلم تُشعر أحدًا بأنها تقتفي أثر التابوت.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾

(١٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿حَرَّمْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾: تحريمًا قدرًا من الله ﷻ؛ لكرامته عند الله ﷻ، بحيث لا يرضع إلا من ثدي أمه، وليكون ذلك سببًا لرجوعه لأمه، ترضعه آمنة مطمئنة ﴿ف﴾: بسبب هذا وبسرعة ﴿قَالَتْ﴾: أخت موسى ﴿هَلْ﴾: مستفسرة ﴿أَدُلُّكُمْ﴾: أرشدكم ﴿عَلَىٰ أَهْلِ﴾: أصحاب ﴿بَيْتٍ﴾: عائلة فيها أولاد ومرضعات ﴿يَكْفُلُونَهُ﴾: هنا جاءت أدوات الستر التي عملتها أخت موسى ﷺ حتى تضمن أن يتكفلوا برضاعته، ورعايته وحمايته من أعدائه ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿وَهُمْ﴾: ضمير للجماعة الذكور الغائبين ﴿لَهُ نَاصِحُونَ﴾: قَالَ وَهَبٌ: لَمَّا حَمَلَتْ أُمُّ مُوسَىٰ بِمُوسَىٰ كَتَمَتْ أَمْرَهَا جَمِيعَ النَّاسِ، فَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ حَمْلِهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَذَلِكَ شَيْءٌ أَسْرَهَا اللَّهُ بِهِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَمُنَّ بِهِ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي يُوَلَّدُ فِيهَا مُوسَىٰ بَنُ عِمْرَانَ بَعَثَ فِرْعَوْنُ الْقَوَائِلَ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِنَّ وَفَتَسَّ النَّسَاءَ تَفْتِيشًا لَمْ يُفْتِشُنَّ قَبْلَ ذَلِكَ وَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَىٰ بِمُوسَىٰ فَلَمْ يَنْتُ بَطْنُهَا، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ لَوْنُهَا، وَلَمْ يَفْسُدْ لَبْنُهَا، وَلَكِنَّ الْقَوَائِلَ لَا تَعْرِضُ لَهَا، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا مُوسَىٰ وَوَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَلَا رَقِيبَ عَلَيْهَا وَلَا قَابِلَ وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهَا مَرْيَمُ وَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَيْهَا أَنْ أَرْضِعِيهِ، فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. قَالَ: فَكَتَمَتْهُ أُمُّهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ تَرْضِعُهُ فِي حِجْرِهَا لَا يَبْكِي وَلَا يَتَحَرَّكُ فَلَمَّا خَافَتْ عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا عَمِلَتْ لَهُ تَابُوتًا مُطْبَعًا وَمَهَّدَتْ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي الْبَحْرِ لَيْلًا كَمَا أَمَرَهَا اللَّهُ وَعَمِلَ التَّابُوتُ عَلَىٰ عَمَلِ سَفْنِ الْبَحْرِ حَمْسَةَ أَشْبَارٍ فِي حَمْسَةِ أَشْبَارٍ وَلَمْ يُعَيَّرْ فَأَقْبَلَ التَّابُوتُ يَطْفُو عَلَىٰ الْمَاءِ، فَأَلْقَى الْبَحْرُ التَّابُوتَ بِالسَّاحِلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فِرْعَوْنُ جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ عَلَىٰ شَاطِئِ النَّيْلِ فَبَصَرَ بِالتَّابُوتِ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ خَدَمِهِ إِيْتُونِي بِهَذَا التَّابُوتِ فَأَتَوْهُ بِهِ، فَلَمَّا وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَحَّهُ فَوَجَدَ فِيهِ مُوسَىٰ، قَالَ: فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ قَالَ: غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْأَعْدَاءِ فَأَعْظَمَهُ ذَلِكَ وَغَاطَهُ، وَقَالَ: كَيْفَ أَخْطَأَ هَذَا الْغُلَامَ الذَّبْحُ وَقَدْ أَمَرْتُ الْقَوَائِلَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مَوْلُودًا يُوَلَّدُ، قَالَ: وَكَانَ فِرْعَوْنُ قَدْ اسْتَنَكَحَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهَا أَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، وَكَانَتْ مِنْ خِيَارِ النَّسَاءِ الْمُعْدُودَاتِ وَمِنْ بَنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانَتْ أُمًّا لِلْمُسْلِمِينَ تَرَحَّمُهُمْ وَتَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ وَتُعْطِيهِمْ وَيَدْخُلُونَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لِفِرْعَوْنَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ هَذَا الْوَلِيدُ أَكْبَرُ مِنْ ابْنِ سَنَةِ

وَأَمَّا أَمْرَتْ أَنْ تَذَبِحَ الْوَلَدَانَ لِهَذِهِ السَّنَةِ فَدَعُهُ يَكُونُ فُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا
أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنْ هَلَكَ لَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ لَا يُؤَلِّدُ لَهُ إِلَّا الْبَنَاتِ فَاسْتَحْيَاهُ
فِرْعَوْنُ وَرَفَعَهُ وَاللَّهُ إِلَيْهِ مَحَبَّتُهُ وَرَأْفَتُهُ وَرَحْمَتُهُ، وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: عَسَى أَنْ يَنْفَعَكَ أَنْتِ فَأَمَّا أَنَا
فَلَا أُرِيدُ نَفْعَهُ، قَالَ وَهَبْ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَوْ أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَالَ فِي مُوسَى كَمَا قَالَتِ امْرَأَتُهُ:
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا لَنَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَبِي لِلشَّقَاءِ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى
الْمَرَاضِعَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ، كُلَّمَا أُتِيَ بِمُرْضِعَةٍ لَمْ يَقْبَلْ تَذْيِهَا فَرَقَّ لَهُ فِرْعَوْنُ وَرَحِمَهُ وَطَلِبَتْ
لَهُ الْمَرَاضِعُ، وَذَكَرَ وَهَبُ حُزْنَ أُمِّ مُوسَى وَبُكَاءَهَا عَلَيْهِ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تُبْدِي بِهِ، ثُمَّ تَدَارَكَهَا اللَّهُ
بِرَحْمَتِهِ فَرَبَطَ عَلَى قَلْبِهَا إِلَى أَنْ بَلَغَهَا خَبْرَهُ، فَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ تَتَكْرِي وَأَذْهَبِي مَعَ النَّاسِ وَأَنْظِرِي مَاذَا
يَفْعَلُونَ بِهِ فَدَخَلَتْ أُخْتُهُ مَعَ الْقَوَائِلِ عَلَى أَسِيَّةَ بِنْتِ مُرَاحِمٍ، فَلَمَّا رَأَتْ وَجَدَهُمْ بِمُوسَى وَحَبُّهُمْ لَهُ
وَرِقَّتَهُمْ عَلَيْهِ، قَالَتْ: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ إِلَى أَنْ رُدَّ إِلَى أُمِّهِ
فَمَكَتْ مُوسَى عِنْدَ أُمِّهِ حَتَّى فَطَمَتَهُ، ثُمَّ رَدَّتْهُ إِلَيْهِ فَتَشَأَ مُوسَى فِي حِجْرِ فِرْعَوْنَ وَامْرَأَتِهِ يُرَبِّيَانِهِ
بِأَيْدِيهِمَا وَاتَّخَذَاهُ وَلَدًا فَبَيْنَا هُوَ يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيْ فِرْعَوْنَ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ لَهُ خَفِيفٌ صَغِيرٌ يَلْعَبُ بِهِ،
إِذْ رَفَعَ الْقَضِيبَ فَضَرَبَ بِهِ رَأْسَ فِرْعَوْنَ وَنَظَرَ مَنْ ضَرَبَهُ حَتَّى هَمَّ بِقَتْلِهِ، فَقَالَتْ أَسِيَّةُ بِنْتُ
مُرَاحِمٍ: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَعْصَبْ وَلَا يَشُقَّنَّ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ صَبِيٌّ صَغِيرٌ لَا يَعْقِلُ جَرِيهَ إِنْ شِئْتَ اجْعَلْ
فِي هَذَا الطَّشْتِ جَمْرَةً وَذَهَبًا فَانظُرْ عَلَى أَيُّهُمَا يَقْبِضُ فَأَمَرَ فِرْعَوْنُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا مَدَّ مُوسَى يَدَهُ
لِيَقْبِضَ عَلَى الذَّهَبِ قَبِضَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ عَلَى يَدِهِ فَرَدَّهَا إِلَى الْجَمْرَةِ فَقَبِضَ عَلَيْهَا مُوسَى
فَأَلْقَاهَا فِي فِيهِ ثُمَّ قَذَفَهَا حِينَ وَجَدَ حَرَارَتَهَا، فَقَالَتْ أَسِيَّةُ لِفِرْعَوْنَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّهُ لَا يَعْقِلُ شَيْئًا وَلَا
يَعْلَمُهُ وَكَفَّ عَنْهُ فِرْعَوْنُ وَصَدَّقَهَا وَكَانَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَيُقَالُ: إِنَّ الْعُقْدَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي لِسَانِ مُوسَى
أَنْزَلَتْ تِلْكَ الْجَمْرَةَ الَّتِي أَنْقَمَهَا، قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى أَشَدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَنَاهُ
اللَّهُ عِلْمًا وَحُكْمًا وَفَهْمًا فَلَبِثَ بِذَلِكَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً دَاعِيًا إِلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَشَرَائِعِهِ وَإِلَى دِينِ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ " ثُمَّ ذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطُولِهَا ^(١).

التكليف: هكذا حال المؤمن؛ يجعل الله ﷻ له من كل ضيقٍ مخرجًا، ويرزقه من حيث لا
يحتسب.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
(١٣)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٦٧٥/٢ (٤١٥٤).

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿رَدَّنَاهُ﴾: أرجع الله ﷺ موسى الرضيع ﴿إِلَى أُمِّهِ كَيْ﴾: حتى من أجل أن ﴿تَقَرَّ﴾: تهدأ ﴿عَيْنُهَا﴾: نفسها ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَحْزَنَ﴾: شعرت الأم بالأمن، وذهب عنها الخوف ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ل﴾: نخصها حتى ﴿تَعْلَمَ﴾: تتيقن وتؤمن ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل، ونفي الإنكار والشك ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: قد تحقق وعد الله تعالى لها بإعادته إليها، حتى يجعله من المرسلين ﴿وَلَكِنَّ﴾: استدراكًا ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: غالبية غير المؤمنين ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: لا يدركون أن الأعمال قد تقع كأمرٍ صعبةٍ على النفوس، وهي بعواقب محمودة.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤)

﴿وَلَمَّا﴾: يفيد حدث في الماضي ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: صار موسى ﷺ، شابًا، يافعًا، قويًا ﴿و﴾: أيضًا ﴿اسْتَوَى﴾: واستقام بناؤه الجسدي، والعقلي، والنفسي ﴿آتَيْنَاهُ﴾: منحه الله ﷺ ﴿حُكْمًا﴾: فهمًا ووعيًا ﴿و﴾: عطفًا على ذلك وهبناه، جاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿عِلْمًا﴾: قال مجاهد: النبوة، وقيل النبوة والتكليم في قضية قتل القبطي وهي سبب خروجه من مصر إلى مدين ﴿وكَذَلِكَ﴾: أيضًا مثل هذا ﴿نَجْزِي﴾: نُكافئ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين يعبدون الله ﷺ بصدق.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (١٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿دَخَلَ﴾: موسى ﷺ ﴿الْمَدِينَةَ﴾: التي فيها فرعون ﴿عَلَى﴾: حرف يفيد هنا ظرف للزمان ﴿حِينٍ غَفْلَةٍ﴾: عدم انتباه، والغفلة هي سهو يعتري الإنسان من قلّة التحفظ والنتيظ ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾: قال ابن عباس: بين المغرب والعشاء، وقال ابن المنكر: كان ذلك نصف النهار ﴿ف﴾: حرف سبب استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة ﴿وَجَدَ﴾: قابل ﴿فِيهَا﴾: في المدينة ﴿رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾: يضرب كل واحدٍ منهما الآخر ﴿هَذَا﴾: أحدهما ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿شِيعَتِهِ﴾: جاء اللفظ القرآني "شيع" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى الجنس، أي هنا من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا﴾: الثاني ﴿مِنْ عَدُوِّهِ﴾: قبطي ﴿ف﴾: بسرعة ﴿اسْتَعَاثَ﴾: طلب من موسى العون ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالشخص الذي ﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾: طلب الإسرائيلي من موسى ﷺ، الغوث، والعون ﴿عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾: بسبب الطلب وبسرعة ﴿وَوَكَرَهُ مُوسَى﴾: قال مجاهد: طعنه بجمع كفه، لكمة ملاكم، وقال قتادة: وكزه بعصا كانت معه ﴿ف﴾: بسبب الوكز ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾: قتله ﴿قَالَ﴾:

موسى ﷺ ﴿هَذَا﴾: الشجار والقتل ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية، بعض ﴿عَمَلٍ﴾: هذا من تزيين وإغراء ﴿الشَّيْطَانِ إِنَّهُ﴾: الشيطان بالتأكيد ﴿عَدُوٌّ﴾: للإنسان ﴿مُضِلٌّ﴾: إنَّ الشيطان يُبعد الناس عن الحق ﴿مُبِينٌ﴾: واضح العداء.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ؛ داعيًا الله ﷻ ﴿رَبِّ﴾: تعني كلمة الرب: المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو مالكُ أمري كلّه، ذكر موسى ربه اعترافًا وإنابةً ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: تقتلي القبطي ﴿فَ﴾: حرف ربط جواب الشرط هذا العمل ﴿اغْفِرْ لِي﴾: سأل موسى الله ﷻ أن يغفر له ﴿فَ﴾: بسبب ذلك وبدون تأخير ﴿غَفَرَ﴾: الله ﷻ ﴿لَهُ﴾: استجاب ﷻ له ﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ الله ﷻ بالتأكيد ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿الْغَفُورُ﴾: المسامح للتائبين ﴿الرَّحِيمُ﴾: كثير الرحمة.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٧)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿رَبِّ﴾: يا مالكُ أمري كلّه ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: بفضلك وبما وهبتي من جاهٍ، وقوةٍ، ونعمةٍ ﴿فَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿أَكُونَ﴾: في المستقبل ﴿ظَهِيرًا﴾: جاء اللفظ "ظهير": في القرآن الكريم على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى التعاون لنُ أكون عونًا، أو مساعدًا، أو داعمًا ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين بالله ﷻ. التكليف: إنَّ قوة المسلم يجب أن تكون لعون المسلم وليست لعون الكافرين.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٨)

﴿فَ﴾: بسبب ذلك ﴿أَصْبَحَ﴾: صار ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: موسى ﷺ ﴿خَائِفًا﴾: من عقوبة ما فعل ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: يتوقع نتائج هذا العمل ﴿فَإِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المُذكر ﴿اسْتَنْصَرَهُ﴾: الإسرائيلي الذي طلب منه النصر على القبطي ﴿بِ﴾: حرف باء الظرف ﴿الْأَمْسِ﴾: الذي قتله موسى أثناء الدفاع عن الإسرائيلي ﴿يَسْتَصْرِحُهُ﴾: يُنادي عليه مرّةً أخرى؛ لينصره مرّةً أخرى على قبطيٍ آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿لِ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿عَوِيٌّ﴾: وصفه موسى ﷺ، غاضبًا إنك صاحب الغواية والضلال والشر ﴿مُبِينٌ﴾: ظاهرٌ واضحٌ.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١٩)

﴿فَلَمَّا﴾: بسبب وبتتابع الحدث ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَرَادَ﴾: المقصود موسى ﷺ، حاول موسى أن يضرب القبطي بعد أن وَّخَّ الإسرائيلي بوصفه: غَوِي مُبِين ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول بالفرد المذكر ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﴿عَدُوٌّ لَهُمَا﴾: تدخل موسى ﷺ ليبطش بالقبطي ﴿قَالَ يَا مُوسَى﴾: الإسرائيلي ظنًا أن موسى ﷺ؛ سيبطش به فقال ﴿أ﴾: استفهام؛ متعجبًا ومُستنكرًا ﴿تُرِيدُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَقْتُلَنِي كَمَا﴾: مثلما ﴿قَتَلْتَ نَفْسًا بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْأَمْسِ﴾: فقد خاف الإسرائيلي أن يبطش به موسى؛ قال مُعترفًا أن موسى هو الذي قتل القبطي ﴿إِنْ﴾: ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ تَكُونَ﴾: في المستقبل ﴿جَبَّارًا﴾: طاغية ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تُرِيدُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَكُونَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْمُصْلِحِينَ﴾: كما كان يقول موسى، انقلب الإسرائيلي على موسى ﷺ، ووشى به، واتهمه أنه يريد أن يقتل النَّاسَ ظُلْمًا وتَجْبُرًا؛ وشاع الخبر وسط الأقباط؛ هنا تلقف أهل القبطي المقتول الاعتراف؛ وذهبوا إلى فرعون وأخبروه؛ فاشتد غضبه، وقرر قتل موسى ﷺ، وأرسل في طلبه.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿جَاءَ رَجُلٌ﴾: وصفه الله ﷻ برجل، بصيغة النكرة لتنفيذ عملٍ عظيمٍ إنَّه ليس من جند فرعون؛ لأنَّه سلك طريقًا أقرب من طريق رجال فرعون غير معلوم؛ لحكمةٍ أَرَادَهَا اللهُ ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ يُعِيدُ بَيَانٍ وَتَمْيِيزٍ لِلنَّوْعِ؛ وبداية الغاية المكانية ﴿أَقْصَى﴾: أبعد ﴿الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾: يجري ويسرع ووصل موسى ﴿قَالَ يَا﴾: حرف نداء للقریب ﴿مُوسَى﴾: بال تأكيد ﴿الْمَلَأَ﴾: أخبر أن رجال فرعون ووزراءه ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾: يتآمرون ويتشاورون ﴿بِكَ﴾: عليك ﴿ل﴾: حرف علَّةٍ وَسَبَبٍ ﴿يَقْتُلُوكَ فَ﴾: بسبب هذا بسرعة ﴿اخرُجْ﴾: اهرب من البلد ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَكَ﴾: تخصيصًا ﴿مِنَ النَّاصِحِينَ﴾: أخبرك الصدق، وأنصح لك.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢١)

﴿ف﴾: بسرعة وبسبب ذلك ﴿خَرَجَ مِنْهَا﴾: ترك موسى ﷺ مصر وحده ﴿خَائِفًا﴾: فلم يألف من قبل أن يسير بمفرده في هذه البلاد ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: يتوقع أن يلحق به جنود فرعون، يتلفت في

كلّ اتجاهٍ ﴿قَالَ﴾: دعا الله ﷻ ﴿رَبِّ﴾: تعني كلمةُ الرب: المُعبود، والمُربي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيدُ يا مالك أمري كلّه ﴿نَجْنِي﴾: أنقذني ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْقَوْمِ﴾: جماعة فرعون ﴿الظَّالِمِينَ﴾: أن ينجيه جاء أن الله ﷻ أرسل إليه ملكًا؛ فأرشده إلى الطريق.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢)

﴿وَلَمَّا﴾: اسم يفيد تأكيد الفعل ﴿تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ﴾: في اتجاه ﴿مَدْيَنَ﴾: تقع مدينةُ مدين جنوب فلسطين، فسأل ربّه ﷻ أن يرشده إلى الطريق الصحيح المُوصلُ إلى المدينة؛ عندما عرف الطريق، ووجده آمنًا ﴿قَالَ عَسَى﴾: تفيد هنا الترجي؛ لأنها كانت من البشر ﴿رَبِّي﴾: مالك أمري كلّه ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَهْدِيَنِي﴾: أن يذلني الله ﷻ إلى ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: الطريق الصحيح، واستجاب ﷻ له؛ فهداه في الدنيا الطريق الصحيح.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ

مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣)

﴿وَلَمَّا﴾: اسم يفيد تأكيد الفعل ﴿وَرَدَ﴾: عندما وصل موسى ﷺ ﴿مَاءَ مَدْيَنَ﴾: في قرية مدين، وجد فيها بئرًا يردها الرعاة ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿النَّاسِ يَسْقُونَ﴾: أغنامهم ومواشيهم ﴿و﴾: أيضًا ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾: غيرهم وبعيدًا عنهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تطردان تمنعان أغنامهما من الاختلاط بغنم الآخرين ﴿قَالَ﴾: لهما موسى ﴿مَا﴾: حرف استفهام ﴿خَطْبُكُمَا﴾: عندما رقّ لحالهن؛ سأل لماذا لا تسقيان مثل الباقيين ﴿قَالَتَا﴾: من عادتنا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نَسْقِي﴾: لا نستطيع أن نسقي ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿يُصَدِرَ الرِّعَاءَ﴾: إلا بعد أن يفرغ الآخرون؛ فلا طاقة لهما بالمُزاحمة ﴿وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: وأبونا ضعيف، لا يستطيع، أن يزاحم، لقد كانت العبارات ذات دلالاتٍ مهمّة، لقد خرجتا لرعاية الغنم، وليس لسببٍ آخر، حتى لا يظنُّ أحدٌ في سوء سلوكهما.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب؛ لقد تحركت في نفس موسى ﷻ، دوافع الفتوة وشهامة الرجال؛ فأسرع لمساعدتهما قام موسى ﷻ، بسرعة ﴿سَقَى لَهُمَا﴾: سقى الغنم ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التراخي الزمني، وعدم السرعة ﴿تَوَلَّى﴾: ذهب وجلس ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾: تحت شجرة، وقد هدّه

السفر، وقلّة الطعام؛ وجهد السقاية، **﴿فَقَالَ رَبِّ﴾** : مالك أمري كلّه **﴿إِنِّي﴾** : أنا بالتأكيد **﴿لِمَا﴾** : ما حدث في الماضي القريب **﴿أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ﴾** : جزءاً أو بعضاً **﴿خَيْرٍ﴾** : ما وهبتي من القوة، والرسالة، والهداية **﴿فَقِيرٌ﴾** : محتاج إلى فضلك وكرمك، وقد حلّ به الجوع فطلب من الله ﷻ الرزق الحلال.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥)

﴿ف﴾ : بسبب ذلك وبسرعة تحققت استجابة الله ﷻ له **﴿جَاءَتْهُ﴾** : وصلت إليه **﴿إِحْدَاهُمَا﴾** : عندما رجعت المرأتان سريعاً، وأخبرتاً أباهما شعيباً عليه السلام؛ أرسل إحداهما إليه **﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾** : مستترّة بكّم درعها، وقيل: غطت وجهها بثوبها، وقيل ليست جريئة، ولا سليطة، ولا جسور **﴿قَالَتْ إِنَّ﴾** : بالتأكيد **﴿أَبِي يَدْعُوكَ لِ﴾** : حرف علّة وسبب **﴿يَجْزِيكَ﴾** : يُعْطِيكَ **﴿أَجْرَ مَا﴾** : الذي **﴿سَقَيْتَ لَنَا﴾** : مقابل مساعدتنا في سقي أغنامنا، لقد حددت الغاية حتى لا تترك حظاً للشيطان أن يوسوس في قلب موسى عليه السلام **﴿فَلَمَّا﴾** : تتابعت الأحداث **﴿جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ﴾** : والقصص بفتح حرف القاف تكون وقعت ورضها أخلاقي وتربوي، وليست من نسج الخيال بينما القِصص، بكسر حرف القاف تكون من نسج الخيال وقد تكون هابطة. وبعد أن أخبر موسى عليه السلام، والد الفتاتين سبب خروجه من مصر **﴿قَالَ﴾** : والد البنيتين **﴿لَا﴾** : حرف نهي **﴿تَخَفْ نَجَوْتُ مِنْ﴾** : يفيدُ بداية الغاية المكانية **﴿الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** : أنت في مأمن هنا؛ فلا حكم لفرعون على بلادنا.

من هو والد الفتاتين: قال الحسن البصري، وأغلب المفسرين: هو النبي شعيب عليه السلام، وقيل ابن أخي شعيب، وقيل رجلٌ مؤمنٌ من قوم شعيب، والله ﷻ أعلم.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٢٦)

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ : وهي التي ذهبت إلى موسى عليه السلام، تدعوه لمقابلة أبيها؛ ليجزيه أجر السقاية **﴿يَا﴾** : نداء للقريب **﴿أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾** : لقد أدرك شعيب عليه السلام؛ بفظنته كلام ابنته حينما مدحت موسى عليه السلام، فعرض عليه الزواج من ابنته، وطلب منه أن يعمل عنده بأجرٍ مقابل السقاية **﴿إِنَّ﴾** : حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿خَيْرٌ﴾** : أفضل **﴿مَنْ﴾** : الذي من الناس **﴿اسْتَأْجَرْتَ﴾** : استخدمته عاملاً؛ فهو **﴿الْقَوِيُّ﴾** : فسألها كيف عرفت؟ قالت: لقد رفع غطاء البئر بمفرده، التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وهو **﴿الْأَمِينُ﴾** : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " أَفْرَسَ النَّاسِ ثَلَاثَةً: الْعَزِيزُ حِينَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا، وَالتّي قَالَتْ **﴿يَا أَبَتِ**

اسْتَأْجَرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ التَّقْوَى الْأَمِينُ ﴿ [القصص-٢٦] وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ تَقَرَّسَ فِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١).

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧)

﴿قَالَ﴾: والد الفتاتين ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أُرِيدُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل وهو ﴿أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾: وهنا مشروعية عرض ولي أمر المرأة لها على الرجل الكفء؛ أزوجك واحدة من بناتي ﴿هَاتَيْنِ﴾: اسم إشارة للمثنى المؤنث ﴿عَلَى﴾: بشرط ﴿أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَجٍ﴾: أن ترعى غمني ثمانى سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَ﴾: يفيد السبب ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿عِنْدِكَ﴾: إذا تبرعت بسنتين إضافيتين فهذا قرارك ﴿وَمَا﴾: عطفاً على هذا لا ﴿أُرِيدُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَسْأَلَكَ﴾: أثقل ﴿عَلَيْكَ﴾: لا أتعبك ولا أؤذيك، ولا أماريك ﴿سَ﴾: حرف تأكيد الخبر في المستقبل ﴿تَجِدُنِي إِنْ﴾: حرف شرط ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿اللَّهُ﴾: من تمام الإيمان أرجع والد الفتاتين المشيئة لله ﷻ ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: وهذه من شروط صاحب العمل المنصف.

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٢٨)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، الاتفاق ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: إن اتفاقنا هو ثمانى سنوات، فإن أتممتها فقد برئت من العهد، وخرجت من الشرط ﴿أَيَّمَا﴾: اسم شرط يدل على عموم الأشياء وهي مكونة من "أي" الشرطية و "ما" ﴿الْأَجَلَيْنِ﴾: المديتين ﴿قَضَيْتُ﴾: أمضيت ثمانى أو عشر سنوات ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهى عن ﴿عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾: لا ذنب عليّ، ولا حرج ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا﴾: الذي ﴿نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: وهذا من شروط كمال العقد، الحصن بالله ﷻ، كافلاً، وضامناً، ودليلاً، وقال ابن عباس: أمضى موسى ﷺ، السنوات العشر كاملةً.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٩)

﴿فَلَمَّا﴾: تتابعاً للأحداث وبسبب ﴿قَضَى﴾: أمضى ﴿مُوسَى الْأَجَلَ﴾: أتم مدة الاتفاق ﴿وَ﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿سَارَ﴾: غادر ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿أَهْلِهِ﴾: سار بزوجته وأغنامه في ليلةٍ مظلمةٍ ﴿آنَسَ﴾: وجد، رأى ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾: ما امتد منها من البناء،

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٣٧٦/٢ (٣٣٢٠) وقال: صحیح علی شرط الشُّحُحَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

﴿نَارًا﴾: تُضِيءُ عن بُعْدِ ﴿قَالَ لِ﴾: حرف تخصيص ﴿أَهْلِيهِ﴾: لزوجته ﴿امْكُثُوا﴾: اجلسوا هنا
 ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَنْسَتْ﴾: رأيت ﴿نَارًا لَعَلِّي﴾: راجيًا ومنتوقًا أن ﴿أَتِيكُمْ﴾: أحضر لكم
 ﴿مِنْهَا﴾: حرف يُفيد بداية المكان ﴿بِخَبْرٍ﴾: أن يدلني أحدٌ على الطريق ﴿أَوْ﴾: حرف عطف
 يعني يساوي، ويفيد التخيير ﴿جَذْوَةٍ مِنْ﴾: جزء أو بعض ﴿النَّارِ﴾: أو آتاكم بقطعة خشبٍ
 مُشتعلة ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: برجاء وتوقع ﴿تَضْطَلُّونَ﴾: تتدفؤون من البرد القارس.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي
 أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٠)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التتابع والسبب ﴿أَتَاهَا﴾: جاءها، ذهب موسى ﷺ، في اتجاه القبلة،
 الشرق، وكان الجبل الغربي عن يمينه، عندما وصل الشجرة وجدها تشتعل وهي خضراء، احتار
 موسى في أمرها ﴿نُودِيَ﴾: ناداه ربه ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية
 الغاية المكانية ﴿شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ﴾: المنطقة ﴿المُبَارَكَةِ﴾: كثيرة الخيرات ﴿مِنْ
 الشَّجَرَةِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَا﴾: حرف نداء للمفرد والجمع القريب والبعيد ﴿مُوسَى إِنِّي
 أَنَا اللَّهُ رَبُّ﴾: فهو مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: مالك السموات والأرض. ﷻ الله وتقدس وتنزه عن
 مماثلة المخلوقات.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ
 مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (٣١)

وبمزيدٍ من أوامر الله ﷻ لموسى ﷻ ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل
 ﴿أَلْقِ﴾: إرم ﴿عَصَاكَ﴾: يا موسى ألق عصاك التي بيدك، ألقها على الأرض ﴿فَلَمَّا﴾: تتابعت
 الأحداث بسبب أن ﴿رَآهَا﴾: شاهد العصا ﴿تَهْتَزُّ﴾: تضطرب في يده، ﴿كَأَنَّهَا﴾: حرف يفيد
 التشبيه والتقريب ﴿جَانٌّ﴾: هي حيّة من حيات البيوت المعروفة ﴿وَلَّى﴾: أسرع ﴿مُدْبِرًا﴾: هربًا
 ﴿وَلَمْ﴾: حرف يُفيد الجزم ﴿يُعَقِّبْ﴾: لم يلتفت؛ لأنّ المشهد مخيف ﴿يَا﴾: حرف نداء ﴿مُوسَى
 أَقْبِلْ﴾: ارجع ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَخَفْ﴾: أمره الله ﷻ أن يعود ولا يخاف ﴿إِنَّكَ﴾: أنت
 بالتأكيد ﴿مِنَ الْآمِنِينَ﴾: غير الخائفين فرجع موسى إلى موقعه الأول.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ
 بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٣٢)

ومزيدًا من أوامر الله ﷻ ﴿اسْلُكْ﴾: أدخل ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: في جيب درعك أمام الرقبة
 ﴿تَخْرُجَ بَيْضَاءَ﴾: تخرج تتلألأ كقطعة قمرٍ، في لمعان البرق ﴿مِنْ غَيْرِ﴾: حرف استثناء بمعنى

دون ﴿سوء﴾: دون مرضٍ جلدي؛ كالبرص، والبهاق ﴿واضُمُّمٌ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾: يدك ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾: قال مجاهد: الفرع، وقال قتادة: من الرعب؛ خوفًا من الحيّة، ﴿فَدَانِكَ﴾: جاءت هنا بلغة قريش ﴿بُرْهَانَانِ﴾: حُجَّتَانِ ودليان ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الكلية ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَ﴾: أيضًا إلى ﴿مَلَنِهِ﴾: جماعته وأعوانه، كان البرهان الأول هو العصا التي تتحول إلى حيّة، والبرهان الثاني هو اليد التي تخرج بيضاء من غير مرضٍ؛ دليان باهران على صدق نبوة موسى؛ ﷺ، إلى فرعون وحاشيته ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿كَانُوا قَوْمًا﴾: جماعة أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿فَاسْقِينِ﴾: شهادةً من الله ﷻ في قوم فرعون الخارجين عن طاعته ﷻ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٣)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿رَبِّ﴾: تقريبًا وتحببًا من الله ﷻ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿قَتَلْتُ مِنْهُمْ﴾: حرف تأكيد ﴿نَفْسًا﴾: قتلت القبطي ﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ، بسبب أنني ﴿أَخَافُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَقْتُلُونِ﴾: يقتصوا مني بسبب قتلي للقبطي الذي وكزته ففضيت عليه خوفًا على الرسالة، خوفًا أن يقتلوني.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٤)

﴿وَ﴾: عطفًا على هذا فإن ﴿أَخِي هَارُونُ﴾: واضح أن موسى ﷺ وصل إلى أهله في مصر، فطلب من الله ﷻ أن يشدّ عضده بأخيه هارون ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكور، يعني هنا ﴿أَفْصَحُ﴾: أفضل وأوضح حديثًا ﴿مِنِّي﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿لِسَانًا﴾: ذلك بسبب أن موسى عانى من لثغة، لدغة بسبب تناوله وهو صغير قطعة من النار ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿أَرْسَلْهُ﴾: كلفه ﴿مَعِيَ رِدْءًا﴾: مُسَاعِدًا، وزيرًا، ومُعينًا، ومقويًا ﴿يُصَدِّقُنِي﴾: يدعم قوتي، ويؤمن على ما أقول، فكلام الاثنين أفضل من الواحد ﴿إِنِّي﴾: بالتأكيد ﴿أَخَافُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُكَذِّبُونِ﴾: إن هارون سوف يشرّح ما أقول؛ فهو يُفهم عني؛ كي يفهموني.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَّا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ﴾ (٣٥)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿سَسَ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نَشُدُّ﴾: نُقْوِي ونُعزز ﴿عَضُدَكَ﴾: ساعدك كناية عن قوتك، سنقوي بالتخيم؛ إبرازًا للقوة العظمى، ﴿بِأَخِيكَ﴾: جانبك، ونجعله رسولًا معك، وقد

كانت منةً عظيمةً من موسى، لأخيه هارون، عليهما السلام ﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يفيدُ الحالَ ﴿نَجْعَلُ لَكُمْ﴾: تمليكًا ﴿سُلْطَانًا﴾: نهيكما حُجَّةً قاهرةً ﴿فَلَا﴾: نفي أن ﴿يَصِلُونَ إِلَيْكُمْ﴾: لا يستطيعون مغالبتكما، أو القضاء عليكما ﴿ب﴾: حرفُ باءِ السببيةِ ﴿آيَاتِنَا﴾: لن يؤذيكما فرعون ووزراؤه عندما تُبلِّغوهم دعوتنا، مدعمةً بآياتِ الله ﷻ: الحية، واليد البيضاء ﴿أَنْتُمْ﴾: موسى، وهارون ﴿وَمَنْ﴾: أيضًا الذي ﴿اتَّبَعَكُمْ﴾: من آمن بكما ووقف معكما ﴿الْغَالِبُونَ﴾: الفائزون المنتصرون، وهو مصيرُ كلِّ الرُّسل، جاء في السياق: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة- ٢١].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ (٣٦)

﴿فَلَمَّا﴾: تتابع الوقت وبسبب ﴿جَاءَهُمْ مُوسَى بِ﴾: حرفُ باءِ السببيةِ ﴿آيَاتِنَا﴾: البراهين ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: كانت آياتِ موسى، وهارون واضحةً، وشاهدةً وحجةً بالغة وهي من الله ﷻ، ولكنَّ جبلةَ الكافرين الرفض، واتهام الرسل والدعاة والمصلحين ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾: حرفُ تنبيهٍ وإشارة ﴿إِلَّا﴾: حرفُ استثناءٍ ﴿سِحْرٌ مُفْتَرَى﴾: سحرٌ مصنوعٌ ومفتعلٌ ﴿وَمَا﴾: أيضًا نفي أننا ﴿سَمِعْنَا بِ﴾: حرفُ باءِ التوكيدِ ﴿هَذَا﴾: حرفُ تنبيهٍ وإشارة ﴿فِي آبَائِنَا﴾: أجدادنا ﴿الْأُولِينَ﴾: هذا منهجُ كلِّ كافرٍ لم يسمع به من آبائه وأجداده أن عبدوا الله ﷻ وحده، ولم يكن من آبائهم وأجدادهم على هذا الدين، وما علموا من التاريخ إلا الشرك مع الله آلهة أخرى، تخدم مصالحهم، وتبرر جرائمهم.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٧)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالَ مُوسَى رَبِّي﴾: يا مالك أمري كله ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم المطلق ﴿ب﴾: حرفُ باءِ التوكيدِ ﴿مَنْ﴾: بالذي ﴿جَاءَ بِ﴾: حرفُ باءِ الالتصاقِ ﴿الْهُدَى﴾: في المحااجة بين موسى وهارون عليهما السلام، وحاشية فرعون، قال موسى ربي أعلم منّا ومنكم، وسيفصل بيننا وبينكم ﴿مَنْ﴾: حرفُ جرٍّ يفيدُ بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية الكليةِ ﴿عِنْدِهِ﴾: ظرفُ زمانٍ ومكانٍ ﴿وَمَنْ﴾: أيضًا الذي من جنس العاقل ﴿تَكُونُ﴾: تصير ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: من الذي سينتصر في الدنيا، ويفوز في الآخرة وهنا يقرر موسى ﷺ ما آمن به ﴿إِنَّهُ لَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿يُفْلِحُ﴾: لن ينجح ولا يفوز ﴿الظَّالِمُونَ﴾: المشركون الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم، وظلموا غيرهم.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: خاطب فرعون أعيانه الوزراء، والأمراء، ووجهاء الحكم، المستفيدين منه ومن ظلمه، فأراد أن يُحرضهم؛ ويستقوي بهم في هذا الموقف ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿عَلِمْتُ لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾: معبودٍ ﴿غَيْرِي﴾: حرف استثناء لا معبود سواي، يلعب فرعون على أشرف أعيانه، ونادى بأعلى صوته بهذه المقولة، جاء في المعنى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات- ٢٣، ٢٤] ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَوْقِدْ﴾: أشعل ﴿لِي﴾: تخصيصًا ﴿يَا﴾: حرف نداء ﴿هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾: أن يحرق الطين؛ فيتحول إلى الحجارة الحمراء القوية ﴿ف﴾: بسرعة وبهذا السبب ﴿اجْعَلْ لِي﴾: تخصيصًا ﴿صِرْحًا﴾: بناءً عاليًا، رفيع المستوى ﴿لَعَلِّي﴾: راجيًا ومنتوقًا ﴿أَطَّلِعُ﴾: حتى أرى ﴿إِلَى إِلَهٍ﴾: معبود ﴿مُوسَى﴾: وكان فرعون يكذب؛ لأنه يعرف أن إله موسى لا يراه أحد، ولكنّه اتخذ من هذه الحيل؛ ما يُقنع به الملأ ﴿وَإِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿أَظُنُّهُ﴾: أعتقد بالتأكيد أن موسى، ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية ﴿الْكَاذِبِينَ﴾: خلص فرعون إلى النتيجة التي يريدها للناس: أن موسى كاذب، وعليكم أن تأخذوا على يده.

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ الْإِنَّا لَا يُرْجَعُونَ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: عطفًا على هذا الموقف ﴿اسْتَكْبَرَ﴾: نشد الاستعلاء والتكبر ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا فرعون مصر ﴿و﴾: أيضًا استكبر ﴿جُنُودُهُ﴾: أخذوا بكلّ وسائل العلو، والجبروت، والطغيان ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في البلاد التي يحكمها، وهي مصر ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿غَيْرِ﴾: حرف استثناء هنا بمعنى سوى ﴿الْحَقِّ﴾: بغير وجهٍ من الحق ﴿وَوَظَنُوا﴾: وأيضًا تأكدوا واقتنعوا ﴿أَنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿الْإِنَّا﴾: إلى الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُرْجَعُونَ﴾: لا يعودون للحساب.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْنُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)

﴿ف﴾: حرف سبب استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَخَذْنَاهُ﴾: قالها ﷻ بصيغة الجمع؛ دلالةً على عظم عذاب فرعون ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ أخذ الله ﷻ بقوةٍ وعنفٍ ﴿جُنُودَهُ ف﴾: بسرعة ﴿نَبَذْنَاهُمْ﴾: ألغاهم الله ﷻ منبذين، مُحترقين ﴿فِي الْيَمِّ﴾: في البحر، في صبيحةٍ واحدةٍ ﴿فَاظْنُرْ﴾: لهذا السبب وبدون تأخير تفكر ﴿كَيْفَ﴾: استهفاهم يفيد التعجب

والاستتكار **﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾**: نهاية وخاتمة **﴿الظَّالِمِينَ﴾**: في عاقبة فرعون وجنوده، الدالة على عظمة الله ﷻ وقدرته، وعقابه للظالمين دون أن يعرف المؤمنون متى وكيف.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٤١)

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾: عطفاً على ما سبق قدرناهم **﴿أَيْمَةً﴾**: قادة ودعاة، هم فرعون وحاشيته، وقادة جيشه، مصيرهم كمصير من سلك سبيلهم من قبل الذين **﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾**: حيث كذبوا الرسل، وخالفوا أمر الخالق **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُنصَرُونَ﴾**: لا أحد ينصرهم؛ ويجيرهم من عذاب الله ﷻ.

﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (٤٢)

﴿و﴾: عطفاً على ما فعلوا وما أصابهم **﴿أَتَّبَعْنَاهُمْ﴾**: أضفنا إليهم **﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾**: شرع الله ﷻ لعنة فرعون وملئه على ألسنة المؤمنين قرآناً يُتلى إلى يوم الدين، يلعنهم الناس في كلِّ زمان، خزي ولعنة **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ﴾**: تحديداً **﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾**: جعلهم الله ﷻ من المذمومين، بذكر مساوئهم، وهي عكس المدح، المبعدين عن رحمته، وهي بمعنى الآية: **﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾** [هود-٩٩]؛ بئس كلمة ذم لهم بذكر المساوئ وهي عكس المدح ولمن جاء بعدهم من أمثالهم، ومن سيأتي على شاكلتهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٣)

﴿وَلَقَدْ﴾: أيضاً تأكيد ما حدث في الماضي **﴿آتَيْنَا﴾**: أنزل الله ﷻ على **﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾**: التوراة، نعمة عظيمة، وأكرمه بكلامه بعدما أهلك فرعون وجنوده **﴿مِنَ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية الزمانية **﴿بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾**: كان هلاك فرعون قبل نزول التوراة، **﴿بَصَائِرَ﴾**: شواهد **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿النَّاسِ﴾**: لينظروا فيها ويتصبروا **﴿وَهُدًى﴾**: أيضاً معرفة **﴿وَرَحْمَةً﴾**: من العمى والغي، هدى إلى الحق، ورحمة بإرشادهم إلى العمل المقبول **﴿لَعَلَّهُمْ﴾**: حرف إشفاق من عند الله ﷻ **﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾**: يستخلصون العبر؛ فيهتدون.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي **﴿كُنْتَ ب﴾**: حرف باء الظرفية **﴿جَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾**: يأتي هذا النور الرباني برهاناً على نبوة محمد ﷺ فأنت يا محمد الأمي لا تقرأ من الكتب القديمة، ونشأت في قوم لا يعرفون شيئاً عن القصص الربانية، ومع ذلك أوحينا إليك. ولم تكن يا محمد ﷺ بجانب الجبل

الغربي حين كلم الله ﷺ نبيه موسى ﷺ، على شاطئ الوادي. وما كنت في أهل مدين تتلو عليهم آيتنا؛ بل كان شعيب يتلو على قومه آيات الله ﷺ. وما كنت حيث يُلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، وما كنت تعرف شيئاً عن غرق قوم نوح ﷺ. وما كنت مع إخوة يوسف ﷺ؛ إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴿إِذ﴾: حرفٌ يُفيد ما حدث في الماضي وتفيد هنا العلة والسبب ﴿قَضِينَا﴾: قدرنا قدرًا نافذًا ﴿إِلَى مُوسَى﴾: جاء اللفظ القرآني "قضى" على عشرة أوجه؛ هنا بمعنى وصى كما في قوله ﷺ ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء- ٢٣] ﴿الْأَمْرَ﴾: عهدنا إليه بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنْ﴾: بعض ﴿الشَّاهِدِينَ﴾: المطلعين على هذه الأحداث لتقف على حقيقته وت قوله لقومك وتقص عليهم خبره.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنٍ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٤٥)

﴿وَلَكِنَّا﴾: حرفٌ يُفيد الاستدراك عند البشر ﴿أَنْشَأْنَا﴾: خلقنا ﴿قُرُونًا﴾: جاءت أقوامٌ وخلائقٌ بعد أقوامٍ طويلةٍ ﴿فَ﴾: بهذا السبب ﴿تَطَاوَلَ﴾: كثر عدد ﴿عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: مرّت السنون ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كُنْتَ ثَاوِيًا﴾: مقيمًا بينهم كما أقام موسى ﷺ ﴿فِي أَهْلِ﴾: سكان ﴿مَدْيَنٍ﴾: في مجتمعاتهم ﴿تَتْلُو﴾: تقرأ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: الدالة على صدق رسالتك، لم تكن مرسلًا إليهم ﴿وَلَكِنَّا﴾: حرفٌ استدراكٍ ﴿كُنَّا﴾: بلا انقطاع ﴿مُرْسِلِينَ﴾: رسلاً من قبلك، ثم أرسلناك يا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسول.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٦)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كُنْتَ﴾: لم تكن ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿بِجَانِبِ الطُّورِ﴾: ما امتد منها من البناء، الجبل ﴿إِذْ﴾: حدث في الماضي بمعنى حين ﴿نَادَيْنَا﴾: يخص الله ﷺ هنا موسى ﷺ، بالنداء ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف يفيد الاستدراك ﴿رَحْمَةً مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿رَبِّكَ﴾: المعبود، والمُرَبِّي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو مالك أمرك كله ﴿لِ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تُنذِرَ﴾: تُحذِرُ ﴿قَوْمًا﴾: جماعةٌ من أصلٍ واحدٍ، هنا خصّ الله ﷺ نبيه محمداً ﷺ بالنداء؛ أي رحمة بك وبأمتك ﴿مَّا أَتَاهُمْ﴾: لم ينزل فيهم ﴿مِنْ نَذِيرٍ﴾: رسولٌ ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾:

في الزمن الذي سبق زمنك ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف يفيد الرجاء لأنها جاءت من البشر ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: حتى يؤمنوا؛ فيعرفوا طريق الهدى.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)

﴿وَلَوْلَا﴾: حرفٌ للتخصيص والدلالة على منع أمرٍ، وهو هنا أن يقولوا؛ لوجود غيره ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُصِيبُهُمْ﴾: تمسُّهم في العمق منهم ﴿مُصِيبَةٌ﴾: مما يضر الجسد والمال والولد وغيرها ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿قَدَّمَتْ﴾: عملوا سابقاً ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: فعلوا من قبل، وحتى تقيم عليهم الحُجَّة، وتمنع عنهم العُذر ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا﴾: يا مالك أمرنا كلُّه ﴿لَوْلَا﴾: حرف شرط يدل على امتناع شيء لوجود غيره ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: كانوا قد طلبوا من رسولهم أن يُبصِّرهم ويهديهم ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب والتتابع الزمني السريع ﴿نَتَّبِعُ﴾: نُطيع ﴿آيَاتِكَ﴾: ونؤمن بالبراهين والأدلة ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿نَكُونَ مِنْ﴾: حرف تأكيد وتمييز ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: ولا نكون من الكافرين؛ بل نؤمن ونصدق.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ (٤٨)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يفيد التتابع والسبب، هنا بمعنى حين ﴿جَاءَهُمْ﴾: يُخبر الله ﷻ عن قوم محمدٍ ﷺ عن قريش حيث بعث الله ﷻ رسوله إليهم ﴿الْحَقُّ﴾: هي دعوة محمد ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية، هنا المصدر ﴿عِنْدِنَا﴾: من عند الله ﷻ ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾: حرفٌ شرطٌ يدلُّ على امتناع شيءٍ لوجود غيره لو أرسلت لنا رسولاً ﴿أُوتِيَ﴾: أُعطي ﴿مِثْلَ مَا﴾: الذي ﴿أُوتِيَ﴾: أُعطي ﴿مُوسَى﴾: يطلبون عصا كعصا موسى، واليد البيضاء، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، وتلقيص الزرع والثمار، وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المن والسلوى ﴿أَوْلَمْ﴾: اسمٌ مركبٌ يفيد الاستفهام؛ بغرض الاستنكار ﴿يَكْفُرُوا﴾: يُنكروا ويخفوا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿أُوتِيَ﴾: أُعطي ﴿مُوسَى مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: كُفَّارٌ قريش: ﴿قَالُوا سِحْرَانِ﴾: قال الكُفَّارُ ما تعلموه من اليهود سحر موسى وسحر محمد ﷻ ﴿تَظَاهَرَا﴾: يعزُرُ الواحدُ الآخر ﴿وَقَالُوا إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿كُلِّ﴾: الجميع ﴿كَافِرُونَ﴾: قال الكُفَّارُ لا نصدقُ أي طرفٍ منهما، طلب اليهود من قريش أن يطلبوا من محمد ﷻ هذه المعجزات، وقيل إن سحر هارون، وسحر

موسى تعاوننا وتناصرا، قال الحسن البصري: سحر موسى، وسحر محمد ﷺ تظاهرا، وقال ابن عباس: التوراة والإنجيل؛ أي صدق أحدهما الآخر، وقال عكرمة، وابن جرير: التوراة والإنجيل.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٩)

﴿قُلْ﴾: أمر رباني يا محمد ﷺ بالقول **﴿ف﴾**: تفيده ربط جواب الشرط **﴿أْتُوا﴾**: هاتوا **﴿بِكِتَابٍ مِنْ﴾**: تفيده بداية الغاية الزمانية والمكانية **﴿عِنْدِ﴾**: ظرف مكان وزمان **﴿اللَّهِ﴾**: يقرب الله ﷻ بين التوراة والقرآن؛ فبعد أن رفض الكفار كتاب الله ﷻ القرآن الكريم، والإنجيل؛ طلب رسول الله ﷺ من الكفار أن يأتوا بكتاب من عند الله ﷻ **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا كتاباً **﴿أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾**: يهدي أكثر نوراً وهداية من القرآن والتوراة **﴿إِنْ﴾**: بشرط **﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**: حقاً تريدون أن يرسل إليكم رسولاً تتبعونه. التكليف: لم ينزل الله ﷻ كتاباً من السماء أشمل، ولا أكمل، ولا أفصح، ولا أعظم، ولا أوضح، ولا أشرف من القرآن الكريم، ويأتي بعده في الشرف كتاب موسى عليه السلام التوراة، وشهد الله ﷻ قائلًا: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾** [المائدة-٤٤]، وأنزل الله ﷻ الإنجيل متمماً للتوراة، وليحل بعض الذي حرّمه الله ﷻ عليهم.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠)

﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل **﴿لَمْ﴾**: حرف جزم ينفي **﴿يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾**: لم يؤمنوا بك، ويتبعوك ويفعلوا ما كلفتهم به من الإتيان بكتاب إلهي **﴿فَاعْلَمْ﴾**: حقيقة أمرهم، وطبيعة موقفهم، وهذا أمر يؤقر الجهد، ويشحذ الهمم، ويُنذر ويحذر **﴿أَنَّ﴾**: أداة حصر وتوكيد **﴿يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾**: جاء اللفظ القرآني "هوى" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الآراء وما تشتهي الأنفس كما ذكرت في قوله **﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾** [طه-١٦]، وفي قوله **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾** [النجم-٢٣]، وذكرت أيضًا في قوله **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾** [النازعات-٤٠] هم طوع رغباتهم، وليس طوع العقل، والحكمة، والمعرفة **﴿وَمَنْ﴾**: أيضًا الذي هو من البشر **﴿أَضَلُّ﴾**: أكثر ضلالاً **﴿مِمَّنِ﴾**: من الذي **﴿اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾**: يشهد الله ﷻ أنه لا يوجد أضل ممن اتبع رغباته، **﴿بِغَيْرِ﴾**: حرف يفيد الاستثناء **﴿هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾** دون دليل رباني؛ هؤلاء تُسيرهم غرائزهم، ومصالحهم الفردية، والعائلية، والحزبية، والتيارات السياسية **﴿إِنْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ لَا﴾**:

حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: يدل على الصواب ﴿النَّوْمُ﴾: الجماعة الكافرة كلها ﴿الظَّالِمِينَ﴾: إن مصير هؤلاء عدم الهداية، لن يسهلها الله ﷻ لهم.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١)

﴿وَلَقَدْ﴾: حدث بالفعل ﴿وَصَّلْنَا﴾: أخبرنا وفصلنا ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿الْقَوْلَ﴾: قال مجاهد: الآيات، وقال السدي: بيّنا، وصحنا لهم القول، وقال قتادة: أخبرناهم كيف صنع بمن سبقهم، وكيف هو الله ﷻ صانعٌ بهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: يفيد إشفاق؛ لأنها جاءت من عند الله ﷻ ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتفكرون فيما حدث لمن سبق من أمثالهم.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: أعطيناهم، وهبناهم ﴿الْكِتَابَ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِ هُمْ﴾: الذين بعثهم النجاشي ﴿بِهِ﴾: بالقرآن الكريم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: جعلوا ييكون؛ وأسلموا.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ (٥٣)

﴿وَإِذَا﴾: أداة عطفٍ ما بعدها على ما قبلها ﴿يُتْلَى﴾: قرأه أحدٌ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: القرآن الكريم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: أعلنوا إيمانهم بالقرآن وبالرسول ﷺ وقالوا ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُرَبِّي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمرنا، هذا القرآن كلامُ الله ﷻ ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من المؤمنين بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كُنَّا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِ﴾: قبل نزوله ﴿مُسْلِمِينَ﴾: لما قرأنا الإنجيل والكتب المنزلة.

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٥٤)

﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشارةٌ للقريب والبعيد، الذين آمنوا بالكتاب الأول، والثاني للقريب والبعيد ﴿يُؤْتَوْنَ﴾: يجزيهم الله ﷻ ﴿أَجْرَهُمْ﴾: ثواب إيمانهم ﴿مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾: قال ﷻ: ثلاثةٌ لهم أجران: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَمَّنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلَاهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَّةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ^(١) ﴿و﴾: أيضاً ﴿يَدْرَءُونَ﴾: يدفعون ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْحَسَنَةَ﴾: الحسنة هنا

(١) صحيح البخاري ٣١/١ (٩٧).

بمعنى العفو بالإيمان، والعمل الصالح **﴿السَّيِّئَةِ﴾**: هي القول القبيح كما في قوله **﴿اذْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾** [المؤمنون-٩٦] لا يقابلون السيئ بالسيئ، ولكن يعفون ويصفحون **﴿وَمِمَّا﴾**: أيضا من الذي **﴿رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾**: من الزكاة المفروضة، وصدقات النفل والقربات.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (٥٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿إِذَا﴾**: أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾**: الكلام الفحش، المنهي عن قوله **﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾**: حرف يُفيد المجاوزة، لا يُجالسون أهل اللغو، ولا يُعاشرونهم **﴿وَقَالُوا﴾**: نصارى الحبشة **﴿لَنَا﴾**: تخصيص وتمليك **﴿أَعْمَالُنَا﴾**: لنا جزء ما نحن عليه من إيمان وعمل، نحن نعمل أعمالنا التي أمرنا الله **﴿وَرَسُولَهُ﴾** بها **﴿وَلَكُمْ﴾**: تخصيصًا جزء **﴿أَعْمَالُكُمْ﴾**: ولكم أجر ما عملتم به من خيرٍ أو شرٍّ **﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾**: لا نريد أن نُقاتلكم أو نُجادلكم **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿نَبْتَغِي﴾**: نريد **﴿الْجَاهِلِينَ﴾**: الذين لا يؤمنون؛ فهم لا يعلمون، ليس مرادنا أن نُجالسكم، أو نُعاملكم؛ فأنتم لا تعلمون، هؤلاء الذين قال **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾** [القصص-٥٢] وقال أيضًا: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا﴾** [المائدة-٨٢].

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦)

سبب النزول: عن ابن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالبٍ لما حَضَرَتْهُ الوفاة، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ **﴿وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ﴾**، فقال: «أَيَّ عَمٍّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فقال أبو جهلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَلْا يُكَلِّمَانِي، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ **﴿: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أَنَّهُ عَنْهُ﴾** فَنَزَلَتْ: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** [التوبة-١١٣]. وَنَزَلَتْ: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾** [القصص-٥٦]^(١)، **﴿إِنَّكَ﴾**: يقول الله **﴿لِمُحَمَّدٍ﴾** لما أَلْحَ على عمِّه أبي طالب أن يُسلم، قال له **﴿أَنْتَ﴾** **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَهْدِي مَنْ﴾**: الذي من البشر **﴿أَحْبَبْتَ﴾**: لست أنت الذي يهدي من يحب، إنما عليك البلاغ. **﴿و﴾**: عطفًا على ذلك **﴿لَكِنَّ﴾**: حرف استدراك **﴿اللَّهُ يَهْدِي﴾**: الذي يبسر هداية **﴿مَنْ يَشَاءُ﴾**: لمن أراد له الهداية **﴿وَهُوَ﴾**: **﴿أَعْلَمُ بِ﴾**: حرف

(١) صحيح البخاري ٥/٥٢ (٣٨٨٤).

باء الصلة والتوكيد **﴿الْمُهْتَدِينَ﴾**: هو الذي يعلم سرائرهم، ومنهم المهتدين الذين يريدون ويرغبون في الهداية والرشاد.

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿قَالُوا﴾**: هم بعض الكفار، يُبررون عدم اتباع الهدى **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾**: إذا آمنّا لك **﴿نُنْخَطَفُ مِنْ﴾**: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية، يخطفنا، ويخرجنا من **﴿أَرْضِنَا﴾** ويقتلنا، ويؤذينا أناس من العرب، جاء اللفظ القرآني "الهدى" على سبعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى التوحيد كما في قوله ﷺ **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة-٣٣]، وفي قوله ﷺ **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾** [الفتح-٨] **﴿أَوْلَمْ﴾**: اسم يُفيد الاستنكار **﴿نُمَكِّنْ﴾**: نعطيهم ونقويهم **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿حَرَمًا آمِنًا﴾**: يبين الله ﷻ كذبهم؛ فيقول إنه جعلهم في بلد آمن، والحرم هو الكعبة التي يُعظمها الجميع منذ نشأتها، فهي كانت لهم آمنًا وهم كفار؛ فكيف ستكون غير آمنة وهم مؤمنون؟ **﴿يُجَبَى﴾**: يُجمع **﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ﴾**: تغيد العموم **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد العموم، من صفات هذا الحرم الآن ليس فقط الأمن، ولكن تأتيه كل الثمرات من المدن وغيرها **﴿رِزْقًا مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿لَدُنَّا﴾**: من فضل الله ﷻ، وليس بجهدهم أو جهد غيرهم **﴿وَلَكِنَّ﴾**: استدراكًا **﴿أَكْثَرَهُمْ﴾**: غالبية القوم **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَعْلَمُونَ﴾**: ويوضح الله ﷻ طبيعة هؤلاء أنهم لا يعلمون الحقائق، فقالوا بغير علم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿كَمْ﴾**: تغيد الكثرة **﴿أَهْلَكْنَا﴾**: أهلكنا أهل **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية، هم هنا سكان **﴿قَرْيَةٍ﴾**: العديد من سكان القرى كما فعل أهل مكة **﴿بَطَرَتْ﴾**: كفرت وغطت **﴿مَعِيشَتَهَا﴾**: فسدت حياتها؛ فكان الهلاك مصيرها؛ فأخذهم الله ﷻ بالدمار **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ **﴿تِلْكَ﴾**: إشارة للبعيد المؤنث **﴿مَسَاكِنُهُمْ﴾**: بيوتهم **﴿لَمْ﴾**: حرف نفي **﴿تُسْكَنْ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿بَعْدِهِمْ﴾**: بقيت بيوتهم خرابًا مدمرة بعد أن جاءها العذاب **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿قَلِيلًا﴾**: أغلبية القرى التي دُمّرت بقيت على حالها إلا قليلًا، دمرت الديار وبقي قليل من المساكن **﴿وَكُنَّا﴾**: أيضًا كان الله ﷻ **﴿نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾**: عادت خرابًا خالية من الكفار.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٥٩)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ رَبُّكَ﴾: مالك كل أمرك يا محمد ﷺ ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى﴾: لا يهلك سكان القرى والمدن ﴿حَتَّى﴾: حرف جر يدل على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿يَبْعَثَ﴾: يُرسل رسالة ﴿فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾: وأم الشيء أعلاه، والمقصود هنا أن الله ﷻ لا يهلك القرى إلا بعد أن يبعث في أكبر القرى، وهذا يعني لسكانها رسولًا يدعوهم وينذرهم، وهذا يعني أن الذي أرسل في مكة مرسلًا إلى العرب والعجم وكل الدنيا ﴿يَتْلُو﴾: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: يسمعهم ﴿آيَاتِنَا﴾: كلام الله ﷻ، وأدلته وبراهينه ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى﴾: أي أن الله ﷻ سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة، جاء في المعنى: ﴿وَأَنْ مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء-٥٨] ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿وَأَهْلُهَا﴾: سكانها وأصحابها ﴿ظَالِمُونَ﴾: وهذا هو سبب هلاكهم، كفروا، ولم يعدلوا، وظلموا أنفسهم بكفرهم، و بطغيانهم.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٠)

يقارن الله ﷻ للناس بين متاع الدنيا ومتاعِ أعدّه الله ﷻ للمؤمنين في الآخرة ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أُوتِيتُمْ﴾: ما وهبناكم ﴿مِنْ﴾: حرف جر يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿شَيْءٍ﴾: تُفيد كل شيء ﴿ف﴾: حرف يُفيد هنا سبب ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾: ما يستمتع به الإنسان في حياته، وهو زائلُ بشهادته ﷻ، فقد جاء: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل-٩٦] قال ﷻ: وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الأَيْمِ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ؟^(١) ﴿وَمَا عِنْدَ﴾: ظرف للزمان بمعنى لدى ﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾: بركة ﴿وَأَبْقَى﴾: أطول وأدوم ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تزنون بعقولكم فوزكم في الآخرة. وأكد ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الشورى-٣٦]؛ خير صفاته، وأبقى عمره.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٦١)

(١) صحيح مسلم ٢١٩٣/٤ (٢٨٥٨).

﴿أَقْمَنَ﴾: أداة استفهام، بمعنى النفي، هل يستوي الذي ﴿وَعَدْنَاهُ﴾: إذا آمن وصدق ﴿وَعَدَا حَسَنًا﴾: جاء اللفظ القرآني حسن على ثلاثة أوجه، هنا بمعنى الجنة نعيم الآخرة، ﴿فَهُوَ لِأَقِيهِ﴾: يحاسب عليه ﴿كَمَنَ﴾: مثل الذي ﴿مَتَّعْنَاهُ﴾: الذي تتعم ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في الحياة الدنيا وهو كافر؟ لا يستويان ﴿نَمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني البطيء ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ﴾: بعض ﴿الْمُحْضَرِينَ﴾: في النار، من المُعَدِّين، جاء ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات-٥٧].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٦٢)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿يُنَادِيهِمْ﴾: يوبخ ويحقر الله ﷻ الكافرين ﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر وسرعة التنفيذ ﴿يَقُولُ أَيْنَ﴾: استفسار وهو أعلم ﴿شُرَكَائِيَ﴾: الذين أشركتموهم في عبادتكم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿كُنْتُمْ﴾: في حياتكم الدنيا ﴿تَزْعُمُونَ﴾: قلمت زورًا: أنهم آلهتكم، وبسببهم كفرتم، هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ والإجابة لا.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ (٦٣)

﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿حَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: العذاب هم الشياطين، والمردة، ودعاة المشاريع الإلحادية ﴿رَبَّنَا﴾: اعترفوا بأن الله ﷻ مالك أمرهم كله ﴿هَؤُلَاءِ﴾: إشارة للبعيد ﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾: ممن كُتِبَ عليهم الغواية ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾: أضللناهم ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿غَوَيْنَا﴾: أضللنا هؤلاء الذين أغريناهم للكفر واتبعونا كما أغرانا الشيطان وأعوانه ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾: نتبرأ من عبادتهم لنا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿إِيَّانَا﴾: نحن ﴿يَعْبُدُونَ﴾: يُطِيعُونَ ويتبعون جاء في السياق جاء: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم-٨٢]؛ يتبرأ الذين اتبعوا والذين اتبعوا من بعض، ويشهد بذلك قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت-٢٥].

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ (٦٤)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قِيلَ﴾: قد يكون القائل هو الله ﷻ أو الملائكة، والله أعلم؛ للذين عبدوا الجن، والبشر، والأصنام ﴿ادْعُوا﴾: نادوا ﴿شُرَكَاءَكُمْ﴾: الذين أطعموهم؛ ليخلصوكم من العذاب ﴿ف﴾: لهذا السبب بسرعة ﴿دَعَوْهُمْ﴾: استجابةً لأمر الله ﷻ؛ فقد ظهر كذب الشياطين وأصحاب الكفر والإلحاد قد أنفضح، دعوا آلهة الدنيا ﴿فَلَمْ﴾: حرف تأكيد الخبر ﴿يَسْتَجِيبُوا﴾

لَهُمْ: ماذا يملك هؤلاء يوم القيامة غير عدم الاستجابة **﴿وَرَأَوْا﴾**: أيضًا عاينوا، شاهدوا **﴿الْعَذَابِ﴾**: صاروا إلى العذاب حتمًا **﴿لَوْ﴾**: حرف يفيد المستحيل **﴿أَنَّهُمْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿كَانُوا﴾**: في الحياة الدنيا **﴿يَهْتَدُونَ﴾**: ودّوا، أردوا، ورجبوا لو أنهم كانوا من المهتدين في الدنيا.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦٥)

﴿و﴾: أيضًا **﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾**: يوم القيامة، يوم يسأل الله ﷻ الكافرين **﴿ف﴾**: لهذا السبب بسرعة **﴿يَقُولُ﴾**: ﷻ وهو أعلم **﴿مَاذَا﴾**: حرف استفهام **﴿أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾**: السؤال الأول: عن التوحيد؛ هل آمنتم أنه لا إله إلا الله، والسؤال الثاني: ماذا كان موقفكم من المرسلين؟ هل آمنتم بهم؟ هل استجبتم لهم؟ فلا يجيبون، أمّا المؤمن فيسأل في قبره: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيشهد المؤمن أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأمّا الكافر فيقول هاه.. هاه.. لا أدري، لا إجابة للكافر، وفي المعنى: **﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾** [الإسراء-٧٢].

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٦٦)

﴿ف﴾: بسبب أن **﴿عَمِيَتْ﴾**: غابت، وخفيت، وضاعت **﴿عَلَيْهِمْ﴾**: عنهم **﴿الْأَنْبَاءُ﴾**: قال مجاهد: الحجج والبراهين **﴿يَوْمَئِذٍ﴾**: كلمة مكونة من "يوم" و "إذ" بمعنى في ذلك الوقت **﴿فَهُمْ﴾**: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾**: يستفسرون بالأنساب والأقرباء في الدنيا من هول ما هم فيه، وصاترون إليه.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (٦٧)

﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيل وتوكيد بمعنى أي **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس البشر **﴿تَابَ﴾**: الذي أقلع عن المعاصي، **﴿و﴾**: عطفًا على توبته **﴿آمَنَ﴾**: وأطمأن قلبه للإيمان **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾**: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، أتبع إيمانه بالعمل المشروع المفيد **﴿فَعَسَىٰ﴾**: فعل ماضٍ جامد يكون هنا للترجي في الأمر المحبوب، عسى إذا جاءت من الله ﷻ مُوجِبَةً الوقوع، وعند البشر تفيد الرجاء **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾**: يؤكد الله ﷻ أن هؤلاء سيكونون من الفائزين حتمًا يوم القيامة.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨)

﴿و﴾: عطفًا على هذا فإن **﴿رَبُّكَ﴾**: يا محمد ﷺ وكل أتباع محمد ﷺ في كل زمان وفي كل مكان، الله ﷻ هو المالك، البارئ، المصور **﴿يَخْلُقُ﴾**: يُوجد من غير سابق وجود **﴿مَا﴾**: الذي

﴿يَشَاءُ﴾: يَكُونُ وَيَصَوِّرُ؛ فما شاء ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن ﴿وَيَخْتَارُ﴾: يصطفي لطاعته ورسالته ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: لا يجب ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿الْخَيْرَةَ﴾: ينفي الله ﷻ أن الخلق الخيار، والقرار، إذا لم يُرد الله ﷻ، ولذلك كان ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تأكيد تنزيه الله ﷻ بالقول الحق ﴿وَتَعَالَى﴾: تقدس علوه، وعظمته ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُشْرِكُونَ﴾: جعلوهم لله ﷻ شركاء، بالقول، أو بالعمل؛ كأن يظنوا أن الرزق بيد البشر، وأن الموت والحياة بقرار من الحاكم.

﴿وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٦٩)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿رَبِّكَ يَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿تُكِنُّ﴾: تحوي وتُخفي ﴿صُدُورُهُمْ﴾: ما في قلوبهم، يُخبر الله ﷻ أنه المتقرُّ بالخلق في الآية السابقة، ويخبر في هذه الآية أنه يعلم ما تتطوي السرائر في الصدور، التي يخفونها ويسترونها ﴿و﴾: أيضًا يعلم ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُعْلِنُونَ﴾: ويعلم أيضًا ما الذي يقولونه علنًا وما يخفونه.

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٧٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق اعلموا أنه ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: لا أحد يجب أن يتقر بالعبودية إلا الله ﷻ، لا معبود غيره يستحق العبادة، ولا ربّ سواه ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿الْحَمْدُ فِي الْأُولَى﴾: هو الذي يستحق الحمد، والثناء، والشكر على ما أنعم به على الإنسان، وبقية الخلق في الحياة الدنيا ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: وله الحمد والثناء يوم القيامة، ما يعطيه لعباده الصالحين ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: جميع الخلق صائرٌ إلى الله ﷻ؛ ليجزي كل من عمل بعمله، من خيرٍ أو شرٍ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١)

﴿قُلْ﴾: اذكر يا محمد ﷺ ويا كلَّ مسلم، واحدة من فضل الله ﷻ على الخلق ﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿رَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: إذا جعل الله ﷻ الليل دائمًا ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، سيضمّر الزرع، ويضمحل، ولا تتكون السحب، ولا تنزل الأمطار، وسيسأمُ النَّاسُ الحياة، وهذا ما نشاهده اليوم في الدول الإسكندنافية، التي يكون فيها تعاقب الليل والنهار لساعات فقط ﴿مَنْ﴾: حرف استفسار عن العاقل ﴿إِلَهَ﴾: معبودٌ ﴿غَيْرُ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿اللَّهُ يَأْتِيكُمْ﴾: يُسخر لكم ﴿ب﴾: بآء السببية ﴿بَضِيَاءٍ﴾: مَنْ مِنْ

الخلق يمكن أن يُعوّض دور الشمس في حياة الإنسان، والحيوان، والنبات؛ والإجابة لا أحد **﴿أَفَلَا﴾**: حرف استفهام بغرض الاستنكار **﴿تَسْمَعُونَ﴾**: هل تعطل فيكم السمع وهو من أهم أدوات الإدراك؟

التكليف: اختار الله ﷻ حاسة السمع؛ لأنّ حاسة البصر في غياب الضوء لا فائدة منها، وبمرور الوقت تضعف، فكان السمع الوسيلة للإدراك. يجعل الشمس تشرق عليكم **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٍ تُسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢)**

﴿قُلْ﴾: اذكر يا محمد ﷺ **﴿أ﴾**: حرف استفهام **﴿رَأَيْتُمْ﴾**: أخبروني **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾**: أن جعل الشمس فوق الأرض ليلاً ونهاراً **﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾**: لن يأتي ليلٌ حتى قيام الساعة، كيف ستكون أجساد البشر والشجر والدواب **﴿مَنْ﴾**: حرف استفهام عن العاقل **﴿إِلَهٌ﴾**: معبود **﴿غَيْرُ﴾**: حرف استثناء بمعنى إلا **﴿اللَّهُ يَأْتِيكُمْ بِ﴾**: باء السببية **﴿بَلِيلٍ﴾**: لا إله ولا أحد يملك أن يجعل الشمس تغيب **﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾**: حتى يرتاح الخلق وهذا من فضل الله ﷻ، سكون الليل، والنوم الذي يُخلص الجسم من فضلات عمل الأجهزة طول النهار؛ التي إذا تراكمت صارت سامة، وضارة، ولهذا يُعذب المجرمون البشر بمنعهم من النوم ليلاً ونهاراً **﴿أَفَلَا﴾**: حرف استفهام بغرض الاستنكار **﴿تُبْصِرُونَ﴾**: ولأنّ الشمس ساطعة، والنهار سرمدى؛ يتراجع دور السمع في حياة الإنسان، ويُدرِكُ بالبصر ما لا يُدرِكُهُ بالسمع.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)
﴿وَمِنْ﴾: جزء أو بعض **﴿رَحْمَتِهِ﴾**: تطبيقاً لرحمة الله بالناس **﴿جَعَلَ﴾**: الله ﷻ **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿اللَّيْلَ وَ﴾**: أيضاً جعل لكم **﴿النَّهَارَ﴾**: خلق دورة الشمس؛ ليكون الليل والنهار **﴿ل﴾**: حرف سبب **﴿تَسْكُنُوا فِيهِ﴾**: لترتاحوا في الليل من تعب النهار **﴿وَ﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿لِتَبْتَغُوا﴾**: لتطلبوا وتجنوا **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿فَضْلِهِ﴾**: رزق الله ﷻ الزراعة، والتجارة، والسفر، والتعليم **﴿وَلِعَلَّكُمْ﴾**: هي من الله إشفاق، ومن الناس التوقع والترجي **﴿تَشْكُرُونَ﴾**: حتى تشكروا وليس للاختيار؛ إمّا الشكر أو الكفر، فالشكر واجب في الليل وفي النهار، على فضله ﷻ.

التكليف: إن دراسة ظاهرة الليل والنهار تجعلك تدرك الفوائد العظيمة والقدرة الربانية الخارقة في تصريف الكون.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧٤)

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: في تفرّيع يوم القيامة للكافرين الذين أشركوا في عبادة الله ﷻ، يسأل الله ﷻ المشركين ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿يَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾: يسأل الله ﷻ وهو يعلم، ولكن يُوبِّخ المجرمين؛ فيقول هاتوا الذين أشركتم في الدنيا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: الذين كذبتهم فيهم على النَّاسِ، وعصيتم الرسل والدعاة، والإجابة لا شيء يحدث.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿نَزَعْنَا﴾: أخرجنا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية، للنوع ﴿كُلِّ﴾: تفيد الجميع ﴿أُمَّةٍ﴾: جماعةٍ من الأمم المكذبة ﴿شَهِيدًا﴾: قال مجاهد: رسولهم يشهدُ عليهم ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿قُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: جاء الطلب هنا للتعزيز؛ أخرجوا أدلتكم على صحة ادعائكم، من أن لله ﷻ شركاء ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿عَلِمُوا﴾: أدركوا ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿الْحَقَّ لِلَّهِ﴾: لا إله إلا الله ﷻ، أدركوها أمام الأَشْهَادِ، فكانت الخيبة والخسارة ﴿وَضَلَّ﴾: غاب واختفى ﴿عَنْهُمْ مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يختلقون.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿قَارُونَ كَانَ مِنْ﴾: حرف يفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿قَوْمِ مُوسَى﴾: قال ابن عباس والنخعي و قتادة ومالك بن دينار وابن جريج: كان ابن عم موسى، وقال ابن إسحق: كان عم موسى وهذا ضعيف ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿بَغَى﴾: تكبّر وطغى، والبغي هو طلبٌ تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، والبغي على جزأين أحدهما محمودٌ وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والثاني مذموم؛ بذكر المساوي وهو عكس المدح، وهو تجاوز الحق إلى الباطل ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على قومه ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾: أعطيناه، ومنحناه، ورزقناه ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْكُنُوزِ﴾: الأموال ﴿مَا﴾: التي ﴿إِنَّ﴾: تأكيداً ﴿مَفَاتِحَهُ﴾: جمع مفتاح بكسر الميم وهو اسم آلة الفتح، مفاتيح الخزن ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾: يصعب على النَّاسِ حملها ﴿أُولِي﴾: أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾: لكثرتها، كانت خزائنه قارون تحمل على ستين بغلاً أغرّ قوياً، ومُحَجَّلًا ﴿إِذْ﴾: حرف يفيد العله والسبب حدثٌ في الماضي بمعنى حين ﴿قَالَ لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿قَوْمَهُ لَا﴾: حرف نهي ﴿تَفْرَحْ﴾: وعظوه ونصحوه

ألا يفرح على ما هو فيه، فبطر نعمة الله ﷻ **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾**: فرح البطر، وعدم الشكر، ونسب المال بكثرة الجهد، والخبرة، والشطارة، قال ابن عباس: المرحين، وقال مجاهد: هو البطران الأشهر، وقيل الذين لا يشكرون. **﴿وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧)**

﴿وَابْتِغِ﴾: اطلب وارغب **﴿فِيهَا﴾**: في الذي **﴿آتَاكَ اللَّهُ﴾**: استعمل ما وهبك الله ﷻ من المال، والجاه، والسلطان من أجل **﴿الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾**: هي النشأة الثانية في مقابل النشأة الأولى، أي يوم القيامة، والمقام المُعد للطائعين، المتقربين إليه ﷻ في الدنيا بما أمر **﴿وَلَا﴾**: حرف نهي **﴿تَنْسَ﴾**: تهمل **﴿نَصِيبَكَ﴾**: حصتك التي أعدها الله ﷻ لك **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿الدُّنْيَا﴾**: ولا تبالغ في حرمان نفسك، وأهلك، من الأكل، والشرب، والملبس، والمسكن، والنكاح الحلال، فهذه حصّة النفس، وللنفس على صاحبها حق **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿أَحْسِنْ﴾**: أكرم وأعطِ وامنح **﴿كَمَا﴾**: مثلما **﴿أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾**: كما أعطاك الله ﷻ؛ أعط من يستحق من الخلق **﴿وَلَا﴾**: حرف نهي **﴿تَبْغِ﴾**: تتشد وتريد **﴿الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾**: لا تُفسد ولا تعمل على إفساد خلق الله ﷻ؛ بارتكاب المحرّمات، وتُفسد في الأرض بعد إصلاحها، باستخدام المال، والخراب، وتدمير البيوت، والمساجد، والمعابد، وقتل النَّاسِ **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**: لا يُحبُّ من أفسد فطرة خلق الله ﷻ، فإذا علم الإنسان إنّ الله ينهى عن الفساد؛ فعليه أن ينتهي.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨)

﴿قَالَ﴾: قارون لقومه عندما نصحوه أن يتقي الله في ماله **﴿إِنَّمَا﴾**: تحديداً وحصراً **﴿أُوتِيْتُهُ﴾**: لقد حصلت على هذا المال **﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾**: بعلمي وخبرتي، وشطارتي **﴿أَوْلَمْ﴾**: استفهاماً واستنكاراً **﴿يَعْلَمْ أَنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿اللَّهُ قَدْ﴾**: حقق في الماضي أن **﴿أَهْلَكَ﴾**: دمر وأخذ **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾**: من الأمم، لقد علم قارون أنّ الله ﷻ أهلك في الأمم السابقة بكفرهم، ووجودهم نعمة الله ﷻ **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكور، يعني هنا **﴿أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾**: أهلك من هم أقوى من قوة قارون **﴿و﴾**:

أيضًا أهلك الله مَنْ هُمْ **﴿أَكْثَرُ جَمْعًا﴾**: امتلكوا أكثر منه مالا **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿يُسْأَلُ عَنْ﴾**: حرف جر يفيد المجاوزة **﴿ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾**: لن يسألهم الله ﷻ يوم القيامة عن جرائمهم؛ لأنه يعرفها، يُعاقبهم الله ﷻ بذنوبهم، وكفرهم، وعدم شكرهم، لن يُحاسبهم الله إلا جملة واحدة؛ بسبب كثرة ذنوبهم، لا رحمة ولا شفقة.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٩)

﴿ف﴾: بسرعة ولسبب **﴿خَرَجَ﴾**: قارون **﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾**: ذات يوم مجموع له الناس **﴿فِي زِينَتِهِ﴾**: في تجمل، وترزين، وبهرجة، وخيلاء **﴿قَالَ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾**: الذين تُغريهم زخارف الدنيا على حساب الآخرة **﴿يَا لَيْتَ﴾**: تمنوا **﴿لَنَا﴾**: نتمنى، ونرجو أن يكون لنا **﴿مِثْلَ مَا﴾**: الذي **﴿أُوتِيَ﴾**: أُعطي **﴿قَارُونُ﴾**: أن نملك مثل ما يمتلك قارون **﴿إِنَّهُ﴾**: بالتأكيد **﴿لَذُو﴾**: صاحب **﴿حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**: له نصيب وافز من الدنيا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (٨٠)

﴿و﴾: بسبب ذلك **﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾**: أصحاب العلم المفيد في الدنيا، وفي الآخرة **﴿وَيَلَكُمْ﴾**: تحذيرٌ وتخويفٌ لهم **﴿ثَوَابُ﴾**: جزاء **﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾**: أكثر وأكرم **﴿لِمَنْ﴾**: للذي **﴿آمَنَ﴾**: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ويقول هذا، ويرضى بما شرعه الله وقسمه ﷻ للخلق، واطمأن قلبه بصدق **﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾**: أيضًا للذي أتبع إيمانه بالعمل الصالح من عباداتٍ ومعاملاتٍ، يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُلَاقَاهَا﴾**: لا يوفقه الله ﷻ لقول هذا، قال السدي: الصابرون، وقال ابن جرير: لا يُلقَى هذه الكلمة **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء بمعنى غير **﴿الصَّابِرُونَ﴾** عن حب الدنيا وزينتها، الراغبون في الدار الآخرة هي النشأة الثانية في مقابل النشأة الأولى.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٨١)

أسباب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أتى موسى قومه أمرهم بالزكاة فجمعهم قارون فقال لهم: «جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها فتحملوا أن تُعطوه أموالكم». فقالوا: لا نحتمل أن نُعطيه أموالنا فما ترى؟ فقال لهم: " أرى أن أرسل إلى بغي بني إسرائيل فنرسلها إليه فتزيميه بأنه أرادها على نفسها، فدعا موسى عليهم فأمر الله الأرض أن

تُطِيعُهُ، فَقَالَ مُوسَى لِلأَرْضِ: خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْقَابِهِمْ " فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا مُوسَى، ثُمَّ قَالَ لِلأَرْضِ: «خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى رُكْبِهِمْ» فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا مُوسَى، ثُمَّ قَالَ: «لِلأَرْضِ خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ» فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا مُوسَى فَقَالَ لِلأَرْضِ: " خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ فَعَيَّبَتْهُمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى يَا مُوسَى سَأَلَكَ عِبَادِي وَتَضَرَّعُوا إِلَيْكَ فَلَمْ نُجِبْهُمْ، وَعِرَّتِي لَوْ أَنَّهُمْ دَعَوْنِي لِأَجْبَبْتُهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ [القصص-٨١] خُسِفَ بِهِ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى^(١)، ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿خَسَفْنَا﴾: ابتلعت الأرض ﴿بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾: هبط من وما عليها إلى الأرض السابعة، وقال قتادة: سمعنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة، فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد خبر ﴿كَانَ لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿فَفَتْ﴾: ليس له جماعة أو عصابة ﴿يُنْصُرُونَهُ﴾: يمنعون عنه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: غير قدر الله ﷻ، لم يُنْقِذْهُ أَحَدٌ، ولا نفعه ماله ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْمُنْتَصِرِينَ﴾: لم ينصره أحدٌ؛ لا مال، ولا حشم، ولا أنصار. للذي من جنس العاقل

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَفِّرُ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَفِّرُنَا لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٢)

﴿وَأَصْبَحَ﴾: عطفًا على ما جاء، صار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾: أن يكونوا مثله، ويمتلكون زينته ﴿يَقُولُونَ وَيَكَفِّرُونَ﴾: تتكون الكلمة من ﴿وِي﴾: هي فعلٌ بمعنى أعجب، ألم تر وتعلم، وبمعنى ويلك اعلم أن ليس المال دليلًا على رضا، ويكون المعنى الجامع هو أعجب يا هذا من بسط الرزق لمن شاء ربنا ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ﴾: يزيد ويوسع ويمد ﴿كَانَ﴾: حرف يفيد التقريب والله ﷻ أعلم ﴿الرِّزْقِ لِمَنْ﴾: للذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا﴾: حرف شرطٍ يدلُّ على امتناع شيءٍ لوجود غيره ﴿أَنْ مَنْ﴾: تفضل علينا ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بلطف الله وإحسانه ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿خَسَفَ بِنَا﴾: لأزالنا من الوجود؛ لأننا تمنينا أن نكون مثله ﴿وَيَكَفِّرُنَا﴾: ويلك اعلم، ألم تر، أظنُّ وأحتسب، وهي الأرجح أنه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَفْلِحُ﴾: لا يفوز بل يهزم ﴿الْكَافِرُونَ﴾: المنكرون حقيقة الرسالة.

﴿تَكَ الذَّارِ الآخِرَةَ نَجَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤٤٣/٢ (٣٥٣٦) وقال: "صحيحٌ على شرط الشُّيخين ولم يُخرجاه. ووافقهُ الذهبي.

﴿تَكَ﴾: إشارةً للبعيد المؤنث المفرد ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: جاء اللفظ القرآني الآخرة على خمسة أوجه، هنا بمعنى الجنة يذكر الله ﷻ الدار الآخرة التي وعد عباده المؤمنين بنعيمها الدائم، الذي لا يزول كما زال ملك قارون ﴿نَجَعَهَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم، هيأناها وأعدناها ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُرِيدُونَ عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ﴾: لا يريدون ترفُّعًا على خلق الله ﷻ، قال ابن جرير: لا يريدون تعاظمًا، وتجبرًا، ولا فسادًا، وقال عكرمة: التجبر، وقال سفيان الثوري: العلو في الأرض بغير حق، وقيل الفساد في الأرض ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿فَسَادًا﴾: إفساد دين الله ﷻ في النَّاسِ؛ فيعملون المعاصي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: عطفًا على هذا فإنَّ حسنُ الخاتمة، ودوامها، ونعيمها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: تخصيصًا، لمن آمن بالله ﷻ بيقين؛ طمعًا في رحمته، وخوفًا من عقابه.

التكليف: ضرورة التفريق بين البهجة والخيلاء وبين من أراد التجمل بالملبس الحسن، والمسكن الحسن فلا بأس؛ فقد قال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ^(١).

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٤)

﴿مَنْ﴾: العاقل الذي ﴿جَاءَ﴾: يوم القيامة ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْحَسَنَةِ﴾: فعل الطاعات ﴿فَ﴾: بسبب ذلك ﴿لَهُ﴾: تمليكًا ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر خيرية ﴿مِنْهَا﴾: له ثوابٌ أعظم من حسنة العبد، والله ﷻ يضاعف لمن يشاء ﴿وَمَنْ جَاءَ بِ﴾: حرف باء المقابلة؛ أي عكس الحسنة ﴿السَّيِّئَةِ﴾: عمل كلِّ ما نهى الله ﷻ عنه، قولًا، وفعلاً ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نه عن ﴿يُجْزَى الَّذِينَ﴾: اسم موصول بالجماعة ﴿عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾: فجزاء هؤلاء يوم القيامة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَعْمَلُونَ﴾: وهذا هو العدل؛ إنَّ الجزاء من جنس العمل.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٨٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا بالفرد، الواحد، الأحد، ﷻ ﴿فَرَضَ﴾: أوجب وألزم ﴿عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: هو الله ﷻ أنزل القرآن، وأمرك أن تعمل به، وأن تأمر النَّاسَ بذلك تلاوةً وتطبيقًا ﴿لَنْ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿رَادُّكَ﴾: قال ابن عباس: سيرجعك ﴿إِلَى مَعَادٍ﴾: إلى يوم القيامة، وقال أيضًا: إلى مكة ترجع فاتحًا؛ بعد أن غادرتها مُجبرًا، ويسألك

(١) صحيح مسلم ٩٣/١ (٩١).

وأنت في الجنة عن القرآن، وقال مجاهد: يُجيبك يوم القيامة، وقال الحسن البصري وابن عباس: يبعثه الله ﷻ يوم القيامة، ثم يدخله الجنة، بذلك يكون ابن عباس قد فسّر الآية كالاتي: رجوع الرسول ﷺ على مكة أي الفتح، ثم الموت، ثم البعث يوم القيامة، يوم الجنة الجزاء والمصير **﴿قُل﴾**: يا محمد **﴿رَبِّي﴾**: مالك أمري كله **﴿أَعْلَمُ﴾**: كامل العلم **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿جَاءَ بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿الْهُدَى﴾**: يأمر الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ أن يقول لمن يخالفونه: إن الله ﷻ أعلم مني ومنكم بالمهتدين، وسيعلم الناس عاقبة الأمور **﴿وَمَنْ﴾**: أيضًا الذي من جنس العاقل **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا الذي **﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**: الذين ضلوا عن الهدى، وتاهت عقولهم تمامًا؛ كما تاهت خطاهم عن الجنة.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ (٨٦)
﴿وَمَا﴾: حرف نفي **﴿كُنْتَ تَرْجُو﴾**: لم تظن **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يُلْقَى إِلَيْكَ﴾**: أن ينزل الوحي عليك بيلغك **﴿الْكِتَابُ﴾**: القرآن الكريم **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿رَحْمَةً مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية **﴿رَبِّكَ﴾**: تعني كلمة الرب: المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، أنزل الله ﷻ الوحي إليك، رحمة ربك بك وبالعباد، وهذه منحة عظيمة **﴿فَلَا﴾**: حرف تخصيص ونهي يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن **﴿تَكُونَنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿ظَهِيرًا﴾**: معيّنًا ومساعدًا **﴿لِ﴾**: حرف تخصيص **﴿الْكَافِرِينَ﴾**: يقول الحق ﷻ ما معناه أن الناس ستنقسم إلى مؤمنين وكافرين، ويُحدد ﷻ لمحمد ﷺ، وأتباعه ألا يعينوا ولا يساعدوا الكافرين، بل عليهم أن يفارقوهم ويخالفوهم.
﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٧)
﴿وَلَا﴾: حرف نهي **﴿يَصُدُّكَ﴾**: لا تتأثر لمخالفة الكافرين، ولا تحزن لأنهم يصدون الناس عن الإيمان بك وأيضًا **﴿عَنْ﴾**: حرف جرّ يفيد المجاوزة **﴿آيَاتِ﴾**: الدالة على وجود ووحداية **﴿اللَّهِ بَعْدَ إِذْ﴾**: ما جاء في الماضي **﴿أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ﴾**: التي جاءت في القرآن الكريم **﴿وَوَلَا﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿ادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾**: أمر الله ﷻ باستمرار الدعوة إلى الإيمان بالله ﷻ **﴿وَلَا﴾**: حرف نهي **﴿تَكُونَنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿الْمُشْرِكِينَ﴾**: ولا يدفعك شركهم أن تشك أنك على الحق، عليك أن تفارقهم أيها النبي، ومن اتبعك من المؤمنين من بعدك؛ لأن الله ﷻ وعد المؤمنين بإظهارهم على عدوهم، وانتصارهم عليهم.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
(٨٨)

﴿وَلَا﴾: مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ: لا يجب أن تعبد مع الله ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾: شريكًا آخرًا
﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً
مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ لا مالك ولا رازق إلا الله الحي القيوم، الذي لا
تأخذه سنة ولا نوم ﴿كُلُّ﴾: جميع ﴿شَيْءٍ﴾: تفيد العموم ﴿هَالِكٌ﴾: كل من على الأرض يفنى،
جاء في المعنى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن-٢٦] ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء
﴿وَجْهَهُ﴾: عبر الله ﷻ عن ذاته الإلهية بوجهه الكريم، يعني كل شيء هالك إلا الله ﷻ،
وتعني ما قال مجاهد والثوري: كل شيء هالك إلا ما أريد به وجه الله ﷻ؛ وهذا يعزز القول
الأول؛ لأن كل عمل يبطل إلا ما أريد به وجه الله ﷻ ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ملك ﴿الْحُكْمُ﴾: الملك
والتصرف، لا راد لقضائه ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: كلكم صائر إليه ﷻ
يوم القيامة؛ فيجازي بالأعمال إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر، نسأل الله العفو والعافية
في الدين والدنيا والآخرة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نتبين أن موازين القوى مهما بلغت عند الكافرين؛
لن تُفْلح في هزيمة المسلمين؛ لأن الله ﷻ معهم.



آياتها

69

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

ترتيبها

29

اشتهرت هذه السورة بهذا الاسم، ووجه التسمية أنها اختصت بذكر مثل العنكبوت،
نزلت كلها في مكة في قول الجمهور، وقيل بعضها مدني، وهي السورة الخامسة والثمانون في
ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الروم وقبل سورة المطففين، عدد آياتها (٦٩) باتفاق
أصحاب العدد.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة أنّ الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على مُتقدمٍ
في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخرٍ في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه
فإنّ الحرفين ﴿أل﴾: أرى، والله أعلم، أنّها تعني اسم الله ﷻ، جاء ذكرها سابقًا في سور البقرة،
وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، وغيرها، وما يعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٣) ﴿وَلَقَدْ

فَتَنَّا ﴿ ولم يسبق اسم يعود عليه الضمير، وجاء اسم الله ﷻ صراحة ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَلْعَلَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ وقد جاء اسم الله ﷻ، وجاء في الآية (٤) ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ والضمير يعود على الله ﷻ، وجاء في الآية (٥) ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾، وجاء في الآية رقم (٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، وفي الآية (٧) ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ والذي يُكْفَرُ السَّيِّئَاتِ؛ هو الله ﷻ، وفي الآية (٨) ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ والموصي هو الله ﷻ، ووصيته أمرٌ واجب، وجاء غيرها من الآيات. حرف ﴿م﴾: أرى - والله أعلم - هو اسم محمد ﷺ، يقول الحق مخاطبًا محمدًا ﷺ في الآية (١) ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾، ومصدر الإيمان هنا ما نزل على محمد ﷺ.

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢)

سبب النزول: قال الشعبي في قوله: ﴿الم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآية قال نزلت في أناس كانوا في مكة قد أقرؤا الإسلام؛ فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا؛ فخرجوا عامدين إلى المدينة؛ فتبعهم المشركون فردوهم؛ فنزلت هذه الآية فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قتلناه؛ فخرجوا فتبعهم المشركون فقاتلوهم؛ فمنهم من قُتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل-١١٠] (١).

﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بهدف الاستنكار والتوبيخ ﴿حَسِبَ﴾: هل يظنُّ هل يعتقد ﴿النَّاسُ أَنْ﴾: حرف تصوّر للتأكيد ﴿يُتْرَكُوا﴾: يمضون حياتهم؛ ولا يُختبرون على حقيقة ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾: بألسنتهم ﴿آمَنَّا﴾: بأركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر بألسنتهم ﴿وَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُفْتَنُونَ﴾: لا يُختبرون، ولا يُبتلون بحسب درجة إيمانهم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَلْعَلَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣)

ومع تقديم أنّ الله ﷻ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون والتسليم أن سنة الله ﷻ في عباده أن يختبر المؤمنين في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ﴾: هنا أيضًا أمرٌ تحقق في الماضي ﴿فَتَنَّا﴾: اخترنا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: الذين أرسلت إليهم الرسل من قبل محمد ﷺ وممن كانوا أوائل من آمن

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص: ١٦٦.

له **﴿ف﴾**: يفيد السبب **﴿ل﴾**: حرف علة وسبب **﴿يَعْلَمَنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿اللَّهُ﴾**: علم ظهور، ويكشف للناس صدق الصادقين، وكذب المكذبين، يرى **﴿يَعْلَمَنَّ﴾**، والرؤية تأتي في الموجود، والعلم أعم وأشمل من الرؤية؛ لأنها تتعلق بالمعدوم، والغيب، والموجود **﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾**: الذين آمنوا بصدق، باختبارهم، بالابتلاء والفتنة **﴿وَلْيَعْلَمَنَّ﴾**: أيضاً يعلم علم وقوع **﴿الْكَاذِبِينَ﴾**: يكشف الله **﴿يَعْلَمَنَّ﴾** من يدعي الإيمان بالابتلاء، وقبوله، والصبر عليه؛ ومقاومته؛ فمن لم يفعل فهؤلاء يصفهم الله **﴿يَعْلَمَنَّ﴾** بالكاذبين، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُنْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَبْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(١).

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٤)

﴿أَمْ﴾: هل **﴿حَسِبَ﴾**: هل اعتقد، هل ظن؟ **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع من **﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾**: الذين يرتكبون المعاصي **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَسْبِقُونَا﴾**: أن يعجزوا الله **﴿يَسْبِقُونَ﴾** وينجون من عقابه؛ هذا من باب الوهم **﴿سَاءَ﴾**: بس، وشرّ وسوء من السيئ، قبح الله **﴿يَعْلَمَنَّ﴾** **﴿مَا﴾**: الذي **﴿يَحْكُمُونَ﴾**: ما يعتقدون أو يظنون أنهم سيتخلصون أو يتجنبون الاختبار والتمحيص. إن جوهر إيمان الإنسان يظهر بالاختبار، وفي كل محنة.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٥)

﴿مَنْ﴾: الذي من البشر **﴿كَانَ﴾**: في الحياة الدنيا **﴿يَرْجُوا﴾**: يتمنى **﴿لِقَاءَ اللَّهِ﴾**: من كان يطمح في أن يلقى الله **﴿يَعْلَمَنَّ﴾** بعمل صالح يوم القيامة، ويأمل في هذا اللقاء الثواب؛ لأنه عمل الصالحات **﴿فَإِنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾**: إن يوم القيامة قادم لا محالة **﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**: سميع الدعاء **﴿الْعَلِيمُ﴾**: الذي يعلم ما اقترب العبد من ذنب، وما عمل كل مؤمن من خير، فإن علم الثواب والعقاب لا ريب فيه.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٦)

﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل **﴿جَاهَدَ﴾**: من جاهد الكفار، ومن جاهد نفسه بالصبر على الطاعات وعمل عملاً صالحاً **﴿فَإِنَّمَا﴾**: تحديداً وتخصيصاً **﴿يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾**: حرف تملك **﴿لِنَفْسِهِ﴾**: فإن ثواب ونفع عمله له لا لغيره، لا يعني الجهاد فقط القتال؛ بل هو كل من جاهد نفسه، بحملها على الطاعة، والبعد عن المعصية **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ﴾**

(١) سنن الترمذي ٦٠١/٤ (٢٣٩٨) وقال: حديث حسن صحيح.

لَغْنِي عَنِ: حرف يفيد الاستعلاء **﴿العالمين﴾**: ليس في حاجة الخلائق، بل هو المتفضل بالنعمة والإحسان، وهو يجازي العالمين، ويكفر سيئاتهم، ويقبل قليلاً من الحسنات، ويثيب إلى سبعمائة ضعف.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
(٧)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق **﴿الذين﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا﴾**: بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله؛ يقيناً واقتناعاً **﴿و﴾**: حرفٌ عطفي يفيد الحال، أتبعوا إيمانهم أن **﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: وطبقوا إيمانهم بالعمل الصالح، المقبول عند الله ﷻ **﴿ل﴾**: حرف علةٍ وسببٍ **﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾**: يمحو الله ﷻ، جاءت بصيغة الجمع للتعظيم **﴿عَنْهُمْ﴾**: حرفٌ يفيد المجاوزة **﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾**: يمحو عنهم سيئات ما عملوا **﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾**: نكافئ الذين عملوا **﴿أَحْسَنَ﴾**: أفضل **﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**: يقبل الله ﷻ قليلاً وكثيراً من العمل الصالح، ويثيب على الواحدة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، ويجزي على السيئة مثلها، أو يعفو، ويصفح.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨)

أسباب النزول: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: أَنْزَلْتُ فِيَّ أَرْبَعَ آيَاتٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ، عَنْ سِمَاكِ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ: قَالَ فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بَعْصًا، ثُمَّ أَوْجَرُوهَا، وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا: فَضْرَبَ بِهِ أَنْفَ سَعْدٍ، فَفَرَزَهُ وَكَانَ أَنْفُ سَعْدٍ مَفْرُورًا^(١).

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق **﴿وَصَّيْنَا﴾**: أمرنا **﴿الإنسان بوالديه حُسْنًا﴾**: يأتي الإحسان بعد الأمر بالإيمان في حُسن المعاملة، والرعاية، والإنفاق على الوالدين، ورعايتهما، وإحساناً لفضلهما، رافةً ورحمةً **﴿وإن﴾**: حرف شرط **﴿جَاهَدَاكَ﴾**: عملوا، وحرصوا، وأصروا **﴿ل﴾**: حرف سبب، من أجل أن **﴿تُشْرِكَ بِي﴾**: بالله ﷻ **﴿مَا﴾**: حرف يفيد النفي **﴿لَيْسَ﴾**: فعل ماضٍ يفيد النفي **﴿لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾**: أن تتبع دينهما؛ الكفر بالله ﷻ؛ إذا كانا مشركين؛ انظر لقوله ﷻ **﴿وَلَا تُقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾** [الإسراء- 36] **﴿فَلَا﴾**: حرفٌ تخصيصٍ ونهي يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن **﴿تَطْعَمَهُمَا﴾**: لا طاعة لهما في معصية الله ﷻ **﴿إِلَيَّ﴾**: إلى الله ﷻ **﴿مَرْجِعُكُمْ﴾**: الآباء، والأبناء، وكلُّ الخلق، راجع

(١) صحيح مسلم ١٨٧٨/٤ (١٧٤٨).

إلى الله ﷻ يوم القيامة ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر، يفيد سرعة التنفيذ ﴿أُنْتِكُمْ﴾: أخبركم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الحياة الدنيا، بالجزاء الحسن والصبر بالجنة، وصحبة الصالحين، وليس في زمرة الوالدين الكافرين.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٩)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: صدقوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله؛ يقيناً واقتناعاً، وطبقوا إيمانهم بالعمل الصالح المقبول ﴿ل﴾: لهذا السبب ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾: بكل تأكيد ﴿فِي الصَّالِحِينَ﴾: سيُحشرون مع الصالحين، في جنات وعددها الله ﷻ للمتقين.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مِنَ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿النَّاسِ﴾: الحديث عن صنف المنافقين، الذين يعملون بما لا يقولون مثل ﴿مِنَ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: حرف باء الصلة، قول اللسان، وليس إيمان القلب، حول قوله استعداداً للتضحية بالمال والنفس والولد ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب والسرعة ﴿إِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر، ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: إذا أصابه مصاب من الكافرين ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾: التي هي ما يوقعونه عليه من الأذى سبباً في بعده عن الدين وخوفه من المشركين؛ قال ابن عباس، وآخرون: الارتداد عن دين الله ﷻ ﴿ك﴾: مثل، حال ﴿عَذَابِ اللَّهِ﴾: ساوى بين الأذى من النَّاسِ، وعذاب الله ﷻ يوم القيامة ﴿وَلَئِنْ﴾: حرف شرط ﴿جَاءَ نَصْرٌ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله، هذا مظهر آخر من سلوك المنافقين؛ إذا انتصر المسلمون، رفع المنافقون أصواتهم ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: بكل تأكيد ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كُنَّا﴾: في السابق ﴿مَعَكُمْ﴾: كنا إخوانكم في الدين، وهذا يعني التقاخر، وطلب الغنيمة، وطلب الرئاسة، والسيادة ﴿أَوْلَىٰ﴾: حرف استفهام يفيد الإثبات والتقرير ﴿اللَّهُ﴾ ﴿ب﴾: باء الصلة والتوكيد ﴿أَعْلَمَ بِمَا﴾: بالذي ﴿فِي صُدُورِ﴾: التي فيها القلوب، وهي مركز الوعي والإدراك ﴿الْعَالَمِينَ﴾: ﷻ يعلم ما أعلن الخلق، وما أخفوا من خيرٍ أو شرٍّ، وأن الثواب والعقاب على ما أسرَّ العبد في نفسه أساساً.

التكليف: ما أكثر هذا المثل في كل زمانٍ ومكانٍ، إن كانت هزيمةً للمؤمنين، أو ابتلاءً، من سجنٍ، أو إبعادٍ، أو قتلٍ؛ هرب المنافقون، وانقلبوا، وجروا مع الماء الجاري، وإن كان نجسًا، وإن جاء نصرٌ للمسلمين قالوا ألم نكن معكم؟

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (١١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٍ وسببٍ ﴿يَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾: علماً ظاهراً للخلق، بكل تأكيدٍ يختبر الله ﷻ الناس، بالسراء والضراء؛ فينظر كيف يعملون، وهو يعلم علم اليقين ماذا سيفعلون ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: كيف سيتصرف المؤمنون ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ﴾: يعلم بالتأكيد ما يضمّر وما يفعل ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: الذين يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ

مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٢)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع من البشر الذين ﴿كَفَرُوا﴾: يُخبرُ الله ﷻ كيف قال كفّار قريش، وهو قول الكفار في كل زمانٍ وفي كل مكانٍ، ﴿ل﴾: حرف تخصيصٍ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ماذا قالوا للمؤمنين ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: قالوا اكفروا بدين محمدٍ ﷺ، واتبعوا ديننا؛ ملّة الكفر، ونعمل معكم مقايضةً يوم القيامة ﴿و﴾: عطفاً على هذا الاتفاق ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿نَحْمِلْ﴾: نتحمل معكم ﴿خَطَايَاكُمْ﴾: نحمل من ذنوبكم وما يصيبكم يوم القيامة؛ بسبب آثامكم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿ب﴾: حرف باء التأكيد ﴿حَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ﴾: بعضاً أو جزءاً ﴿شَيْءٍ﴾: هم كاذبون لن يطبقوا ما سيصيبهم؛ فكيف يحملون وزر آخرين، جاء في المعنى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر- ١٨]، وجاء أيضاً يومها: ﴿يَغْفِرُ الْمَرْءَ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس- ٣٤، ٣٥]. ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بكل تأكيد ﴿لَكَاذِبُونَ﴾: ينكرون ولا يقولن الصدق ولا يفعلون الحق.

﴿وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَقِلَا مَعْ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣)

﴿و﴾: أيضاً ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: بالتأكيد سيحملُ دعاةُ الكفر أوزارهم، أيضاً يحملون جزاء ذنوبهم ﴿وَأَنْتَقِلَا﴾: ويحملون أوزاراً ﴿مَعْ أَثْقَالِهِمْ﴾: أوزاراً أخرى أيضاً؛ لأنهم دعاوا إلى ضلالٍ، قال ﷻ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ

ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا^(١) ﴿وَلَيْسَانَنَّ﴾: بالتأكيد سيستجوبون ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: إن الكفار سيُسألون يوم القيامة حتمًا ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: عن الذي كانوا يكذبون، في يوم القيامة ستهرب حسناتٌ مثل الجبال بسبب الظلم؛ إذا انتهت؛ أخذ من سيئات من ظلموهم، ووُضعت على سيئات الظالمين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٤)

من باب تسليية الله ﷻ لعبده ﷺ؛ يذكر تجارب الأمم السابقة مع أنبيائه في قوم نوح ﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بصيغة الجمع لأهمية الرسالة ﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: كانت هذه تجربة أول نبي ﷺ ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿لَبِثَ﴾: مكث، أقام إقامة دائمة وعاش ﴿فِيهِمْ﴾: معهم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾: كان فيها يعاني ويكابد ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿خَمْسِينَ عَامًا﴾: مدة طويلة لم تنفع فيهم دعوته بالبلاغ والإنذار، فلا تأسف يا محمد ﷺ عندما كفر قومك، فالهذى من الله ﷻ، يهدي من يشاء، فماذا كانت النتيجة ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿أَخَذَهُمُ﴾: أمتهم الله ﷻ بسبب ﴿الطُّوفَانُ﴾: غرقًا وأذلهم كما سيذل قومك ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾: لأنفسهم بكفرهم.

التكليف: إن هلاك الكفار في الدنيا واردٌ في هذه القصص، ومفاده على غير ما يتوقع الأنبياء والدعاة، بعث الله ﷻ نوحًا ﷺ، إلى قومه، ولبث يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة، وعاش نوح ﷺ بعد الطوفان ستين عامًا؛ حتى كثر نسل الناس الناجين، إن لفظ السنة يدل على المعاناة، وذكر العام يدل على الخير، وردت كلمة السنة في مواقف الشدة، والتعب، والظلم، وورد لفظ العام مع الغيث، والرخاء.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٥)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتحقق السريع ﴿أَنْجَيْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظمتها، وكبرها، وظروفها القاسية، التي نجّا فيها الله ﷻ نوحًا ﷺ، والمؤمنين من هذا الطوفان العظيم ﴿و﴾: وأيضًا نجّا الله ﷻ ﴿أَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾: جاء في المعنى انظر [هود-٣٧] ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿جَعَلْنَاهَا آيَةً﴾: دليلًا وعبرةً وعظةً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْعَالَمِينَ﴾: كلّ الخلائق، جاء اللفظ القرآني آية في القرآن الكريم على وجهين؛ هنا بمعنى عبرة كما في قوله ﷻ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون-٥٠]، وأيضًا جاءت بنفس المعنى في قوله ﷻ ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٦٠(٢٦٧٤).

إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿النحل-٧٩﴾، وجاءت بمعنى علامة في قوله ﷺ ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس-٤١]، وغيرها، إِنَّ لهذه الآية دلالات عظيمة، في كلِّ عصرٍ، وخاصةً في عصور الارتداد المعاصرة بالذات.

التكليف: جاءت الآية بتعليم الله ﷻ لعبده نوح ﷺ؛ علمه قانون الطفو الذي نقل البشرية مُبكرًا إلى كيفية ركوب البحر؛ فكان خيرًا عظيمًا.

﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٦)

﴿و﴾: عطفًا على ذلك تأتي قصة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: ﷺ، بعد ذكر قصة نوح ﷺ، في الآية السابقة؛ جاءت في تسلسلٍ تاريخيٍّ ﴿إِذْ﴾: تُفيد السبب وما حدث وتحقق في الماضي ﴿قَالَ ل﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمِهِ﴾: واذكر قصة إبراهيم الذي استجاب لأمر الله ﷻ، وقال لعشيرته ومن حوله من النَّاسِ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله ﷻ وحده ولا تشركوا به أحدًا ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: أيضًا أخلصوا في التقوى، طمعًا في رحمته، وخوفًا من عذابه؛ بقناعةٍ ورشدٍ ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارةٌ للبعيد ﴿خَيْرٌ﴾: بركةٌ، ونفعٌ، وفائدةٌ ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا في الدنيا وفي الآخرة، هي عموم الخير؛ لأنها جاءت نكرة ﴿إِنَّ﴾: حرف شرطٍ ﴿كُنْتُمْ﴾: ولا تزالون ﴿تَعْلَمُونَ﴾: إذا أردتم أن تعلموا الحقيقة.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ

لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧)

﴿إِنَّمَا﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿تَعْبُدُونَ﴾: تطيعون ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: بين إبراهيم ﷺ أنهم يعبدون ما لا ينفع ولا يضر ويتوجهون إلى مخلوقاتٍ تافهةٍ، ضعيفةٍ، لا تملك نفعًا لهم، فأين هذه الحجارة من الله ﷻ ﴿أَوْثَانًا﴾: أصنامًا، وحجارةً تافهةٍ ﴿و﴾: أيضًا ﴿تَخْلُقُونَ﴾: تفترون، وتخترعون ﴿إِفْكًا﴾: كذبًا وقال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة: أصنامًا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ تَعْبُدُونَ﴾: تطيعون وتقدسون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُونَ لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿رِزْقًا﴾: لا ترزق ولا تمنع الرزق ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿ابْتَغُوا﴾: اطلبوا، وانشدوا ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان ومكان ﴿اللَّهِ الرِّزْقَ﴾: المال والولد وغيره ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾: أطيعوه فيما أمر ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: واشكروه على نعمائه ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﴿تُرْجَعُونَ﴾: ولا تنسوا أنكم ستردون إلى عالم الغيب والشهادة، فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما جاء ﴿إِنَّ﴾: حرف شرطٍ ﴿تُكَذِّبُوا﴾: إذا لم تصدقوا ما جاء على لسان إبراهيم ﷺ من ربِّه ﷻ ﴿فَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿كَذَّبَ﴾: أنكرت أمثالكم ﴿أُمَّمٌ﴾: شعوبٌ

وقبائل ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ما ذكره الله ﷻ لهم، كقوم نوح، كذبوا، وأخبرناكم بما حلّ بهم من العذاب، وجاءت أقوام عاد، وثمود، وفرعون وغيرهم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ليس ﴿عَلَى الرَّسُولِ﴾: يا أيّها الرسل، يا أيّها الدعاة إلى الله ﷻ، في كلّ زمانٍ وفي كلّ مكانٍ إنّما واجبكم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿أَنْبِلَاغُ﴾: التبليغ بالدين ﴿الْمُبِينُ﴾: الواضح الذي أنزله الله ﷻ إليكم، بشّروهم بالجنة إن أطاعوا، وأنذروهم بالنار بوضوح تام.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩)

﴿أَوْلَمْ﴾: حرف يُفيد استنهامًا واستنكارًا ﴿يَرَوْا﴾: يشاهدوا ويُعاینوا ما جاء من كلام الله ﷻ لرسوله إبراهيم عليه السلام، يرشدهم؛ ليتفكروا، وينظروا، ويتأملوا ﴿كَيْفَ﴾: استنهامًا بهدف الاستنكار والتعجب ﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: كيف كان خلق الإنسان، وهذه دعوة متجددة، وبخاصّة في العصر الحديث، كيف يخلق الله ﷻ الإنسان من حيوانٍ منويٍّ وبويضةٍ، ثم تتحقّق النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم تكوين الطفل، وطريقة الولادة. انظر [الحج - ٥]، ومن الحقائق العظيمة أنّ للإنسان مجالًا مغناطيسيًا محددًا، الجسد يرسل ويستقبل الإشارات الكهربائية المغناطيسية في دورة كاملة، حيث إنّ هذه الدورة تربطه بكلّ ما يُحيطُ به في هذا الوجود ﴿ثُمَّ﴾: مع التباعد الزمني ﴿يُعِيدُهُ﴾: إنّ الذي خلق هذه الخلقة الأولى؛ قادر على إعادة خلقها وبعثها وحسابها، ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: وذلك عند الله سهل التحقّق، جاء في المعنى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس - ٨٢].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ ربّانيٌّ بالقول ﴿سِيرُوا﴾: ابحثوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: تُكْمَل هذه الآية ما سبقها، وتضيف بعدًا آخر، وهو خلق السموات والأرض يأمرُ الله ﷻ النَّاسَ أَنْ يَبْحَثُوا في علم الفلك، والنجوم، والكواكب، والأرض بالطبع، خطابٌ إلى العلماء، وبخاصّة في العصور الزاهرة بالاككتشافات ﴿ف﴾: لسبب الدراسة ﴿انظُرُوا﴾: ادرسوا، واستخلصوا النتائج الصحيحة ﴿كَيْفَ بَدَأَ﴾: الله ﷻ ﴿الْخَلْقَ﴾: وهي النشأة الأولى لهذا الكون، وإن معنى كلمة عضويه؛ أنّ جزيئاتها تحتوي على ذرّة الكربون متحدةٍ مع ذرّاتٍ عناصرٍ أخرى، وأنّ عنصر الكربون، ومن ثمّ المواد العضوية تُعدّ أساسًا سليمًا للبدء في بحث نشأة الحياة، وقد أمكن بالفعل إثبات تكوين موادٍ عضويةٍ من موادٍ

غير عضوية في المعمل بإحداثٍ تفاعلٍ بين غاز الميثان مع النشادر والأيدروجين وبخار الماء؛ باستخدام الطاقة الكهربائية، التفريغ الكهربائي، أو الأشعة البنفسجية كعاملٍ مثيرٍ ومحفزٍ، وقد تحققت إنجازاتٌ في هذا العمل على يد علماء كثيرين، مثل العالم السوفيتي "ألكسندر إيفانوفيتش أوبارين" أستاذ الكيمياء الحيوية بمعهد باخ بموسكو، صاحب "نظرية أوبارين" في نشأة الحياة، يفترض أوبارين أنّ هذه الخطوة تُمثّل الخطوة الأولى في سلسلةٍ طويلةٍ للتطور العضوي غير الحي، أي في بناء المواد العضوية المعقدة ذات الجزيئات الكبيرة قبل ظهور الحياة، وقد تأكدت هذه الخطوة بالتجربة العملية، ففي الماء تجمعت هذه الجزيئات الكبيرة من المواد العضوية؛ لتكوّن كتلاً أو أكواماً من الجزيئات، تميزت فيما بينها كأنظمةٍ مفردةٍ، وتسمى هذه الأنظمة بالنقاط التجميعية، إلا أنّ طور النقاط التجميعية في حدّ ذاته طورٌ غامضٌ لم يستطع أوبارين نفسه أن يخضعه لقوانين الكيمياء، والطبيعة بكفاءةٍ عاليةٍ، صحيحٌ أنّ الجزيئات العضوية تكوّنت، ولكن بقيت المعضلة في تحويلها إلى أجزاء حيّة، ويعزز ذلك بعض علماء الرياضة؛ فيقولون إنّ ثمة استحالة رياضية في تكوين جزيئاتٍ حيّةٍ من جزيئاتٍ غير حيّةٍ تبعاً لقوانين المصادفة والاحتمال العادية، سواءً كان ذلك من ناحية حجم المادة اللازمة لتكوين مثل هذه الجزيئات الحيّة أو الزمن اللازم لتكوينها، ثم إنّ الاتحاد الذي يحدث بين أجزاء النظام أو القوى التي تتماسك بموجبها وحدائهُ هي الأخرى قوى معلومة: فالنظام الفلكي أساسه الجاذبية، كما أنّ بداخل الذرة قوى مُماثلة، تسبُح بموجبها الإلكترونات حول النواة ﴿نَمَّ﴾: مع التباعد الزمني ﴿اللَّهُ يُنْشِئُ﴾: يكوّن ﴿النَّشْأَةَ﴾: التكوين ﴿الْآخِرَةَ﴾: ما بعدها حتى يوم القيامة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: والكلمات "كل" تفيد العموم، و"شيء" تفيد العموم؛ لأنها بصيغة نكرة ﴿قَدِيرٌ﴾: إنّ قدرته ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ واضحة في خلقه، جاء في المعنى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت-٥٣].

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (٢١)

﴿يُعَذِّبُ﴾: الله ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: من الكفّار والعصاة، ولأنّه الخالق البارئ العادل؛ فإن شاء أن يعذب مذنباً فإنّ مشيئته نافذة لا محالة ﴿وَوَ﴾: أيضاً ﴿يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾: فإنّه بعباده رؤوف رحيم في الدنيا، كما هو ﴿وَوَ﴾ يوم القيامة ﴿وَوَ﴾: حرف عطف يفيد

الحال ﴿إِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ﴾: تُدْفَنُونَ، وتتحلون، ثم يوم البعث تُبعثون؛ فَيُعَذَّبُ من يشاء، وهو ليس بظلام لهم.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾
(٢٢)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتُمْ﴾: أيها المكذبون، ولا كلّ الخلق ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿مُعْجِزِينَ﴾
﴿فِي الْأَرْضِ﴾: كلُّكم مقهورٌ بأمر الله ﷻ، لا يمنعه شيءٌ إنَّ أراد ﴿وَلَا﴾: لستم معجزين ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: فيما فوقكم وكذلك الكواكب، والنجوم، والشمس، والقمر، والأرض كلُّهم طائعون
﴿وَمَا لَكُمْ﴾: تمليكًا ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: ليس لكم غير الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية هنا لتمييزٍ للنوع ﴿وَلِيٍّ﴾: حبيب ﴿وَلَا﴾: حرف نفي
﴿نَصِيرٍ﴾: لا نصير ولا مُجيب ولا مؤيد.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٣)
﴿و﴾: عطفاً على ما سبق إنَّ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿كَفَرُوا﴾: غطوا، وأخفوا،
وجحدوا ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾: الأدلّة، والبراهين، والحجج الواضحة على
صدق الرسل والأنبياء ﴿وَلِقَائِهِ﴾: الذين غطوا وأنكروا لقاء الله يوم القيامة، يوم الجزاء الأوفى
﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للقريب والبعيد، هؤلاء ﴿يَسُؤُوا﴾: قنطوا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ
للنوع؛ وبداية الغاية الكلّ ﴿رَحْمَتِي﴾: أضاف الله ﷻ الرحمة لنفسه؛ لبيان عمومها لهم ولزومها
له، ولم يضيف العذاب لنفسه ﷻ لأنه خصصها بالكفّار ﴿وَأُولَئِكَ﴾: جاء تكرار أولئك إشارة؛
للدلالة على أنّ كلّ من اليأس والعذاب لا يوجد بهذه الصورة إلّا في الكافرين، وينطبق على
القريب والبعيد ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: سيصيبهم عذابٌ شديدٌ الوجع في الدنيا،
وعذابٌ أشدُّ في الآخرة.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤)

﴿فَمَا﴾: حرف عطفٍ يُفيد خبراً ﴿كَانَ﴾: في الماضي ﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾: الحديث متواصلٌ عن
قوم إبراهيم ﷺ، كفراً، ومكابرةً، وتزييفِ الحقائق ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء بمعنى غير ﴿أَنْ﴾:
حرف تأكيد الفعل ﴿قَالُوا اقْتُلُوهُ﴾: اقتلوا إبراهيم ﴿أَوْ﴾: حرف عطفٍ يفيد التسوية ﴿حَرِّقُوهُ﴾:
وهذه من سنن الكافرين، عندما يفشلون في مواجهة حجّة الأنبياء والرسل، والدعاة إلى الله ﷻ
في زمانٍ ومكانٍ؛ فيكون البديل هو اللجوء إلى العنف، القتل، والحرق، والسجن، والإبعاد عن

الوطن، ولقد قالوا: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات-٩٧]؛ فجمعوا أكوامًا كبيرة من الحطب لفترة طويلة، وأوقدوا النَّارَ، وأمسكوا بنبيهم ورسولهم ﷺ، وقيدوه، بالقيود، ووضعوه في كفة المنجنيق؛ لأنهم لا يستطيعون الاقتراب من النَّارِ؛ لشدتها، وقذفوه في النَّارِ ﴿ف﴾: كان السببُ وفي تتابعٍ سريعٍ أن ﴿أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: إنَّ الذي وهب النَّارَ خاصيةَ الحرق؛ قادرٌ أن يهبها خاصيةً أن تكون بردًا وسلامًا، لا تحرقه، بل يسلمُ إبراهيمُ ﷺ، وينجو بفضلِ الله ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في دراسة هذه الحالة العجيبة الغريبة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿آيَاتٍ﴾: أدلَّة وبراهين على قدرة الله ﷻ، وصدق إيمان إبراهيم، ونجاة الرسول ﷺ، والدعاة وفي كلِّ زمانٍ، بما لا يخطر على بال الكافرين ﴿لِقَوْمٍ﴾: جماعة من أصلٍ واحدٍ، أو أصحاب عقيدةٍ واحدةٍ، هنا هم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: وهؤلاء هم أشدُّ النَّاسِ إيمانًا وتسليمًا وتصديقًا بقدرة المولى ﷻ.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ موبخًا ومهينًا قومه الكافرين ﴿إِنَّمَا﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾: عبدتم وجعلتم ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ أَوْثَانًا﴾: وهي الأصنام ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾: سببًا للصدقة، والألفة، والغنيمية ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: سياسة المصلحة، والمنفعة في مجتمعات الأرض ﴿ثُمَّ﴾: مع التباعد والتراخي الزمني ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أما حالكم إذا لم تختلفوا وتفرقوا في الدنيا ﴿يَكْفُرُ﴾: يُنكر ﴿بَعْضُكُمْ بِ﴾: حرف باء التعددية ﴿بَعْضٍ﴾: تصبحون أعداءً ﴿وَيَلْعَنُ﴾: يدعوا ﴿بَعْضُكُمْ﴾: بالهلاك ﴿بَعْضًا﴾: سيلعن الأتباع المتبوعون، والمتبوعون الأتباع، كلهم ضد بعض، وسيكون ذلك كلما دخلت أمة في النار ذاقت العذاب على الصراخ بلعنة بعضهم بعضًا، جاء في المعنى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف-٦٧]، وهذا حال أحزاب الكفر، والإلحاد المعاصر؛ إذا أصابتهم هزيمة انقلبوا على أنفسهم، واتهموا بعضهم بعضًا بأسوأ الصفات ﴿وَمَا أَوَأُكُمْ﴾: المصيرُ والمرجعُ المحتوم ﴿النَّارِ﴾: جهنم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿نَاصِرِينَ﴾: لا ناصر يومئذٍ، لا منقذ من أهوال القيامة، إنَّه عذاب مُقيم.

﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٦)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَمَّنْ لَهُ﴾: آمن بإبراهيم ﷻ ﴿لُوطٌ﴾: وهو ابن أخ إبراهيم، هو بن هارون بن آزر ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿قَالَ إِنِّي﴾: أنا

بالتأكيد ﴿مُهَاجِرٌ﴾: القائل هو إبراهيم ﷺ ﴿إِلَى رَبِّي﴾: مالك أمري كله، ترك إبراهيم ﷺ، بلاده في سبيل الله ﷻ، وهاجر معه لوط ﷺ، إلى فلسطين في بلاد الشام، ثم ذهب إلى أهل قرية سدوم بالقرب من البحر الميت ﴿إِنَّهُ﴾: الله ﷻ ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكور يعني هنا الله ﷻ ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يُغالبه أحدٌ، انحاز لوطٌ كما انحاز عمُّه إبراهيم إلى الإيمان والتسليم لله ﷻ، وهما يُؤمنان أنّ الله ﷻ العزيز الذي لا يذل ولا أولياؤه ﴿الْحَكِيمُ﴾: في صواب القول والعمل المطلق.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧)

﴿وَوَهَبْنَا﴾: أعطينا بلا مقابل ﴿لَهُ﴾: من الله ﷻ إلى إبراهيم بقرّة عين، ولدًا صالحًا؛ إنّه ﴿إِسْحَاقُ﴾: ثم رزقه بحفيدٍ صالحٍ ﴿وَيَعْقُوبَ﴾: نافله؛ زيادةً، يقول ابن عباس: إنّ ابن الولد ولد؛ ولذلك قال هما ولدا إبراهيم ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال؛ عطفًا على هذا الولد ﴿جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾: أولاده وأحفاده ﴿النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: لم يوجد نبيٌّ بعد إبراهيم ﷺ، إلا هو من سلالته، حتى عيسى بن مريم ﷺ، الذي بَشَّرَ بالنبي العربي، محمد ﷺ سيد المرسلين، ولد آدم من سلاسة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾: أعطيناه دونَ مقابل ﴿أَجْرَهُ﴾: والأجرُ هو ما يعودُ من ثواب العمل دنيويًا كان أو أخرويًا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: جعل الله ﷻ سعادة الدنيا الموصلة إلى سعادة الآخرة، فكان في الدنيا في معيشة راضية؛ الماء، والطعام، والزوجة الجميلة الصالحة ﴿وَإِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿فِي الْآخِرَةِ لَ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الصَّالِحِينَ﴾: الذين ينالون أجر الأنبياء والصالحين، في منازل كريمة.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: أيضًا ﴿لَوْطًا إِذْ﴾: دلالةً على ما حدث في الماضي أذكر أيّها الرسول النبيّ لوطًا حين ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: هم جماعةٌ من أصلٍ واحدٍ ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿لَ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تَأْتُونَ﴾: تمارسون ﴿الْفَاحِشَةَ﴾: الممارسة الجنسية مع الذكور، وهي الظاهرة الأولى في التاريخ ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿سَبَقَكُمْ﴾: جاء قبلكم في السابق ﴿بِهَا﴾: حرف باء السببية ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ لم يسبقهم إلى عملها من الناس على اختلاف أجناسهم ﴿أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: ولا شخصٍ واحدًا من الخلق من الإنس وغيرهم.

﴿أَيْنُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٩)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿إِنَّم﴾: أنتم بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿تَأْتُونَ﴾: تمارسون الفاحشة في ﴿الرِّجَالَ﴾: هنا تأكيد بعد تأكيد، وتكرار فعل لم يسبقكم أحد في هذا العمل الفاحش ﴿وَتَقْطَعُونَ﴾: أيضًا تمنعون التواصل ﴿السَّبِيلَ﴾: كانوا قطعاً طرقاً، يقتلون الناس، ويسرقون أموالهم، ويسطون على غيرهم ﴿وَتَأْتُونَ﴾: أيضًا تمارسون ﴿فِي نَادِيَكُمُ﴾: مجالسكم العامة ﴿الْمُنْكَرَ﴾: كنتم ترتكبون هذه الفاحشة المتناهية في القبح، وتقولون في مجالسكم الفحش من القول، وتفعلون الفحش من العمل، ولا ينكر بعضكم على بعض شيئاً، كنتم تمارسون الفاحشة بعضكم أمام بعض، في المأجورة، وكانوا يتبارون في الضراط والتضاحك، ويستهنون من أهل الطريق المارة في الشوارع، ويطلقون الصغير، وحلّ أزرار الملابس، فلما نهاهم لوط عليه السلام ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد الخبر ﴿كَانَ جَوَابَ﴾: ردّ ﴿قَوْمِهِ﴾: أهله وعشيرته ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد تأكيد الخبر، وهو هنا ﴿قَالُوا ائْتِنَا﴾: أصبنا ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿عَذَابِ اللَّهِ إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فلم يكن جواب قوم لوط إلا أن طلبوا بإنزال العذاب عليهم، أن يصبهم بما وعدهم؛ وهذه من سنن المجرمين؛ استعجال العذاب، جاء في المعنى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ [الرعد-٦]، لأنهم يُنكرون قدرة الله تعالى على عذابهم.

التكليف: معظم هذه الجرائم هي اليوم من حقوق الإنسان؛ يدافع عنها الغرب الصليبي وعملاؤه.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣٠)

﴿قَالَ﴾: لوط عليه السلام ﴿رَبِّ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بما ومن فيه من طورٍ إلى آخر حتى التمام والكمال، وهو سبحانه المالك، والعاطي، وكثير الخير، والمحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالك الأمر كله، لجأ لوط عليه السلام، إلى خالقه وبارئه؛ موقناً بقدرته وجلاله على الانتصار لنبئه على الكافرين ﴿انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾: لم يكن الدعاء طلباً لنصرة النبي عليه السلام فقط، ولكن لحماية دين الله من المفسدين، فعندما يُفسدون العلاقة بين الرجل والمرأة؛ تقلّ الذرية، وتنتشر الأمراض، كما يحدث في هذه الأيام؛ مرض نقص المناعة المكتسبة الإيدز، والتهابات المجاري البولية، وإفساد التجارة، وإفساد العلاقات الأسرية.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾
(٣١)

﴿وَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التأكيد، واستكمالاً لما حدث في الماضي مع لوطٍ عليه السلام جاء دور سيدنا إبراهيم عليه السلام، ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾: أرسل الله ﷻ الملائكة إلى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: جاء رسلُ الله ﷻ على إبراهيم عليه السلام، في هيئة ضيوف؛ قام إبراهيم بضيافتهم؛ بأن جهّز لهم العجل الحنيد، فلما لم يأكلوا أوجس منهم، ولكنهم جاءوه ﴿بِالْبُشْرَى﴾: فبشروه، وقالوا سيأتيك ولدٌ من زوجك سارة، التي كانت حاضرة؛ فتعجبت. انظر [هود-٧١]، و[الحجر-٦٦] ﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿إِنَّا﴾: في الأصل هي ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿مُهْلِكُوا﴾: مدمرون ﴿أَهْلٍ﴾: سگان وأصحاب ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: قرية سدوم بسبب ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿أَهْلَهَا﴾: سكانها ﴿كَانُوا﴾: ولا يزالون ﴿ظَالِمِينَ﴾: بسبب كونهم كافرين، وبسبب ارتكاب الفاحشة، وقتل، وسرقة أموال الناس.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾
(٣٢)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام للملائكة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِيهَا لُوطًا﴾: خاف عليه؛ لأنه على ملة عمه إبراهيم عليهما السلام ﴿قَالُوا﴾: الملائكة له ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿مَنْ﴾: الذين ﴿فِيهَا﴾: من البشر ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾: حرف يُفيد العلة والسبب ﴿نُنَجِّيَنَّهُ﴾: بالتأكيد ننجي من يستحق أن ننجيه ﴿وَأَهْلَهُ﴾: حرف عطف يفيد الحال، نجاه ﴿أَهْلَهُ﴾: أولاده وبناته ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: ستكون ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: السابقين الهالكين.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٣)

﴿وَلَمَّا﴾: اسمٌ للتوكيد ﴿أَنَّ﴾: حالة تأكيد الفعل ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾: وصل الملائكة المُكلفون بقوم لوط ﴿سِيءَ﴾: توجس شرًا وضررًا ﴿بِهِمْ﴾: ساء وأحزنه مجيئهم خوفًا على الرسل؛ لأنهم جاؤوا في هيئة رجالٍ حسان الوجوه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: ضعفت قدرته عن تدبير خلاصهم ﴿وَقَالُوا﴾: الملائكة ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَخَفْ وَلَا﴾: حرف نهي هنا عن الحزن وعن الخوف ﴿تَحْزَنْ﴾: بسبب ما أخبرناك عن هلاكهم ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الملائكة بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿مُنْجُواكَ﴾: نُنقذُك من العذاب النازل بقومك ﴿وَأَهْلَكَ﴾: أيضًا نُنقذُك من هلاك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء

﴿مَرَاتِكَ﴾: باستثناء زوجتك ﴿كَانَتْ﴾: في حكم أنها ستكون ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: الهالكين المنتهين من الوجود.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣٤)

﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الملائكة بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد
﴿مُنْزِلُونَ﴾: من أعلى لأسفل، جاءت بصيغة الجمع؛ لشدة ما ستسقط حجارة من السماء أو الخسف، وغيره ﴿عَلَىٰ أَهْلِ﴾: سكان ﴿هَذِهِ﴾: حرف تنبيه وإشارة للمفرد المؤنث ﴿الْقَرْيَةِ﴾: أهل الخبائث ﴿رِجْزًا﴾: جاء الرجز بصيغة النكرة ليفيد التهويل، عذابًا شديدًا لم يعاينوه ولم يقاسوه من قبل ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: من كل ما على الأرض وأحاط بها لكونها كروية الشكل، وهي حجارة السجيل ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَفْسُقُونَ﴾: والفسق هو الخروج على المسموح به، وهم فسقوا في مجال الأخلاق؛ فاقترفوا الخبائث، وفسقوا عن الإيمان بالكفر. التكليف: لقد كانت عقوبة فاحشة الرجال هنا هي الرجم من السماء.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٥)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿تَرَكْنَا مِنْهَا﴾: أصبحت هذه القرية بعدما أصابها العذاب ﴿آيَةً﴾: برهانًا ودليلاً ﴿بَيِّنَةً﴾: واضحة ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمٍ﴾: جماعة من أصل واحد، أو مذهب واحد ﴿يَعْقِلُونَ﴾: كان عذابهم شديدًا، اقتلع جبريل عليه السلام، قُراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم، وأرسل عليهم حجارة من سجيل منضود، وهو الشيء المهضوم والمضموم إلى بعضه باتساق، وجعل الله ﷻ محلها بحيرة، خبيثة، منتنة، هي البحر الميت في فلسطين، والله أعلم.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣٦)

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾: بمعنى أرسلنا إلى قبيلة مدين، وهي منطقة قرب مدينة معان طريق الحجاز في الأردن، وسُميت القرية باسم أبو القبيلة، انظر [الأعراف-٨٥] أرسلنا إليهم ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: أحد أفرادهم، وهو النبي شعيب عليه السلام ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: نصحهم أن آمنوا بالله ﷻ وأطيعوه، واعملوا بما أمر، وانتهوا عما نهى عنه ﴿وَارْجُوا﴾: ليكن رجاءكم ﴿الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: قال ابن جرير: واخشوا يوم القيامة ﴿وَلَا﴾: حرف نهى ﴿تَعْنُوا﴾: تسعوا بجِدِّ واجتهادٍ ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: مُحَرِّبِينَ العلاقات مع الله ﷻ، وتعملون البغي، والظلم

على أهل القرية؛ بفساد المعاملات التجارية، فقد كانوا ينقصون الميزان، ويقطعون الطرق، ويسرقون ممتلكاتهم مع كفرهم.

التكليف: هذه حالة تاريخية عن الفساد الاقتصادي، الذي أساسه الكفر بالله ﷻ، كيف يدمر الناس، ويستجلب العذاب.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٣٧)

﴿ف﴾: بسبب كفرهم، وفي تتابع سريع **﴿كَذَّبُوهُ﴾**: كذب أهل مدين نبيهم شعيباً ﷺ، في أمرين: الكفر بالله ﷻ، والفساد الاقتصادي والتجاري **﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾**: لهذا السبب أصابتهم بشدة، وذهبت بهم **﴿الرَّجْفَةُ﴾**: كان من نتيجة تكذيبهم لشعيب زلزالاً عظيم؛ هدم عليهم ما فوقهم، وقلب ما تحته **﴿فَأَصْبَحُوا﴾**: صاروا **﴿فِي دَارِهِمْ﴾**: بيوتهم **﴿جَاثِمِينَ﴾**: على الأرض، جاءت الصيحة؛ فاقتلعت قلوبهم من صدورهم إلى حناجرهم؛ فهلكوا جميعاً. انظر [الأعراف-٩١]، و[هود-٩٤].

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَرِئَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣٨)

يستمر المنهج القرآني في ذكر الأمم التي كفرت، فبادت؛ ليطمئن قلب الرسول ﷺ والذين من بعده إلى يوم الدين **﴿و﴾**: أيضاً اذكر **﴿عَادًا﴾**: هم قوم هود ﷻ، الذين سكنوا الأحقاف، بالقرب من حضرموت **﴿وَتَمُودَ﴾**: أيضاً قوم صالح ﷻ، كانوا يسكنون الحجر بالقرب من وادي القرى، وكان العرب يعرفونها، ويمرون عليها؛ فجاء الحق؛ ليذكرهم بما شاهدوا **﴿وَقَدْ﴾**: تحقق في الماضي **﴿تَبَيَّنَ﴾**: ظهر واتضح **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصاً بجلاء **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية **﴿مَسَاكِنِهِمْ﴾**: شاهدتم آثار الدمار الذي أصابهم **﴿وَرِئَ﴾**: جمل وحسن **﴿لَهُمُ﴾**: تخصيصاً **﴿الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾**: القبيحة **﴿ف﴾**: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ **﴿صَدَّهُمْ﴾**: منعهم **﴿عَنِ﴾**: حرف جرّ يُفيد المجاوزة **﴿السَّبِيلِ﴾**: منهج الله ﷻ، وهو الطريق المستقيم، كان كفرهم سبب دمارهم **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾**: في كفرهم وضلالهم معجبين به ويحسبون به أنهم على هدى، فلا عذر لهم.

﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: أيضاً نُقِصُ عليك قصة **﴿قَارُونَ﴾**: صاحب الخزائن والكنوز الثقيلة، الذي بغى على قوم موسى ﷻ **﴿و﴾**: أيضاً قصة **﴿فِرْعَوْنَ﴾**: حاكم مصر **﴿وَهَامَانَ﴾**: وهو من خبراء البناء،

الذي أوقد على الطين، فجعله حجارةً صلبة؛ بنى منها القصور والبنيات الكبيرة، وكان من وزراء فرعون ﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿جَاءَهُمْ﴾: أرسل الله ﷻ ﴿مُوسَىٰ بِ﴾: حرف باء التعدد ﴿النِّيَّاتِ﴾: بالأدلة؛ اليد البيضاء، والعصا وغيرها ﴿ف﴾: بسبب ذلك كان ردهم السريع ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: اختاروا التعالي ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: رفضوا دعوة موسى ﷺ للهدى ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانُوا سَابِقِينَ﴾: لم يسلموا من عذابنا، ويفوتونا، ويهربوا مما قدرنا؛ فغرقوا.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٠)

﴿ف﴾: حرف يفيد الاستئناف ﴿كُلًّا﴾: كلُّ واحدٍ منهم ﴿أَخَذْنَا﴾: أصابناه بشدة ﴿ب﴾: حرف باء السبب ﴿ذُنُوبِهِ﴾: كلٌّ من جاء ذكرهم سابقًا كانت العقوبة بما يُناسبُ الجريمة التي اقترفها في حقِّ الله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنين ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد سرعة التنفيذ ﴿مِنْهُمْ﴾: بعضهم ﴿مَنْ﴾: الذين من البشر ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: هم قوم عاد الذين أجزموا؛ لما قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت-١٥]؛ فجاءتهم ريحٌ صرصرٌ باردةً، عاتيةٌ شديدة الهبوب، تحمل الزلط وقطع الحجارة، وتلقيها عليهم، وتقتلعهم من الأرض؛ فيطيرُ الرجلُ في الهواء؛ ثم ينزل على أم رأسه؛ فنتهشم، وهذا ما نشاهده في كلِّ عامٍ تقريبًا في أعاصيرِ تُصيب أمريكا بالذات، مثل إعصار ساندي، وإعصار كاترينا، وغيرها وهي من أقوى الأعاصير، كما أنّ وباء فيروس كورونا الذي اجتاح الكرة الأرضية في شتاء عام ٢٠٢٠م مثالٌ جديدٌ واضحٌ ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد الحال ﴿مِنْهُمْ مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿أَخَذَتْهُ﴾: ذهبت به ﴿الصَّيْحَةُ﴾: وهم ثمود الذين عقروا الناقة المعجزة، ولم يؤمنوا، وتوعدوا رسولهم صالحًا ﷻ، بضربه بالحجارة، بالرجم؛ فكان الجزء هنا من جنس النيات ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ﴾: الذي ﴿خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: وهو قارون الذي تعاضم على غيره، وطغى، وبغى فأطبقت عليه الأرض ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَغْرَقْنَا﴾: وهم فرعون، وهامان وجنودهما؛ غرقوا كلُّهم في وقتٍ واحدٍ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ اللَّهُ لِي﴾: حرف تخصيص ﴿يَظْلِمَهُمْ﴾: لم يُصب الله ﷻ قومًا من هؤلاء وغيرهم إلا بما يستحقون؛ فالله ﷻ لا يظلمُ متقال ذرةٍ ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك ﴿كَانُوا﴾: في حياتهم الدنيا ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: إنّما نالوا جزء ما عملوا لاستمرارهم على الكفر، وتكذيبهم الرسل.

التكليف: من الحقائق الثابتة والمستمرة أنّ المجرمين لا يتوقعون حجم العقاب الذي سينزل بهم بسبب جرائمهم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْنًا وَابْنَ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِثَتْ
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١)

﴿مَثَلُ﴾: إنَّ حال وصفات ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿اتَّخَذُوا﴾: ناصرُوا وأحبُّوا
﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الولي" هنا بمعنى الإله كما في قوله ﷺ
﴿مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية-١٠] هم الذين أحبوا، وناصروا، وأيدوا، وتقربوا لغير الله ﷻ، يستقون
بهم ﴿ك﴾: حرف تشبيهه ﴿مَثَلِ﴾: حال ﴿الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْنًا﴾: مثل الكافرين في عبادتهم
للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتًا ضعيف النسيج، قابلاً بسهولة للاختراق والزوال بنفخة ريح،
مثلهم في هذا كمثل الذين يهتمون بخيوط العنكبوت، الضعيفة، الخفيفة التي لا تساعد، ولا
تسند ﴿وَابْنَ﴾: بالتأكيد ﴿أَوْهَنَ﴾: أضعف ﴿الْبُيُوتِ﴾: المساكن ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿بَيْنَتْ﴾:
مسكن ﴿الْعَنْكَبُوتِ لَوْ﴾: يفيد الاستحالة ﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو أدركوا أنَّ كلَّ ما دون الله ﷻ
ضعيف ما اتخذوهم أولياء، يطلبون منهم العون والمساعدة، فهم لا ينفعونهم ولا يضرّونهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤٢)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿يَدْعُونَ﴾: جاء اللفظ القرآني
الدعاء هنا بمعنى العبادة. انظر [البقرة-٢٣] ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ، وهي ما اتخذوه آلهة،
وسندًا، وعونًا بدلًا من الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية
﴿شَيْءٍ﴾: لا يُجدي نفعًا ولا يعين بشيء، لو علم هؤلاء الحقيقة ما اتخذوهم ﴿وَهُوَ﴾: الله ﷻ
﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي في انتقامه ممن كفر به، المنيع الذي لا يُغالبه أحدٌ ولا يُعجزه شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾:
هو الله ﷻ القوي العزيز الحكيم في أفعاله وأقواله.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُصْرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣)

﴿وَتِلْكَ﴾: إشارة للبعيد المؤنث ﴿الْأَمْثَالِ﴾: هذه الأمثلة، مثل بيت العنكبوت ﴿نُصْرِبِهَا﴾:
نسوقها، ونقولها ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿النَّاسِ﴾: ونوضّحها، ونشرحها ﴿وَمَا﴾: حرف نفي
﴿يَعْقِلُهَا﴾: يفهمها، ويتدبرها؛ على الوجه المطلوب ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الْعَالِمُونَ﴾:
الراسخون في العلم، قال عمرو بن قرّة: ما مررتُ بآيةٍ من كتابِ الله لا أعرفها إلا أحزنتني لأني
سمعت الله ﷻ يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُصْرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أخرج ابن أبي
حاتم.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٤)

﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿اللَّهُ السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿الأَرْضِ﴾: هذا الخلق العظيم؛ جاء ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الحَقِّ﴾: بالعدل والحق وليس عبثاً؛ ولكن جاء في المعنى: ﴿لِنَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه-١٥] ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿لآيَةً﴾: دليل وبرهان ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: إن في خلقه لدلالة عظيمة على قدرته ﷻ، وتفرد به بالألوهية، وخصّ المؤمنين لأنهم الذين ينفعون الناس، دليلاً واضحاً أن الله ﷻ هو الواحد، الأحد، المدبر، والمُسِيرُ لا شريك له.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥)

﴿اتْلُ﴾: اقرأ ﴿مَا﴾: الذي ﴿أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: وصلك من الملك جبريل وحياً ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْكِتَابِ﴾: القرآن الكريم ﴿و﴾: أيضاً ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: ثم أد الصلاة على الوجه الصحيح واتل ما أنزل إليك من هذا القرآن ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الصَّلَاةَ تَنْهَى﴾: فالصلاة الصحيحة تأمر بالابتعاد ﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة، هما رذيلتان: ﴿الْفَحْشَاءِ﴾: الفحش في القول، والعمل، والوقوع في المعاصي والمحرّمات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: «سَيِّئُهَا مَا تَقُولُ»^(١)، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: ما أمر الله ﷻ بتركه من فحش القول والعمل ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿ذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: قال عبد الله بن ربيعة: التسبيح، والتحميد، والتكبير في الصلاة، وقراءة القرآن، وغير ذلك، وقال ابن عباس، وابن جرير: إنّما ذكر الله أكبر تعني: ذكر الله إياكم عند ما أمر به، أو نهى عنه؛ إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْكَأهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْثَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى» قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٢)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿تَصْنَعُونَ﴾: يحيط علماً بكل فعل يفعله الخلق.

التكليف: إن الصلاة تؤدي إلى الخلق القويم.

(١) صحيح ابن حبان ٣٠٠/٦ (٢٥٦٠). قال الأرنؤوط: إسناده قوي، رجاله ثقات.

(٢) سنن الترمذي ٤٥٩/٥ (٣٣٧٧) قال الألباني: صحيح. والحديث صححه الحاكم في المستدرک ٤٩٦/١ (١٨٢٥).

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ
إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُنَّ وَوَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦)

حكم الآية: قال قتادة وآخرون: آية منسوخة بآية السيف، لا مجادلة مع الكفار، إنما الإسلام، أو الجزية، أو السيف، وقال ابن جرير: هي باقية محكمة لمن أراد من الكفار الاستبصار، فتكون المجادلة بالتي هي أحسن؛ أي أفضل، وطالما في الآيتين مُتسع؛ فلا بأس أن تُقدَّر الحالة بقدرها؛ والله أعلم ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إلا﴾: حرف نهي ﴿تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: لا تناقشوهم في أمور يخالفونكم فيها في العقيدة ﴿إلا﴾: حرف استثناء في حال: ظروف ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿التي﴾: في الوسيلة والطريقة ﴿هي أحسن﴾: بالأسلوب الحسن وبالْحُجَّة، والبرهان، والدليل العملي إن وُجد ﴿إلا﴾: استثناء من هذا الجدل ﴿الذين﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: الذين حادوا عن وجه الحق؛ فعموا عن الحقائق، وعاندوا، والأخطر إذا اعتدوا؛ هنا وجب القتال، قال مجاهد: أهل الحرب، والممتنعين عن أداء الجزية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمَدْرَسِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ»، ثُمَّ قَالَهَا الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِبِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِيعْهُ، وَإِلَّا فَاغْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١)، ﴿وقولوا﴾: أمر رباني بالقول صراحة ﴿آمنَّا﴾: اطمأنت قلوبنا وصدقنا ﴿ب﴾: حرف باء التعددية ﴿الذي﴾: اسم موصول بالمفرد ﴿أنزل إلينا﴾: وهو القرآن الكريم ﴿و﴾: أيضًا آمنًا وصدقنا بما ﴿أنزل إلينا﴾: التوراة، والإنجيل، ولكن إذا قالوا بما لا نعلم لا نصدق؛ فقد يكون كذبًا، وأيضًا لا نُكذِّبه؛ فقد يكون صحيحًا، أو يكون قولنا: كما أننا نؤمن بجنس الكتاب الذي أنزل عليكم، التوراة، والإنجيل قبل تحريفهما، وليس التفاصيل التي حرفتموها ﴿واللهنا﴾: الذي نعبده ﴿واللهنم﴾: معبودكم ﴿واحد﴾: هو الله ﷻ لا شريك له

(١) صحيح البخاري ١٠٧/٩ (٧٣٤٨).

في الألوهية ولا في الربوبية ولا في أسمائه ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿مُسْلِمُونَ﴾: خاضعون ومؤمنون ومستسلمون، وإلا هنا وإلهم واحد لا شريك له في الألوهية ولا في أسمائه ولا في الربوبية.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٤٧)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما أنزلنا من قبل ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: الحديث إلى محمد ﷺ وأتباعه؛ كما أنزلنا الكتب على من سبقك؛ أنزلنا عليك القرآن ﴿فَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: وهبناهم ﴿الْكِتَابَ﴾: جنس الكتاب من الله ﷻ للناس ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: إذا تلوه حق تلاوته؛ يُصدقون، ومن هؤلاء الأبحار، والعلماء، والأدكياء مثل عبد الله بن سلام، وسليمان الفارسي، وغيرهم ﴿وَمِنْ﴾: بعض ﴿هَؤُلَاءِ﴾: العرب من قريش، وغيرهم ﴿مَنْ﴾: الذين من البشر ﴿يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَجْحَدُ﴾: يُنكِرُ ويكفُر ﴿بِ﴾: باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: البراهين القاطعة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الْكَافِرُونَ﴾: الذين يُكذِّبون، ويسترون، ويخفون الحقائق بالباطل؛ فالكفر هو التغطية.

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابِ الْمُنْبَطُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كُنْتَ﴾: في السابق حاضرًا ﴿تَتْلُو﴾: لم تكن تقرأ وما كنت تقول ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾: من قبل أن يُنزل عليك القرآن الكريم ﴿و﴾: أيضًا ما كنت يا محمد تقرأ قبل نزول القرآن كتابًا، ولا تقدر على ذلك ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَخُطُّهُ﴾: ولم تكتبه بالقلم ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿بِيَمِينِكَ﴾: تأكيد على أن الرسول ﷺ كان أميًا لا يكتب ولا يقرأ، وقومُه يعرفون ذلك، وبعد نزول القرآن بقي الرسول ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وحوله من يكتب له الوحي والسنة ﴿إِذَا﴾: حرف جوابٍ وجزاءٍ ﴿ل﴾: حرف سببٍ وعلّةٍ ﴿أَزْتَابِ﴾: لو كنت ممن يقرأ ويكتب لقالوا لعلّه وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة شكك في صدقك ﴿الْمُنْبَطُونَ﴾: المرتابون.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٤٩)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، يعني هنا القرآن الكريم ﴿آيَاتٌ﴾: أدلّة وبراهين ﴿بَيِّنَاتٌ﴾: واضحة الدلالة على صدق دعوة محمد ﷺ، ﴿فِي صُدُورِ﴾: قلوب البشر، التي هي مراكز الوعي والإدراك التي في الصدور ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿أُوتُوا﴾: منحهم ووهبهم الله ﷻ العلم

﴿الْعَلَمُ﴾: يعقله العلماء، ويحفظونه، ويتلونه، ويفسرونه، جاء في المعنى: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر-١٧] ﴿وَمَا﴾: حرف نفي أي لا ﴿يَجْحَدُ﴾: ما يكذب، وينكر، ويحط من قدر ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: آيات الله ﷻ الذالة على صدق الرسول ﷺ ﴿الْإِلَا﴾: حرف استثناء ﴿الظَّالِمُونَ﴾: المعتدون، المنكرون.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠)
يُوضِّحُ الحق ﷻ وسائل المشركين في التهرب من التصديق ﴿و﴾: عطفًا على ما تقدم ﴿قَالُوا﴾: صرَّحوا علنًا تعنتًا، وتعجيزًا، وعنادًا ﴿لَوْلَا﴾: بمعنى هلا، حرف شرط يفيد هنا امتناع نزول الآيات لوجود الظالمين ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد ﷺ ﴿آيَاتُ﴾: الأدلَّة والبراهين المحسوسة المرئية والمحسوسة ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيدُ ومالك أمره كلُّه، مثل ناقة صالح ﷻ ﴿قُلْ إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ مُركبةٌ تُفيدُ التوكيد ﴿الْآيَاتُ عِنْدَ﴾: تعيدُ زمانَ ومكانَ، قل إن أمر هذه الآيات لله ﷻ إن شاء أنزلها وإن شاء منعها ﴿اللَّهُ﴾: يُرشدُ الحق ﷻ رسوله ﷺ ماذا يقول لهم: لو علم الله ﷻ أنكم ستتهتون؛ لأجابكم على طلبكم؛ فهو يسير، ولكنه يعلم نياتكم؛ أنتم تتعنتون ﴿وَإِنَّمَا﴾: تحديدًا مهمتي ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾: إن دوري ومهمتي إنذاركم وتحذيركم ﴿مُبِينٌ﴾: بكلِّ وضوح.

﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥١)

﴿أَوْلَمْ﴾: اسمٌ مُركَّبٌ يُفيدُ استفهامةً واستتكارًا ﴿يَكْفِهِمْ﴾: ألا يكتفون ﴿أَنَا﴾: الله ﷻ ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: أولم يكف هؤلاء المشركين أن أنزل الله ﷻ القرآن الكريم، فيه خبرٌ ما قبلهم، ونبأٌ ما بعدهم، وحكمٌ ما بينهم ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: يُقرأ بوضوح ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في القرآن الكريم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿رَحْمَةً﴾: حين يُحقُّ الحقُّ ويُبطلُ الباطل ﴿وَذِكْرَى﴾: تذكير للعبرة ﴿لِقَوْمٍ﴾: تخصيصًا جماعةً لأصحابِ عقيدةٍ واحدةٍ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: ومن بركات القرآن الكريم أنه يُذكِّرُ بمصير الأمم التي كذبت، مثل قوم لوط، وقوم نوح، وثمود، وقوم فرعون؛ إن التذكير يأتي من باب الرحمة.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٥٢)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿كَفَى﴾: يكفيني ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾: على صدقي أنني رسوله أن يُخبرني ربي ما تفيضون فيه من التكذيب، ولو كذبت على الله ﷻ لانتمق مني؛ هو ﷻ شاهدٌ على صدقي في التبليغ أنه ﷻ ﴿يَعْلَمُ﴾: علم اليقين ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: في كلِّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا يعلم ما في ﴿الْأَرْضِ﴾: لأنه لا تغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية، ﷻ ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد أيضًا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿الْبَاطِلِ﴾: بكلِّ ما يُعبد من دون الله ﷻ ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾: الذين أنكروا وغطَّوا حقيقة الإيمان، والإسلام، والقرآن، والثواب، والعقاب ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة هنا للبعيد ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: يفيد القصر عليهم لا على غيرهم؛ لأنهم البعيدون عن الهداية مصيرهم الخسارة الكبرى يوم القيامة، سيحصلون ما زرعوا بعبادتهم الطواغيت، وقد يخسرون أيضًا في الدنيا كما خسرت الأقوام التي حلَّ بها غضب الله ﷻ.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٣)

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: من ثمرات غباء المشركين؛ طلب التعجيل بعذاب الله ﷻ لهم؛ لأنَّ الذين استعجلوه ﴿بِالْعَذَابِ﴾: في الأمم السابقة جاءهم، ولأنهم لا يعرفون أنَّ قدرة الله ﷻ لا يحدها شيء ﴿وَلَوْلَا﴾: حرف يفيد هنا امتناع مجيء ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: جعله الله ﷻ لعذابهم يوم القيامة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿جَاءَهُمْ﴾: حلَّ بهم ﴿الْعَذَابُ﴾: الذي يستحقون بذنوبهم ولكنَّ الله ﷻ هو الذي أجلَّ العذاب إلى يوم القيامة ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿ل﴾: بالتأكيد ﴿يَأْتِيَنَّهُمْ﴾: يحلُّ بهم ﴿بَغْتَةً﴾: هو آت فجأة ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: إنَّ هذا العذاب سيأتيهم على غفلةٍ منهم دون مقدمات.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٥٤)

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: يطلبون التعجيل في الحدث الجلل بهم ﴿بِ﴾: حرف باء المجاوزة ﴿الْعَذَابِ﴾: يطلبون الإسراع في نزول العذاب تحديدًا وتكزيبًا ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿جَهَنَّمَ ل﴾: حرف علَّةٍ وسببٍ ﴿مُحِيطَةٌ﴾: تُطوقهم النَّارُ ويُطوقهم العذاب، هو واقعٌ لا محالة، تحيط بهم جهنم ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿الْكَافِرِينَ﴾: من كلِّ الوجوه.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ دُوَّفُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٥)

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾: يوم يحلُّ عليهم غضب الله ﷻ يأتيهم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿فَوْقِهِمْ﴾: ومثال ذلك هذه الصواعق التي تأتي من فوق

الأرض ﴿و﴾: أيضًا تأتي ﴿مِنْ نَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: كالزلازل، والبراكين، والفيضانات، والحرائق ﴿وَيَقُولُ﴾: الله ﴿ذُوقُوا﴾: وأصلها بوجود قليل من الطعام في الفم لمعرفة الطعم، هنا بمعنى أصلوا وعانوا وقاسوا قليلاً من عقاب ﴿مَا﴾: الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: ذوقوا عذاب جهنم جزاء ما قدّمتم في الدنيا يوم القيامة، ستسمعون التقرّيع والتوبيخ؛ هذه النار من كل جانب.

التكليف: جاء في الآيات الأخيرة تكرر استعجال الكفار للعذاب، وقد جاء ذكر العذاب لإرهابهم، وتخويفهم، وتشنيع حال المشركين.

﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦)

﴿يَا﴾: نداءً للقريب والبعيد ﴿عِبَادِي﴾: نسب الله ﷻ المؤمنين بعباده؛ لتشريفهم؛ وتكريمهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: وكلمةُ العباد تعني المؤمنين، وقد اتبعها الله ﷻ بالذين آمنوا لمجرد وصفهم بهذا الوصف الكبير وليس للتمييز، دعوة ربّانية خصّ بها عباده الذين آمنوا به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، والجنّة، والنار؛ دعوةً إلى الهجرة إذا ضاقت عليهم الدنيا، وتهدد وجودهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿أَرْضِي﴾: إن ضاقت عليكم مكة في إظهار إيمانكم والعمل بدين الله ﷻ فلا تضيقوا على أنفسكم فإن بلاد الله واسعة فاذهبوا إليها وغادروا أماكن الضيق والاضطهاد لتنتيسر لكم عبادتي، وتظهروا شعائر دينكم في الكرة الأرضية بما عليها وما فيها ﴿وَاسِعَةٌ﴾: التي تبلغ مساحتها (٥١٠) ملايين كيلومتر مربعًا، جاء اللفظ القرآني الأرض على سبعة أوجه هنا بمعنى أرض المدينة كما في قوله ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء-٩٧]، وفي قوله ﷻ ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر-١٠]، وفي قوله أيضًا ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة-٣٣]؛ قال ﷻ ما معناه ابحثوا عن الأرض الآمنة، وأنا أتكفل بحفظ ديني، بحفظكم ﴿ف﴾: لهذا السبب، وكجوابٍ للشرط تفيد التعقيب والتتابع، إن أرضي واسعة إن لم تستطيعوا إخلاص العبادة لي في أرضٍ؛ فأخلصوا العبادة في غيرها ﴿إِيَّايَ﴾: الله تحديدًا

﴿فَاعْبُدُونِ﴾: أمرهم جلّ في علاه بالطاعة، والعبادة في أول الآية، وآخرها؛ دلالة على إيمان المهاجرين في سبيله، هذه رابطة بين الإيمان والطاعة.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٧)

في معرض الأمر في الآية السابقة، الدعوة إلى الهجرة إلى بلاد آمنة والحديث عن الموت جاء ﴿كُلُّ﴾: تعني جميع ﴿نَفْسٍ﴾: جوهر الإنسان ﴿ذَائِقَةُ﴾: تُعَاسِي وتُعَانِي سكرات ﴿الْمَوْتِ﴾: ما من مخلوق إلّا ويموت ﴿ثُمَّ﴾: بتتابع الزمن مع التراخي، وليس فوراً ﴿إِلَيْنَا﴾: إلى الله ﷻ ﴿تُرْجَعُونَ﴾: تموتون، وتعرضون جميعاً يوم القيامة على الله ﷻ؛ فكونوا في طاعته في بلادكم، أو في مهجركم، والعمل للرجعة الكبرى إلى الله ﷻ؛ حيث الثواب للمؤمن، والعقاب للكافر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٥٨)

﴿و﴾: عطفاً على رجوعكم لله ﷻ فإن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بالله ربّاً ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ما أمر الله ﷻ بعمله ﴿ل﴾: بالتأكيد ﴿نُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: لننزلهم من الجنة غرفاً عالية، نجعل لهم مساكن ومقامات ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وبداية الغاية المكانية ﴿الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: في الجنة في منازل عالية ﴿تَجْرِي﴾: تسير بلا انقطاع أو توقف ﴿مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: يدلّ ذلك على علو مكانتهم؛ إضافة إلى المنظر الجميل؛ فيها ماءٌ، وخبزٌ، وعسلٌ، ولبنٌ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: إقامتهم دائمة، غير منقطعة ﴿نِعْمَ﴾: مدح ﴿أَجْرُ﴾: ثواب ﴿الْعَامِلِينَ﴾: نعم الجزاء هذه الغرف، هي أفضل أجرٍ للمؤمنين.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٥٩)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿صَبَرُوا﴾: هذه الغرف للذين صبروا على الطاعات، وصبروا على إيذاء الكافرين لهم، والذين هاجروا في سبيله، وقاتلوا أعداء الله ﷻ، وفارقوا من يحبون، وغيره من صنوف عذابٍ في سبيل الله ﷻ، قال ﷺ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ^(١) ﴿و﴾: عطفاً على إيمانهم ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: هو المعبود، والمُربِّي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمرهم

(١) سنن الترمذي ٣٥٤/٤ (١٩٨٤)، قال الألباني: حسن.

كَلَهُ **﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾**: يعتمدون بيقينٍ ثابتٍ على الله ﷻ في كلِّ أحوالهم مع العمل، ومنها هجرتهم، فقد أثبت التاريخ أنهم أخذوا النَّاسَ إلى الإسلام، فأصبحوا حكام البلاد.

﴿وَكَايُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما جاء **﴿كَايُنَ﴾**: اسمٌ مركَّبٌ من كافٍ التشبيه وأيّ المنونة يُفيد الكثرة العددية **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٌّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ وتمييزٍ للنوع **﴿دَابَّةٍ﴾**: كلُّ ما يدبُّ على الأرض، كالإنس، والحيوان، وغيرهم **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾**: لا تطيق ولا تقدر على جمع رزقها، ولا تدخر منه للغد شيئاً **﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾**: يوفر لها رزقها الذي قدره لها **﴿وَإِيَّاكُمْ﴾**: وأيضاً رزقكم أنتم مثلها كذلك **﴿وَهُوَ﴾**: ﷻ **﴿السَّمِيعُ﴾**: الذي يسمع نجوى كلِّ مشتكٍ، وكلِّ مُستغيثٍ، ويستجيب، لا يغيب عنه شيءٌ في الأرض ولا في السماء **﴿الْعَلِيمُ﴾**: صاحب العلم المطلق الذي يعلم حركاتهم وسكناتهم.

﴿وَلئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١)

﴿وَلئن﴾: أيضاً هنا شرط **﴿سَأَلْتَهُمْ﴾**: إذا سألت **﴿هُمْ﴾**: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص، السؤال للكفار المشركين من أهل مكة وأمثالهم **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿خَلَقَ﴾**: أوجد الخلق من غير سابق وجود **﴿السَّمَاوَاتِ﴾**: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل **﴿وَالْأَرْضِ﴾**: أيضاً من خلق الأرض سيقولون الله **﴿وَسَخَّرَ﴾**: حدّد لها دورها دائماً **﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾**: ولئن سألتهم من سخّر الشمس والقمر يجريان في الدورات اليومية والشهرية بالدفء والضياء **﴿لَيَقُولُنَّ﴾**: حرف اللام لعلّةٍ وسببٍ ويكلّ تأكيد **﴿اللَّهُ﴾**: لقد اعترفوا لله ﷻ بالخلق، واعترفوا أنّه إلهٌ كلُّ شيءٍ، وأقروا بمقام الألوهية، ولكن لم يعترفوا بالربوبية **﴿فَأَنَّى﴾**: حرف استفهامٍ أفاد الاستبعاد بمعنى كيف ولأي سبب **﴿يُؤْفَكُونَ﴾**: يُصرفون عن توحيده ﷻ بعد إقرارهم بذلك الحق.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٢)

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ﴾: يُوسّع **﴿الرِّزْقَ﴾**: يزيدُ من رزق الدنيا **﴿لِ﴾**: حرف تخصيص وتمليك **﴿مَنْ﴾**: جنس العاقل **﴿يَشَاءُ﴾**: يريد **﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾**: ولحكمةٍ يعلمها ﷻ **﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾**: لامتحانٍ وابتلاءٍ بعض النَّاسِ، وهو الذي يُقدّر الأجل، كما يُقدّر الرزق، فمنهم الغنيُّ، ومنهم الفقير، وهو أعلم بمن يستحق في كلِّ الأحوال، وهذا ما تؤكدُه الكلمة الربانية الآتية **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي

الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد عموم الأشياء ﴿عَلِيمٌ﴾: لا يغيّب عنه علم أيّ مخلوقٍ في الأرض أو في السماء. ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦٣)

﴿وَلَيْنَ﴾: حرف شرط ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: المشركين ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿نَزَّلَ مِنْ﴾: حرف تأكيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: من فوقكم ﴿مَاءً﴾: وهو الغيث أو المطر، هذه القضايا في غاية الإبداع؛ لأنّ العلوم الحديثة؛ تكشف أسرارها؛ فالنظرة إليها ليست نزول الماء من السماء؛ بل هنا تبرز قضية خلق الله ﷻ البحار، والمحيطات، بهذا التوزيع البديع على الأرض، ثم سقوط أشعة الشمس على سطح الماء، يبرز قيمة خلق الشمس أمام علماء الفلك، بروعة الإبداع في التكوين والوظيفة، يتبخّر الماء، ويتكوّن السحاب، ثم تسخير الرياح لتسير به إلى حيث شاء وقدر ﷻ ﴿ف﴾: حرف سبب استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ، بسبب ذلك يسقط المطر على الأرض ﴿أَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: من بعد جفافها هنا تأتي قضية خلق الأشجار، كيف تأخذ البذرة ماء الأرض، وتزداد نموًا، وتكاثرًا، أسرع من نمو السرطان، فتمتص الماء، وتمتص مواد الأرض الذائبة اللازمة؛ لتصبح شجرةً أو نبتةً، وتتجه السيقان لأعلى، وتتجه الجذور لأسفل، وإن أردت أن تغير ذلك لا يستجيب النبات، وإذا سألت المشركين عن صاحب علم النبات ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَقُولَنَّ اللَّهُ﴾: هنا يستشعر المؤمن بقناعة ضرورة حمد الله وشكره؛ فنقول كما أمر الله ﷻ ﴿قُلِ﴾: حرف أمر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أمّا المسلم فيزيد، ويقول: الحمدُ، والشكرُ، والثناءُ، والرجاءُ، والوفاءُ؛ لله ﷻ ربّ العالمين، الذي أظهر حجّته عليهم ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: الأغلبية والأكثرية ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: وأمّا أغلبية الكافرين والمُلحدّين الذين يُعطلون عقولهم وتفكيرهم؛ متعمدين، فيقولون قوانين الطبيعة، وإذا سألتهم من وضع قوانين الطبيعة؟ فلا إجابة.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٤) ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هَذِهِ﴾: إشارة للمفرد الغائب المؤنث ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا﴾: استثناء ﴿لَهُوٌّ﴾: تفيد اللعب والتسلية، ومضيعةً للجهد والوقت بلا فائدة ﴿وَلَعِبٌ﴾: هذا يفيد تهوين وتحقير للدنيا التي لا تزن عند الله ﷻ جناح بعوضة، الذي خلقها يصفها بأنّها لهو القلوب؛ تلهي عن الحقائق، ولعب لا يلبث إلّا أن ينتهي إذا ما قورنت بالآخرة ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الدَّارِ﴾: اسم يدلُّ على الإقامة الدائمة ﴿الْآخِرَةِ﴾: الآخر يقابل به الأول، وآخر يقابل به الواحد، ويعبَّرُ بالدار الآخرة عن النشأة الثانية، كما يُعبَّر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى؛ أي بعد يوم القيامة في الجنَّة ﴿لَهُي الْحَيَاةُ﴾: هي مصدر الحياة الحقيقية، الحياة الدائمة التي لا تزول، ولا تنقضي؛ مستمرة إلى الأبد ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: لو علموا هذه الحقائق؛ لفضّلوا الآخرة على الدنيا.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾
(٦٥)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب والسرعة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَكِبُوا فِي الْفُلِّ﴾: إذا ركب الإنسان البحر في سفينة صغيرة أو كبيرة فلا يملك أحدٌ نجاتها؛ فقد غرقت أضخم السفن تيتانك ﴿دَعَا﴾: طلبوا وتوسلوا من ﴿اللَّهُ مُخْلِصِينَ﴾: النيات ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ تخصيصاً ﴿الدِّينَ﴾: الطاعة والعبادة إذا أصاب الركب الخطر؛ أدرك أصحاب العقول أنه لا نجاة لهم إلا بالله؛ فيسألونه مخلصين بإيمان أن يُنجيهم؛ فهو ﷻ المنجّي فقط ﴿فَلَمَّا﴾: حرف عطف يفيد خبراً ﴿نَجَّاهُمْ﴾: أنقذهم ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾: زالت عنهم الشدة كان للمجرمين الكافرين موقفٌ آخر؛ فعندما خرجوا سالمين؛ عادوا إلى شركهم وقالوا: كانت لدينا مهارة الرُّبان، وعبقرية الصانع للمركب، والتحكم في القيادة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿يُشْرِكُونَ﴾: يُشركون مع عبادة الله ﷻ غيره.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٦٦)

﴿ل﴾: حرف لام العاقبة ﴿يَكْفُرُوا﴾: يُغطوا وينكروا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: وهبهم وأعطاهم الله ﷻ من نعمه ليغطوا حقيقة سبب النجاة، واللام للكافرين هي لام العاقبة؛ لأنهم لا يقصدون ذلك، أما في تقدير الله ﷻ فهي لام التعليل مثل قوله ﷻ: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرْنَا﴾ [القصص-٨] ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يَتَمَتَّعُوا﴾: يتنعموا بنعم الله على الوجه الذي لا يرضي ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿سَوْفَ﴾: يتوعددهم الله ﷻ بعلمٍ في المستقبل ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يدركون عاقبة كفرهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٦٧)

﴿أَوْلَم﴾: اسمٌ يفيد الاستفهام والاستنكار ﴿يَرَوْا﴾: يقول الحق ﷻ ممتناً؛ ألا يُشاهد أهل قريش ﴿أَنَا﴾: الله ﷻ ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾: جعل الله ﷻ البيت العتيق، الحرم الآمن، للمقيم فيه والمسافر، من دخله كان آمناً، وهذا أمرٌ عظيمٌ في عهد النهب، والسلب، والقتل لأقلِّ الأسباب ﴿وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿حَوْلِهِمْ﴾: المنطقة تموج بالقتل والخطف ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض التعجب والتقريع ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿الْبَاطِل﴾: بالشرك والكفر ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون ﴿وَب﴾: بآء السببية ﴿نِعْمَةً﴾: كرم ورزق ﴿اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾: ينكرون ويعادون محمداً ﷺ وقد غطوا حقيقة نبوته، وأخرجوه من أرضه، وقتلوه؛ ففتح الله ﷻ له مكة، وأذلَّ كفارها وكبراءها.

التكليف: عندما يصير الكافر في سلامة وعافية مما صار في غيره فإنهم في كلِّ حين تطوَّقهم الغارات، ويحتاج أموالهم وممتلكاتهم الغزاة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٦٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق، هنا سؤال ﴿مَنْ﴾: استفهام تقريرى عن المخلوق العاقل ﴿أَظْلَمُ﴾: لا يوجد أظلم من هذه الأنواع ﴿مِمَّنِ﴾: من الذي ﴿افْتَرَى﴾: اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: هذا الذي كذب على الله ﷻ؛ فقال أوحى إليه كذباً ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين ﴿كَذَّبَ بِ﴾: حرف بآء المصاحبة ﴿الْحَقِّ لَمَّا﴾: يُفيدُ حدث في الماضي ﴿جَاءَهُ﴾: وهو الطراز الثاني من المكذِّبين؛ الذين أنكروا بعثة محمد ﷺ، وكفروا بدعوته، وغطوا براهين رسالته؛ فالأول مُفترٍ على الله ﷻ، والثاني مُكذِّب ﴿أَلَيْسَ﴾: استفهام للتقرير والتوكيد ﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مسكنهم، ومأواهم في جهنم ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾: هذا تخصيص مصير النوعين؛ أي يوجد في جهنم بالتأكيد مقامٌ دائمٌ يثوي إليه المُفترى، والمُكذِّب؛ خالدين فيها إلى ما شاء الله ﷻ.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿جَاهَدُوا﴾: جاء اللفظ القرآني "الجهاد" هنا بمعنى العمل. انظر [العنكبوت-٦] ﴿فِينَا﴾: جاء اللفظ القرآن "فِينَا" هنا بمعنى لنا، كما في قوله ﷻ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج-٧٨]، وهو الطراز الثالث؛ وهم رسول الله ﷻ وصحابته وأتباعه

من المؤمنين به إلى يوم الدين، الذين جاهدوا لنصرة دينه، وحمایته، ونشر رسالته، والتضحية بالنفس والمال والولد، في سبيل الله؛ في كلِّ مكانٍ، وكلِّ زمانٍ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿هُدِيَّتُهُمْ﴾: بصيغة الجمع للتعظيم والتأكيد ﴿سُبُلَنَا﴾: نُعلمهم ونُدُلُّهم على طرقنا، ووسائنا؛ التي يحققون فيها غايتهم في الدنيا، ويفوزون بالآخرة ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿اللَّهُ نَمَعٌ﴾: والمعيةُ هي الإعانة والنصرة والتسديد ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين يُحسنون إلى من أساء إليهم، ولمن أحسنوا إليهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَزْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارَ»^(١).

التكليف: بدراسة مقاصد السورة الكريمة؛ ندرك أهمية الثبات على العقيدة، والصبر على الابتلاء، واليقين بحسن العاقبة.



سُميت بهذا الاسم في عهد النبي محمد ﷺ ووجه التسمية لأنه ورد ذكر الروم في هذه السورة، ولم يرد في غيرها من القرآن، وهي سورة مكية كلها بالاتفاق وهي السورة الرابعة والثمانون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الانشقاق وقبل سورة العنكبوت وعدد آياتها (٦٠) آية عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الم﴾ (١)

اعتماداً على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين ﴿ال﴾: وعطفاً على ما سبق في سور البقرة، وآل عمران، وغيرها فإنِّي أرى، والله أعلم، أنها تعني اسم الله ﷻ، وجاء هنا ما يعزز هذا في الآية (٤) ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾، وجاء في الآية (٥) ﴿يَبْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿م﴾: أراها، والله أعلم، تعني اسم محمد ﷺ، فقد جاء في الآية (٤) ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، هم المؤمنون لمحمد ﷺ؛ لأنها تفيد المستقبل، وجاء في الآية (٨) ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾، وهم قوم محمد ﷺ، وجاء في الآية (٩) ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾، وكلها في جماعة المشركين في عهد محمد ﷺ.

(١) صحيح البخاري ٦٢/٧ (٥٣٥٣).

﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ (٢)

﴿غَلِبَتِ﴾: لم يأت هُزمت الروم؛ لأنها ليست انتصارًا أبدًا ﴿الرُّومُ﴾: هزم الفرس الرومان. أسباب النزول: قال المفسرون بعث كسرى جيشًا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يسمى شهريان، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم، فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زيتونهم، وكان قيصر قد بعث رجلاً يدعى "يحنس" فالتقى مع شهريان بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب، فغلب فارس الروم، وبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه بمكة، فشق ذلك عليهم، وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح كفار مكة وشمتموا، فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله ﷻ - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض... إلى آخر الآيات. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: " لَمَّا كَانَ يَوْمٌ بَدُرَ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ، فَنَزَلَتْ ﴿الْمُغَلِبَاتِ الرُّومُ﴾ [الروم-٢] -إلى قَوْلِهِ- ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم-٤] قَالَ: "فَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ" (١).

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (٣)

﴿فِي أَدْنَى﴾: هذا وصفٌ للمكان أقرب مكانٍ ﴿الْأَرْضِ﴾ وهي أرض الشام، بين الأردن وفلسطين، وهو مكانٌ منخفضٌ عن سطح البحر ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ رفعٌ للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص، الرومان ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِ غَلِبِهِمْ﴾: من بعد هزيمتهم ﴿س﴾: حرفٌ يفيد تأكيد الفعل في المستقبل ﴿يَغْلِبُونَ﴾: سيهزمون الفرس، وينتصرون.

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤)

﴿فِي بَضْعِ﴾: من ثلاث إلى تسع ﴿سِنِينَ﴾: سنوات في لغة العرب، وقد اختلفت الروايات متى؟ قيل يوم بدر، وقيل في عام الحديبية ﴿لِلَّهِ﴾: قصرٌ على الله ﷻ تخصيصًا وتمليًا: ﴿الْأَمْرُ﴾: أنَّ الأمر كله لله وحده، لا يُشاركه فيه أحدٌ ﴿مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾: ما حدث للروم ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كلمة مركبة من "يوم وإذ" معناها في ذلك الوقت، ويظهر فيه ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: ما فائدة فرح المؤمنين بانتصار الروم على الفرس؟ عَنْ نَيْارِ بْنِ مُكْرَمٍ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الْمُغَلِبَاتِ الرُّومِ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ

(١) سنن الترمذي ١٨٩/٥ (٢٩٣٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

سِنِينَ ﴿ فَكَانَتْ فَارِسُ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فَكَانَتْ فُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلَا إِيمَانٍ بِبِعْتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ، حَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ ﴿الْمِ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ قَالَ نَاسٌ مِنْ فُرَيْشٍ لِأَبِي بَكْرٍ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، رَعِمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بَضْعِ سِنِينَ، أَفَلَا نُرَاهُكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرَّهَانِ، فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاصَعُوا الرَّهَانَ، وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ: كَمْ تَجْعَلُ الْبِضْعُ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ، فَسَمَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَمُّوا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ، قَالَ: فَصَصَّتِ السِّتُّ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا، فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ فِي بَضْعِ سِنِينَ، قَالَ: وَأَسْأَلُكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ" (١)

﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٥)

﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿نَصْرِ اللَّهِ﴾: لأن الروم كانوا أهل دين وأهل كتاب، على من لا دين لهم ولا كتاب نزل فيهم، وهم المجوس ﴿يَنْصُرُ﴾: يهبُ ويمنحُ الله ﷻ القوة والإرادة؛ لتحقيق النصر ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿يَشَاءُ﴾: من أراد من عباده؛ فهو القوي الشديد؛ وفي الوقت نفسه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغالبه، ولا يعجزه أحدٌ ﴿الرَّحِيمُ﴾: الرؤوف بعباده المؤمنين. التكليف: الدلالة الأولى من هذه الآية الكريمة هي حثُّ المسلمين على الاعتزاز بدينهم؛ فقد بَشَّرَ اللَّهُ ﷻ بنصر أهل كتاب على من لا دين لهم؛ فأحرى بالمسلمين أن يتمسكوا بدينهم الذي هو الحق.

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦)

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: هذا وعد الله ﷻ لرسوله ﷺ سننصركم على الكفار؛ كما انتصر الروم على الفرس؛ وسيقع حتماً بإذن الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُخْلِفُ﴾: يُغَيِّرُ ﴿اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: هذه إرادته وإذا شاء وقعت بلا ريب ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك ﴿أَكْثَرَ﴾: غالبية ﴿النَّاسِ﴾: بني آدم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: لا يؤمنون بحكم الله ﷻ في سننه الجارية بالعدل، إنَّ النَّاسَ تعرف ما

(١) سنن الترمذي ٣٤٤/٥ (٣١٩٤) وقال: حسن صحيح غريب.

ترى وتسمع، ولكنَّ المؤمن يسمع كلام الله ﷻ، وسُنن رسوله ﷺ ويؤمن يقينًا بصدقها وإن غابت.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٧)

﴿يَعْلَمُونَ﴾: يؤمنون، ويقف علمهم على ظاهرة الحياة الدنيا ﴿ظَاهِرًا﴾: ما يظهر لهم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: هم أذكيا في تحصيل مكاسب الدنيا، بالمكر، والخداع، والغش ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿عَنِ﴾: حرفٌ يُفيدُ المجاوزة ﴿الْآخِرَةِ﴾: أما ما يخص الآخرة من بعث، ونشور، وجنة، ونار ﴿هُمْ﴾: تكرر الضمير هم لإفادة الحصر؛ والتعبير بالجملة الإسمية للدلالة على استمرار أنهم ﴿غَافِلُونَ﴾: الغافل، والمغفل هو الذي لا يعقل الأمور، ولا تفكير، ولا تدبير له، قال الحسن البصري: والله ليلبغ أحدهم من دنياه أن يُقلّب الدرهم على ظفره، ويخبرك بوزنه، وما يحسن أن يُصلي، وقال ابن عباس: هم كفّارٌ يعرفون عُمران الدنيا، وهم في الآخرة يجهلون المصير.

﴿أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (٨)

﴿أُولَئِكَ﴾: حرف استفهامٍ غرضه البلاغي الأمرُ أي تفكروا في أنفسكم ولا يأتي الأمر هنا مباشرة بإحدى الصيغ؛ لأنّ الفئة المقصودة في الخطاب هم الكفرة والملحدون والمشركون لأنّه يحمل بعد ذلك معنى آخرًا، وهو الاستكثار والتحقير ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾: يتأملوا بوعي ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾: يأمر الله ﷻ عباده أن يتفكروا في خلقهم، وكيف تعمل أعضاؤهم، على الوجه الأكمل، وأمرهم أن يستخدموا بصرهم؛ للتأمل في حُسن الخلق، وتمام الأداء ﴿مَا﴾: حرف نفي يفيد الإنكار عليهم والتوبيخ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿اللَّهُ السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا خلق ﴿الْأَرْضَ وَمَا﴾: أيضًا الذي ﴿بَيْنَهُمَا﴾: من هواءٍ، وبخار ماءٍ، وشمسٍ، وأقمارٍ، ونجومٍ، وجاذبية ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْحَقِّ﴾: ليدركوا أنّ خلق الأجناس والأنواع في الأرض وفي السماء وفي البحر؛ ما خلقت عبثًا أو سدى ولا باطلاً؛ بل لتؤدي دورها كما أراد الخالق ﷻ ﴿وَأَجَلٍ﴾: أيضًا عُمرٍ ونهايةٍ ﴿مُّسَمًّى﴾: لكلِّ مخلوقٍ أجلٌ ونهايةٌ في موعدٍ حدّده الله ﷻ، وهو يوم القيامة ﴿وَإِنَّ﴾: وتأكيديًا فإنّ ﴿كَثِيرًا مِّنَ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿النَّاسِ﴾: يذكر الله ﷻ النَّاسَ بعمومهم، وهي تشمل العاصي والطائع، بينما يذكر المؤمنين بوصفهم ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة

﴿لِقَاءِ﴾: يوم القيامة ﴿رَبِّهِمْ﴾: فهو مالك أمرهم ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿كَافِرُونَ﴾: لا يؤمنون بالقيامة، يوم الحساب والعقاب، ولا يعملون لذلك حسابًا.

﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٩)

﴿أَوْلَمْ﴾: حرف يفيد الاستفهام والاستنكار ﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: ألم يستخدموا أبصارهم، وأسماعهم، وعقولهم، وقراءة الماضي، وتجارب السابقين ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد سرعة التنفيذ ﴿يَنْظُرُوا﴾: ليعلموا علم اليقين ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام وتعجب واستنكار ﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: نهاية ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: ماذا حدث للأمم السابقة التي بادت، وزالت ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: رغم أنهم كانوا أكثر تسليحًا، وأموالًا، وأولادًا، وتمكينًا في الدنيا لم تبلغه هذه الأجيال ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَثَارُوا الْأَرْضَ﴾: استغلوا الأرض، حرثوها وزرعوها، وأكلوا من ثمارها، واستخرجوا ما في باطنها من كنوز، وتمكنوا من كل شيء أكثر منكم ﴿وَعَمَرُوهَا﴾: أيضًا مكوّنًا، وزراعةً، وصناعةً واستثمارًا لما في باطنها ﴿أَكْثَرَ مِمَّا﴾: بعض أو جزء ﴿عَمَرُوهَا﴾: لقد كان السابقون أشدّ قوة من الكفار الحاليين ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: حرف باء التعددية ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: لقد بلغ رسل الله ﷻ، عليهم السلام، الأمم السابقة بالأدلة، والبراهين، والثوابت؛ فلمّا كفروا أخذهم الله ﷻ بالدمار عدلاً وصدقًا ﴿فَمَا﴾: حرف إخبار ﴿كَانَ اللَّهُ ل﴾: حرف تخصيص والعاقبة ﴿يَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ﴾: استدراكًا ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالتكذيب بآيات الله ﷻ، والاستهزاء برسله، وغرورًا بما في أيديهم من سلطة، ومال، وسلاح، ونفوذ.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: جزاء وعقابًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا كلّ من ﴿أُسَاءُوا﴾: بكفرهم، وتكذيبهم، وعنادهم، أساءوا معاملة الرسول ﷺ وأولياء الله ﷻ، والدعاة إليه ﴿السُّوْأَى﴾: سببوا الشرّ والضرر كان عقابهم من جنس العمل، وفرق بين قدرة المخلوق وقدرة الخالق إذا عاقب ﴿أَنْ﴾: تأكيد الخبر ﴿كَذَّبُوا﴾: أنكروا ولم يؤمنوا بالحقائق ﴿ب﴾: باء السببية ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾: البراهين التي جاءت على رسول كانت هذه وسيلتهم؛ أنكروها، وكفروها؛ أي أخفوها في أنفسهم وأعينهم وسمعهم ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿كَانُوا بِهَا﴾:

بآيات الله ﷻ **﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾**: وما أكثر الإساءة اليوم لكلمات الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، والاستهزاء بمظهر الإسلاميين، ونمط حياتهم، وتسفيه أفكارهم، وتعذيبهم بالسجن، والإبعاد، والقتل.

التكليف: سيبقى المسلم في كل عصر فريسةً للمجرمين من اليهود، والنصارى، والمشركين، وعملائهم حتى يقضي الله تعالى بنصر المسلمين.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١)

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: لقد أوجد الله ﷻ الخلق أول مرة، على غير مثالٍ سابقٍ، يوم خلق آدم ﷺ **﴿ثُمَّ﴾**: بمرور الزمن والتتابع العادي، غير السريع **﴿يُعِيدُهُ﴾**: وهو ﷻ قادرٌ على إعادته **﴿ثُمَّ﴾**: على مهلٍ وبلا سرعةٍ **﴿إِلَيْهِ﴾**: إلى الله ﷻ **﴿تُرْجَعُونَ﴾**: تموتون ثم تُبعثون في يوم القيامة؛ يوم الجزاء والعقاب، وهذا عليه هينٌ ﷻ.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٢)

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: أي إذا قامت القيامة **﴿يُبْلِسُ﴾**: ييأس **﴿الْمُجْرِمُونَ﴾**: قال ابن عباس: ييأس، وقال مجاهد: يُفتضح أمرُ المجرمين، وقيل ينقطع أمل المجرمين من النجاة من العذاب وتصيبهم الحيرة فتتلاشى حججهم

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (١٣)

﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي **﴿يَكُنْ لَهُمْ﴾**: تحديداً **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا تمييزاً للنوع **﴿شُرَكَائِهِمْ﴾**: في الكفر **﴿شُفَعَاءٌ﴾**: لم يكن للمشركين في ذلك اليوم من آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله شفعاء؛ لا مساعدة، ولا وساطة، من الأصنام، ولا من أصحاب المعتقدات الكافرة، ولا من الملحدين، ولا من الحكام الظالمين **﴿وَكَانُوا بِ﴾**: حرف باء الصلّة والتوكيد أيضاً **﴿شُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾**: ولم يصبح لهم شفعاء، ولا أولياء، فالذين اتخذوا من الأوثان شفعاء لم يبق لهم شفيح، والذين اتخذوا الكافرين شفعاء؛ كفروا بشركهم، وتبرؤوا منهم، وهذا ما توضحه الآية التالية.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ يَتَفَرَّقُونَ﴾ (١٤)

﴿و﴾: عطفاً على هذا **﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾**: قال قتادة: هي الفرقة يوم القيامة **﴿يُؤْمِنُ﴾**: كلمة مركبة من يوم و إذ وتعني في ذلك اليوم **﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾**: الفرقة التي لا اجتماع بعدها؛ فالمؤمنون يذهبون إلى عليين، والمجرمون إلى أسفل سافلين.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (١٥)

﴿فَأَمَّا﴾: حرف شرط تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: تُحدد الآية مصير الذين آمنوا ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وأيضًا عملوا ما أمر الله ﷻ به مِنْ عباداتٍ ومعاملاتٍ ﴿فَهُمْ﴾: تحديدًا بسبب هذا العمل، والإيمان سيكونون ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾: جنَّةٍ ﴿يُخْبِرُونَ﴾: يُكرمون ويفرحون وهم في سرور، وقال مجاهد وقتادة: يُنعمون.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (١٦)

﴿وَأَمَّا﴾: حرف توكيدٍ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الذين غطوا حقيقة الإيمان بالله ﷻ ﴿و﴾: عطفًا على كفرهم ﴿كَذَّبُوا﴾: أنكروا ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: لم تهدم الآيات الدالة إلى الإيمان ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال أنكروا ﴿لِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿ف﴾: حرف استثنائي يهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿فِي الْعَذَابِ﴾: جهنم مكان العذاب ﴿مُحْضَرُونَ﴾: مجموعون، ومحشورون، للعذاب في جهنم والعياذ بالله ﷻ؛ هنا مقابلة بين حال السعداء والأشقياء.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (١٧)

﴿ف﴾: حرفٌ سبب يفيد هنا ترتيب ما بعدها على ما قبلها إذا علمتم ذلك فقولوا ﴿سُبْحَانَ﴾: وجب تنزيهه ﴿اللَّهِ﴾ ﷻ تنزيه الخالق لنفسه المقدسة، تنزيهًا عن النقائص؛ وهذا بالصلوات الخمس ﴿حِينَ﴾: وقت ﴿تُمْسُونَ﴾: صلاة المغرب وصلاة العشاء عندما يجنّ الليل ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: في صلاة الفجر، على المؤمنين أن يُسبحوا الله ﷻ صباحًا ومساءً؛ أي طول النهار، وفي الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وبخاصة عند إقبال الليل، وعند الصباح.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا وتمليكيًا ﴿الْحَمْدُ﴾: فهو المحمود على نعمه التي خلقها والحمد، هنا إما أن يكون للإرشاد إلى الحمد والإيدان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح وإما أن تكون للاختصاص إشارة إلى الصلاة التي يُقرأ فيها الحمد والله ﷻ أعلم ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: والحمد هنا يكون بذكره ﷻ وتسبيحه هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا حمده ﷻ في ﴿الْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾: بإقامة الصلوات والمحافظة عليها في شدة الظلام ﴿وَحِينَ﴾: وقت ﴿تُظْهِرُونَ﴾: جاء اللفظ القرآني ظهر هنا؛ بمعنى وقت الظهر، عندما يشتد الضوء، وهذا دعاء أبينا إبراهيم عليه السلام.

التكليف: من الواضح أن هذه الآية جمعت مواقيت الصلاة.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُونَ﴾
(١٩)

هذه من آيات الله ﷻ وقدرته على خلق الأشياء المتقابلة، الأشياء وضدها؛ دليلاً على كمال قدرته في الخلق ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾: والمقصود هو المؤمن ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿الْمَيِّتِ﴾: يخرج النبات الذي ينمو ويكبر من الحب الميت، والدجاج الذي يأكل ويمشي الحي من البيض الميت ويخرج الإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، والحقيقة أنّ النطفة كائن حيّ أيضاً، ويخرج الابن المؤمن الحي من الأب الكافر الميت معنوياً وأخلاقياً ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾: الإنسان الكافر ﴿مِنْ﴾ ﴿الْحَيِّ﴾: الأب المؤمن. والمعنى هنا أنّ الإبداء والإعادة يتساويان في قدرة الله ﷻ القادر على إخراج الميت من الحيّ وإخراج الحيّ من الميت ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾: ما في الأرض من زرع ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد أن تكون الأرض هامدةً ساكنةً، يظهر النبات الذي ينمو، ويتنفس، وينتج ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿نُخْرِجُونَ﴾: مثلكم كهذه الأمثال، وأنتم أمواتٌ في القبور، يُخرجكم منها وهو عليه هيّن ﷻ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٢٠)

﴿وَمِنْ﴾: أيضاً بعض ﴿آيَاتِهِ﴾: جاء اللفظ القرآني آية على وجهين؛ هنا بمعنى علامة كما في قوله ﷻ ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس-٤١] الدالة على عظمتها وكمال قدرته ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الخبر ﴿خَلَقَكُمْ﴾: أوجد أباكم آدم ﷺ، وأوجدكم منه من غير سابق وجود ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿تُرَابٍ﴾: يقول ﷻ أنّ أصل البشر من ترابٍ، ثم من ماءٍ مهينٍ، ثم كان نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم خلق أجزاء الجسم العظام، والعضلات، وأجهزة التنفس، والهضم، والدورة الدموية، والجهاز العصبي، وأجهزة الإخراج، وغيرها ﴿ثُمَّ﴾: بتتابعٍ زمنيٍّ غير سريع، يفيد التراخي والترتيب والتمهل وهنا ظاهراً، فال مخلوق البشري يكون بعد أطوارٍ كثيرة، من نطفةٍ إلى علقةٍ إلى مضغةٍ، ثم تظهر العظام، وبعده اللحم ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾: تتناسلون وتكثرون ثم إذا أنتم طفلاً يسمع ويبصر، ثم يتكامل شبابه، ويعمر الأرض، ويركب البحر، والأرض، والهواء، ويعقل، ويعلم، ويكون الغني والفقير، والذكي والغبي، والعالم والجاهل، والسعيد والشقي، والمؤمن والكافر.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾: من علامات الله ﷻ، البراهين الدالة على قدرته ﷻ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: من جنسكم أيها الذكور ﴿أَزْوَاجًا﴾: زوجات من الإناث ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿تَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: لتحقيق السكنى والاطمئنان؛ لأنها من الجنس نفسه ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿جَعَلَ﴾: أوجد ﴿بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً﴾: فالودّ والمحبة منحة ربّانية بين الزوجين ﴿وَرَحْمَةً﴾: الرأفة والعطف ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد الذي جاء ذكره ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿آيَاتٍ﴾: براهين، ودلالات، هذه العلامة السامية على تكريم الله ﷻ لبني آدم ذكوراً وإناثاً، إنّ دليل قدرته، وتمام رحمته بالبشر واضحة ﴿لِقَوْمٍ﴾: والقوم هم جماعة من أصلٍ واحدٍ، أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: يعملون عقولهم تفكيراً وتدبيراً.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢)

﴿وَمِنْ﴾: بعض ﴿آيَاتِهِ﴾: ومن العلامات الربّانية ﴿خَلْقُ﴾: إيجاد الشيء من غير سابق وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها، لكونها بيضاوية الشكل، وعلاقات هذه الكواكب السيّارة، والقوانين التي تحكمها، جاء تقديم خلق السماء على خلق الأرض وهذا ما يؤكده العلم الحديث ﴿و﴾: أيضًا خلق ﴿الْأَرْضِ﴾: إنّ الدارس لعلم الفلك يدرك عظمة الخلق في هذه المساحات التي لا تحدّها قدرات البشر: ارتفاعها، وأجرامها، وكواكبها، والأرض ودورانها، وما على سطحها، وما في بطنها، جبالها، وبحارها، وهواءها ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿اِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾: وهي أيضًا لغات الأمم على هذه الأرض ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾: كل أهل الأرض منذ آدم ﷺ، إلى يوم القيامة له رأس، وجذع، وأطراف، وعينان، وأنف، وجبين، وفم، ولا يشبه واحد الآخر؛ بل يوجد اختلاف في المظهر والهيئة واللغة؛ حتى بين المواليد التوأم، منهم الأبيض، والأسود، والأصفر، والأحمر، وبين ذلك العديد من درجات الألوان ﴿إِنَّ﴾: تأكيداً ﴿فِي ذَلِكَ﴾: هذا التنوع البديع ﴿لَآيَاتٍ﴾: أدلّة وبراهين ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: الذين هم أصحاب العلم، والعقول الواعية.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾
(٢٣)

﴿و﴾: أيضًا ﴿مِنْ﴾: ﴿﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: وهي ظاهرة من فضلِ الله ﷻ على الإنسان، فبعد الجهد البدني تتكون موادُّ ضارّة للجسم، حتى إذا نام الإنسان؛ تخلص من السموم ومن المواد الضارّة، وأفرزتها الكلى في البول، أو بوسائل الإخراج الأخرى عند اليقظة ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ﴾: أيضًا طلبكم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: الرزق الذي حبّب الله ﷻ إليه كالسفر، والعمل، والكسب، والسعي وهو عكس النوم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: هذه الظواهر المعجزة من حيث الخلق والوظيفة والفائدة للإنسان ﴿لَآيَاتٍ﴾: الحقائق والبراهين ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمٍ﴾: جماعة من أصلٍ واحدٍ ﴿يَسْمَعُونَ﴾: اختار الله ﷻ الآيات لقوم يسمعون، والتي جاءت بعد ذكر النوم والليل؛ حيث تقل أو تنعدم الرؤية، ولا يتأثر جهاز السمع. التكليف: كان الجمع بين النوم والابتغاء من فضل الله ﷻ من جملة الأدلة على البعث؛ ذلك لأنّ النوم يشبه الموت، كما أنّ التصرف في الحاجات والسعي في المكاسب شبيهه بالحياة بعد الموت.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿مِنْ﴾: ﴿﴾: حرف جرّ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿آيَاتِهِ﴾: ﴿يُرِيكُمُ﴾: يجعلكم تُشاهدون ﴿الْبَرْقَ﴾: ومن دلائل قدرته ﷻ نشأة البرق، الذي ينتج عن تصادم سحابتين، تحمل إحدهما شحنة موجبة، وتحمل الثانية شحنة سالبة؛ ينتج عن هذا التصادم شرارة قوية؛ تُسبب الضوء الذي يُعرف بالبرق ﴿خَوْفًا﴾: وما يصاحبه من أصواتٍ مرعبة، وأمطارٍ، وأعاصير مدمّرة، وصواعق متلفة ﴿وَوَطْمَعًا﴾: والطمع هو نزوع النفس إلى شيءٍ، شهوة له يكون لكم رجاءٌ ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: ينشأ الغيث الذي يحتاج إليه الإنسان، والحيوان، والنبات من تبحر المياه في البحار والمحيطات التي تشكل المساحة الأكبر من سطح الكرة الأرضية، يتبخر الماء فيتحول من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية، ويحمل الهواء بخار الماء، فيتكون السحاب ﴿ف﴾: بسبب هذا يسقط بخار الماء وهو المطر على الأرض فيسقي الإنسان والحيوان وينبت النبات ﴿يُحْيِي بِهِ﴾: الماء ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: الأرض التي ليس على ظهرها نبات التي تنتظر المطر، يُنبت عليها ما تهزه الرياح؛ كأنه يتمايل

فرحًا، وسط طمع أصحابه أن يجنوا منه طعامهم، وتآكل أنعامهم، وطيورهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: ما سبق من ظواهر البرق والمطر والزراعة وغيرها ﴿لآيَاتٍ﴾: أدلة وبراهين ﴿لِقَوْمٍ﴾: تخصيصًا جماعةً من أصلٍ واحدٍ، أو أصحابٍ مذهبٍ واحدٍ ﴿يَعْقِلُونَ﴾: تُوضِّح الآية أن البعث، والخلق للإنسان، والنشور مثل الأرض الجرداء، التي نزل عليها الغيث؛ فاستيقظت البذور، وأصبحت شجرًا، وثمرًا، فالذي أحيها يُحيي الموتى، وهو ﷻ القادر على كل شيء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٢٥)

﴿وَمِنْ﴾: بعض ﴿آيَاتِهِ﴾: من علامات الله ﷻ وشواهدة ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَقُومَ السَّمَاءُ﴾: دون سقوط ﴿وَقَوْ﴾: حرف عطف يفيد الحال، تقوم ﴿الْأَرْضُ﴾: دون تهدم، تبقى الأرض والسماء كلٌّ في موقعه ﴿بِأَمْرِهِ﴾ الذي حدده ﷻ؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر - ٤١]؛ أي إذا حدث الصدام، أو حدث الافتراق، كان الدمار رهيب ﴿ثُمَّ﴾: مع التتابع الزمني غير السريع ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾: دَعْوَةً إِلَى الْبَعثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية، من باطن ﴿الْأَرْضِ﴾: عندما يأمر الله ﷻ الأرض أن تخرج ما فيها من رفاتٍ، ورماد الخلق، يوم البعث يوم القيامة ﴿إِذَا أَنْتُمْ﴾: تحديدًا ﴿تَخْرُجُونَ﴾: يستجيب كلُّ شيءٍ لأمره ﷻ، فإنما هي زجرة واحدة من الله ﷻ، ويخرج الكلُّ من القبور إلى سطحها، لا يتخلف أحدٌ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات - ١٣، ١٤].

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانِتُونَ﴾ (٢٦)

﴿وَقَوْ﴾: أيضًا ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ﴿مَنْ﴾: كلُّ الذي من جنس العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها من الكواكب والنجوم ومن الملائكة والجن ﴿وَالْأَرْضِ﴾: أيضًا الإنسان والحيوان والنبات والجماد؛ فهو المالك ﷻ، للخلق الذين يعقلون ﴿كُلُّ﴾: جميع الخلق ﴿لَهُ﴾: حرف تخصيص لله ﷻ ﴿قَانِتُونَ﴾: منقادون خاضعون لأمره، جاء اللفظ القرآني "قانتون" هنا بمعنى الإقرار بالعبودية، انظر [البقرة - ١١٦] خاضعون، خاشعون.

﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧)

﴿وَهُوَ﴾: ضميرٌ يعودُ على المفرد؛ الواحد، الأحد، ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ، هو الله ﷻ،
 الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، ﴿بِبَدَأِ الْخَلْقِ ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع غير السريع ﴿يَعِيدُهُ﴾:
 هو الذي خلق كلَّ شيءٍ أولَ مرّةٍ، وهو ﷻ يعيد الخلق بعد موتهم، يوم النشور ﴿و﴾: حرف
 عطفٍ يفيد الحال ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا يعني هنا الخلق الآخر
 ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: قال ابن عباس: أيسرُ وأسهلُ عليه من ابتداء خلقهم، وكلاهما عليه هين، وقال
 مجاهد: الإعادة أهون من البداية، والبداية هيّنة، وقال العوفي: كلُّ عليه هين، وقال آخرون:
 كلاهما بالنسبة إلى القدرة هين على السواء ﴿وَلَهُ﴾: تخصيصًا وتمليكيًا ﴿الْمَثَلُ﴾: الوصف
 الأعلى في كلِّ ما يوصف به سواء كان ذلك في السماوات والأرض، النموذج والتجربة والقيمة
 ﴿الْأَعْلَى﴾: الأسمى والأكرم ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: في كلِّ ما علا الأرض وأحاط بها لكونها لكروية
 الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: بأرضها وسهولها وجبالها وثوراتها ومياها ﴿وَهُوَ﴾: ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي
 لا يُغالبه ولا يمنعه مانع، و هو يقهرُ كلَّ شيءٍ، بقدرته وسلطانه، ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي يفعل
 الأفضل في أفعاله، وأقواله.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ
 فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨)

﴿ضَرَبَ﴾: ذكر الله ﷻ ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مَثَلًا﴾: ذكر الله ﷻ لكم أيها المشركون، الذين
 لا يؤمنون بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، ويوم القيامة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييزٍ
 للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: فإنها أقربُ شيءٍ منكم، وأبين وأظهر من
 غيرها عندهم؛ فإذا ضرب لكم المثل بها في بطلان الشرك فإن هذا أوضح دلالة؛ تشاهدونه،
 وتفهمونه من تلقاء أنفسكم ﴿هَلْ﴾: حرفٌ استهزاءً للإنكار، والتشكيك، وغرضه الأمر ﴿لَكُمْ﴾:
 أيرضى أحدكم ﴿مِنْ مَا﴾: الذي ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من ممالئكم وعبيدكم مِنْ شُرَكَاءَ هل لكم
 من عبيدكم وإيمانكم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾: من يشارككم في رزقكم، وترون أنكم وإياهم متساوون فيه،
 وتخافونهم كما تخافون الأحرار الشركاء في مقاسمة أموالكم ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أن يكون لكم
 شركاء في مالكم ﴿ف﴾: بسبب ذلك تكونوا ﴿أَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾: أي شركاء بالتساوي؛ بين العبد
 وسيده ﴿تَخَافُونَهُمْ ك﴾: بمعنى مثل ﴿خِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: تخافون أن يقاسموكم الأموال، وليس
 هذا من حقهم ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿نُفَصِّلُ﴾: ننوع ونبيّن ﴿الْآيَاتِ﴾: الأدلّة والبراهين ﴿ل﴾:
 حرفٌ تخصيصٍ ﴿قَوْمٍ﴾: جماعةٍ متجانسةٍ ﴿يَعْقِلُونَ﴾: هكذا يوضح الله ﷻ لكم هذا المثل؛

فإن كنتم لا تقبلون أن يشارككم عبيدكم في مالكم؛ فكيف تقولون إن الأصنام والأنداد شركاء الله ﷻ في العبادة والطاعة.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾
(٢٩)

﴿بَلِ اتَّبَعَ﴾: وإلى وأطاع ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا﴾: جاروا ولم ينصفوا أنفسهم بسبب ﴿أَهْوَاءَ هُمْ﴾: هم المشركون، ورغباتهم، ومصالحهم ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿غَيْرِ﴾: حرف نفي هنا بمعنى ليس لهم ﴿عِلْمٍ﴾: بجهلٍ فاضحٍ، عملوا ما لا يجب عمله، لو فكروا بعقولهم تقيراً سليماً، وسألوا ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي عن العاقل ﴿يَهْدِي مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَضَلَّ اللَّهُ﴾: بسبب ذلك أصبح حالهم؛ أن لا أحد يهديهم بعد أن كتب الله ﷻ عليهم الضلال ﴿وَمَا﴾: نفي أن ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية النوع ﴿نَاصِرِينَ﴾: لا مُنقذ، ولا مُعين، ولا مُجير لهم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠)

﴿فِ﴾: حرف يفيد ربط جواب الشرط؛ بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَقِمْ﴾: سدّد ﴿وَجْهَكَ﴾: وإيمانك ﴿لِ﴾: حرف وتخصيص ﴿الدِّينِ﴾: للإسلام الذي شرّعه الله ﷻ لك؛ شبه الله ﷻ الإقبال على الدين باتجاه وجهه إليه، وإقباله عليه، مائلاً إليه، مستقيماً عليه؛ غير ملتفت إلى غيره من الأديان الباطلة ﴿حَنِيفًا﴾: متحيزاً للحق، مُبتعداً عن الباطل، ملتزماً بما هداك الله ﷻ إليه، وكمّله وجمّله لك غاية الكمال والجمال ﴿فِطْرَتَ﴾: الطبيعة السليمة من ﴿اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: لقد خلق الله الناس ليوحّدوه ويسبّحوه، ويعبدوه، هذه جبلّتهم النقية، الإيمان، والتوحيد، والعبادة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لا تبدلوا خلق الله ﷻ؛ فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله ﷻ عليها؛ قال ﷺ: مَا مِنْ مَّوَلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ^(١) ﴿ذَلِكَ﴾: حرف إشارة للبعيد هذا هو ﴿الدِّينُ﴾: الشريعة والفطرة ﴿الْقَائِمُ﴾: السليم، الدين المستقيم ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراكٍ ﴿أَكْثَرَ﴾: غالبية، ومعظم ﴿النَّاسِ﴾: بني آدم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: لهذا لا يعرفه أكثر الناس؛ لأنهم عنه معرضون.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١)

(١) صحيح البخاري ٩٤/٢ (١٣٥٨).

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعون إلى الله ﷻ ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: تجنبوا غضبه، وخافوه، وراقبوه؛ طمعاً في جنته؛ إن الإيمان هو صلب المشروع، وجوهز الفكرة السامية ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: وهذه أيضاً من الأدوات؛ أداء فريضة الطاعة العظيمة ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: وذلك بما ذكره معاذ بن جبل لعمر بن الخطاب: قوام هذه الأمة ثلاث؛ وهي المنجيات: الإخلاص؛ وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، والصلاة؛ وهي الملة، والطاعة؛ وهي العصمة.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢)

ولا تكونوا ﴿مِنَ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: تفرقوا فرقاً في الدين يشيع بعضهم بعضاً من أهل البدع والأهواء من اليهود والنصارى، هؤلاء الذين بدلوه بأفكارٍ علمانية، أو شيوعية، أو وطنية مزيفة، الذين آمنوا ببعضه؛ مثل الشيوعي الذي يصلي؛ آمن ببعض، وكفر ببعض، أو الذين يحبون، ويوالون، ويناصرون، ويتعاونون مع اليهود، والصليبيين، والمجوس، وسائر أهل الأديان الباطلة، كما لم يبق من المسلمين سوى أهل السنة والجماعة على الملة الصحيحة، ويوضح الحديث التالي من هي الفرقة الناجية: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١)، وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفرقت أممي على ثلاث وسبعين فرقةً"^(٢)، ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿كَانُوا شِيَعًا﴾: جماعات تساند بعضها بعضاً ﴿كُلُّ﴾: تفيد الجميع ﴿حِزْبٍ﴾: فريق عصبية أو جماعة ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندهم من الدين المبني على غير الحق ﴿فَرِحُونَ﴾: مسرورون ومبتهجون؛ يظنون أنهم على الحق وليس بأيديهم منه شيء، فهم به راضون كما جاء في قوله ﷻ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد-٢٦]، وفي قوله ﷻ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر-٨٣].

(١) سنن الترمذي ٢٦/٥ (٢٦٤١). وقال: هذا حديث مفسر غريب. قال الألباني: حسن.

(٢) سنن أبي داود ٥/٧ (٤٥٩٦) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣)

تعالج هذه الآية بعض الحالات التي تحرف الناس عن دينهم، وتكاد تكون واقعا في كل بيت مسلم ﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها، تسمى هنا بالفجائية، مثل حرف الفاء في التعقيب، بغرض التعجيب من أحوالهم، وما آل إليه من الإقرار بوحدانية الله ﷻ عند نزول الشدائد، والارتداد إلى الشرك عند رفع البلاء عنهم ﴿مَسَّ﴾: أصاب في الجوهر ﴿النَّاسَ﴾: بني آدم ﴿ضُرٌّ﴾: إذا أصيب المشرك بضرٍ في العافية، أو المال، أو الجاه صار مع الذين ﴿دَعَوْا﴾: سألوا ﴿رَبَّهُمْ﴾: الثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو ﷻ مالك أمرهم كله أن يرفع عنهم الضرر ﴿مُنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾: يرجعون إليه، دلالة على أنهم كانوا قد ابتعدوا عنه من قبل ﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني مع التباعد والتراخي ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿آذَقَهُمْ﴾: أعطاهم ﴿مِنْهُ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿رَحْمَةً﴾: دفع عنهم، وأعطاهم، وأكرمهم نسوا الله ﷻ ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾: جماعة ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾: حرف الباء يفيد المجاوزة، رجوعا إلى عبادة غير الله ﷻ وهم يعلمون أنه ما رفع الضر عنهم إلا الله ﷻ؛ هم لا ينسبون الفضل كله لله ﷻ، ولكن يقولون هذا بجهننا، أو بمساعدة فلان، ولولا الجهة التي أوليها ما حدث لي الخير، هؤلاء بربهم، وبقدرته، وبفضله يشركون.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٤)

﴿ل﴾: قيل هي حرف لام القصد بالوعيد والتهديد، وقد تكون هنا لام العاقبة عند بعضهم، أو تكون لام المآل؛ لأن الكفر والشرك متقارنان، لا مهلة بينهما، أو هي لام التعليل عند آخرين، وهي حرف تخصيص؛ تفيد هنا كي، بمعنى ل ﴿يَكْفُرُوا﴾: يُغَطُّوا، وينكروا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: يغطون ويخفون نعم الله عليهم ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾: اذهبوا في ملذاتكم المحرمة ﴿فَسَوْفَ﴾: وعدٌ لعمل في المستقبل القريب ﴿تَعْلَمُونَ﴾: هذا هو الوعيد المرعب من الله ﷻ الذي أمره في حرفين كن؛ فيكون.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٥)

﴿أَمْ﴾: للاستفهام الإنكاري؛ إيذانا منه بالإعراض عنهم وبعجزهم عن ساحة الخطاب، وبمعنى هل ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: هل أعطيناهم حجةً ودليلاً ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿هُوَ يَتَكَلَّمُ﴾: ينطق ويقول ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾: كأنه أمرهم بعمل،

وقول، الشرك بالله ﷻ، وهذا سؤال استنكاري؛ لأن الله ﷻ لا يرسل من يدعو إلى الشرك، إنما هي رغباتهم.

﴿وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾
(٣٦)

﴿وَإِذَا﴾: حرف ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَدَقْنَا﴾: عندما نعطي ﴿النَّاسَ﴾: عموم بني آدم ﴿رَحْمَةً﴾: من الله ﷻ نعمة، مالاً، أو جاهاً، أو عافيةً، أو كل ما يسعد الإنسان ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾: كانوا سعداء ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿تُصِيبُهُمْ﴾: في العمق ﴿سَيِّئَةٌ﴾: ثم إذا فعلوا السوء، وكفروا، وجحدوا؛ أصابهم الله بعباد أو ابتلاء في مالٍ أو نفسٍ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بالذي فعلوه ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿يَقْنَطُونَ﴾: كانوا من القانطين الغاضبين اليائسين؛ كان المطلوب بدل القنوط، التوبة، والدعاء، والصبر، وشكر الله ﷻ، وسؤاله أن يرفع عنهم.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٧)
﴿أَوْلَمْ﴾: حرف استنهام إنكاري توبيخي ﴿يَرَوْا﴾: ألم يعلموا، ألم يشاهدوا، ويدركوا حقيقة ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ ﷻ يتصرف في عباده بإرادته ﷻ وحكمته وعدله ﴿يَبْسُطُ﴾: يزيد ويوسع ويمد ﴿الرِّزْقَ﴾: المال، والولد، ومتاع الدنيا ﴿لِمَنْ﴾: تخصيص من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: من الناس جزاءً أو ابتلاءً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: ويقلل، ويضيّق على آخرين؛ لحكمة وإرادة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: الابتلاء ﴿لَآيَاتٍ﴾: براهين ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمٍ﴾: جماعة متجانسة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: إن في ذلك التوسيع والتضييق لآيات لقوم يؤمنون بالله ﷻ ويعرفون رحمته وحكمته، حكمة المتصرف في خلقه، بلا ظلم، ﷻ.

﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨)

هذه الآية تأتي لثنين صنفاً من البشر، الذين بسط الله ﷻ لهم الرزق، ماذا يفعلون، الخطاب لمحمد ﷺ وهو من بعده للمسلمين كافة، وبخاصة لكل من عنده سعة من المال ﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ، بسبب وبسرعة ﴿آتِ﴾: أنفق وأعطش ﴿ذَا﴾: اسم إشارة للمفرد القريب بمعنى صاحب ﴿الْقُرْبَىٰ﴾: أمرهم أن يُنفقوا على أقربائهم مما أعطاهم الله ﷻ؛ فهي هنا صدقة مضاعفة؛ وصلة رحم محببة ومرغب فيها؛ ليست مئة، ولا تکرماً، ولا

تفضلاً، بل هي **﴿حَقَّةٌ﴾**: حق القريب؛ وهذا يحفظ لهم كرامتهم **﴿وَالْمَسْكِينِ﴾**: وأمرهم أن يعطوا من لا يملك ما يكفيه؛ أو يسد ما عليه **﴿و﴾**: أيضاً حق **﴿ابْنِ السَّبِيلِ﴾**: أن يعطوا المسافر المحتاج إلى العلاج، أو التعليم، أو العمل **﴿ذَلِكَ﴾**: الإنفاق **﴿حَيْرٌ﴾**: منفعةً لمنفق في الدنيا والآخرة **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد الجميع **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾**: الذين يطمعون للنظر لوجه الله الكريم يوم القيامة، وهي الجائزة الكبرى **﴿وَأَوْلَانِكَ﴾**: إشارة للقريب والبعيد **﴿هُمْ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿الْمُفْلِحُونَ﴾**: وبذلك يتحقق وصفهم بأنهم ناجحون، فائزون بثواب الله ﷻ، الناجون من عقابه وما أعظمه من فوزٍ، ونجاح.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٣٩)

﴿وَمَا﴾: الذي **﴿آتَيْتُمْ﴾**: أنفقتم **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية **﴿رَبًّا﴾**: زيادةً عن رأس المال **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿يَرْبُو﴾**: يزيد، وينمو ويتضاعف **﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾**: وما أعطيتم قرصاً من المال بقصد الربا وطلب زيادة ذلك القرض؛ ليزيد وينمو في أموال الناس، **﴿فَلَا يَرْبُو﴾**: لا ينمو ولا يتكاثر ولا يتضاعف، بل يتناقص أجره **﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾**: قال الضحاك وابن عباس ومجاهد: من أعطى عطيةً طامعاً أن يحصل على أكثر منها من الناس؛ فهذا لا ثواب له عند الله ﷻ، وهو عملٌ مباحٌ، وإن كان بلا ثواب، ولكن الله ﷻ نهى عنه قائلاً: **﴿وَلَا تَمْنُنَ تَسْتَكْبِرُ﴾** [المدثر ٦-] **﴿وَمَا﴾**: الذي **﴿آتَيْتُمْ﴾**: التصدق **﴿مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾**: طمعاً في رضا الله ﷻ؛ فإن الله ﷻ يضاعفها، عن أبي هريرة ؓ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بَعْدَ تَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهٗ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(١)، **﴿فَأَوْلَانِكَ﴾**: اسم إشارة للجماعة القريب والبعيد **﴿هُمْ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿الْمُضْعِفُونَ﴾**: الفائزون بالكثرة والزيادة، الذين يُضاعف لهم رزقهم أضعافاً كثيرة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٠)

(١) صحيح البخاري ١٠٨/٢ (١٤١٠).

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد الواحد الأحد، الفرد الصمد، هو الله ﷻ ﴿خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم من غير سابق وجود ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع الزمني غير السريع ﴿رَزَقَكُمْ﴾: يفيد استمرار الرزق بمرور الزمن، خلق الله ﷻ آدم ﷺ من ترابٍ، ثم من نطفةٍ، ثم يُخرج الإنسان من بطن أمه عُريَانًا، ضعيف السمع، والبصر، والفهم، ثم يرزقه قوة السمع، والبصر، والفهم، والكسب، ويرزقه الأملاك، والجاه والسلطان، والزوجة الصالحة، والأولاد ﴿ثُمَّ﴾: بعد زمن، تفيد التتابع مع التباع والتراخي الزمني ﴿يُمِيتُكُمْ﴾: تموتون بعد انتهاء الأجل ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: يوم القيامة للحساب ﴿هَلْ﴾: حرفٌ استفهامٌ يُفيد معنى النفي والاستبعاد ﴿مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾: يسأل الله ﷻ وهو أعلم؛ هل يوجد من الذين تعبدونهم من دون الله ﷻ ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَفْعَلُ مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيانًا وتمييزًا للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: يفيد عموم الفعل، والإجابة معروفة: لا أحد يفعل هذا من الخلق، بل الله وحده يفعل جلَّ جلاله ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزهه عن النقائص ﴿وَتَعَالَى﴾: وتعظم أن يكون له شريك، أو نظير، أو والد، أو ولد، هو واحدٌ أحد ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُشْرِكُونَ﴾: ما عبدوا من دون الله ﷻ.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١)

﴿ظَهَرَ﴾: بدا، وبان، واتضح بكثرة ﴿الْفَسَادُ﴾: جاء اللفظ القرآني "الفساد" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى قحط المطر. انظر [البقرة-١١] وتعني المعاصي، وإتلاف ما يمكن إتلافه ﴿فِي الْبَرِّ﴾: لأنَّ الغالبية العظمى من البشر تعيش في البر، أي على سطح الأرض، قال ابن عباس، وعكرمة: الفيافي، أي الأماكن المسكونة، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم-٤١]، قَالَ: «فِي الْبَرِّ ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَحَاهُ، وَفِي الْبَحْرِ الَّذِي كَانَ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا»^(١)، وقال عطاء: في المدائن والقرى، وقيل: ما كان على جانب النهر ﴿و﴾: أيضًا ظهر الفساد في ﴿الْبَحْرِ﴾: تأخر ذكر البحر لقلة من يسكنونه، قال: ابن عباس، وعكرمة: الأمصار والقرى، وقيل في البحار المعروفة؛ وقد يضم ذلك الجزر الكبيرة المسكونة، كأخذ السفينة غصبًا، وقال عطاء: الجزر التي في البحر. والمحصلة حدوث القحط، والنقص في الرزق في المدن والقرى ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿كَسَبَتْ﴾: ارتكبت وجنت ﴿أَيْدِي النَّاسِ﴾: بسبب المعاصي التي يقترفها البشر، فظهر النقص في الزرع، والثمار بسبب

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٤٣٦/٥ (٢٧٧٦١).

معصية الله ﷻ في الأرض، فكلمًا قام العدل كثرت البركات، وكلما ازدادت المحرمات قلت البركات ﴿ل﴾: حرف سبب وعلّة ﴿يُذَيِّقُهُمْ﴾: يصيبهم ويبتليهم بسبب ﴿بَغْضٍ﴾: جزء ﴿الَّذِي عَمِلُوا﴾: ما اقترفوا من جرائم في حقّ الله وفي حقّ الناس؛ بعقوبة بعض أعمالهم، بنقص الأموال، والأنفس، والثمرات؛ ابتلاءً وعقابًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أن ينتهوا عن المعاصي ويتوبوا إلى الله ﷻ؛ فتصلح أحوالهم وتستقيم أمورهم، وهذا من رحمة الله ﷻ بعباده.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (٤٢) ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿سِيرُوا﴾: وهذا أمرٌ للنبي ومن خلفه ﷺ من المؤمنين ليقولوا للخلق أن يسيروا بحرصٍ لأنّ الأمر يحتاج إلى تأملٍ ونظرٍ وتفكيرٍ وأخذِ العبرة، تأملوا ما ترون ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: من عذاب الأمم، وانظروا في سير وتاريخ الأمم السابقة في الأرض ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿انظُرُوا﴾: تأملوا واعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ﴾: ماذا حدث فيمن سبقكم ﴿عَاقِبَةُ﴾: نهاية وخاتمة ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: هنا بداية الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلُ﴾: في الماضي، كيف كانت عقوبة الله ﷻ في الذين سبقوكم على الأرض ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾: غالبية الناس ﴿مُشْرِكِينَ﴾: بالله ﷻ؛ يجعلون معه آلهة أخرى، كان الدمارُ في قوم نوحٍ، وقوم صالح، وفرعون، وقوم لوط، وغيرهم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ (٤٣) ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾: بادر يا محمد ﷺ بالاستقامة على طاعة الله ﷻ، وفعل الخيرات ﴿ل﴾: حرف تخصيص، اجعل وجهك اتباع ﴿الدِّينِ الْقَدِيمِ﴾: العقيدة الصحيحة، هي الإسلام، صاحب القيمة العالية، والدرجة الرفيعة؛ فهو أمر الله ﷻ ﴿مِنْ قَبْلِ﴾: تفاديًا، وتحرزًا، ووقايةً ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾: تقوم فيه القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿مَرَدٍّ﴾: منع، أو إعطاب، أو تأخير ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: جزء أو بعض من أمر ﴿اللَّهِ﴾: لا يردّه أحدٌ إذا أمر الله ﷻ به أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كلمة مكونة من "يوم وإذ" بمعنى في ذلك الوقت ﴿يُصَدِّعُونَ﴾: يفترقون، فريق في الجنّة، وفريق في السعير.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (٤٤) ﴿مَنْ﴾: إنّ الذي ﴿كَفَرَ﴾: غطى في قلبه الإيمان بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ﴿ف﴾: بسبب كفره ﴿عَلَيْهِ﴾ سيعاقب بجرائم ﴿كُفْرُهُ وَ﴾: أيضًا ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، وأن يكون

صالحًا كما أمر الله ﷻ في شريعته ﴿فَ﴾: حرفٌ يفيد جواب الشرط ﴿لأنفسهم يمهّدون﴾: بسبب ما سبق يوظفون لأنفسهم مواضع النعيم في الجنة بالعمل الصالح.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٥)

﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَجْزِي﴾: يُكافئ ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ﴾: بعض وهذا يفيد بداية الغاية المكانية ﴿فُضْلِهِ﴾: يجازيهم الله ﷻ بفضلِه، الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله الكريم، وهذا فضلُ الله ﷻ الذي يُنعم به على عباده الصالحين، فعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا"^(١)، ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأکید ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: إن الله ﷻ يكره الذين أنكروا الدين؛ فإنه يعاقبهم، لسخطه وغضبه عليهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤٦)

﴿وَمِنْ﴾: أيضًا بعض ﴿آيَاتِهِ﴾: من فضل الله ﷻ آياتٌ بالغةٌ الوضوح في فائدة الخلق ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ﴾: يُسخرها تجري وهي من الآيات الدالة على قدرته ﷻ وأنه الإله الحق قدرته على إرسال الرياح بالغيث والمطر ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾: تبشر الإنسان، والشجر، والحيوان، أن الغيث آتٍ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يُذِيقُكُمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿رَحْمَتِهِ﴾: من كرمه، ورزقه، وعطائه، والهدف هو الغيث الذي يشربه الإنسان، والحيوان، ويسقي الزرع، والعباد، والبلاد ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِ﴾: حرف الباء السببية ﴿أَمْرِهِ﴾: وهذه الرياح هي التي تدفع السفن؛ لتنتقل من مكانٍ إلى آخرٍ قبل اختراع الآلات البخارية ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ﴾: ترغبوا في بعض ﴿فُضْلِهِ﴾: كرمه ورزقه ﷻ؛ لتحقيق ما تريدون من السفر، والتجارة، والعيش ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: حرفٌ يُفيدُ الإشفاق لأنها جاءت من الله ﷻ ﴿تَشْكُرُونَ﴾: تشكروه ﷻ على نعمه؛ جاء: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم-٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)

(١) صحيح البخاري ١/١٧٧(٤١).

وفي التخفيف عن الرسول ﷺ يقصُّ عليه ﷺ قصصًا **﴿وَلَقَدْ﴾**: يفيد حدَّثَ وتحقَّق في الماضي **﴿أَرْسَلْنَا﴾**: بعثنا وكلفنا **﴿مَنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد بداية الغاية الزمانيَّة **﴿قَبْلِكَ﴾**: جاء ذكر قبل للترتيب الزمني لمبعث الرسل **﴿رِسَالًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾**: في مجتمعاتٍ سابقةٍ، رسلاً إلى قومهم؛ مبشرين؛ ومنذرين؛ يدعونهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك **﴿ف﴾**: حرف يفيد سبب **﴿جَاءَهُمْ بِ﴾**: حرف باء التعددية **﴿النَّبِيَّاتِ﴾**: جاءهم بالمعجزات والأدلة والبراهين الواضحة؛ الساطعة كناقاة صالح، وعصا موسى، وعليهما السلام، والسياق يقول إنَّ النَّاسَ كَفَرُوا **﴿فَأَنْتَقَمْنَا﴾**: انتقامٌ شديدٌ **﴿مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانيَّة **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿أَجْرُمُوا﴾**: كفروا بربهم ﷺ ارتكبوا الجرائم في الدنيا، فانقمنا من الذين اكتسبوا السيئات منهم فأهلكناهم **﴿وَكَانَ﴾**: وسبقى دائماً **﴿حَقًّا﴾**: واجباً وأجبه ﷺ على نفسه **﴿عَلَيْنَا نَصْرٌ﴾**: تأييد وعون **﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾**؛ أتباع الرُّسل ليتحقق وعد الله ﷻ الذي لا يتأخر عن الميعاد. عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَزِدُّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَزِدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الروم-٤٧] (١).

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فُتْرَى الوُدُقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَنْبِشُونَ﴾ (٤٨)

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾: يتحدث الحق ﷻ عن تسخيره كيف ينزل المطر، فيرسل الرياح على البحار وغيرها من التجمعات المائية **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد سرعة التنفيذ **﴿تُثِيرُ سَحَابًا﴾**: سخر الله ﷻ عملية البحر، التي يتحول فيه الماء إلى بخار؛ يصعد إلى السماء؛ فيكوِّن السحاب الثقيل **﴿فَيَبْسُطُهُ﴾**: ينشره ويزيده ويوزعه **﴿فِي السَّمَاءِ﴾**: في كل ما هو فوق الأرض؛ **﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾** فينتشر، يمتد، ويتوزع بإرادة الله ﷻ **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿يَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾**: قال مجاهد: قطعًا، وقال الضحاك: مُتْرَاكِمًا، والمحصلة يصبح الغيم أسودًا من كثرة الماء؛ لأنَّ ذرَّاتِ الماءِ في السحابِ حجبت أشعة الشمس؛ فبدأ أسودًا **﴿فُتْرَى﴾**: تُشاهد عيانًا **﴿الْوُدُقَ﴾**: ماء المطر **﴿يَخْرُجُ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانيَّة **﴿خِلَالِهِ﴾**: يتكاثف البخار؛ ليصبح الغيث والمطر **﴿فَإِذَا﴾**: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿أَصَابَ بِهِ﴾**: إذا ساقه الله ﷻ إلى **﴿مَنْ﴾**:

(١) مكارم الأخلاق للطبراني ص: ٣٦٢ (١٣٤) قال الأرنؤوط في حاشية سنن أبي داود ٢٤٦/٧: حديث حسن لغيره.

الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ مِنْ﴾: بعض ﴿عِبَادِهِ﴾: البشر، وبقية الخلق؛ وهم في أشد الحاجة إليه ﴿إِذَا هُمْ﴾: تحديداً ﴿يَسْتَنْبِشُونَ﴾: يفرحون بمجيء الغيث، ويأملون خيراً.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ (٤٩)

﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانُوا مِنْ﴾: يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾: جاء تكرر من قبل بمعنى التوكيد، للدلالة على أنّ عهدهم بالمطر قد طال، فاستحكم يأْسُهُمْ، وتنامى إِبْلَاسُهُمْ فكان الاستبشار على قدر الغم الذي أصابهم، هذا كان حالهم قبل نزول الغيث ﴿ل﴾: حرف تأكيد ﴿مُبْلِسِينَ﴾: آيسين، قانطين، في حاجة شديدة للشرب، والزراعة.

﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّبِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُخَيِّبٌ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٠)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿انظُرْ﴾: تأمل، وتفكر، وبوعي وإدراك، والهدف من هذا التنبيه على عظيم قدرة الله ﷻ، وسعة رحمته، وهذا ما يمهد لأمر البعث ﴿إِلَى آثَارِ﴾: نتائج وتداعيات وتتابع ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾: كيف تكوّن المطر؟ وأين نزل؟ وماذا حدث من خير؟ ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام وتعجب ﴿يُخَيِّبِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: حيث كانت الأرض جرداء، فمن يشك في القيامة فعليه أن يُقارن الأرض قبل الغيث وبعده ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد؛ إنّ الذي أحيا الأرض الميتة ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿مُخَيِّبِ الْمَوْتَى﴾: لقادر على إحياء الموتى ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿عَلَى كُلِّ﴾: تفيد الجميع والعموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد أنّه ما من شيء؛ لأنّ شيء نكرة تفيد العموم؛ فعموم الخلق تحت مشيئته ﷻ ﴿قَدِيرٌ﴾: إنّ قدرته الأعظم في الكون كلّه.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٥١)

﴿وَلَئِنْ﴾: حرف شرط سببي ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾: جافة، لا ماء فيها، مرّت على الزرع الذي نبت؛ فأصابه الريحُ بضرٍ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿رَأَوْهُ﴾: شاهده ﴿مُصْفَرًّا﴾: بدأ زرعهم يجفُّ قبل أن يثمر ﴿ظَلُّوا﴾: بسبب ذلك بقوا ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾: ينكرون نعم الله ﷻ الأخرى عليهم؛ هؤلاء الذين إن أعطوا رضوا، وإنّ منعوا كفروا.

التكليف: عن أنواع الريح: قال عبد الله بن عمر: الريح ثمانية، أربعة منها رحمة، وأربعة منها عذاب، فأما الرحمة فالناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات، وأما العذاب فالعقيم، والصرصر، وهما في البر، والعاصف، والقاصف، وهما في البحر.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٥٢)

﴿ف﴾: لهذا السبب **﴿إِنَّكَ﴾**: أنت بالتأكيد يا محمد ﷺ **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾**: لأنك لا تسمع الموتى، ليس من قدرتك **﴿و﴾**: أيضًا أنت **﴿لَا تَسْمَعُ الصَّمَّ﴾**: الذين لا يسمعون **﴿الدُّعَاءَ﴾**: هو القول الصادق والدعوة إلى الله ﷻ؛ وفي الحقيقة هم يسمعون؛ ولكنهم إذا سمعوا لم يعقلوا؛ فهم والصم سواء، ولا تسمعهم **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿وَلَّوْا﴾**: هربوا **﴿مُدْبِرِينَ﴾**: وأعطوك ظهورهم وابتعدوا.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْغَمِّي عَنْ ضَلَّالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٥٣)

﴿و﴾: عطفًا على هذا **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿أَنْتَ﴾**: يا محمد ﷺ **﴿ب﴾**: باء السببية **﴿هَادٍ﴾**: تدلُّ على الصحيح **﴿الْغَمِّي﴾**: وأنت أيضًا لن تهدي الأعمى؛ لأنه قد بصره **﴿عَنْ﴾**: حرف يُفيد المجاوزة، وانتهاء الغاية، وهي هنا غياب البصر **﴿ضَلَّالَتِهِمْ﴾**: فإنك لن تهدي التائهين عن الحق؛ فليس بمقدورك هدايتهم **﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يُؤْمِنُ بِ﴾**: باء السببية **﴿آيَاتِنَا﴾**: إنما يسمعك، ويفهمك، ويستجيب لك، ويطيعك، ويعمل بما تقول الذين آمنوا بآيات الله ﷻ **﴿ف﴾**: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ **﴿هُمْ﴾**: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص **﴿مُسْلِمُونَ﴾**: هم مستسلمون لك خاضعون ممتثلون لأمر الله ﷻ.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤)

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم من غير سابق وجود **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع **﴿ضَعْفٍ﴾**: الله ﷻ الذي خلقكم من ماءٍ ضعيف مهين، وهو النطفة، وهي مكونكم الأول: الحيوان المنوي، والبويضة **﴿ثُمَّ﴾**: تُفيدُ تتابعًا زمنيًا غير سريع **﴿جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾**: يُذكرُ الله ﷻ مراحل نمو الإنسان، أطوار الخلق، الأصل من تراب، ثم نطفة، وهي حيوان منوي، وبويضة، ثم من علقة، تلتصق بجدار ظهر الرحم في المنطقة العلوية، ثم تكبر؛ فتكون مُضغَةً؛ كقطعة خبزٍ ممضوغةٍ، وتكبر، وتتكون الأجزاء، والأجهزة، ويخرج بعد أربعين أسبوعًا من الرحم ضعيفًا، ثم يكون صغيرًا طفلًا، ثم حدثًا، ثم مرهقًا، ثم شابًا، وهذه هي القوة بعد الضعف **﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾**: تفيد

تتابعًا زمنيًا على التراخي ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿بِعِدِّ قُوَّةً﴾: الصبا والشباب ﴿صَغْفًا وَ﴾: أيضًا جعل ﴿شَيْبَةً﴾: ثم تأتي مرحلة الكهولة، والشيخوخة، والهرم، فتضعف الهمة، وتشيب الرأس، وتضعف أجهزة الجسم ﴿يَخْلُقُ﴾: يوجد من غير سابق وجود ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: يفعل في عباده ما يشاء بحكمته، وعلمه؛ ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾: الذي لا يغيب عن علمه شيء في الكون ﴿الْقَدِيرُ﴾: الذي لا يُعجزه شيء أرادهُ ﷻ.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (٥٥)

﴿وَ﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: يوم القيامة ﴿يُقْسِمُ﴾: يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: يوم القيامة عندما يبعث الله ﷻ الخلق من قبورهم يُقسِمُ المجرمون بجهلٍ فاضحٍ؛ ففي دنياهم أطاعوا، وعبدوا غير الله ﷻ، ومنها الأصنام ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَبِثُوا﴾: مكثوا أقاموا إقامةً دائمةً ﴿غَيْرَ﴾: حرف استثناء ﴿سَاعَةٍ﴾: يوم القيامة يقسم المجرمون بجهلهم أنهم ما عاشوا في الدنيا غير ساعة؛ يتحججون أنه لم يكن لهم الوقت الكافي حتى يؤمنوا ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل، أيضًا ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: هكذا كانوا في حياتهم كذابين، ويوم القيامة كذابون.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ
وَلَكِنَّا كُنَّا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥٦)

﴿وَ﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿أُوتُوا﴾: حصلوا ﴿الْعِلْمَ وَ﴾: أيضًا حققوا في قلوبهم ﴿الْإِيمَانَ﴾: هؤلاء يردون على الكفار يوم القيامة؛ كما أقاموا عليهم الحجة في الدنيا؛ يقيمونها عليهم في الآخرة ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿لَبِثْنَا﴾: مكثتم وأقمتم إقامةً دائمةً ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: مكتوبٌ في كتاب أعمالكم ما عملتم في حياتكم ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾: مكتوبٌ من يوم ولادتكم إلى يوم مماتكم فيما كتب الله ﷻ مما سبق في علمه من يوم خلقكم إلى أن يبعثكم من قبوركم ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿هَذَا﴾: إشارة للمفرد المذكر ﴿يَوْمِ الْبَعْثِ﴾: هذا يوم بعثكم وهو ما أنكرتم وكفرتكم ﴿وَلَكِنَّا﴾: حرفٌ يفيد الاستدراك ﴿كُنَّا﴾: في حياتكم الدنيا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْلَمُونَ﴾: لم ترغبوا أن تعلموا؛ فأنتم الجاهلون، الذين مأواهم جهنم وبئس المصير.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٥٧)

﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كلمة مكونة من "يوم" و "إذ" وتعني في ذلك اليوم، يوم القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْفَعُ﴾: يفيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ

يفيد الجميع ﴿ظَلَمُوا مَعْدِرَتَهُمْ﴾: لا تُقبل معذرة الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم؛ فكفروا وعصوا ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطلب منهم إرضاء الله ﷻ بتوبة وإنابة.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جِنَّتَهُمْ بَايَةٌ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُنْبَطُونَ﴾ (٥٨)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿ضَرَبْنَا﴾: بيّنا ووضّحنا ﴿لِلنَّاسِ﴾: تخصيماً كلمة عامّة تفيد كلّ البشر، المؤمن والكافر ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: جميع ﴿مَثَلٍ﴾: ولقد وضّحنا للناس في هذا القرآن الأمثال في كلّ ما يحتاج إلى التوضيح؛ فليس لهم بعد ذلك عتبٌ أو عذرٌ ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَنْ﴾: حرف شرط ﴿جِنَّتَهُمْ ب﴾: حرف باء السببية ﴿بَايَةٌ﴾: ولو جنتهم يا محمد ﷺ بدليل على صدقك ﴿لِيَقُولَنَّ﴾: بالتأكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿كَفَرُوا﴾: غطّوا وأنكروا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط بمعنى ما ﴿أَنْتُمْ﴾: يا محمد وأتباعك المؤمنين بك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مُنْبَطُونَ﴾: ما أنت يا محمد وأتباعك إلاّ سحرة، وأنتم على الباطل، فيما جنتمونا به من الأمور، وفي هذا الزمان إذا جاءت حركة إسلامية راشدة؛ اتهموها بالتخلف، والرجعية، والعمالة، والتعصب، والكذب.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٩)

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾: تُبين هذه الكلمات أنّ طبيعة الكافرين واحدة على طول الزمن؛ كأنها ختمت على مطبعةٍ واحدةٍ ﴿عَلَى قُلُوبِ﴾: مراكز الوعي والإدراك، جاء في المعنى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَا﴾ [محمد-٢٤] ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: إنّ عصرنا هذا خيرٌ مثاليّ على هذه الصفة، التي كتبها الله ﷻ عليهم، إنهم لا يعلمون؛ ففي علوم الدنيا هم يعلمون؛ بينما المؤمنون أكثر فهمًا لحقائق الكون، والسياسة، والتجربة الإنسانية، وأمّا في علوم الآخرة فإنّ الظالمين كالأنعام بل أضلّ، جاء في المعنى: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [محمد-١٢].

التكليف: ومثل هذا الطبع على القلوب يفعله الله ﷻ مع الفاقدين للعلم النافع، الذي يهتدون به إلى الحق؛ وينجون به من الباطل.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٦٠)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اصْبِرْ﴾: أمرٌ ريبانيّ، لمحمد ﷺ ومن على دربه إلى يوم القيامة؛ هي علاج، وليست حالة عجز أو قصور، حالات الصبر على عنادهم، وخلافهم مع المؤمنين،

وعدوانهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: هذه هي العاقبة؛ وعد الله ﷺ المؤمنين ورسوله النصر على أعدائهم، وجعل العاقبة خيرا له ﷺ وللمؤمنين في الدنيا، وجعل لهم الآخرة يوم القيامة؛ فوزًا عظيمًا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿يَسْتَخْفَنُكَ﴾: لا يثيرك ولا يستفزك عن دينك الذين لا يُصدقون أنبياءه، ولا يؤمنون بكتبه ﷺ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُوقِنُونَ﴾: حال الذين لا يؤمنون يقينًا بالبعث؛ لا تتردد فيما تعلم، واثبت على ما أنت عليه من الإيمان؛ فالعاقبة للمتقين.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ يجب أن نؤمن أن الله ﷻ الذي خلق الكون، هو مدبره، بيده كل شيء الثواب والعقاب.



سُمّيت سورة لقمان بهذا الاسم؛ لأن فيها ذكر لقمان وحكمته، وليس لها اسم غيره، وهي سورة مكّية كلّها، وهي السورة رقم (٥٧) في تعداد السور، وعدد آياتها (٣٤) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين ﴿أل﴾: أراها، والله أعلم، تعني اسم الله ﷻ، فقد جاء ذكرها في أول سور البقرة، وسورة آل عمران، وغيرها وجاءت هنا في الآية رقم (٢) ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾، وهي آيات القرآن الكريم الذي أنزله الله ﷻ على محمد ﷺ، وجاء في الآية رقم (٥) ﴿عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وربُّهم هو الله ﷻ، وجاء في الآية رقم (٦) ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء اسم الله ﷻ صريحًا.

﴿م﴾: أرى، والله أعلم، أنها تعني محمداً ﷺ، جاء فيما سبق من السور مثل البقرة وآل عمران وغيرها، وجاء هنا في الآية رقم (٢) ﴿آيَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ وهو القرآن الذي نزل من عند الله ﷻ على محمد ﷺ، والحديث عن أمّة محمد ﷺ، وجاء أول وصفٍ لأمّة محمد ﷺ في الآية (٣) ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، وفي الآية (٤) ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وجاء في الآية رقم (٦) ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم الذين كفروا بمحمد ﷺ وجاء عن المشرك في الآية (٧)، ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾.

﴿تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (٢)

﴿تَكَ﴾: اسم إشارة للمؤنث البعيد ﴿آيَاتُ﴾: هذه الأدلة والبراهين الدالة، والواضحة على
﴿الْكِتَابِ﴾: آيات القرآن الكريم ﴿الْحَكِيمِ﴾: الذي ينطق بالحكمة البالغة.

﴿هُدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (٣)

﴿هُدَى﴾: دليل يهدي التائبين الضالين ﴿وَرَحْمَةً﴾: هذه الآيات جاءت هدى ورحمة من الله
ﷻ في الدنيا، ويوم القيامة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: حرف اللام للتخصيص
والتملك، الذين أحسنوا العمل في الدنيا وعبدوا الله ﷻ كأنهم يرونه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤)

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: يؤدون الصلاة المفروضة على
الوجه الأكمل، وزادوا عليها النوافل ﴿و﴾: عطفًا على الإيمان والصلاة ﴿يُؤْتُونَ﴾: ويدفون
﴿الزَّكَاةَ﴾: المفروضة إلى مستحقيها، ويصلون الأرحام، ويؤمنون بالثواب والعقاب من الله ﷻ
﴿وَهُمْ﴾: بالتحديد ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْآخِرَةَ﴾: يوم القيامة ﴿هُم يُوقِنُونَ﴾: يعتقدون
اعتقادًا جازمًا بالبعث، والجزاء يوم القيامة، وما فيها من ثواب وعقاب، واختاروا ما ينفعهم يومها.
التكليف: خص الله ﷻ هذه العبادات الثلاث؛ لأنها أمهات العبادات؛ فجمعت أركان الدين
بأكملها.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥)

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للقريب والبعيد ﴿عَلَى هُدًى﴾: نور ومعرفة ﴿مِّن﴾: حرف بيان وتمييز
لنوع، يفيد هنا بداية الغاية ﴿رَبِّهِمْ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي، هو المنشئ لهذا الكون
البديع بمن وبما فيه من طورٍ إلى طورٍ حتى التمام، وهو سبحانه الخالق، والمالك، والعاطي،
وكثير الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح،
والسيد، هذه صفات ربّ هؤلاء المصلحين، المنفقين، الخاشعين، المجاهدين، إنَّ المنهج عندهم
واضح، وبصيرتهم ثاقبة ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿أُولَئِكَ هُمْ﴾: تحديدًا ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الذين
يفوزون في الدنيا؛ حتى وإن أصابتهم ابتلاءات، وفي الآخرة يفوزون بالجنة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: بعد ذكر أهل الفوز في الآية السابقة؛ جاء وصف
بعض الناس، صنفٍ من الأشقياء، أهل الخسارة ﴿مِن﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشْتَرِي﴾:
يختار أن يسمع أو يُسمع؛ يبيع أو يشتري، بدلًا من سماع كلام الله ﷻ؛ يسمعون الأحاديث

التي تلهي النَّاسَ عن سماع كلام الله ﷻ **﴿لَهُوَ﴾**: مضيعة الوقت، والجهد بلا ثواب **﴿الْحَدِيثِ﴾**: كل ما يلهي عن طاعة الله ﷻ، كالمزامير، والغناء، والألحان، والطرب، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾** [لقمان-٦]، قَالَ: الْغِنَاءُ وَأَشْبَاهُهُ^(١)، **﴿ل﴾**: حرف يفيد العلة والسبب **﴿يُضِلُّ﴾**: يسبب التيه لغيره من الناس **﴿عَنْ﴾**: حرف جر يفيد المجاوزة والبعد **﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: طريق الهدى ومنهج الصواب والحق؛ ليصنع الفرقة والاختلاف بين المسلمين؛ فيضعفوا، ويصرف النَّاسَ عن دينهم ويسخر من آيات الله ﷻ **﴿ب﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿غَيْرِ عِلْمٍ﴾**: لأنه من لم يعرف الطريق ضلَّ **﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾**: يعتمدها وسيلة **﴿هَزْوًا﴾**: قال مجاهد: يستهزئ بسبيل الله ﷻ، وقال قتادة: يتخذ آيات الله هزواً **﴿أُولَئِكَ﴾**: إشارة للبعيد والقريب **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿عَذَابٍ مُهِينٍ﴾**: ولأنَّ الجزاء من جنس العمل؛ فإنَّ عذاب الكافرين الإهانة في عذابٍ دائمٍ.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَيْمِهِ﴾ (٧)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها مع ما قبلها **﴿تُلِيَتْ﴾**: تُقرأ **﴿عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾**: إذا كان في مجلس الذكر للآيات القرآنية، والسنة المشرفة **﴿وَلَّى﴾**: قام وابتعد، أو أعرض **﴿مُسْتَكْبِرًا﴾**: أعرض عن طاعة الله ﷻ؛ مُتْرَفَعًا، وَمُتَعَفِّفًا وذهب إلى لهو الحديث، والطرب، واللعب **﴿ك﴾**: حرف تشبيه **﴿أَنَّ﴾**: حرف يفيد التقريب **﴿لَمْ﴾**: حرف نفي **﴿يَسْمَعْهَا﴾**: يُعِيدُ التشكيك في سماعها مع إنه سمعها **﴿كَأَنَّ﴾**: حرف يفيد التشبيه **﴿فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾**: الوقر هو ثقل في السمع، حاله كحال من لم يسمع؛ لهذا السبب لا يفهم ولا يريد أن يفهم، إنه يتأذى من سماعها، إنَّ السمع أداة فهم؛ فإذا لم يفهم فكأن في أذنيه ما يسدُّها **﴿ف﴾**: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ **﴿بَسَّرَهُ﴾**: جاءت هنا للتهمك واستهزاءً به؛ لأنَّ البشري تكون للخير، أما هنا فقد جاءت في معرض **﴿بَعْدَآبِ أَيْمِهِ﴾**: قل له إنَّ في يوم القيامة ألم شديد؛ لأنك تتألم في الدنيا من سماع آيات الله؛ فالجزاء من جنس العمل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (٨)

بعد ذكر مآل الأشرار؛ يأتي ذكر مآل الأبرار **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا﴾**: بالله ﷻ، وصدَّقوه، وآمنوا برسوله، واتبعوه **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: التي شرَّعها الإسلام **﴿لَهُمْ﴾**: جزاؤهم من عندنا **﴿جَنَّاتٍ﴾**:

(١) الأدب المفرد ص: ٤٣٢ (١٢٦٥). قال الألباني: صحيح الإسناد موقوف.

وليس جنة واحدة ﴿النَّعِيمِ﴾: بمعنى نعيم الجنّات؛ جنات التمتع، والتلذذ، والاستمتاع بالمأكل، والمشرب، والملبس، والمراكب، والهور العين، والنظرة، والسماع، وهذا عكس ما جاء في الآية التي قبلها والتي جاءت في معرض العذاب الأليم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٩)

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مُقيمين ماكنين دائماً، لا يخرجون منها، ولا يريدون أن يخرجوا هذا ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾: وعدهم الله ﷻ، ووعدته حق، كائن لا محالة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: أيضاً هو تعالى الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي يفعل الخير المطلوب في كماله قولاً، وعملاً.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (١٠)

﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق مثال أو وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض من آيات الله ﷻ، خلق السموات بغير عمد، إنّ السماء كونٌ فسيحٌ تسير فيه السفن الفضائية سنوات لتصل إلى أجرام؛ لا تُحصى ﴿بِغَيْرِ﴾: حرف استثناء ﴿عَمَدٍ﴾: أعمدة رفيع ﴿تَرَوْنَهَا﴾: لا أعمدة تمسكها أو ترفعها، أو تراها؛ لم يُنكر الله ﷻ وجودها؛ ولكن قال لا ترونها، واليوم تقول العلوم الحديثة بأنها قوانين: جاذبية، التي تتعادل مع قوانين قوى الطرد المركزي، التي جعلت مسارات الكواكب ثابتة، لا يُغادرها الجرم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿الْقَى﴾: وضع ﴿فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾: خلق الجبال الكبيرة؛ لتجعل حركة الأرض الدائبة في المسار الذي حدده الخالق ﷻ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُمِيدَ﴾: لا تضطرب ﴿بِكُمْ﴾: جعلها مستقرة ثابتة حتى لا تتحرف الأرض عن مدارها، لو دارت أرضٌ بأسرع مما حدده الله ﷻ لها؛ لطردت ما عليها ﴿وَبَثَّ﴾: نشر ﴿فِيهَا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿دَابَّةٍ﴾: خلق فيها من أصناف كل ما يتحرك عليها من إنسان، وحيوان ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: وأيضاً من فضل الله ﷻ أن جعل دورة المطر، في فصولٍ محددة ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿أَنْبَتْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الفائدة ﴿فِيهَا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿زَوْجٍ﴾: أمر الله ﷻ النباتات أن تُصبح منه الحبة ملايين، والبدور أن تكون أشجاراً من كل نوع ﴿كَرِيمٍ﴾: حسن طيب المذاق ومفيد للجسم، قال الشعبي: من دخل الجنة؛ فهو كريم، ومن لم يدخلها؛ فهو لنيم.

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١١)

﴿هَذَا﴾: حرف إشارة لما سبق ذكره مما خلق ربُّنا وأبدع ﴿خَلَقُ﴾: والخلق هو إيجاد الشيء من غير سابق وجود ﴿اللَّهِ﴾: كل ما تشاهدون هو من خلق الله ﷻ ويشمل فيما يشمل الإنسان، والأرض، والأجرام، والكون العظيم، حول الأرض، والنبات، وما يدب على الأرض، وما سكن؛ هذا خلق الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر ﴿أَرُونِي﴾: هاتوا لأشاهد ﴿مَاذَا﴾: حرف استفهام ﴿خَلَقَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ هم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: الاستفهام جاء للتقريع والتوبيخ؛ بمعنى أروني ماذا خلقت آلهتك التي تعبدونها من دون الله ﷻ، هاتوا شاهداً مما تعبدون من الأصنام، والأوثان، والأنداد، وهذا من باب إظهار عجزهم ﴿بَل﴾: حرف يفيد ابطال المعنى الذي قبله والرد عليه بما بعده، هنا بين "الظلم والضلال" ﴿الظَّالِمُونَ﴾: فقرر ﷻ ظلمهم أولاً؛ وضلالهم ثانياً؛ لأنهم لن يأتوا بشيء؛ فالذين ظلموا أنفسهم بكفرهم، وظلموا غيرهم بدعوتهم للكفر هم ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: في تيه، وضياح، وعمى ﴿مُبِينٍ﴾: واضح ظاهر، ومن كانت هذه حالته فلا يهتدي.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢)

﴿و﴾: حرفٌ يفيد التحقق في الماضي ﴿لَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿آتَيْنَا﴾: أعطينا، ووهبنا ﴿لُقْمَانَ﴾: قال ابن عباس: هو عبدٌ صالحٌ حبشيٌّ كان يعمل نجاراً، وقيل نبياً، وقال سعيد بن المسيب: كان من سودان مصر، أعطاه الله ﷻ الحكمة، ولم يُعطه النبوة، ﴿الْحِكْمَةَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الحكمة" على خمسة أوجه؛ بمعنى الفهم، والعلم، والتعبير، والفقہ في الدين، والصواب في الرأي، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ قَالَ: الْفِقْهُ، وَالْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ فِي غَيْرِ نُبُوَّةٍ^(١)، ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اشْكُرْ لِلَّهِ﴾: على ما منحه من الفضل، الذي اختصه به على أهل زمانه وجنسه ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشْكُرُ فَإِنَّمَا﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿يَشْكُرُ ل﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِهِ﴾: إنَّ المستفيد من شكره هو الشاكر نفسه، ثوابه وفضله ﴿وَمَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿كَفَرَ﴾: من جحد نعمة ربِّه غطى حقيقة الخالق، وهو الله ﷻ؛ فعليه عقابٌ كفره ﴿فَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿اللَّهُ غَنِيٌّ﴾: لا يحتاج إلى خلقه في شيء ﴿حَمِيدٌ﴾: له الحمد والثناء على كلِّ حال، محمودٌ وممجَّدٌ في السموات والأرض.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣)

(١) الزهد لأحمد بن حنبل ١٢٥/١

يصف الله ﷻ في الآية السابقة لقمان بأحسن وصفٍ، وهنا تطبيق لهذه الأخلاق ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إذ﴾: حرف يفيد توكيد القوا والتحقق في الماضي ﴿قَالَ لُقْمَانُ ل﴾: حرف تخصيص ﴿ابنه﴾: ولده ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾: لماذا خصَّ لقمان ﷺ ابنه بالموعظة دون غيره لأنَّ أعلى مراتب الإنسان أن يكون كاملًا في نفسه، مكملًا لغيره، وتكون البداية بالأقرب إليه وهو ابنه؛ أوصى لقمان ابنه الذي يُحِبُّه بأعظم وصيةٍ ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد بهدف التصغير ولكن أراد به هنا الشفقة والمحبة لابنه؛ وبدأ بالنهي ﴿بُنَيَّ﴾: ولدي ﴿لَا﴾: حرف نهى وتحريم ﴿تَشْرِكْ﴾: تجعل مع الله ﷻ إلها آخر ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهِ﴾: لا تعبد غير الله ﷻ؛ فهي مفتاح كلِّ خيرٍ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الشِّرْكَ ل﴾: يُفيد العلة والسبب ﴿ظَلَمَ عَظِيمٌ﴾: هذا الشرك من أعظم الكبائر وأبشعها، هو الجور والطغيان العظيم؛ أما معاملات البشر بما فيها من مظالم؛ فهي دون ذلك، ويغفرها الله ﷻ إن شاء، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام-٨٢]: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام-٨٢] بِشِرْكَ، أَوْلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ نَظْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿وَصَّيْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الوصيِّ ﷻ؛ وعظم الوصية، يُقرن الله ﷻ بين الإيمان بالله، والإحسان إلى الوالدين ﴿الْإِنْسَانَ﴾: جنس بني آدم عمومًا ﴿ب﴾: حرف باء الغاية ﴿وَالِدَيْهِ﴾: جاء هنا ذكر الخاص بعد ذكر العالم الأب والأم، لزيادة الاهتمام العناية للأم التي ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾: في بطنها ﴿وَهْنًا﴾: ضعفاً وتعباً ومشقةً ﴿عَلَى وَهْنٍ﴾: ضعفٍ وتعبٍ ومشقةٍ أكثر، قال مجاهد: تتحمل ضعف الولد وتربيته، وقال قتادة: جهداً على جهدٍ، وقال عطاء الخرساني: ضعفاً على ضعف.

ملحوظة: لاشكَّ أنَّ حمل الأم لولدها يُضعفها؛ فهو يشاركها في طعامها، وشرابها، ونفسها الذي فيه الأكسجين، ويتمدد الرحم، وجدار البطن، ويضغط على الأحشاء، كما أنَّ مولده يُضعفها، وأخذة الحليب من صدرها، وحمله، وتربيته، والسهر عليه؛ فهذا كله يُسبِّبُ ضعفاً، وهو الطفل الضعيف في بطنها؛ ضعيفٌ عند مولده، ضعيفٌ بعد مولده، وضعفُ الولد وضعفُ الأم؛ هو وضعفٌ على ضعف؛ والله أعلم ﴿وَفِصَالُهُ﴾: أيضاً توقف الطفل عن الرضاعة ﴿فِي عَامَيْنِ﴾:

(١) صحيح البخاري ٤/١٤١ (٣٣٦٠)

إرضاعه عامين، ولم يقل ﷺ بعد عامين؛ أي في الوقت المناسب؛ خلال العامين، ومن هنا يمكن القول إن ستة أشهر في بطن الأم كافية لنمو أعضاء الطفل بالصورة التي تؤدي وظائفها، ستة أشهر في الحمل، وعامين في الرضاعة؛ فهذا في حده الأدنى، وهذا تفسير الآية الكريمة: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف-١٥] ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اشْكُرْ لِي﴾: على أنه ﷺ خلقك ووهبك الحياة، وتسخير أمك لتحملك، وترضعك، وتربيك؛ فطرة الله ﷺ التي فطر الأمهات عليها ﴿و﴾: أيضًا اشكر ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿وَالدِّيك﴾: واشكر بالقول، والفعل، والعطف، والرعاية للأب والأم؛ على مشقة تربيتك؛ ليلاً ونهاراً؛ صيفاً وشتاءً ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾: كلكم عائد إلى الله ﷻ، هذا مصيركم، إن هذا الربط الجميل المتكرر بين شكر الله ﷻ والإحسان إلى الوالدين من أعظم روابط المجتمعات المسلمة، والذي يُميزها عن الحيوانات، والمجتمعات المفككة، والتي تصفها الآية التالية.

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥)

أسباب النزول: قال مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفْتُ أَنِّي سَعِدٌ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّىٰ يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: رَعِمْتَ أَنْ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أُمُّكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّىٰ غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَىٰ سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ وَفِيهَا ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان-١٥] (١)، ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿جَاهِدَاكَ﴾: أتعبك حال الوالدين المشركين؛ إذ يحرسان بشدة، ويرغبان بإصرارٍ، بذلا جهدهما ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل في جعلك ﴿تُشْرِكَ بِي مَا﴾: الذي ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ يفيد النفي ﴿لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: أن تعبد من دون الله ﷻ ما يعبدون ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿تَطِعْهُمَا﴾: لا تقبل وارفض أن تشرك بي غيري في عبادتك ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: عس حياتك معهما، ولا تقاطعهما، وأحسن إليهما؛ إنفاقاً ورعاية ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿اتَّبِعْ سَبِيلَ﴾: منهج حياة ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَنَابَ إِلَيَّ﴾: سر على منهج المؤمنين، الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ﴿ثُمَّ﴾: واعلم مع التتابع الزمني غير السريع ﴿إِلَيَّ﴾: إلى الله ﷻ ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: ستموتون جميعاً، وترجعون إلى الله ﷻ

(١) صحيح مسلم ١٨٧٧/٤ (١٧٤٨).

يوم القيامة ﴿ف﴾: يفيد السبب ﴿أَنْتُمْ﴾: أخبركم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: سأخبركم بما كنتم تعملون في الحياة الدنيا؛ وتعرض عليكم صحائف أعمالكم صغيرها، وكبيرها.

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦)

ويستمر القرآن الكريم في سرد وصايا لقمان الحكيم لابنه، وهي لكلّ ابنٍ في كلّ زمانٍ، ومكان ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿بُنَيَّ إِنَّهَا﴾: السيئة أو الخطيئة ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَكُ﴾: تكون ﴿مِثْقَالَ﴾: إن كانت قدر خردلةٍ وزن ﴿حَبَّةٍ مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿خَرْدَلٍ﴾: إذا كان وزنها قليلاً كوزن حبة الخردل، وهو نبات من فصيلة الكرنب؛ يستخدم للأكل والعلاج؛ وحبوبها من أصغر الحبوب، فلا ترجح ميزاناً ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾: كمثال أي مخفية في صخرة في الأرض، من باب التمثيل ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد هنا التسوية بين كونها في الصخرة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: أو مخفية في كلّ ما علا الأرض ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا﴾: يُحضرها ﴿اللَّهُ﴾: يوم القيامة، يوم يضع الموازين القسط؛ ما الهدف؟ الجزاء إن كانت خيراً؛ فخير، وإن كانت شراً؛ فشر ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ﴾: بعباده العالم بدقائق الأمور، صاحب العلم الذي لا يخفى عليه شيء ﴿خَبِيرٌ﴾: بأعمالهم، يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء؛ علم الذي خلق، وقدر؛ فهدي.

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧)

وتستمر وصايا لقمان لابنه؛ كما ألهمه الله ﷻ ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿بُنَيَّ﴾: ابني ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: عليك أن تؤدي الصلاة بحدودها، وفروضها، وأوقاتها ﴿و﴾: أيضاً ﴿أْمُرْ﴾: احكم واطلب من الناس ﴿ب﴾: بآء الصلة ﴿الْمَعْرُوفِ﴾: اطلب ممن تقدر عليهم العمل بما يرضي الله ﷻ ﴿وَأَنْهَ﴾: أيضاً امنع غيرك ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد المجاوزة والبعث ﴿الْمُنْكَرِ﴾: اعمل على منع المنكرات، وفواحش الأفعال ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿أَصَابَكَ﴾: وهذا يُدل على ما سيصيب الداعية المؤمن الناتج عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ سيصيبك أذى وضرراً، وعلاجه الصبر ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿عَزْمِ﴾: لم يقل ﷻ من حق بل من عزم؛ لأنها من الطاعات

المذكورة التي وصّى بها؛ مما جعلها الله ﷻ عزيمةً؛ وأوجبها على عباده؛ لبيان حتمية التكليف، وبالتالي لم يُرخص في تركها ﴿الأمور﴾: المواضيع والقضايا.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨)
 ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نهي عن كل مظاهر التكبر والتجبر، مثل ﴿تُصَعِّرْ﴾: ولا تشح ﴿خَدَّكَ﴾: بوجهك ﴿لِلنَّاسِ﴾: لا تُعرض النظر عن الذين يكلمونك، أو تكلمهم؛ احتقاراً، واستكباراً؛ بل ابسط وجهك، وأدن؛ قَرَب جانبك، ولا تتكبر ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾: لا تكن مشيتك في خيلاء، وأدن؛ وتكبرٍ، وتجبرٍ، وعنادٍ، فإن هذا يُبغض النَّاسَ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يُحِبُّ كُلَّ﴾: جميع ﴿مُخْتَالٍ﴾: الإنسان الفرح المعجب بنفسه ﴿فَخُورٍ﴾: المتفاخر بنفسه، المتكبر على الآخرين، والتكبر هو سفه النَّاسِ، وغمط الحق، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَعَاطَمُ فِي نَفْسِهِ وَيَخْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»^(١).

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَقْصِدْ﴾: توسط وتواضع ﴿فِي مَشْيِكَ﴾: في المشي؛ ليس بالبطء المعطل، ولا بالسريع المُربك، بل عدل ذلك، وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَلَا قَوْلَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لقمان-١٩] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَشَى، مَشَى أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ، وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلَائِكَةِ^(٢)، ﴿و﴾: أيضاً ﴿اعْضُضْ﴾: اخفض ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يُفيد بداية الغاية المكانية، وهو اللسان والفم ﴿صَوْتِكَ﴾: ولا ترفعه بلا فائدة، فإنه يؤدي ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿أَنْكَرَ﴾: هو الذي أشدّ مكروهاً ونكراناً ﴿الْأَصْوَاتِ لَ﴾: حرف تخصيص ﴿صَوْتُ الْحَمِيرِ﴾: هو النهاق، وجاء هنا للمبالغة في نَم الصوت المرتفع والتتفير منه وهذا دليلٌ على أن رفع الصوت من الكراهية الكبيرة، لقد وصف أن الأنكر من الأصوات هو صوت الحمير، النكران هو بُغض، والله ينكره، أي يبغضه؛ من هنا جاء تحريمه، قال ﷺ: إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاخَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيْقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا^(٣).

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ١/١٢٨ (٢٠١) وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. قال الذهبي: على شرط مسلم.

(٢) سنن ابن ماجه ١/٦٦ (٢٤٦) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) صحيح البخاري ٤/١٢٨ (٣٣٠٣).

التكليف: كانت هذه آيات نصائح لقمان الحكيم، وهي صالحة لكل مسلم في كل زمان ومكان.
**﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٢٠)**

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: أيها الناس اذا جاءت تفيد دائماً الوجع والحزن، ألا تشاهدون؛ والقصد هو ألم تعلموا لأن الرؤية أداة من أدوات الإدراك **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل ونفي الشك **﴿اللَّهُ سَخَّرَ﴾**: أن الله ﷻ هياً وذلك **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿مَا﴾**: كل الذي من جنس غير العاقل **﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾**: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها وهياًها، وجعلها لصالحكم؛ كالشمس، والقمر، والنجوم، والهواء، والغيث ذلك لكم ما في السماوات **﴿وَمَا﴾**: أيضاً الذي من البشر **﴿فِي الْأَرْضِ﴾**: للزراعة، والماء، والمعادن والبتترول، والنباتات، والزرع **﴿وَ﴾**: أيضاً **﴿أَسْبَغَ﴾**: أنم وأكمل **﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَةً﴾**: ما أنعم على الإنسان؛ **﴿ظَاهِرَةً﴾**: ترى، وتشاهد **﴿وَبَاطِنَةً﴾**: كالعقل، والعلم والفهم ووظائف الأعضاء **﴿وَمِنَ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿النَّاسِ﴾**: هم المنكرون الكافرون **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس البشر **﴿يُجَادِلُ فِي﴾**: توحيد **﴿اللَّهُ بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿غَيْرٍ﴾**: حرف استثناء **﴿عِلْمٍ﴾**: ليس عنده علم صحيح كالوحي، أو عقل مستتير، ولا كتاب منير، فهو يجادل، ولا يقتنع، ويريد إقناع الآخرين بجهله؛ مثل دعاة الشيوعية، والرأسمالية، والعلمانية، وغيرها **﴿وَلَا هُدًى﴾**: ليس عنده معرفة وعلم واضح **﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾**: كتاب يضيء للناس العقيدة، والفكرة؛ كما يضيء المصباح الطريق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢١)

﴿وَ﴾: عطفاً على ما سبق **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿قِيلَ لَهُمُ﴾**: للمجادلين بالباطل؛ المشككين في وحدانية الله ﷻ وبعثة رسله **﴿اتَّبِعُوا﴾**: اسلكوا الطريق **﴿مَا﴾**: الذي **﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾**: الشريعة المطهرة، التي نزلت على رُسُلِ الله ﷻ **﴿قَالُوا بَلْ﴾**: حرف إثبات بمعنى لكن **﴿نَتَّبِعُ مَا﴾**: الذي **﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾**: أي اتباع منهج السلف من الآباء، والأجداد **﴿أُولَئِكَ﴾**: حرف يفيد الاستفهام؛ للإنكار والتوبيخ؛ **﴿كَانَ﴾**: وسيبقى **﴿الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾**: يغيروهم ويزين لهم **﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**: إتهم بضلالهم، وعنادهم، وتمسكهم بما كان يعبد آباؤهم وأجدادهم؛ كأن الشيطان يدعوهم إلى عذاب جهنم الأشد إيلاًماً.

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾
(٢٢)

﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: والذي آمن، وأخلص العمل، وقاد نفسه للشرع ﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل للمفرد الغائب ﴿مُحْسِنٌ﴾: الذي عبَدَ الله ﷻ كأنه يراه ﴿فَقَدِ﴾: يفيد التحقق في الماضي ﴿اسْتَمْسَكَ﴾: أخذ، وظفر ﴿بِ﴾: باء الصلّة والتوكيد ﴿الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: هنا تشبيهة لمن تمسك بالإسلام بمن أراد الصعود إلى قمة جبل؛ فتمسك بأوتق حبل، ميثاقاً متيناً من الله ﷻ ألا يعذبه ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ﴾: نهاية، ومآل، وخاتمة ﴿الْأُمُورِ﴾: الحكم في النهاية لله ﷻ على الأرض، ويوم القيامة؛ ويا سعد من فاز برحمة الله ﷻ.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِنَّنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
(٢٣)

﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿كَفَرَ﴾: من اختار بإصرارٍ تغطية حقيقة الدين ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ﴾: فلا تحزن ولا تأس عليه أيها الرسول فإن الله ﷻ يعلم أنّ رسوله ﷺ كان حريصاً على إيمان كلّ إنسان، وأدى ما عليه من الدعوة والبلاغ فإذا أصرّ كافرٌ على كفره كان الرسول ﷺ حزيناً عليه ﴿إِنِنَا﴾: إلى الله ﷻ ﴿مَرْجِعُهُمْ﴾: مصيرهم إليه ﷻ يوم القيامة ﴿ف﴾: حرفٌ يُعِيدُ السبب ﴿نُنَبِّئُهُمْ﴾: نخبرهم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿عَمِلُوا﴾: نخبرهم بجرائمهم، وعاقبتهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ﴾: طبيعة ﴿الصُّدُورِ﴾: والصدر هو مقرُّ القلب، الذي هو مركز الوعي والإدراك، على ما قر في القلوب سيكون الجزاء وما قيل على اللسان.

﴿نَمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٢٤)

﴿نَمَتَّعُهُمْ﴾: نُنعمهم ﴿قَلِيلًا﴾: متاع الدنيا قليل في عمره، قليلٌ في قيمته؛ إذا قورن بالآخرة ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُعِيدُ التتابع الزمني مع التراخي ﴿نَضْطَرُّهُمْ﴾: نُلجئهم رغماً عنهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: ثم نُلجئهم ونسوقهم إلى عذاب شديد الإيلام والوجع، عذابٍ صعبٍ ثقيلٍ على النفس، والجسد.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
(٢٥)

﴿وَلَئِنْ﴾: شرط ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: إذا سألت المشركين ﴿مَنْ﴾: الذي ﴿خَلَقَ﴾: من الذي أوجد لهم الأرض من عدم؛ بإرادته وقدرته، أوجد من غير سابق وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: وهي كلّ ما علا

﴿وَالْأَرْضِ﴾: وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿ل﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿يَقُولَنَّ اللَّهُ﴾: يؤكدون أنه الله ﷻ، لو قالوا غير ذلك؛ لسألهم الرسلُ والدعاةُ والناسُ: من إذن؟ ﴿قُل﴾: أمرُ رباني ﴿الْحَمْدُ﴾: الشكر والثناء ﴿لِلَّهِ﴾: فقد أقمتم الحُجَّةَ على أنفسكم؛ باعترافكم ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، إثبات حقيقة ﴿أَكْتَرَهُمْ﴾: غالبيتهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: أكثر هؤلاء لا ينظرون ولا يتفكرون ولا يتدبرون ولا يعرفون من يستحق الحمد، إنه الجهل، هو صبغة هؤلاء الكفار، الذين إذا عملوا شيئاً لا يقودهم إلى خير.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٦)

﴿لِلَّهِ﴾: من ملك الله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿و﴾: أيضاً له ﷻ ما في ﴿الْأَرْضِ﴾: إن كل شيء في السماوات وفي الأرض هو جزء من ملكه، وتدبيره ﷻ، وهو المالك بلا شريك ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾: ليس في حاجة إلى سواه، وكل شيء فقير إليه ﴿الْحَمِيدُ﴾: المحمود، المشكور في السموات والأرض، وفي الأمور كلها.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧)

﴿وَلَوْ﴾: أداة تأكيد ﴿أَنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تفيد التوكيد، أن كل شيء غير عاقل ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ﴾: حرف يفيد البيان، أي بيانية، تفيد بداية الغاية المكانية ﴿شَجَرَةٍ﴾: كل أشجار الأرض جميعاً ﴿أَقْلَامٌ﴾: صارت أقلاماً يكتب بها ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾: أيضاً يزيده ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: ولو أن البحر ومعه سبعة أبحرٍ كبيرةٍ مثل المحيطات، تحولت لتكون مداداً، أي الحبر، يجري في الشجر الذي تحول إلى أقلامٍ؛ تكتب ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿نَفِدَتْ﴾: فנית أو انتهت أيضاً؛ لعدم تناهيتها علماً أن عدد المحيطات العظيمة في الأرض خمسة ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾: جاء اللفظ القرآني "الكلام" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى علم الله وعجائبه، إذا كتبت هذه الأقلام؛ لتدلَّ على عظمة الله ﷻ، وصفاته، وجلاله، لتكسرت الأقلام، ونفذ ماء البحار، ولو جاء أمثالها مدداً، لقد جاء سبعة أبحر على سبيل مثل، ومثله، وليس على سبيل الحصر، عَنْ قَتَادَةَ ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان-٢٧]. قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّمَا هَذَا كَلَامٌ أَوْشَكَ أَنْ يَنْفَدَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَسْمَعُونَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ شَجَرُ الْأَرْضِ أَقْلَامًا، وَمَاءُ الْبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ لَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامُ، وَنَفِدَ مَاءُ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ عَجَائِبُ رَبِّي،

وَحَكْمَتُهُ، وَعِلْمُهُ، وَخَلْقُهُ" (١). ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ عَزِيزٌ﴾: لا يغالبه أحد ﴿حَكِيمٌ﴾ صاحب الحق، والصواب، والصدق في كل شيء.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿خَلَقَكُمْ﴾: إيجاد جميع البشر بغير سابق مثال ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿بَعَثَكُمْ﴾: كما أنّ بعثكم يوم القيامة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿ك﴾: بمعنى مثل وحال ﴿نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: إنّ قدرة الله ﷻ على خلق هؤلاء، وهؤلاء إلا كخلقه ﷻ لنفسٍ واحدة؛ فالكل عنده هين ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع كل شيء من خلقه، لا يشغله سماع عن سماع ﴿بَصِيرٌ﴾: عظيم في معرفته بخلقه، لا تشغله رؤية شيء عن رؤية غيره.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي جُزْيٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام بغرض التقرير ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ يُولِجُ﴾: يدخل زمن ﴿اللَّيْلَ فِي﴾: زمن ﴿النَّهَارِ﴾: ينقص من وقت الليل ليدخله في وقت النهار ﴿و﴾: أيضًا ﴿يُولِجُ﴾: يدخل زمن ﴿النَّهَارِ فِي﴾: زمن ﴿اللَّيْلِ﴾: ويطيل وقت الليل على حساب وقت النهار، وهذه ليست ظاهرة عابرة؛ إنّ دراسة حالة دوران القمر حول الشمس، ودوران الأرض والقمر وغيرهما حول الشمس؛ قضية علمية غاية في الدقة والعظمة ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذلّل لكم ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: أمر الله ﷻ الشمس والقمر فأطاعتا ﴿كُلَّ﴾: الجميع ﴿يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ﴾: عمر ووقت ﴿مُسَمًّى﴾: مُحدّد، إنّهُ يدور في مداره إلى وقت معلوم ومحدد لغاية محددة، وقيل تدور إلى يوم القيامة، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا (٢) ﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك ﴿اللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عنده خبره بالكامل.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٣٠)

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد المعانين ﴿بِأَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾: هذا التدبير الكوني المعجز دليل على أنّ الله ﷻ هو الإله الحق، لا إله غيره ﴿وَأَنَّ﴾: بالتأكيد

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني ٣٤٤/١ (٧٧).

(٢) صحيح البخاري ١٠٧/٤ (٣١٩٩).

ما تتصورون، أو تتوهمون ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: غيره ﴿الْبَاطِلُ﴾: كلُّ ما لم يأمرُ به الله وكلُّ معبودٍ يطيع الكفَّار من دون الله ﷻ؛ هو كذبٌ، وافتراءٌ، وضلالٌ، وكفرٌ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ﴾: ضمير رفع للمفرد، هنا بمعنى الله ﷻ ﴿الْعَلِيِّ﴾: بذاته وقدرته فوق كلِّ المخلوقات فقيرة إليه، هو العليُّ بذاته ﴿الْكَبِيرِ﴾: الأكبر من كلِّ شيءٍ، والكلُّ له خاضع.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أيها المشاهد، الاستفهام هنا يُفيد التقرير والإثبات، حرفُ الهمزة في أَلَمْ دخلت على حرف نفي؛ وفي هذه الحالة تُفيد الإنكار الذي يحمل معنى النفي، "ولم" حرفُ نفي كذلك، إنَّ نفي النفي إثبات ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد، ونفي الإنكار والشكَّ ﴿الْفُلْكَ﴾: السفن الصغيرة والضخمة بصورة كبيرة ﴿تَجْرِي﴾: تفيد السرعة والانسباب ﴿فِي الْبَحْرِ﴾: الملاحظ أنَّ قطعةَ حديدٍ بحجمٍ صغيرٍ إذا وُضعت على سطح البحر، سقطت إلى القاع، وفي الوقت نفسه، فإنَّ آلاف الأطنان من الحديد التي صُنعت منها السفن الضخمة تطفوا فوق السطح، لقد قدرَ الله ﷻ قوانين الطفو، وحددَ العلاقة بين الحجم والوزن، وعندما علَّمها الإنسان، كانت هذه السفنُ العملاقةُ العائمةُ تجوبُ البحار والمحيطات ﴿بِنِعْمَتِ﴾: بفضل ﴿اللَّهِ ل﴾: حرفِ علَّةٍ وسببٍ ﴿يُرِيكُمْ﴾: يجعلكم تُشاهدون ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿آيَاتِهِ﴾: العبر والحجج ما يدعوكم للاعتبار والتفكير والاستنتاج من براهينه وقدرته ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكَّ والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: الخير ﴿لآيَاتٍ﴾: أدلَّة وبراهين ﴿لِكُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿صَبَّارٍ﴾: لكلِّ صابرٍ صبرًا كبيرًا على ما رزقه الله ﷻ أو منعه لحكمةٍ ﴿شَكُورٍ﴾: يشكر الله ﷻ كثيرًا ويحمده على ما رزقه من نعمٍ لا تُعد ولا تحصى، ولا تُقدر بثمن، ولا تُشتري بأموال العالم.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢)

﴿وَ﴾: عطفًا على ذلك ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿غَشِيَهُمْ﴾: فاجأهم ﴿مَوْجٌ ك﴾: بمعنى مثل أو حال ﴿الظَّلْلِ﴾: والظللُ هو أعظمُ من الفيء، هو حجب ضوء الشمس أو القمر عن الشيء، هنا ارتفع الموج فوق السفن، وفوق النَّاس، وصار يُحيط بهم كالجبال، أو من فوقهم كالغمام الأسود ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾: تحديداً ﴿الدِّينَ﴾: توجهوا إلى الله ﷻ مخلصين في دعائهم، لاعتقادهم أنَّه القادر على نجاتهم ﴿فَلَمَّا﴾: تبع ذلك وبسبب قدرة الله ﷻ ﴿نَجَّاهُمْ﴾: أنقذهم ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾: من الغرق،

ووصلوا الشواطئ؛ انقسم النَّاسُ إلى قسمين ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السببَ ﴿مِنْهُمْ﴾: بعضهم ﴿مُقْتَصِدٌ﴾: لم يَقمِ بواجبِ الشكرِ على نعمِ اللهِ ﷻ عليه، على الوجهِ الصحيحِ، وقالَ مجاهدٌ: كافرٌ، وقيلَ الذي جحدَ بنعمةِ اللهِ عليه، وهذا الاقتصادُ هو بابٌ من الإنكارِ؛ فمنَ شاهدِ الأهوالِ، ونجا بفضلِ اللهِ ﷻ منها؛ فكانَ مُقَصِّرًا في الاعترافِ بفضلِ اللهِ ﷻ ﴿وَمَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿يَجْحَدُ﴾: ما يُنكرُ ﴿بِآيَاتِنَا﴾: آياتِ اللهِ ﷻ ﴿إِلَّا﴾: استثناءً ﴿كُلُّ﴾: جميعِ ﴿خَنَارٍ﴾: غدارٍ؛ الذي كلما عاهدَ نقضَ عهده، قالَ مجاهدٌ والحسنُ: (الختر)؛ والتي منها خَنَارٌ هو إثمُ الغدرِ ﴿كُفُورٍ﴾: شديدِ تغطيةٍ، وإنكارٍ لفضلِ اللهِ ﷻ عليه، والجاحِدِ بالنعمةِ، هو الذي لا يشكرُ، بل يتناساها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَاوَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٣)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمةٌ توصلُ بينَ المُناديِ وهو اللهُ ﷻ هنا وبينَ المُنادى عليه مِنْ ﴿النَّاسِ﴾: عمومِ البشرِ ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: آمنوا باللهِ بيقينٍ، طمعًا في رزقهِ وجنته، وخوفًا من بطشه وعذابه ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿أَخْشَوْا﴾: خافوا، واحسبوا حسابَ ﴿يَوْمًا﴾: خافوا من يومِ القيامةِ ﴿إِلَّا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿يَجْزِي﴾: يفدي ويضحي ﴿وَالِدٌ عَنْ﴾: حرفُ يفيدُ البديلَ ﴿وَاوَدِهِ﴾: إذا أرادَ الأبُ أن يفدي ابنه بنفسه؛ لما تُقبلُ منه ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ﴾: حرفُ جرٍّ يفيدُ البديلَ ﴿وَالِدِهِ شَيْئًا﴾: وإذا أرادَ الولدُ أن يفدي والده؛ لا يُقبلُ منه شيءٌ ﴿إِنَّ﴾: حرفُ تأكيدٍ ونفيِ الشكِّ والإنكارِ ﴿وَعْدَ﴾: ما وعدكم ﴿اللَّهُ حَقٌّ﴾: كائنٌ لا محالة ﴿فَلَا﴾: حرفُ تخصيصٍ ونهيٍ يفيدُ طلبَ عدمِ الفعلِ، هنا نهيٍ عن ﴿تَغُرَّنَّكُمُ﴾: تخدعكم بالتأكيدِ ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: لا تدعوا الحياةَ الدنيا تُلهكم، وتُشعركم بالطمأنينةِ، عن عذابِ القيامةِ ﴿وَلَا﴾: أيضًا هنا نهيٌ من اللهِ ﷻ ﴿يَغُرَّنَّكُمْ ب﴾: حرفُ باءِ الصلةِ ﴿اللَّهُ الْغُرُورُ﴾: لا تدعوا الشيطانَ يخدعكم، ويُبعدكم، ويُمنِّمكم، وهو لا يملكُ لكم شيئًا، واتقوا يومًا لا يهتم أحدٌ بأحدٍ، ولا يحزنُ لحزنه أحدٌ، لا يرحمه مُشفقٍ، ولا يبكي لذنبه أحدٌ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادًّا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤)

يخبر اللهُ ﷻ في هذه الآيةِ الكريمةِ عن مفاتيحِ الغيبِ، التي استأثر اللهُ ﷻ بعلمها، لا يُعلمُ بها أحدٌ إلا بعلمِ اللهِ ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرفُ تأكيدٍ ونفيِ الشكِّ والإنكارِ ﴿اللَّهُ عِنْدَهُ﴾: ظرفُ زمانٍ ومكانٍ ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: يومِ القيامةِ، لا يعلمها أحدٌ من الأنبياءِ، أو الملائكةِ، جاء في المعنى ﴿لَا﴾

يُجَلِّبُهَا لَوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴿ [الأعراف-١٧٨] ﴿و﴾: أيضًا هو ﷺ الذي ﴿يُنزِّلُ الْغَيْثَ﴾: وهو وقت نزول المطر المفيد، وإذا أَرَادَ اللهُ ﷻ لِأَخِيرِ الْإِنْسَانِ عَنْهُ كَمَا يَحْدُثُ الْيَوْمَ مِنْ رَصْدٍ لِحَرَكَةِ الرِّيحِ، وَدَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ، فَهِيَ مِمَّا عَلَّمَ اللهُ ﷻ النَّاسَ ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾: هو الذي يعلم ما في مرحلة الجنينات، والكروموسومات قبل اللقاح، وتزواج الأمشاج، ولقد استطاع الإنسان أن يعلم مما علّمه الله ﷻ، المخلوق في الرحم بعد أن يكبر، وتظهر أعضاؤه ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَدْرِي﴾: لا تعلم ﴿نَفْسُ﴾: وهي جوهر الإنسان، كل إنسان؛ لأن هذا الأمر متفرد بعلم الله ﷻ وحده، وليس لنفسٍ كائنةً ما كانت أن تختص بهذا الأمر، وهنا لا تفريق بين الملائكة والأنبياء والجن والإنس ﴿مَاذَا﴾: حرف استفهام ﴿تَكْسِبُ﴾: ﴿عَدَا﴾: فكُم من غَنِيٍّ أَمْسَى غَنِيًّا، وَأَصْبَحَ فَقِيرًا، وَكُم من فقيرٍ أَمْسَى فَقِيرًا وَأَصْبَحَ غَنِيًّا ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تَدْرِي نَفْسُ﴾: لا يعلم إنسان ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿أَيَّ﴾: أداة استفسار ﴿أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: هل يموتُ في فراشه، أم يموتُ وهو يسير، هل يموتُ وهو في الطائرة، أو على الأرض، أم يموتُ في البحر ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿اللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعلم كلَّ شيءٍ، لا يخفى عليه شيءٌ، عليم بكلِّ شيءٍ خلقه، وقدره، ويسره، أو عسره، خبرة الخالق القائل للشيء كُنْ فيكون ﴿خَبِيرٌ﴾: الذي عنده خبر كلِّ شيءٍ عنده ﷻ، قبل أن يكون، وعندما يكون، وبعد أن يكون، هذه مفاتيح للغيب الخمسة علم الساعة، وعلم الغيث، وعلم ما في الأرحام، وعلم الرزق، وأين يكون الموت، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام-٥٩] خَمْسٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ عَدَا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة ندرك درجة التوافق الكبيرة بين الحكمة والشرع ممثلة في لقمان عليه السلام.



سورة السجدة هو أشهر أسماء هذه السورة وتعرف أيضًا ألم تنزِيل، وتعرف ألم تنزِيل السجدة، وسمّيت تنزِيل السجدة وسمّيت سورة المضاجع نسبة إلى قوله ﷻ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ

(١) صحيح البخاري ٥٦/٦ (٤٦٢٧).

عن المضاجع، وهي سورة مكية عند أكثر المفسرين، نزلت بعد سورة النحل، وقبل سورة نوح، وترتيبها رقم (٧٣) في النزول، وعدد آياتها (٣٠) آية عند الجمهور.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين ﴿أل﴾: عطفاً على ما سبق في السور السابقة؛ أرى، والله أعلم، أنها تعني اسم الله ﷻ، وقد جاء ذكرها في آيات سابقة بالمعنى؛ أما هنا فيعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٢) ﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ﴾ وهو القرآن الذي هو من عند الله ﷻ ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهو الله ﷻ، وجاء في الآية (٤) ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وجاء في الآية رقم (٥) ﴿يَدَّبَّرَ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾، وجاء في الآية (٦) ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، وفي الآية (٧) ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، وبقية الآيات تؤكد على هذا المعنى.

الحرف ﴿م﴾: أرى، والله أعلم، أنها تعني محمداً ﷺ، وقد جاء ذكره فيما سبق من بعض السور، هنا جاء في الآية (٢) ﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ﴾، ولم ينزل القرآن الكريم إلا على محمد ﷺ، وفي الآية (٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ﴾؛ أي أنت يا محمد ﴿قَوْمًا مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ والضمير يعود على محمد ﷺ.

﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ﴾: نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿رَيْبٍ﴾: شك ﴿فِيهِ﴾: لا شك ولا جدال أنه منزل وحياً ﴿مِنْ رَبِّ﴾: هو المعبود، والمُرَبِّي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: عالم الغيب، وعالم الشهادة من عند الله ﷻ؛ مالك كل شيء في الكون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾

(٣)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿يَقُولُونَ﴾: هم الكفار، أيقولون هنا استفهام إنكاري يتضمن التقرّيع والتوبيخ للقائلين ﴿افْتَرَاهُ﴾: اختلق محمداً ﷺ القرآن وافتراه من تلقاء نفسه ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا القرآن

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: بل هو الحق الثابت المُنزل عليك من ربك من عند الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسبب ﴿تُنذِرُ﴾: تُحذِرُ وتُخَوِّفُ ﴿قَوْمًا﴾: بالعقاب؛ هنا تعليل الإنزال بالإنداز؛ لتُحذِرُ قَوْمًا هم أهل قريشٍ بدايةً، لم يأتهم نذير ثم بقية الناس ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَتَاهُمْ﴾: جاءهم ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أهل مكة لم يبعث الله ﷻ فيهم رسولاً من قبل محمد ﷺ ﴿ل﴾: كي، حرف من أجل الترجي ﴿عَلَّهُمْ﴾: حرف يفيد التوقع والترجي للبشر ويفيد التحقق إذا جاء من الله ﷻ ﴿يَهْتَدُونَ﴾: حتى يتبعون الحق، ويحققون الغاية من وجودهم، على علمٍ.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤)

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد الواحد الأحد هو الله ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضاً خلق ﴿الْأَرْضَ﴾: يُخْبِرُ اللهُ ﷻ عن خلق، السموات والأرض ﴿وَمَا﴾: والذي ﴿بَيْنَهُمَا﴾ من هواء، ونجوم، وأقمار؛ ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ لا يعلم وقتها وزمانها إلا هو ﷻ، وهو قادرٌ أن يخلقها بكلمة من حرفين كمن، وما يستحق ذكره أن تلك الأيام ليست من أيام الأرض لأن أيام الأرض مرتبطة بعلاقة الأرض بالشمس؛ فمن البديهي أن تلك الأيام ليست من أيام الأرض ﴿ثُمَّ﴾: لا تفيد هنا الترتيب، بل هي بمعنى حرف الواو، أي و ﴿اسْتَوَى﴾: على العرش علا وارتفع ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾: علواً يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، هذا الاستواء من الغيب الذي لم يُخبر به ﷻ. انظر [يونس-٣] ﴿مَا﴾: حرف نفي ليس ﴿لَكُمْ﴾: حرف تمليك ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾: ليس لكم غيره من محبٍ، وناصرٍ، ومؤيدٍ ﴿وَلَا﴾: أيضاً ليس لكم من ﴿شَفِيعٍ﴾: الذي يشفع لكم عند الله ﷻ أو غيره إلا بإذنه ﴿أَفَلَا﴾: الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي لإفادة غرض بلاغي وهو الأمر، طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام أي اذكروا الله، والأمر هنا لم يأت بإحدى صيغه المعروفة، لأنه خطابٌ للكفرة والملحدين؛ يحمل إهانتهم وتحقيرهم وتأنيبهم بالإضافة لمعنى الأمر ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾: تتفكرون وتتعضون؛ والكلام إلى الكفار المتوكلين على غير الله ﷻ؛ هل حققوا دون الله ﷻ نصراً أو نفعاً.

﴿يَذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٥)

﴿يُدَبِّرُ﴾: يُسَيِّرُ ﴿الْأَمْرَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأمر" هنا بمعنى الوحي؛ ينزل أمر الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾: من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد تتابعا زمنيا مع التباعد والتراخي ﴿يَخْرُجُ إِلَيْهِ﴾: ثم تصعد الملائكة بأخبار العباد وأعمالهم، وتصعد بأمر الحوادث اليومية؛ لإثباتها في اللوح المحفوظ، ذلك الأمر والتدبير إلى الله ﷻ، تُرفع الأعمال إلى ديوانها، فوق سماء الدنيا ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾: زمنه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾: لم يقل ﷻ ألف عام؛ لأن لفظ السنة يعبر عن جمع الكثرة أما العام فيعبر عن القلة ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿تَعُدُّونَ﴾: إنَّ المسافة بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وسُمك السماء خمسمائة سنة من زمن البشر، قال الضحاك، ومجاهد: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، يقطعها في طرفة عين.

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الله ﷻ؛ لتعظيم جناب الله ﷻ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: وهي تعني الغائب غير المُعَين غير مشاهد، يعلم كل ما يغيب عن أبصار الخلق، وما تُكُنُّ صدورهم ﴿و﴾: أيضا عالم ﴿الشَّهَادَةِ﴾: وهو ﷻ شهيد على أعمال العباد؛ يُرفع إليه كبيرها وصغيرها ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي قهر كل شيء ﴿الرَّحِيمُ﴾: وساع الرحمة بعباده.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧)

﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾: جمّل، وأتقن، وأحكم ﴿كُلِّ﴾: تفيد الجميع ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة، لتؤكد الجميع ﴿خَلَقَهُ﴾: أوجده من غير سابق وجود، الذي أحسن خلق الأشياء، وأتقنها، وأحكمها، وهذا ما يؤكد علم تشريح الإنسان، والنبات، والحيوان، وتوكده وظائف هذه الأعضاء، بالدقة، والكفاءة المعجزة في سلاسة ويسر، وهي تعني أيضا أنه أحسن الخالقين من غير مثالٍ سابقٍ ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿بَدَأَ خَلْقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿الْإِنْسَانَ﴾: آدم ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد بداية الغاية المكانية ﴿طِينٍ﴾: وهي نشأة آدم ﷺ من طين، ثم خلق من ضلعه حواء، عليهما السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ (٨)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التباعد والتراخي ﴿جَعَلَ﴾: قَدَّرَ ﴿نَسْلَهُ﴾: من أنجب آدم وهواء من أولادٍ وبناتٍ، جعل تناسلهم ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿مَاءٍ مَهِينٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "ماء" هنا بمعنى النطفة هي الحيوان المنوي في الذكر، والبويضة في الأنثى؛ جاء في المعنى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق-٧].

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٩)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد تتابعًا زمنيًّا مع التباعد ﴿سَوَّاهُ﴾: خلق الله آدم من تراب ثم سواه على خلقته السوية المستقيمة، وهذا من إبداع الخالق، إنَّ الدارس لوظائف كلِّ عضوٍ في جسم الإنسان يحتاج إلى وقتٍ وجهدٍ حتى يدركها، ولا زالت وظائف أعضاء كثيرةٍ غير معروفة، يضع الإنسان لها نظريات، بعضها لم يصل إلى درجة الحقيقة ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿نَفَخَ﴾: نفخةً لا يعلمها إلا الله ﷻ ﴿فِيهِ﴾: في المخلوق ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿رُوْحِهِ﴾: خلق الله ﷻ الجسد، وخلق الروح، ونفخ فيها من روح آدم ﷺ، التي خلقها الله ﷻ لأنَّ آخر الضمائر تعود على آدم ﷻ لا في ذريته، اللفظ سَوَّاهُ بأمر المَلَكِ الموكَّل بنفخ الروح، وقد يكون المقصود من روح الله ﷻ؛ للتكريم والله ﷻ أعلم ﴿وَجَعَلَ﴾: أيضًا قدرٌ ﴿لَكُمُ﴾: تمليكًا ﴿السَّمْعَ﴾: جاء السمع مفردًا؛ ليشمل قليله وكثيره؛ فهي قوة واحدةٌ ولها مكان واحدٌ وهو الأذن، ولا اختيار لها فيه، فإنَّ الصوت يصل الأذن ولا تستطيع رده، بخلاف الإبصار فمحله العين، وله فيه اختيار فإنها تتحرك ناحية المرئي دون غيره، وتغلق الجفون إذا أرادت عدم المشاهدة، وكذلك الفؤاد له نوعٌ اختيار في إدراكه، فيتعقل هذا دون غيره، ويفهم هذا دون هذا. يحصل السمع عندما تصل ذبذبات الهواء التي تحمل الصوت إلى طبلة الأذن؛ فتهتزُّ طبلة الأذن، وتتحوَّل الاهتزازات إلى موجة كهربائية، تمرُّ في عصب السمع، وتصل إلى مركز السمع في المخ، وهذا إعجازٌ عظيم؛ فإنَّ كان الصمم من المهد؛ فالطفل لن يتكلم، ولن يتعلم ﴿و﴾: هو أيضًا جعل لكم ﴿الْأَبْصَارَ﴾: الرؤية التي يتمتع بها الإنسان في كلِّ لحظةٍ في حياته ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: أيضًا خلق القلوب، إنَّ كثيرًا من الدراسات تقول إنَّ القلب هو مصدر الوعي ﴿قَلِيلًا مَّا﴾: الذي عليه ﴿تَشْكُرُونَ﴾: لا شكَّ أنَّ شكر الإنسان لله ﷻ قليل في مقابل هذه النعم.

التكليف: الناظرُ في الآيات الكريمة من سورة [السجدة-٧، ٨، ٩] يُدرك إبداع الخالق جلَّ في علاه المتمثل في ترتيب تلك الآيات، حيث إنَّ بداية الخلق من الطين، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة-٧]، وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة-٨]، وثم تفيد الترتيب على التراخي، أي وجود مرحلةٍ متوسطةٍ بين بداية الخلق وبين خلق السلالة، كما أنَّها تُفيد وجود مرحلةٍ تاليةٍ أخرى قبل التسوية في قوله ﷻ ثم سواه، والتسوية هي للنفس؛ بأنَّ ألهمها ﷻ الفجورَ والتقوى، أما قوله ﷻ ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾ [السجدة-٩] فإنَّ حرف الواو يُفيد المغايرة بين التسوية ونفخ الروح، وإنَّ كان لا يُفيد الترتيب؛ إلاَّ أنَّه جاء بعد ثم؛ ليفيد أنَّ التسوية ونفخ الروح هما بعد مرحلةٍ تاليةٍ لخلق السلالة.

﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (١٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالُوا﴾: هم المشركون ﴿أ﴾: حرف يفيد الاستفهام والتعجب لما يُستقبل من الزمان ﴿إِذَا﴾: يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿ضَلَلْنَا﴾: ذابت أجسادنا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: قال المشركون بالله المكذبون بالبعث إذا متنا، ودُفنا وتحللت أجسادنا، وذابت في الأرض، وبدت أنها اختفت ﴿أَأِنَّا﴾: هل نحن بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿فِي خَلْقٍ﴾: إيجاد من ﴿جَدِيدٍ﴾: يقولون هل من المعقول أن نعود من جديد؟ ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿لِقَاءِ﴾: البعث للحساب الثواب والعقاب ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كلّهم ﴿كَافِرُونَ﴾: ينكرون يوم القيامة كفرهم.

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١)

﴿قُل﴾: يا محمد ﷺ ﴿يَتَوَفَّاكُم﴾: يقبض أرواحكم ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد ﴿وُكِّلَ﴾: تكفل بقبض أرواحكم ﴿بِكُمْ﴾: بقبض أرواحكم، قال قتادة وآخرون: إن اسمه عزرائيل وأن له أعوانًا، ينتزعون الروح من الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت، عن مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة-١١] قَالَ: «حُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ فَجَعَلَتْ لَهُ مِثْلَ الطَّسْتِ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ»^(١)، قال كعب الأحبار: والله ما من بيتٍ فيه أحدٌ من الدنيا إلا ومَلَكَ الموتِ يقوم على بابه كلَّ يوم سبع مرّات ينظر هل فيه أحدٌ أمر أن يتوفاه وهذا لا يتنافى مع قوله ﷺ ﴿تَوَفَّاهُ رَسَلْنَا﴾ وقوله ﷺ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ إن الله ﷻ هو الذي يتوفى بخلقه الموت، ويأمر الملائكة بنزع الروح، وهم أعوان ملك الموت ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني البطيء ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: إلى الله ﷻ تعودون يوم القيام من القبور، فماذا سيكون حال المجرمين في هذا اليوم؟

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿تَرَى﴾: هذا إخبار من الله ﷻ لحال المشركين يوم القيامة لمحمد ﷺ وهو مخاطبة أمته أيضًا ﴿إِذ﴾: يفيد ما حدث في الماضي جاءت بصيغته الماضي لأنها ستتحقق حتمًا بإذن الله ﷻ، إذا شوهد ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: يوم القيامة ترى المجرمين الكفار ﴿نَاكِسُوا﴾: خَفَّضُوا ﴿رُءُوسِهِمْ﴾: كناية عن الخزي والفضيحة ينظر المستكبرون قد نكسوا

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني ٨٩٣/٣ (٤٣٣).

رؤوسهم وأعينهم إلى الأرض، في وضع الحقارة، والذلة، وما كان عن قهرٍ والخجل، والخوف من ربهم ﷻ **﴿عِنْدَ﴾**: ظرف زمان ومكان **﴿رَبِّهِمْ﴾**: عن محاسبته لهم لرأيت العجب؛ يقولون، **﴿رَبَّنَا﴾**: اليوم اعترفوا أنه ربهم؟ **﴿أَبْصَرْنَا﴾**: لقد شهدنا **﴿وَق﴾**: أيضًا **﴿سَمِعْنَا﴾**: أدركنا بوسائل السمع والبصر؛ أنك أنت الخالق، اليوم نسمع ونطيع **﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿أَرْجَعْنَا﴾**: أعدنا إلى الأرض **﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾**: أعدنا يا ربنا إلى الدنيا حتى نعبدك حق عبادتك **﴿إِنَّا﴾**: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من البشر بصيغة الجمع؛ للتوكيد **﴿مُوقِنُونَ﴾**: اليوم تحققنا وتأكدنا أنك حق، ووعدك حق، ولقاءك حق، والله يعلم أنهم لكاذبون، لو عادوا إلى الدنيا لعادوا إلى كفرهم؛ فماذا يقول الله ﷻ لهم:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣)

﴿و﴾: أيضًا **﴿لَوْ﴾**: حرف يفيد النفي هنا للاستحالة في الدنيا **﴿شِئْنَا﴾**: أردنا إرادة اختبار الخلق **﴿ل﴾**: حرف علة وسبب **﴿آتَيْنَا﴾**: وهبنا وأعطينا **﴿كُلَّ﴾**: تعيد العموم **﴿نَفْسٍ﴾**: هي ذات الإنسان وجوهرة، وجاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم **﴿هُدَاهَا﴾**: لو أردنا لأعطينا كل نفسٍ رشدها، وتوفيقها، فإننا قادرون **﴿وَلَكِنْ﴾**: استدراكًا **﴿حَقَّ﴾**: وجب جاء اللفظ القرآني "حق" على أحد عشر وجهًا، هنا بمعنى وجب كما في قوله ﷻ **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾** [الأحقاف-١٨] **﴿الْقَوْلُ مِنِّي﴾**: قرر الله ﷻ أن يختار لكلِّ صنفٍ من البشر مساره، ويحدد مصيره، فمن كفر فمصيروه مع الذين قال فيهم الله ﷻ **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿أَمْلَأَنَّ﴾**: أملأ بالتأكيد **﴿جَهَنَّمَ﴾**: سألقى يوم القيامة من أهل الكفر **﴿مِن﴾**: بعضًا أو جزءًا **﴿الْجِنَّةِ﴾**: قدم الله ﷻ الجن لأن المقام مقام تحقير، لأن الجن هم الأغلبية **﴿وَالنَّاسِ﴾**: بني آدم **﴿أَجْمَعِينَ﴾**: من الجن والانس الكافرين في النار جميعًا، وعصم بذلك ملائكته عن عملٍ يستوجبون به جهنم. عَنِ ابْنِ عُمرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُدْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ " (١).

﴿فَدُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤)

(١) صحيح البخاري ١١٣/٨ (٦٥٤٨).

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد السببَ دونَ تأخيرٍ ﴿ذُوقُوا﴾: وأصلها بوجود قليلٍ من الطعامِ في الفمِ لمعرفةِ الطعمِ، يقولُ اللهُ ﷻ لأهلِ النَّارِ؛ توبيخًا، وتحقيرًا، وذوقًا عذابِ النَّارِ قاسوا وعانوا حرَّها ﴿ب﴾: بسببِ ﴿مَا﴾: بسببِ الذي ﴿نَسِيتُمْ﴾: بسببِ كذبكم، وغفلتكم ﴿لِقَاء﴾: حدوثِ هذا اللقاءِ مع ربكم ﴿يَوْمَكُمْ هَذَا﴾ إشارةً إلى اللقاءِ، يومِ الحسابِ في الآخرةِ، واستبعدتم وقوعها، وانغمستم في ملذاتِ الدنيا ﴿إِنَّا﴾: هي في الأصلِ ضميرٌ للجمعِ المتكلمِ الحاضرِ، جاءتِ هنا من اللهُ ﷻ بصيغةِ الجمعِ؛ للتعظيمِ والتوكيدِ ﴿نَسِينَاكُمْ﴾: إنَّ اللهُ لا ينسى، ولكِنَّه سيعاملهم معاملَةً المنسيين المُهملين، فالجزاءُ من جنسِ العملِ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ذُوقُوا﴾: وأصلها بوجود قليلٍ من الطعامِ في الفمِ لمعرفةِ الطعمِ، هنا بمعنى اصطلوا، وعانوا، وقاسوا، وكابدوا قليلًا منه. جاء تكرارُ أمرِ الذوقِ للتأكيدِ والتشديدِ ليعرفوا أن سببَ هذا العذابِ هو الكفرُ والمعاصي التي اقترفوها واستمروا عليها في الدنيا ﴿عَذَابِ الْخُلْدِ﴾: العذابِ الذي لا نهايةَ له ﴿بِمَا﴾: اسمٌ موصولٌ هنا بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في حياتكم الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: لقد كذبتُم واستكبرتُم وهذا جزاءُ عملكم.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

(١٥)

﴿إِنَّمَا﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿يُؤْمِنُ﴾: يُصدِّقُ ﴿ب﴾: حرفُ باءِ السببيةِ ﴿آيَاتِنَا﴾: آياتِ القرآنِ الكريمِ من براهينٍ وهذا حالُ المؤمنين؛ الذين صدَّقوا باللهِ ﷻ، وملائكتهِ، وكتبه، ورسله، وصدَّقوا بآياته ﷻ، وآياته ﷻ في الدنيا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ جميعَ مَنْ ﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾: إذا استمعوا؛ أطاعوا قولًا وعملاً، وقلوبُهُم مطمئنةٌ، وجوارحُهُم ساكنةٌ، وعليه ﴿خَرُّوا﴾: نزلوا على الأرضِ ﴿سُجَّدًا﴾: ساجدين شكرًا له؛ وتعظيمًا وتكريمًا ﴿وَسَبَّحُوا﴾: نزهوا اللهُ ﷻ من كلِّ نقصٍ ﴿ب﴾: حرفُ باءِ المصاحبةِ ﴿حَمْدِ﴾: شكرٍ وثناءٍ ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالكِ أمرهم كلِّه ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿لَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يتعالون ولا يرفضون السجودَ له؛ فهو تكريمٌ للنفسِ البشريةِ، وتنزيهٌ لها من الكبرِ، المرضِ الأخطرِ في النفوسِ، ودليلُ الشعورِ بالرضا والقربِ من اللهُ ﷻ. التكليفُ: إنَّ اللهُ ﷻ قصرَ الإيمانِ بآياته على الذين يخرون سُجَّدًا عندَ تذكيرهم بها ويُسبحون بحمده وفي المقابلِ هو تعريضُ ينفي الإيمانِ عن الذين لم يخروا لها سُجَّدًا؛ لأنَّ قلوبهم قاسيةٌ مقفلةٌ لا تسمعُ للحقِ.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦)

﴿تَتَجَافَى﴾: تهجر ﴿جُنُوبُهُمْ﴾: أجسادهم ﴿عَنِ﴾: حرفٌ يفيدُ الظرفِ ﴿الْمَضَاجِعِ﴾: ترتفعُ أجسادُ المؤمنين، كنايةً عن كثرةِ العبادةِ، قال مجاهدٌ، والحسنُ: فراشُ النومِ، كنايةً عن قيامِ

الليل، وقال أنس، وعكرمة: الصلاة بين العشاءين، وقال الضحاك: صلاة العشاء في جماعة، وصلاة الغداة الفجر في جماعة **﴿يَذْعُونَ﴾**: يسألون **﴿رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾**: يسألون خوفاً من غضب الله ﷻ وعقابه **﴿وَطَمَعًا﴾**: والطمع هو نزوع النفس إلى شيء شهوة له في جزيل عطائه **﴿وَق﴾**: أيضاً **﴿مِمَّا﴾**: بعض أو جزء **﴿رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾**: أي الزكاة والصدقات؛ فيجمعون بين عظيم العبادات الصلاة، والزكاة، والقيام، يقول سهل بن سعد الساعدي: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾**، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١) [السجدة-١٧].

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧)

﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن **﴿تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾**: جاءت نفس نكرة لأنه ﷻ لم يُطلع أحداً على الغيب. هنا وصف أهل الجنة؛ لا تعرف أي نفس مؤمنة **﴿مَا﴾**: الذي **﴿أُخْفِيَ﴾**: غُيِبَ **﴿لَهُمْ﴾**: عنهم لا يعرفون عظمة ما أخفى الله ﷻ لهم، والمراد هي صلاة جوف الليل؛ ليكون الجزاء وفاقاً فإنهم أخفوا أعمالهم فأخفى ولم يضيع ثوابهم **﴿مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**: من الجنات، والنعيم المقيم، والجزاء الذي من جنس العمل؛ فهؤلاء أهل الخير في الدنيا، وجزاؤهم الخير في الآخرة؛ ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، عن أبي هريرة **﴿﴾** قال **﴿﴾**: قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ^(٢)، **﴿جَزَاءً﴾**: ثواباً **﴿بِمَا﴾**: اسم موصول هنا بمعنى الذي **﴿كَانُوا﴾**: في الحياة الدنيا **﴿يَعْمَلُونَ﴾**: من طاعة، ومن خير للناس ومن أعمالهم الصالحة.

التكليف: في الآية الكريمة تشويق لمعرفة ما أعد الله ﷻ لأهل الإيمان، كما أن فيها حثاً على فعل الطاعات.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨)

سبب النزول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقَيْبَةَ قَالَ لِعَلِيِّ: أَلَسْتُ أَبْسِطَ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَحَدًا مِنْكَ سِنَانًا، وَأَمَلًا مِنْكَ حَشْوًا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا**

^(١) صحيح مسلم ٢١٧٥/٤ (٢٨٢٥).

^(٢) صحيح البخاري ١٤٤/٩ (٧٤٩٨).

يَسْتَوُونَ ﴿ [السجدة-١٨] ^(١)، ﴿أ﴾: حرف استفهام للإنكار، بمعنى ليس المؤمن كالفاسق ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي هنا يعني هل يستوي، هل يساوي الله ﷻ بعدله وكرمه الذي ﴿كَانَ مُؤْمِنًا﴾: بين من آمن بالله، والكتاب، والرسول ﷺ، وعمل بأمرهم ﴿ك﴾: مثل، حاله كحال ﴿مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿كَانَ فَاسِقًا﴾: الخارج عن طاعة الله ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَوُونَ﴾: لا مساواة بينهما في المصير عند الله يوم القيامة، وعليه يكون الاستفهام أفمن أفاد معنى النفي وهذا يؤكد النفي في نهاية الآية الكريمة لا يستون.

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩)

﴿أَمَّا﴾: حرف استفتاح للتفضيل والتوكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿آمَنُوا وَ﴾: عطفًا على إيمانهم ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الأعمال التي أمر الله ﷻ بها وهي المقبولة عنده ﷻ، هؤلاء هم أصحاب الجنة؛ أصحاب الإيمان والعمل به ﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص، المؤمنون، نصيبهم، وملكهم ﴿جَنَّاتٍ﴾: ليست جنة واحدة ﴿الْمَأْوَى﴾: هو مكان الإيواء أي الرجوع والاستقرار؛ ليكون دار المستقر، هي الجنة التي فيها السكن الدائم ﴿نُزُلًا﴾: ضيافة، وكرمًا، وتكريمًا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَعْمَلُونَ﴾: جزاء الطاعات المعروفة التي عملوها.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٠)

﴿وَ﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَمَّا﴾: للتفضيل والتوكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع الذكور والإناث من ﴿فَسَقُوا﴾: أما مصير الذين خرجوا عن حدود الطاعة وعملوا بمعاصيه ﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿مَأْوَاهُمْ﴾: مصيرهم وملاذمهم ﴿النَّارِ﴾: إن نزلهم الدائم النار، وشتان بين بين النار ومأوى الجنان ﴿كُلَّمَا﴾: يتكرر ويُعم ﴿أَرَادُوا أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: من النار ﴿أُعِيدُوا﴾: أعادهم الله ﷻ مرة أخرى، كلما أرادوا الخروج، وأخذوا بأسبابه، حيث يصعدون من الطبقة السفلى إلى العليا يُرَدُّون ﴿فِيهَا﴾: قال الفضيل بن عياض: والله إن الأيدي لموتقة، وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهب ليرفعهم، والملائكة تقمعهم ﴿وَقِيلَ﴾: الملائكة تقول ﴿لَهُمْ﴾: توبيخًا وتقريرًا ﴿ذُوقُوا﴾: وأصلها بوجود قليل من الطعام في الفم لمعرفة الطعم، هنا بمعنى اصلوا وعانوا وقاسوا قليلًا من ﴿عَذَابِ﴾

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢/٦١٠ (١٠٤٣).

النَّارِ ﴿﴾: هذا الذي أنتم فيه تجادلون **﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾**: الذي أنكرتموه في الحياة الدنيا، جاءت بصيغة الجمع تأكيدًا للانتقام منهم.

التكليف: شتان بين المأوى الجنة والمأوى النار وعلى الإنسان أن يُحدد في أيّ المقامين يرغب.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١)

ومن رحمة الله ﷻ عليهم أنه يساعدهم على التوبة، ومن الأدوات **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿ل﴾**: حرف علّة وسبب **﴿نُذِيقَنَّهُمْ﴾**: نجعلهم يعانون بكلّ تأكيد **﴿مِنْ﴾**: جزءًا أو بعضًا **﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾**: في مقابل العذاب الأقصى. عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾** [السجدة-٢١] قَالَ: «مَصَائِبُ الدُّنْيَا، وَالرُّؤْمُ، وَالْبَطْشَةُ، أَوْ الدُّخَانُ» شُعْبَةُ الشَّاكِّ فِي البَطْشَةِ أَوْ الدُّخَانِ^(١)، قال ابن عباس: هي مصائب الدنيا والأمراض، والآفات، وما يصيب البشر، وقال مجاهد: عذاب القبر، وقال ابن مسعود: ما أصابهم من قتلٍ وسبيٍ يوم بدر، وقال السدي: لم يبق بيتٌ بمكة إلا دخله الحزن على قتيلٍ لهم، أو أسيرٍ؛ فأصيبوا، وخسروا **﴿دُونَ﴾**: هذا أقل من **﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾**: في مقابلة العذاب الأصغر، وهو عذاب الدنيا قريب وقليل؛ وهذا يصلح للتخويف، وعذاب الآخرة بعيدٌ وعظيمٌ؛ هو عذاب القيامة، في نار جهنم **﴿لَعَلَّهُمْ﴾**: تفيد الترجي؛ لأنها من البشر ولكن إن جاءت من الله ﷻ فتفيد التحقق **﴿يَرْجِعُونَ﴾**: يعودون عن كفرهم.

التكليف: إن الآية أعم وأشمل من حادثة بعينها؛ هي سنن تجري في كلّ الأجيال؛ والله ﷻ أعلم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (٢٢)

﴿و﴾: عطفًا ما سبق **﴿مِنْ﴾**: حرف استفهامٍ عن العاقل أفاد النفي **﴿أَظْلَمُ﴾**: لا يوجد أظلم **﴿مِمَّنْ﴾**: من الذي **﴿ذُكِّرَ﴾**: جاءه الذكر **﴿ب﴾**: حرف باء السببية **﴿آيَاتِ﴾**: براهين **﴿رَبِّهِ﴾**: مالك أمره كلّها، الذي تليت عليه أدلة، وبراهين الله ﷻ، واضحة، بينة **﴿ثُمَّ﴾**: بالتتابع الزمني مع التراخي **﴿أَعْرَضَ عَنْهَا﴾**: حرفٌ يُفيد المجاوزة، ابتعد، وجحد، وهجر كأنه لم يسمعها **﴿إِنَّا﴾**: هي في الأصل ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد **﴿مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿الْمُجْرِمِينَ﴾**: الكافرين، المعرضين عن آيات الله ﷻ **﴿مُنْتَقِمُونَ﴾**: سنعاقبهم انتقامًا منهم ومعاقبتهم عقابًا شديدًا. هنا جوابٌ لمن يسأل عن جزاء من يُعرض عن الدين بعد التذكير بأحكامه.

(١) صحيح مسلم ٢١٥٧/٤ (٢٧٩٩)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢٣)

﴿وَلَقَدْ﴾: تأكيداً لما تحقق في الماضي ﴿آتَيْنَا﴾: وهب الله ﷻ ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾: قال قتادة: المقصود لقاء محمد بموسى، عليهما الصلاة والسلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي: رَأَيْتُ مُوسَى: وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ صَرَبٌ رَجُلٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رَجَالِ شَنْوَةَ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا حَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَالدَّ إِبْرَاهِيمَ رضي الله عنه بِهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِإِنَاءَيْنِ: فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ حَمْرٌ، فَقَالَ: اشْرَبْ أَيُّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْحَمْرَ غَوْتٌ أُمَّتُكَ^(١) وقال ابن عباس: المقصود لقاء موسى ربه عز وجل ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾: جعلنا التوراة ﴿هُدًى ل﴾: حرف تخصيص ﴿بَنِي﴾: أبناء وأحفاد ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب عليه السلام، جاء اللفظ القرآني "هدى" على سبعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى التوراة.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿جَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾: من بعض بني إسرائيل ﴿أُمَّةً﴾: قادة شعوبهم ﴿يَهْدُونَ﴾: ودعاة إلى الخير، يرشدونهم إلى دينهم ﴿بِأَمْرِنَا﴾: يقودون الناس بأمر الله ﷻ، الذي نزل في كتبه ﴿لَمَّا﴾: حدث في الماضي ﴿صَبَرُوا﴾: على أوامر الله ﷻ؛ وعملوا بما أمر، وانتهوا عما نهى عنه، وقال قتادة: لَمَّا صَبَرُوا على نوائب الدنيا، وقال سفيان: العزوف عن الدنيا ﴿وَكَانُوا بِ﴾: بآء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: الأدلة والبراهين ﴿يُوقِنُونَ﴾: يعتقدون اعتقادًا جازمًا بآيات الله ﷻ الدالة على التوحيد والعبادات والمعاملات.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٥)

تدلُّ الآية على اختلاف بني إسرائيل في أمور دينهم ولذلك ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿رَبَّكَ﴾: فهو مالك أمرك كلّه ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ الذي ﴿يَفْصِلُ﴾: يحكم ويقضي ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا﴾: في الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: يقضي ويحكم بين المؤمنين والكافرين من بني إسرائيل وكل البشر يوم القيامة في الخلافات المقصودة في الاعتقادات، التي بُني عليها معاملات، ونجazy كل إنسان بعمله بإدخال أهل الجنة الجنة، وإدخال أهل النار جهنم؛ وهذا جاء ذكره في قصص بني إسرائيل.

(١) صحيح البخاري ١٥٢/٤ (٣٣٩٤).

﴿أَوْلَم يَهْد لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢٦)

﴿أَوْلَم﴾: اسمٌ مركَّبٌ بغرضِ الاستفهامِ والاستنكارِ ﴿يَهْد﴾: يتبين ﴿لَهُمْ﴾: هل غفلوا ولم يتبين لهم ما يدلّ، ويهدي، ويُرشد، هؤلاء المكذِبين بالرسْلِ ﴿كَمْ﴾: تعيد الكثرة ﴿أَهْلَكْنَا﴾: أن الله أهلك كثيراً منهم؛ زالوا وبادوا ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيد هنا بداية الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلِهِمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانيّة ﴿الْقُرُونِ﴾: أممٌ وشعوبٌ عاشوا مئات السنين من قبلهم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "المشي" على أربعة أوجه، هنا بمعنى الممر والمرور. انظر [البقرة-٢٠] تركوا ما ملكوا كأنهم مروا في الدنيا، وجاء من يرث أرضهم وممتلكاتهم، جاء في المعنى ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل-٥٢] ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: هذه الحالات ﴿ل﴾: حرف تخصيص آياتٍ: أدلّة وبراهين على زوال الكافرين من قبلهم، دمر الله ﷻ عليهم؛ لتكذيبهم الرسل ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام يفيد الاستنكار التوبيخي ﴿يَسْمَعُونَ﴾: ألا يسمع المكذِبون بالرسْلِ مواضع الله وبراهينه فينتفعون بها، قال ﷻ عن السمع كوسيلة إدراكٍ من الذين عرفوا قصص الرّائلين، لأنّ الرّؤية البصريّة أمامهم شاهد، هم يرون بيوتهم خاوية؛ بقي أن يسمعوا حتى يتيقنوا أكثر؛ والله أعلم.

﴿أَوْلَم يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٧)

﴿أَوْلَم﴾: اسمٌ مركَّبٌ يُفيد الاستفهامِ والاستنكارِ ﴿يَرَوْا﴾: ألا يُشاهد هؤلاء المكذِبون لطف الله ﷻ بالنّاس في هذا المثل ﴿أَنَا﴾: أنا الله ﷻ جاء اللفظ بالجمع لقيمة الحدث ﴿نَسُوقُ﴾: نُوجهُ ونُسيرُ ﴿الْمَاءَ﴾: نرسل السحاب المُحمّل بالماء بأمرنا، ونسوق الماء في الأنهار والأودية من الجبال ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: الأرض العطشى للماء، القاحلة المحتاجة إليه، التي لا نبات فيها، جاء في المعنى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف-٨] إنّ بلاد مصر مثلاً واضحٌ، ينزل المطر في بلاد الحبشة وغيرها، ويجري في نهر النيل؛ فيستفيد أهل السودان ومصر من الماء، والظمي ﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿نُخْرِجُ﴾: نُنبثُ ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿زَرْعًا﴾: مختلفاً في ثماره ولونه وطعمه وفوائده الكبيرة ﴿تَأْكُلُ﴾: تنمو وتكبر وتتغذى ﴿مِنْهُ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾: قدّم الله ﷻ ذكر أكل الدواب على ذكر الأنفس؛ لأن أول من يأكل من الزرع هم الأنعام المستخدمة في خدمة الناس، تأكل من عصفه، ثم يأكل الإنسان بعد ذلك من حبه ﴿وَ﴾: أيضاً يأكل النّاس ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾:

وأبدانهم ذاتهم ﴿أَفَلَا﴾: استقهاً يُعيد الأمر، وفيه إنكارٌ وتوبيخٌ لهم ﴿يُبْصِرُونَ﴾: يُشاهدون؛ أنّ الله ﷻ الذي أحيا الأرض يحيي الموتى.

التكليف: بعد فتح مصر وجد عمرو بن العاص أنّ الناس يُلقون في كلّ عامٍ أفضل الفتيات من أجمل بناتهم لنهر النيل؛ بحجة أن يفيض؛ فأرسل ابنُ العاص إلى الخليفة ابن الخطاب الذي أرسل إليه بطاقة مكتوب فيها موجهاً كلامه للنيل: إن كنت تجري من قبل نفسك فلا تجر، وإن كان الواحد القهار هو الذي يجريك؛ فنسأل الله أن يجريك، قرأها ابن العاص وألقاها في النيل؛ فارتفع الماء ستة عشر قدمًا في ليلةٍ واحدة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَقُولُونَ﴾: هم الكفار الذين استعجلوا هزيمتهم ﴿مَتَى﴾: استقهاً يُعيد معنى الاستبطاء، وهو تأخر الجواب، أو وعد الشيء بطيئًا في زمن انتظاره ﴿هَذَا﴾: حرفٌ تنبيه وإشارة ﴿الْفَتْحُ﴾: هو النصر والقضاء في بلادٍ جديدةٍ، استبعادًا وتحديًا لوعده الله ﷻ بنصر المسلمين بالفتح المبين، ومصيرنا ومصيركم يوم القيامة، كان المؤمنون يقولون لأهل الكفر سيحكم الله ﷻ بيننا وبينكم يوم القيامة ليثيب المؤمنين ويُعاقب الكافرين فيقول الكفرة مستهزئين متى هذا الفتح والحكم ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: جاء هذا التحدي في وقت كان النبي ﷺ ضعيفًا وأصحابه، وهذا حالٌ يتكرر في التاريخ؛ فالיום يحتل اليهود فلسطين، ويحتل الصليبيون البلاد الإسلامية مباشرةً، وعن طريق عملائهم الذين لا يؤمنون بنصر الله ﷻ يقولون كما قال الذين سبقوهم متى التحرير؟ ومتى وحدة الأمة الإسلامية؟

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٢٩)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ بالقول، قل يا محمد ﷺ ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾: يوم القيامة ويوم الفتح الكبير، هو يوم القيامة؛ يوم الثواب للمؤمنين لأن ينال الكفار إلا الخزي والعذاب، ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾؛ انظر [سبأ-٢٦] ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْفَعُ﴾: يُفيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿إِيْمَانُهُمْ﴾: لا ينفعهم إذا آمنوا بعد الفتح، هؤلاء الانتهازيون ينتظرون النصر؛ ليأخذوا نصيبًا، ووقت الشدة والجهاد يسبقون المؤمنين بألسنتهم، ومؤامراتهم، يومها لا ينفعهم إيمانهم عندما يذهب أهل الجنة إلى الجنة، ويُلقى أهل النار في النار ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿لَا﴾: هنا ينفي الله ﷻ ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص ﴿يُنظَرُونَ﴾: لا يؤخرهم الله ﷻ حتى يتوبوا، ويرجعوا عن كفرهم في الحياة الدنيا.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ (٣٠)

﴿ف﴾: بسبب ما سبق ﴿أَعْرِضْ﴾: ابتعد ﴿عَنْهُمْ﴾: حرفٌ يُفيدُ المجاوزة، أي تجاوزهم، وبلغ ما أنزل الله ﷻ إليك ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿انْتَظِرْ﴾: اصبر واطركهم يا محمد ﷺ في غيهم وارقب ما سيحلُّ بهم حتى يأتي وعدُ الله ﷻ، ووعدهُ حقٌّ، وعليك أن توقن تمام اليقين ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿مُنْتَظِرُونَ﴾: هم ينتظرون في الدنيا فرصةً للانقضاض عليكم، وينتظرون هزيمتكم أمام أعدائكم، وأنت تنتظر وعد الله ﷻ بالنصر عليهم في الدنيا، وتنتظر الجنة في الآخرة. ولقد نسختها الآية الكريمة: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نعلم كلَّ دليلٍ للحق وصدق ما جاء به القرآن الكريم عملياً في حقيقة الخلق وأحوال الإنسان.



سُميت سورة الأحزاب بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير، ولا يُعرف لها اسم غيره، وهي سورة مدنية بالاتفاق، وترتيبها التسعون في عداد السور النازلة من القرآن، ونزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة، وعدد آياتها (٧٣) باتفاق أصحاب العدد.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١)
﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقریب والبعید ﴿النَّبِيُّ﴾: أمرٌ من الله ﷻ إلى رسوله محمد ﷺ ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لرسوله أن يداوم على تقوى الله ﷻ، والعمل بأوامره، واجتناب معاصيه، واعمل بطاعته؛ بقناعة، ويقين؛ برجاء ثوابه، وخشية عذابه، الأمر هنا متعلقٌ لمن هو متصفٌ به، فإن النبي ﷺ اتصف بالتقوى فليس هذا تشكيكٌ في تقواه وإنما فائدته الدوام عليها ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد الحال ﴿لَا﴾: حرفٌ نهي ﴿تُطِعِ﴾: لا تستجب لمطالب ﴿الْكَافِرِينَ﴾: قدّم الله ﷻ الكافرين على المنافقين في تحذيره من طاعتهم أهل مكة الذين أنكروا رسالة الله ﷻ، وصدق رسوله مع إن المنافقين أشدَّ خطراً ﴿و﴾: أيضاً لا تطع ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: الذي يُظهرون الإيمان، ويُبطنون الكفر؛ الذين حاولوا أن يخوفوا الرسول ﷺ باليهود الذين كانوا في المدينة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾: بكل خافية ﴿حَكِيمًا﴾: في خلقه أقواله وأمره وأفعاله، وتدبيره، ﷻ.

التكليف: قدّم الله ﷻ الكافرين على المنافقين في تحذير النبي من طاعتهم لأنّ الركون إلى الكافرين وطاعتهم معصية كبرى؛ فمن باب أولى عدم طاعة المنافقين الذين هم أشدّ خطرًا.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٢)

﴿وَاتَّبِعْ﴾: أيضًا اعمل وطبق ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُوحَىٰ إِيَّاكَ﴾: ما نزل عليك من قرآن وحيًا في كل أمورك ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد بداية الغاية ﴿رَبِّكَ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُرَبِّي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ كَانَ﴾: بلا انقطاع ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: بكلّ ما تفعلون وتقولون ﴿خَبِيرًا﴾: خبرة الصانع، الواجد، المقرّر، مُحيطًا، ومُحصيًا لخلقهِ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٣)

﴿وَتَوَكَّلْ﴾: اعتمد ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: ﷻ في كلّ الأمور والأحوال وفوض أمرك إليه ﴿و﴾: عطفًا على هذا اعلم ﴿كَفَى﴾: هو كافيك و ﴿ب﴾: حرف باء الصلّة ﴿اللَّهُ وَكِيلًا﴾: حافظًا لكل من توكل عليه ﷻ، لا تحتاج إلى غيره.

التكليف: كانت كلّ الأوامر الربّانية التي خُوطب بها محمد ﷺ مثل اتق الله ﷻ، واتبع ما يُوحى إليك، وتوكل عليه ﷻ؛ كي يُداوم عليها نبينا كما أنّها تربية إيمانية لأهل هذا الدين الخاتم

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (٤)

تأتي هذه الآية في تنظيم العلاقات الأسرية؛ فتضغ حقيقة علمية لا يختلف عليها الناس ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿جَعَلَ اللَّهُ لِ﴾: حرف تملك ﴿رَجُلٍ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿قَلْبَيْنِ﴾: فكما لا يكون للرجل قلبان ﴿فِي جَوْفِهِ﴾: في صدره، والقلب هو مركز الحب، والكره، والوعي والإدراك ومركز الإيمان والكفر فإنّ القلب لا يجمع بين الكفر والإيمان في وقتٍ واحدٍ ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿مَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي﴾: اسم موصول للجمع المؤنث ﴿تُظَاهَرُونَ﴾: الظاهر هو أن يُحرّم الرجل زوجته على نفسه ﴿مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: حرف يفيد التمييز، إنّ حكم الله ﷻ ليس ما يقول الرجل لزوجته: أنتِ عليّ كأمّي؛ هي ليست أمّه ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾: أيضًا المتبنين تبنيًا، هؤلاء ليسوا ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾: ولا يصير الولد الذي يدعيه الرجل أنّه ابنه أي بمنزلة ابنه الذي من صلبه ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد ﴿قَوْلُكُمْ بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَفْوَاهِكُمْ﴾: لا يعني قولكم بأفواهكم أنّهم أولادكم؛ فلا يجوز أن يكون للشخص أبوان ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾:

هذا هو الصدق والعدل ﴿وَهُوَ﴾: ﴿يَهْدِي﴾: يفود خلقه إلى ﴿السَّبِيلِ﴾: سبيل الله ﷻ وهو طريق الرشاد، المستقيم.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥)

﴿ادْعُوهُمْ﴾ أن ردوا نسبهم ﴿ل﴾: حرف تمليك ﴿آبَائِهِمْ﴾: أمر ربّاني أن يُردّ نسب الابن إلى أبيه الحقيقي، فقد كان في بداية الإسلام جواز ادّعاء الأبناء الأجانب الأُدعياء؛ فجاءت هذه الآية ناسخة، وأمرهم الله ﷻ برّد نسبهم إلى آبائهم ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا هذا الحكم ﴿أَقْسَطُ﴾: الأكثر عدلاً ﴿عِنْدَ﴾: ظرف مكان وزمان ﴿اللَّهِ﴾: فهذا هو العدل عند الله ﷻ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنِ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ»، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب-٥] (١): حرف تأكيد الفعل وتوكيد القول ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ينفي المضارع ﴿تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾: إن لم تعرفوا آباءهم الحقيقيين ﴿ف﴾: هذا حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾: أخوة الدين، وهي علاقة متينة أيضاً؛ تعوضهم عما فقدوه من إلغاء التبني ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الولي" على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى المولى الذي يعتقه الرجل، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ - وَهُوَ يَعْلَمُهُ - إِلَّا كَفَرَ، وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (٢) ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي ﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: رفع عنكم الإثم ﴿فِيمَا﴾: في الذي ﴿أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾: إذا نسيتم أو أخطأتم بعد بذل الجهد والاجتهاد الجاد ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف يفيد الاستدراك؛ سيؤاخذكم على ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: تُؤثمون إذا ادّعيتم، وكان النسب معروفاً، ومقصوراً، ومعروفاً حكمه ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿كَانَ﴾: وسيبقى أبداً ﴿اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: في حال الخطأ والنسيان؛ فإنّ الله ﷻ يُسامح، ويرحم، ومغفرتُهُ واسعة، ورحمته عظيمة.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٦)

(١) صحيح البخاري ١١٦/٦ (٤٧٨٢).

(٢) صحيح البخاري ١٨٠/٤ (٣٥٠٨).

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى﴾: أحب، وأشفق ﴿ب﴾: باء المصاحبة ﴿المُؤْمِنِينَ مِنْ﴾: بعض ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾: أقرب لهم من أنفسهم يعلم الله ﷻ شفقة محمد ﷺ على أمته؛ فجعله أحقّ بالمؤمنين من أنفسهم، كما أنّ حبّ المؤمنين لرسول الله ﷺ كان عظيمًا؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَفْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب-6] فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرْتَهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضَيَاعًا، فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ" (١)، عن عبد الله بن هشام، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» (٢) ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَزْوَاجَهُ﴾: زوجات الرسول ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾: وحرمة زوجات الرسول كحرمة أمهاتهم، منزلة أمهات جميع المسلمين، فلا يحلّ لأيّ مؤمنٍ أن يتزوج إحداهنّ بعد وفاته ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَوْلُو﴾: أصحاب ﴿الْأَرْحَامِ﴾ والقرباة من المسلمين ﴿بَعْضُهُمْ﴾: جزء منهم ﴿أَوْلَى﴾: أحقّ بميراث ﴿بِبَعْضٍ﴾: جزء ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: حكم وشرع ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد التمييز ﴿المُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾: هذا ما قرره القرآن بالحقوق؛ كالميراث ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَانِكُمْ مَعْرُوفًا﴾: الأولياء من غير الإرث؛ فَإِنَّ الْوَلَاءَ قَائِمٌ فِي صُورِ النِّصْرَةِ، وَالْبِرِّ، وَالْإِحْسَانِ، وَالصَّلَةِ، وَالْوَصِيَّةِ ﴿كَانَ﴾: إشارة للماضي ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في الكتب التي نزلت من الله ﷻ ﴿مَسْطُورًا﴾: جاء ذكره في اللوح المحفوظ؛ بلا تغيير، ولا تبديل، ولزوم العمل به.

التكليف: هذه الآية نسخت التوارث بالحلف، والمؤاخاة التي كانت بين الأنصار والمهاجرين.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٧)

﴿وَإِذْ﴾: تفيد حدثًا في الماضي ﴿أَخَذْنَا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾: واذكر أيها النبي حين أخذنا وقطعنا العهد والميثاق في تبليغ الدين والرسالة، والتعاون، والتناصر ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿مِنْكَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: إن الوحدة في الميثاق، تخصيص ميثاق تعني الرسالة والنبوة لكل الأنبياء،

(١) صحيح البخاري ١١٨/٣ (٢٣٩٩).

(٢) صحيح البخاري ١٢٩/٨ (٦٦٣٢).

منذ أن خلق الله ﷻ آدم ﷺ **﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا﴾**: أيضًا عهدًا **﴿غَلِيظًا﴾**: قال ابن عباس: الميثاق الغليظ؛ هو العهد الأكيد.

﴿لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٨)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ **﴿يَسْأَلُ﴾**: ليحاسب الله ﷻ **﴿الصَّادِقِينَ﴾**: ليسأل الله ﷻ المرسلين عما أجبته به أمهم فيجزي الله ﷻ المؤمنين الجنة. قال مجاهد: الذين أيدوا الرسل، عليهم السلام، وبلغوا **﴿عَنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد التعليل والبدل **﴿صِدْقِهِمْ﴾**: درجة ما بلغوا دعوة الله ﷻ من بعد أنبيائهم، والله أعلم **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد الحال **﴿أَعَدَّ﴾**: جهز الله ﷻ **﴿ل﴾**: حرف تخصيصٍ **﴿الْكَافِرِينَ﴾**: تخصيصًا للذين كفروا من الأمم التي جاء الرسل فيهم **﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾**: شديد الوجع، وأبلغ شهادة للصادقين عن محمد ﷺ أن أكثر من ثلث سكان العالم اليوم هم من المسلمين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٩)

ملحوظة: رأينا في الآيات الثمانية الأولى المعاني التالية: دعوة الرسول ﷺ بعدم طاعة الكفار، والمنافقين؛ أي تحرير الولاء، ودعوة الله ﷻ لرسوله ﷺ باتباع ما يوحي إليه من الله ﷻ، والتوكل عليه وحده، وتنظيم علاقة الأبوة بالنسب، وليس بالقول، وكذلك الأمومة، وتذكير النبي ﷺ المؤمنين بميثاق الله ﷻ الغليظ، والأنبياء أولي العزم، والتذكير بالسؤال للصادقين بصدقهم، ووعيده ﷻ للكافرين، ثم جاءت هذه الآية عن غزوة الأحزاب؛ وكان هذه المعاني هي مقدمات النصر؛ لكل أمة من المسلمين؛ والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا اذْكُرُوا﴾**: تدارسوا **﴿نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾**: وجوب ذكر فضل الله ﷻ، وإحسانه، ونعمته؛ حيث نصرهم في عام الخندق على الكفار، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا ﷺ، يَقُولُ: حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَخْفَرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ، قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا... عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا^(١)، **﴿إِذْ﴾**: حدث في الماضي **﴿جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾**: من اليهود الذين أجلاهم الرسول ﷺ من المدينة، يهود بني النضير إلى خيبر، وقد تحالفوا مع كفار قريش، ثم دعوا غطفان للمشاركة؛ فوافقوا، وكانوا

(١) صحيح البخاري ٢٥/٤ (٢٨٣٤).

جيشًا من عشرة آلاف بقيادة أبي سفيان واسمه صخر بن حرب، كان رسول الله ﷺ قد حفر الخندق بنصيحة من سلمان الفارسي ﷺ، وقد نقض بنو قريظة عهدهم مع الرسول ﷺ، وكانوا في مكة شرق المدينة، وعددهم ثمانمائة مقاتل، وحُوصِر الرسول ﷺ، واشتدَّ الخطبُ، وضاق الحالُ، ووصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب- ١١]، واستمر الحال قرابة الشهر، وهنا جاء نصر الله ﷻ ﴿ف﴾: هذا السبب ﴿أرسلنا﴾: بأمر الله ﷻ ﴿عليهم ريحًا﴾: هبت ريحٌ بشدَّةٍ؛ أخذت خيامهم جميعًا، وأطفأت نيرانهم، ولم يقفوا في قرارٍ واحد؛ حتى عادوا خائبين، المرجحُ أنَّه ﷻ أرسلَ عليكم الأضعف، وكانت النتائج أوقع وأكثرَ إيلاَمًا وليس لأنَّ الريح أقوى من الماء؛ لأنَّها تحمله، والماء أقوى من النَّار؛ لأنَّه يُطفئها، والنَّارُ أقوى من الحديد، والحديد أقوى من الصخور ﴿وق﴾: عطفًا على هذا أرسل الله ﷻ، عَن إِبْرَاهِيمَ النَّبِيِّ، عَن أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُدَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذْتَنَا رِيحَ شَدِيدَةٍ وَفُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَّنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَّنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَّنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُدَيْفَةُ، فَأَتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بَدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «أَذْهَبَ فَأَتَيْتِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَزْدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ: «وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَعْتُ فُرْرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷻ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَرَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصَبَحْتُ، فَلَمَّا أَصَبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»^(١)، ﴿جُنُودًا نَم﴾: حرف ينفي الفعل المضارع ﴿تروها﴾: لم تشاهدوهم عيانًا، وهم الملائكة؛ فزلزلتهم، وألقت في قلوبهم الرعب، حتى أنَّ المسلمين كان الواحدُ منهم ينظرُ في أصبعه فلا يراه. كان حذيفة قد اختاره الرسول ﷻ ليستطلع الأعداء؛ فوجدهم في كربٍ شديدٍ^(٢) ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: كان من بين المسلمين منافقون، استأذنوا الرسول قائلين: ﴿إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب- ١٣]، ولم يكن المسلمون إلا ثلاثمائة، قَالَ

(١) صحيح مسلم ١٤١٤/٣ (١٧٨٨)

(٢) صحيح مسلم ١٤١٤/٣ (١٧٨٨).

لي مدائِنُ الحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عِنْدَ ذَلِكَ دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ»^(١)، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلُهُمْ»^(٢).

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (١٠)

﴿إِذْ﴾: حرف يفيد السبب جاء في الماضي **﴿جَاءُوكُمْ﴾**: الأحزاب **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد بداية الغاية المكانية، واذكروا إذ جاؤوكم **﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾**: هم حلف قريش الكافرون **﴿و﴾**: أيضًا جاؤوا **﴿مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾**: من داخل المدينة، وهم بنو قريظة، الذين خانوا عهدهم مع الرسول ﷺ **﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾**: عطفاً على ما سبق زاغت العيون؛ تنظر في كل اتجاه من شدة الخوف **﴿و﴾**: أيضًا **﴿بَلَغَتِ﴾**: وصلت **﴿الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾**: هذه مبالغة في التمثيل، صوّرت القلوب في خفقانها واضطرابها كأنها وصلت الحلقوم؛ من المعروف أن هرمون الأدرينالين وهو هرمون الخوف الذي يزيد عدد ضربات القلب، ويرفع ضغط الدم، ومن شدة ضربات القلب بدت القلوب؛ كأنها خرجت من الصدور إلى الأعناق؛ حيث تُوجد الحناجر **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿تَظُنُّونَ﴾**: تعتقدون **﴿بِ﴾**: حرف باء الصلة **﴿اللَّهُ الظُّنُونًا﴾**: جاء اللفظ "الظن" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى اتهام الرسول، والشك فيما قاله عن الله ﷻ.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (١١)

﴿هُنَالِكَ﴾: ظرف مكان، والمكان المقصود هنا غزوة الخندق **﴿ابْتُلِيَ﴾**: أختبر **﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾**: في ذلك الموقف العصيب أختبرت درجة إيمان المؤمنين؛ بسبب تحالف أعداء المسلمين جميعاً عليهم **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾**: اضطربوا بشدة، واهتزت ثقتهم بالنصر؛ كما تهتز الأرض بالزلازل.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢)

﴿وَإِذْ﴾: حدث فيما مضى **﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾**: هنا قُدم المنافقون الذين يُظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، على الكافرين جهاراً **﴿و﴾**: أيضًا يقول **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع من **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾**: هم الكفار، الذين في قلوبهم من وسوسة النفس؛ والشك؛ بسبب ضعف

^(١) سنن النسائي ٤٣/٦ (٣١٧٦). قال الألباني: حسن.

^(٢) صحيح البخاري ٤٤/٤ (٢٩٣٣).

الإيمان، وشدة ما هم فيه من الضيق ﴿مَا﴾: حرف نفي الذي ﴿وَعَدْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أما الوعد فهو ما قيل عن فتح كسرى، وقيصر ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿غُزُورًا﴾: باطلاً، لا أساس له.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣)

﴿وَإِذْ﴾: حدث فيما مضى واذكر يا محمد ﷺ ﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: قول رجالٍ منافقين يُنادون ﴿يَا﴾: حرفُ نداءٍ للقریبِ والبعید ﴿أَهْلَ يَثْرِبَ﴾: المؤمنین من سكان المدينة المنورة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿مُقَامَ لَكُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "مقام" هنا بمعنى الإقامة والمُكث، والكلام موجة من المنافقين لأهل المدينة لرسول الله ﷺ في مقام المرابطة ﴿ف﴾: لهذا السبب، وبدون تأخير ﴿ارْجِعُوا﴾: إلى البيوت، واتركوا مكان الرباط ﴿وَيَسْتَأْذِنُ﴾: أيضاً طلب الإذن ﴿فَرِيقٌ﴾: جماعة ﴿مِنْهُمْ﴾: بعضهم من ﴿النَّبِيِّ﴾: طلبوا أن يعودوا إلى بيوتهم بحجة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ﴾: تأكيد ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: ليس فيها ما يحجبها أو يحميها من العدو، ويمنعه من دخولها والحقيقة ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾: وهذا قول الله ﷻ؛ بل يكشف نياتهم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿فِرَارًا﴾: هم فقط يريدون الهرب من القتال.

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ (١٤)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يُفيد الاستحالة ﴿دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾: يقول ﷻ لو نجح الكفار من جيش الأحزاب في دخول المدينة ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿أَقْطَارِهَا﴾: من جوانبها ﴿ثُمَّ﴾: تعيد التتابع الزمني مع التراخي ﴿سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾: إذا طلب منهم الكفارُ الدخول في الكفر ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿آتَوْهَا﴾: لاستجابوا للكفار؛ ودخلوا في الكفر ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تَلَبَّثُوا بِهَا﴾: ما حبسوا أنفسهم عن الكفر ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بَسِيرًا﴾: ولم يتأخر عن الشرك إلا عددٌ قليلٌ منهم، هم المؤمنون.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (١٥)

هذه كلمات التوبيخ من الله ﷻ يُذكرهم ﴿وَلَقَدْ كَانُوا﴾: تحقق في الماضي، بعد فرارهم يوم أُحدٍ من القتال كانوا ﴿عَاهَدُوا﴾: أعطوا ميثاقهم ﴿اللَّهِ﴾ على يد الرسول من قبل غزوة الخندق لا يفرون إن شهدوا الحرب ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يُفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: كان هؤلاء المنافقون أعطوا عهدهم وميثاقهم لله ﷻ قبل هذه الحادثة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُولُونَ الْأَدْبَارَ﴾: ألا يهربوا في مواجهة الكفار، وقد نكثوا عهدهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال

﴿كَانَ﴾: لا يزول ولا ينقص ﴿عَهْدُ﴾: ميثاق ﴿اللَّهُ مَسْئُولًا﴾: إنَّ العبد مسؤلٌ عن عهده مع الله ﷻ، وإنَّ الله ﷻ سائلهم عنه.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٦)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ لهم وهو خطابٌ لكلِّ قائدٍ مسلمٍ لقومه ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يَنْفَعُكُمْ﴾: يُفدُكم أو يُنجيكم ﴿الْفِرَارُ﴾: الهروب ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿فَرَرْتُمْ﴾: لن يفد هروبكم، لن يُطيلَ الهروب عمراً؛ فالأجلُ مكتوبٌ، ولن يصيبكم إلا ما كتب الله ﷻ لكم ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾: دونَ قتالٍ، فُدمَ الموت على القتل وبذلك أراد ﷻ أ توبيخهم واستحقار عقولهم؛ لأنَّ الذي يفِرُّ من القتل فلا يفِرُّ من الموت ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين ﴿الْقَتْلِ﴾: ربّما كان فرارهم سبباً في قتلهم، وموتهم ﴿وَإِذَا﴾: حرف جوابٍ وجزاء ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَمْتَعُونَ﴾: قد لا تطول حياتكم بعد الهروب ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿قَلِيلًا﴾: إلا زمنًا قصيرًا، وإن فررتم فلن تمتعوا في الحياة الدنيا إلا بقدر أعماركم المحدودة؛ وهو زمنٌ يسيرٌ جدًّا بالنسبة إلى الآخرة.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧)

﴿قُلْ﴾: سلهم يا محمد ﷻ ﴿مَنْ ذَا﴾: من هو ﴿الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾: الذي يحفظكم ويمنعكم ﴿مِنَ﴾: قدر ﴿اللَّهُ إِنْ﴾: حرف شرط بمعنى إذا ﴿أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾: إذا كتب الله ﷻ عليكم ما يسوؤكم، من جراحٍ، أو قتلٍ، أو أسرٍ ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يساوي بين متعاطفين ﴿أَرَادَ﴾: قدر ﴿بِكُمْ﴾: لكم ﴿رَحْمَةً﴾: جاء اللفظ القرآني "الرحمة" هنا بمعنى النصر، من الذي سيمنع انتصار الله ﷻ لكم أو يرحمكم بما فيها من خطبٍ وعاقبة ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَجِدُونَ لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾: لن تجدوا لكم غير الله ﷻ ﴿وَلِيًّا﴾: والولي هو القريب الموالي، وهو أخصُّ من الناصر؛ لأنَّ الناصر قد لا يكون قريبًا ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، الولي هو المؤيد، والمناصر، والمُحب ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿نَصِيرًا﴾: من يتولى أمرهم القوي، والمحب، والمساعد القوي الذي يحقق لهم النصر على أعدائهم.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨)

﴿قَدْ﴾: حرفُ جزمٍ أفاد تحقق التحذير لأنَّه جاء مع الفعل الماضي، هنا رسالةٌ تحذيرٌ للرسولٍ من نيات فئَةٍ ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾: إنَّ الله ﷻ يعلم ويحيط بالمتبطين للمحاربين المسلمين ﴿وَلَا﴾: أيضًا يعلم ﴿الْقَائِلِينَ لِ﴾: حرف تخصيص ﴿إِخْوَانِهِمْ﴾: والأخ والأخت هم المشارك لآخر من الأب والأم أو أحدهما، والمقصود هنا أخوة العقيدة ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: يقولون لهم

تركوا الحرب ففيها القتل، والجرح، والأسر، وتعالوا إلى الظلال الوارفة، والطعام الجيد، والنساء الحسان ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَأْتُونَ النَّبَأَ﴾: لا يذهبون للدفاع بالقوة والسلاح والتضحيات عن دينهم، وعن أنفسهم ﴿إِلَّا﴾: استثناء ﴿قَلِيلًا﴾: جاء اللفظ القرآني "قليل" هنا بمعنى الرياء، وطلب السمعة، وكذا في قوله ﷺ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء-١٤٢] فهم أهل متعة.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩)

يبين الله ﷻ صفات المعوقين المثبتين فهم ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: بُخلاء بالمودة، والشفقة على المؤمنين، وقال السدي: بُخلاء في الغنائم ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب والسرعة ﴿إِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَ الْخَوْفُ﴾: جاء اللفظ القرآني الخوف هنا بمعنى القتال؛ أي عدوان على المسلمين، أو إذا خرج المسلمون في حربٍ، إذا نظرت إليهم ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾: تُشاهد أعينهم مضطربةً، تنتظر في كل اتجاه؛ من الرعب ﴿ك﴾: مثل ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد المذكر ﴿يُغْشَى عَلَيْهِ﴾ الذي يدخل في غيبوبة ما قبل الموت ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾: تختفي عيونهم تحت جفونهم؛ كأنهم يفقدون الوعي، وكالذي يوشكُ على الموت ﴿فَإِذَا ذَهَبَ﴾: انقضى وزال ومضى ﴿الْخَوْفُ﴾: لم تحدث حربٌ أو انتهت ﴿سَلَفُوكُمْ﴾: أدوكم ﴿ب﴾: حرف باء الحال ﴿السِّنَةِ حِدَادٍ﴾: هنا تشبيه اللسان بالسيف الحاد استقبلوكم، ورفعوا أصواتهم كلامًا واضحًا، عاليًا، يصفون شجاعتهم، وبطولاتهم، ونجدتهم للمسلمين، والدفاع عن الدين، ويشككون في بطولة، وثبات، المؤمنين ﴿أَشِحَّةً﴾: بُخلاء ﴿عَلَى الْخَيْرِ﴾: إذا جاء توزيع الغنائم، والمناصب؛ يطلبون كثيرًا، ويريدون المقاسمة؛ ليس فيهم خيرٌ، جنباء، كذابون، أسودُ السلام، خرافُ الحروب ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للقريب والبعيد، بُخلاء المال، فلا يُنفقون في سبيل الله ﷻ؛ وبخلاء النفس؛ لا يُقاتلون معكم، وبخلاء المودة؛ فلا يحبونكم ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُوا﴾: يشهد الله ﷻ بكفرهم ﴿فَأَحْبَطَ﴾: أبطل ﴿اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: وأحبط كيدهم ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾: إشارةً للبعيد، إبطال أعمالهم ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: تحقيق البطلان عند الله ﷻ سهلٌ يسير.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٠)

﴿يَحْسَبُونَ﴾: يظنون ﴿الْأَحْزَابَ﴾: القبائل التي تأمرت على محاربة الرسول ﷺ، جاء اللفظ القرآني "الأحزاب" هنا بمعنى قبائل العرب الكافرة من بني أمية، واليهود في يوم الخندق؛ فقد قاد أبو سفيان العرب، وكانوا في بطن الوادي من قبل المغرب، وكان هو واليهود يقاتلون في ثلاثة مواقع فوق الوادي، وفي الشرق كان بقيادة مالك بن عوف النصري، وعيينة بن حصن، ومعهما ألف رجل من غطفان، وكان معه أخطب اليهودي من بني قريظة ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَذْهَبُوا﴾: يقضوا ويزولوا ويمضوا، كان المسلمون من شدة الخوف؛ يظنون أنّ الأعداء بالقرب منهم، أو أنهم سيعودون ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط بمعنى إذا ﴿يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾: إذا أحسوا بمجيء الأعداء ﴿يَوَدُّوا﴾: يتمنوا ويرغبوا ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿أَنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿بَادُونَ﴾: لو كانوا هاربين ﴿فِي﴾: البادية التي يسكنها ﴿الْأَعْرَابِ﴾: كأنما خرجوا من المدينة إلى الصحراء ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾: حصروا مهمتهم في معرفة نتائج المعركة ﴿وَلَوْ﴾: استفهامًا واستنكارًا يفيد الاستحالة ﴿كَانُوا فِيكُمْ مَا﴾: حرف نفي ﴿قَاتَلُوا﴾: وإذا كانوا في بيوتهم؛ لتهربوا من القتال ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿قَلِيلًا﴾: قليل منهم عددًا، أو قاتلوا قتالًا قليلًا، والله أعلم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿كَانَ﴾: وسبقه ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾: قدوة، نموذجًا، ومثلاً ﴿حَسَنَةٌ﴾: صالحة تقتدون به ﷺ في الثبات في القتال والثبات في كل أمور حياتكم وفق شرع الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ هذا أصل من أصول التأسّي، اتباع وتنفيذ ما قاله وعمله رسول الله ﷺ أقوالاً وأفعالاً وأحوالاً، صبره، ومثابرته، ومرابطته، وجهاده، هذه هي الأعمال الفاضلة ﴿لِمَنْ﴾: للذي من البشر ﴿كَانَ يَرْجُو﴾: يريد ثواب ﴿اللَّهُ وَ﴾: يرجو أيضًا ﴿الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: للذين يريدون رضا الله ﷻ، والفوز في يوم القيامة ﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾: ذكر الله تسبيحًا، وتنزيهًا، مع التفكير، واليقين بما قاله ﷻ في كلّ الأحوال، حتى في حالات الخوف. ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢)

﴿وَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ حدثًا في الماضي ﴿رَأَى﴾: جاء إشارةً للجمع بلفظ المفرد رأى؛ بقصد تقليل عدد الجمع المعادي وهم الأحزاب؛ لتقليل الجمع وتحقيره، وفي هذا طمأنة للرسول ﷺ بعدم الخوف من كثرة عدد الأعداء ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: شاهدوا، وعابنوا، وتأكدوا، ورأوا ﴿الْأَحْزَابُ﴾: وهنا كان حالُ المؤمنين حقًا في موقعة الأحزاب، تذكروا المحن، وتذكروا الوعد الربّاني لهم بالنصر ﴿قَالُوا هَذَا﴾: للإشارة للقريب، بمعنى إنّ وعد الله ﷻ قريب، وإنّ كلّ قريبٍ آتٍ، بعد رؤيتهم للأحزاب، والابتلاء، والجهاد، والتضحيات ﴿مَا﴾: الذي ﴿وَعَدَنَا اللَّهُ وَ﴾: أيضًا وما عدنا ﴿رَسُولُهُ﴾: يقصدون قول الله ﷻ ﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: إذ وعدنا الله ﷻ بالابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصر؛ وهذا ما تحقق ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿زَادَهُمْ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿إِيمَانًا﴾: ولقد أضاف إليهم هذا الضيق، وهذه الشدة؛ زيادةً في إيمانهم بالله ﷻ ﴿وَتَسْلِيمًا﴾: طاعةً، وانقيادًا.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣)

﴿مِنَ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية، هي هنا بيانيةً توضح ﴿الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا﴾: الذي ﴿عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: تُضيف هذه الآية وصفًا للمؤمنين؛ من الإيمان، والتسليم، بالابتلاء والصبر ﴿فَمِنْهُمْ﴾: بعضهم أو جزءٌ منهم ﴿مَن﴾: الذي ﴿قَضَىٰ﴾: جاء اللفظ القرآني "قضى" هنا بمعنى تمّ؛ كما في قوله ﷻ ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص-٢٨، ٢٩] ﴿نَحْبَهُ﴾: والنحب هو النذر، أي شبه الله ﷻ النحب وهو النذر للموت نهاية كلّ حيٍّ كأنه نذرٌ لازم في رقبة كلّ إنسان، وقال البخاري: انتهى عهده ﴿وَ﴾: أيضًا ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿مَن يَنْتَظِرُ﴾: الموت وهو على عهده؛ منتظرًا وعد الله ﷻ ﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿بَدَّلُوا﴾: ما غيروا ﴿تَبْدِيلًا﴾: ثباتًا على عهد الله ﷻ، ولا بدّله، ولا نقضوه.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٤)

﴿لِ﴾: تخصيص وتمليك ﴿يَجْزِي﴾: ليكافئ ﴿اللَّهُ الصَّادِقِينَ﴾: ويجزل في العطاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله ﷻ عليه ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿صِدْقِهِمْ﴾: على صدقهم، ومحافظتهم عليه

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿يُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾: يعذب الذين ظهر زيفُ إيمانهم؛ بنقض عهد الله ﷺ ومخالفته ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط، إذا ﴿شَاءَ﴾: هنا اعتراضٌ مقصودٌ كتلميحٍ للدلالة على أن العذاب أو الرحمة بمشيئة الله ﷻ، إذا أراد وقرر ﴿أَوْ﴾: حرف تسوية بين متعاطفين ﴿يُثَوِّبُ عَلَيْهِمْ﴾: لم يقلق الله ﷻ باب التوبة أمامهم إن تابوا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ كَانَ﴾: دائماً وأبداً ﴿عَفُورًا﴾: واسع المغفرة ﴿رَحِيمًا﴾: واسع الرحمة. ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ (٢٥)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿رَدَّ﴾: أرجع، ومنع ﴿اللَّهُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: غطفان، وقريش، وحلفائهم، أرجعهم من حيث أتوا في حالة ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿غَيْظِهِمْ﴾: لم ينفسوا غيظهم ولم يشفوا صدورهم ولا نالوا خيراً في اعتقادهم وهو الانتصار على المسلمين في شدة الغضب والحنق ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَنَالُوا﴾: لم يُحققوا ﴿خَيْرًا﴾: مأربهم، جاء اللفظ القرآني "الخير" هنا بمعنى النصر في القتال، والغنيمة. انظر [البقرة-١٨٠] لم ينتصروا في الدنيا، ولهم في الآخرة عذابٌ على محاربتهم رسول الله ﷺ ورجعوا خائبين ﴿وَكَفَى﴾: جنب ﴿اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾: لم يقاتلهم المؤمنون؛ لأنَّ الله ﷻ أرسل ملائكته والريح؛ لم يتركوا الكفار حتى أجلوهم عن المدينة، وفي هذا تقادٍ ومنعٌ قتلٍ وجرحٍ لبعض المؤمنين، ولم يغزوا بعد ذلك ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: دائماً وأبداً بلا انقطاع ﴿قَوِيًّا عَزِيمًا﴾: وهو القوي الذي لا يغلبه أحدٌ، والعزيمُ صاحبُ الملك والملكوت، الذي استجاب لحبيبه ﷺ يوم دعا: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزَلْهُمْ^(١). وبعدها جاءت مرحلة نغزورهم ولا يغزونا.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (٢٦)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَنْزَلَ﴾: من العلو إلى الدنو ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ظَاهَرُوهُمْ﴾: نصرورهم وأيدوهم، أنزل الله ﷻ اليهود بقيادة كعب بن أسد، وكان الذي أغراه بنقض عهد بني قريظة هو حُيَيُّ بن أخطب، الذين ساعدوا الأحزاب على حرب رسول الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييزٍ للنوع ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: هم بنو قريظة اليهود من بعض أسباط بني إسرائيل ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿صَيَاصِيهِمْ﴾: بيوت اليهود الذين نزل بعضهم

(١) صحيح البخاري ١١١/٥ (٤١١٥).

من حصونهم من قبل، وذهبوا إلى الحجاز؛ ليبحثوا عن النبي الأمي، وبقوا هناك، فلما جاءهم نبؤه ﷺ؛ كفروا به ﴿وَقَدَفَ﴾: عطفًا على هذا ألقى وبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: لأنهم خانوا عهدهم، وأرادوا النيل من المسلمين، وفشل حلفاؤهم، وكان نصيبهم على خيانتهم ﴿فَرِيْقًا تَقْتُلُونَ﴾: ثم قتل الذين تجهزوا للقتال ضد المسلمين ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيْقًا﴾: ثم كان أسر صغار السن والنساء.

التكليف: لقد عبر القرآن الكريم عن الماضي في قوله ﷺ ﴿تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيْقًا﴾ ليعلمنا أنّ عملية قتل وأسّر هؤلاء لم تقف عند هذه الحادثة، وإنما تستمر ما استمر هؤلاء في عدائهم للإسلام.

﴿وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢٧) ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿أُورِثَكُمْ﴾: مكنكم أن تأخذوا منهم ﴿أَرْضَهُمْ وَ﴾: أيضًا تأخذوا ﴿دِيَارَهُمْ﴾: مزارعهم وبيوتهم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾: وهم أهل مالٍ ﴿و﴾: أيضًا أورثكم ﴿أَرْضًا لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَطَّوُّهَا﴾: لم تقف أقدامكم عليها، أي لم تكن ملكًا لكم، قال ابن جرير: كل ما قيل هو أرض خيبر، ومكة، وفارس، وبلاد تحتلها الروم؛ لأنَّ ﴿وَكَانَ﴾: دائمًا وأبدًا ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد على الجميع ﴿قَدِيرًا﴾: صاحب القدرة المطلقة.

التكليف: لقد عبر القرآن الكريم عن الماضي بهذه الآية الكريمة انتهى الحديث عن الحرب، آداب، وأصول المواجهة مع العدو.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَاخًا جَمِيلًا﴾ (٢٨)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداءً للقريب والبعيد ﴿النَّبِيِّ﴾: محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ بالقول ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿أَزْوَاجِكِ﴾: عندما طلبن من الرسول مزيدًا من توسعة الإنفاق عليهن، وهو لا يملك، أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لأزواجه أمرا ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُنَّ تُرِدْنَ﴾: ترغبين ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ﴾: أيضًا ترغبين في ﴿زِينَتَهَا﴾: بدأ الرسول ﷺ بعائشة وقال لها استأمري أبويك؛ فقالت إني أريد الله ورسوله والدار الآخرة؛ أفيك استأمر أبوي؟ وقالت له لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت ﴿ف﴾: بسبب هذا قال لزوجاته ﴿تَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ﴾: أعطيكن ما سألتن ﴿و﴾: أيضًا ﴿أُسْرِحَنَّ﴾: أطلقكن ﴿سَرَاخًا جَمِيلًا﴾: وأعطيكن حقوق المطلقات، وأطلق سراحكن، وكان عنده يومها تسع زوجات، عَنْ غَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ قَالَ: بَدَأَ

بِعَائِشَةَ فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ إِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكَ أَمْرًا فَلَا تَقْتَاتِنِ فِيهِ بِشَيْءٍ حَتَّى تَعْرِضِيهِ عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمُّ رُومَانَ "، قَالَتْ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: " يَا عَائِشَةُ إِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكَ أَمْرًا فَلَا تَقْتَاتِنِ فِيهِ بِشَيْءٍ حَتَّى تَعْرِضِيهِ عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَأُمُّ رُومَانَ ". قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: " يَا عَائِشَةُ إِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكَ أَمْرًا فَلَا تَقْتَاتِنِ فِيهِ بِشَيْءٍ حَتَّى تَعْرِضِيهِ عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمُّ رُومَانَ "، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ قَالَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَزِينَتَهَا، فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ، وَأُسْرِحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب- ٢٩] قَالَتْ: فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا أُوامرُ فِي ذَلِكَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمُّ رُومَانَ، قَالَتْ: فَصَحِّحْ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ اسْتَقْرَأَ الْحُجَرَ، فَقَالَ: إِنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: قُلْنَ مِثْلَ الَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ^(١).

﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
(٢٩)

﴿و﴾: وعطفًا على ذلك ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُنَّ تُرِدْنَ﴾: ترغبن في ﴿اللَّهُ وَ﴾: أيضًا ترغبن في طاعة ﴿رَسُولَهُ﴾: رضا الله ﷻ ورضا رسوله ﷺ ﴿و﴾: أيضًا تعملن من أجل ﴿الذَّارَ الْآخِرَةَ﴾: وأعد الله لكن في الآخرة دخول الجنة ﴿فَإِنَّ﴾: تأكيدًا ﴿اللَّهُ أَعَدَّ﴾: جهز ﴿ل﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿الْمُحْسِنَاتِ﴾: فإن الله ﷻ أعدَّ ﴿مِنْكُنَّ﴾: لهنَّ من الصابرات ومحسنات المعاشرة ﴿أَجْرًا﴾: ثوابًا وجزاءً ﴿عَظِيمًا﴾: سعادة الدنيا بصحبة رسول الله ﷺ، والجنة وهي أجرٌ عظيمٌ.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠)

﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾: زوجات الرسول ﷺ ﴿مَنْ﴾: هنا بمعنى التي من جنس العاقل ﴿يَأْتِ مِنْكُنَّ﴾: حرف "مِنْ" هنا للبيان لأنهنَّ كلهنَّ مُحسنات مُحسنات طاهرات، التي ترتكب أو تقترف ﴿بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾: معصية ظاهرة، وقال ابن عباس: النشوز، وسوء الخلق، جاءت الصيغة شرط لا يقتضي الوقوع، عملاً، ووضوحاً ظاهراً ﴿يُضَاعَفْ لَهَا﴾: المراد هنا تشريف نساء النبي وليس توبيخاً لهنَّ، ذلك لشرفهن وعلو منزلتهن؛ لأن أي عملٍ قبيحٍ من سائر النساء كان منهن أقبح، فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل ﴿الْعَذَابُ﴾: لأنَّ

(١) مسند أحمد ٥٠٧/٤٢ (٢٥٧٧٠) قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

منزلتهن رفيعة؛ فيتناسب الذنب إذا وقع مع عقوبة مغلظة **﴿ضِعْفَيْن﴾**: المضافة في العذاب هو في الآخرة **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿كَانَ ذَلِكَ﴾**: العقاب **﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾**: سهلًا هينًا.
﴿وَمَنْ يَفْتَنُ مِنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾
(٣١)

﴿و﴾: حرف عطف يُعيد الحال **﴿مَنْ﴾**: هنا بمعنى التي **﴿يَفْتَنُ مِنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا﴾**: تستمر على طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ وتستجيب لأوامرها ويكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس **﴿نُؤْتِهَا﴾**: نعطاها، ونهبها **﴿أَجْرَهَا﴾**: ثوابها **﴿مَرَّتَيْنِ﴾**: لا ثلاثة لأن المراد إظهار شرفهن ومرتبتهن في الطاعة، وفي المعصية، وقد حفظهن الله ﷻ منها جميعهن، جاءت بصيغة الجمع للتعظيم، نُثبها ثوابًا ضعف غيرها من النساء في الآخرة أي في الجنة **﴿وَأَعْتَدْنَا﴾**: جهزنا **﴿لَهَا﴾**: تخصيصًا **﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾**: إنهن في الآخرة في منازل رسول الله ﷺ، في أعلى عليين، فوق منازل كل الخلق، وهي الوسيلة أقرب منازل الجنة من عرش الرحمن.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَآ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ **(٣٢)**

تُحدِّد الآية الكريمة آداب نساء النبي ﷺ **﴿يَا﴾**: حرف نداءٍ للقريب والبعيد **﴿نِسَاء﴾**: زوجات **﴿النَّبِيِّ لَسْتُنَّ﴾**: فعل ماضٍ يفيد النفي **﴿ك﴾**: مثل أو حال **﴿أَحَدٍ﴾**: لم يقل الله ﷻ كواحدة؛ لأن اللفظ "أحد" عام يشمل المذكر والمؤنث، والواحد، والجماعة **﴿مَنْ﴾**: بعض أو جزء **﴿النِّسَاءِ﴾**: أنتن لا تُشبهن في أدبكن وأخلاقكن أحدًا من النساء في الفضيلة والمنزلة، قال ابن عباس: ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات **﴿إِنَّ﴾**: حرف شرط **﴿اتَّقِيْنَ﴾**: إذا عبدتن الله كأنكن ترؤنه ﷻ **﴿فَلَآ﴾**: حرف تخصيص ونهي تفيد طلب عدم الفعل **﴿تَخْضَعْنَ﴾**: أي لا يكون كلام النساء في حضرة الرجال رقيقًا لينًا مُرحمًا، تظهر فيه أنوثة المرأة التي تميل بها قلوب الرجال، وتثير شهوتهم إليها **﴿ب﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿الْقَوْلِ﴾**: قال السدي: ترفيق الكلام؛ إذا خاطبن الرجال **﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿يَطْمَعَ﴾**: والطمع هو نزوع النفس إلى شيء شهوة له **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ بالفرد المذكر **﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾**: جاء اللفظ القرآني "مرض" هنا بمعنى الفجور؛ انظر [البقرة- ١٠] الذي تملكته الشهوة قلبه **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿قُلْنَ﴾**: أن يكون قولكن **﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾**: ليكون قولًا جميلًا في الخير، بكلامٍ ليس فيه ترخييمٌ ليس كما ما تُخاطبُ المرأة زوجها.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣)

﴿وَقَرْنَ﴾: أقررن وأقمن إقامة دائمة ولا تخرجن منها إلا لحاجة، وهي اشتقاقٌ من كلمة الوقار، وتعني الثبوت ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: فلا خروج لغير حاجةٍ شرعيةٍ؛ كالصلاة في المسجد بشروطه، إنَّ الفائدة المؤكدة هي تبليغهن تلاوة القرآن في بيوتهن؛ لأنهن سمعن مباشرة فوجب عليهن وجوب فرض عين تبليغه وليس فرض كفاية. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا حَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَيَّ وَجْهَ اللَّهِ أَقْرَبَ مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا^(١)، أي في كنف الله ﷻ. وقال ﷺ: صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَصَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا^(٢) ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَبَرَّجْنَ﴾: أيها المسلمات إظهار المحاسن والمفاتن، هنا خطابٌ خاصٌ ولكن المراد منه عموم نساء المؤمنين ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: كانت النساء يُبدین محاسنهن؛ استمالةً للرجال ﴿و﴾: عطفًا على ما جاء ﴿أَقِمْنَ﴾: أدین ﴿الصَّلَاةَ﴾: بعد أن نهي ﷺ عن التبرج والخروج من البيت بغير سببٍ شرعيٍّ؛ أمرهن بإقامة الصلاة ﴿وَأَتِينَ﴾: أخرجن ﴿الزَّكَاةَ﴾: دفع المال لمستحقه الشرعيين ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: وهذا أعمُّ وأشمل؛ فجاء من باب عطف العام على الخاص ﴿إِنَّمَا﴾: حرفٌ يفيد التحديد والتخصيص ﴿يُرِيدُ اللَّهُ ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿يُذْهِبَ﴾: يقضى ويزيل ويمضي ويُبعد ﴿عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: الذي هو كلُّ الذنوب والمعاصي ويعني الطُّهر والتقوى، وهو كلُّ ما يخالف شرع الله ﷻ ﴿أَهْلَ النَّبِيِّ﴾: دخل نساء الرسول ﷺ في أهل البيت هنا، ولا يعني أنهن فقط أهل البيت؛ فإنَّ ابن عمّه، زوج ابنته، وأولادهما من أهل البيت ﴿و﴾: أيضًا ﴿يُطَهِّرْكُمْ﴾: والطهارة نوعان، طهارة النفس من الآثام، وطهارة الجسد من الأوساخ، يُنقيكم من الذنوب والخطايا ﴿تَطْهِيرًا﴾: تنقيةً كبيرةً.

التكليف: إنَّ عرض العاصي يتدنس وعرض التقى نقي كالثوب الطاهر.

﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤) ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَذْكُرْنَ﴾: حدثن في ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُتْلَى﴾: يُقرأ ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ﴾: بعض أو جزء ﴿آيَاتِ﴾: كتاب ﴿اللَّهِ وَ﴾: أيضًا اذكرن ﴿الْحِكْمَةِ﴾: أحاديث الرسول ﷺ الذكر أولًا؛ العمل بما ينزل الله ﷻ على رسوله ﷺ في بيوتهن، والثاني ذكر ما ينزل من

(١) صحيح ابن حبان ٤١٣/١٢ (٥٥٩٩)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) سنن أبي داود ٤٢٦/١ (٥٧٠)، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

الوحي للناس لتعليمهم، فالوحي ينزل في بيوتهن من دون النساء، وكانت عائشة رضي الله عنها المميّزة بينهن؛ فقد كان الوحي ينزل في بيتها دون النساء ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ كَانَ﴾: بلا انقطاع ﴿لَطِيفًا﴾: صاحب لطفٍ بزوجات الرسول ﷺ ﴿حَبِيرًا﴾: بهن؛ إذ اختارهن لخير البشر ﷺ.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾
(٣٥)

أسباب النزول: سألت أم سلمة، رضي الله عنها الرسول ﷺ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا لِي أَسْمَعُ الرِّجَالَ يُذَكِّرُونَ فِي الْقُرْآنِ وَالنِّسَاءَ لَا يُذَكِّرْنَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ الْآيَةَ (١).

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الْمُسْلِمِينَ وَ﴾: أيضًا ﴿الْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: من الرجال والنساء، ومن المعلوم أنّ الإيمان غير الإسلام؛ جاء: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات-١٤]، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾: الرجال ﴿وَالْقَانِتَاتِ﴾: النساء، جاء اللفظ القرآني "قانتون" على وجهين؛ هنا بمعنى الطاعة، كما في قوله ﷺ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة-٢٣٨]، المطيعين من الرجال، والمطيعات من النساء، إنّ الإسلام مرتبةٌ فوقها مرتبةُ الإيمان، ثم القنوت ناشئٌ عنهما ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: أيضًا الذين يقولون الحق ﴿وَالصَّادِقَاتِ﴾: المنقادات لأوامر الله ﷻ والمتصدقين بالمال، والمطيعون والمتطوعات قول الحقّ خصلةٌ من الإيمان، والكذبُ خصلةٌ من النفاق ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾: أيضًا أصحاب الصبر على المكاره، واليقين بأنّ ما قدره الله ﷻ كائنٌ لا محالة ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾: في حالات السكون، والطمأنينة، والتؤدّة، والوقار، والتواضع، ومراقبة الله ﷻ، والخوف منه ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾: والصدقةُ هي الإحسان إلى الفقراء، والمحتاجين والضعفاء الذين ليس لهم مصدر رزقٍ، وهذه خصلةٌ من خصال السبعة الذين يُظلمهم الله ﷻ في ظلّه، يوم لا ظلّ إلّا ظلّه ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾: تأديّةُ زكاةِ البدن، التي تُطهره، وتنقيه من الأشياء الرديئة ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾: لا يفعلن الفاحشة، المبتعدات عن المحرّمات ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾: عندما يُوقظ الرجل زوجته؛ ويُصليان ركعتين؛ فهما من الذاكرين والذاكرات ﴿أَعَدَّ﴾: جهّز وحضّر للذكور والإناث ﴿اللَّهُ لَهُمْ﴾: جاء الضمير

(١) السنن الكبرى للنسائي ٢١٩/١٠ (١١٣٤٠).

لهم من باب التغليب؛ لأنه إذا اجتمع الذكور والإناث غلب الذكور، ولهذا أدرج الله ﷻ الإناث لحفظ حقوقهن **﴿مَغْفِرَةً﴾**: محوًا للذنوب **﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**: لكل الذين جاء ذكرهم في هذه الآية؛ المغفرة والجنة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿كَانَ﴾**: لا يجوز **﴿لِلْمُؤْمِنِ﴾**: جاء بصيغة النكرة في سياق النفي؛ ليفيد العموم **﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا﴾**: أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿قَضَى﴾**: قرّر وحكم **﴿اللَّهُ وَ﴾**: أيضًا قضى **﴿رَسُولُهُ أَمْرًا﴾**: إذا جاء حُكْمٌ من الله ﷻ أو سنّة رسوله ﷺ **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَكُونُ لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿الْخِيَرَةُ﴾**: لا يحلّ لمن يؤمن بالله ﷻ إذا أمر، أو النبي، أمرًا **﴿مَنْ﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع **﴿أَمْرِهِمْ﴾**: لا مجال لرأي أي شخصٍ يخالف هذا الحكم **﴿وَمَنْ﴾**: الذي من البشر **﴿يَعْصِي﴾**: لا يطيع **﴿اللَّهُ وَ﴾**: أيضًا يعصي **﴿رَسُولَهُ﴾**: هنا حكم من لا ينفذ أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ، ويختار هواه فهو عاصٍ لله ﷻ **﴿فَقَدْ﴾**: تحقق بالتأكيد **﴿ضَلَّ﴾**: تاه، واخطأ، وتكذب الطريق، وضاع **﴿ضَلَالًا مُبِينًا﴾**: جاء اللفظ القرآني "الضلال" هنا؛ بمعنى الخطأ، الواضح الظاهر بعيدًا عن الحق، كما في قوله ﷻ **﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾** [القلم-٢٦]، وفي قوله ﷻ **﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾** [الفرقان-٤٢]، وفي قوله ﷻ **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَدٌّ وَهُوَ أُوْحَتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَدٌّ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [النساء-١٧٦]، وفي قوله ﷻ **﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [البقرة-٢٨٢]؛ تعني أنه قد صارت خطاه في تيهٍ واضح، جاء في المعنى: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور-٦٣].

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣٧)

﴿وَأَدْ﴾: حرف يدلُّ على ما مضى من الزمن ﴿تَقُولُ﴾: أيها النبي ﴿ل﴾: حرف تخصيص
﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد المذكر ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: هو زيد بن حارثة، ﷺ، الذي أنعم
الله عليه بالإسلام ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: أكرمته بالعتق من العبودية،
وقد كان سيدًا كبير الشَّان، حبيبًا إلى النبي ﷺ يصفه بالحُب، ولابنه أسامة؛ الحُب ابن الحُب،
كان رسول الله ﷺ يُؤمِّره على كلِّ سرِّيَّة يبعثها، وقالت عائشة رضي الله عنها: ولو عاش بعده
لأمَّره، تزوج ابنة عمَّة الرسول ﷺ زينب بنت جحش، فمكثت عنده حوالي سنة، ووقع بينهما
خلاف؛ فجاء يشكو إلى الرسول ﷺ؛ فقال له ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ﴾: أيضًا ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾:
تجنب غضب الله ﷻ، ولا تفارقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا﴾: عطفٌ على ما سبق تحفي الذي
﴿اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: فقد أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ أنها ستكون من زوجاته؛ فقال له ﷻ: تُخفي ما أخبرتك
به ﴿وَتَخْشَى﴾: تخاف أن يلومك ﴿النَّاسَ﴾: تتجنب كلام النَّاس عنك ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ﴾: الأولى
والأحق ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَخْشَاهُ﴾: تخافه أي تُبلِّغ ما أخبرك به الله ﷻ ﴿فَلَمَّا﴾:
تتابعًا مع هذا وبسببه ﴿قَضَى﴾: حقق ﴿زَيْدٌ مِنْهَا﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿وَطَرًا﴾:
الوطر هو الحاجة والمُراد، لما طابت نفسُ زيدٍ طلاقها، ورغب عنها ﴿زَوْجَانِهَا﴾: دخل عليها
الرسول ﷺ بلا ولي، ولا عقد، ولا مهر، ولا شهود من البشر بعد أن انقضت عدتها ﴿لَكِنِّي﴾:
من أجل ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾: لا يكون مانعٌ على المؤمنين ﴿فِي﴾
﴿أَزْوَاجٍ﴾: في الزواج من زوجات ﴿أَدْعِيَانِهِمْ﴾: أبنائهم بالتبني ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من
الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿قَضَوْا﴾: حققوا ﴿مِنْهُنَّ﴾: حرفٌ
يفيد بداية الغاية المكانية ﴿وَطَرًا﴾: إذا طلقوهن ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾: أمرًا يجب تنفيذه،
عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾
[الأحزاب-٣٧] قَالَ: فَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: «رَوَّجَكُنَّ أَهْلُكُنَّ وَرَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ
فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»^(١).

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٣٨)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ﴾: بعض ﴿حَرَجٍ﴾: ليس عليه إثم، أو تضيق ﴿فِيمَا﴾:
في الذي ﴿فَرَضَ﴾: سمح وحلَّ له ﴿اللَّهُ لَهُ﴾: فيما أحلَّ الله ﷻ له ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾:
شرعه وإرادته ﷻ ﴿فِي الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿خَلَوْا﴾: مضوا في الزمن الفائت

(١) سنن الترمذي ٣٥٤/٥ (٣٢١٣) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلَ﴾: كما أباحه للأنبياء قبله سنته ﷺ في الذين خلوا من قبل، كان حكم الله ﷻ في إبطال تبني الأنبياء من قبله ﷺ وهذا يُسكت المنافقين ﴿وَ﴾: عطفًا على ما سبق ﴿كَانَ﴾: وسبقى أبدًا ﴿أَمْرٌ﴾: ما قدره ﴿اللَّهُ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾: إن ما قدره الله ﷻ كائنٌ لا محالة.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩)
 ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يُبَلِّغُونَ﴾: هم الذين يدعون الناس للإيمان ﴿رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾: دين الله ﷻ ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾: يخافون الله ﷻ ويؤدون طاعته بأمانة ﴿وَ﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَخْشَوْنَ﴾: أيضًا لا يخافون ﴿أَحَدًا إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهُ﴾: وهذه من سنن الأنبياء، والدعاة، أن الكفار والمنافقين يلجؤون إلى العنف؛ مما يُخيفُ ضعاف النفوس، فالحصانة هي عدم الخوف منهم ﴿وَكَفَى بِ﴾: حرف باء السببية للتأكيد ﴿اللَّهُ حَسِيبًا﴾: محاسبًا، وناصرًا ومعينًا.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ مُحَمَّدٌ﴾: ﴿أَبَا﴾: الأبُّ هو الوالد، ويُسمى كلُّ من كان سببًا في إيجاد شيءٍ أو إصلاحه أو ظهوره ﴿أَحَدٍ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد التمييز ﴿رِجَالِكُمْ﴾: نفي الولادة، والتنبية على أن التبني لا يجري مجرى البنوة الحقيقية، فهو ليس أبًا لأحدٍ من الرجال منهم، فهي عن تسمية زيد بن محمد، لقد تبناه، وهو ليس بأبيه، وُلد لسيدنا محمد ﷺ القاسم، والطيب، والطاهر من خديجة رضي الله عنها، وماتوا وهم صغار، وولد له إبراهيم من ماري القبطية، ومات رضيعًا، وله من خديجة، رضي الله عنها، أربع بنات؛ هن زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، مات الثلاثة، وبقيت فاطمة، التي ماتت بعده ﷺ بستة أشهر ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك هو ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ﴾: آخر ﴿النَّبِيِّينَ﴾: المرسلين تفيد أنه لا نبي بعده، ولا رسول ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد على العموم ﴿عَلِيمًا﴾: صاحب العلم المطلق لكل خلقه ﷻ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمةٌ تواصلٍ بين المُنادي وهو هنا الله ﷻ والمُنادى عليه وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين ﴿اِذْكُرُوا اللَّهَ﴾: استحضروا عظمة الله ﷻ بقلوبكم، وألسنتكم، وجوارحكم، واذكروا نعمه، وفضله، ورعايته، وكرمه، وخلقهُ،

ووعدهُ بالجنة، وإرسالهُ الرسل، وهدايتهُ للخلق ﴿ذَكَرًا كَثِيرًا﴾: بخير الأعمال، وخير الذكر، قال ابن عباس: إنَّ الله ﷻ لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم أعذر أهلها في حال العذر، غير الذكر؛ فإنَّ الله ﷻ لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، فالذكر في الليل والنَّهار، والبرِّ، والبحرِّ، والسفرِ، والحضرِ، والغنى، والفقرِ، والصحة، والسقم، والسرِّ، والعلانية.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٤٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿سَبِّحُوهُ﴾: التنزيه عن كلِّ نقصٍ ﴿بُكْرَةً﴾: في الصباح الباكر ﴿وَأَصِيلًا﴾: أيضًا أشغلو أوقاتكم بذكر الله ﷻ وتنزيهه في الصباح والمساء، ويعني هذا كلَّ النَّهار ما أمكن، وإذا جاءَ ذِكْرُكُمْ لله ﷻ؛ ذَكَرْكُمْ الله ﷻ برحمته لقوله ﷻ: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة-١٥٢].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للفرد، الواحد، الأحد، ﷻ ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: يرحمكم ويثني عليكم، وتدعو الملائكة لكم. جاء اللفظ القرآني "الصلاة" على وجهين؛ هنا بمعنى المغفرة؛ فصلاة الله ﷻ على الخلق مغفرة، ورحمة، وصلاة العبد لله ﷻ طلب المغفرة، هو الذي غفر لكم يذكركم في نفسه، وفي الملاء؛ يقول ﷻ: يُقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنَّ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ^(١) ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾: وصلاة الملائكة على النَّاس؛ هي الدعاء ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يُخْرِجُكُمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: من الجهل، والكفر، والفسق ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان والهدى ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿كَانَ﴾: ويبقى بلا نهاية ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾: ليخرجكم من الجهل والضلال إلى نور الإسلام وكان الله ﷻ بالمؤمنين رحيمًا يرحم المؤمنين به المصدقين برسله ووعده في الدنيا وفي الآخرة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (٤٤)

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: هم المسلمون ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾: تحيةُ الله ﷻ للمؤمنين يوم القيامة ﴿سَلَامٌ﴾: يوم يُسَلِّمُ عليهم، جاء في المعنى ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس-٥٨] وقال قتادة، وابن جرير:

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٦١ (٢٦٧٥).

يوم يُحيي بعضهم بعضًا بالسلام؛ يوم يلقونه في الدار الآخرة هي النشأة الثانية في مقابل النشأة الأولى ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿أَعَدَّ﴾: جهّز ﴿لَهُمْ﴾: للمؤمنين تخصيصًا ﴿أَجْرًا﴾: ثوابًا ﴿كَرِيمًا﴾: في المقام، والرزق، والمتع في الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنادي، وهي هنا تعني الله ﷻ والمُنَادَى عليه وهو ﴿النَّبِيُّ﴾ محمد ﷺ: ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: الرسالة ﴿شَاهِدًا﴾: شاهدًا عليهم؛ إذ بلغتهم، وشاهدًا لله بالوحدانية؛ أنه لا إله إلا الله، جاء في المعنى: ﴿اِتَّكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة-١٤٣] ﴿و﴾: عطفًا على هذا تكون ﴿مُبَشِّرًا﴾: تحمل الخير الحسن للمؤمنين بالثواب ﴿وَنَذِيرًا﴾: أيضًا تحذّر، وتخوّف الكافرين بعقابٍ شديد، وهذه الآية جاءت في وصف محمد ﷺ في التوراة.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿دَاعِيًا﴾: تدعو الناس ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: توحيد الله ﷻ ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿إِذْنِهِ﴾: بأمره وإرادته ﴿وَسِرَاجًا﴾: مصباحًا ﴿مُنِيرًا﴾: شبه الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بالمصباح المضيء دعوتك يا محمد ﷺ بدعوتك الحق كالشمس في إشراقها، تضيء للناس فيهدتوا بها، وهي نعمة من الله ﷻ لا يُنكرها جاهلٌ، ولا يُعطيها حاقدٌ ويستتير بها كلٌ من يريد.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿بَشِّرِ﴾: أخبر بما يسرُّ ويُفرح ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: بشر المؤمنين ببشرى تسرُّهم من ربِّهم ﴿ب﴾: حرف باء التوكيد ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا وتمليًا ﴿مِّنَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿اللَّهِ﴾: من فضل، وجود، وكرم ربِّهم وهو ﴿فَضْلًا﴾: أجرًا ومنزلة ﴿كَبِيرًا﴾: عظيمًا وهو دخول الجنة.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤٨)

﴿وَلَا﴾: حرف تحريم ونهي ﴿تُطِعِ﴾: تستجب ﴿الْكَافِرِينَ﴾: إن ما يطلبونه من طاعتكم لهم مخالفٌ لما أمر به الله ﷻ ﴿و﴾: أيضًا لا تُطع ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: الذين يُظهرون الإيمان، ويُبتنون الكفر؛ فطاعة هؤلاء أخطر ﴿وَدَعِ﴾: أيضًا اترك، لا تهتم ﴿أَذَاهُمْ﴾: ما يضرّونك، اصفح وتجاوز عنهم، واتركهم لحساب الله ﷻ ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: اعتمد ﴿عَلَى﴾: حرف استعلاء حقيقي بمعنى ألق ما تريد على ﴿اللَّهِ﴾ ﷻ ﴿وَكَفَى﴾: عطفًا على ما سبق يكفيك الله ﷻ ما أمهك

﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿اللَّهِ وَكَيْلًا﴾: هذه إشارة أنّ الله ﷻ سيكفي النبي ﷺ وكل مؤمن أذى الكافرين والمنافقين.

التكليف: يبدو المنافقون في العصر الحديث أشدّ خطورة من أيّ وقت مضى، ففقهاء السلاطين الظلمة يؤسسون أحزابًا وتجمعات إسلامية، تُصلي وتصوم وتعظ، ثم تجدهم أولياء للحكام الظالمين، المُتجبرين، يُزيّتون لهم أعمالهم، ويُلبسون جرائمهم ثوب الشرع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٤٩)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنادي، وهي هنا نداء الله ﷻ، والمُنادى عليهم، وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا إِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿نَكَحْتُمُ﴾: تعني إذا عقدتم عقد النجاح على ﴿الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ﴾: تفيد التتابع مع التباعد الزمني ﴿طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾: أبطلتم العلاقة الزوجية الشرعية بين الزوج والزوجة ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾: هذا تقييح طلاق المرأة، قبل الدخول بها، وينطبق ذلك على المرأة المسلمة، والكتابية، علماً أنّ مذهب الشافعي، وابن حنبل: يقول عدم وقوع الطلاق قبل النكاح، اعتماداً على قول سيدنا محمد ﷺ: لَا طَلَّاقَ قَبْلَ النِّكَاحِ (١) ﴿فَمَا﴾: حرف يفيد الخبر ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾: إنّ إجماع الجمهور أنّ المرأة التي تُطلق قبل النكاح لا عِدَّةَ عليها، تذهب فتزوّج من فورها من شاءت، إلّا التي مات زوجها؛ فعدتها أربعة أشهر وعشرًا ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿مَتَّعُوهُنَّ﴾: المتعة هنا أعمّ من أن تكون نصف الصداق المُسمّى، هناك متعة النصف إذا فرض لقله ﷺ: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة-٢٣٧]، أمّا حكم نصف ما تم الاتفاق عليه فقد جاء: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ﴾ [البقرة-٢٣٦] ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿سَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: هو في حال تسمية صداق لها؛ فيمتعها على قدر يُسرّه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا

(١) سنن ابن ماجه ١/٦٦٠(٢٠٤٩)، قال الألباني: صحيح لغيره.

مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنادي، وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليه وهو ﴿النَّبِيُّ﴾: محمد ﷺ
 ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد
 ﴿أَحَلَّلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم؛ جعلناه حلالاً ﴿لَكَ﴾: تخصيصاً ﴿أَزْوَاجِكَ﴾: جعل
 الله لك أزواجك حلالاً ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ﴾: أعطيتهن ﴿أَجُورَهُنَّ﴾: المهور ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿مَا﴾:
 الذي ﴿مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: أموالك ﴿مِمَّا﴾: الذي بعض أو جزء ﴿أَفَاءَ﴾: أخذته بالحلال من الفياء
 ﴿اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: هن الإماء ممن كنَّ من المغانم ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ
 خَالَاتِكَ﴾: جاء هذا مخالفاً لشرائع النصارى، الذين يحرمون زواج الرجل إلا من امرأة بينها وبين
 الرجل سبعة أجداد، أو أكثر، وكان اليهودي يتزوج بنت أخيه، أو بنت أخته؛ فجاءت الشريعة
 يهدم ما فرض النصارى، وما فرضت اليهود ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: قال قتادة: اللاتي هاجرن
 إلى المدينة، وقيل: اللاتي أسلمن ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ﴾: أيضاً قبلت ﴿نَفْسَهَا﴾: زوجة
 ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿النَّبِيِّ﴾: ويتزوجها دون مهر إن شاء ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿أَرَادَ﴾:
 شاء ورجب ﴿النَّبِيُّ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَسْتَنْكِحَهَا﴾: إذا أراد ذلك، علماً أنه لم يتزوج
 واحدة ممن عرضن عليه ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: قال عكرمة: لا تحلّ
 الموهوبة لغيرك، وقال قتادة: ليس لامرأة تهب نفسها لرجلٍ بغير ولي، ولا مهرٍ إلا النبي ﷺ
 ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿عَلِمْنَا﴾: علم الله ﷻ ﴿مَا﴾:
 الذي ﴿فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ﴾: أيضاً ﴿مَا﴾: الذي ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: أي حصرهن
 في أربع نسوة حرائر، وما شأوا من الإماء، واشترط الولي والمهر والشهود عليهم ﴿لِكَيْلَا﴾: من
 أجل ألا ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: رخص الله ﷻ لنبيه ﷺ في ذلك؛ فلم يُوجب الله ﷻ عليه شيئاً
 منه ﴿وَ﴾: عطفاً على ما سبق ﴿كَانَ﴾: بلا انقطاع ﴿اللَّهُ غَفُورًا﴾: مُسامحاً ﴿رَحِيمًا﴾: واسع
 الرحمة لعباده.

﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ
 أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
 عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

﴿تُرْجِي﴾: تُؤخِّر فعل ما أحل الله ﷻ لك ﴿مَنْ﴾: من العاقلات ﴿تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾: من الواهبات
 ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ﴾: تقرب ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ ممن رددتهن؛ تُؤخِّر من تشاء من نساءك في القسمة في

﴿وَمِنْ﴾: واللاتي ﴿ابْتَغَيْتِ﴾: رغبت ﴿مِمَّنْ﴾: من اللاتي ﴿عَزَلْتِ﴾: لم تقربهن ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهي يفيد طلب عدم الفعل، هنا نفي ﴿جُنَاحَ عَلَيْنِكَ﴾: قال الشعبي: نساء وهبت نفسها للنبي، فدخل ببعضهن، وأرجأ بعضهن؛ لم ينكحهن، وقيل في أزواجه بحيث لا يلتزم بالدور، والشافعية يقولون لم يكن القسم واجباً عليه ﷺ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿أَدْنَى﴾: أقرب ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَقَرَّرَ﴾: تهدأ ﴿أَعْيُنُهُنَّ﴾: بالهن، حالتها النفسية ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَحْرَزَنَّ وَ﴾: أيضاً ﴿يَرْضَيْنَ بِمَا﴾: بالذي ﴿آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾: بعد أن علمن بحكم الله ﷺ، فإن الأمر للرسول ﷺ وليس على سبيل الوجوب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يعلم ﷺ الميل النفسي إلى بعضهن دون بعض ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بما في ضمير الناس وأسرارهم ﴿حَلِيمًا﴾: يَغْفِرُ، ويسامحُ، ويحلم.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ (٥٢)

﴿لَا﴾: حرف تحريم ﴿يَحِلُّ لَكَ﴾: محرّم عليك تخصيصاً ﴿النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ﴾: لقد حرّم الله ﷺ بهذه الآية على رسوله أن يتزوج على نسائه بعد ذلك، كان هذا تكريماً لنساء الرسول ﷺ عندما اخترن الله ﷺ ورسوله، والدار الآخرة، ولقد نسختها الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾، ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل يحلُّ لك أن ﴿تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾: تستبدل غيرهن، ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾: أي تطلق بعضهن، لتزوج غيرهن ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَا﴾: التي ﴿مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: اللاتي يقين معك ﴿وَكَانَ﴾: بلا انقطاع ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم ﴿رَقِيبًا﴾: المتابع والمراقب لا يغيب عنه شيء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٥٣)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فَعُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة-١٢٥] وَآيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ،

فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحَجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنَادِي، وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليهم وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا لَا﴾: حرف نهي ﴿تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾: جاءت الإضافة بيوت النبي للتشريف للبيوت؛ منع الله ﷻ المسلمين من دخول بيوت النبي دون إذن ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء منقطع ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُؤَدِّنَ نَعْمٌ﴾: بإذنٍ من أهل البيت ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "طعام" على أربعة وجوه، هنا بمعنى ما يأكله النَّاسُ ﴿غَيْرَ﴾: حرفٌ بمعنى الاستثناء، إلاً ﴿نَاطِرِينَ إِنَاءً﴾: لا تطيلوا الجلوس انتظاراً لنضج الطعام ﴿وَلَكِنْ﴾: حرفٌ استدراك ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿دُعِيْتُمْ فَ﴾: وُجِّهَتْ لَكُمْ دَعْوَةٌ، دُونَ تَلَكُّوْهُ ﴿ادْخُلُوا﴾: عن ابنِ عَمْرٍو، كَانَ يَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُجِبْ عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ»^(٢)، ﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر للمستقبل ﴿طَعِمْتُمْ﴾: أكلتم ﴿فَانْتَشِرُوا﴾: جاء اللفظ القرآني "النشور" على أربعة أوجه هنا بمعنى التفرق كما في قوله ﷺ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة-١٠]، وفي قوله ﷺ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان-٤٧] بمعنى غادروا المكان دون تأخير ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾: مُنْتَظِرِينَ الإطالة ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿حَدِيثٍ﴾: الذين يسترسلون في الحديث مع بعضهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة للبعيد ﴿كَانَ يُؤَدِّي﴾: يسبب الحرج والضرر ﴿النَّبِيِّ فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿يَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾: كان دخولكم بيوته دون إذنٍ يشقُّ عليه، ويتأذى منه، فكان يكره أن ينهاكم عن ذلك ﴿وَاللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَحْيِي مَنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿الْحَقِّي﴾: هنا نهاهم الله ﷻ عن ذلك ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾: إذا كان لكم طلب من زوجات الرسول ﷺ مثل الأواني ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿وَرَاءَ﴾: بمعنى خلف ﴿حِجَابٍ﴾: إذا طلبتم من زوجات الرسول ﷻ آنية، أو غيرها، لا تنظروا إليهن بالكلية؛ أن تأخذوا حاجتكم من وراء حجاب ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة إلى عدم رؤيتكم النساء وعدم رؤية النساء لكم ﴿أَطْهَرُ﴾: والطهارة نوعان: طهارة النفس من الآثام، وطهارة الجسد من الأوساخ، أنقى وأكثر صفاءً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿قُلُوبِكُمْ وَ﴾: أيضًا أظهر ل ﴿قُلُوبِهِنَّ﴾:

(١) صحيح البخاري ١/٨٩ (٤٠٢).

(٢) صحيح مسلم ٢/١٠٥٣ (١٤٢٩).

ما شرّعه الله ﷻ فيه خير لكم ولهن **﴿وَمَا﴾**: أيضًا هنا نفي **﴿كَانَ لَكُمْ﴾**: ولا يجوز لكم **﴿أَنْ﴾**:
 حرف تأكيد الفعل **﴿تُؤَدُّوْا﴾**: تسببوا الحرج والأذى **﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾**: لا تسببوا له الضيق بطول
 جلوسكم **﴿وَلَا﴾**: ينهاكم الله ﷻ **﴿أَنْ﴾**: حرف ينفي تحقيق الفعل **﴿تَتَكَبَّرُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ﴾**: حرف
 يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿بَعْدَهُ أَبَدًا﴾**: ولا تتزوجوا نساءه بعد موته مطلقًا **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد
 ونفي الشكّ والإنكار **﴿ذَلِكَ﴾**: إشارة للبعيد **﴿كَانَ عِنْدَ﴾**: ظرف زمان وظرف مكان **﴿اللَّهُ عَظِيمًا﴾**: كان إثمًا، وخطأ عظيمًا.

﴿إِنْ تُبَدُّوْا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٥٤)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط **﴿تُبَدُّوْا﴾**: تظهروا **﴿شَيْئًا﴾**: بعض ما في أنفسكم **﴿أَوْ﴾**: حرف تسوية بين
 تبدوا **﴿تُخْفُوْهُ﴾**: الذي تكتنه ضمائرکم في سرائركم **﴿فَإِنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿اللَّهُ كَانَ﴾**: في كلِّ وقتٍ
 وحينٍ **﴿بِ﴾**: حرف باء الالتصاق **﴿كُلِّ﴾**: بجميع **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد الجميع
﴿عَلِيمًا﴾: لا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض؛ عن عائشة رضي الله عنها، قالت:
 استأذَنَ عَلِيٌّ أفلحُ أخو أبي الفُعيْسِ بَعْدَمَا أُنزِلَ الحِجَابُ، فقلتُ: لا آذنُ له حتَّى استأذِنَ فِيهِ
 النَّبِيُّ ﷺ، فَإِنَّ أَحَاهُ أَبَا الفُعيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَنِي امْرَأَةُ أَبِي الفُعيْسِ، فَدَخَلَ
 عَلِيٌّ النَّبِيُّ ﷺ فقلتُ له: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أفلحَ أَخَا أَبِي الفُعيْسِ استأذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذِنَ لَهُ حتَّى
 استأذَنَكَ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْذِنِي عَمَّكَ؟»، قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ
 هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَنِي امْرَأَةُ أَبِي الفُعيْسِ، فقال: «أؤذني له فإنه عمك تربت يمينك» قال
 عُرْوَةُ: فَلِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: «حَرِّمُوا مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا تَحَرِّمُونَ مِنَ النَّسَبِ»^(١).

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٥٥)

﴿لَا﴾: حرف نفي **﴿جُنَاحَ﴾**: لا إثم أو ذنب **﴿عَلَيْهِنَّ﴾**: أن يكلمهن وأن يراهن دون حجاب
﴿فِي آبَائِهِنَّ﴾: آباء الزوجات **﴿وَو﴾**: أيضًا **﴿لَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ﴾** والأخ هو المشارك لآخر
 من الأب والأم أو أحدهما **﴿وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ﴾**: بعد أن بين الله ﷻ حكم
 الحجاب، بين أن الأقارب الذين لا يجب الحجاب منهم: آباء النساء وإخوانهن، وأولاد إخوانهن،
 وأبناء أخواتهن **﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾**: عدم الاحتجاب عن نساء المؤمنين والمؤمنات **﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُنَّ﴾**: الإناث الأرقاء، الرقيق للنساء المسلمات، وليس، للخدم، والرجال، أو الرجال الأرقاء،
 من العبيد **﴿وَو﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿اتَّقِينَ﴾**: اخشين **﴿اللَّهُ﴾**: في كل الأمور والظروف،

(١) صحيح البخاري ١٢٠/٦ (٤٧٩٦).

في السرّ، والعلن ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ كَانَ﴾: ويبقى بلا انقطاع أو فناء ﴿عَلَى كُلِّ﴾: تفيد الجميع ﴿شَيْءٍ﴾: تفيد عموم الأشياء ﴿شَهِيدًا﴾: مُشَاهِدًا لا تخفى عليه خافية.

التكليف: في هذه الآية الكريمة ينظّم الله ﷻ بجلاله جانبًا من العلاقات الاجتماعية في حياة البشر؛ لتحصّن المجتمعات من الفساد.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) أسباب النزول: عن ابن عباس؛ قال: إن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يُصَلِّي ربُّك؟ فناداه ربُّه عزَّ وجل: يا موسى سألوكم هل يُصَلِّي ربُّك؟ فقل: نعم؛ أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي، وهو ﷻ يصلي على عباده المؤمنين، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لَقِيتُ كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(١) ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ وَ﴾: أيضًا ﴿مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾: يثنون ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾: قال أبو العالية: "صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، قال ابن عباس: يُصَلُّونَ: يُبْرَكُونَ^(٢)، الصلاة هي الثناء، جاء اللفظ القرآني "الصلاة" على وجهين، هنا بمعنى مغفرة؛ فصلاة المخلوقين استغفار، وصلاة الله ﷻ على الناس مغفرة وثناء؛ كما في قوله ﷻ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب-٤٣]، حيث توضح هذه الآية الكريمة منزلة محمد ﷺ عند ربِّه ﷻ والملائكة في الملأ الأعلى، ويأمر الخلق في العالم السفلي أن يفعلوا ذلك ﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنادي والمُنَادَى عليهم وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿آمَنُوا صَلُّوا﴾: امدحوا واثنوا الثناء الحسن ﴿عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: خالصًا، مؤكدًا، وفي فضل الصلاة على رسول الله ﷺ: إنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام، قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ^(٣)، وعن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه، فقال: إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: أَمَا يُرْضِيكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ

(١) صحيح البخاري ٧٧/٨ (٦٣٥٧).

(٢) صحيح البخاري ١٢٠/٦ باب قوله: {إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء ..}

(٣) مسند أحمد ٢٠٠/٣ (١٦٦٢)، قال الأرنؤوط: حسن لغيره.

عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا^(١)، وكذلك من صلى على رسول الله ﷺ؛ وملائكته لها سبعين صلاة؛ فليقل يقل عدد ذلك أو أكثر، وأيضًا قال ﷺ: "الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ" قال أبو سعيد: فلم يصل علي ﷺ كثيرًا^(٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ»^(٣)، وفي فضل الصلاة على النبي ﷺ روى عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثَلَاثًا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتْ الرَّاحِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: الرَّبِيعُ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النَّصَفَ، قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ، قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُعْفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ^(٤).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧)
﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع من **﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾**: الذين يخالفون أوامره، ويرتكبون الآثام التي نهى عنها ﷺ **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال يؤذون **﴿رَسُولَهُ﴾**: بذكر عيب، أو نقص، أو فعل فعله الرسول ﷺ **﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾**: غضب الله ﷻ عليهم **﴿فِي الدُّنْيَا﴾**: في الحياة الدنيا **﴿وَالْآخِرَةِ﴾**: وعذبهم يوم القيامة **﴿وَأَعَدَّ﴾**: عطفًا على ما سبق جهنم **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾**: عذاب جهنم والعياذ بالله.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٥٨)
﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع من **﴿يُؤْذُونَ﴾**: يُسببون الأذى وهو الشرّ وضرر **﴿الْمُؤْمِنِينَ وَ﴾**: يؤذون **﴿الْمُؤْمِنَاتِ ب﴾**: بآء المصاحبة **﴿غَيْرِ﴾**: حرف نفي **﴿مَا﴾**: الذي **﴿اكتسبوا﴾**: الذي يفترونه على المؤمنين، ويفترونه على المؤمنات من الكذب؛ فينسبوا إليهم ما لم يقولوه، أو لم يفعلوه؛ للئيل والنقص منهم، وهم منه براء **﴿فقد﴾**: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل **﴿احتملوا﴾**: ارتكبوا، فعلوا **﴿بُهتَانًا﴾**: الغيبة والكذب الكبير **﴿وَإِثْمًا﴾**: هو الذنب العظيم **﴿مُبِينًا﴾**: الواضح، البين.

(١) سنن النسائي ٥٠/٣ (١٢٩٥)، قال الألباني: حسن.

(٢) مسند أحمد ٢٥٨/٣ (١٧٣٦). قال الأرنؤوط: إسناده قوي؛ رجاله ثقات.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي ٧٤/٤ (٢٤٣٠) قال د. محمد التركي "المحقق": حديث صحيح.

(٤) سنن الترمذي ٦٣٦/٤ (٢٤٥٧)، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥٩)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿النَّبِيِّ﴾: محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾: أمرٌ ربّاني ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿أَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾: أمرٌ من الله لرسوله ﷺ أن يأمر المؤمنات، خاصة أزواجه، وبناته؛ لشرفهن ﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: والأمرُ يشمل كلّ المؤمنات الحرائر والإماء؛ بسبب كثرة تصرفهن ﴿يُدْنِينَ﴾: يُرخين، يسدّان، ويغطين ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: يُطلن ويسدّان ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع بداية الغاية المكانية ﴿جَلَابِيبِهِنَّ﴾: المقصود الرداء الذي فوق الخمار، وقيل الجلابيب المُلحفة بحيث لا تتكشف عورتهم، قال ابن عباس: إذا خرجن أن يُغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبيدين عينًا واحدة، وقال عكرمة: تُغطي ثغرة نحرها، عنقها، بجلابها تُدنيه عليه ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿أَدْنَى﴾: أقرب ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُعْرَفْنَ﴾: يتعرف عليهنّ أعداءُ الإسلام ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي حتى لا يصيبهن أذى ﴿يُؤْذِينَ﴾: ذلك أقرب أن يُعرفن أنّهن من الحرائر، ولسن بالإماء، ولا العاهرات؛ فلا يتعرض لهن أحدٌ بأذى ﴿وَكَانَ﴾: عطفاً على ما سبق سيبقى أبداً ﴿اللَّهُ غَفُورًا﴾: يغفر ما قد سلف في الجاهلية ﴿رَحِيمًا﴾: واسع الرحمة، والعطف، والإحسان.

﴿لَنْ نَمُوتَ بِمَنْتِهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠)

﴿لَنْ﴾: حرف شرط ﴿لَمْ﴾: حرفٌ جزم ﴿يُنْتَهَى﴾: إذا لم يكف ويتوقف ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾: الذين يُظهرون الإيمان؛ ويُبتغون الكفر ﴿وَالَّذِينَ﴾: أيضًا ينتهي ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: الذين يضمرون الكفر ويُظهرون الإيمان، والذين في قلوبهم شكٌ وريبة، جاء معنى المرض هنا؛ بمعنى الفجور كما في قوله ﷺ ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب-٣٢]، وانظر [البقرة-١٠]، وقال عكرمة: هم الزناة ﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾: أيضًا الذين ينشرون الأخبار الكاذبة ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: الذين يُخَوِّفون المؤمنين؛ بالادعاء أنّ الحرب جاءت، وأنّ جاء الأعداء، وأتته سيستم الحصار، وأنّ لن تُفتح لهم سبل العيش... إلخ، وكلّ أشكال الكذب، والافتراء؛ لتخويف المسلمين؛ جاء هنا ذكر الخاص بعد العام زيادةً في التقييح والتشنيع عليهم، والمرجفون هم من جُملة المنافقين ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿نُغْرِبَنَّكَ﴾: نُزَيِّن ونُحِب لك ولنخصّك بالأمر ﴿بِهِمْ﴾: قال ابن عباس: نسّطك عليهم، وقال قتادة: نجعلك تتحرش بهم،

وقال السدي: لنعلمك؛ أي نعرفك عليهم **﴿ثُمَّ﴾**: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع **﴿لَا﴾**:
حرف نفي **﴿يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾**: لا يعيشون معك في المدينة **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿قَلِيلًا﴾**:
زمنًا قصيرًا في أي مكان هم فيه.

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ (٦١)

﴿مَلْعُونِينَ﴾: مطرودين، مُبْعِدِينَ من رحمة الله ﷻ **﴿أَيْنَمَا﴾**: في أي مكان كانوا **﴿تَقِفُوا﴾**:
وُجِدُوا فيه، فَإِنَّ مصيرهم **﴿أُخِذُوا﴾**: اعتقلوا، أو أسروا، أو أدلوا، **﴿وَقُتِلُوا﴾**: مبالغة في قتلهم
﴿تَفْتِيلًا﴾: قتلًا كثيرًا.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢)

﴿سُنَّةَ﴾: شريعة **﴿اللَّهِ﴾**: هذا حكم الله ﷻ **﴿فِي الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع الذين
﴿خَلَوْا﴾: سبقوكم في الحياة، الشعوب التي كانت قبلكم الذين مضوا من الأمم السابقة في الزمن
السابق **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلُ﴾**: في المتمردين،
المنافقين، الذين لم يتراجعوا عن نفاقهم، وعن كفرهم؛ سَلَطَ الله ﷻ عليهم المؤمنين؛ فأسروهم
وقتلوهم **﴿و﴾**: حرفٌ عطْفٍ يفيد الحال **﴿لَنْ﴾**: حرف نفي **﴿تَجِدَ لِ﴾**: حرف تخصيص **﴿سُنَّةَ﴾**
﴿اللَّهِ﴾: شريعة وقوانين الله ﷻ **﴿تَبْدِيلًا﴾**: إنَّ سنن الله ﷻ ثابتة لا تتغير بزمانٍ أو مكانٍ.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾
(٦٣)

﴿يَسْأَلُكَ﴾: أيها الرسول، والمقصود هو محمد ﷺ **﴿النَّاسُ﴾**: خاصة المشركون واليهود **﴿عَنِ﴾**:
حرفُ جرٍ **﴿السَّاعَةِ﴾**: عن موعد يوم القيامة **﴿قُلْ﴾**: أمرٌ ربَّاني بالقول لهم **﴿إِنَّمَا﴾**: تأكيدًا
وحصرًا **﴿عِلْمُهَا عِنْدَ﴾**: حرف يفيد الزمان والمكان **﴿اللَّهِ﴾**: يقول لهم إنَّ علم قيام الساعة عند
الله ﷻ **﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿يُدْرِيكَ﴾**: يُخْبِرُكَ وَيُشْعِرُكَ **﴿لَعَلَّ﴾**: حرف يفيد الترجي والتوقع من
النَّاسِ ويفيد التحقق إذا كانت من الله ﷻ **﴿السَّاعَةِ﴾**: القيامة **﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾**: ولكن حذرهم؛
فربما تكون قريبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ لَعَنَ﴾**: طَرَدَ من رحمته **﴿الْكَافِرِينَ﴾** المنكرين
لأركان الإيمان **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿أَعَدَّ﴾**: جهز وهيا **﴿لَهُمْ﴾**: للكافرين **﴿سَعِيرًا﴾**: النَّارِ
المُسْعَرَةِ، الملتهبة؛ في انتظارهم يوم القيامة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا﴾ (٦٥)

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ماكثين، مستمرين؛ فلا خروج من النار ﴿أَبَدًا﴾: الأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد، الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَجِدُونَ﴾: في النار ﴿وَلِيًّا﴾: محبًا أو مؤيدًا أو ناصرًا ﴿وَلَا﴾: يجدون ﴿نَصِيرًا﴾: من يُنقذهم، ويدفع عنهم عذابها.

﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٦)

﴿يَوْمَ﴾: لا يزال الكلام عن يوم القيامة ﴿تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾: يتغير موقعهم، فالذي فوق يصبح تحت، والعكس، لتحقيق شدة العذاب، وتعبيرًا عن الرعب الشديد ﴿فِي النَّارِ﴾: يوم يُسحبون على وجوههم، ثم تُشوى وجوههم في جهنم ﴿يَقُولُونَ يَا﴾: حرفٌ للتنبيه ﴿لَيْتَنَا﴾: تعيد الحسرة والندامة، وهي للتمني والرجاء، يتمنى هؤلاء الكفار لو أنهم ﴿أَطَعْنَا﴾: استمعنا، وعملنا بأمر الله ﴿﴾: في الحياة الدنيا ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾: لبيتنا أيضًا أطعناه وطبقنا سنته.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (٦٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾: تعني كلمةُ الرب: المُعبود، والمُربي، المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، اليوم آمنوا بأنَّ لهم ربًّا، مالك أمرهم كلِّه ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الكفار بصيغة الجمع؛ للتوكيد ﴿أَطَعْنَا﴾: اتبعنا، وانقدنا ﴿سَادَتَنَا﴾: الأشراف منَّا والقادة ﴿و﴾: أيضًا أطعنا ﴿كُبَرَاءَنَا﴾: زعماءنا وأثريانا في الدنيا العلماء الفاسدين، وأهل الرأي المنحرفين، وأرباب العمل، والمال ﴿ف﴾: بسبب هذا الإتياع ﴿أَضَلُّونَا﴾: حرفونا ﴿السَّبِيلًا﴾: عن الطريق الصحيح، وهو الإيمان.

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (٦٨)

وهنا يلجأ الكافرون إلى تبرير كفرهم ﴿رَبَّنَا﴾: هو المُعبود، والمُربي، هو مالك أمرنا كلِّه ﴿آتِهِمْ﴾: اجعل نصيبهم، وأعطهم ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: أكثر من نصيبنا مرتين ﴿مِنَ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْعَذَابِ﴾: هذا حالٌ مستمرٌّ؛ حال انقلاب الذين اتَّبَعوا كبراءهم في الكفر؛ ينقلبون عليهم يوم القيامة، يطلبون من الله ﷻ أن يُضاعف لسادتهم، وعلماءِ السوءِ العذاب؛ لأنَّهم سبُّ كُفْرهم ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿الْعَنُومُ﴾: وطلبوا لعنةَ الله ﷻ عليهم وهي الطرد من الرحمة ﴿لَعْنًا﴾: طردًا ﴿كَبِيرًا﴾: عظيمًا.

التكليف: تتجلى هنا حقيقة تخاصم أهل النار يوم القيامة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾

(٦٩)

أسباب النزول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سَتِيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتُرُ، إِلَّا مِنْ عَيْبِ بَجَلِدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُذْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَحَلَا يَوْمًا وَخَدَهُ، فَوَضَعَ تِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَعَ أَقْبَلَ إِلَى تِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: تَوْبِي حَجْرٌ، تَوْبِي حَجْرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَتَوَلَّوْنَ، وَقَامَ الْحَجْرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا^(١).

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداءٌ للقريب وللبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: من بعد موسى ﷺ، وبخاصة أمة محمد ﷺ ﴿لَا﴾: حرف نهي، وتحريم ﴿تَكُونُوا﴾: تتشبهوا ﴿ك﴾: حرف تشبيه بمعنى مثل، أو حال ﴿الَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾: اتهموه بمرض البرص، وآفاتٍ في جلده ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿بَرَّاهُ﴾: نفى عنه ﴿اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾: جعل الحجر يأخذ لباس موسى ويجري حتى رأى بنو إسرائيل جلد موسى ﷺ، سليمًا ﴿وَكَانَ﴾: موسى ﷺ أيضًا ﴿عِنْدَ﴾: ظرفُ زمانٍ ومكانٍ، هو في تقدير ﴿اللَّهُ وَجِيهًا﴾: له جاهٌ، وعزٌّ عند الله ﷻ، قال الحسن البصري: كان مستجاب الدعاء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداءٌ للقريب وللبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: الإيمان يقينًا؛ طمعًا في رحمته، وخوفًا من عذابه، اتبعوا الأوامر، وانتهوا عن النواهي ﴿وَفُؤُوا﴾: ليكن قولكم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: هو الكلام السليم، المستقيم، الذي لا عوج فيه، هو الصدق، وقال عكرمة: القول السديد هو قول لا إله إلا الله، وقال مجاهد: السداد، والصدق؛ وكلُّ ذلك حق. ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) إذا حققتم ما جاء في التقوى، والقول السديد الصواب ﴿يُصْلِحْ﴾: ما فسد ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾: يتقبل منكم، يوفقكم في أعمالكم الصالحة ﴿و﴾: حرفُ عطْفٍ يفيد الحال ﴿يَغْفِرْ﴾: يسامح ويمحو ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾: يمحو عنكم ذنوبكم، التي سبقت؛ فلا يحاسبكم عليها ﴿و﴾: عطْفًا على هذا ﴿مَنْ﴾: العاقل الذي ﴿يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ﴾: تحقق في الماضي

(١) صحيح البخاري ١٥٦/٤ (٣٤٠٤).

بالتأكيد ﴿فَازَ﴾: حقق ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾: يُجيرهُ الله ﷻ من النَّارِ، ويصيحُ من أصحابِ النعيمِ المقيمِ.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢)

﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾: يُشبهه الله ﷻ الأمانة بما فيها من ثقلٍ وشدةٍ متناهيةٍ، هي الفرائض، والتكاليف الشرعية، وقال قتادة: الدين، والفرائض، والحدود، وقال زيد بن أسلم: الصلاة، والصوم، والاعتسالم من الجنابة، وكلها لا تنافي بعضها ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿وَ﴾: أيضًا عرضنا الأمانة على ﴿الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾: عرض الله ﷻ الأمانة على السموات السبع الطباق، والأرضيين السبع الشداد، مشدودة بالأوتاد، حالات التوازن بين قوانين الطرد المركزي والجاذبية، ثم عرضها على الجبال الشم، الشوامخ، الصعاب، الأصلاب ﴿فَ﴾: كان السبب ﴿أَبَيْنَ﴾: رفضن ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: سألت هذه المخلوقات ربها، وما فيها؟ قال ﷻ: إن أحسنت جُزيت، وإن أسأت عُوقبت، فكلُّ واحدةٍ قالت: لا ﴿وَ﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿حَمَلَهَا﴾: تكلف بها ﴿الْإِنْسَانُ﴾: هو ابن آدم بالتأكيد وعرضها الله على آدم ﷺ؛ فقال رضيت يا رب ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿كَانَ﴾: وسيبقى فهذه جبلته ﴿ظَلُومًا﴾: شديد الظلم لنفسه بكفره، وشديد الظلم للغير؛ بما يسبب لهم من ضرر ﴿جَهُولًا﴾: كبير الجهل بالله ودعوته وأنبيائه والقيامة.

التكليف: لقد علم رسول الله ﷺ أصحابه: أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ «وَحَدَّثْنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْلِ، كَجَمْرِ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَقِطُ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعَقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلِيَّ زَمَانٌ، وَلَا أَبَالِي أَيْكُمُ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمُ: فَمَا كُنْتُ أَبَايَعُ إِلَّا

فُلَانًا وَفُلَانًا^(١)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»^(٢).

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٣)

﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يُعَذِّبَ اللَّهُ﴾: يكون العذاب هو جزاء ﴿الْمُنَافِقِينَ وَ﴾: أيضًا يعذب ﴿الْمُنَافِقَاتِ﴾: جاء العذاب أولًا الذين يُظهرون الإيمان خوفًا من أهل الإيمان، ويُبطنون الكفر؛ مداهنة واتباعًا لأهل الكفر ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾: أيضًا يعذب الذين يعبدون مع الله آخرين، من أصنام الماضي، وما يبتدعه المعاصرون من مذاهب سياسية، واجتماعية، متناقضة مع الإسلام ﴿وَالْمُشْرِكَاتِ﴾: الذين باطنهم وظاهرهم على الشرك بالله ﷻ ودينه الحق، مثل الشيوعيين، وأصحاب الملل والنحل المنحطة ﴿و﴾: في المقابل وعطفًا على ما سبق ﴿يَتُوبَ﴾: يرحم ﴿اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: من الخلق الذين آمنوا وصدّقوا بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ﴿وَكَانَ﴾: بلا توقف أو انقطاع ﴿اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: كثير الغفران، كثير الرحمة بعباده ﷻ.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ ندرك كم كانت عنايةً عنايةً الله ﷻ برسوله محمد ﷺ، وحماية أهل بيته.



سورة سبأ وهذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب التفسير، ووجه التسمية أن جاءت فيها قصة أهل سبأ، وهي سورة مكية باتفاق أهل التفسير، وهي السورة الثامنة والخمسون في عداد السور، نزلت بعد سورة لقمان وقبل سورة الزمر، وعدد آياتها (٥٤) في عدد الجمهور.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١)

﴿الْحَمْدُ﴾: الشكر والثناء والمدح ﴿ل﴾: حرف لام التملك ﴿لِلَّهِ﴾: يُثني الله ﷻ على نفسه، هو مالك الحمد للتجميد أهلاً وهي أيضًا للتخصيص له الحمد المطلق، وحده صاحب

(١) صحيح البخاري ٥٢/٩ (٧٠٨٦).

(٢) سنن أبي داود ٥٩٥/٥ (٣٥٣٥)، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

الاختصاص في الدنيا وفي الآخرة، على الخلق والملك والتدبير؛ وهذا تعليم للمسلمين، وتوجيه لهم **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، وهو ﷻ هنا المقصود، الواحد، الأحد **﴿لَهُ﴾**: ملكه **﴿مَا﴾**: الذي **﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾**: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيبضاوية الشكل **﴿وَق﴾**: أيضًا له ملك **﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾**: المالك، والمتصرف في ملكه جميعًا، وتحت قهره **﴿وَلَهُ﴾**: تخصيصًا **﴿الْحَمْدُ﴾**: الثناء **﴿فِي الْآخِرَةِ﴾**: كما هو المحمود في الدنيا، فهو المحمود في الآخرة؛ المحمود على طول المدى **﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾**: في أقواله وأفعاله، وشرعه، وقدره المطلق، والصحيح **﴿الْخَبِيرُ﴾**: عنده خبرٌ وعلمٌ كلِّ شيءٍ، لا يخفى عليه شيء.

التكليف: البداية بالحمد والشكر مفتاح النجاح والأمن والتوفيق.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (٢)

﴿يَعْلَمُ﴾: علم الذي قدره ﷻ **﴿مَا﴾**: الذي **﴿يَلْجُ﴾**: يعلم الله ﷻ كلَّ ما يدخل **﴿فِي الْأَرْضِ﴾**: من عدد حبات المطر، والحب، والشجر، المزروع، والكامن فيها، والأجساد التي تُدفن من كلِّ الخلائق وغيرها **﴿وَمَا﴾**: الذي **﴿يَخْرُجُ مِنْهَا﴾**: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية، وهي الزرع والثمار، التي تخرج بعلمه من الأرض، عددًا، وكيفيةً، وصفاتٌ **﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنْ﴾**: يفيد بداية الغاية المكانية **﴿السَّمَاءِ﴾**: من رزقٍ، وماءٍ **﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾**: لم يقل ﷻ وما يعرج إليها، ولو قال لتوهم النَّاسُ أنَّ أعمالَ العبادة تعرج إلى سماء الدنيا فقط، والمعروف نقلًا أنَّها تعرج إلى السماوات السبع، وتصعد إلى أعلاها من الأعمال الصالحة، التي تُرفع **﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾**: عظيم الرحمة بعباده لا يُعجل بعقاب المسيء **﴿الْغَفُورُ﴾**: كثير الغفران والمسامحة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٣)

﴿وَق﴾: عطفًا على ما سبق **﴿قَالَ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: لقد كذب الكفار، وقالوا منكرين البعث والقيامة **﴿لَا﴾**: إنهم ينفون أن **﴿تَأْتِيَنَا﴾**: تكون **﴿السَّاعَةُ﴾**: وهذه الآية واحدة من ثلاث آيات التي أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقسم بالله العظيم على وقوعها، هنا القيامة؛ ردًا على افتراء الكاذبين **﴿قُلْ﴾**: أمر ربِّي لرسوله ﷻ **﴿بَلَىٰ﴾**: حرف جواب للتصديق **﴿وَق﴾**: حرف واو القسم **﴿رَبِّي﴾**: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ حدَّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالكٌ أمري كلِّه **﴿ل﴾**:

حرف تأكيد القسم **﴿تَأْتِيَنَّكُمْ﴾**: على أتم وجه وأكمله، جاء ما يعزز الآية الثانية: **﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ**
أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس-٥٣]، والثالثة: **﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ**
لَتُنَبِّئُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن-٧] **﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾**: هي مخفية عن أعين الناظرين؛ إن الله **﴿لَعَلَّ**
يعلم ما كان وما هو كائن، وما سيكون في عالم الغيب؛ فهو الذي قرره في الكتاب **﴿لَا﴾**: حرف
نفي **﴿يَغْرُبُ عَنْهُ﴾**: قال مجاهد، وقتادة: لا يغيب عنه، لا يخفى عليه شيء، تتلاشى العظام،
وتذوب؛ يعلم **﴿لَعَلَّ﴾** أين ذهب ثم يعيدها **﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾**: وزن **﴿ذَرَّةٍ﴾**: إن العلم الحديث يُعرّف الذرة
بأنها المكونات الأولية للمواد، كان القرآن أول من وصف الذرة، و ذكر ما هو أصغر منها، في
أوائل القرن السابع الميلادي، بينما تحدث العلماء عنها في أواخر القرن التاسع عشر، اليوم
أصبح معلومًا أنّ ذرات مثل اليورانيوم تتجزأ من تلقاء نفسها، وتُخرجُ جزيئات ذات موجات
كهربية تسمى ألفا، وأخرى تسمى موجات بيتا، وأشعة تُسمى جاما، وفي عام ١٩٢٩م قام العالم
الألماني أينشتاين بفلق ذرة اليورانيوم إلى جزئين كبيرين، وأجزاء أصغر، بحيث إذا تحوّل جرام
واحدٌ من الماءِ إلى طاقةٍ بانفلاقِ ذراته؛ حصلنا على طاقة تعادل قوة (٣٣) مليون حصان،
وبعد ذلك تحوّلت الذرات إلى قنابل نووية، دمرت مدن هيروشيما، وناجازاكي بالكامل. من
الملحوظات المهمة ذكر لفظ مثقال، وهذا يعني الوزن وكذا جاء في قوله **﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ**
رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا
شِرْكٌ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ- ٢٢]، وجاء أيضًا **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾**
[الزلزلة-٧] وهذا إعجازٌ علميٌّ باهرٌ، فالعلماء في العصر الحديث يقولون الوزن الذري **﴿في**
السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل **﴿وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾**:
فيكون كلُّ الكون في علمه **﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ﴾**: بعض **﴿ذَلِكَ﴾**: والعلم الحديث يقول إنَّ الذرة فيها
ما هو أصغر منها؛ جزءٌ سالب الشحنات يسمى إلكترون، وجزءٌ موجبٌ يسمى بروتون، وجزءٌ
متعادلاً يسمى نيترون **﴿وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿فِي كِتَابٍ﴾**: في علم الله **﴿لَعَلَّ﴾** في حقيقة
الكتاب **﴿مُبِينٍ﴾**: مكتوبة واضحة؛ في اللوح المحفوظ الذي جاء فيه كلُّ شيءٍ كائنٍ إلى يوم
القيامة.

التكليف: بدراسة العلم الحديث، خاصّة في علوم الذرة؛ نصل إلى تعزيز التصديق بما نزل على
النبي الأمي **﴿﴾** قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤)

ستقوم الساعة ﴿ل﴾: حرف تعليل وسبب ﴿يَجْزِي﴾: يُكافئ الله ﷻ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يُفيد كلَّ مَنْ ﴿آمَنُوا وَ﴾: أيضًا ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الذين أتبعوا إيمانهم الصادق بعمل جوارحهم، فأثابهم الله ﷻ ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: مسح ذنوبهم، سامحهم على ما اقترفوا من صغائر الذنوب؛ فلم يؤاخذهم عليها ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: هي الجنة وما فيها من جزاء المؤمنين بالنعيم.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ (٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق فإن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿سَعَوْا﴾: بذلوا جهدهم في الصّدِّ عن سبيل الله ﷻ وتكذيب رسله ﴿فِي آيَاتِنَا﴾: الأدلة الربانية ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: بذلوا أقصى جهدهم في محاولة إبطال آياتنا، وتكذيبها، وإنكارها، وإنكار وعودها، وتكذيب الرسل، عليهم السلام، واتهامهم بالسحر والكهانة وقرظ الشعر ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿عَذَابٌ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانيّة ﴿رِجْزٍ﴾: عذاب ﴿أَلِيمٍ﴾ أشدّ العذاب وأسوأ وجعًا.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

(٦)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿يَرَى﴾: ويشهد ويقرّ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿أُوتُوا﴾: وهبهم وأعطاهم الله ﴿الْعِلْمَ﴾: من الصحابة والمؤمنين من أهل الكتاب، الذين شهدوا أنّ الوحي على أنبيائهم ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد المذكور ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ﴾: جزء أو بعض ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكور يعني هنا ﴿الْحَقَّ﴾: سيشهد المؤمنون جزاء الأبرار الجنة، والنعيم، ويشاهدون عذاب الكفار من رجزٍ أليم، قد وقع فعلاً، أنّه ﷻ هو الحق ﴿وَيَهْدِي﴾: أيضًا يقود ويدلّ ويرشد إلى ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾: إلى طريق الصواب من ﴿الْعَزِيزِ﴾: صاحب الجناح المنيع، الذي لا يُغالبه، أو يمنعه أحدٌ، الذي يقهر كلَّ شيء ﴿الْحَمِيدِ﴾: المحمود في جميع أقواله، وأفعاله، وشرعه.

التكليف: ومن هنا ضرورة الاستفادة من شهادة المؤمنين من أهل الكتاب في صدق دعوة محمد ﷺ لمن لا يصدق.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: المنكرون للدين قال بعضهم لبعض، فيما بينهم، وللناس من باب نشر الإشاعات ﴿هَلْ﴾: حرفٌ استفهامٍ

يفيد الاستهزاء والسخرية وتشكيك في رسالة محمد ﷺ **﴿نَدُّكُمْ﴾**: يستهزئ الكفار بالرسول ﷺ فيقولون لبعضهم **﴿عَلَى رَجُلٍ﴾**: لم يذكروا اسم محمد ﷺ تجهيلاً له **﴿يَتَّبِعُكُمْ﴾**: يخبركم عن المستقبل أتمكم **﴿إِذَا﴾**: حرف عطف ما بعدها على ما قبلها **﴿مُرْفَتُمْ﴾**: تحللت أجسادكم **﴿كُلَّ﴾**: تفيد العموم **﴿مُمَزَّقٍ﴾**: إذا أصابكم الموت وتفرقت أجسادكم، وتحللت، وذابت في الأرض **﴿إِنُّكُمْ﴾**: إنه يؤكد لكم **﴿ل﴾**: حرف علة وسبب؛ ستكونون **﴿فِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**: تعودون أحياء، تأكلون، وتشربون، وتُرزقون.

التكليف: هذا نمط المجرمين، لن يتوقف الكفار عن التشكيك في القيامة إلى يوم الدين.
﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾
(٨)

﴿أ﴾: حرف استفهام للاستنكار **﴿أَفْتَرَى﴾**: هل اختلق هذا الرجل الكذب **﴿عَلَى اللَّهِ﴾**: يتساءل الكفار مستهزئين يدعون محمداً أنه قال على الله ﷻ **﴿كَذِبًا﴾**: والعجيب أنهم يذكرون الله ﷻ، ولا يصدقون رسول الله ﷺ **﴿أَمْ﴾**: هل **﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾**: هل هو مجنون، والحقيقة يقولها الحق ﷻ **﴿بَلِ﴾**: حرف إثبات من الله ﷻ **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع من **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُونَ بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿الْآخِرَةِ﴾**: إن الذين ينكرون قيام الساعة، والبعث، والنشور سيكون مصيرهم **﴿فِي الْعَذَابِ﴾**: في نار جهنم يوم القيامة **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿الضَّلَالِ﴾**: التيه **﴿الْبَعِيدِ﴾**: الكبير والبعد عن الحق؛ هم في ضياع في الدنيا، والآخرة.
التكليف: هذه واحدة من وسائل التشكيك بالمؤمنين.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ **(٩)**

﴿أَفَلَمْ﴾: حرف توكيد وجزم **﴿يَرَوْا﴾**: هذه للعلم وليس للإبصار، مثلهم كمثل العمي؛ ألم ينظر المكذبون **﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾**: ما هو أمامهم من الأرض التي تحت أرجلهم **﴿و﴾**: أيضاً **﴿مَا﴾**: الذي من جنس غير العاقل **﴿خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾**: بدأ الله ﷻ بذكر السماء لأن إتيانها أعظم؛ فلما أراد بالثاني وهو التخويف من العذاب بدأ **﴿بِ﴾** **﴿وَالْأَرْضِ﴾**: لسهولة مشاهدة العذاب على الأرض، كجزء من عذاب السماء، كما فعلنا بقوم شعيب؛ فقد أمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿نَشَأْ﴾**: نرغب أو نريد أن **﴿نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾**: نجعل الأرض تبتلعهم **﴿أَوْ﴾**: حرف عطف يفيد التقسيم والتسوية، بمعنى بدلاً عما سبق **﴿نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾**: قطعاً عظيمة الحجم **﴿مِنِ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿السَّمَاءِ﴾**: من كل ما

علا الأرض، تسقط عليهم تدمرهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: الذي نقوله ﴿لَايَةً﴾: بيّنة ودليلاً واضحاً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿كُلِّ﴾: جميع ﴿عَبْدٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد جميع العباد ﴿مُنِيبٍ﴾: راجع إلى ربه ﷻ بالتوبة ومقرّ له بالتوحيد، وقال قتادة: لكلّ تائبٍ.

التكليف: إنّ المقبل على الله ﷻ، المتأمل في خلقه ﷻ؛ دليلٌ لكلّ عبدٍ فطنٍ، لبيبٍ، رجّاحٍ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (١٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿آتَيْنَا﴾: يذكر الله ﷻ ما أنعم به على عبده ﴿دَاوُودَ مِنَّا﴾: جاء تقديم اسم داود ﷺ على المفعول من باب الاهتمام بالمقدم والتشويق لمعرفة المؤخر، عند الله ﷻ وهو ﴿فَضْلًا﴾: جاء الفضلُ بصيغة النكرة؛ التي تعيد العموم؛ للتفخيم والتعظيم، الكتاب والعلم، إذ جمع الله ﷻ له بين النبوة، والمُلك، والتمكين، وقوة الجيش، وأمر الجبال، فقال ﷻ ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿جِبَالُ أَوِّبِي﴾: سبّحي ﴿مَعَهُ﴾: ومن فضله ﷻ على داود ﷻ الصوت العظيم، حتى إذا سبّح؛ سبّحت معه الجبال الصمُّ الشامخات ﴿وَالطَّيْرَ﴾: هي كلّ ذي أجنحة يسبحُ في الهواء، أوحى الله ﷻ إلى الطير أن تسبّح معه، وهي تطير في غدوها ورواحها، وبكلّ اللغات تؤوب، أي تُرجع الصوت بعده أي تُردده ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الفعل؛ جعل الحديد الصلب لينا ﴿لَهُ﴾: لسليمان ﷻ، تخصيصاً ﴿الْحَدِيدَ﴾: لا يحتاج إلى أن يُدخله في النار، ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده.

﴿أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١)

ومن فضل الله ﷻ على داود ﷻ أوحى إليه ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾: قال قتادة: هي الدروع الحديدية الواسعة التي تُغطي الجسم؛ فكان داود أول من صنعها من البشر، ﴿و﴾: أيضًا علمه الله ﷻ كيف أن ﴿قَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: يجعل المسامير مناسبة في الثقوب التي تدخلها ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾: أنفقوا وقولوا فيما أعطاكم الله ﷻ من النعم، لقد كان داود ﷻ، إذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش؛ حتى يُؤخذ بأعناقها ولا تفرّ، إذا قرأ كأنه ينفخ في المزامير؛ في مكبرات الصوت، كأنه قد أُعطي سبعين مزمراً في صوته ﴿إِنِّي﴾: هو الله ﷻ بالتأكيد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: من خيرٍ أو شرٍ ﴿بَصِيرٌ﴾: مراقبٌ لكم، مطلعٌ على أعمالكم وأقوالكم، فاعتبروا إنّه من يتق الله ﷻ يرزقه من حيث لا يحتسب.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ

يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢)

ذكرت الآية السابقة ما أنعم الله ﷻ على عبده داود ﷺ، وتأتي هذه الآية لتقول ماذا قدم الله ﷻ لسليمان ﷺ ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿ل﴾: خصص الله ﷻ لعبده ﴿سَلِيمَانَ الرَّيْح﴾: سخرها الله ﷻ لتحمله على بساطه ﴿عُدُوها﴾: تذهب به صباحًا مسافة ﴿شَهْرًا﴾: سيرًا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿رَوَّاحها﴾: وعودتها ﴿شَهْرًا﴾: مسافة مسيره شهر، فكان يتناول الغداء في مكان، ويعود على بساطه ﴿وَأَسَلنا﴾: أيضًا أذاب الله ﷻ ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿عَيْنَ الْقَطْرِ﴾: قال مجاهد، وابن عباس، وآخرون: والقطر هو النحاس، وقد يشمل المعادن الأخرى، وكانت في اليمن، فقد علمه كيف يُسِيل النحاس؛ ليصنع منه ما يشاء ﴿وَمِنْ﴾: أيضًا بعض ﴿الْحِجْنَ مَنْ﴾: الذي ﴿يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ب﴾: باء المصاحبة ﴿إِذِنْ﴾: أمر وإرادة ﴿رَبِّهِ﴾: بتسخير الله ﷻ لهم بينون البيوت وغيرها ﴿وَمِنْ﴾: الذي ﴿يَزِغُ﴾: من يعص ويرفض الطاعة ﴿مِنْهُمْ﴾: من الجنّ وجنس العاقل ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿أَمْرِنَا﴾: إرادة الله ﷻ ﴿نُذِقُهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لتفيد شدة العذاب ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: يعاقب بالنار الملتهبة.

التكليف: من هنا مشروعية استخدام أدوات قوية من نعم الله ﷻ لتسخيرها في خدمة الدين.
﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١٣)

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يصنعون ﴿لَهُ﴾: لسليمان ﷺ، تخصيصًا ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَشَاءُ﴾: يريد ويرغب ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿مَحَارِبٍ﴾: البناء الجميل، أشرف مكان وصدرة، قال مجاهد: بنيان دون القصور، وقال الضحاك: المساجد، وقال قتادة: القصور والمساجد، وقال ابن زيد: المساكن ﴿و﴾: أيضًا يعملون ﴿تَمَائِيلٍ﴾: قال الضحاك، والسدي: الصور، وقال مجاهد: كانت من النحاس، وقال قتادة: من طينٍ وزجاجٍ ﴿وَجِفَانٍ﴾: أيضًا هي الأحواض ﴿ك﴾: حرف تشبيهه بمعنى مثل ﴿الْجَوَابِ﴾: أحواض الماء الكبيرة، ومفردها جابية؛ وهو حوضٌ يُحمل فيه الماء، الجرادل وما شابه، وقال ابن عباس: الحياض ﴿وَقُدُورٍ﴾: أيضًا أدوات الطبخ ﴿رَاسِيَاتٍ﴾: الثابتة في الأماكن التي لا تتحرك من مكانها؛ لكبر حجمها الأحواض، والبراميل الضخمة مثلًا ﴿اعْمَلُوا﴾: أمر ربّاني ﴿آلَ﴾: أهل وعشيرة ﴿دَاوُودَ شُكْرًا﴾: قال ابن جرير: اعملوا شكرًا لله على نعمه عليكم في الدين والدنيا، فالصلاة شكر، والصيام شكر، وكلُّ خيرٍ عمله شكر، وفيه أقوال، قال ابن جرير: الحمد أفضل الشكر، وقال القرظي: الشكر تقوى الله ﷻ ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ﴾: حرف يفيد بعض ﴿عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾: قال ﷺ: أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَيَّ اللَّهُ صَلَاةُ دَاوُدَ ﷺ، وَأَحَبُّ

الصِيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامٌ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا^(١).

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِئُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١٤)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿قَضَيْنَا﴾: حكم الله ﷻ ﴿عَلَيْهِ الْمَوْتُ﴾: جاء أجل سليمان ﷺ ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿دَلَّهُمْ﴾: لم يرشد الله ﷻ الجانَّ أن سليمان مات، وقد بقي متكئًا على عصاه، والجان يعملون في الأعمال الشاقة ﴿عَلَى مَوْتِهِ﴾: لم يعرفوا أنه مات ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾: وهي حشرة الأرض؛ دودة الخشب كانت ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: تُضعف العصا ﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التتابع والسبب ﴿خَرَّ﴾: سقط ﷻ، على الأرض ﴿تَبَيَّنَتْ﴾: تبينت ﴿الْجِنُّ﴾: أنه مات من مدة طويلة، وهذا دليل أن الجن لا تعلم الغيب، كما كانوا يكذبون على الناس ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد استحالة ﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾: موعده موت سليمان ﷻ ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَبِئُوا﴾: مكثوا أقاموا إقامة دائمة واستمروا ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: العمل المذل لهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (١٥)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿كَانَ لِ﴾: حرف تخصيص قبيلة ﴿سَبَإٍ﴾: في اليمن، وسبأ هو رجل له عشرة أولاد، وأحفاد سكن منهم اليمن وهم مذحج، وكنده، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحِمير. أما الشاميون فهم لخم، وجذام، وعاملة، وغسان، كان سبأ واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرق بن قحطان، وكان منهم العرب من سلالة الخليل ﷻ ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾: علامة ظاهرة ومميّزة على قدرة الله ﷻ، التفضل على سكانها ﴿جَنَّتَانِ﴾: بستانان، مزرعتان ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ بمعنى على ﴿يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: كان الماء يأتي من بين جبلين؛ فبنو سبأ عظيمًا؛ حجز الماء؛ فارتفع مستواه، وزرعوا على جانبي السد، وكان لهم ثمرٌ كثيرٌ ﴿كُلُوا﴾: هذا أمرُ الله ﷻ لهم ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿رِزْقٍ﴾: الخير ﴿رَبِّكُمْ﴾: والربُّ هو المُعبود، والمُربي، وهو الذي أنشأ كلَّ شيءٍ إلى حدِّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمركم كله ﴿و﴾: عطفًا

(١) صحيح البخاري ٥٠/٢ (١١٣١).

على هذا **﴿اشْكُرُوا لَهُ﴾**: احمدا لله ﷻ على النعيم؛ وعلى الماء، والزرع، والنقاء **﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾**: كلُّ ما يستمتع به الجسد، وتقبله النفس، هنا المقصود البلد ذات البيئة الجميلة **﴿و﴾**: أيضًا **﴿رَبِّ﴾**: مالك أمر **﴿عَفُورٌ﴾**: جمع الله ﷻ بين البلدة كثيرة الخيرات والمغفرة منه ﷻ حتى ولو كان في الرزق شيءٌ من غير الحلال، فهو الرزاق الكريم، والذي يغفر الذنوب.

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جُنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (١٦)

﴿ف﴾: بسبب أنهم **﴿أَعْرَضُوا﴾**: أداروا وجهتهم إلى عصيان الله ﷻ، فلم يوحده، ولم يشكروه، وعبدوا الشمس؛ راجع قصة الهدد مع سليمان عليه السلام؛ حيث قال ﷻ: **﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾** [النمل-٢٤]، **﴿فَأَرْسَلْنَا﴾**: سلط الله ﷻ **﴿عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾**: قال البخاري: السدُّ: ماءٌ أحمُرُ أرسله الله في السدِّ، فشقَّه وهدمته، وحفر الوادي، فازفَعَتَا عَنِ الْجَنَّتَيْنِ، وَغَابَ عَنْهُمَا الْمَاءُ فَيَبَسَتَا، وَلَمْ يَكُنِ الْمَاءُ الْأَحْمَرُ مِنَ السَّدِّ، وَلَكِنْ كَانَ عَذَابًا أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ شَاءَ " وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شَرْحَبِيلٍ: "العَرِمُ: «المُسَنَّأَةُ بِلَحْنِ أَهْلِ الْيَمَنِ» وَقَالَ غَيْرُهُ: " العَرِمُ: الْوَادِي، السَّابِغَاتُ: الدُّرُوعُ"^(١)، وقال ابن عباس: سلط الله عليهم الجرذان تنقب في السد؛ فانساب الماء في الوادي، وخربت الأشجار والبيوت **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿بَدَّلْنَاهُمْ﴾**: جعلنا شيئاً بدل شيءٍ آخر **﴿ب﴾**: حرف باء الظرفية **﴿جَنَّتَيْهِمْ جُنَّتَيْنِ ذَوَاتِي﴾**: لهما **﴿أُكُلٍ﴾**: مذاقٍ وطعمٍ **﴿خَمْطٍ﴾**: تحولت المزارع كثيرة الثمار، والإنتاج إلى ثمارٍ مرَّةً، وأثل وهو شجرٌ غيرٌ مُثمرٍ **﴿وَأَثَلٍ﴾**: الأثل هو الشجر الثابت الأصل **﴿وشيءٍ﴾**: جاءت بصيغة النكرة تفيد بعض **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع **﴿سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾**: شجرٍ له شوكةٌ يُثمرُ يُعرفُ في بلاد الشام "التمَّور"، ويقال له في مصر النبق.

التكليف: بالعصيان تزول النعم؛ وبأسبابٍ لا يُقدِّرها البشر.

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (١٧)

﴿ذَلِكَ﴾: بهذا التبديل؛ ذهاب الماء، وتبدل الثمار، والفقر **﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾**: هو الجزاء عاقبناهم **﴿بِمَا﴾**: اسم موصول هنا بمعنى الذي **﴿كَفَرُوا﴾**: هذا عقاب الكافرين؛ قال ابن أبي حاتم، رضي الله عنه: جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في العيشة، وعسرة في اللذة أي لا يصادف لذة حلالٍ إذا جاءه من يُنغصه إياها **﴿وهل نُجَازِي﴾**: نعاقب **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿الْكَفُورَ﴾**: شديد الكفر.

(١) صحيح البخاري ١٢١/٦ سورة سبأ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿جَعَلْنَا﴾: أوجد الله ﷻ ﴿بَيْنَهُمْ﴾: قرية سبأ ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا﴾: ذات الخيرات المتنوعة من كثرة الزراعة ﴿فِيهَا﴾: هي القرى التي فيها الماء والزرع جعلها مُتقاربة، لا يحتاج المسافر فيها إلى زاد؛ وفي هذه القرى قال وهب بن منبه: هي صنعاء، وقال مجاهد، والحسن: قرى الشام؛ كانوا يسيرون من صنعاء إلى الشام في قرى متواصلة متقاربة، وقال ابن عباس: بيت المقدس، وقيل في المدينة والشام ﴿قُرَى ظَاهِرَةً﴾: ذات معالم واضحة؛ فيها ما يحتاج إليه المسافر من ماءٍ وطعامٍ ﴿وَقَدَرْنَا﴾: أيضاً حدّدنا المسافات ﴿فِيهَا السَّيْرَ﴾: كانت فيها الطرق ممهدة ﴿سِيرُوا﴾: سافروا مشياً ﴿فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾: كان السفر آمناً في الليل وفي النهار، لا يخشون جوعاً ولا عطشاً. إِنَّ أَمَّنَ الدُّوْلَ مَنْحٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، على الإنسان أن يصونها.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَا لَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٩)

﴿ف﴾: وبسبب ذلك ﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمحيط، والمدبر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالك الأمر كلّهُ ﴿بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: طلبوا من الله ﷻ أن يسيروا بين البلاد البعيدة، يحملون الزاد والزواد، يريدون السير في الخطر، قالوا باعد بين أسفارنا، طلبوا أن يزيل القرى بعضها عن بعض حتى يسيروا أكثر؛ فتظهر عظمة قوافلهم، وركوبهم، وقيل حتى يذوقوا تعب السفر؛ وأقول، والله أعلم، طلبوا أن يمد الله ﷻ البلاد التي يسافرون إليها، لتنمو التجارة بزيادة الطلب عليها، ﴿و﴾: وأيضاً بسبب مطامعهم ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَ﴾: بسبب هذا ﴿جَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ﴾: كناية، ذكّرهم بالسوء في الدنيا والاعتبار والاتعاظ بعد زوالهم ﴿وَمَزَقْنَا لَهُمْ﴾: عطفاً على ما سبق توزعوا بضيقٍ وشدةٍ ﴿كُلِّ﴾: تفيد الجميع ﴿مُمَزَّقٍ﴾: شنت الله ﷻ شملهم؛ فصاروا قصصاً يقولها النَّاسُ، يتسامرون عنهم، ويتحدثون عن أخبارهم، ليعتبروا؛ كيف كانوا، وكيف صاروا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في هذه القصص التي قصصناه ﴿لآيَاتٍ﴾: كانت عبراً وعظاتٍ في تمزيق هذه القبائل سبأ، وغسان، والأنصار، وخزاعة، والأزد؛ الذين تفرقوا، وتمزقوا، في عُمان، والشام، ويثرب، ونُهامة ﴿ل﴾:

حرف تخصيصٍ ﴿كُلٌّ﴾: تفيد جميع ﴿صَبَّارٍ﴾: عظيم وكثير الصبر، الذي يصبر على طاعة الله ﷻ، إذا أُبتلي صبر ﴿شُكُورٍ﴾: وإذا أُعطي شكر على الرزق، وإن لم يُرزق صبر راضياً. التكليف: ضرورة الرضا بما قسمه الله ﷻ من خيرٍ، وسؤاله المزيد.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿صَدَقَ﴾: حقق ﴿عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: بغير يقين أنه سيضل بني آدم وأنهم سيطيعونه في معصية الله ﷻ، وتحقيق رغباته فيهم؛ جاء في المعنى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف-١٧]، وقال إبليس للعين سائلاً الله ﷻ: ﴿لئن أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء-٦٢]، كان ظنُّ إبليس أنه وقد نجح في إخراج آدم، وحواء من الجنة، فإن الذرية أضعف ﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ؛ صدق فيهم ظنُّه ف ﴿اتَّبَعُوهُ﴾: نجح في غوايتهم؛ فأطاعوه وكفروا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿فَرِيقًا﴾: جماعة تمايزوا ﴿مِنَ﴾: جزءاً أو بعضاً ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: من الناس، من ثبت على دينه. التكليف: إن طاعة الشياطين من أسباب زوال النعم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٢١)

﴿و﴾: أيضاً ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ لَهُ﴾: تخصيصاً إبليس لعنه الله ﷻ ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾: بعض ﴿سُلْطَانٍ﴾: قال ابن عباس: ليس له عليهم حُجَّة، لم يكن للشيطان عليهم من قوة، تقهرهم؛ فيضلوا، وقال الحسن البصري: لم يجعل الله ﷻ لإبليس عليهم من قوة قاهرة إلا أن الله ﷻ أذن له في إغوائهم؛ حتى يعلم الحق ﷻ الذي يؤمن بالغيب ومن منه في شكٍ، ولا أكرههم على شيء؛ بل زين لهم إبليس الكذب والأمانى ﴿إِلَّا﴾: استثناء ﴿ل﴾: حرف يفيد العلة والسبب ﴿نَعْلَمَ﴾: ليتضح ويظهر ما قدره الله ﷻ في الأزل ﴿مَنْ يُّؤْمِنُ﴾: يصدق يقيناً وبلا ريب ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْآخِرَةِ﴾: حيث الثواب والعقاب ﴿مِمَّنْ﴾: من الذي ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، يعني هنا ﴿مِنْهَا﴾: من يوم القيامة ﴿فِي شَكٍّ﴾: ويفتضح الذي هو في شكٍ من القيامة ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿رَبُّكَ﴾: هو المعبود، والمُرَبِّي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك الأمر كله ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: تفيد جميع ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد وتفيد جميع الأشياء ﴿حَفِيظٌ﴾: يحفظ أعمال المؤمنين ويكافئهم عليها، ويضلُّ من ضلَّ من الكافرين الذين أطاعوا إبليس وصدَّقوه.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢)

﴿قُلِ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لمحمد ﷺ أن يطلب من الكفار جميع طوائفهم أن يدفعوا عن أنفسهم الضّرر ﴿ادْعُوا﴾: اطلبوا من ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿زَعَمْتُمْ﴾: وهذا الطلبٌ للتعجيز؛ أن يطلب الكافرون من الذين يطيعونهم، من الأصنام، والأوثان، وحكام الدول، والملوك، والأحزاب، أن يطلبوا النفع لكم وكشف الضّرر عنكم ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: من كلّ الذين تعبدونهم من غير الله ﷻ، من الأصنام التي لا تسمع، واطلبوا من الملائكة ومن البشر، واسألوا لتعرفوا أنّ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: وهي أصغر مكونات أيّ مخلوق ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿وَلَا﴾: يملكون مثقال ذرّة ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: واسألوا آلهتكم لتتأكدوا أنّهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السماوات ولا في الأرض. جاء في سورة [سبأ-٣]، مصطلح الوزن الذري في عصرٍ لم يعرف فيه العالم ما هي الذرّة، وهل لها وزنٌ أم لا، ولا يملكون حتى أصغر شيء في الكون ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَهُمْ﴾: حرف تملك لله ﷻ ﴿فِيهِمَا﴾: في السماوات والأرض ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ بعض للنوع ﴿شَرِكٍ﴾: شركة أو شراكة أو شريك ﴿وَمَا لَهُ﴾: تخصيصاً وتمليكاً ﴿مِنْهُمْ﴾: يفيد بداية الغاية المكانية ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿ظَهِيرٍ﴾: ليس لله ﷻ من هذه الأنداد مُعين يعينه، فالخلق كلّهُ فقير إلى الله ﷻ.

التكليف: هذه الحالة هي أخطر حالات العصر، فكثيرٌ من الحكّام والشعوب والدول تذهب تطلب العون، والمال، والحماية من اليهود، والصليبيين، والمشرّكين، والنتيجة: لن يجيرهم من دون الله شعبٌ، أو دولة.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢٣)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي يفيد التحريم (النفي والاستثناء)؛ وعليه يكون الله ﷻ قد قصر نفع أو قبول الشفاعة على الذين أذن لهم، وهي قصر الصفة عن الموصوف قصرًا حقيقيًا؛ بمعنى أن الشفاعة عند الله ﷻ، ولا تتم إلا برضاه وأمره ﴿تَنْفَعُ﴾: تفيد ﴿الشَّفَاعَةَ﴾: لا يجرو، ولا يستطيع مخلوق أن يتجرأ بطلب الشفاعة ﴿عِنْدَهُ﴾: ظرف زمان ومكان، أي أنه من الله ﷻ، لعظمته، وجلاله، وكبريائه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: للذي من جنس العاقل ﴿أَذِنَ﴾: سمح ﴿لَهُ﴾: إلا بإذن الله ﷻ له، ويوم القيامة يسجد محمدٌ ﷺ لله ﷻ؛ فيقول الله

ﷺ: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطى، واشفع تُشفع **﴿حَتَّى﴾**: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿فَرَعَ عَنْ﴾**: حرف جرّ؛ يفيد هنا ذهب من **﴿قُلُوبِهِمْ﴾**: قال: ابن مسعود: عندما يتكلم الله ﷻ بالوحي، فيسمع أهل السموات كلامه، ويرتعدوا من الخوف، ويُغشى عليهم، حتى إذا زال الفرع من القلوب: وقال ابن عباس، والضحاك، والحسن، وقتادة: خلى عن قلوبهم **﴿قَالُوا مَاذَا﴾**: أداة استفهام **﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾**: سأل الملائكة جبريل ﷺ، وسأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؛ هم حملة العرش، قالوا للذين خلفهم، لمن تحتهم، ماذا قال ﷻ فيردّوا: **﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾**: أخبروا بما قال ﷻ من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ **﴿وَهُوَ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ يفيد المفرد الذكر **﴿الْعَلِيِّ﴾**: صاحب العلو، والسمو العظيم **﴿الْكَبِيرِ﴾**: الذي لا تحدّه مساحات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سَلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ ^(١)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ وَنَادَوْا»: **﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾** [سبأ-٢٣] وَيَذْكُرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرِبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَّانُ ^(٢) .

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
(٢٤)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لمحمدٍ ﷺ والمسلمين **﴿مَنْ﴾**: سؤال استفهام عن العاقل **﴿يَرْزُقُكُمْ﴾**: يعطيكم ويهبكم **﴿مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية للرزق **﴿السَّمَاوَاتِ﴾**: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها، من الماء **﴿وِ﴾**: أيضًا مِنْ **﴿الْأَرْضِ﴾**: بالنبات والمعادن ومخزون الماء وغير ذلك؛ هم يعترفون، ولكن كُفَّار العصر الحديث يقولون هي دورة الطبيعة، يتبخر الماء بفعل حرارة الشمس، ويحمله الهواء، ويسوقه الهواء إلى منطقةٍ أبرد؛ فيسقط المطر، ولم ولن يجيبوا من الذي أعطى هذه المخلوقات هذه الصفات؟ سيقولون الطبيعة، ما هي الطبيعة؟ لا يدرون، فيهدي الله ﷻ المؤمن إلى **﴿قُلْ﴾**: قولاً صادقاً وصریحاً هو **﴿اللَّهُ﴾**: هو ﷻ الذي وهب لهذه المخلوقات عملها، وقد جاء: **﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾** [طه-

(١) صحيح البخاري ١٤١/٩ (٧٤٨١).

(٢) صحيح البخاري ١٤١/٩ معلقاً باب قول الله ﷻ {ولا تتفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له..} سبأ. قال الأرنؤوط في تخريج مسند أحمد ٤٣٢/٢٥ إسناد حسن، وقد أخرجه ابن حجر في تعليق التعليق ٣٥٥/٥.

٥٠] فإن لم يُقرّوا ويعترفوا بأنّه الله ﷻ فقل لهم ﴿وَأَنَا﴾: نحن ﴿أَوْ﴾: حرفٌ يفيد التقسيم والتسوية بين متعاطفين ﴿إِيَّاكُمْ﴾: نحن أم أنتم ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾: اختلفنا فريقين، فريقٌ على حقٍّ، وفريقٌ على باطلٍ، نحن المؤمنون على الحق؛ وأنتم على باطلٍ ﴿مُبِينٍ﴾: واضحٌ ظاهرٌ.

التكليف: ينتهي الجدل بين المؤمن والكافر بتأكيد المؤمن أنّه على حقٍ وله طريقه، والكافر على باطلٍ وله طريقه.

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٥)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لمحمدٍ ﷺ وأتباعه إلى يوم الدين؛ قولوا نحن وأنتم لسنا من بعضنا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُسْأَلُونَ﴾: لا تُحاسبون يوم القيامة ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿أَجْرَمْنَا﴾: عن ذنوبنا، هذا توجيه للمؤمن أن يقول في يوم القيامة إن كان إيماننا وتصديقنا بكتاب الله ورسوله ﷺ جريمة؛ فليس لكم ذنبٌ فيها ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نُسْأَلُ﴾: لن يسألنا أحدٌ فيحاسبنا ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: ولم يقل ﷻ تجرمون؛ لأنّ المسلم الحق لا يُجرم في حق أحدٍ؛ نحن براءٌ من أعمالكم.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٦)

﴿قُلْ﴾: أخبرهم يا محمد ﷺ عن يوم القيامة حيث ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾: مالك أمرنا كلّ يوم القيامة كلّ الخلائق في صعيدٍ واحدٍ ﴿ثُمَّ﴾: مع التتابع وعدم سرعة الزمن ﴿يَفْتَحُ﴾: يقضي ﴿بَيْنَنَا بِ﴾: حرف باء السبب ﴿الْحَقِّ﴾: جاء اللفظ القرآني "فتح" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى يقضي كما في سورة الفتح، وجاءت بمعنى الإرسال في سورة فاطر، وبمعنى الفتح نفسه في قوله ﷻ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر-٧٣]، وبمعنى النصر في قوله ﷻ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء-١٤١]، وفي قوله ﷻ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة-٥٢] يقضي بيننا وبينكم بالعدل؛ فيجازي كلّ إنسانٍ بما عمل، جزاءً من جنس العمل ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿الْفَتَّاحُ﴾: الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾: لأنّ الله ﷻ هو الحكم العدل؛ الذي يحكم بما يعلم، وهو عليّم بكلّ شيءٍ.

التكليف: يقضي ﷺ بالعدل بين المؤمنين والكافرين بتأجيل الثواب والعقاب إلى يوم القيامة.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧)

﴿قُلْ﴾: سلهم يا محمد ﷺ: ﴿أَرُونِي﴾: إذا استمروا في جهلهم أطلب منهم أن ترى آلهة الكفار الذين عبدوهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿أَلْحَقْتُمْ بِهِ﴾: جعلتموهم ﴿شُرَكَاءَ﴾: لله ﷻ، الذين جعلتموهم أندادًا لله ﷻ ﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ، وزجرٍ، واستنكارٍ؛ فليس لله ﷻ نظير، ولا عدلٍ ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾: المنيع، الذي لا يُغالبه، ولا يُعجزه شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي يقضي بالعدل في أقواله وأفعاله.

التكليف: إنَّ من أقوى الحجج أن تطلب من الخصوم إظهار الأدلة الحقيقية والمقبولة عند أصحاب العقول والقلوب السليمة، على قولهم وفعلهم، والجهر بالحقيقة التي تؤمن بها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: بعثناك برسالةٍ؛ جاءت بصيغة الجمع لعظم شأن الحدث، وهي الرسالة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ مفاده لقد أرسلناك بالحق ﴿كَافَّةً﴾: للجميع بلا استثناء ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿النَّاسِ﴾: إلى جميع البشر بالعبادة لله ﷻ؛ وللائس والجنّ، فعن، عبد الله بن مسعود قال: قال ﷺ: بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ^(١) أي إلى الجنّ والإنس، والعرب والعجم "﴿بَشِيرًا﴾: مبشرًا من أطاع الله ﷻ بالجنة ﴿و﴾: أيضًا ﴿نَذِيرًا﴾: مُحذِرًا النَّاسِ جَمِيعًا، ومُخَوِّفًا من عصيان الله ﷻ، ومخالفة أمره ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: استدراكًا ﴿أَكْثَرَ﴾: أغلب الجميع بلا استثناء ﴿النَّاسِ﴾: بني آدم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: الحق فهم معرضون؛ هم الجاهلون؛ فلا تحزن إذا لم يؤمنوا جميعًا، وهذه حقيقة يقولها الخالق ﷻ الذي أحاط علمه كلَّ شيءٍ؛ في كلِّ زمانٍ، وفي كلِّ مكانٍ.

التكليف: ضرورة الإيمان بأنَّ عموم البشر لا يعلمون الحقائق الإيمانية مهما بلغت معلوماتهم في شؤون الدنيا.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَقُولُونَ﴾: هم أهل العناد والكفر، مُستهزئين ومُتحدِّين، مُستعجلين العذاب ﴿مَتَىٰ﴾: استفسار عن الوقت ﴿هَٰذَا الْوَعْدُ﴾: متى يوم القيامة التي وعدتمونا بها ﴿إِنْ﴾:

(١) مسند أحمد ٤/٤٧١ (٢٧٤٢)، قال الأرنؤوط: حسن.

حرف تأكيد الفعل ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: فيما تعدوننا به، والقول يفيد أنهم يكذبون الأنبياء، والرسل، والدعاة، ولسان حالهم: إذا كنتم تقولون الحق فمتى قيام القيامة؟

التكليف: يقول أهل مكة الكفار من منكري البعث والحساب من باب التعجيز والتحدي، والتصعب عليه ﷺ متى هذا العذاب الذي تخوفنا به، وهذا منهج الماديين في كل زمانٍ ومكانٍ؟

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٠)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِيعَادُ﴾: وقتٌ محددٌ ﴿يَوْمٍ﴾: القيامة موعدكم أيها الكافرون مُؤَجَّلٌ إلى أجله ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ﴾: حرفٌ يُفِيدُ المُجَاوِزَةَ ﴿سَاعَةً﴾: للتوبة لئلا تتجاوزوه، يزيد عنه ساعة ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: ﴿تَسْتَقْدِمُونَ﴾: ولا يأتي قبل مواعده بساعة، لا يزيد ولا ينقص زمن وقوعه، لا يُقَدِّمُ ولا يُؤَخِّرُ.

التكليف: لا استجابة لمطالب الكفار؛ لأنهم لن يقتنعوا؛ فلا مضيعة للوقت والجهد إذا تبين أنهم أصحاب الجحيم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣١)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفِيدُ الحال ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: هذا منهج الكفر، العناد، والتعبير، عنه بالقول ﴿لَنْ﴾: ينفون ﴿نُؤْمِنَ بِهَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة ﴿الْقُرْآنِ﴾: هنا إشارة بلفظ القريب للبعيد تعظيمًا لأمر القرآن في قلبه، لن نُصدِّقَ بالقرآن رغم ما فيه من الآيات البينات ﴿وَلَا﴾: نصدق ﴿بِالَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد المذكر ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ليس للقرآن يدان، ولكنه استعارة لما سبقه من الكتب السماوية التي نزلت من قبل؛ ولن نُؤْمِنَ بجنس الكتب السماوية التي سبقت ولا بالأنبياء ﴿وَلَوْ﴾: ظرفية بمعنى عندما ﴿تَرَى﴾: شاهدت حالهم لرأيت أمرًا مهولًا مريعًا ﴿إِذِ﴾: ما حدث في الماضي ﴿الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ﴾: محبوسون ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمانٍ ومكانٍ ﴿رَبِّهِمْ﴾: يخبر الله ﷻ عن المستقبل كأنه حدث في الماضي؛ لأنه قطعًا سيتحقق، سيحبس الكافرون أمام الحق، يقفون للحساب في ذلّة وهوانٍ، يتهم بعضهم بعضًا بالذي قال كلام الكفر، وعمل به ﴿يَرْجِعُ﴾: جزءٌ منهم يُلقِي كُلُّ واحدٍ منهم المسؤولية على الآخر ﴿بَعْضُهُمْ﴾: جزءٌ منهم ﴿إِلَى بَعْضٍ﴾: آخرين ﴿الْقَوْلَ﴾: يتهمون بعضهم بعضًا عن أسباب كفرهم ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: الذين رضوا بالذل وهم الأتباع ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: نشدوا التكبر من القادة والسادة ﴿لَوْلَا﴾: لو

لم، حرف شرطٍ يُفيدُ امتناعَ شيءٍ لوجودِ غيره، بسبب **﴿أَنْتُمْ﴾**: أغويتمونا بالكفر **﴿لَكُنَّا﴾**: أصبحنا وصرنا في الحياة الدنيا **﴿مُؤْمِنِينَ﴾**: أنتم المسؤولون عن خسارتنا الآخرة، أنتم صددمتمونا عن الإيمان؛ ولولاكم لاتبعنا الرُّسل، لأنَّ الأخلاء بعضهم أعداءٌ بعضٍ في هذا اليوم العصيب. التكليف: إنَّ تخاصم أهل النَّار يوم القيامة واقعٌ لا محالة، وإن اتفقوا أو اختلفوا في الدنيا. **﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا أَنْحُنُّ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (٣٢)**

﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿اسْتَكْبَرُوا﴾**: نشدوا التكبر عن الإيمان، سيقولون يوم القيامة، وهم الرؤساء، والملوك، وأصحاب الفكر الضال، وأصحاب الدعوات الدنيوية الباطلة وأمثالهم **﴿ل﴾**: خصيصاً **﴿الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا﴾**: قالوا للكافرين الذين اتبعوهم **﴿أ﴾**: حرفٌ استفهامٌ بغرض إنكارٍ تكديبي، بمعنى لم يقع منَّا ذلك وأنتم كاذبون في دعواكم **﴿نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ﴾**: هل منعناكم عن اتباع محمد ﷺ **﴿عَنْ﴾**: حرف جرٍ يفيدُ المُجاورة **﴿الْهُدَى﴾**: جاء اللفظ القرآني هدى هنا بمعنى الإيمان كما في قوله ﷺ **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف-١٣]**، وفي قوله ﷺ **﴿أَوَّلًا يَذُكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ [مريم-٧٦]**، اعترفوا يوم القيامة أنَّ ما جاء به الرسل هو الهدى **﴿بَعْدَ إِذْ﴾**: ما مضى من الزمن القديم **﴿جَاءَكُمْ﴾**: نحن قلنا لكم فقط رأينا ولم نجبركم؛ لكنكم اتبعتم حبكم للمال، والملاذات، والسرقة، والظلم، والعدوان وكلَّ الجرائم **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده يثبت أنكم دخلتم الكفر بإرادتكم مختارين **﴿كُنْتُمْ﴾**: في السابق **﴿مُجْرِمِينَ﴾**: إنَّ جبلتكم الإجرامية هي التي دفعتكم للكفر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق **﴿قَالَ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿اسْتَضَعُّوْا﴾**: جاء ردُّ الأتباع الضعفاء **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾**: لسادتهم وكُبارتهم، الذين تمنَّوا، وعملوا على أن يكونوا الكُبراء: إننا ضللنا بسبب أساليبكم **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾**: وهنا أسند المكر إلى الليل وإلى النهار وهذا إسنادٌ مجازيٌّ؛ لوجود علاقة بين المكر والليل، وإذا كان الليل هو الزمان الذي يمكر فيه فيكون مجازاً عقلياً، علاقته الزمانية، وهذا مكر النهار، إغراءات طوال الوقت، توهمونا أننا على الهدى **﴿إِذْ﴾**: حرف يأتي

للسبب أيضًا حين كنتم فيما مضى ﴿تَأْمُرُونَنَا﴾: تُجبروننا وتطلبون منا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نَكْفُرُ بِ﴾: بآء السببية ﴿اللَّهِ﴾: وقد أطعناكم؛ لأتكم أهل أمر علينا، وسطوة، أمرتمونا أن نعبد خلقًا من دونه ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿نَجْعَلُ لَهُ﴾: لله ﴿أُنْدَادًا﴾: نساوي بين الله ﴿و﴾ وبين نظراء وآلهة ﴿وَأَسْرُوا﴾: أخفى الفريقان في نفوسهم ولم يُصرّحوا بها ﴿النَّدَامَةَ﴾: لم يظهروا ندمهم فهم المتكبرون، أما المستضعفون فتطوقهم الندامة على ما اقترفوا ﴿لَمَّا﴾: حرف يفيد: حدث في السابق ﴿رَأُوا﴾: عاينوا ﴿الْعَذَابَ﴾: شاهدوا النار والعذاب، الذي حدّثهم الرسل والدعاة منه ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ﴾: طوقت سلاسل الحديد ﴿فِي﴾: بمعنى حول ﴿أَعْنَاقِ﴾: رقاب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أعناق السادة والعبيد الكفار، سلاسل تشدّ أيديهم وأعناقهم ﴿هَلْ﴾: حرف يفيد هنا النفي ﴿يُجْزُونَ﴾: يكون حسابهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَعْمَلُونَ﴾: سؤال يقول إن الجزء من جنس العمل، تلفح وجوههم وأجسادهم جهنم، فلم يبق منهم لحمٌ إلّا سقط على العرقوب، كما أخبر بذلك محمد ﷺ.

التكليف: ضرورة استحضار هذه المشاهد القرآنية في الآخرة ففيها عظة كبيرة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعثنا ﴿فِي قَرْيَةٍ﴾: في قوم ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿نَذِيرٍ﴾: نبي أو رسول، يحذّرهم، ويخوّفهم من نتائج عصيان الله ﷻ ويدعوهم إلى التوحيد ﴿إِلَّا﴾: استثناء ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: نحن بالتأكيد الذين يتنعمون بالمال والجاه والسلطان، الجبابرة، القادة، ورؤساء الشرّ ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الكافرين بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: ما جنّتم به من كتب وآيات ﴿كَافِرُونَ﴾: لا نؤمن به، والكفر هو التغطية.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٣٥)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿قَالُوا﴾: هم الذين رفضوا الرسالات متفاخرين ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا﴾: إن ثرواتنا هي مقياس عزّتنا ﴿و﴾: أيضًا قالوا نحن أكثر منكم ﴿أَوْلَادًا﴾: أولادنا وعشيرتنا وأتباعنا أكثر، ويعتقدون أنّ هذا دليلٌ محبّةٍ لله ﷻ لهم؛ وحجتهم: فما كان يعطيهم في الدنيا، ويُعذبهم في الآخرة؛ ولذلك قالوا ﴿وَمَا﴾: نفي أن نكون ﴿نَحْنُ بِ﴾: بآء السببية ﴿مُعَذَّبِينَ﴾: لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦)

ردًا على سفاهة قولهم؛ ﴿قُلْ﴾: يقول الله ﷻ لمحمد ﷺ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار
 ﴿رَبِّي﴾: تعني كلمة الرب: المُعبود، والمُربي، والمصلح، والسيد، هو الذي أوجدني ويملك أمري
 ﴿يَبْسُطُ﴾: يزيد ﴿الرِّزْقُ﴾: في المال، والجاه، والولد ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: الذي من
 جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: يريد ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَفْقِرُ﴾: يعطي ويزيد المال لمن يُحبُّ ومن لا يُحبُّ،
 يُعني من يشاء، ويُفقِر من يشاء؛ لحكمة بالغة، وحجة قاطعة ﴿وَلَكِنَّ﴾: استدراكًا ﴿أَكْثَرُ﴾:
 غالبية ﴿النَّاسِ﴾: هم الكفار والمنافقون ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: لا يُدركون الحكمة من
 ذلك، وأنَّ هذا اختبار لعباده لأنهم لا يتأملون بوعي وإدراك.

التكليف: إنَّ كثرة عظمة الجاه والسلطان والمال أو قلتها؛ ليست مقاييس الفوز في الآخرة.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ
 الصَّغْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ (٣٧)

تُحدِّدُ الآيةُ الكريمةُ معيار القرب من الله ﷻ ﴿وَمَا﴾: أيضًا هنا نفي ﴿أَمْوَالُكُمْ وَ﴾: أيضًا
 ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿أَوْلَادُكُمْ﴾: لا كثرة المال ولا كثرة الأولاد ﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾:
 تعطيكم محبتنا، ولا منزلةً، ولا مكانةً، ولا رعايتنا لكم، ولكننا لا نهب ذلك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء
 ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿آمَنَ﴾: بأركان الإيمان كاملة ﴿و﴾: أيضًا أتبع ذلك أن ﴿عَمِلَ
 صَالِحًا﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، وهذه معايير القربى من
 الله ﷻ، الإيمان بكلِّ عناصره، والعمل بها في الدنيا، في كلِّ مجالٍ ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة
 للجمع القريب والبعيد ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿جَزَاءُ﴾: ثواب ﴿الصَّغْفِ بِمَا﴾: الذي ﴿عَمِلُوا﴾:
 هؤلاء يُضاعفُ اللهُ ﷻ لهم الحسنَةَ بعشرِ أمثالها، إلى سبعمائة ضعفٍ ﴿و﴾: حرف عطفٍ
 يفيد الحال ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾:
 هنا مقابلةً، عاقبة الأبرار وعاقبة الفجار، الذين هم في منازل الجنة الرفيعة المستوى، آمنون
 من كلِّ خوفٍ، ومن كلِّ عذابٍ، ومن كلِّ شرٍ.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (٣٨)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَسْعَوْنَ﴾: يجتهدون ﴿فِي آيَاتِنَا
 مُعَاجِزِينَ﴾: إنَّ الذين يجتهدون ويبدلون ما في وسعهم حتى يصرفوا النَّاسَ عن الأدلَّةِ والبراهين
 التي تقود إلى الإيمان، ويفترون علينا بكذبهم ﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشارةٌ للجمع القريب والبعيد ﴿فِي
 الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: سيتم إحضارهم إلى جنهم جزاءً بما عملوا.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّي﴾: مالك أمر الكون كله ﴿بَسْطُ﴾: يُعطي ويُزِد ﴿الرِّزْقُ﴾: في المال، والعيال، والسلطان ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: يُريد ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿عِبَادِهِ﴾: لحكمة قدرها ﷻ ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَقْدِرُ﴾: ويُقلل ﴿لَهُ﴾: عليه رزقه، هذا التفاوت في الرزق يقابله تفاوتٌ في الآخرة؛ والمعيارُ هو الإيمان؛ فهذا في الغرفات آمنًا، وهذا في أسفل درجات النار ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَنْفَقْتُمْ مِنْ﴾: جزءًا أو بعضًا ﴿شَيْءٍ﴾: مهما كانت قيمة ما تتفقون في سبيل الله ﷻ، قليلةً أو كثيرةً ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، والمقصود هنا هو الله ﷻ ﴿يُخْلِفُهُ﴾: يعوضه لكم في الدنيا مالًا، وفي الآخرة بالثواب؛ يقول رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي: أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ^(١) ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: أكرم من أعطى، وأعظم من أخلف. التكليف: عوضًا عن تهذيبِ نفسِ الإنسان بالإنفاق والإحسان، ومصلحه المجتمع، وتماسكه فالثواب في الآخرة أعظم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٤٠)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾: يجمعهم في تكديسٍ وزحامٍ ﴿جَمِيعًا﴾: يحشرُ الله ﷻ الكافرين والمؤمنين وقت الزحام، والدفع، والإهانة ﴿ثُمَّ﴾: تُفيد التتابع الزمني مع التراخي؛ أي ليس عاجلاً ﴿يَقُولُ﴾: ﷻ وهو أعلم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾: والذين زعم الكفار أنهم عبدوهم من دون الله ﷻ؛ ليكونوا وسطاء لهم عنده ﷻ؛ ليقربوهم إليه زلفى ﴿أ﴾: والخطاب للملائكة، حرف استفهامٍ بغرضِ التقرُّع والتوبيخ للمشركين على الفعل ﴿هَؤُلَاءِ﴾: يسأل الله ﷻ الملائكة، وهو أعلم، هل أمرتم هؤلاء المشركين ﴿إِيَّاكُمْ﴾: أنتم ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَعْبُدُونَ﴾: هل أمرتم النَّاسَ أن يعبدوكم في الدنيا من دوني؟ جاء اللفظ القرآني اعبدوا هنا بمعنى أطيعوا. أنظر [النساء-٣٦].

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (٤١)

﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تتزهت وتعاليت وتقدّست أن يكون معك إلهٌ ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا﴾: أنت إلهنا، وناصرنا، ورازقنا، ونحن عبيدك ﴿مِنْ دُونِهِمْ﴾: غيرهم، نبراً إليك من هؤلاء المشركين

(١) صحيح البخاري ٧٣/٦ (٤٦٨٤).

﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَعْبُدُونَ﴾: يُطيعون
 ﴿الْجِنَّ﴾: كانوا يطيعون الشياطين، الذين زينوا لهم عبادة الأصنام، وكلَّ معبودٍ من الإنس
 والجن، واتباع الأفكار الضالَّة والمنحرفة وكان ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ غالبية هؤلاء ﴿بِهِمْ﴾: ملتصقين بالذين
 عبدوهم ﴿مُؤْمِنُونَ﴾: كان الضالون يؤمنون بالشياطين.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ
 بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ (٤٢)

﴿ف﴾: حرف يُفيدُ السبب ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة، يوم الحشر، يوم الثواب والعقاب ﴿لَا﴾: حرف
 نفي ﴿يَمْلِكُ﴾: لا يقدر ولا يستطيع العابدون ولا المعبودين ﴿بَعْضُكُمْ﴾: جزءٌ منكم ﴿ل﴾: حرف
 تخصيص ﴿بَعْضٍ﴾: جزءٍ آخرٍ ﴿نَفْعًا﴾: فائدةٌ ومصالحةٌ ﴿وَلَا ضَرًّا﴾: من ظننتم أنهم ينفعونكم؛
 خاب ظنكم فيهم، لا تتفعمكم أوروبا، ولا أمريكا، ولا الشيوعيون، ولا العلمانيون، ولا القوميون
 الذين اتخذتموهم من دون الله عقيدة، وأيضًا لا يملكون لكم ضرًّا ﴿و﴾: عطفًا على ما جاء
 ﴿نَقُولُ﴾: والفاعل هو الله ﷻ ﴿لِلَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا﴾: أنفسهم وغيرهم
 بالكفر والمعصية ﴿ذُوقُوا﴾: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أن كلَّ أدوات الحواس الجلد
 والشم وغيرها سيصيبها ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ﴾: في حياتكم الدنيا ﴿بِهَا تَكْذِبُونَ﴾: يوبخهم
 الله ﷻ الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم في الحياة على الأرض؛ ذوقوا ما كذبتُم به؛ عذاب الحريق.

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ
 وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٤٣)

﴿وَإِذَا تُلَىٰ﴾: إذا قرئت ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على الكافرين ﴿آيَاتُنَا﴾: البراهين التي نسوقها ﴿بَيِّنَاتٍ﴾:
 آيات الله ﷻ واضحات؛ وإذا تُلَى على كُفَّار مكة الأدلة والبراهين، واضحة، يسمعونها ويرونها
 في رسول الله ﷺ، ذهبوا ليطمسوا الفكرة بالتشكيك فيه ﴿قَالُوا﴾: يا محمد ﴿مَا هَذَا﴾: حرف
 تنبيه وإشارة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿رَجُلٌ﴾: مثلكم لا يملك شيئًا زيادة عنكم ﴿يُرِيدُ﴾: ويشككون
 في نيته بأنه يرغب ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَصُدَّكُمْ﴾: يصرفكم ويُبعدكم ﴿عَمَّا﴾: عن الذي
 ﴿كَانَ﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَعْبُدُ﴾: يطيع ويتبع ﴿آبَاؤَكُمْ﴾: ما يريد سوى إبعادكم عن دين
 آبائكم، هم افترضوا أن دين آبائهم هو الحق، وما عداه باطل، ومدحوا دين آبائهم، وذموا كتاب
 الله ﷻ ﴿وَقَالُوا مَا﴾: حرف نفي ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة هنا إلى الإسلام ﴿إِلَّا﴾: حرف
 استثناء ﴿إِفْكٌ﴾: أي كذبٌ مخلق وابتداعٌ ﴿مُفْتَرَىٰ﴾: يدعيه محمد ﷺ على الله ﷻ ﴿وَقَالَ
 الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْحَقِّ﴾: وهو القرآن

الكريم؛ هنا وُضِعَ الظاهرُ موضعَ الضميرِ للدلالة على إيمانهم في الكفر ﴿لَمَّا﴾: حين
﴿جَاءَهُمْ﴾: بواسطة الرسول ﷺ ﴿إِنْ هَذَا﴾: القرآن ﴿إِلَّا﴾: استثناءً ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: يقصدون
القرآن الكريم أنه مختلق، ظاهر، واضح.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ (٤٤)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيدُ الحال ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: لم يُعطِ الله ﷻ العرب ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ
وتمييزٍ للنوع ﴿كُتُبٍ﴾: وما أنزلنا على الكفار من كتبٍ سماوية سابقة ﴿يَدْرُسُونَهَا﴾: لم يُنزل
لهم قبل القرآن من كتبٍ يقرؤونها، وكانوا يطلبون ذلك من قبل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾: أيضًا ما بعثنا
﴿إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ﴾: بعض ﴿نَذِيرٍ﴾: من رسولٍ، وكانوا من قبل يطلبون أن يبعث الله ﷻ فيهم
رسولًا يُنذِرهم، ولَمَّا جاءهم؛ كفروا.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٤٥)

﴿و﴾: أيضًا ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ الجميع ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيد
هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: الأمم التي سبقت العرب، أقوام مثل قوم نوح، وعادٍ، وثمودٍ،
ولوطٍ؛ كلُّهم كذَّبوا رُسُلهم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿بَلَّغُوا﴾: وصلوا قيمة ﴿مِعْشَارِ﴾: واحدًا من عشرة
﴿مَا﴾: الذي ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: منحناهم قال ابن عباس: ما كان عندهم معشار ما آتينا من القوة،
والمنعة، والبأس في الدنيا، لقد كانت قوة العرب أقلَّ من معشارِ قوة الذين سبقوهم ﴿ف﴾: بسبب
وفي ردِّ فعلٍ سريعٍ ﴿كَذَّبُوا﴾: فيما جاؤوهم به ﴿رُسُلِي ف﴾: حرف يفيدُ هنا التتابع السريع،
والمقصود هو تكذيبهم المعجزات، وبعد ذلك تكذيب الرسل ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام ﴿كَانَ﴾
﴿نَكِيرِ﴾: كيف كان إنكاري عليهم، وكيف كان عقابي لهم، رغم قوتهم، لم يردوا عن أنفسهم
عذابَ الله ﷻ، كيف كان العقاب والتكليف وانتصارُ الرسل عليهم، وعليه يكون الاستفهام أفاد
معنى التهديد وهو استعمالٌ صيغة الاستفهام في مقام عدم الرضا.

التكليف: إنَّ عاقبة تكذيب الرسل والدعاة هو عذابٌ لا تردُّه قوةٌ في السماء والأرض، فالصبر،
والثقة، والثبات.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى نَمِّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ
إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للمشركين ﴿إِنَّمَا﴾: تأكيدًا وحصراً ﴿أَعْظَمُكُمْ﴾: أشيرُ عليكم وأنصحكم
﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿وَاحِدَةٍ﴾: بخصلةٍ، بفضيلةٍ واحدةٍ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل
﴿تَقُومُوا﴾: متجردين من الهوى ﴿لِلَّهِ﴾: قيام إخلاصٍ، وتجرّدٍ، بلا تعصبٍ، ولا هوى، ولا

مصلحة **﴿مثنى﴾**: اثنين، اثنين **﴿و﴾**: أيضًا **﴿فردى﴾**: واحدًا، واحدًا **﴿ثم﴾**: على التراخي والتباعد الزمني **﴿تتفكروا﴾**: أن يسأل بعضكم بعضًا بتؤدة، ودون تسرع **﴿ما﴾**: حرف نفي **﴿ب﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿صاحبكم﴾**: رسولكم **﴿من﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع **﴿جنّة﴾**: هل محمد ﷺ مجنون؟ ثم يُحيب الله ﷻ؛ ليوضح لهم **﴿إن﴾**: حرف تأكيد **﴿هو﴾**: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا ضميرًا للمفرد الفرد، بمعنى ما محمد ﷺ **﴿إلا﴾**: استثناء **﴿نذير لكم﴾**: إته ليس بمجنون، إن مهمته أن يحذركم من خسارة في الدنيا، وعذابٍ شديدٍ في الآخرة **﴿بين يدي﴾**: إشارة إلى المستقبل البعيد يوم القيامة **﴿عذابٍ شديد﴾**: عقابه شديد.

التكليف: لقد وجب الوعظ والإرشاد على كلِّ فردٍ وجماعةٍ.

﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ (٤٧)
﴿قل﴾: يا محمد ﷺ للمشركين **﴿ما﴾**: حرف نفي **﴿سألتكم﴾**: لم أطلب منكم **﴿من﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع **﴿أجر﴾**: لا أسألكم على الخير الذي جئتم وما أبلغكم به من الله ﷻ **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿هو﴾**: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا الأجر **﴿لكم﴾**: تخصيصًا إذا أنتمم بالفائدة لكم، وإذا عبدتم؛ فالفائدة لكم، وإذا صتمت وصلّيتم فالفائدة لكم، وهكذا **﴿إن﴾**: ما **﴿أجرى﴾**: ثوابي **﴿إلا﴾**: حرف استثناء **﴿على الله﴾**: أنا أطلب ثواب عملي الذي أنتظره من الله ﷻ **﴿وهو﴾**: **﴿على كل﴾**: تُفيد العموم **﴿شيء﴾**: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد عموم الأشياء، بلا استثناء **﴿شهيد﴾**: إنه ﷻ عالمٌ بكلِّ شيءٍ، يشهد أنني أخبرتكم، ويعلم ما أنتم عليه.

﴿قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب﴾ (٤٨)

﴿قل﴾: يا محمد ﷺ **﴿إن﴾**: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿ربي يقذف﴾**: إن الله ﷻ يُسلط **﴿ب﴾**: باء الصلة والتوكيد **﴿الحق﴾**: على الباطل على من يشاء من عباده من أهل الأرض **﴿علام﴾**: صاحب العلم المطلق بخلقه، ما ظهر منه وما بطن **﴿الغيوب﴾**: كلُّ ما هو غائب عن إدراك الخلق.

﴿قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يُعيد﴾ (٤٩)

﴿قل﴾: يا محمد ﷺ ولكلِّ مؤمنٍ من بعده **﴿جاء﴾**: انتصر **﴿الحق﴾**: أعلن أنه جاء انتصار الإسلام، وهو الحق من الله ﷻ، وهو الشرع العظيم **﴿و﴾**: أيضًا **﴿ما﴾**: حرف نفي **﴿يبدئ﴾**: يبدأ **﴿الباطل﴾**: ذهب الباطل واضمحَلَّ سلطانه، جاء لفظ "الباطل" على أربعة وجوه، هنا بمعنى

الشرك، وبمعنى الكذب في قوله ﷺ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقُصِّصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِّي بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر-٧٨]، وبمعنى حبط العمل في قوله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة-٢٦٤]، وبمعنى الظلم في قوله ﷺ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْنُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة-١٨٨]، لن يبدأ الشرك من جديد بعد اليوم ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾: لم يبق للباطل قوة، ولا نفوذًا، ولا رياسة، ولا كلمة تُسمع، فإذا انتصر الحق فلا بد من القول ببث الأمان في المؤمنين والخوف في الكافرين.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾
(٥٠)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للكافرين وهو تكليفٌ لكل داعية ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿ضَلَلْتُ﴾: تهت وابتعدت عن الحق ﴿فَإِنَّمَا﴾: أداة حصر مركبة تقيد التحديد والتخصيص ﴿أَضِلُّ﴾: أبتعد عن الصواب؛ فالجزاء ﴿عَلَى نَفْسِي﴾: إذا رُغْتُ عن الرشاد؛ فضرره على نفسي ولا يُصيبكم منه شيء ﴿و﴾: أيضًا ﴿إِنْ اهْتَدَيْتُ﴾: عرفت وأدركت الحقيقة إلى الله ﷻ، وإلى الدين الحق ﴿فَبِمَا﴾: بالذي ﴿يُوحِي إِلَيَّ﴾: بسبب ما ينزل عليّ من السماء وحيًا من ﴿رَبِّي﴾: بمعنى أنه ﷻ غير مجتهدٍ، بل ما جاءه هو من عند الله ﷻ ﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ الله ﷻ بالتأكيد ﴿سَمِيعٌ﴾: يسمع أقوال الخلق وما تُخفي صدورهم ﴿قَرِيبٌ﴾: يُجيبُ، لا يتعذَّر عليه سماعُ دعوة الداعي إذا دعاه، فإنهم لا يدعون أصمًّا، ولا غائبًا؛ بل هو سميعٌ قريبٌ.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥١)

الحديث هنا عن يوم القيامة ﴿وَلَوْ﴾: حرف شرط، وجوابها محذوفٌ تقديره لرأيت أمرًا هائلًا ﴿تَرَى﴾: لو شاهدت يا محمد المكذبين ﴿إِذْ﴾: حرف يفيد التوكيد ﴿فَزِعُوا﴾: عندما رأوا العذاب، خافوا، وارتعبوا ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿فَوْتَ﴾: لا مفرٍّ، ولا ملجأ، ولا منجاة ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿أُخِذُوا﴾: أهلكوا ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد بداية الغاية ﴿مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾: لم يستطيعوا الهرب؛ بل أُخِذوا من أول وهلة؛ من مكانٍ قريبٍ، قال الحسن البصري: خرجوا من قبورهم، وقال: مجاهد، وقتادة: من

تحت أقدامهم، وقال ابن عباس، والضحاك: هو عذابهم في الدنيا، وقال عبد الرحمن بن زيد: يوم بدر.

التكليف: ضرورة الإيمان بأن عذاب الكافرين آتٍ لا محالة يوم القيامة، وهذه من المشاهد.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال **﴿قَالُوا﴾**: قال الكُفَّار عندما رأوا مصيرهم من العذاب **﴿آمَنَّا﴾**: صدَّقنا **﴿به﴾**: بيوم القيامة، وآمنَّا بالله ﷻ وبرسوله ﷺ **﴿وَأَنَّى﴾**: حرف استنكار يفيد الاستحالة **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصاً من أين لهم، وكيف لهم الإيمان، وكيف يُطبقونه وقد تركوا الدنيا مزرعة العمل **﴿التَّنَاطُشُ﴾**: قال: الزهري، ومجاهد: للإيمان، وقال الزهري: تناولهم للإيمان في الآخرة، وقد خرجوا من الدنيا دار العمل، وقال الحسن البصري: طلبوا الأمر من حيث لا يُنال، وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾** [سبأ- ٥٢] قَالَ: «يَسْأَلُونَ الرَّدَّ وَلَيْسَ بِحِينَ رَدِّ»^(١)، قَالَ الْبُخَّارِيُّ: **﴿التَّنَاطُشُ﴾**: الرَّدُّ مِنَ الْآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا^(٢)، **﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾**: لأنهم وهم في الدنيا بعيدون عن العمل، وقد يكون لأنهم في الآخرة وليس لهم رجعة إلى الدنيا؛ والله أعلم.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣)

﴿وَقَدْ﴾: تحقق فيما مضى **﴿كَفَرُوا﴾**: غطّوا وأنكروا **﴿به مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلُ﴾**: وقد كفروا بالحق في الدنيا كيف يُقبل منهم العمل وتُحصّل الحسنات وقد كفروا في حياتهم الدنيا **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد الحال **﴿يَقْذِفُونَ﴾**: يقولون كذباً **﴿بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿الْغَيْبِ﴾**: بالظنّ، فيقولون لا بعث ولا نشور ولا جنّة ولا نار، وقد جاء في المعنى: **﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾** [الكهف- ٢٢]، فكانوا يصفون الرسول مرّة بشاعرٍ، ومرّة بكاهنٍ، ومرّة بمجنونٍ، ومرّة بساحرٍ، وكفروا بالبعث، والنشور، والعذاب، والعقاب، هنا القائل بغير علم كالصيّاد الذي يرمي سهامه **﴿مِنْ مَكَانٍ﴾**: بالظنّ **﴿بَعِيدٍ﴾**: هدفه بعيد فلا يستطيع إصابته، يتهمون الرسول ﷺ بما ليس فيه؛ هنا يوجد تمثيل لحالهم الذي يرمي شيئاً من الصيد ولا يراه.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ (٥٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿حِيلَ﴾**: مُنِعَ وَحُجِرَ **﴿بَيْنَهُمْ﴾**: بين الكُفَّار **﴿وَبَيْنَ﴾**: مُنِعُوا مِنَ الوصول إلى **﴿مَا﴾**: الذي **﴿يَشْتَهُونَ﴾**: قال الحسن البصري: الإيمان، وقال السدي، وابن

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤٦٠/٢ (٣٥٨٨) وقال: صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح البخاري ١٢١/٦ سورة سبأ.

جرير: التوبة، وقال مجاهد: ما في هذه الدنيا من مالٍ، وجاءٍ، وأهلٍ، والظاهر أنه حيل بينهم وبين ما أرادوا في الدنيا، وما تمنوا في الآخرة؛ فمنعهم الحق ﷻ، وهذا منهجٌ مستمرٌ ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿فَعَل﴾: فعل الله ﷻ ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾: مُناصريهم وبأمثالهم ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْل﴾: كما حدث للأمام السابقة، التي كذبت برسلمهم، تمنوا لو آمنوا، فلم تنفعهم الأمانى، ولم يحصلوا على شيءٍ ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿كَانُوا﴾: في حياتهم الدنيا ﴿فِي شَكِّ﴾: عدم يقين ﴿مُرِيب﴾: وهذا هو المرض؛ عدم اليقين، والشك في الدنيا، فلم يُقبل منهم الإيمان عند معاينة الآخرة، قال قتادة: إياكم والشك والريبة؛ فمن مات على شكٍ بُعث عليه، ومن مات على يقين بُعث عليه.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نتبين قدرة الله ﷻ على تغيير حال الخلق إلى حالٍ مغايرٍ، وندرك دور الشكر ودور الكفر، وعلى الإنسان أن يختار ما يريد يوم القيامة.



سُميت بهذا الاسم في كثيرٍ من المصاحف، وكتب التفسير، ووجه التسمية أنه ذُكر في أولها صفةُ الملائكة ولم يحدث هذا في سورٍ أخرى، والسورة مكية بالاتفاق، وترتيبها (٤٣) في ترتيب نزول السور، وعدد آياتها (٤٥) في عدّ أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباعٍ يزيّد في الخلق ما يشاء إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ (١)

﴿الْحَمْدُ﴾: الثناء الجميل ﴿لِلَّهِ﴾: بصفاته التي كلّها أوصاف كمال ﴿فَاطِرٍ﴾: عن ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: " كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بئرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَي ابْتَدَأْتُهَا"^(١)، وقال الضحاك: كلُّ شيءٍ في القرآن هو خالقه ﷻ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: كل ما علا الأرض وأحاط بها كونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿الْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: كلّفهم بمهمة توصيل الرسالة لأنبيائه، يُنفذون أوامره ﴿أُولِي﴾: أصحابٌ ﴿أجنحةٍ﴾: لهم أجنحةٌ للطيران بها بسرعة كبيرة ﴿مثنى﴾: منهم من له جناحان ﴿وثلاث﴾: أجنحة ﴿ورباع﴾: ومنهم من له أربعة أجنحة، ومنهم من له أكثر من ذلك، فجبريل ﷺ، له ستمائة جناحٍ، قَالَ زُرُّ بْنُ حُبَيْشٍ: سَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ

(١) شعب الإيمان ٢١٢/٣ (١٥٥٩).

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم-٩]، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ، (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمَانَةٌ جَنَاحٍ)^(١)؛ وهذا ما يُفسر قوله ﷺ **﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا﴾**: الذي **﴿يَشَاءُ﴾**: يقول السدي: يزيد في الأجنحة، وخلقهم ما يشاء، وقال الزهري: يجعل الصوت حسناً **﴿إِنْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ﴾**: تفيد العموم **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة نكرة لتعزز معنى العموم **﴿قَدِيرٌ﴾**: صاحب القدرة المطلقة التي لا تدانيها قوة.

التكليف: إنَّ التفكير في صورٍ من خلق الله ﷻ من الملائكة كما جاء وصفهم، والنَّاس كما نشاهدهم، والإبداع في الشكل، والتكامل في الوظيفة والأداء يدرك قدرته ﷻ على نصرته أوليائه، فهذه المخلوقات دليلٌ عظيمة خالقها.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)

﴿مَا﴾: حرف نفي **﴿يَفْتَحُ﴾**: يقضي بإطلاق النعم **﴿اللَّهُ﴾**: مفاتيح كلِّ شيءٍ جاء، لفظ الفتح في القرآن على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى القضاء **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿النَّاسِ﴾**: بني آدم **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع **﴿رَحْمَةٍ﴾**: جاءت بصيغة نكرة لتفيد الإشاعة، أي الكثرة، والإبهام، والعديد من المعاني كآية، رزق، مطر، صحّة ولد.. إذا رزق الله ﷻ النَّاسَ من رزقٍ **﴿فَلَا﴾**: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن **﴿مُمْسِكَ لَهَا﴾**: لا يمنعها أحدٌ **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿مَا﴾**: الذي **﴿يُمْسِكُ فَلَا﴾**: تخصيصًا وحثًا على الفعل يفيد النفي **﴿مُرْسِلَ لَهُ مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانيّة **﴿بَعْدِهِ﴾**: فلا أحد يُرسلها إذا قضى الله ﷻ منعها **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾**: المنيعُ صاحب المجد، الذي لا يُغالبه أحدٌ، ولا يُعجزه شيءٌ **﴿الْحَكِيمُ﴾**: صاحب الصواب في أقواله وأفعاله، قال أبو سعيد الخدري: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ النَّبَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ^(٢).

التكليف: الرضا بما قسم الله ﷻ للخلق، واليقين أنّه العلي، يُدبّر الأمر بحكمته لأمرٍ لا يعلمه سواه.

(١) صحيح مسلم ١٥٨/١ (١٧٤)

(٢) صحيح مسلم ٣٤٧/١ (٤٧٧).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (٣)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداءٌ بين المُنادي، وهو الله ﷻ، والمُنَادَى عليهم وهم ﴿النَّاسُ﴾: عموم بني آدم
 ﴿اذْكُرُوا﴾: تأملوا وتفكروا في ﴿نِعْمَتِ﴾: خير الله ﷻ العميم ﴿اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بقلوبكم وعقولكم
 إذ أوجدكم، وخلق لكم السموات والأرض، المتفرد بالخلق والرزق ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام للتقرير،
 بمعنى لا خالق ولا رازق ﴿مِنْ خَالِقٍ﴾: لكم ﴿غَيْرِ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿اللَّهُ﴾: لا أحد،
 ولا كلِّ العالم، قادرٌ على أن يخلق بعوضة ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية
 ﴿السَّمَاءِ﴾: يُرسل عليكم الماء، فتشربون، وتزرعون، وتأكلون، وعلى الماء في الفلك تُحملون،
 لا حياة للإنسان والحيوان والنبات بغير الماء ﴿و﴾: أيضًا ﴿الأرضِ﴾: التي تُنبث لكم الثمرات؛
 ومنها تستخرجون الماء والمعادن؛ الأمر الذي يستدعي الشهادة أنه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهُ﴾:
 معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد
 المذكر يعني هنا حقيقة يقولها الله ﷻ في ذاته، وتشهد بها الخلائق كلها ﴿فَأَنَّى﴾: حرفٌ
 استفهامٌ أفاد الاستبعاد بمعنى كيف ولأي سبب ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: فكيف بعد هذا تُصرفون عن توحيد
 الخالق وعن الإيمان بالحق ولا توحدون الله ﷻ.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنْ﴾: حرف شرط بالتأكيد ﴿يَكْذِبُوا﴾: فيما تقوله من الحق، إنك
 رسول الله ﷻ، وإن الملائكة حق، وإن ما جاؤوا به من الكتاب والسنة حق ﴿فَقَدْ﴾: حدث في
 الماضي ﴿كَذَّبَتْ رُسُلٌ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتفيد الكثرة في العدد وفي الآيات والنذر وفي
 الأعمار والصبر والعزم ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع، يُفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾:
 جاء اللفظ "من" في القرآن على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى في، جاء الرسل، عليهم السلام، للناس؛
 ليوحدهوا الله ﷻ؛ فكذبوهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تُرد ﴿الأُمُورُ﴾: الكلُّ راجعٌ إلى الله ﷻ، موتاً،
 وبعثاً، وثواباً أو عقاباً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٥)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداءٌ من الله ﷻ إلى كلِّ ﴿النَّاسِ﴾: مؤمنهم وكافرهم، أبيضهم، وأسودهم ﴿إِنَّ﴾:
 حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿وَعْدَ﴾: موعد البعث بالثواب وبالعقاب لكل من يستحق ﴿اللَّهُ
 حَقٌّ﴾: اعلموا أن يوم المعاد، يوم القيامة كائنٌ لا محالة ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد
 طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿تَغُرَّنَّكُمْ﴾: لا تخدعكم ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فلا تخدعكم مظاهرُ

الحياة الدنيئة، وملذات، وشهوات الحياة الدنيا إذا ما قُورنت بثواب الحياة الآخرة ﴿و﴾: أيضاً
﴿لا﴾: حرف نهي ﴿يَغْرُنْكُمْ﴾: لا يمددكم بالتأكيد ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهُ الْغَرُورُ﴾: لا
يفتكم الشيطان بتزيين المحارم، ويصرفكم عن اتباع الرسول ﷺ؛ فإن الشيطان غرّار، كذاب،
أفأك؛ فهو الغرور.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦)
﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الشَّيْطَانَ لَكُمْ﴾: تخصيصاً لبني آدم ﴿عَدُوٌّ﴾: إن
الشیطان هو الذي حدّد هذه العلاقة؛ العداوة، عندما قال بشهادة الله ﷻ: ﴿لئن أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَأَخْتِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء-٦٢] ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اتَّخِذُوهُ﴾: وجب عليكم
معاملته ﴿عَدُوًّا﴾: بالأشدّ تكديباً له ومحاربتة ﴿إِنَّمَا﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿يَدْعُو﴾: الشيطان
يغري ويزين ﴿حِزْبَهُ﴾: مهمته أن يأخذ الذين أطاعوه ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَكُونُوا مِنْ﴾:
بعض ﴿أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: ليكون عقابهم في الآخرة مع الشيطان في النار، لا يغادرها أبداً.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧)
تؤكد هذه الآية على خاتمة الآية السابقة ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾:
الذين غطّوا حقيقة الإيمان بالله ﷻ ورسله، عليهم السلام، وأنكروا القيامة وعملوا بما نهى الله
ﷻ عنه ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً وتمليكاً ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لمعصيتهم الله ﷻ، وطاعتهم للشيطان
﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أتبعوا إيمانهم
بالمعمل الصالح للنفس، وللغير، عباداتٍ ومعاملاتٍ بأمر الله ﷻ ورسوله ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً
﴿مَغْفِرَةٌ﴾: يمحو الله ﷻ ذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ﴾: ثوابٌ ﴿كَبِيرٌ﴾: الجنة بما عملوا في طاعة الله ﷻ.
﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ
نُفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨)

﴿أ﴾: حرف استفهام للإنكار وليس للتقرير ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي بمعنى هنا هل
يستوي الذي ﴿زُيِّنَ لَهُ﴾: تجميلاً وترغيباً، هم النصارى واليهود والمجوس والشيوعيون وكل
المنكرين للدين في كلّ زمانٍ ومكانٍ ﴿سُوءٌ﴾: معاداة الرسول ﷻ وقيل هو الشيطان وقيل الإغراء
والإغواء وقيل هم كفرة قريش، وهي تشمل كلّ من هو مثلهم في كلّ زمانٍ ومكانٍ، أصحاب
شرورٍ وأضرارٍ ﴿عَمَلِهِ﴾: هل الذي حسن له الشيطان أعمالهم السيئة كالكفر، والفجور، والفساد،
وظنّ أنّ فيه فائدة ومصلحة له؛ فبإنكار الحقائق الربّانية، والافتراء على الله ﷻ وعلى الرسل
عليهم السلام، بالقول والعمل بالفساد ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿رَأَاهُ﴾: عدّه ﴿حَسَنًا﴾: اعتقد أنه

يُحسن صنْعًا، وما أكثر هؤلاء الذين تعاونوا مع أعداء الدين كالشيوعيين، والصلبيين، واليهود، وغيرهم، وكل الذين حاربوا المسلمين، وساعدوا على احتلال الأجنبي لأراضيهم، وهم يعتقدون أن في هذا مصلحة وطنية، هل ترجو من هؤلاء وأمثالهم خيرًا؟ **﴿فَإِنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿اللَّهُ يُضِلُّ﴾**: يُبطل ويُفسد **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ﴾**: الذي من جنس الإنسان **﴿يَشَاءُ﴾**: إنَّ من قدر الله ﷻ له الضلالة، فلم يدعها ويتوب **﴿فَلَا﴾**: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن **﴿تَذَهَبُ﴾**: تقضي و تزول وتمضي **﴿نَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾**: وبالرغم من أنك يا محمد ﷺ تحبُّ الخير للناس؛ فلا تهلك نفسك حزنًا، لأن النفس إذا ذهبت هلك الإنسان، لا تتحسر على ما أصابهم، ولا تأسف عليهم **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار **﴿اللَّهُ عَلِيمٌ﴾**: يعلم كمال العلم **﴿بِمَا﴾**: اسم موصول هنا بمعنى الذي **﴿يَصْنَعُونَ﴾**: فقد أحاط علمُ الله ﷻ بما عملوا وبما يعملون، وما سيعملون، بالصغيرة والكبيرة، فانظر فضل الله ﷻ.

التكليف: هذه تسليَةٌ ومواساةٌ من الله ﷻ للمؤمن الذي يُحبُّ الخير للناس، ويحزن حتى يكاد يهلك نفسه لأنَّ من الناس من يكفر ويُنكر.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (٩)

من المعلوم أنَّ الميت لا يتحرك، ولا يُنتج، ولا ينفع؛ فبغياب الماء تبدو الأرض ميِّتة، فكيف يحييها الله ﷻ **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد الحال **﴿اللَّهُ﴾**: إنَّ الله ﷻ هو **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ للمفرد، وهنا المقصود الواحدُ الأحدُ الفردُ الصمدُ ﷻ **﴿أَرْسَلَ﴾**: جاءت بصيغة الماضي؛ لأنها غير مرئية، ليست مُشاهدة **﴿الرِّيحَ ف﴾**: بهذا السبب **﴿تُثِيرُ﴾**: هنا مشاهدة، تحمل **﴿سَحَابًا﴾**: يحملُ الرِّيحُ بخار الماء من البحار، فجاءت متكررة **﴿فُسُقْنَاهُ﴾**: سَخَّرَ اللهُ ﷻ الرِّيحَ المحمَّلة ببخار الماء أن تذهب بدون تأخير إلى مكانٍ قدره اللهُ ﷻ، جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث **﴿إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾**: ليس فيه زرع، ولا ماءٌ للشرب **﴿فَأَحْيَيْنَا﴾**: جاء بصيغة الجمع لعظم وحجم الحياة **﴿بِهِ﴾**: بالماء **﴿الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**: جاء اللفظ القرآني "الحياة" على سبعة أوجه؛ هنا بمعنى حياة الأرض؛ أي بالنبات، وعليها تتغذى، وتتمو أجسادُ الإنسان، الحيوان، ويخرجُ النبات، الذي يُحيي به اللهُ ﷻ أجساد الخلق **﴿ك﴾**: حرف تشبيه **﴿ذَلِكَ﴾**: مثل إحياء الأرض بالزرع والنبات؛ هكذا يكون **﴿النُّشُورُ﴾**: البعث للإنسان يوم القيامة، بمعنى الحياة بعد الموت في يوم القيامة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (١٠)

﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾: يصف الله ﷻ ما في نفس الذي يريد أن يرتقي في الدنيا بالمال، والجاه، والمنصب؛ ويظن أن الناس يحققون له ذلك وأيضًا في الآخرة ﴿ف﴾: حرف ربط لجواب الشرط ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: الحقيقة أن العزة والنجاح من الله ﷻ فكل شيء ملك لله ﷻ ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: جاء التعبير "بالصعود" إشارة إلى محل القبول والرضا وما يتبعه من الرفعة والصعود. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْنَاكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ، قَبِضَ عَلَيْهِنَّ مَلَكَ فَصَمَّهِنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَصَعَدَ بِهِنَّ لَا يَمُرُّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَعْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ حَتَّى يَجِيءَ بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ ﷺ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر - ١٠] (١)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ: مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ" (٢) ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾: ومن العمل الصالح أداء الفرائض، يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس ﴿يَرْفَعُهُ﴾: والعمل الصالح ترفعه الملائكة لله ﷻ؛ وهو ﷻ يرفع صاحب الدعاء إن شاء ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿يَمْكُرُونَ﴾: المكْر هو تدبيرٌ وتخطيطٌ لإلحاق الأذى بالغير خفية؛ يتآمرن لفعل ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: إلحاق الشر والضرر، الذين يُدَبِّرُونَ المكائد، ويمكرون بالمؤمنين؛ لمحاولة قتل رسول الله ﷺ ومن هؤلاء: قال مجاهد: المرأون في أعمالهم، وقال ابنُ أسلم: هم المشركون، والمقصود أعم من ذلك، ويدخل الكافرون فيهم، ما مصير هؤلاء ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: في الدنيا أو في الآخرة أو في الدارين ﴿وَمَكْرٌ﴾: أيضًا تآمر ﴿أُولَئِكَ﴾: الكاذبين المفسدين ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا مكرهم ﴿يَبُورُ﴾: يبطل ويفسد زيفهم أمام الناس، لأن قدر الله ﷻ نافذ لا يتغير بحيلهم ومكرهم، ولا يفدهم شيئًا.

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٤٦١ (٣٥٨٩) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح البخاري ٩/١٢٦ (٧٤٢٩).

التكليف: هذه رسالة ربانية مطمئنة للمؤمن، ورسالة مُنذرة مُحذرة للكافرين، ولكل وجهه هو مؤلها؛ فاستبقوا الخيرات.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق فإنَّ ﴿اللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم من غير سابق وجود ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿تُرَابٍ﴾: خلق آدم ﷺ، من ترابٍ ﴿ثُمَّ﴾: كان التتابع الزمني مع التراخي ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾: هي الحيوان المنوي الذي يخرج من الخصية في الرجل إلى مجرى البول، واتحاده مع البويضة التي تخرج من المبيض إلى رحم الأنثى ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: حدّد الله ﷻ جنسكم، ذكرًا أو أنثى، من الجنس نفسه للسكن، والمعاشرة ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تَحْمِلُ﴾: به أمه وقبل أن تضعه ﴿مِنْ أَنْثَى﴾: الجنين في رحمها ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَضَعُ﴾: أي تلد ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِ﴾: بآء المصاحبة ﴿عِلْمِهِ﴾: متى تلد، وكيف تلد، فمنهم من تلد طبيعيًا كما خلق الله ﷻ، ومنهن يُشق بطنها ﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ﴾: بعض ﴿مُعَمَّرٍ﴾: قيل: ما يُعَمَّرُ من النطف، وقيل ما قُضى لبشر أن يطول عمره، وتمتد حياته إلا بقضاء الله ﷻ ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يُنْقُصُ مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية الزمانية، وهي هنا الموت ﴿عُمُرِهِ﴾: ومن يموت صغيرًا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿فِي كِتَابٍ﴾: مُقدّر من الله ﷻ، في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿ذَلِكَ﴾: ما جاء ذكره، إشارةً للبعيد ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهلٌ على صاحب القدرة المطلقة.

التكليف: إنَّ الإيمان الصادق بعد دراسة علوم الخلق والوراثة؛ يقود إلى الرضا بما قدرة ﷻ من الرزق والأعمار.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢)

هنا يضرب الله ﷻ المثل في الكفر والإيمان، أو في الكافر والمؤمن اللذين لا يتساويان في الحسن والقبول والنفعة، البحران يستويان في الصورة، ويختلفان في طبيعة الماء، ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَوِي﴾: لا يتساوى ﴿الْبَحْرَانِ﴾: هذان من فضل الله ﷻ وقدرته ﴿هَذَا﴾: نوع منها ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: وهي مياه الأنهار والآبار؛ عذبة، لا ملح فيها ﴿سَائِغٌ﴾: يطيب ﴿شَرَابُهُ﴾: يستسيغ شربه، واستخدامه للإنسان والحيوان شرابًا ﴿وَهَذَا﴾: البحر المالح ﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: وهي البحار والمحيطات؛ طعمها مالح ﴿أُجَاجٌ﴾: مرٌّ، ذابت فيه من

أملاح الأرض ﴿وَمِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿كَلِّ﴾: من الماء العذب ومن الماء المالح ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: وهي الأسماك، وغيرها من القشريات ﴿و﴾: أيضًا ﴿تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾: وهي اللؤلؤ والمرجان؛ تجارةً وزينةً ﴿و﴾: عطفًا على ما جاء ﴿تَرَى﴾: تشاهد ﴿الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرُ﴾: السفن وهي تشقُّ البحر بمقدمتها التي تشبه منقار الطير وصدرة ﴿ل﴾: لسبب ﴿تَبَتَّعُوا﴾: تطلبوا وترجوا ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿فَضْلِهِ﴾: كرم الله ﷻ وجوده، التجارة، والسفر، والصيد، والتنزه؛ إنَّ فضل الله ﷻ عظيمٌ يومَ عَمَّ نوحًا ﷺ، كيف يصنع السفن، وعلم الإنسان قانون الطفو الذي به أصبحت السفن تسير في البحار بحجم الجبال؛ الأمر الذي يستدعي على كلِّ حالٍ؛ الشكر والحمد والثناء ﴿وَوَلَعَلَّكُمْ﴾: حرف يفيد التوقع والترجي عند البشر ﴿تَشْكُرُونَ﴾: يا ربي لك الحمد في الأولى وفي الآخرة، فإن تشابهه البحران في الشكل، ويختلفان في الصفات والفضل.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣)

﴿يُولِجُ﴾: يُدخل زمن وساعات ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: فيزيد الليل طولًا من فضل الله ﷻ، وقدرته التامة، في فترة الليل فيزيد النهار؛ كيف تغيب الشمس بدورانها عن الأرض؛ وتظهر بدورانها أيضًا؛ فيذهب النهار سلسًا بطيئًا مُتدرِّجًا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿يُولِجُ﴾: يدخل ﴿النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: فيزيد النهار طولًا، ثم تعود دورة اليوم بيزوغ الشمس، ويأتي النهار بالسلاسة، والبطء، والتدرج، مرّةً يطول الليل، ومرّةً يطول النهار في ترتيب، منظم، ومقدّر، بحكمةٍ قدرها الله ﷻ ﴿وَسَخَّرَ﴾: أيضًا أمر ﴿الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ﴾: فأطاع ﴿كُلًّا يَجْرِي﴾: الشمس والقمر وغيرهما الكل يتحركُ بسرعةٍ ﴿ل﴾: حرف يفيد الظرف ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إنَّ هذه الآية تكفي لعلماء الكون أن يؤمنوا كيف يأتي على لسان رجلٍ أميٍّ: أن الشمس والقمر تجريان بهذه الوظيفة البديعة؛ لأجل اليوم واللييلة، إلى يوم القيامة الموعود ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارةً للبعيد العالي المتعالي ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: تعني كلمةُ الرب: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لهذا الكون البديع من طورٍ إلى طورٍ إلى حدِّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالك أمركم كلّه، هذه من صنع الله ﷻ ﴿لَهُ﴾: مالك وصاحب ﴿الْمُلْكِ﴾: مالك هذا الكون ﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبدونهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ من الأوثان ﴿مَا﴾: حرف نفي؛ بغرض التحقير، هم لا ﴿يَمْلِكُونَ مِنْ﴾: شيءٍ قليلٍ بدفع ضررٍ ولا جلب

نفع **﴿قَطْمِيرٍ﴾**: هو الغشاء الرقيق الأبيض الذي يُلَفُّ النواة في البلح مثلاً، وهنا يُعِيد حقايرة الشيء وعدم نفعه فهو لا يُذَكَّر، وأيضاً ما هو من المعبودات كالحجارة، وأصحاب الأفكار الباطلة؛ الذين لا يقدرّون على خلق حتى القشرة الرقيقة الشفافة التي تحيط بنواة التمرة مثلاً.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١٤)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط يا أيها الكافرون **﴿تَدْعُوهُمْ﴾**: إذا دعوتم وناديتهم على أصنامكم، وأوثانكم من الكفار، أو من الأحزاب، أو الدول المجرمة؛ لنجدتكم أو مساعدتكم **﴿لَا﴾**: ينتفي سماعهم **﴿يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾**: وهم الأصنام، ومثلهم الذين يسمعون؛ ولا يستجيبون؛ لأنّ مصلحتهم أولى عندهم **﴿وَلَوْ﴾**: حرف شرط يفيد الاستحالة **﴿سَمِعُوا﴾**: من المشركين والمنافقين والضالين **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾**: ما ساعدوكم، ولا أخذوا بأيديكم؛ لأنهم من ضعاف الخلق **﴿و﴾**: عطفًا على هذا في **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ﴾**: يُنكرون **﴿ب﴾**: حرف باء التوكيد **﴿شِرْكِكُمْ﴾**: يوم الحقيقة العظمى سيتبرؤون منكم، قال ﷺ: **﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾** [مريم-٨٢] **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿يُنَبِّئُكَ﴾**: لا يُخبرك بما هو آتٍ من الحقائق، وبعواقب ومآل **﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾**: لا أحد يُخبرك الحق غير الله ﷻ؛ الذي قدر كل شيء في اللوح المحفوظ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداء للبعيد والقريب **﴿النَّاسُ﴾**: تقييد عموم البشر **﴿أَنْتُمْ﴾**: تحديداً **﴿الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾**: نداءً إلى عموم البشر؛ المؤمن والكافر والمنافق؛ أنتم المحتاجون إلى الله ﷻ في كل شيء في حياتكم **﴿و﴾**: عطفًا على هذه الحقيقة اعلموا أنّ **﴿اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾**: المُتَقَرِّدُ بالغنى وحده في الدنيا والآخرة **﴿الْحَمِيدُ﴾**: المحمود في جميع أفعاله، وأقواله، وقدره، وشرعه.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط **﴿يَشَأْ﴾**: إذا أراد ﷻ **﴿يُذْهِبْكُمْ﴾**: يقضى عليكم ويمحوكم من على وجه الأرض، ويزيلكم تمامًا **﴿وَيَأْتِ﴾**: بغيركم **﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**: يأتي بغيركم، يُقدّر لهم ما شاء، يعبدونه، ولا يشركون به شيئاً.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٧)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي **﴿ذَلِكَ﴾**: إشارة للبعيد أن يذهب بكم، يُدمركم، ويأت بغيركم أمر ليس **﴿عَلَى اللَّهِ ب﴾**: حرف باء التوكيد **﴿عَزِيزٍ﴾**: ليس مُمتنعًا، ولا صعبًا، ولا مستحيلًا على الله ﷻ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَزِرُ﴾: لا تحمل ﴿وَازِرَةٌ﴾: نفسٌ مذنبَةٌ ﴿وِزْرٌ﴾: ذنب نفسٍ ﴿أُخْرَى﴾: لا يُؤَاخِذُ اللَّهُ أَحَدًا بِذَنْبِ آخَرَ ﴿وَإِن﴾: حرفٌ شرطٍ بمعنى إذا ﴿تَدْعُ﴾: تطلب نفسٌ ﴿مُثْقَلَةٌ﴾: بذنوبها وآثامها ﴿إِلَىٰ جَمِيلِهَا﴾: أن تساعدنا نفسٌ أخرى في حمل أوزارها؛ الأب أو الأم، أو الأخ أو الأخت، أو الزوجة، أو الصديق، أو العائلة، أو الحزب، أو الدولة، أو من على الأرض جميعاً ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ﴾: جزءاً أو بعضاً ﴿شَيْءٌ﴾: اليوم نفسي، نفسي ﴿وَلَوْ﴾: حرفٌ يُفيدُ الاستحالة ﴿كَانَ ذَا﴾: صاحب ﴿قُرْبَىٰ﴾: صاحب قرابةٍ أو نسبٍ، قال عكرمة: يتعلق الجار بجاره يوم القيامة، ويتعلق الكافر بالمؤمن الذي ساعده في الدنيا؛ فيطلب منه مساعدة؛ بلا فائدة، ويتعلق الأب بولده؛ يذكره بما فعل له في الدنيا؛ فلا يعطيه؛ خوفاً على نفسه ﴿إِنَّمَا﴾: تخصيصاً وتحديداً ﴿تُنذِرُ﴾: تُخَوِّفُ وتحذِرُ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَخْشَوْنَ﴾: يخافون ﴿رَبَّهُمْ ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْغَيْبِ﴾: في المخفي في السر ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد الحال سبق ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوها على الوجه الصحيح، حقَّ إقامتها ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿تَزَكَّى﴾: من عمل صالحاً، وتطهَّرَ وبخاصةً بدفع الزكاة، ومساعدة الفقراء ﴿فَإِنَّمَا﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿يَتَزَكَّى ل﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِهِ﴾: يجني وحده ثمار إيمانه في الدنيا والآخرة ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: إليه المرجع، والمآب، والمآل، والجزاء يوم القيامة.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (١٩)

هذه حالاتٌ متباينةٌ، يظهر فيها عدم تساويها في المنزلة والمعرفة والعمل ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي بمعنى لا ﴿يَسْتَوِي﴾: يتساوى ﴿الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: ليس الأعمى كالْبَصِيرِ، بينهما فرقٌ كبيرٌ، جاء لفظ "البصر" في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى البصر بالقلب؛ أي البصيرة التي تُدرِكُ الحقيقة، وتؤمن بها. التكليف: هذه حالةٌ تمثل لحال المؤمن وحال الكافر، ليس للتفريق بينهما؛ كالتفريق بين الأعمى والبصير، ولكن القصد هو التنبيه على درجة قبح الكفر، ودرجة حسن وفائدة الإيمان.

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (٢٠)

﴿وَلَا﴾: أيضاً لا تتساوى ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: وما تستوي ظلمات وعمة الكفر ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿النُّورِ﴾: وبين أنوار الهدى، في الأولى عمى، وفي الثانية هدى ورشاد.

﴿وَلَا الظِّلَّ وَلَا الحَرُورُ﴾ (٢١)

﴿وَلَا﴾: أيضاً لا يستوي ﴿الظِّلِّ﴾: الأماكن المظلمة، في البيوت، والأشجار في الدنيا ﴿وَلَا﴾: يستوي مع ﴿الحَرُورِ﴾: وبين الذي في حرّ الشمس، أو بالقرب من النار، كما لا يستوي الذي في الجنة والذي هو في جهنم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ﴾ (٢٢)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَوِي﴾: لا يتساوى ﴿الأَحْيَاءُ﴾: القلوب الحيّة بالإيمان، الذين يعملون ويكسبون بإيمانهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿الأَمْوَاتِ﴾: الأموات الذين ضلّوا الطريق، مثلهم كمثل الذين ماتت قلوبهم ولم تؤمن؛ فهم كالأموات وإن كانوا على سطح الأرض، جاء لفظ الموت في القرآن الكريم هنا بمعنى الضلال؛ كما في قوله ﷺ ﴿وَمَنْ كَانَ مِنِّي فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام-١٢٢] ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: يهدي من يُحبّه إلى سماع الحُجّة؛ فيقبلها، ويؤمن بها، وينقاد لها ﴿وَمَا أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ أو من الدعاة ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿مُسْمِعٍ مَنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، الذين ﴿فِي القُبُورِ﴾: لأن الميت في القبر لا يمكن أن يسمع كما الذي فوقها؛ كما لا ينتفع الميت من كلام الحيّ الذي يدعوّه إلى الإيمان؛ فإنّ الكافر كالميت؛ إذا استمع إلى كلام الهدى من محمد ﷺ لا يهتدي؛ فهو كالذي في القبر. عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِه بِبُكَاءِ أَهْلِهِ» فَقَالَتْ: وَهَلْ؟ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِحَاطِئَتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الآنَ»، قَالَتْ: وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى القَلْبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ: «إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ» إِنَّمَا قَالَ: «إِنَّهُمْ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ»، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ المَوْتَى﴾ [النمل-٨٠]، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ﴾ [فاطر-٢٢] يَقُولُ حِينَ تَبَوَّأُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ (١).

﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٢٣)

(١) صحيح البخاري ٧٧/٥ (٣٩٧٨).

﴿إِنْ﴾: بمعنى ما ﴿أَنْتَ﴾: يُحَدِّدُ اللَّهُ ﷺ لِمَحْمَدٍ ﷺ دَوْرَهُ ﴿إِلَّا﴾: أَسْلُوبُ قَصْرِ جَاءَ بِطَرِيقِ القصر والاستثناء، إِنَّمَا أَنْتَ ﴿نَذِيرٌ﴾: أَنْ تُنذِرَ النَّاسَ، وَتَخَوْفَهُمْ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ، وَتَبَلِّغَهُمْ، لَقَدْ قَصَرَ اللَّهُ ﷺ دَوْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى الإِنذَارِ.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤)

﴿إِنَّا﴾: هِيَ فِي اللُّغَةِ ضَمِيرٌ لِلْجَمْعِ الْمَتَكَلِّمِ الْحَاضِرِ، جَاءَتْ هُنَا مِنْ اللّٰهِ ﷻ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ؛ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّوَكُّيدِ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ، بَعَثْنَاكَ ﴿ب﴾: بَاءُ السَّبَبِيَّةِ ﴿الْحَقِّ﴾: بِدِينِ الْحَقِّ إِنْ تَكَلَّفْنَا لَكَ حَقًّا؛ وَأَنْتَ تَحْمِلُ مَعَكَ الْحَقَّ، وَتَبَلِّغُ بِالْحَقِّ ﴿بَشِيرًا﴾: تَحْمِلُ الْبَشْرَى لِمَنْ يُؤْمِنُ بِكَ، وَيُصَدِّقُكَ، وَيَعْمَلُ بِهَدْيِكَ ﴿و﴾: أَيْضًا أَرْسَلْنَاكَ ﴿نَذِيرًا﴾: تُحَذِّرُ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِكَ، وَلَا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَعُدُّ، وَبِخَاصَّةِ الْعَذَابِ فِي الآخِرَةِ ﴿وَإِنْ﴾: بِمَعْنَى مَا ﴿مِنْ﴾: حَرْفُ بَيَانٍ وَتَمْيِيزٍ لِلنَّوْعِ ﴿أُمَّةٍ﴾: مِنْ بَنِي آدَمَ جَاءَتْ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿إِلَّا﴾: اسْتِثْنَاءٌ ﴿خَلَا﴾: جَاءَهَا سَلْفٌ وَحَدَّثَ فِي الْمَاضِي ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: رَسُولٌ، إِلَّا أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهَا مَنْ يُنذِرُهَا وَيُحَذِّرُهَا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

التكليف: هذه مهمة سامية؛ لا تتوقف على الرسل، عليهم السلام، بل على المؤمنين أيضًا من بعد الرسل، الذين ويبشرون، وينذرون.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢٥)

﴿وَإِنْ﴾: حَرْفُ شَرْطٍ جَاءَتْ مُخَفَّفَةً لِنَفْيِ مَا ﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: إِذَا كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ رِسَالَتَكَ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَكَذَّبُوا أَصْحَابَ وَأَنْصَارَ وَأَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهَذَا لَيْسَ بِالشَّيْءِ الْغَرِيبِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿فَقَدْ﴾: تَحَقَّقَ فِي الْمَاضِي تَأَكِيدًا أَنْ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مُوصُولٌ يَفِيدُ جَمِيعَ ﴿مِنْ﴾: حَرْفُ يَفِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الزَّمَانِيَّةِ ﴿قَبْلِهِمْ﴾: أُمَّةٌ كَذَّبَتْ رُسُلَهُمْ، سَبَقُوا الدَّعْوَةَ الْخَاتِمَةَ إِلَى اللّٰهِ ﷻ ﴿جَاءَتْهُمْ﴾: بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿رُسُلَهُمْ ب﴾: حَرْفُ بَاءِ التَّعْدِيدِ ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: بِالصَّحَفِ، أُبْرِزَ فِيهَا الرِّسَالُ لَهَا الْمَعْجَزَاتُ، الْبَاهِرَاتُ، الْوَاضِحَاتُ ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾: وَأَيْضًا أَهْمَهَا الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ، وَخَاصَّةً الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الْوَاضِحِ الْبَيِّنِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الْحَقِيقَةِ؛ فَأَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا، فَوَجِبَ الْحَذْرُ مِنَ التَّكْذِيبِ فِي الصَّغِيرَةِ قَبْلَ الْكَبِيرَةِ.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٢٦)

﴿ثُمَّ﴾: بَعْدَ مَدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ، لَيْسَ سَرِيعًا ﴿أَخَذْتُ﴾: أَهْلَكْتُ وَأَصْبَبْتُ ﴿الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مُوصُولٌ يَفِيدُ جَمِيعَ مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: مِنْ ذَلِكَ الْجِيلِ، بِعَذَابٍ شَدِيدٍ، وَعِقَابٍ، وَتَنْكِيلٍ ﴿ف﴾: بِسَبَبِ هَذَا ﴿كَيْفَ﴾:

حرفُ استفهامٍ خرج عن معناه الحقيقي لإفادَةِ التهديد، جاء الاستفهام في مقام عدم الرضا **﴿كَانَ﴾**: صار **﴿نَكِيرٍ﴾**: إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟ إذا لم تتعظوا سيحلُّ بكم ما حلَّ بهم من العذاب، كيف كان إنكاري لعلهم وحلول عذابي؛ شديدًا؛ سؤالٌ يحملُ الإجابة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٢٧)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الاستفهام هنا يحمل معنى الأمر، والحثُّ على النظر، والاعتبار من دورة حياة النبات، ألم تر دائماً تُفيدُ الوجد والحزن **﴿أَنَّ﴾**: حرفُ تأكيد الفعل، ونفي الإنكار والشك **﴿اللَّهُ أَنْزَلَ مِنْ﴾**: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية **﴿السَّمَاءِ﴾**: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل **﴿ماءً﴾**: ظاهرة تبخر الماء من البحار والمحيطات والأنهار، فيحمله السحابُ وينشره الريح؛ قال ﷺ: **﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾** [فاطر-٩] **﴿ف﴾**: حرفٌ يفيد السبب **﴿أَخْرَجْنَا بِهِ﴾**: بهذا الماء **﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾**: سقينا به أشجارًا في الأرض فأخرجنا من تلك الأرض، ثمارًا ومأكولاتٍ من النوع الواحد أشكالًا، وألوانًا، وفوائد ومذاقًا **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحال **﴿مِنْ﴾**: بعضًا **﴿الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾**: هي العلامات في الجبال، وقال ابن عباس: هي الطُّرق **﴿بَيْضٌ﴾**: ذات اللون الأبيض **﴿وَحُمْرٌ﴾**: ذات لونٍ أحمر **﴿وَعَرَابِيبُ سُودٌ﴾**: الأصل أن يُقال سود غرابيب؛ لكنه ﷺ عكس في إشارة لشدة السواد. قال عكرمة: وهي الجبال الطويلة السوداء، وقال: ابن جرير: هي وصف شدة السواد؛ قالوا أسودُ غريب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: عطفًا على هذا **﴿مِنْ﴾**: بعض **﴿النَّاسِ﴾**: بني آدم **﴿وَالدَّوَابِّ﴾**: كلِّ ما مشي، دبَّ على رجليه **﴿وَالْأَنْعَامِ﴾**: الإبل، والغنم، والبقر ألوانهم **﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾**: فمن النَّاسِ من هو شديدُ السواد، ومنهم شديدُ البياض، ومنهم من هو بين ذلك **﴿ك﴾**: حرفٌ للتشبيه بمعنى مثل **﴿ذَلِكَ﴾**: إشارةٌ للبعيد؛ وفي الدواب تختلف الألوان والدرجات، وهذه من أدلة قدرته ﷻ **﴿إِنَّمَا﴾**: تحديدًا وتخصيصًا **﴿يَخْشَى﴾**: يخاف **﴿اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**: إنَّ العلماء هم الذين يتفكرون في هذه الظواهر، ويصلون بيقينٍ إلى عظمة الخالق؛ فيخشوه، خشية العالم العارف، قال ابن عباس: "العالمُ بِالرَّحْمَنِ، مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَحَفِظَ وَصِيَّتَهُ، وَأَيَقَنَ أَنَّهُ

مُلَاقِيهِ وَمَحَاسِبِ بَعْمَلِهِ"^(١). قال ابن مسعود: "إِنِّي لِأَحْسَبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا، وَأَنَّ الْعَالِمَ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ ثُمَّ تَلَا ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾"^(٢)، قال الله ﷻ: ﴿اعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد-١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ "وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذَه أخذَ بحظٍّ وافر"^(٣). "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"^(٤) وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر- ٢٨] وَقَالَ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت-٤٣]، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك-١٠]، وَقَالَ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر-٩] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ﴾ [ص-٢٥]^(٥) وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: "لَوْ وَضَعْتُمْ الصَّمْصَمَةَ عَلَى هَذِهِ؛ وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنفَعُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُحِيزُوا عَلَيَّ لِأَنفَعْتُهَا"، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران-٧٩] حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ"^(٦) ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ عَزِيزٌ﴾: منيع، رفيع الشأن، لا يغالبه أحد، ولا يُعجزه شيءٌ ﴿غَفُورٌ﴾: كثير العفو والصفح والمغفرة.

التكليف: هنا فُصرت صفةً على موصوفٍ؛ أي قَصَرَ اللَّهُ ﷻ الخشية منه على العلماء دون الجهلة، وهذه شهادة عزّ للعلماء من الله ﷻ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢٩)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَتْلُونَ﴾: الذين يقرؤون القرآن تعبدًا به؛ جاءت بصيغة الفعل المضارع إشارةً إلى سهولة مصدره ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾: القرآن الكريم، ويعلمون معانيه ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: وجاءت هنا بصيغة الفعل الماضي إشارةً إلى وقوعه مع عدم سهولته بما فيه من صلاةٍ ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا﴾: أيضًا من الذي ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: ودفَعوا الزكاة وأنفقوا من مالهم، وبذلوا من عملهم ﴿سِرًّا﴾: فعل الخيرات جاء التقديم في السر أولاً لأنَّه أفضلُ من العلانية؛ حتى يدرك الإنسان عظيم الأثر، في نفس المعطي

(١) تفسير ابن كثير ٥٤٤/٦.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٦٩١/١ (١٢٢١).

(٣) سنن أبي داود ت الأرنؤوط ٤٨٥/٥ (٣٦٤١) قال الأرنؤوط: حديث حسن بشواهد..

(٤) سنن ابن ماجه ١٥٥/١ (٢٢٣) قال الأرنؤوط: حسن بشواهد.

(٥) سنن ابن ماجه ٤٩/١ (٢٢٠) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٦) صحيح البخاري ٢٤/١ باب العلم قبل القول والعمل.

ونفس الآخذ **﴿وَعَلَانِيَةً﴾**: وفعلوا ذلك في العلن أولئك **﴿يَزْجُونَ﴾**: يتأملون، ويتمنون **﴿تِجَارَةً﴾**:
 والتجارة هي استخدام رأس المال طلبًا للربح المسموح، هي معاملات مالية ثوابًا وأجرًا من الله
 ﷻ **﴿لَنْ﴾**: حرف نفي **﴿تَبُورَ﴾**: لا يضيع ثوابها؛ لا كساد فيه.

التكليف: هؤلاء يؤمنون أنّ الطاعة تجلب الرضا، والرضا يجلب العطاء والله ﷻ كريم.

﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠)

﴿ل﴾: حرف يفيد العاقبة **﴿يُؤْفِقُهُمْ﴾**: يزيد ويضاعف أكثر مما يطلبون **﴿أَجُورَهُمْ﴾**: ثواب ما
 عملوا كاملاً، غير منقوص، وليس قيمة ما قدموا **﴿وَيَزِيدَهُمْ﴾**: يضاعف لهم بالزيادة **﴿مِنْ
 فَضْلِهِ﴾**: ما لم يحتسبوا **﴿إِنَّهُ﴾**: بالتأكيد ﷻ **﴿غَفُورٌ﴾**: يمحو ذنوبهم من صحائف أعمالهم
﴿شَكُورٌ﴾: يشكر قلة العمل إن كان خالصاً لوجهه ﷻ.

**﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾
 (٣١)**

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال **﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾**: من القرآن الكريم **﴿هُوَ
 الْحَقُّ﴾**: الصدق والعدل؛ تُصدّقه **﴿مِنْ﴾**: جنس **﴿الْكِتَابِ﴾**: القرآن الكريم هو الحق مصدقاً
 الكتب السابقة، مثل التوراة، والإنجيل، وتؤكد الحقائق العلمية في كلِّ عصرٍ، وتقبله العقول
 الواعية، وتطبّقهُ النفوس السليمة **﴿لِمَا﴾**: ما حدث في الماضي، بمعنى حين **﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾**: هو
 ما جاء من قبل في الكتب السماوية السابقة **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿اللَّهُ
 ب﴾**: حرف باء السببية **﴿عِبَادِهِ ل﴾**: حرف تأكيد **﴿خَبِيرٌ﴾**: عليم، يعلم ما عملوا وما بأنفسهم
 وما سيعملون **﴿بَصِيرٌ﴾**: معرفة الشاهد المشاهد.

**﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ
 بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢)**

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع مع التباعد الزمني **﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾**: أعطى الله ﷻ كتابه، وهو القرآن
 الكريم، الكتاب العظيم، أعطاه أمّة محمدٍ ﷺ **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿اصْطَفَيْنَا﴾**:
 انتقينا، واخترنا **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع **﴿عِبَادِنَا﴾**: الأمّة التي اخترناها على العالمين،
 وهي أمّة ليست من جنسٍ عملٍ واحدٍ **﴿ف﴾**: بسبب أنّ **﴿مِنْهُمْ﴾**: بعضهم **﴿ظَالِمٌ﴾**: يجورُ
﴿لِنَفْسِهِ﴾: الذي يفعل المحرّمات، ويترك الواجبات، ومنهم المرتكبُ لبعض المحرّمات؛ يظلم
 نفسه بحرمانها من كمال الخير في الآخرة، وقيل إنّ الظالم نفسه ليس من أمّة محمدٍ ﷺ، ولا
 من المصطفين الوارثين للكتاب، قال ابن عباس: هو الكافر، وقال مجاهد: هم أصحاب المشأمة،

وقال الحسن، وقتادة: المنافق **﴿وَمِنْهُمْ﴾**: بعضهم **﴿مُقْتَصِدٌ﴾**: الذي يؤدي الواجبات، ويترك المحرمات، ويترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات **﴿وَمِنْهُمْ سَابِقُ بٍ﴾**: حرف باء المقابلة **﴿الْخَيْرَاتِ﴾**: وهو الفاعل للواجبات، والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات، وبعض المباح **﴿بٍ﴾**: حرف باء السببية **﴿إِنْ﴾**: أمر وسماح **﴿اللَّهِ ذَلِكَ﴾**: إشارة للبعيد **﴿هُوَ الْفُضْلُ﴾**: الكرم **﴿الْكَبِيرُ﴾**: إن القرآن الكريم واصطفاه أمة محمد ﷺ، هو الفضل الكبير، قال ابن عباس: أورثهم الكتاب، كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يُعْفَرُ له، ومقتصدُهم يُحَاسَبُ حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾** [فاطر - ٣٢] قَالَ: هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ^(١).

﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٣٣)
يُخْبِرُ اللَّهُ ﷻ عَنِ الْمُصْطَفِينَ مِنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ؛ وَمَصِيرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ **﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ﴾**: جنات الإقامة والاستقرار الدائمين **﴿يَدْخُلُونَهَا﴾**: يوم قدومهم ومعادهم **﴿يُحَلَوْنَ﴾**: يتزينون **﴿فِيهَا﴾**: في الجنة **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع **﴿أَسَاوِرٍ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾**: قال ﷻ: تَبْلُغُ الْحُلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ^(٢) **﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾**: يلبسون ما كان محظورًا عليهم في الدنيا؛ فقد أباحه الله ﷻ لهم في الآخرة.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤)
﴿و﴾: عطفًا على هذا **﴿قَالُوا﴾**: الفائزون بالجنة من أمة محمد ﷻ **﴿الْحَمْدُ﴾**: الثناء والشكر **﴿اللَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ﴾**: قضى، وأزال وأبعد **﴿عَنَّا﴾**: حرف يفيد البعد والمجاورة **﴿الْحَزْنَ﴾**: من معاني الحزن هو الحزن والموت، الذي أزال الخوف من الحزن ومن الموت عنّا، مما كنا نحذر من هموم الدنيا، ومن الخوف من دخول النار، وقال ابن عباس: كَفَّرَ لَهُمْ كَثِيرًا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَشَكَرَ لَهُمُ الْيَسِيرَ مِنَ الْحَسَنَاتِ **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿رَبَّنَا﴾**: تعني كلمة الرب: المُعْبُودُ، والمُرَبَّى، وهو المنشئ للكون بما فيه ومن فيه إلى حدّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحِيطُ، والمُدَبِّرُ، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمرنا كله **﴿لَغَفُورٌ﴾**: واسع العفو **﴿شَكُورٌ﴾**: كثير الشكر.

(١) سنن الترمذي ٣٦٣/٥ (٣٢٢٥) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) صحيح مسلم ٢١٩/١ (٢٥٠).

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُغُوبٌ﴾ (٣٥)

والحمد موصول؛ عند أهل الجنة لأن الله ﷻ هو ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للمفرد، وهنا المقصود الواحد الأحد ﷻ ﴿أَحَلَّنَا﴾: أنزلنا في ﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾: مكان الإقامة الدائمة، وهي المنزلة التي لا يبعدنا عنها ربنا ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية ﴿فَضْلِهِ﴾: من كرمه ورحمته؛ فأعمالنا لا تساوي هذا الفضل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَنْ يُنَجِّي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا^(١) ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمَسُّنَا﴾: لا يصيبنا في العمق ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿نَصَبٌ﴾: لا نعاني فيها من تعب ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَمَسُّنَا فِيهَا﴾: جاء تكرر الفعل وهو المس؛ للمبالغة في نفي النصب من الخالق صاحب الأمر ﷻ، وهذا الحال في الجنة ﴿لُغُوبٌ﴾: تعبٌ ونصبٌ وعناءٌ جوعٌ وضعفٌ؛ فالنصب واللغوب بالمعنى نفسه؛ قد يكون لا تعب على أجسادهم، ولا تعب على أنفسهم، والله أعلم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: المشهد الآخر؛ مشهد جزاء الكافرين، الذين أخفوا حقيقة الإيمان عن أنفسهم؛ فكفروا بالله ﷻ ورسوله ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً جزاؤهم ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾: العذاب هنا الحريق، فما مدته؟ ﴿لَا﴾: حرف نفي أن ﴿يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾: جاء اللفظ القرآني "قضى" هنا بمعنى نزل بهم وأصابتهم النار؛ أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها؛ فيخفف أو يزول عنهم العذاب ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ﴾: جزء أو بعض ﴿عَذَابِهَا﴾: هؤلاء يسوا؛ فلم يطلبوا الخروج من النار؛ بل يريدون تخفيف عذابها عنهم، وقد جاء في القرآن الكريم ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا مُؤْتُونَ﴾ [الزخرف-٧٧] ﴿كَذَلِكَ﴾: يمثل هذا العذاب ﴿نَجْزِي﴾: نجازي، نعاقب ﴿كُلِّ﴾: جميع ﴿كَافِرٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد كل جاحدٍ لنعم الله ﷻ.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أُولَٰئِكَ نُعَذِّبُهُمْ مَا يُنذَرُونَ﴾ (٣٧)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص، أصحاب النار، أهل جهنم ﴿يَصْطَرِحُونَ﴾: هؤلاء الكفار يجأرون بصراخٍ عالٍ ﴿فِيهَا﴾: في النار يقولون

(١) صحيح البخاري ٩٨/٨ (٦٤٦٣).

﴿رَبَّنَا﴾: اعترفوا اليوم بأنَّ الله ﷻ ربُّهم ﴿أَخْرِجْنَا﴾: من النَّارِ ﴿نَعْمَلْ﴾: يكون العمل مصحوباً بالنية ويكون الفعل مصحوباً بالحواس ﴿صَالِحًا غَيْرَ﴾: حرف استثناء ﴿الَّذِي كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿نَعْمَلْ﴾: يطلبون الرجعة إلى الدنيا؛ ليعملوا عمل المؤمنين، فيأتيهم الرِّدُّ ﴿أَوْلَمْ﴾: جاء الرِّدُّ استفساراً بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿نُعْمِرْكُمْ﴾: يرُدُّ اللهُ ﷻ عليهم؛ لقد أعطيناكم في الحياة الدنيا عمراً، وأمهلتم في الحياة الدنيا، قيل في مدَّة العمر سبع عشرة سنة، وقال قتادة: وإن فيهم ابن ثمانى عشرة سنة، وقال وهب بن منبه: عشرين سنة، وقال الحسن ومسروق أربعين سنة وقال ابن عباس: وهو العمر الذي أعطي لآدم ﷺ، ولقد أعدناكم لتعلموا ما عملتم من قبل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَعْدَرَ اللَّهُ إِلَىٰ أَمْرِي أَحْرَّ أَجَلَهُ، حَتَّىٰ بَلَغَهُ سِتِّينَ سَنَةً»^(١) ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ ﴿فِيهِ مَنْ﴾: الذي من العاقلين ﴿تَذَكَّرُ﴾: تنفعه الموعظة، لو انتفعت من الوقت في الحياة؛ لانتعتم إذا أرجعناكم ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾: قال ابن عباس، والسدي: هو الشيب، وقال السدي، وعبد الرحمن: جاءكم الرسول ﷺ ﴿ف﴾: بسبب كفركم ﴿تُوقُوا﴾: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أن كل أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها ﴿فَمَا﴾: ليس ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿النَّظَالِمِينَ﴾: لأنفسهم بكفرهم ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿نَصِيرٍ﴾: ليس للكافرين من مُنقذٍ أو مُخلصٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٨)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ عَالِمٌ﴾: يعلم علم الخالق ﴿غَيْبٍ﴾: ما يغيب في ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ما يغيب عنه ﷻ ما في ﴿الْأَرْضِ﴾: إنَّ الذي أوجد السماوات والأرض من عدم يعلم الغيب فيها، علم الخالق الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿إِنَّهُ﴾: هو الله ﷻ ﴿عَلِيمٌ بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿ذَاتِ﴾: جوهر، حقيقة ﴿الصُّدُورِ﴾: القلوب ويعلم ما تُكنه صدور الخلق، وما في الضمائر، من الخير ومن الشر، ولا يحتاج إلى شهود.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣٩)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، وهنا المقصود، الواحد، الأحد، ﷻ ﴿جَعَلَكُمْ﴾: جعل بعضكم ﴿خَلَائِفَ﴾: تخلفون، تأتون بعد من سبقكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: يذهب جيلاً ويخلفه جيلاً آخر، وهكذا، لا أحد

(١) صحيح البخاري ٨/٨٩ (٦٤١٩).

خالدٌ من البشر ﴿فَمَنْ﴾: حرفٌ استفهامٌ استثنائي الذي من جنس العاقل ﴿كَفَرَ﴾: أخفى وأنكر ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿عَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: إن الذي غطى الإيمان، ولم يُصدق، سيجني عقاب كفره، سيقع عليه جُرمه ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ﴾: والذين صمموا على الكفر، واستمروا فيه ﴿عِنْدَ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية ﴿رَبِّهِمْ﴾: فهو مالك أمرهم كله ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء ﴿مَقْتًا﴾: فجزاء كفرهم كرهًا شديدًا من الله ﷻ في الدنيا؛ فقد تحدث في الدنيا، ولكن خسارته في الآخرة عظيمة ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَزِيدُ﴾: يراكم ويكثر ﴿الْكَافِرِينَ﴾: المنكرون أصول الإيمان ﴿كُفْرَهُمْ﴾: جودهم وعصيانهم عن طاعة الله ﷻ ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء ﴿خَسَارًا﴾: خسارة ثواب العمل في الدنيا؛ فيدخل النار خالدًا فيها.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤٠)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٌ يفيد الاستنكار ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني كمن شاهد عن ﴿شُرَكَاءَكُمُ﴾: قل يا محمد للكافرين هل شاهدتم الأصنام والأنداد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبدونهم تطيعونهم ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: الذين عبدتموهم، وعصيتم الله ﷻ من أجلهم ﴿أَرُونِي﴾: أخبروني خبر مشاهدة ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾: أوجدوا من غير سابق وجود ﴿مِنْ﴾: بعض ﴿الْأَرْضِ﴾: هل خلقوها، أو خلقوا أرضها، وبحرها؛ والإجابة لا شيء ﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَهُمْ﴾: يملكون ﴿شِرْكٌ﴾: هل لهم شركاء ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ والإجابة ليس لهم من ذلك شيء ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾: هل أعطينا المشركين ﴿كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ﴾: فيه حُجَّةٌ على صدق عبادتهم لأصنامهم، يقرؤونه، ويفهمونه، ويطيعونه إذ يأمرهم بالشرك والكفر؛ والإجابة لا ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿إِنَّ﴾: بمعنى ما ﴿يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ﴾: جزء منهم ﴿بَعْضًا﴾: إنما يعد ويمني الكافر شريكه في الكفر ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء ﴿غُرُورًا﴾: خداعًا، وكذبًا، وباطلاً، وزورًا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١)

﴿إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿اللَّهُ يُمْسِكُ﴾: هو ﷻ الذي يُثبِتُ، وغفلوا عن أن تكون تلك القوى؛ وهي الجاذبية، والطرْد المركزي؛ التي يمسك الله ﷻ بها السماوات والأرض قد جعل داخل كل واحدٍ منّا شيئاً منها ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا يمسك ﴿الْأَرْضِ﴾:

سليم يا محمد من شركائكم من الأرض وضع القوانين التي تضبط العلاقة بين مكونات السموات والأرض، عمليات الطرد المركزية المتساوية مع الجاذبية الكلّ يدور في نظامٍ بديعٍ ﴿أَنَّ﴾: حرفُ تأكيدِ الفعلِ ﴿تَزُولًا﴾: إنَّ اللهَ ﷻ يمنعُ أنْ تختلَّ أو تضطرب عن دورانها ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لِنِّينَ﴾: تُفيدُ الشرطَ والسببَ ﴿زَالِنَا﴾: إذا حدث الخلل؛ فلا يقدر على دورانها وإيقافها إلا هو ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿أَمْسَكُهُمَا﴾: ثبتهم في مجالات دورانهم، إنَّ هذه القوة التي تُمسك الكون جعل الله ﷻ منَّا نحن البشر شيئًا منها ونفخنا فيه من روحنا هي الشاحنة أو البطارية التي وهبها الله ﷻ للإنسان ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿أَحَدٍ﴾: واحدٍ ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يُفيدُ هنا بداية الغاية الزمانية، وهي هنا الزوال ﴿بَعْدِهِ﴾: لا يفعل ذلك أحدٌ غيره، ﷻ ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿كَانَ﴾: وسيبقى دائمًا أبدًا ﴿حَلِيمًا﴾: رؤوفا بعباده ﴿عَفُورًا﴾: مسامحًا للذنوب والمعاصي، قابلاً للتوبة عن عبْدِ الله، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ وَالْأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(١).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَنَكُونُنَّ أَهْدَى مِنَ الْإِنسَانِ الْأُولَى فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤٢)

يكشفُ اللهُ ﷻ أخلاق الكافرين في وعودهم، قريش، والعرب وغيرهم من بعدهم الذين على شاكلتهم إلى يوم القيامة ﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿أَقْسَمُوا﴾: حلفوا ﴿بِ﴾: حرف باء القسم ﴿اللَّهُ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: مُؤكدين، مُغلظين، جاهدين في القسم على أنفسهم بمشقةٍ، قَسَمًا مُغلظًا ومُوكَّدًا، وكان ذلك قبل بعثة الرسول ﷺ ﴿لِنِّينَ﴾: حرف شرط بمعنى إذا ﴿جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رسولٌ ينذرهم ويبصرهم ﴿لِ﴾: بالتأكيد ﴿يَكُونُنَّ﴾: يصيرون بالتأكيد ﴿أَهْدَى﴾: أكثر هدى ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿إِحْدَى﴾: واحدة من ﴿الْأُمَّمِ﴾: سيكونون مؤمنين أكثر من جميع الأمم، الذين جاءهم رُسُلُهُم، مثل اليهود والنصارى وغيرهم ﴿فَلَمَّا﴾: وبتتابع بسبب ذلك ﴿جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: فلما بعث اللهُ ﷻ محمدًا ﷺ فيهم رسولًا، بأعظم كتاب، وأوضح بيان، القرآن الكريم؛ كان رُدُّهم ﴿مَّا﴾: حرف نفي ﴿زَادَهُمْ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿نُفُورًا﴾: ازدادوا كُفْرًا، وتعنتًا، وتمسكًا بالباطل.

(١) صحيح البخاري ١٣٤/٩ (٧٤٥١).

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣)

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: أصبح طلب التعالي والتكبر في الأرض على الإيمان مطلبًا ومقصودًا، بديلاً عن اتباع آيات الله ﷻ، خداعًا للناس، ولم يكتفوا بل عمدوا إليه ﴿و﴾: أيضًا ﴿مَكْرَ﴾: كيد وتدبير وإلحاق الضرر والأذى بغيرهم خفية ﴿السَّيِّئِ﴾: استخدموا أسوأ الطرق لصد الناس عن الإيمان، المكر، والكيد الضار، للنفس وللآخرين ﴿و﴾: عطفًا على هذا فليعملوا أنه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَحِيقُ﴾: يحيط ﴿الْمَكْرُ﴾: الكيد ﴿السَّيِّئِ﴾: الذي يُسبب الشرّ والضرر ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَهْلِهِ﴾: فلا يجني صاحبُ المكرِ السيئِ إلا وبال ما مكر، على نفسه دون غيره، قال القرطبي: ثلاثٌ من فعلهنّ لم ينجح حتى ينزل به: من مكر، أو بغي، أو نكث؛ وقد جاء في القرآن: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس-٢٣]، وقال ﷺ ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح-١٠] ﴿فَهَلْ﴾: حرف يُفيد الاستفسار بغرض النفي ﴿يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿سُنَّتِ﴾: قوانين وقواعد ثابتة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: فهل ينتظر المستكبرون إلا العذاب الذي نزل بأمثالهم؛ لن يُحقيق بهم إلا سنن الذين سبقوهم من المكذبين للرسول؛ هذه قوانين ﴿فَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَجِدَ لِ﴾: نفي الوجدان مع أنّ الأبلغ أن ينفي التبدل، والمعنى لن تتبدل سنة الله ﷻ ﴿سُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: إنّ قوانين الله ﷻ لا تتبدل ﴿وَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾: وهنا نفي تغير السنة، لن تتحول العذابات عنهم، ولا يكشفها عنهم أحدٌ، ولا ينصرهم أحدٌ.

﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤)

﴿أَوْلَمْ﴾: حرف استهتامٍ بغرض الحث والتشجيع ﴿يَسِيرُوا﴾: يبحثوا ويدرسوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: سل يا محمد ﷺ قريشًا ألم يبحثوا في تاريخ الذين سبقوهم؟ ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿يَنْظُرُوا﴾: فلیدرسوا، ويتأملوا، ويستخلصوا العبر ﴿كَيْفَ﴾: حرف استهتامٍ يُفيد التعجب والاستتكار ﴿كَانَ﴾: في السابق ﴿عَاقِبَةُ﴾: نهاية ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: كيف دمر الله ﷻ عليهم قراهم، وكيف أغرقهم، وكيف أرسل عليهم ريحًا، وكيف خسف بهم ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿كَانُوا﴾: في الماضي ﴿أَشَدَّ﴾: أمتن وأصلب ﴿مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: كانت ممتلكاتهم المادية كبيرة؛ أكبر من قريش؛ فماذا أغنى عنهم مالهم، وأولادهم وقوتهم؟ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ اللَّهُ لِ﴾: حرف سببٍ ﴿يُعْجِزُهُ﴾:

يفوته أو يمنعه ﴿مَنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع، بعض أو جزء ﴿شَيْءٍ﴾: تفيد عموم الخلق ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: هل توجد قوة في السماء أو في الأرض تمنع أو تُعيق إرادة الله ﷻ، والإجابة: لا ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿كَانَ﴾: ويبقى بلا نهاية ﴿عَلِيمًا﴾: لا يغيب عن علمه شيء، علِيمٌ أشمل العلم، بعباده في كلّ الكائنات ﴿قَدِيرًا﴾: شديد القدرة؛ فله القوة جميعًا.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٤٥)

﴿وَلَوْ﴾: حرف شرط ﴿يُؤَاخِذُ﴾: لو يعاقب ﴿اللَّهُ النَّاسَ﴾: في الدنيا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَسَبُوا﴾: بما اقترفوا من ذنوبٍ صغيرةٍ وكبيرةٍ ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾: فوق الأرض ﴿مَنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿دَابَّةٍ﴾: قال سعيد بن جبیر، السدي: لم يترك، وما بقي على وجه الأرض نفسٌ إلا هلكت، ومعهم دوابهم، ولذهب رزقهم؛ ولما سقام المطر؛ فتموت جميع الدواب ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لَكِنَّ﴾: حرف استدراك ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يؤجل الله ﷻ مصيرهم ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾: موعد ﴿مُسَمًّى﴾: مُحددٍ ومكتوبٍ إلى يوم القيامة؛ فمنهم من يتوب، ومنهم من يأبى ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب والسرعة ﴿إِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَ﴾: حلّ موعدٍ ﴿أَجَلُهُمْ﴾: إذا انقضت أعمارهم، وإذا انقضت الحياة على وجه الأرض، وجاء الكلُّ إلى يوم القيامة ﴿فَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿اللَّهُ كَانَ﴾: ويبقى بلا انقطاع ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿عِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: يعلم علم الشاهد، وهذا من أبلغ التحقيق، وعندها سيجزي الصادقين بصدقهم، ويُدخلهم جنّته، ويعاقب أهل المعصية بما يستحقون، ويدخلهم جهنّم والعياذ بالله.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك قدرة الله ﷻ في كلّ شيء، التي تقود المؤمن إلى خشيته؛ والعمل على طاعته؛ وتجنب غضبه، ﷻ.



سمّيت بهذا الاسم لأنها انفردت به، وهي سورة مكّيّة، وهي السورة رقم (٤١) في ترتيب السور، نزلت بعد سورة الجنّ قلّ أوحى إليّ وقبل سورة الفرقان، وعدد آياتها (٨٣) عند الكوفيين.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يس﴾ (١)

﴿يس﴾: اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن حرف الياء ﴿ي﴾: حرفٌ يُفيد في اللغة العربية نداء، أرى والله أعلم، أنها جاءت كنداءٍ من الله ﷻ. وحرف ﴿س﴾: حرفٌ يُفيد تحقق الفعل والقول في المستقبل، والمنادى عليه هنا محمد ﷺ، وما يعزز هذا ما جاء في الآية (٣) ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ والضمير لم يسبقه اسم، فالضمير يعود على محمد ﷺ وهو القسم الذي يفيد التحقق، وجاء في الآية رقم (٤) ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وفي الآية (٥) ﴿تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ والقرآن نزل على محمد ﷺ، وجاء في الآية (٦) ﴿لِتُنذِرَ﴾: يا محمد: ﴿قَوْمًا﴾، قومٌ محمدٍ وبقية الآيات تؤكد هذا المعنى.

﴿والقرآن الحكيم﴾ (٢)

﴿و﴾: حرف واو القسم ﴿القرآن﴾: يُقسمُ الله ﷻ بالقرآن الكريم؛ لمحمد ﷺ بالقرآن، خاتم الكتب السماوية؛ والغرض هو نفي الشك ﴿الحكيم﴾: ذي الحكمة، المُحكّم العجيب في نظمه، البديع في معانيه، السامي في هدايته للبشر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. التكليف: إن قسم الله ﷻ؛ يدلُّ على عظم ما سيأتي بعد القسم، وهو محمد ﷺ.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣)

﴿إِنَّكَ﴾: أنت يا محمد ﷺ بالتحديد وأكثر من مجرد التحديد ﴿ل﴾: حرف تأكيدٍ إضافي؛ يسمى التأكيد الإنكاري لأن المُخاطب مُنكر ﴿مِنَ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية، أنت من ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: يقول الله ﷻ نشهدُ أننا أرسلناك رسولاً من عندنا، وهذا جواب القسم.

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤)

﴿عَلَىٰ﴾: حرف يفيد الاستعلاء الحقيقي، نشهد أنك يا محمد ﷺ على ﴿صِرَاطٍ﴾: منهجٍ وطريقٍ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾: منهجٍ سليمٍ، ودينٍ قويمٍ، وشرعٍ لا عوج فيه.

﴿تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٥)

﴿تَنْزِيلِ﴾: يشهد الله ﷻ أنه ﷻ الذي أنزل القرآن على محمد ﷺ من ﴿الْعَزِيزِ﴾: المنيع الذي لا يُغالب، والذي لا يُعجزه شيءٌ، ربُّ العزّة، والسلطان العظيم ﴿الرَّحِيمِ﴾: واسعُ الرحمةِ بالمؤمنين.

التكليف: إن اتباع الذي لا يغلبه أحدٌ، وصاحب الرحمة الواسعة مغنماً في الدنيا وفي الآخرة.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ (٦)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تُنذِرَ﴾: تحذّر وتخوّف من يكفر بما أنزل إليك وهم ﴿قَوْمًا﴾: جماعة من أصلٍ واحدٍ، هم العرب في البداية ﴿مَّا﴾: حرف نفي ﴿أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾: لم يُرسل إلى آبائهم وأجدادهم رسولاً، ولم يُنزل عليهم كتاباً من قبل هذا القرآن ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿غَافِلُونَ﴾: لا يعلمون، لاهون، غائبون عن الحق، كشأن كلِّ أمةٍ لم تصلها رسالة صادقة.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧)

﴿لَقَدْ﴾: دليلٌ تحقّق في الماضي ﴿حَقَّ﴾: وجب ﴿الْقَوْلُ﴾: قال ابن جرير: وجب العذاب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾: لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، ﴿فَهُمْ﴾: بسبب ما جاء سابقاً، يُخبر الحقّ ﷻ أنّ غالبية هؤلاء ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: لا تطمئن ولا تخشع قلوبهم لعبادة الله ﷻ، بل يكفرون يغطون حقيقة الخالق، ولا يُصدّقون رسوله ﷺ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ (٨)

﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿جَعَلْنَا﴾: قدر الله ﷻ بعلمه ما سينزل على هؤلاء من عذابٍ، محتومٍ عليهم الشقاء، جاءت بالجمع، والله واحدٌ أحد؛ للتضخيم من العذاب ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: كأنه وُضعت ﴿أَغْلَالًا﴾: الأصفاد التي هي على هيئة طوقٍ حول أعناقهم، رُبّطت أيديهم إلى أعناقهم بسلاسل من حديد ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿هِيَ﴾: أيديهم ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾: مغلوطة إلى تحت أعناقهم ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿هُمْ﴾: تحديداً ﴿مُقْمَحُونَ﴾: صارت رؤوسهم مرفوعةً وأبصارهم مخفضة؛ وبذلك لا يستطيع أن يفعل شيئاً، وفيها أقوال: اكتفى الله ﷻ بذكر الأغلال في العنق، ولم يذكر اليدين، وقال ابن عباس: المُقمح هو المرفوع الرأس؛ كالذي يشرب، وقال مجاهد: مقمحون؛ رفع الرأس والأيدي على أفواههم.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٩)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿جَعَلْنَا﴾: قدرنا، والقائل هو ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمامهم ﴿سَدًّا﴾: حاجزاً قال مجاهد: عن الحقّ ﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌّ يُفيد الحال ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: هنا تشبيهٌ لحالهم كالموجود بين سدين؛ لا يستطيع أن ينفذ منهما ولا يهتدي إلى سبيله، قال مجاهد: فهم يترددون، وقال قتادة: يتيهون في الضلالات ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد السبب والتتابع السريع ﴿أَغْشَيْنَاهُمْ﴾: كأنّ على أعينهم أغشيةً تحجب الرؤية،

بمعنى جعلناهم كالعمي **﴿فَهُمْ﴾**: تحديداً **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُبْصِرُونَ﴾**: عُمي، لا يرون؛ كالذي لا ينتفع بالبصر؛ فلا يهتدي لشيء، هذا السدُ بينهم وبين الإسلام والإيمان.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠)

﴿و﴾: عطفاً على هذا **﴿سَوَاءٌ﴾**: لا تغيير **﴿عَلَيْهِمْ﴾**: النتيجة واحدة، جاء اللفظ القرآني "سواء" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى تفسير قراءته؛ وكما يقول ﷺ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [البقرة-٦] **﴿أ﴾**: حرف استفهام بغرض الإنكار عليهم **﴿أُنذِرْتَهُمْ﴾**: هل خوفتهم يا محمد ﷺ حدّرتهم ووعظتهم بخسارة الدنيا والآخرة **﴿أَمْ﴾**: أو **﴿لَمْ﴾**: حرف نفي **﴿تُنذِرْهُمْ﴾**: يستوي عند هؤلاء الكفار تحذيرك أو عدم تحذيرك لهم وإذا لم تُحذِرْهم فالنتيجة واحدة **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُونَ﴾**: ختم الله ﷻ على قلوبهم الضلال.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١١)

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر مركبة تقيّد التحديد والتخصيص **﴿تُنذِرُ﴾**: إن الذي ينتفع بذكر العقاب والتذكير بالإيمان **﴿مَنِ﴾**: هو الذي من جنس العاقل، البشر **﴿اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾**: أخذ القرآن الكريم منهجاً **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿خَشِيَ﴾**: وهنا إشارة إلى تأكد الأمر بالخوف، وأنّ المُكَلَّف إذا أطاع واتبع لا يكتفي بطاعته ويركن إليها؛ بل يبقى خائفاً؛ يفوده خوفه إلى الطاعة، ويبقى أيضاً خائفاً من الله ﷻ **﴿الرَّحْمَنَ ب﴾**: حرفُ باء المُصاحبة **﴿الغَيْبِ﴾**: خاف واتقى غضبه في السرّ، حيث لا يراه أحدٌ إلاّ الله ﷻ **﴿ف﴾**: بسبب هذه الخشية **﴿بَشِّرْهُ﴾**: أخبره بما يسره ويُسعدُه **﴿ب﴾**: حرف باء السبب **﴿مَغْفِرَةٍ﴾**: بما يحب هي محو الذنوب **﴿وَأَجْرٍ﴾**: ثواب **﴿كَرِيمٍ﴾**: واسع جميل، وهو دخول الجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١٢)

﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد **﴿نَحْنُ﴾**: الله عزّ وجلّ، جاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم **﴿نُحْيِي الْمَوْتَى﴾**: يوم القيامة، ونحْيي قلوب الذين ماتت قلوبهم بالضلالة، في الدنيا، فنهديهم إلى الإيمان **﴿و﴾**: عطفاً على ذلك **﴿نَكْتُبُ﴾**: نَسْجَلُ في صُحُفِهِمْ **﴿مَا﴾**: الذي **﴿قَدَّمُوا﴾**: ما عملوا من الصالحات ومن السيئات **﴿و﴾**: أيضاً نَسْجَلُ **﴿آثَارَهُمْ﴾**: الأعمال التي عملوها بأنفسهم، وأعمال الذين اتبعوهم من بعدهم، ونجزي؛ إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، وقال: مجاهد: ما أورثوا من الضلالة، وقال سعيد بن جبیر: ما سنّوا من سنّةٍ فعل بها قومٌ من بعد موتهم، وقيل آثار خُطاهم إلى الطاعة أو المعصية، خطاهم وأرجلهم، المشي من البيوت إلى المساجد، عن أنسٍ

بِنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا بَنِي سَلَمَةَ أَلَا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ: فِي قَوْلِهِ: «وَنُكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ» [يس-١٢]، قَالَ: «خُطَاهُمْ»^(١)، قَالَ أَنَسٌ: أَنَّ بَنِي سَلَمَةَ أَرَادُوا أَنْ يَتَحَوَّلُوا عَنْ مَنَازِلِهِمْ فَيُنزِلُوا قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْرُوا الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: «أَلَا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ» قَالَ مُجَاهِدٌ: «خُطَاهُمْ آثَارُهُمْ، أَنْ يَمْشَى فِي الْأَرْضِ بِأَرْجُلِهِمْ»^(٢)، **﴿وَكُلٌّ﴾**: تُعِيدُ الْعُمُومَ **﴿شَيْءٍ﴾**: جَاءَتْ بِصِيغَةٍ نَكْرَةً لِتؤكد العموم **﴿أَخْصَيْنَاهُ﴾**: جَمَعْنَاهُ **﴿فِي﴾**: صَاحِفُ التَّسْجِيلِ **﴿إِمَامٍ مُبِينٍ﴾**: كِتَابٌ وَاضِحٌ هُوَ أَمُّ الْكِتَابِ، هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ جَاءَ اللَّفْظُ الْقُرْآنِيُّ "إِمَامٌ" هُنَا بِمَعْنَى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ **﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهَنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يِنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة-١٢٤].

التكليف: على كلِّ عاقلٍ أَنْ يَحَاسِبَ نَفْسَهُ؛ لِيَكُونَ قَدْوَةً خَيْرٍ فِي حَيَاتِهِ، وَيَفُوزَ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ مَمَاتِهِ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٣)

﴿و﴾: أَيْضًا **﴿اضْرِبْ﴾**: اذْكَرْ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ **﴿لَهُمْ﴾**: تَخْصِيصًا لِقَوْمِكَ الْمَكْدِبِينَ، وَهِيَ سُنَّةٌ جَارِيَةٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ **﴿مَثَلًا﴾**: قِصَّةٌ تَكُونُ لَهُمْ عِبْرَةً **﴿أَصْحَابَ﴾**: سَكَانُ وَأَهْلُ **﴿الْقَرْيَةِ﴾**: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَكَرَتْ قِصَّةُ مَدِينَةِ أَنْطَاكِيَّةِ وَكَانَ بِهَا مَلِكٌ اسْمُهُ أَنْطَقِيْسُ، كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ **﴿إِذْ﴾**: حَرْفٌ يَفِيدُ الظَّرْفَ، تَحَقَّقَ فِي الْمَاضِي، يَوْمَ **﴿جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾**: أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِمْ رَسُولَيْنِ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ (١٤)

﴿إِذْ﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ السَّبَبَ تَحَقَّقَ فِي الْمَاضِي **﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾**: رَسُولَيْنِ لَدَعَوْتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ وَتَرَكَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ **﴿ف﴾**: بِسَبَبِ ذَلِكَ وَفِي تَتَابُعٍ سَرِيعٍ **﴿كَذَّبُوهُمَا﴾**: لَمْ يَصَدَّقُوهُمَا **﴿فَعَزَّزْنَا﴾**: أَضْفَعْنَا وَقَوَّيْنَا **﴿ب﴾**: حَرْفُ بَاءِ التَّعَدِيدِ **﴿ثَالِثٍ﴾**: إِنَّ الْكَثْرَةَ هُنَا لَيْسَتْ فِي الْعَدَدِ مِنَ الْأَشْخَاصِ، بَلْ فِي تَعَدُّدِ الْأَدْلَةِ وَالْبِرَاهِينِ **﴿فَقَالُوا﴾**: فَكَذَّبُوا الْجَمِيعَ؛ فَأَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ الرَّسُولَ الثَّلَاثَ وَقَالُوا **﴿إِنَّا﴾**: ضَمِيرٌ لِلْجَمْعِ الْمُتَكَلِّمِ الْحَاضِرِ، جَاءَتْ هُنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ؛ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّوَكِيدِ **﴿إِلَيْكُمْ﴾**: خَاصِيًّا **﴿مُرْسَلُونَ﴾**: الْمُرْسَلُونَ مِنْ رَبِّكُمْ.

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (١٥)

(١) صحيح البخاري ١٣٢٢/١ (٦٥٥).

(٢) صحيح البخاري ١٣٢٢/١ (٦٥٦).

﴿قَالُوا﴾: هم الكفار ﴿مَا﴾: ننفي أنكم رسلُ الله ﷺ ﴿أَنْتُمْ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بَشَرٌ﴾: من بني آدم ﴿مِثْلَنَا﴾: رجالٌ من الإنس مثلنا، لا ميزة لكم علينا، فلماذا يُنزلُ عليكم ولم يُنزل علينا، وهذه من سنن المستكبرين في كلِّ زمانٍ؛ جاء في المعنى: ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن-٦] ﴿و﴾: وعطفًا على هذا نقول ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ﴾: جزءًا أو بعضًا ﴿شَيْءٍ﴾: وأنكروا ما حمل الرُّسل من الآيات، وكأنَّ الكفار يعرفون ما يُنزل الله ﷻ، ولأنَّ قلوبهم كافترةً افتروا، واتهموا المرسلين ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديدًا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿تَكْذِبُونَ﴾: أنتم تكذبون فلم ينزل عليكم وحي.

التكليف: إنَّ من أدوات بعض الكافرين التظاهر بالإيمان بالله، ويُبطلون التسليم بالادعاء أنَّه ﷻ لم ينزل الوحي وإنَّ أنزله ﷻ على رسله ينكرون كلَّ ذلك بتكذيب الرُّسل، وسؤالهم عن المعجزات.

﴿قَالُوا رَبَّنَا يَغْلَمُ إِنَّا إِنِّيكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (١٦)

﴿قَالُوا﴾: المرسلون الثلاثة بعدما سمعوا افتراء الكافرين ﴿رَبَّنَا﴾: تعني كلمة الرَّبِّ: المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ لهذا الكون من طورٍ إلى كورٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمرنا كلِّه ومالك كلِّ شيءٍ ﴿يَغْلَمُ﴾: علم يقين ﴿إِنَّا﴾: هي في الأصل ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الرسل بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿إِنِّيكُمْ ل﴾: حرفُ علَّةٍ وسببٍ للقسم والتأكيد ﴿مُرْسَلُونَ﴾: يكفيننا أن الله ﷻ يعلم صدقنا، ولو كذبنا على الله ﷻ لانتقم منا، ولكن تكذيبكم لنا لا يُخيفنا، ويكفيننا هذا حُجَّةً عليكم.

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٧)

﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يُفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿عَلَيْنَا﴾: لسننا مكلفين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء بمعنى غير ﴿الْبَلَاغُ﴾: أن نبلغكم رسالة ربكم ونقول لكم بوضوح، ﴿الْمُبِينُ﴾: الكلام الواضح الصريح، فإنَّ استجبتم فزتم، وإنَّ رفضتم فستعلمون عاقبة تكذيبكم ولو بعد حين؛ فماذا قال العاصون؟

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨)

هذه المناظرة مستمرة إلى يوم الدين، اللجوء إلى العنف من الكافرين عندما يُهزمون بحجة اللسان والفعل ﴿قَالُوا﴾: أهل القرية الكفار ﴿إِنَّا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الكافرين بصيغة الجمع؛ للتوكيد ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: قال قتادة: أنتم سُؤمٌ علينا؛ فإنَّ أصابنا شرٌّ؛

فمن أجلكم، وقال: مجاهد: لم يأت مثلكم رجالٌ في قريةٍ إلاَّ عُدبَ أهلها ﴿لِنَّ﴾: حرف شرط يتبع ما بعده ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ينفي ﴿تَنْتَهُوا﴾: إذا لم تتوقفوا عمّا تقولون ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿تَرْجُمَنَّكُمْ﴾: قال قتادة: نقدفكم بالحجارة، جاء اللفظ القرآني "رجم" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى الرجم بالتأكيد، كما في قوله ﷺ ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُون﴾ [الدخان- ٢٠]، وكما في قوله ﷺ ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود- ٩١]، وبمعنى الشتم كما في قوله ﷺ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم- ٤٦]، وبمعنى الظن كما في قوله ﷺ ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف- ٢٢]، وبمعنى اللعنة كما في قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل- ٩٨] ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يَمَسِّنُكُم﴾: بلام ونون التوكيد؛ يصيبكم في أجسادكم ﴿مِنَّا﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عقوبة شديدة، قتلٌ، أو سجنٌ، أو إبعادٌ، أو مصادرةُ الأموال أو الحصار في المال والغذاء والدواء، أو تشويه السمعة، أو اتهامٌ بالإرهاب، وغيرها.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (١٩)

﴿قَالُوا﴾: كان ردُّ المرسلين على الكفار ﴿طَائِرُكُمْ﴾: شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾: مردودٌ عليكم، وملازمٌ لكم؛ بسبب كفركم بالله ﷻ، ورسله، مكتوب عند الله ﷻ، مثلهم قومٌ صالح، قالوا لنبيهم: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النمل- ٤٧]، وقال قتادة، ووهب بن منبه: أعمالكم معكم ﴿أ﴾: حرفٌ استقهامٍ بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿إِن﴾: حرف شرطٍ، بمعنى إذا ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾: إذا ذُكِّرناكم بعبادة الله ﷻ وحده تهددونا وتكذبونا ﴿بَل﴾: حرفٌ يفيد الإضراب وينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديدًا ﴿قَوْمٌ﴾: جماعةٌ أصحابٌ منهجٍ واحدٍ ﴿مُسْرِفُونَ﴾: مُبالغون في الكُفر، والمعاصي، والعداوة، والعدوان.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿جَاءَ﴾: حضر ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿أَقْصَى﴾: من أطرافها وأعالى الأماكن فيها، إشارةً إلى الاستغراب؛ لكونه رجلًا من أبعد مكانٍ في ﴿الْمَدِينَةِ﴾: التجمع السكاني الكبير، من مكانٍ بعيدٍ في المدينة ﴿رَجُلٌ﴾: اسمه حبيب النجار والعبرة بما صنع، عندما همَّ أهل المدينة بقتل رسلم. جاء الرجلٌ من مكانٍ بعيدٍ في القرية؛ مُسرعًا ليحذّر الكافرين، ﴿يَسْعَى﴾: يسير ﴿قَالَ يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد

﴿قَوْمٌ﴾: هم جماعة من أصل واحد، أو أصحاب مذهب واحد ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾: هم رُسل عيسى ﷺ؛ يحض وينصحهم أن يتبعوا ويؤمنوا بالرُّسل؛ لإدراكه أن كفرهم سيُجلِبُ عليهم الهلاك.

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١)

ويُكملُ الداعية نصيحته لقومه ﴿اتَّبِعُوا﴾: أطيعوا ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس البشر ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْأَلُكُمْ﴾: يأخذ في مقابل دعوته ﴿أَجْرًا﴾: يا قوم أطيعوا الرسول ﷺ الذي لا يريد ثوابا منكم ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿مُهْتَدُونَ﴾: ملتزمون، بما تؤمنون به.
التكليف: هذه خاصيةُ الدعاةِ المُخلصين؛ العمل دون أجرٍ في الدنيا، يبذلون من أموالهم وأولادهم وأنفسهم في سبيل الله.

﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٢)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿مَا لِي﴾: قال الداعية: ما الذي يمنعني أن ﴿لَا﴾: حرف نفي بمعنى ألا ﴿أَعْبُدُ﴾: أطيع وأتبع ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد، وهنا المقصود هو الله الواحد، الأحد، الفرد، الصمد ﷻ ﴿فَطَرَنِي﴾: أوجدني، خلقتني ﴿وَإِلَيْهِ﴾: يوم القيامة ﴿تُرْجَعُونَ﴾: ستقبلون ميّتين، ويوم القيامة يحاسبكم على أعمالكم، وتُجزون ما كنتم تعملون، هنا دليلٌ على أن الاختصاص بالخلق والقدرة على الإعادة تُوجب الطاعة، أي العبادة قولًا وعملاً.
التكليف: كان أبلغ ما استخدمه الداعية أن يُذكّرهم أنّ الذي خلقهم أول مرة قادرٌ على الإعادة، وهو عليه هيّن ﷻ.

﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ (٢٣)

﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٌ بغرض التوبيخ والتعجب من أحوال الذي ﴿أَتَّخِذُ﴾: أعتد وأطيع ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ، قال المؤمن هل يُعقل أن أعبد غير الله ﷻ الذي لا يملك من أمري شيئاً ﴿آلِهَةً﴾: معبودات، مثل هذه الآلهة التي لا تستطيع إنقاذي من أيّ سوءٍ ﴿إِنْ﴾: حرف شرطٍ ﴿يُرِدْنِ﴾: يشأ لي ﴿الرَّحْمَنُ بِ﴾: حرف باء السبب ﴿ضُرٍّ﴾: إذا أرادني الله ﷻ بسوءٍ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُغْنِي﴾: تمنع ﴿عَنِّي﴾: تنفعني ﴿شَفَاعَتُهُمْ﴾: وساطتهم، ولا قوتهم، ولا إرادتهم ﴿شَيْئًا﴾: أي شيء، ولو كان صغيراً ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يُنْقِذُونِ﴾: لن ينعوني من العذاب.
التكليف: لقد استخدم الداعية اسم الرحمن لأنه يؤمن برحمة الله ﷻ في كلّ الأحوال.

﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٤)

﴿إِنِّي﴾: هنا يجب أن يصدع المؤمن في وجه الكافر إتني الناصح المؤمن ﴿إِذَا﴾: حرف جوابٍ وجزاءٍ يكون حالي ﴿لَ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: إتني إن فعلت ذلك فأيتي في خطأٍ وتيه، وضياحٍ، جاء اللفظ القرآني "ضلال" بمعنى: الخسارة ﴿مُبِينٍ﴾: واضح ظاهرٍ ومؤكّدٍ. التكليف: إن من منهج الرسل والدعاة أنه عندما تصل المواجهة مع الكفار إلى حدّ المفاصلة؛ تكون هذه واحدة من الآيات الهادية، إعلان الإيمان صريحًا واضحًا.

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (٢٥)

﴿إِنِّي﴾: أنا، يصدع المؤمن بما آمن به وبما يُرضي الله ﷻ، بالتأكيد، يا قوم ﴿آمَنْتُ﴾: صدقتُ ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿رَبِّكُمْ﴾: لم يقل بربي وفيها وصف الحال، حالنا مستوي في عبوديته، تعني كلمة الربّ: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لهذا الكون من طورٍ إلى طورٍ إلى حدّ التمام؛ فهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، هو مالك أمركم كلّه، ويقصد الله ﷻ الذي خلقكم وصوّركم وليس الذي تعبدون من أصنامٍ، وأوثانٍ وما تتبعون من أفعالٍ ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿اسْمَعُونِ﴾: اسمعوا ما أقول لكم أيّها الكفار، وقد يكون معناها أنه قال للرسول الثلاثة آمنتم برّبكم فاسمعون، قال ابن جرير: لتكونوا شهداء لي بذلك عند الله ﷻ. التكليف: على الداعية أن يكون مُستعدًا بالتضحية حتى بالنفس، فرسلُ بني إسرائيل قُتلوا على يد قومهم، هنا الرجل الصالح يصدع بالإيمان حياته وفي مماته.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦)

ماذا حدث للرجل المؤمن؟ قال ابن عباس: وثبوا عليه وثبة رجلٍ واحدٍ؛ فقتلوه، ولم يمنعم أحدٌ، وقال قتادة: جعلوا يرمونه وهو يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون؛ فماذا ﴿قِيلَ﴾: قال له ربه ﷻ: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾: فدخل الجنة؛ لأنه قُتل في سبيل الله ﷻ ﴿قَالَ﴾: الرجل الصالح وهو في النعيم والكرامة ﴿يَا لَيْتَ﴾: متمنيًا وراجيًا ﴿قَوْمِي﴾: عشيرتي وأقاربي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: تمنى لو أن قومه الذين قتلوه أو عذبوه شاهدوه في الجنة؛ فيعلمون الحقيقة، فيصيرون مثله.

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٧)

﴿بِمَا﴾: بالذي ﴿غَفَرَ لِي﴾: محى عني ذنوبي ﴿رَبِّي﴾: مالك أمري كلّه ليعلموا كيف غفر لي ربي ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿جَعَلَنِي﴾: كتب أن أكون في حشري ومنشري مع ﴿مِنَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾: ليتهم اطلعوا على ثوابي علّ هذا يقودهم إلى اتباع الرسل.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿مَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿أَنْزَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم
﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾: عشيرته ﴿مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِ﴾: يخبر الله ﷻ ماذا
فُعلَ بهم بعد جريمتهم؛ ما احتاج الله ﷻ أن يُنزلَ من بعده ﴿مِنْ﴾: حرفُ بيانٍ وتمييزٍ للنوع
﴿جُنْدٍ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: جاء القول السماء مع أنَّ المعلومَ أنَّ
الإنزالَ كلَّه من السماء؛ وأنه لا يكون إلا من فوق إلى أسفل، ما احتاج الأمر إلى إنزال جنودٍ
من السماء، من الملائكة؛ لعذاب هؤلاء القتلة ليهلكوهم، بل كان الأمر أيسرَ من ذلك وأهون
﴿وَمَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾: باعثن جنودًا من الملائكة؛ بل نزل عليهم العذاب الذي
يدمرهم.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (٢٩)

﴿إِنْ﴾: بمعنى ما ﴿كَانَتْ إِلَّا﴾: استثناءٌ ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: من السماء؛ أهلكت أهل أنطاكية
جميعًا، كانت صيحةُ جبريل عليه السلام ﴿فَإِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط
وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص،
وهو الكفار ﴿خَامِدُونَ﴾: كانوا صرعى، لم يبق منهم أحدٌ كأنهم احترقوا وتحولوا إلى رماد، كنارٍ
اشتعلت ثم انطفأت؛ فلم يبق لهم أثر.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٠)

﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿حَسْرَةً﴾: الحسرة هي شدة الندم على نفعٍ فات، خسارة،
وندامة ﴿عَلَى الْعِبَادِ﴾: قال ابن عباس: ويلٌ للعباد، وقال قتادة: يا حسرة العباد على أنفسهم؛
حسرتهم وندمهم يوم القيامة ﴿مَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: يرسل فيهم ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾: كلما
جاءهم رسول ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ من دون الخيارات ﴿كَانُوا بِهِ﴾: بالرسول ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾:
يكذبونه، ويجحدونه.

التكليف: لا تزال هذه الظاهرة تُستغل ضد الإسلام، ممن يدعون الإسلام، حُكامًا، ومحكومين،
ويهودًا، ونصارى، فلا يبأس مؤمن، فعاقبة الكفر واضحة.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣١)

﴿أَلَمْ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض التهديد ﴿يَرَوْا﴾: ألم يُشاهدوا، ويعلموا، ويتعظوا هؤلاء المستهزئين
﴿كَمْ﴾: استفهامٌ يفيد الكثرة والتكرار، ألم يشاهدوا كثرة ﴿أَهْلَكْنَا﴾: ألم يُشاهدوا دمرنا وأزلنا بقوةٍ
وبشدّةٍ ﴿قَبْلَهُمْ﴾: قبل زمانهم، أي فيما مضى من الزمن ﴿مِنْ﴾: حرفُ بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد

بداية الغاية الزمانية **﴿الْفُرُونَ﴾**: الأمم والأقوام المكذبين بالرسول عبر السنين العديدة **﴿أَنَّهُمْ﴾**: حرف تأكيد، ونفي الإنكار والشك **﴿إِلَيْهِمْ﴾**: إلى قومهم **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَرْجِعُونَ﴾**: لم يرجع منهم أحد إلى الدنيا مرة أخرى.

﴿وَأَنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٣٢)

﴿وَأَنْ﴾: حرف شرط وتأکید لقد قدر الله ﷻ **﴿كُلُّ﴾**: جميع الأمم دون استثناء **﴿لَمَّا﴾**: تعني إلا حين يحضرون **﴿جَمِيعٌ﴾**: ما من أحد من كل الأمم السابقة الهالكة، جميعها، والأمم الآتية بلا استثناء **﴿لَدَيْنَا﴾**: عندنا **﴿مُحْضَرُونَ﴾**: مجموعون كلهم، بلا استثناء، سيحضرون يوم الحساب والقضاء، يوم القيامة، يوم الجزاء لأعمالهم؛ خيراً بخير، وشرّاً بشر.

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَخْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿آيَةٌ﴾**: برهانٌ ودليلٌ **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا يدلهم الله ﷻ على التفكير كدليل لهم على وجود الصانع، وقدرته على إحياء الموتى **﴿الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَخْيَيْنَاهَا﴾**: دلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله ﷻ على البعث والنشور، أنزل الله ﷻ الماء على الأرض الجرداء؛ فاهتزت وربت، جاء اللفظ القرآني "الميتة"؛ لأن الأرض هامة؛ لا حراك فيها؛ وبالماء بالتأكيد تتمدد فيها جذورُ الشجر؛ فتتسع له، وتضمه، وترعاه بالماء، والعناصر الضرورية لنموه وثمره **﴿وَأَخْرَجْنَا﴾**: أيضًا أنبتنا **﴿مِنْهَا﴾**: حرف يُفيدُ بداية الغاية المكانية **﴿حَبًّا﴾**: جاءت بصيغة الجمع لعظم النتيجة، ارتفعت وتحولت البذور إلى نباتات، القمح، والشعير، والذرة، وغيرها وهذه المخلوقات تتجدد باستمرار فيكون منها كثير **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ **﴿مِنْهُ﴾**: مما يصنع منه خبزٌ وطعامٌ، وفواكه من كلِّ صنفٍ، أثمرت الحبوب والثمار **﴿يَأْكُلُونَ﴾**: يُطعمون فيستمر نموهم وحياتهم. إن دراسة علم النبات؛ تؤدي إلى التفكير، وتقود إلى الإيمان.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: أيضًا **﴿جَعَلْنَا فِيهَا جَنَاتٍ﴾**: بساتين ومزارع **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع **﴿نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾**: جاء ذكر الله ﷻ النخيل والأعناب في العديد من الآيات، لفضلهما كمادة غذائية، ودوائية، ومصادر للماء، حَوْلَ الأرض إلى جَنَاتٍ، فيها تسير إلى أماكن يحتاجون إليها **﴿وَفَجَّرْنَا﴾**: أيضًا إخراج من الأرض بقوة وكثرة وغازة **﴿فِيهَا﴾**: في الأرض ولفظ التفجير له دلالات أنه قوي، وشديد، وكثير، وفائض **﴿مِنْ﴾**: جزء أو بعض **﴿الْعُيُونِ﴾**: وهو ما نراه من الأنهار، والآبار، والعيون، والينابيع؛ ولأنها تجري باستمرارٍ صارت كأنها شيءٌ واحدٌ.

﴿يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٥)

﴿ل﴾: حرفٌ علّةٌ وسببٌ، حتى تأكل المخلوقات ﴿يَأْكُلُوا﴾: حتى تأكل العباد ﴿مِنْ ثَمَرِهِ﴾: من ثمار الأرض والزرع المذكور، والماء يأتي من فضل الله عليهم، رزقهم؛ فتستمر حياتهم بالزرع الذي أنبته الله ﷻ ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿مَا﴾: الذي ﴿عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: من الذي زرعه وحرثوه بأنفسهم؛ لكنّ الفضل لله ﷻ، لو منع عنهم الماء ما أكلوا مما زرعوا، جاء اللفظ القرآني اليد على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى الفعل كما في قوله ﷻ ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس-٧١] ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار عليهم ﴿يَشْكُرُونَ﴾: هل بعد هذا الفضل لا يشكرون! إنّ الشكر بعد الحمد اعترافٌ بفضل الله ﷻ على خلقه، الذي لا يُقدَّر بثمن.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦)

﴿سُبْحَانَ﴾: تنزه الله وتقدّس وتعالى عما يقوله المجرمون ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا بالفرد الواحد الحد ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿الْأَزْوَاجَ﴾: الأصناف، والأنواع ﴿كُلَّهَا﴾: من النبات والأشجار ﴿مِمَّا﴾: من وهي هنا إمّا بمعنى بعض أو لبيان الجنس ﴿تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾: هي المزروعات، والثمار، والأشجار، والنبات، وهي طعام الإنسان، والحيوان، ودونها يموتون ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: ما يُنجبهُ الإنسان من بنين وبنات ﴿وَمِمَّا لَا﴾: أيضًا من الذي لا ﴿يَعْلَمُونَ﴾: مخلوقاتٍ أخرى متنوعة، لا يعرفها الإنسان، وهذا ما كشفته العلوم من الفيروسات، والفطريات، ومخلوقات البحار.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧)

﴿وَآيَةٌ﴾: أيضًا دليلٌ آخر جاءت بصيغة النكرة بغرض التعظيم، آيةٌ عظيمةٌ تدلُّ على قدرة الله ﷻ على البعث وتسيير الكون ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا يدلُّ الله ﷻ على وحدانية، وفضل الله تعالى؛ بذكره ظاهرةً طبيعيةً كونيةً، حيث تدور الأرض حول الشمس؛ فإذا احتجبت الشمس عن الأرض كان الليل ﴿اللَّيْلُ﴾: وهو غيابُ أشعة الشمس عن الأرض؛ فنُظلم ﴿نَسْلَخُ﴾: هنا تشبيهه إظهار ضوء النهار من ظلمة الليل بسلخ الجلد عن الشاة، بهدف يضيّع ظلمة الليل فيكون ﴿مِنْهُ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿النَّهَارَ﴾: فتضيءُ أشعة الشمس، وكأنّ الله ﷻ سلخ، أي رفع الغطاء كما تُسلخ الذبائح برفع الجلد عن باقي الجسد ﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: تسود الأرض العتمة؛ فيعيش العالم على الأرض في عتمة وظلام دامس. انظر [آل عمران-٢٧].

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨)

لقد تعرض القرآن الكريم في كثير من الآيات للفضاء وهنا حديث عن ﴿و﴾: أيضًا ﴿الشَّمْسُ تَجْرِي﴾: حقيقة علمية؛ فالشمس مثل الكواكب، تجري في مداراتٍ ثابتةٍ حول نفسها في ستة وعشرين يومًا، بعلاقاتٍ ثابتةٍ؛ غاية في الدقة والإبداع، وهذا ما يسبب الليل والنهار، وقد يكون المعنى لا مستقر لها كما في قراءةٍ أخرى ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٍ وتحديدٍ، وتعني إلى ﴿مُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾: لانتهاه الغاية، والمستقر هنا بمعنى المُنتهى وفي تفسيرها قولان: الأول: المستقر المكاني: حدودها، في دائرتها تستقر عنده في النهاية تحت عرش الله ﷻ، وحينها تسجد وتستأذن في الطلوع بعد الغروب، والثاني: المستقر الزمني؛ أي منتهي السير، وهو يوم القيامة؛ حيث تسكن حركتها، وتُكْوَر، وينتهي هذا العالم، وقال ابن مسعود، وابن عباس: والشمس تجري؛ لا مستقر لها ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿تَقْدِيرُ﴾: مشيئته وإرادته وقدره المحتوم ﴿العَزِيزِ﴾: المنيع الذي لا يُغالبه أحدٌ، ولا يُعجزه شيءٌ، العزيز في ذاته وصفاته ﴿العَلِيمِ﴾: بكل شيء قبل أن يكون وبعد أن يكون فكل شيء عنده بمقدار.

التكليف: قال العالم الفلكي سيمون: إنَّ أعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري أنّ الشمس والكواكب السيارة وأقمارها، تجري في الفضاء نحو برج النسر، الواقع بسرعةٍ غير معهودة لنا على الأرض.

التكليف: نخرج من هذا أنّه كلّما قرأنا العلوم الكونية الصحيحة أدركنا صدق ما جاء ذكره في القرآن، ومن هذا علم الفضاء.

﴿وَالْقَمَرَ قَدْرًا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ظاهرة ﴿القَمَرَ قَدْرًا﴾: حدّد الله ﷻ له قدرًا ثابتًا ﴿مَنَازِلَ﴾: مواقع حيث يطلُع في أول ليلةٍ من الشهر قليلاً، ثم يزداد نُوره مع كلّ ليلةٍ؛ حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقصان إلى آخر الشهر ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿عادَ﴾: رجع ﴿ك﴾: حرف يفيد مثل ﴿العُرْجُونِ﴾: هنا تشبيهٌ مُرسلٌ؛ لأنه لم يذكر وجه الشبه، وهو مشتملٌ على ثلاثة أوضاع: الدقة، والانحناء، والصفرة هو عود العذق، عود البلح في النخل ﴿القَدِيمِ﴾: عود البلح الذي يحمل الرطب إذا يبس، قال ابن عباس: يصير كعذق النخلة، وقد جاء النخيل في عشرين موضعًا في القرآن وجاءت ثمرة الرطب في موضعٍ واحدٍ؛ ثم يبدأ في الشهر الجديد يتكون هلالًا.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠)

من المعروف أنّ كلَّ كوكبٍ يسير في مدارٍ حدّده الخالق ﷻ، وبين هذه المخلوقات العظيمة دوائر كهربائية، وجاذبية الكوكب الضخم، ولما يدور حوله من مجّرات، حيث تنتشر الكواكب في الفضاء، وبينها ما يعرف بالبلازما، وهي جسيمات مشحونة متقاربة، بحيث يؤثر كلُّ جسيم على الجسيمات القريبة منه؛ حتى تبقى مترابطة؛ لتضمن سير الكواكب والنجوم في مساراتها، وهذه الجسيمات لا تندمج مع بعضها **﴿لَا﴾**: حرف نفي، ممنوع على **﴿الشَّمْسُ﴾**: قُدّمت الشمس على الفعل لتقوية النفي؛ وللدلالة على أنّ الشمس مُسخرة بأمر الله ﷻ، تسير في مدارها بإرادته ﷻ **﴿يُنْبَغِي﴾**: ولا مسموح **﴿لَهَا﴾**: تخصيصاً **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿تُدْرِك﴾**: تلحق أو تتصل لأنّ حركة القمر أسرع من حركة الشمس **﴿القَمَرُ﴾**: قال المفسرون لكلِّ سلطان، والمقصود بالسلطان هذه الدوائر الكهربائية الكونية، فإذا اقترب كوكبٌ من آخر حدثت الكوارث العظمى، فلن تقترب الشمس من القمر إلا بمشيئة الخالق ﷻ **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿النَّيْلُ سَابِقٌ﴾**: يأتي قبل **﴿النَّهَارِ وَكُلِّ﴾**: كلُّ كوكبٍ **﴿فِي فَلَكٍ﴾**: في المساحات المسموح بها **﴿يَسْبَحُونَ﴾**: أنزل الله ﷻ هنا الشمس والقمر وهما من جنس غير العاقل منزلة العاقل بالقول يسبحون بدلاً من يسبح؛ لأن السباحة يفعلها العقلاء فقط. تدلُّ الآية على أنّ الحدود هي التي قدرها الله ﷻ لكلِّ كوكبٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ، ثابتة لا يجب أن تتغيّر، وتدلُّ الآية أنّ هذه الكواكب تدور بسهولة ويسرٍ، تسبح، أي تدور، وقد شبهها ابن عباس، ومجاهد: كحديدة الرحي، أو كفلكة المغزل.

التكليف: من المعلوم أنّ السباحة هي تحركٌ سلسٌ للجسم السابح؛ بقليلٍ من المجهود الجسدي، فحركة اليدين والرجلين أو الزعانف تؤدي إلى تحرك الجسد كلّ في الماء، تنشأ سلاسة السباحة بسبب تعادل قوتين متضادتين، الأولى: وزنُ الجسم السابح، والثانية: الطفو الذي ينشأ عن حجم الجسم، وهو يعملُ عكس ما يعمله الوزن، فعندما تتساوى القوتان؛ تكون السباحة سلسة، وفي هذه الآية فإنّ السير هو سمة هذه الكواكب، فهي تسير كأنها تسبح؛ بلا تصادمٍ ولا تعارضٍ ولا تناقضٍ والسباحة هنا هي بمعنى الدوران.

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ (٤١)

﴿و﴾: أيضاً **﴿آيَةٌ﴾**: دليلٌ وبرهانٌ **﴿لَهُمْ﴾**: جاء لفظ "آية" في القرآن الكريم على وجهين، هنا بمعنى علامة كما في قوله ﷻ **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾** [الروم-٢٠]، وفي قوله أيضاً **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾** [الروم-٢٥] وبمعنى عبرة كما في قوله ﷻ **﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِنَعٌ لِلْكَالِبِينَ﴾** [المؤمنون-٥٠]، وفي قوله ﷻ **﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ**

السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿ [العنكبوت-١٥]، وفي قوله ﷺ ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل-٧٩] دليلاً أيضاً على قدرة الله ﷻ وفضله، حيث علمهم قانون الطفو، فقطعة الحديد الصغيرة إذا وضعت على سطح البحر وقعت إلى العمق، وإذا سطحت وزاد حجمها، وصارت سفينة، ووصلت أوزانها إلى مئات الأطنان؛ طفت على سطح البحر، وحملت الناس والبضائع ﴿أَنَا﴾: أداة تفيد العظمة لأنها جاءت بحرف نون العظمة، في إشارة أن الأمر جاء من الله ﷻ، أن حملهم فكان بواسطة الملائكة ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: من ذرية آدم ﷺ ﴿فِي الْفُلِّ﴾: السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾: الممتلئ بمخلوقات الله ﷻ، من كلِّ صنفٍ زوجين، لتبدأ على الأرض دورة حياةٍ جديدةٍ. من المعلوم عند العرب أن لفظ الفلك في لغتهم تعني الاستدارة وهذه من المعجزات اللغزية الدالة على كروية الأرض ودورانها، وكان نوح ﷺ، أول من علمه الله ﷻ استغلال هذا الفضل.

التكليف: من الواضح أن دراسة العلم تقود إلى الإيمان، كما أن دراسة اللغة العربية تقوي اليقين بصدق ما جاء في كتاب الله ﷻ.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (٤٢)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق وجود ﴿لَهُمْ﴾: للناس ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿مِثْلِهِ﴾: قال ابن عباس، والضحاك، وقتادة: مثل سفينة نوح، وقال السدي: الأنعام، وقال ابن عباس: الإبل، السفن ﴿مَا﴾: حرف يُفيد الذي من غير العاقل ﴿يَرْكَبُونَ﴾: إن الذي يرى السيارات الصغيرة والكبيرة، والطائرات، والقطارات، وكلِّ وسائل النقل التي تتطور يومياً؛ يفهم أن كلَّ ركوبه في الأرض، أو في البحر، أو في الجو هي من فضل الله ﷻ على الناس.

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾ (٤٣)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿إِنْ﴾: بمعنى لو كشرط ﴿نَشَأْ﴾: أردنا أن ﴿نُغْرِقْهُمْ﴾: إذا ركبوا السفن، وقياساً على ذلك حوادث السيارات والطائرات، والقطارات، وكلِّ وسائل نقل البشر، والبضائع، فهذا القرآن لكلِّ زمانٍ، ومكانٍ؛ والله ﷻ أعلم ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿صَرِيحَ لَهُمْ﴾: لا مُغيث، ولا مستغيث وهذا أبلغ في التعبير، فقد فقدوا القدرة حتى على إطلاق صراخ الاستغاثة، لا مُنجد لهم في هذه الحالات ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص ﴿يُنْقَدُونَ﴾: لا أحد يُنجيهم إذا أراد

الله ﷻ هلاكهم. إنَّ الموت والحياة بيد الله ﷻ، في الحادث الواحد يموت من كتب الله ﷻ عليه الموت، وينجو من كُتِبَ الله ﷻ له النجاة.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٤٤)

﴿إِلَّا﴾: وهذا استثناء ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾: حيثُ يُنَجِّي الله ﷻ من البرِّ، والبحرِ، والجوِّ، ومن انهيار المباني الضخمة، ومن الأمراض ﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: أيضًا ليعيش الإنسان المُقَدَّر له النجاة إلى أجله المعلوم عند الله ﷻ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٥)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: إذا نُصِح هؤلاء الكفار أَنْ ﴿اتَّقُوا﴾: اخشوا عاقبة ﴿مَا﴾: الذي ﴿بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: ذنوبكم التي تقتربونها ﴿و﴾: أيضًا ﴿مَا خَلْفَكُمْ﴾: وما اقتربتموه من ذنوبٍ فيما سلف ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: يفيد هنا تحقق الوقوع؛ لأنها جاءت من الله ﷻ ﴿تُرْحَمُونَ﴾: تتوبوا عسى الله ﷻ أَنْ يَغْفَرَ لَكُمْ، وهو أمر مقطوع بقبولها فالترجي هنا ليس على بابه وأيضًا هو من الله ﷻ كائن.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤٦)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تَأْتِيهِمْ مِنْ﴾: جزء أو بعض ﴿آيَةٍ﴾: دليل وبرهان ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يُفيد بداية الغاية، المصدر ﴿آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: هو المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمرهم كلِّه ما يشاهدون أو يسمعون آية؛ على وحدانية الخالق، وصدق الرسالة، وعظم آيات القرآن الكريم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿كَانُوا عَنْهَا﴾: حرف يفيد البعد ﴿مُعْرِضِينَ﴾: يُديرون لها ظهورهم، لا يُقبلون عليها، ولا ينظرون إليها، ولا يفكرون فيها، ولا يريدون أَنْ ينتفعوا بها.

التكليف: ندرك هنا أنَّ هذه الآية فيها أسلوب قصر بطريق النفي والاستثناء، ما وإلا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤٧)

﴿وَإِذَا﴾: ربطاً لما بعدها بما قبلها ﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: تخصيصاً ﴿أَنْفِقُوا﴾: إذا طُلب منهم أَنْ يُعطوا الفقراء والمحتاجين، وفي سبيل، الله ما لَّا ﴿مِمَّا﴾: بعضاً أو جزءاً ﴿رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: رفضوا وكان تبريرهم أَنْ ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: كان ردُّ الكافرين

﴿أ﴾: حرف استفهام يُفيدُ التهكم، ويحملُ معنى الاستخفاف بقولهم ﴿نُطْعِمُ﴾ هل نعطي من مالنا وطعامنا ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يُفيدُ الاستحالة ﴿يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: هكذا يكون ردّهم، إنّ حجتهم أنّ الله غنيّ، ولو شاء لأعطى ورزق هؤلاء؛ فلماذا نعطيهم، فنحن لا نطعمهم، وكذلك يفعل الله؛ فنحن على شريعته، هذا النوع من الطاعة الانتقائية ﴿إِنْ﴾: حرف شرطٍ يفيدُ النفي؛ وعليه يكون المعنى ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: يزدادُ الكفّارُ وقاحةً؛ فيقولون للمؤمنين إنّ دعوتكم لنا لننفق على هؤلاء تدلُّ على أنّكم في تيهٍ وضياحٍ واضحٍ.

التكليف: تُظهر هذه الآية بعض صفات المؤمنين، وبعض صفات المنافقين، في خصوصية الإنفاق على المحتاجين، ودعوة الناس للإنفاق عامّة، و صفات بخل الكافرين، ومن يؤمن بذلك لا يحزنه ما يرى من شعوبٍ تُحاصر، وشعوبٍ تموتُ من الجوع، ومن الأمراض، وشعوبٍ أُخرى تعيشُ في بذخٍ كبيرٍ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿يَقُولُونَ﴾: هم الكفّارُ أصحابُ الجدل العقيم، السابق في الآيات، عن يوم القيامة؛ بغرض الاستبطاء، وهو عدُّ الشيء بطيئاً في زمن انتظاره، أو تأخُّرُ الجواب ﴿مَتَى﴾: سؤال عن الزمن ﴿هَذَا﴾: حرفٌ تنبيهٍ وإشارة ﴿الْوَعْدُ﴾: متى يوم الوعيد، يوم القيامة؟ قيلت على سبيل التهكم، ولا يكتفون بالرفض، بل يشتمون المؤمنين، ويقولون ﴿إِنْ﴾: حرف شرط، إذا ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: يتهمونهم بالكذب وهذه من أدوات الكفّار؛ استعجال قيام الساعة، يطلبون ما لا يعلمه المؤمن، وهو يوم القيامة.

التكليف: سيبقى طلبُ المعجزات أداةً للمشركين؛ ولا يتردّد الداعية أن يقول علمها عند ربّي.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (٤٩)

﴿مَا﴾: حرفٌ نفي ﴿يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون فقط ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: وهي نفخةٌ إسرافيل عليه السلام، نفخةُ الفزع، النفخةُ الأولى نفخةً طويلةً الأمد ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾: تباغتهم، وتفتك بهم، وهم على غير توقُّعٍ ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: والناسُ في حياتهم العادية يتشاجرون ويتناحرون على المال، والبيع، والجاه، والمنافع.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٠)

﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهي يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: يقدرّون ﴿نَوْصِيَّةً﴾: لا وقت لوصية الناس بعضهم بعضاً، لن يعودوا إلى أموالهم، ولا لأولادهم، وأزواجهم

بل يموتون حيث كانوا ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: أقاربهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾: فيموت كلُّ الأحياء حيثما كانوا ما عدا الحيِّ القيوم ﷻ، ثم تأتي نفخةُ البعث؛ والله أعلم.

التكليف: المؤمنُ يومئذٍ آمنٌ من هذا الفرع الرهيب.

﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿نُفِّخَ فِي الصُّورِ﴾: نفخةُ البعث والنشور ﴿فَإِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبلُ من الزمان، يفيدُ معنى الشرط وهي أداةٌ ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُم﴾: ضميرُ رفعٍ للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿مِنَ﴾: حرفٌ يُفيدُ بدايةَ الغاية المكانية ﴿الْأَجْدَاثِ﴾: يكونُ الخروجُ الجمعي، كلُّ الموتى يقومون من القبور ﴿إِلَى رَبِّهِمْ﴾: المنشئُ للكون من حالٍ إلى حالٍ، وهو المربي ﷻ، يسرعون إلى يوم الحساب ﴿يَنْسِلُونَ﴾: يمشون مُسرعين.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٢)

﴿قَالُوا﴾: الكفار والمشركون نادمون ﴿يَا وَيْلَنَا﴾: تحذيرٌ وتهديدٌ يا مصيبتنا يا خسارتنا ﴿مَنْ﴾: الذي ﴿بَعَثَنَا﴾: أخرجنا ﴿مِنَ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيدُ هنا بدايةَ الغاية المكانية ﴿مَرْقَدِنَا﴾: من قبورنا التي ظننا أنها آخرتنا، رغم ما فيه من العذاب، قال أبي بن كعب، ومجاهد، والحسن: ينامون نومة قبل البعث، وقال قتادة: بين النفختين؛ قيل لهم ﴿هَذَا﴾: إشارةٌ للذي وعدكم الله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿وَعَدَ﴾: حدّد له موعدًا ﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾: تحقق ما قاله ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: من القائل؟ قال قتادة: إن الذين أجابوهم هم المؤمنون، وقال الحسن: يجيبهم الملائكةُ، وقال عبد الرحمن بن زيد: قول الكفار، ومن الواضح أنّ الجميع سيقول:

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٥٣)

﴿إِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ هنا النفي بمعنى ما ﴿كَانَتْ﴾: حدث وصار ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ ﴿صَيْحَةً﴾: صوتًا مُرتفعًا ﴿وَاحِدَةً﴾: هي النفخة الثانية ﴿فَإِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبلُ من الزمان، يفيدُ معنى الشرط وهي أداةٌ ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُم﴾: ضميرُ رفعٍ للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿جَمِيعٌ﴾: الكلُّ بلا استثناء ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾: كلُّ الخلائق مُحضرةٌ تقوم بين يدي الله ﷻ.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٤)

﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿الْيَوْمَ﴾: جاء اللفظ القرآني "يوم" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى يوم الحساب؛ يوم القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي أن ﴿تُظَلَّمُ﴾

نَفْسٌ: هي جوهر الإنسان المُحاسب على عمله **﴿شَيْئًا﴾**: هذا يوم العدل الأوفى يتم الحساب بالعدل، لا ظلم لنفسٍ واحدةٍ، لا يُنقص من عملها شيئًا **﴿و﴾**: أيضًا **﴿لَا تُجْزَوْنَ﴾**: من الجزاء، أي الثواب والأجر **﴿إِلَّا﴾**: حرفٌ استثناءٍ **﴿مَا﴾**: الذي **﴿كُنْتُمْ﴾**: في الحياة الدنيا **﴿تَعْمَلُونَ﴾**: في الحياة الدنيا جزاءً الحسنه بحسنه، والسيئة بما تستحق.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ (٥٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿أَصْحَابَ﴾**: أهل **﴿الْجَنَّةِ﴾**: الذين نزلوا روضات الجنان، بعد أن نزلوا من الأهوال **﴿الْيَوْمِ﴾**: يوم القيامة هم **﴿فِي شُغْلٍ﴾**: مشغولون عن غيرهم بأنواع النعيم، قال الحسن البصري: يقولون عما يصيب أصحاب النار من عذابٍ، وقال مجاهد: في نعيمٍ معجبون، وقال ابن عباس: فرحون، وقال عددٌ من المفسرين: شغلهم افتضاض البكار **﴿فَاكِهُونَ﴾**: فرحون مستمتعون.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ﴾ (٥٦)

﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص **﴿وَأَزْوَاجُهُمْ﴾**: قال مجاهد: أهل الجنة وحلائلهم؛ ما أحلَّ اللهُ ﷻ لهم متعمون بالجلوس **﴿فِي ظِلَالٍ﴾**: تحت أشجار الجنة **﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾**: المقاعد المرتفعة، السرر؛ تحت الحجل، وهي الزينة التي تُعلق على سرير العروس **﴿مُتَكِنُونَ﴾**: مُستندون.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ (٥٧)

﴿لَهُمْ﴾: لأصحاب الجنة تخصيصًا للمتعمون **﴿فِيهَا﴾**: في الجنة **﴿فَاكِهَةٌ﴾**: جميع أنواع الفواكه، التي جاء ذكرها في القرآن في الجنة **﴿وَلَهُمْ﴾**: تخصيصًا وتمليًا **﴿مَا﴾**: الذي **﴿يَدَّعُونَ﴾**: كل ما يطلبون من ملذات النعيم.

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨)

﴿سَلَامٌ قَوْلًا﴾: قول الله ﷻ **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان وتمييزٍ للنوع يُفيد هنا بداية الغاية **﴿رَبِّ﴾**: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام؛ فهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو مالكِ أمرِ الكونِ **﴿رَحِيمٍ﴾**: ولهم نعيم آخر حين يكلمهم الله ﷻ بالسلام عليهم عنده تحصل السلامة التامة من جميع الوجوه عليهم وهنا وسعت رحمته كل المؤمنين.

﴿وَأَمَّا تَأْوَى النَّفْسَ الْيَوْمَ النَّفْسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٩)

﴿و﴾: عطفاً على هذا جاء في شأن الكافرين، أهل النار ﴿امْتَأَنُوا﴾: أي تميزوا عن المؤمنين في مقام الخزي ﴿الْيَوْمَ أَيَّهَا﴾: حرفُ نداءٍ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: يجتمع أهل النار مع بعضهم، ويجتمع أهل الجنة مع بعضهم، وهذا ما جاء في قوله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم-٤٣]، يتميزون صدعين، فريقين.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠)
 ﴿أَلَمْ﴾: حرفُ استفهامٍ بغرض التبريع والإنكار التوبيخي ﴿أَعْهَدْ﴾: أوصيكم على لسان رُسلي وأمركم ﴿إِلَيْكُمْ يَا﴾: حرف نداءٍ ﴿بَنِي آدَمَ﴾: لم يقل ﷺ يا أيها الناس إشارة لدخولهم في دعوى آدم ﷺ، إلى الإيمان توبيخاً وتذكيراً يا من أنتم من نسل آدم الذي خلقته من أديم الأرض ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الخبر ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْبُدُوا﴾: تطيعوا ﴿الشَّيْطَانَ﴾: ألا تطيعوه ولا تصدقوه؛ فعصيتم ﴿إِنَّهُ﴾: الشيطان الرجيم بالتأكيد ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: إنّه لكم عدوٌّ واضحٌ، وظاهرُ العداوة.

﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١)
 ﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يُعيد الحال ﴿أَنْ﴾: حرفُ تأكيد الفعل ﴿اعْبُدُونِي﴾: وأمرتكم بعبادتي وحدي، وحدرتكم من طاعة الشيطان، وأمرتكم بطاعتي، لا تشركون بي شيئاً ﴿هَذَا﴾: حرفُ تنبيهٍ وإشارةٍ ﴿صِرَاطٌ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: هذا أقصر الطرق إلى فوز الدنيا، والجنة في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٢)
 ﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي أن ﴿أَضَلَّ مِنْكُمْ﴾: أخذ منكم إلى طريق الضلال، جاء اللفظ القرآني "ضلال" على ثمانية أوجه هنا بمعنى الكفر والغي. انظر [البقرة - ٢٨٢] ﴿جِبِلًّا﴾: خلقاً وعدداً من الناس ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ﴾: حرفُ استفهامٍ إنكاري للتوبيخ ﴿تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾: ألم أجعل لكم عقولاً، جوهرة الله ﷻ في رؤوسكم، وقلوبكم، إذ تأمركم بطاعته؛ فعصيتم واتبعتم الشيطان.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٦٣)
 ﴿هَذِهِ﴾: إشارة للمؤنث المفرد ﴿جَهَنَّمُ﴾: أيها الكفار؛ هذه جهنم التي أنذرتكم، وحدرتكم، فكذبتكم الرسل، هي أمامكم هي ﴿الَّتِي كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تُوعَدُونَ﴾: التي وعدناكم إيها إن كذبتكم.

﴿اضْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٦٤)
 ﴿اضْلَوْهَا﴾: ادخلوها وذوقوا عذابها؛ صيغة الأمر هنا تحمل معنى الإهانة والتحقير ﴿الْيَوْمَ﴾: وإلى ما شاء الله ﷻ، تلفح كل أجسادكم، جزاءً ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ﴾:

في حياتكم الدنيا ﴿تَكْفُرُونَ﴾: تُغطون حقيقة الإيمان بالله ﷻ، وبرسله، وكنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿النِّوْمُ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥)

﴿النِّوْمُ﴾: يوم القيامة يوم الثواب والعقاب ﴿نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾: نطبع على أفواههم فنغلقها، فلا يستطيعون النطق، هم يخرسون يحاول الكافر والمنافق أن يُنكر بلسانه ما ارتكب من جرائم في الدنيا، ويحلفون ما فعلوا؛ فتخرس ألسنتهم ﴿و﴾: أيضًا ﴿تُكَلِّمُنَا﴾: يُنطقُ اللهُ ﷻ جوارحهم ومنها ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾: تشهدُ أيديهم بما سرقت، أو قتلت، أو بطشت، فهي خيرُ شاهدٍ من المجرم على نفسه ﴿وَتَشْهَدُ﴾: أيضًا شهادة صدق وعدل ﴿أَرْجُلُهُمْ﴾: مسيرهم نحو ارتكاب ما حرّمه الله ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَانُوا﴾: في حياتهم الدنيا ﴿يَكْسِبُونَ﴾: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكْ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُحَاظَبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ النُّيُومَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُحْنَتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُحَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُخْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلٌ" (١).

التكليف: الحذر من سوء استخدام حواس الإنسان وأعضائه؛ فإنها ستشهد عليهم يوم القيامة.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ (٦٦)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستفهام ﴿نَشَاءُ﴾: أردنا ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿طَمَسْنَا﴾: هو إزالة الأثر بالمحو ﴿عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾: حولناهم عميانًا؛ يترددون؛ وقال: السدي: أعمينا أبصارهم، وقال ابن عباس: لو أراد الله ﷻ أن يُضلّهم عن الهدى، أي يذهب بأبصارهم، وقيل تُغلق الجفون قبل الفتح ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾: قال مجاهد، والسدي: أسرعوا إلى الطريق؛ ليذهبوا إلى الجنة، فاتهاوا ﴿فَأَنَّى﴾: حرف استفهام أفاد الاستبعاد بمعنى كيف ولأي سبب ﴿يُبْصِرُونَ﴾: كيف سيهتدون وقد أعمى الله ﷻ أبصارهم، وقال ابن عباس: لا يُبصرون الحق.

التكليف: لقد وهب الله ﷻ الخلق وسائل الإدراك، البصر، والسمع، والعقل، والقلب ليهتدوا، فمن عطّلها في الدنيا عطّلها الله ﷻ له في الآخرة؛ فَضَلَّ وَتَاهَ.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (٦٧)

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٨٠ (٢٩٦٩).

﴿وَلَوْ﴾: حرف يُعِيد النفي ﴿نَشَاء﴾: نريد ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿مَسَخْنَاهُمْ﴾: بدلنا خلقهم حجارةً أو قردهً أو خنازير ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾: أمكنتهم التي هم فيها. فيها أقوال: أهلكتناهم، وقال السدي: غيرنا خلقهم، وقال أبو صالح لجعلناهم حجارةً، قال الحسن البصري، وقتادة: أقعدهم على أرجلهم، كما يحدث في حالات الشلل في الدنيا، والله أعلم ﴿فَمَا﴾: حرفٌ إخبار ﴿اسْتَطَاعُوا﴾: لم يقدروا ﴿مُضِيًّا﴾: لا يستطيعون المشي إلى الأمام في اتجاه الجنة ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَرْجِعُونَ﴾: ولا يستطيعون الهروب إلى الخلف، بعيدًا عن النار.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦٨)

﴿وَمَنْ﴾: والذي من جنس العاقلين ﴿نُعَمِّرْهُ﴾: من نُطَل له في عمره من بني آدم في الدنيا ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: نردّه إلى حالة الضعف بعد القوة ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿يَعْقِلُونَ﴾: ألا يدركون بعقولهم أنّ هذه دارٌ زوالٍ، لها نهاية، ضعفٌ بعد قوةٍ، وأنّ الدار الآخرة هي النشأة الثانية في مقابل النشأة الأولى لا زوال لها، ولا انتقال.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (٦٩)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿عَلَّمْنَاهُ﴾: ينفي الله ﷻ أنّه علّم رسوله ﷺ ﴿الشِّعْرَ﴾: فالشعر ليس في طبع محمد ﷺ، وهو لا يُحسنه، ولا تستسيغه جبلته وطباعه، علمًا أنّ الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين؛ كشعر حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾: لا يصلح، ولا يجب لمحمد أن يكون شاعرًا ﷺ ﴿إِنْ﴾: حرف شرطٍ بمعنى ما ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا القرآن الكريم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿ذِكْرٌ﴾: جاء اللفظ القرآني "ذكر" على ستة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى التفكير، وكذا في قوله ﷻ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص-٨٧]، وفي قوله ﷻ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير-٢٧]، وفي قوله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون-٩] ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾: ما جاء به إلا ذكر لأصحاب العقول السليمة، وقرآن واضح الدلالة على الحق والباطل، هو كتاب الله ﷻ الواضح الجلي لكل متدبر.

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧٠)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يُنذِرُ﴾: ليحذّر ويتوعد ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿كَانَ حَيًّا﴾: صاحب القلب مستنير البصيرة، جاء اللفظ القرآني "الحياة" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى المؤمن

المهتدي. انظر [البقرة-٢٨] كلُّ من هو صاحبُ قلبٍ حيٍّ سليمٍ، صاحبُ بصيرةٍ، وقال الضحاك: كلُّ عاملٍ يوجد بين الجملتين ما يُعرف بالمقابلة، مثل المقابلة بين بين الإنذار والإعذار وبين المؤمنين والكافرين ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال ﴿يَحِقُّ﴾: يقع ويصير ﴿الْقَوْلُ﴾: الرِّبَاني بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: الذين قامت عليهم بالقرآن حُجَّةُ الله البالغة؛ فحبوا عن قلوبهم حقيقة القرآن الكريم.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (٧١)

﴿أَوْلَمْ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض الاستنكار ﴿يَرَوْا﴾: ألا يشاهد هؤلاء الكفار ﴿أَنَا﴾: الله ﷻ ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق وجود؛ جاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا، وتمليكا ﴿مِمَّا﴾: بعض أو جزء ﴿عَمِلَتْ﴾: صنعت ﴿أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾: هنا استعارةٌ تمثيلية، شبه الله ﷻ نشأته للخلق والتكوين بمن يعمل أمرًا بيديه؛ لأنه غير دائم والمقصود بأيدينا هنا الفعل خلقنا بإرادتنا الأنعام، وذلناها لهم، وهناك وسائل النقل ومنها ما يُؤكل، وإذا أضفنا إليها السيارات، والطائرات، والسفن الضخمة، ووسائل النقل والتواصل الاجتماعي، وكلها من نعم الله ﷻ وفضله ﴿فَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿لَهَا﴾: حرف تملك ﴿مَالِكُونَ﴾: يستخدمونها بإرادتهم في كلِّ ما ينفعهم.

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٧٢)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿دَلَّلْنَاهَا﴾: جاءت بصيغة الجمع، لعظمتها، سخرناها ﴿لَهُمْ﴾: يقودها الكبير من البشر والصغير؛ فقد دلَّلها الله ﷻ للإنسان ﴿فَمِنْهَا﴾: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَكُوبُهُمْ﴾: جاءت هنا بالاسم وهو الركوب من يركبها الإنسان للسفر، والتنقل، والنقل عليها ﴿و﴾: أيضًا ﴿مِنْهَا﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿يَأْكُلُونَ﴾: وعبر عنها ﷻ هنا بالفعل لأنهم يذبحوها، ويأكلون لحم غيرها، وهي الأنعام والإبل فهي للركوب.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما مضى ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿فِيهَا مَنَافِعُ﴾: ينتفعون من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها أثنًا ﴿و﴾: أيضًا لهم ﴿مَشَارِبٌ﴾: ما تفرزه من ألبان يشربونها ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستنكار والتوبيخ؛ والتقرع، ويُفِيدُ هنا الأمر، وهو ﴿يَشْكُرُونَ﴾: ألا تستحق هذه النعم على النَّاسِ أَنْ يشكروا الله ﷻ؛ فيوحدونه، ولا يشركون به شيئًا.

التكليف: هناك وسائل النقل ومنها ما يُؤكَلُ وإذا أضفنا إليها السيارات، والطائرات، والسفن الضخمة، ووسائل النقل والتواصل الاجتماعي؛ وكلها من نعم الله ﷻ وفضله على الناس.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٧٤)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿اتَّخَذُوا﴾: اعتمدوا ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ آلِهَةً﴾: معبودات، وبالرغم من كل هذه النعم؛ جعلوا لله ﷻ أندادًا وآلهة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: يتوقعون ويرجون أنهم ﴿يُنصَرُونَ﴾: طلبًا لنصرة حجارة لا تسمع ولا ترى، ولا تحمي نفسها إذا أراد غلامٌ أن يحطمها؛ كما فعل إبراهيم عليه السلام.

التكليف: نشهد في العصر الحديث أصنافًا وأندادًا من أنواع آلهة شتى، الاستعانة بدول كافرة، ظالمة من اليهود، والنصارى، والشيعيين، والعلمانيين، وأحزاب، وجماعات، يستعينون بهم على المسلمين؛ لاحتلال أرضهم؛ ونهب ثرواتهم؛ والفتك بعلمائهم؛ وتدنيس مقدساتهم.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ (٧٥)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: يقدرون على ﴿نصرَهُمْ﴾: لن ينفعوهم بشيء إذا احتاجوا إليهم ﴿و﴾: حرف عطف يُعيد الحال ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿لَهُمْ﴾: تمليكًا ﴿جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾: هنا تشبيهه بليغ، فهم كالجند في الخدمة، قال مجاهد يوم الحساب تُجمع هذه الأوثان، والأنداد والشركاء، وتحشر عند عابديها؛ ليكون ذلك أشد وطأة على عابديها، وإقامة الحجّة عليهم، وقال قتادة: لا يستطيع الكفار نصره آلهتهم، فالكفار يغضبون من أجل آلهتهم في الدنيا وهي لا تدفع عنهم شرًا.

﴿فَلَا يَحْزَنُ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٦)

﴿فَلَا﴾: حرف تخصيص ونهي يفيد طلب عدم الفعل ﴿يَحْزَنُ﴾: يصيبك الحزن والهم بسبب ﴿قَوْلُهُمْ﴾: كان الكفار ينكرون رسالة محمد ﷺ، ويتهمونه بالسحر، ويؤذونه بعنادهم؛ فيأمره الله ﷻ ألا يحزن ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿نَعْلَمُ﴾: نُحيط ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُسِرُّونَ﴾: نعلم ما يوجد في نفوسهم من أسرار ﴿و﴾: أيضًا نعلم ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُعْلِنُونَ﴾: ما يقولونه، سيجدون يوم القيامة صغيره وكبيره عليه يُحاسبون عليه.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧)

أسباب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتنه فقال: يا محمد أبيعك الله هذا بعد ما أرم؟ قال: «نعم، يبعث الله هذا

يُمِينُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ قَالَ: فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ ﴿أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^(١) ﴿أَوْلَمْ﴾: حرف استفهامٍ غرضه الأساس هو الاستنكار؛ ولكنه خرج هنا ليحثهم على التفكر والتدبر ﴿يَرَ﴾: يُشاهد ثم يتفكر ﴿الْإِنْسَانَ﴾: بني آدم ﴿أَنَا﴾: الله ﷻ ﴿خَلَقْنَاهُ﴾: أوجدناه من غير سابق وجود ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع، تفيد هنا بداية خلق الإنسان ﴿نُطْفَةٍ﴾: وإن نزلت هذه الآية في أبي بن خلف، أو العاص بن وائل؛ فإنها عامة؛ فالخطاب هنا للإنسان، أن الله ﷻ خلقه من حيوانٍ منويٍ يخرج من الرجل من مجرى البول في الذكر، ومن بويضة الأنثى، فتصل الرحم، ثم يخرج يوم مولده من الأنثى بجوار مجرى البول، وقد جاء: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات- ٢٠] ﴿ف﴾: حرف استثناء بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﴿خَصِيمٌ﴾: شديدٌ، كثيرُ الخصومة لربه، شديدُ الجدل للدعاة والرسول، ولا يطيع ﴿مُبِينٌ﴾: بصورة واضحة، مجاهرٌ.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ضَرَبَ﴾: ذكر ﴿لَنَا﴾: تحديدًا ﴿مَثَلًا﴾: ضرب المُنكر للبعث مثلًا لا ينبغي ضربه وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، جاء الكافر أبي بن خلف بالعظام الرميم، مُستبعدًا إعادتها إلى حال القوة ﴿و﴾: أيضًا ﴿نَسِيَ خَلْقَهُ﴾: تناسى كيف خلقه الله ﷻ، ولم يكن شيئًا مذكورًا، جاء من العدم ﴿قَالَ﴾: الكافر ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُحْيِي﴾: يعيد حياة ﴿الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: وهي بالية، الذي يتساءل بتحدٍ، والإجابة واضحة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ بثقةٍ ويقينٍ ﴿يُحْيِيهَا﴾: يعيد حياة هذه العظام ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، وهنا المقصود الواحد، الأحد ﷻ ﴿أَنْشَأَهَا﴾: أوجدها من غير سابق وجود ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: من نطفةٍ، وعلقةٍ، ومُضغةٍ ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿بِ﴾: حرفُ باءِ التعددية ﴿كُلِّ﴾: جميع ﴿خَلْقٍ﴾: أوجده الله ﷻ ﴿عَلِيمٌ﴾: بجميع خلقه ولا يخفى عليه شيء؛ يجمعها الله ﷻ وإن توقفت في الجار، أو أخذتها الرياحُ، أو ذابت في الأرض.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٤٢٩ (٣٦٠٦)، وقال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، وهنا المقصود الواحد ﴿جَعَلَ﴾: خلق وسَخَّر ﴿أَنْكَمَ﴾: تخصيصًا للنَّاسِ جميعًا ﴿مِنْ﴾: جزءًا ﴿الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾: بدأ اللهُ ﷻ خلقَ الشجرة من بذرة رطبة، سقاها الماء؛ فكبرت، واخضرت، وأثمرت، ثم بلغت ذروتها؛ فجعلها حُطامًا، جاء اللفظ أخضر في القرآن من الجذر اللغوي الثلاثي خضر والأصل الثنائي خض، وهذا معناه الذلّ، والرقّة، واللين ﴿نَارًا﴾: صارت حطبًا ﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَنْتُمْ مِنْهُ﴾: من الحطب ﴿ثَوَقِدُونَ﴾: يُشعلون؛ فتتحول إلى جسمٍ ملتهبٍ، يُوقد عليه النَّاسُ، إنَّ الذي أخرج من هذه الأشجار النَّارَ قادرٌ على أن يبعث الإنسان، لقد جمع اللهُ ﷻ هنا بين الدلّة وما كان عن قهرٍ واللين، وبين النَّارِ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾
(٨١)

﴿أُولَئِكَ﴾: استفهامٌ هدفه هنا التقرير والإثبات؛ لأنّ نفي النفي إثبات ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفردِ المُذَكَّرِ وهي هنا تعني اللهُ ﷻ الذي ﴿خَلَقَ﴾: أوجد دونَ سابق وجودٍ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل، وهي مخلوقات في غاية العظم والكبر والامتساع ﴿وَوَ﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿الْأَرْضِ﴾: جاء اللفظ القرآني "خلق" على سبعة أوجه؛ هنا بمعنى البعث كما في قوله ﷻ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات- ١١]، وفي قوله ﷻ ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾ [النازعات- ٢٧] هل الذي خلق السموات السبع بما فيها من كواكب سيّارة، وخلق الأرضين السبع، وما عليها من جبالٍ وبحارٍ، وما فيها من عيون ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿قَادِرٍ عَلَى أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَخْلُقُ مِثْلَهُمْ﴾: هل يصعب على خالق هذه المخلوقات العظيمة؛ أن يخلق أمثالها ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب للتصديق بمعنى نعم قادرٌ، ولا يصعبُ عليه؛ ويشهدُ الكلُّ على ذلك ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿الْخَلَّاقُ﴾: كلمةٌ تفيدُ العظمة في الذي يخلق المخلوقات بغير سابق وجودٍ ﴿الْعَلِيمُ﴾: الذي يعلم بما يجري في هذا الملكوت، الذي لا يعلمه إلا خالقه ﷻ؛ هل يصعب عليه أن يُعيد خلق البشر، أو يخلق مثلهم، أو يُحيي الموتى.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢)

﴿إِنَّمَا﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿أَمْرُهُ﴾: إذا قال اللهُ ﷻ وأمر ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَرَادَ شَيْئًا﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتُفيدُ عموم الأشياء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَقُولَ لَهُ﴾: للشيء ﴿كُنْ ف﴾: حرف يُفيدُ

السبب، والتتابع السريع **﴿يَكُونُ﴾**: هنا تشبيه سرعة إنجاز الأمر الرباني إذا أراد الله ﷻ لشيء أن يكون؛ فإنه يكون كما أراد، بلا تأخير، ولا تبديل، ولا تحويل، وهذا للمتشككين في البعث يوم القيامة، إن كل ما يلزم هي كلمة الله ﷻ: كُنْ فيكون، ويقوم الخلق من الأجداث.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

﴿ف﴾: حرف ربط جواب الشرط مقدر **﴿سُبْحَانَ﴾**: تنزيه الله ﷻ عن النواقص، والعيوب، والقصور **﴿الَّذِي﴾**: اسم موصول بالمفرد، وهنا المقصود الواحد الأحد ﷻ **﴿ب﴾**: حرف باء الصلة والتأكيد **﴿يَدِهِ﴾**: طوع أمره وإرادته **﴿مَلَكُوتُ﴾**: ويعني العلم الخفي عن البشر من الكون **﴿كُلِّ﴾**: هو المالك لكل **﴿شَيْءٍ﴾**: المتصرف في شؤون خلقه بلا منازع أو ممانع، جاءت بصيغة النكرة لتؤكد جميع، إن لفظ الملك والملكوت شيء واحد في المعنى؛ كرحمة ورحموت، ورهبة ورهيبوت **﴿وَ﴾**: عطفاً على هذا **﴿إِلَيْهِ﴾**: إلى الله ﷻ **﴿تُرْجَعُونَ﴾**: تعودون، كل الخلق، المؤمن، والكافر، يوم القيامة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك كيف أبطل الرسول ﷺ وصحابته والمؤمنون دعاوى المشركين في إثبات البعث، وصحة الرسالة؛ بالأدلة، التي لا جدال فيها.



سورة الصافات هذا اسمها المشهور والمتفق عليه، وسُجِّلَ في كتب التفسير؛ ووجه التسمية وقوع هذا اللفظ في وصف الملائكة، السورة مكيّة بالاتفاق، وهي السادسة والخمسون في تعداد السور، نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان، وعدد آياتها (١٨٢) عند أكثر الذين يعدون.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ (١)

﴿وَ﴾: حرف واو القسم، يُقسم الله ﷻ بصنف من خلقه وهي **﴿الصَّافَّاتِ﴾**: أقسم الله ﷻ بالملائكة، الذين يصطفون صفوفاً في صلاتهم لله ﷻ وأجنتها في السماء، الذين يُتَمَوْنَ الصفوف المتقدمة **﴿صَفًّا﴾**: ويتراصون في الصف كصفوف الخلق في الدنيا.

﴿فَالرَّازِحَاتِ رَاجِرًا﴾ (٢)

﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾: الدافعات، يقول السدي: هي الملائكة التي تزجرُ السحاب، فتوجهه إلى حيثُ شاء الله ﷻ، تحملُ الغيث إلى أماكن بعينها، وقال الربيع بن أنس: ما زجر الله ﷻ عنه ﴿زَجْرًا﴾: دفعًا.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (٣)

﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾: القارئات ﴿ذِكْرًا﴾: يقول السدي: هم الملائكة، يجيئون بالكتاب والقرآن من الله ﷻ.

﴿إِنْ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤)

﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد، وهذا جواب القسم ﴿إِلَهَكُمْ﴾: معبودكم الحق ﴿لَ﴾ وتأكيد ﴿وَاحِدٌ﴾: أحدٌ، فردٌ، صمدٌ.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (٥)

﴿رَبُّ﴾ هنا خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ تقديره هو ربُّ السماوات هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون البديع من حالٍ إلى حالٍ إلى حد التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمرٍ وصاحب ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا، وما حولها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا مالك ﴿الْأَرْضِ وَمَا﴾: الذي فيها من غير العاقل من نجومٍ، وكواكبٍ، وما فيهن من المخلوقات، وأيضًا ﴿بَيْنَهُمَا﴾: بين السماء والأرض، من الإنس، والجن، والملائكة، والشجر، والحجر، وغيرها ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾: ربُّ الشمس في مطالعها، بتسخير الكواكب التي تظهر من المشرق، جاء ذكر المشارق تبيهاً على كثرة إحسان الله ﷻ على عباده، وهو ﷻ ربُّ المغارب التي تغيب فيها الشمس.

التكليف: كان ذكر الله ﷻ المشارق دلالة على المغارب، وجاءت بالجمع؛ لأنَّ الشمس تُشرقُ على أجزاء الأرض، وعلى الكواكب المتحركة.

﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ (٦)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿زَيْنًا﴾: من الزينة وهي تجميل ﴿السَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾: السماء التي فوق سكان الأرض مباشرة ﴿بِزِينَةٍ﴾: هي عناصر التجميل وهي ﴿الْكَوَاكِبِ﴾: جعل الله ﷻ الكواكب السيّارة في أنفسها زينةً عظيمة، فهي في ظلمات الليل في أعين الناس كالجواهر، تُضيءُ لأهل الأرض، زينةً كالجواهر المتألّثة.

﴿وَحَفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ (٧)

﴿وَحَفْظًا﴾: أيضًا حفظناها ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿كُلِّ﴾: تعيد عموم جنس ﴿شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾: الشياطين المتمردة، التي تحاول أن تكون خارج الطاعة، الشياطين العاتية الذين يتسمعون أقوال البشر، والمارد والمريد من شياطين الجن والإنس المتعري من الخيرات، قال عبد الله بن عباس: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَيُّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ النَّسْبِ بِيْحِ أَهْلِ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ثُمَّ قَالَ: الَّذِينَ يُلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَحْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمُونَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرَأُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ^(١).

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (٨)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْمَعُونَ﴾: حتى لا يسمع الشياطين ما يُوحى الله ﷻ إلى الملائكة، وما يشرعه ﷻ لعباده في الأرض، فينزلون به إلى عملائهم من كهنة الكفار، ويخبرونهم به؛ ليحرفوه، قال مجاهد: كانوا يسمعون ولكن لا يسمعون ﴿إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾: أهل السماوات، ومن فيها من ملائكة ﴿وَيُقَدِّفُونَ﴾: عطفًا على تسمعهم؛ يُرمون بالشهب، حتى لا يصلون أو يسمعون ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: جميع ﴿جَانِبٍ﴾: تأتيهم الفدائف من كلِّ جهة، يتسمعون منها.

﴿دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ (٩)

﴿دُخُورًا﴾: مطرودين، مزجورين، ممنوعين من الاستماع للملائكة في السماء إذا تكلموا، بما أوحى الله ﷻ من شرعه ومن قدره ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿لَهُمْ﴾: نصيبهم تخصيصًا ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: عذاب مؤلم دائم لا ينقطع في الدار الآخرة.

﴿إِلَّا مَنْ حَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (١٠)

(١) صحيح مسلم ٤/١٧٥٠ (٢٢٢٩).

﴿إِلَّا﴾: استثناءً لحالة الدحر ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿خَطِفَ﴾: الأخذ السريع
﴿الْخُطْفَةَ﴾: يسمع فيها الشيطان كلمةً في السماء، يتفاوض فيها الملائكة فيما بينهم مما لا
يصل إلى أهل الأرض في السماء؛ فيلقيها الشيطان إلى من تحته، ثم إلى من تحته ﴿ف﴾:
بسبب هذا ﴿اتَّبَعَهُ﴾: لحق به، صَوَّبَ إليه ﴿شِهَابٌ نَّاقِبٌ﴾: مضيءٌ بسبب الاحتراق؛ يُصِيبُهُ؛
فيحرقه قبل أن يُلْقِيهَا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: "إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ،
صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسَّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ. قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ
يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، فَإِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرْقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ، وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ،
وَفَرَجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ، قَرِيبًا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ
يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقُهُ، وَرِيبًا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ
أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقُوها إِلَى الْأَرْضِ - وَرِيبًا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ - فَتَلْقَى عَلَى
فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيَصَدِّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا،
فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ" (١).

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (١١)

﴿ف﴾: حرف استئناف ﴿استَفْتَيْهِمْ﴾: سلهم، واعلم خبرهم واطلب يا محمد ﷺ من المنكرين
للبعث ﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض تقريرهم ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي
للتخصيص، الكفار ﴿أَشَدُّ﴾: هل هم أحكم وأقوى ﴿خَلْقًا﴾: صنعة؟ أجسادًا، وأعظم تركيبًا، من
الذين خلقهم الله ﷻ في السماوات والأرض، ومنهم الملائكة ﴿أَمْ﴾: هل ﴿مَنْ﴾: أي الذين من
جنس العاقل ﴿خَلَقْنَا﴾: أم من خلقنا قبلهم من الأمم السالفة ومن خلقنا في السموات والأرض،
وما بينهما من الملائكة والشياطين ومن على الكواكب العظيمة، إذا كان هذا ما خلقنا، فلم
تُنكروا البعث؛ وقد خلقناكم أيها الناس ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر،
جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿خَلَقْنَاهُمْ مِنْ﴾: أوجدناهم من غير
سابق وجود ﴿طينٍ﴾: التراب ﴿لازِبٍ﴾: قال مجاهد، والضحاك: طينٌ جيدٌ، يلتصق بعضه
ببعض، وقال عكرمة، و ابن عباس: اللزج الجيد، وقال قتادة: الذي يلزق باليد.

التكليف: بدراسة علم الأنسجة الدقيقة؛ نجد أنّ مكونات الإنسان هي مكونات الأرض.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (١٢)

(١) صحيح البخاري ٨٠/٦ (٤٧٠١).

﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، إثبات أنك يا محمد ﷺ ﴿عَجِبْتَ﴾: لقد عجبت يا محمد من تكذيبهم، وعجبت من قدرة الله ﷻ الخالق، وتدبير شئونهم، وعجبت من قدرتهم على التكذيب بالبعث والنشور ﴿و﴾: عجبت أيضًا أنهم ﴿يَسْخَرُونَ﴾: يستهزئون من وحي ربك.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ (١٣)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿ذُكِّرُوا﴾: إذا قيل لهم وعظاً، وإرشاداً، وضربت لهم الأمثال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَذْكُرُونَ﴾: لا يريدون أن يفهموا، أو يتعظوا، أو يقتنعوا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ (١٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَوْا﴾: شاهدوا ﴿آيَةً﴾: دليلاً واضحاً من النبي ﷺ الدالّ على صدق دعوته ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يستهزئون، ويدعون غيرهم إلى السخرية أيضاً، مع الاستهزاء، والتعجب، والاستهجان.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥)

﴿و﴾: أيضاً هذا منهج الجاهلين ﴿قَالُوا إِن﴾: حرف شرط ونفي بمعنى ما ﴿هَذَا﴾: يقولون عن كل آية علمية صحيحة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿سِحْرٌ﴾: من عالم السحر الذي يجهله كثيرون، ﴿مُبِينٌ﴾: فيحققون أهدافهم بالقول: إن هذه ليست آية تعزز دعوة أي رسول، وإنها تعظيم السحر ودور الشياطين.

﴿أَلِإِنَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١٦)

﴿أ﴾: حرف استفهام يفيد الاستنكار والتعجب لما يُستقبل من الزمان يفيد معنى الشرط ﴿إِنَّا﴾: حرف ظرف لما يُستقبل من الزمان؛ يفيد الشرط، أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مِتْنَا وَ﴾: عطفاً على موتنا ﴿كُنَّا﴾: صرنا ﴿تُرَابًا﴾: رماداً ﴿و﴾: أيضاً صرنا ﴿عِظَامًا﴾: وتحللت أجسادنا، وذابت في التراب، وأصبحت العظام رميماً ﴿أِنَّا﴾: هل نحن ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿مَبْعُوثُونَ﴾: هل نعود ونحيا من جديد؛ وتجتمع رُفَاتنا! هل يمكن هذا؟ هذه حجّة القاصر عن تقدير قدرة الله ﷻ، الذي أنشأهم أول مرّة ﷻ، هؤلاء يشعرون بأن البعث مستنكر في نفوسهم، إلى درجة الإنكار للبعث والنشور.

﴿أَوَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ﴾ (١٧)

﴿أَوْ﴾: حرفٌ يُفيد التسوية في الحكم، بمعنى هل سنتساوى نحن و ﴿أَبَاؤُنَا﴾: مبالغة في التضليل يتساءلون؟ وهل أجدادنا، وأجداد آبائنا ﴿الْأَوْلَادُونَ﴾: سيبعثون؟ هذا مستحيل.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ (١٨)

﴿قُلْ﴾: يأمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أن أخبرهم بالإجابة، وهي ﴿نَعَمْ﴾: تُبعثون وأجدادكم يوم القيامة بعدما كنتم تراباً ﴿وَأَنْتُمْ﴾: بالتحديد ﴿دَاخِرُونَ﴾: حقيرون، صاغرون مهجورون بالقدرة الربانية.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩)

﴿فَإِنَّمَا﴾: تخصيصاً وحصرًا ﴿هِيَ زَجْرَةٌ﴾: هي نفخة ﴿وَاحِدَةٌ﴾: في الصور، النفخة الثانية، فتخرج الأجساد التي تجمعت ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد تتابعاً سريعاً، أي بسبب النفخة ﴿إِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر للمستقبل، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، بين نظرهم وبعثهم ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿يَنْظُرُونَ﴾: فإذا هم واقفون بين يدي الله ﷻ، وقد استعادوا وسائل الإدراك، اختار الله ﷻ هنا ﴿يَنْظُرُونَ﴾: بأعينهم هذا الجهاز الدقيق البديع؛ جهاز الإبصار؛ ليروا أهوال يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قَالُوا﴾: هم الكفار ﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿وَيْلَنَا﴾: تحذيرٌ وتهديدٌ، الهلاك لنا، هذا يوم العذاب والغضب فيقال لهم ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾: يوم القضاء والحساب على الذي كذبتكم به.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢١)

﴿هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ﴾: هذا قول الملائكة والمؤمنين؛ تقييماً وتوبيخاً لهم، حيث أمر الله ﷻ الملائكة أن تفصل، وتميز بين الكفار وبين المؤمنين، فكل محشرٍ ومنشئٍ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد ﴿كُنْتُمْ﴾: في الدنيا ﴿بِهِ﴾: بهذا اليوم ﴿تُكَذِّبُونَ﴾: تُنكرون.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢)

يقول الله ﷻ للملائكة: ﴿احْشُرُوا﴾: اجمعوا حشراً، وضغطاً، الذين كفروا، جاء اللفظ القرآني الحشر على وجهين؛ هنا بمعنى السوق والدفع سوقهم واجمعوهم جميعاً جمعاً ضيقاً ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿ظَلَمُوا﴾: الأنبياء بتكذيبهم، وظلموا أنفسهم أن أوردوها النار ﴿و﴾: أيضاً احشروا ﴿أَزْوَاجَهُمْ﴾: قال النعمان بن بشير: أشباههم وأمثالهم، وقال عُمَرُ بن الخطاب ﷺ: ﴿النَّفُوسُ زُوجَتْ﴾ [التكوير-٧] "يُرْوَجُ نَظِيرُهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ قَرَأَ:

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات-٢٢]^(١)، وقال ابن عباس: قرناءهم، حيث يُحشر أهل الزنا مع أهل الزنا، وأصحاب الخمر مع أمثالهم، وأصحاب الربا مع إخوانهم ﴿وَمَا﴾: الذين من جنس غير العاقل ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾: الأصنام، والأنداد، ودعاة الإلحاد، والمحاربين للدين، وأتباعهم.

التكليف: من أعظم ما تفضل به الله ﷻ على المؤمنين يوم القيامة أن يُحشر المؤمن مع المؤمن، فلا يُعاني كما عانى من الكفار في الدنيا.

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٣)

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾: الذين شايعوه، وشاركوهم في شركهم، وعبدهم غير الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب؛ بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿اهْدُوهُمْ﴾: أرشدوهم، ودلوهم حشراً، وهنا تهكّم بالحديث عن الهداية التي هي إلى طريق النعيم، أما المجرمون فهم ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾: طريق ﴿الْجَحِيمِ﴾: إلى النار، إلى جهنم وبئس المصير جاء اللفظ القرآني الصراط على وجهين؛ هنا بمعنى الطريق، وجاء بمعنى الدين في قوله ﷻ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة-٦]، وفي قوله ﷻ ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام-١٢٦]، وفي قوله أيضا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام-١٥٣].

﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قَفُّوهُمْ﴾: سوقوهم دفعاً وتحقيراً إلى جهنم، قال ابن عباس: احبسوهم ﴿إِنَّهُمْ﴾: بكل تأكيد ﴿مَسْئُولُونَ﴾: عن أعمالهم وأقوالهم في الحياة الدنيا، سوف يحاسبون، ثم يُسألون تقريباً، ثم إلى النار يُساقون، عن عبد الله بن عمرو: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُتُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بُنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُتُ النَّاسَ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَيْدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ" قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَخْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟

(١) الزهد لأبي داود ص ٧٧ (٦٣) قال المحقق: إسناده جيد. والحديث أخرجه البخاري معلقاً في صحيحه، تفسير سورة إذا الشمس كورت.

فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارَ رِزْقِهِمْ، حَسَنَ عَيْشِهِمْ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لِيَنَّا وَرَفَعَ لِيَنَّا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُلُوطُ حَوْضَ إِبْلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنَزِّلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الطَّلُّ - نُعْمَانُ الشَّائِكُ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارَ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ^(١).

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ﴾ (٢٥)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَكُمْ﴾: يقال لهم توبيخًا ما بالكم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَنَاصِرُونَ﴾: لماذا لا ينصر بعضكم اليوم بعضًا، ألم تقولوا إنكم جميعاً منتصرون؟

﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (٢٦)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُم﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم الحساب ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾: مُنْقَادُونَ، ذليلون لأمر الله ﷻ، رَغْمًا عَنْهُمْ لأمر الله ﷻ، لا يملكون خلافاً، ولا خياراً.

﴿وَأَقْبَلِ بِغَضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضِ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفِيدُ الحال ﴿أَقْبَلِ﴾: جاء ﴿بِغَضِهِمْ﴾: جماعةٌ من الكفار ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر يدل هنا على المصاحبة ﴿بِغَضٍ﴾: جزءٌ آخرٌ من الجماعة ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: سؤال توبيخ؛ يتلاومون، هذا يوم اللوم بين الكفار في عرصات النار، كما يتخاصمون في دركات النار جاء في المعنى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم-٢١]، واستمروا في التقرع والخوف.

التكليف: إن ظاهرة اللوم بين المجرمين ليست مقصورة على الآخرة، بل هي بعد كل هزيمة أو خسارة لهم.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ (٢٨)

﴿قَالُوا﴾: أهل النار ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَأْتُونَنَا﴾: من جهة الدين والحق، قال ابن عباس: كنتم تقهروننا بالقوة لأننا كنا أدلاء لكم ﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد الظرف ﴿الْيَمِينِ﴾: قال مجاهد: يقول الكفار للشياطين أنتم كنتم تصرفوننا عن الحق، وقال قتادة: قالت

(١) صحيح مسلم ٢٢٥٨/٤ (٢٩٤٠).

الإنس للجنّ من قبل كنتم تصرفوننا عن الخير، وتبطنونا عنه، وقال ابن زيد: كنتم تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان، وعن عمل الخير الذي أمرنا به. التكليف: كان العرب يحبون اليمين ويتفاءلون به؛ جاؤوهم بأسلوب النصح وهم كاذبون.

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩)

﴿قَالُوا﴾: يقول الأتباع لزعماء وقادة الجنّ والإنس المجرمين ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، يفيد الاضطراب ليدل على اضطراب حالهم، ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَكُونُوا﴾: في حياتكم الدنيا ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: أنتم كاذبون أصلاً، بل كانت قلوبكم منكراً للإيمان، إنه حقّ تخاصم أهل النار في الآخرة.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ﴾ (٣٠)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: في حياتنا الدنيا ﴿لَنَا﴾: تخصيصاً ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ﴾: بعض أو جزء قليل ﴿سُلْطَانٍ﴾: جاء اللفظ القرآني سلطان على وجهين؛ هنا بمعنى الملك القاهر، وجاء بمعنى الحجة أو قوة في قوله ﷺ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء-١٥٣]، ما كان لنا عليكم من قوة تقهركم، ولم يكن عندنا دليل صحيح على ما دعوناكم إليه ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿كُنْتُمْ﴾: أنتم في الحياة الدنيا ﴿قَوْمًا﴾: جماعة أو أمّة ﴿طَآغِينَ﴾: كانت طبيعتكم الطغيان، أي تجاوز الحدود؛ فاستجبت لنا، وتركتم الحق ورسالة الأنبياء.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ (٣١)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿حَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيْنَا﴾: وعليكم ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾: هو: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون من طورٍ إلى طورٍ إلى حدّ التمام والخالق، وهو المالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو ﷻ مالك أمرنا كلّه، إنّنا الأشقياء المُعذّبون يوم القيامة ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الكفار بصيغة الجمع؛ العموم، وللتعظيم والتوكيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿ذَائِقُونَ﴾: نتألم بشدّة من هذا العذاب.

﴿فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ (٣٢)

ويكمل زعماء الكفر كلامهم ﴿ف﴾: حرف استثناء يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿أَعْوَيْنَاكُمْ﴾: زيّنّا لكم الكفر ودعوناكم إلى الضلال ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير

للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الكافرين بصيغة الجمع؛ للتوكيد ﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿عَاوِينَ﴾: نعترف اليوم أننا كنا في الدنيا أهل ضلالٍ، دعوناكم فاستجبتم لنا؛ هكذا حق علينا قول ربنا أننا الأشقياء، الذائقون العذاب يوم القيامة.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣)

﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿إِنَّهُمْ﴾: بكل تأكيد التابع والمتبوع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ﴾: الكلُّ التابع والمتبوع مشتركون يوم القيامة في العذاب كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله ﷻ، كلهم في النار ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾: شركاء في العذاب والسكن والمصير.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كَذَلِكَ﴾: أيضًا كما فعلنا بهؤلاء أدقناهم العذاب ﴿نَفْعَلُ﴾: نعاقب، هذا مصير ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: نعذب كل الكفرة والمجرمين.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥)

﴿إِنَّهُمْ﴾: هذا حال المجرمين في الدنيا بالتأكيد، ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها وهو الاستكبار بما قبلها الشهادة ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: إذا نصحهم مؤمنٌ أن اعترفوا أنه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود يستحق العبادة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهُ﴾: كانوا ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: امتنعوا عن قولها تكبرًا وغطرسة.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْرُكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (٣٦)

﴿و﴾: عطفًا على هذا واستمروا ﴿يَقُولُونَ﴾: مُستكبرين بجهلهم، مُتكبرين بأموالهم، وأولادهم ﴿أ﴾: حرف استفهام يُفيد الإنكار ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الكفار بصيغة الجمع؛ للتعجب والاستكثار بمعنى هل نحن ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿تَارِكُو﴾: هل نتخلى ونترك ﴿آلِهَتِنَا﴾: ما نعبد ونطيع ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿شَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾: يقصدون الرسول ﷺ وهو منهج الاستهزاء والاستهتار بالرسول؛ لينفوا عنه الرسالة؛ فاتهموه بأشنع الصفات، بالكذب تارةً، وباتهامه بالشاعر تارةً أخرى؛ فيشهد له الله ﷻ بصدق الرسالة.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧)

﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿جَاءَ﴾: يرد الحق عليهم؛ بل جاء محمد ﷺ ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿الْحَقِّ﴾: جاء اللفظ القرآني "الحق" على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى

التوحيد بالدين الصحيح ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿صَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾: لقد صدق محمد ﷺ الرُّسل الذين سبقوه، وبيعته تحقق ما بشر به الرُّسل، عليهم السلام، دعوته خاتم المرسلين.

﴿إِنكُمْ لَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨)

﴿إِنكُمْ﴾: أنتم أيها المشركون بالتأكيد؛ وبسبب شرككم بالله ﷻ وتكذيبكم رسله، عليهم السلام ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ كفركم وتكذيبكم ﴿دَائِقُوا﴾: سوف تذوقون وتتألمون ﴿الْعَذَابِ﴾: الوجع ﴿الْأَلِيمِ﴾: الموجه الشديد.

﴿وَمَا تُحْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿مَا﴾: حرف نفي بمعنى لا ﴿تُحْزَوْنَ﴾: ما حسابكم أيها الكفار في الآخرة ﴿إِلَّا﴾: استثناءً ﴿مَا﴾: الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: وعقابكم بسبب عملكم السيئ، وكفركم في الدنيا.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤٠)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطع، يستثني من العذاب ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾: الذين أطاعوا الله ﷻ، وعبده حق عبادته ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾: الذين أخلصهم الله ﷻ لعبادته، فأخلصوا نياتهم، فهم ناجون من النار.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّغْلُومٌ﴾ (٤١)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للقريب والبعيد، هؤلاء الموصوفين بالإخلاص ﴿لَهُمْ﴾: ثوابهم، وجزاؤهم كتبه وقدّره الله ﷻ لهم وللمؤمنين والمخلصين أعمالهم ﴿رِزْقٌ﴾: قال السدي: هي الجنة ﴿مَّغْلُومٌ﴾: عَزَفَ اللَّهُ الطَّيِّبَ مِنْهُ، وَحُسْنَهُ، وَدَوَامَهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَنَبِيِّكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجَلٌ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"^(١).

﴿فَوَاكِهَ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ (٤٢)

﴿فَوَاكِهَ﴾: أطيب فواكه، وثمار الجنة المتنوعة التي يشتهيها المؤمن ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي بالتأكيد والتخصيص ﴿مُكْرَمُونَ﴾: رفع الله ﷻ درجاتهم، ورزقهم النظر إلى وجهه الكريم، لهم خدمٌ، ويُنعَمون في مقام المكرمين.

(١) صحيح البخاري ١١٤/٨ (٦٥٤٩).

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٤٣)

﴿فِي جَنَّاتِ﴾: وليس في جنة واحدة، دائمة لا تنقطع ولا تزول ﴿النَّعِيمِ﴾: يتنعمون، ويستمتعون فيها بلا انقطاع.

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤٤)

يجلسون ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾: وهي المقاعد المرتفعة عن الأرض ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: لا ينظر بعضهم إلى ظهور بعض، وهذا من أدب المعاملات، بل وجوههم متقابلة؛ لأن هذا يسرهم، ويؤلف بينهم، ويجعلهم في تواصل، وتواد، وتحاب، مستمر.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (٤٥)

﴿يُطَافُ﴾: يُدار عليهم في مجالسهم بكؤوس، لهم خدم سقاه، يمرون ﴿عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾: يحملون كأساً من ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾: فيها خمر الجنة الصافي، كالماء النقي، ليست كخمر الدنيا، فلا تذهب عقولهم، ولا يصيبهم صداع، ولا وجع معدة، ولا خروج بول.

﴿بِنِصَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (٤٦)

﴿بِنِصَاءٍ﴾: اختار لهم ربهم ﷻ اللون الأبيض، وهو أفضل الألوان، وهو يعنى زوال الألوان، وخاصة السواد، سلباً أو إيجاباً علماً بأن اللون الأبيض يحمل كل الألوان، ومن المعلوم أنّ ألوان الضوء هي ثلاثة: الأحمر، والأزرق، والأخضر ﴿لَذَّةٍ﴾: مُتعة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الشَّارِبِينَ﴾: يشعر الشاربون بلذة شربها.

﴿لَا فِيهَا عُوقٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ (٤٧)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿فِيهَا﴾: ليس فيها ﴿عُوقٌ﴾: لا تُغتال عقولهم فتذهب بوعيمهم، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: لا تُسبب وجع البطن، وقال ابن عباس، وقتادة: هو صداع الرأس، وقال السدي: لا تذهب، لا تغتال عقولهم ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿وَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿عَنْهَا﴾: حرف يُفيدُ المجاوزة، بمعنى هنا بسببها ﴿يُنْزَفُونَ﴾: قال ابن عباس، والحسن، وعطاء، والسدي: لا تذهب عقولهم، لا تسكر، بخلاف مسكرات خمر الدنيا؛ قال فيها ابن عباس أربع خصال: لا تذهب عقولهم، ولا تسبب الصداع، ولا القيء ولا البول.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ (٤٨)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيدُ الحال ﴿عِنْدَهُمْ﴾: معهم في الجنة ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: حابسات الأعين، غامضات البصر، قال ابن عباس، ومجاهد: نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير

أزواجهن **﴿عَيْنٌ﴾**: هنّ صاحبات العيون الكبيرة، النجلاء، الجميلات، وهو أجمل ما كان في حُسن يوسف عليه السلام.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ﴾ (٤٩)

﴿كَأَنَّهُنَّ﴾: حرفٌ يفيد التشبيه اختار الله ﷻ لهنّ أجمل الألوان **﴿بَيضٌ﴾**: هنا تشبيهه العرب للنساء لصفائهنّ وبياضهنّ، تشبيهه لهنّ ببيض النعام الأبيض، وهو أحسن ألوان النساء؛ أجسادهنّ رشيقةً، وصفها ابن عباس: باللؤلؤة **﴿مَكْنُونٌ﴾**: مصونٌ لم تمسّه الأيدي، وقال السدي: مثل بياض البيض، حين يُنزع قشره؛ لأنّ القشرة يمسها الطير، ويلامسه قش العشب، وتمسكها أيدي البشر بخلاف ما بداخلها.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٠)

روى السدي بقصةٍ طويلةٍ عن شريكين من بني إسرائيل أحدهما أنفق نصيبه من الشراكة في طاعة الله ﷻ، وعون المساكين، والثاني استثمرها في الدنيا، فالتقيا في الآخرة، والآية عامة، والله أعلم، تُصوّر مشهدًا مُتكرّرًا يوم القيامة **﴿ف﴾**: حرف استئناف بهدف ترتيب الأمر؛ **﴿أَقْبَلَ﴾**: جاء التعبير عن الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق وقوعه **﴿بَعْضُهُمْ﴾**: جاء فريقٌ منهم يتزاورون ويتسامرون، هم أهل الجنة **﴿عَلَى بَعْضٍ﴾**: جزء **﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾**: عن معاناتهم في الدنيا، ويستذكرون ماضيهم، وهم في الجنة على شرايبهم ولقاءاتهم، جلوسٌ على سررهم، والخدم أمامهم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّ فِي نَفْسِي مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ. قَالَ: «وَمَا هُوَ؟» فَقَالَ: شَكٌّ، قَالَ: «وَيْحَكَ هَلْ سَأَلْتَ أَحَدًا غَيْرِي؟» فَقَالَ: لَا، قَالَ: «هَاتِ»، قَالَ: أَسْمَعُ اللَّهَ يَقُولُ: «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» [الأحزاب- ٢٧] كَانَ هَذَا أَمْرًا قَدْ كَانَ. وَقَالَ «فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ» [المؤمنون- ١٠١] وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» [الصافات- ٢٧]، ثُمَّ ذَكَرَ أَشْيَاءَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» [الأحزاب- ٢٧]، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: «فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ» [المؤمنون- ١٠١] فَهَذَا فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى حِينَ لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» [الصافات- ٥٠] فَإِنَّهُمْ لَمَّا دَخَلُوا الْجَنَّةَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ^(١).

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ (٥١)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤٢٨/٢ (٣٤٨٩) وقال: صحیح الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: رجلٌ من أهل الجنة ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿كَانَ لِي﴾: صاحبٌ في الدنيا ﴿قَرِينٌ﴾: كافرٌ بالبعث، منكرٌ له ملازمٌ لي، قال مجاهد: شيطانٌ، وقال ابن عباس: هو الرجل المشرك الذي يُنكر البعث، كان للذي في الجنة صاحبٌ من المؤمنين في الدنيا، والمُرَجَّح القولان؛ فكلهما يوسوس، جاء في المعنى: ﴿الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس-٥، ٦].

﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ (٥٢)

﴿يَقُولُ﴾: قال المشرك في الدنيا ﴿أ﴾: حرفٌ استفسارٌ بغرض التوبيخ للمؤمن وبسبب تصديقه بما وعد الله ﷻ به من البعث والثواب والعقاب وما كانوا يدعون في الدنيا ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٌ ﴿مِنَ﴾: بعض ﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾: كيف تُصدِّق بالبعث، والنشور، والعذاب، والعقاب، يقول على وجه التكذيب والاستبعاد؛ كُفْرًا وعنادًا.

﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (٥٣)

﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٌ يفيد الاستنكار والتعجب ﴿إِذَا﴾: لما يُستقبل من الزمان يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهو الحساب ﴿مِتْنَا وَ﴾: وعطفًا على موتنا ﴿كُنَّا تُرَابًا﴾: هل تعتقد إذا متنا، وصرنا ترابًا ﴿وَعِظَامًا﴾: وأيضًا بليت العظام، أننا نحيا من جديد ﴿أإِنَّا﴾: هل نحن بالتأكيد ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٍ وسببٍ ﴿مَدِينُونَ﴾: قال السدي ومجاهد: محاسبون، وقال ابن عباس: مجزيون بأعمالنا؟

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ (٥٤)

﴿قَالَ﴾: القائل هو قرينٌ رجلٌ من أهل الجنة ﴿هَلْ﴾: حرفٌ استفسارٌ للتشكيك ﴿أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾: تعالوا نطلع، وننظر إلى ما حولنا؟ انظروا معي لنطلع على مصيرِ القرينِ المكذَّبِ بيومِ الدين.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٥٥)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب عطفًا على اطلاعهم ﴿اطَّلَعَ﴾: نظر ﴿فَرَأَهُ﴾: شاهد قرينه المكذَّب ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: جاء اللفظ القرآني سواء على سته أوجه؛ هنا بمعنى وسط. انظر [البقرة-٦]، وقال ابن عباس: وسط الجحيم، وقال قتادة: رأى جماجم الكافرين تغلي.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُزِدِنِي﴾ (٥٦)

﴿قَالَ﴾: هذا قول المؤمن للكافر ﴿إِنْ﴾: حرفٌ تأكيدٍ ﴿كِدْتَ﴾: أوشكت قاربت ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٍ ﴿تُزِدِنِي﴾: تُهلكني بدخول النار.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٥٧)

﴿وَنُؤَلَّا﴾: حرفٌ تخصيص، والدلالة على منع أمر لوجود ما قبله ﴿بِعِمَّةٍ رَبِّي﴾: فضلُ الله ﷻ، وهدايته لي وإنعامه عليّ، وقد هيا لي الإيمان ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿كُنْتُ﴾: في الآخرة ﴿مِن﴾: بعض ﴿الْمُحْضَرِينَ﴾: قال الماوردي: لا يُستعمل اللفظ أخضر إلا في الشر. فهو بذلك من الموجودين في النار.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (٥٨)

﴿أ﴾: حرف استفهام تقييري، فيصير المنفي مثبتاً؛ والغرض هو التعجب ﴿ف﴾: حرف يفيد العطف بمعنى: أنحن مخلدون منعمون؟ فما نحن بميتين ﴿مَا﴾: حرف نفي؛ يسأل المؤمن المتعم بفضل الله ﷻ من حوله أهل الجنة هل يستوي ﴿نَحْنُ بِ﴾: حرف باء الحال ﴿مَيِّتِينَ﴾: هل نحن مخلدون في الجنة، ولن نموت مرة أخرى؟

﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٥٩)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿مَوْتَنَا الْأُولَى﴾: يغبط أهل الجنة أنفسهم على النعيم، وأنهم مخلدون فلا يموتون ابداً ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿نَحْنُ بِ﴾: حرف باء السببية ﴿مُعَذَّبِينَ﴾: ولا يصيبنا عذاب؛ فلا موت في الجنة.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٠)

قال المؤمنون ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَذَا﴾: الخلود في الجنة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: لقد فزنا فوزاً عظيماً بخلودنا في الجنة وسلامتنا من النار.

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١)

﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مِثْلِ هَذَا﴾: لهذا النعيم المقيم، والجنة، والرضا ﴿ف﴾: تكون سبباً ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾: هذا الذي يجب أن يكون عمل الإنسان في الدنيا، والعمل يكون مصحوباً بالنية ويكون الفعل مصحوباً بالحواس.

التكليف: هذه من الأمثال المرسلة في القرآن الكريم، قال قتادة عن القائل هنا: هذا قول أهل الجنة، وقال ابن جرير: هو قول الله ﷻ.

﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ (٦٢)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض التهكم، قل يا محمد ﷺ لقومك ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، هل جزاء الله ﷻ لنا بدخول الجنة والخلود فيها ﴿خَيْرٌ نُزْلاً﴾: أفضل مقاماً ﴿أَمْ﴾: أو ﴿شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾: شجرة جهنم المسماة بالزقوم، الشجرة الملعونة، التي خلقت في جهنم، وغذيت فيها، وهي طعام

أهل النَّار، التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء- ٦٠]، قَالَ: «هِيَ شَجَرَةُ الرَّقُومِ»^(١).

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿جَعَلْنَاهَا﴾: الشجرة المذكورة في النَّار ﴿فِتْنَةً﴾: اختبارًا كبيرًا؛ لأنها جاءت بصيغة الجمع؛ لأنَّ أهل الكفر قالوا إنَّ صاحبكم محمد ﷺ ينبئكم بأنَّ في النَّار شجرة، ويقول إنَّ فيها النَّار، والنَّار تأكل الشجر، فهو يكذب ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الظَّالِمِينَ﴾: تخصيصًا للكفَّار، الذين ظلموا أنفسهم؛ فأوردوها النَّار.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤)

﴿إِنَّهَا﴾: هي بالتأكيد ﴿شَجَرَةٌ تَخْرُجُ﴾: شجرة الزقوم الخبيثة التي تنبت ﴿فِي﴾: من ﴿أَصْلِ﴾: قعر ﴿الْجَحِيمِ﴾: النَّار جهنم.

﴿طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (٦٥)

﴿طَلَعُهَا﴾: أي ثمرها ﴿كَأَنَّهُ﴾: حرف يُفيد التشبيه والتقريب، كرهية المنظر، يشبه شجرة الزقوم ب ﴿رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾: قيل تشبه وجوه الثعابين، لقد قبَّح الله ﷻ المنظر لتكريه النَّاس فيها، الذين استقرت نفوسهم على قبح وشناعة الشيطان، هنا تنتهي قُبْح المنظر من قبح الجوهر.

﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (٦٦)

﴿ف﴾: بسبب هذا وفي تتابع سريع ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿أَكِلُونَ مِنْهَا﴾: يُخبر الحق ﷻ أنَّ المجرمين سيأكلون من شجرة الزقوم، وهي أبشعُ، وأقبحُ منظرٍ، وأسوأ طعمٍ ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْبُطُونَ﴾: مضطرون للأكل منها؛ فليس سواها يجدون، يأكلون ولا يشبعون، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الرَّقُومِ قُطِرَتْ، لَأَمْرَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الرَّقُومُ^(٢).

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٦٧)

﴿ثُمَّ﴾: بعد ذلك مع تتابع الزمن الطويل ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: تمليكًا لأهل النَّار ﴿ل﴾: تخصيصًا ﴿شَوْبًا﴾: شرابًا ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد هنا

(١) صحيح البخاري ٥٤/٥ (٣٨٨٨).

(٢) مسند أحمد ٤٦٧/٤ (٢٧٣٥)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

بداية الغاية المكانية ﴿حَمِيمٌ﴾: شرابٌ من خليطٍ قبيحٍ حارٍ، بعد أن ذاقوا طعام الزقوم جاء الذكر عن الشراب، قال ابن عباس: شُرِبَ الحميم على طعام الزقوم، وهنا يمتزج الحميم مع صديد وغساق، مما يسيلُ من فروجهم، وعيونهم، إذا أكلوا أو شربوا ساحت جلودهم، ولحومهم، وأمعانهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (٦٨)

﴿ثُمَّ﴾: مع تتابع الزمن وعلى التراخي ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿مَرْجِعَهُمْ﴾: مردُّهم، ومألهم بعد الفصل، من عذاب إلى عذاب ﴿لَ﴾: حرف سبب ﴿إِلَى الْجَحِيمِ﴾: قال قتادة: نَارٌ تَتَأَجَّجُ، وَجَحِيمٌ يُوقَدُ، وجاء: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آنِ﴾ [الرحمن-٤٤].

﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ (٦٩)

﴿إِنَّهُمْ﴾: الكفار بالتأكيد ﴿أَلَفُوا﴾: تعودوا ووجدوا ﴿آبَاءَهُمْ﴾: وأجدادهم ﴿صَالِينَ﴾: تائهين عن الهدى؛ فاتبعوهم؛ وتأسوا، بهم وساروا على آثارهم في ضلال؛ من غير حُجَّةٍ أو برهانٍ، فعاقبناهم بما جاء ذكره.

﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (٧٠)

﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص، هؤلاء الكفار ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾: يتبعون منهج وآثار الكافرين، على خطى آبائهم يسيرون، في الغيِّ والضلال ﴿يُهْرَعُونَ﴾: قال مجاهد: يهرولون، وقال سعيد بن جبير: يسفهون.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾ (٧١)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿ضَلَّ﴾: جاء اللفظ القرآني "الضلال" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى الكفر، حيث كانت الأمم ﴿قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾: الأمم الكافرة السابقة. التكليف: جاء قصص السابقين هنا تسليةً للرسول ﷺ؛ بسبب ما قاسى من كفار قريش.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٧٢)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعث الله ﷻ ﴿فِيهِمْ﴾: إليهم الرسل ﴿مُنْذِرِينَ﴾: ليهدوهم؛ ويخوفونهم من عاقبة كفرهم فأبوا؛ فكان عاقبتهم النَّارُ التي جاء وصف مقامها، وشرابها، وطعامها.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ (٧٣)

﴿فَانظُرْ﴾: بسبب ما جاء تأمل وتفكر ﴿كَيْفَ﴾: حرفٌ يُفيدُ التعجب والاستكار ﴿كَانَ﴾: صار وتحقق ﴿عَاقِبَةُ﴾: مصيرٌ، ومآلٌ، كيف أهلك الله ﷺ ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾: المكذبين، كيف دمّهم في الدنيا، وأدخلهم النار في الآخرة.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٧٤)

﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ منقطعٍ، بمعنى نجا الله ﷻ ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾: الطائعين العاملين بأوامره ﷻ ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾: المؤمنين منهم، ونصرهم على الكافرين بإيمانهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥)

﴿و﴾: أيضًا ﴿لَقَدْ﴾: حرف جزم أفاد التأكيد؛ لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿نَادَانَا نُوحٌ﴾: في سياق ذكر الأولين؛ جاء ذكر نوح ﷺ، وهو أول الرسل؛ عليهم السلام، دعا قومه؛ فأبوا، وقد جاء في المعنى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ [القمر-١٠] ﴿ف﴾: بسبب أن الله ﷻ ﴿لْنِعْمَ﴾: بالتأكيد ليس أحسن منا ﴿الْمُجِيبُونَ﴾: الذين يستجيبون لدعاء نوح ﷺ، ونصرته على قومه، فكان عذابهم.

﴿وَوَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿وَجَّيْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث، وعظم المنجى ﷻ ﴿و﴾: أيضًا نجينا ﴿أَهْلَهُ﴾: أهل دينه المؤمنين به وليس ابنه لأن القرآن نفى أن يكون ابن نوح من أهله ﴿مِنَ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿الْكَرْبِ﴾: السوء، والضرر، والشدة ﴿الْعَظِيمِ﴾: فقد أرسل الله ﷻ على قومه الفاسقين الطوفانَ الكبير؛ فغرقوا جميعًا، ونجا الله ﷻ نوحًا ﷻ، ومن آمن معه؛ وحملهم في السفينة.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿جَعَلْنَا﴾: قدر الله ﷻ أن جعل ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾: أبناءه وأحفاده ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْبَاقِينَ﴾: قال ابن عباس: لم تبق إلا ذرية نوح ﷻ؛ لتخرج منهم أممٌ كبيرة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨)

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: قال ابن عباس: بذكر خيرٍ، وقال مجاهد: لسان صدقٍ للأنبياء، وأبقى الله ﷻ الثناء عليه في الأمم اللاحقة.

﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩)

﴿سَلَامٌ﴾: أمانٌ وسلامٌ، جاء اللفظ القرآني "السلام" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى الذكر الطيب، والثناء الحسن ﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾: ﷺ؛ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ جَمِيعَ الطَّوَائِفِ وَالْأُمَّمِ.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كَذَلِكَ﴾: هذا مثالٌ على جزاء الذي عبد الله ﷻ كأنه يراه ﴿نَجْزِي﴾: نُكَافِي، ونمنح أن يجعل الله ﷻ له لسان صدق من بعده ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين يعبدون الله ﷻ بقناعةٍ ويقينٍ وتصديقٍ.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١)

﴿إِنَّهُ﴾: نوح ﷺ؛ شهادةٌ له من الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين آمنوا بصدقٍ، وقناعةٍ، ويقينٍ.

﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾ (٨٢)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفِيدُ التتابعَ الزمني والترتيبَ الحقيقي؛ لأنَّ غرقهم حصل قبل غرق الآخرين الباقيين ﴿أَعْرَفْنَا﴾: أهلكنا بالطوفان ﴿الْأَخْرِينَ﴾: كلَّ كافرٍ من الذين لم يركبوا مع نوحٍ عليه السلام، فلم يبق منهم أحدٌ، ولا أثرٌ، ولا ذكرٌ إلا الصفة القبيحة.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣)

﴿وَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿شِيعَتِهِ﴾: أشياع نوح ﷻ، على منهاجه ومثلته قال ابن عباس: أهل دينه، وقال مجاهد: الذين هم على منهاجه وسنته ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ ﷺ، وهو أبو الأنبياء، عليهم السلام، ومن أشياعه ومن هم على منهاج نبي الله إبراهيم ﷻ.

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٤)

﴿إِذْ﴾: حدث في الماضي بمعنى حين ﴿جَاءَ رَبَّهُ﴾: هو ﷻ المُعْبُودُ، والمُرَبِّي، وهو صاحب ومنشئ الكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو سبحانه الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، أقبل على الله ﷻ مالك أمره كلّه ﴿بِ﴾: حرفُ بَاءِ السَّبِيبةِ ﴿قَلْبٍ﴾: هو مركز الوعي والإدراك ﴿سَلِيمٍ﴾: بريء من كل اعتقادٍ باطلٍ، قال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله، وقال ابن سريين: يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتيةٌ، لا ريب فيها، وأن الله ﷻ يبعث من في القبور، وقال الحسن: قلبٌ سليمٌ من الشرك، هنا تشبيهٌ لمن أقبل على ربّه مخلصاً بمن قدم على الملك بهديةً ثمينةً؛ فغاز بالقبول.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥)

هذا تسجيل ربّاني خالد يُفيد إنكاراً من إبراهيم عليه السلام، وتوبيخاً، وتسفيهاً لقومه وأبيه أزر ﴿إِذْ﴾: حرف يفيد السبب حين حدث في الماضي ﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿أَبِيهِ﴾: أزر ﴿و﴾: أيضاً: قال ل ﴿قَوْمِهِ﴾: أقرابه ﴿مَاذَا﴾: حرف استفهام ﴿تَعْبُدُونَ﴾: مُنكراً لعبادتهم الأصنام، والأنداد.

﴿أَنْفَعَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض التوبيخ والإنكار ﴿إِنْفَعَا﴾: كَلَّ ما هو باطل وكاذب ﴿آلِهَةً﴾: كل ما تعبدونه من دون الله ﷻ ﴿دُونَ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: تدعون كذباً أنّ هؤلاء الأصنام آلهة ﴿تُرِيدُونَ﴾: أن تُعبد من دون الله ﷻ ؟

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧)

﴿فَمَا﴾: حرف يُفيد خبراً ﴿ظَنُّكُمْ﴾: ما هو اعتقادكم ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّ﴾: الخالق، والمالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾: عالم الغيب والشهادة ورب الدنيا والآخرة، بلا انقطاع أو زوال. أنّ الله فاعلٌ بكم إذا رجعت إليه يوم القيامة، وقد عبدتم غيره.

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (٨٨)

﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿نَظَرَ﴾: إبراهيم عليه السلام ﴿نَظْرَةً﴾ في النُّجُومِ: نظر إلى السماء مُتفكراً، يُدبر لقومه الذين لا يؤمنون مكيدة، تُظهر سفاهة عقولهم، والعرب تقول من نظر إلى السماء كان يُفكر، فعلها إبراهيم عليه السلام، قال قتادة: ليلهم عنه.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿سَقِيمٌ﴾: إني مريض القلب، بسبب عبادتكم الأوثان؛ حتى لا يخرج مع قومه إلى عيدهم؛ وحتى يتفرغ لتكسير أصنامهم، لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا في الذي لا يحاسب عليه، ولكنّه من المعارض في الكلام لمقصدٍ خيرٍ شرعيٍّ دينيٍّ، كانت هذه الأولى، وقال في الثانية: فعله كبيرهم هذا، وقال في الثالثة: عن سارة هي أخته.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩٠)

﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: ابتعدوا عنه؛ فقد صدّقوا أنّه مريض ﴿مُدْبِرِينَ﴾: مُبتعدين عنه؛ خوفاً من العدوى أو ليرتاح.

﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١)

﴿ف﴾: في تتابعٍ سريعٍ ﴿رَاع﴾: مالٌ وأسرع متخفياً ﴿إِلَى إِلَهْتِهِمْ﴾: إلى الأصنام التي يعبدونها، وقد وضع الكفار طعاماً أمام هذه الأصنام فسأل الأصنام مستهزئاً ﴿فَقَالَ أَلَا﴾: حرفٌ تنبيهه ﴿تَأْكُلُونَ﴾: لماذا تمتنعون عن الأكل؟

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٩٢)

﴿مَا لَكُمْ﴾: جاء الاستفهام للتهكم، خاطب الأصنام كأنهم من العاقلين؛ مع يقينه أنهم لا ينطقون من باب التهكم؛ لماذا ﴿أَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَنْطِقُونَ﴾: لا تتكلمون، وأنتم الآلهة، وهو يعلم أنها حجارة، ولكن توبيخاً لمن عبدوهم.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٩٣)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا﴾: أسرع في ضربهم؛ لتكسيرهم ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿الْيَمِينِ﴾: المقصود بالعدل أقبل على آلهتهم يضربها ويكسرها، إنزال عليهم ضرباً بيمينه، وهي اليد الأقوى عنده، كما أن الشمال كناية عن الجور.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ (٩٤)

﴿ف﴾: حرف سبب ﴿أَقْبَلُوا﴾: قدموا، جاؤوا ﴿إِلَيْهِ﴾: حيثُ أصنامهم المهشمة ﴿يَزْفُونَ﴾: قال مجاهد: يُسرعون مُعاتبين.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٩٥)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ بثباتٍ و يقينٍ مستهزئاً ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار ﴿تَعْبُدُونَ﴾: كيف تطيعون ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿تَنْحِتُونَ﴾: تصنعونها من الصخور؟

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿اللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾: والله أوجدكم من غيرٍ سابقٍ وجودٍ ﴿و﴾: أيضاً سخر لكم ليعلم ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل ﴿تَعْمَلُونَ﴾: قد تكون مصدر فيكون؛ خلقكم وعملكم، وقد تكون والذي تعملون من أصنامٍ، وتماثيل تعبدونها، هذه نوبةٌ توبيخٍ قويةٌ.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٩٧)

﴿قَالُوا﴾: عندما عجز الكافرون في الحجة لجأوا إلى العنف، وهذا منهج الكافرين في كلِّ العصور، وكلِّ الأماكن؛ فتشاوروا، واتفقوا على ﴿ابْنُوا لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿بُنْيَانًا﴾: أن يبنوا فرناً؛ ووضعوا فيه الحطب ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السبب، والتتابع السريع ﴿أَلْفُوهُ﴾: ليلقوا فيه إبراهيم

ﷺ، ﴿فِي الْجَحِيمِ﴾ في النار المُسعرة. انظر [الأنبياء-٥٠ حتى ٧٠].

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٩٨)

﴿فَارَادُوا بِهِ﴾: تأمروا عليه، ورجبوا، وأعدوا له ﴿كَيْدًا﴾: سوءًا؛ عندما أجمعوا على حرق إبراهيم ﷺ؛ نجاهُ الله ﷻ، فكانت النار برداً وسلاماً عليه ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿جَعَلْنَاهُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع لتعظيم الفعل؛ كان مصيرهم أن صاروا ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾: الأخسرين أنزل الله ﷻ عليهم غضبه.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٩٩)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿ذَاهِبٌ﴾: مهاجرٌ ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، بعد أن نجاهُ الله ﷻ من قومه، وأيقن إبراهيمُ ﷺ، أنهم لن يؤمنوا؛ فهاجر، وتركهم، ليستمر في عبادته وثقًا، قائلاً: ﴿س﴾: حرفٌ يفيد تأكيد القول والفعل في المستقبل ﴿يَهْدِينِ﴾: سيدلني ربي على مكان عبده فيه لا يمنعي من عبادته مانعٌ، وأفعل فيه فعل الخير لنفسي، وديني، وللمؤمنين برسالتي.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠٠)

﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كله؛ في هذا الظرف يؤكد إبراهيمُ ﷺ، عبوديته لله ﷻ رب العالمين ﴿هَبْ﴾: امنحني، وارزقني ﴿لِي﴾: تخصيصًا؛ طلب إبراهيمُ ﷺ، من الله ﷻ ولدًا يكون ﴿مِن﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الصَّالِحِينَ﴾: من العابدين المطيعين.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (١٠١)

﴿ف﴾: بسبب دعائه ﴿بَشَّرْنَاهُ﴾: أخبره الله ﷻ بصيغة الجمع؛ وهي وصف حال المستقبل فالبشرى تُفيد وصف حال المستقبل؛ سيقى هذا الغلام؛ وينمو ويكبر وتكون من صفاته اللحم للتعظيم بما يسره ﴿بِغُلَامٍ﴾: صبيٌّ ذكرٌ ﴿حَلِيمٍ﴾: في كبره ومن الطائعين، رزقه الله ﷻ إسماعيل، وجاء بعده إسحق، عليهما السلام.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٢)

﴿فَلَمَّا﴾: في تتابعٍ وبسببِ ﴿بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: كبر إسماعيل ﷺ، وسار يمشي مع أبيه، وتحمل ما يتحمله أبوه ﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿بُنَيَّ﴾: قال إبراهيم لولده إسماعيل ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ﴾: قال سعيد بن عمر: رؤيةُ الأنبياء وحيٌ ﴿أَنِّي﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿أَذْبَحُكَ ف﴾: لهذا السبب ﴿انظُرْ﴾: تفكر وتدبر ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾: كان هدف الأب إخبار ابنه؛ ليهوّن عليه، ويختبر صبره،

وجلده، وعزمه، وطاعته لأبيه ﴿قَالَ﴾: إسماعيل عليه السلام ﴿يَا﴾: حرف نداء ﴿أَبْتَ﴾: أبي ﴿أَفْعَل﴾
 ما: الذي ﴿تُوْمَرُ﴾: نفذ ما أمرك الله تعالى به ﴿س﴾: حرف يُفِيدُ تحقق الفعل ﴿تَجْدِي إِنْ﴾:
 حرف تأكيد ﴿شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾: وشهد الله تعالى لإسماعيل بالصبر والرضا.
 التكليف: كانت طاعة الوالدين احتساباً لله تعالى مغنماً، حتى وإن كانت بحجم ما طلبه، إبراهيم،
 من إسماعيل عليهما السلام.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٣)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفِيدُ التتابع ﴿أَسْلَمَا﴾: خضعاً لأمر الله تعالى، وأطاعاه، قال مجاهد، وعكرمة،
 وقادة: ذكرا الشهادة، وذكر الله تعالى، وتهياً لإبراهيم للذبح، وتهياً الولد للموت شهيداً، واستسلما
 انقياداً ﴿و﴾: أيضاً ﴿تَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: قال ابن عباس: وضع إبراهيم ابنه إسماعيل على وجهه
 ليذبحه من قفاه؛ كيلا يرى وجهه وهو يذبحه، وقال مجاهد: أَسْلَمَا: سَلَمَا مَا أَمْرًا بِهِ، وَتَلَّهُ: وَضَع
 وَجْهَهُ بِالْأَرْضِ" (١).

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (١٠٤)

قال ابن عباس: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَمَرَ بِالْمَنَاسِكِ، عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَسْعَى فَسَابَقَهُ، فَسَبَقَهُ
 إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيْلُ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ شَيْطَانٌ قَالَ يُوسُفُ: الشَّيْطَانُ فَرَمَاهُ
 بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، قَالَ: قَدْ
 تَلَّهُ لِلْجَبِينِ - قَالَ يُوسُفُ: وَتَمَّ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ - وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ قَمِيصٌ أَبْيَضٌ، وَقَالَ: يَا أَبْتَ، إِنَّهُ
 لَيْسَ لِي ثَوْبٌ تُكْفِنُنِي فِيهِ غَيْرُهُ، فَاخْلَعُهُ حَتَّى تُكْفِنَنِي فِيهِ، فَعَالَجَهُ لِيَخْلَعَهُ، فَنُوْدِيَ مِنْ خَلْفِهِ:
 ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرَّؤْيَا﴾ [الصافات-١٠٥] فَأَلْتَقَتْ إِبْرَاهِيمُ، فَإِذَا هُوَ بِكَبْشٍ أَبْيَضٍ أَقْرَنَ
 أَعْيُنَ (٢)، ﴿و﴾: حرف عطف يُفِيدُ الحال ﴿نَادَيْنَاهُ﴾: المُنادي هو الله تعالى الواحد الأحد، جاءت
 بصيغة الجمع للتعظيم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريبِ والبعيدِ ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾:
 فالتفت إبراهيم عليه السلام، خلفه؛ فإذا بكبشٍ أقرنٍ أعين.

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٥)

﴿قَدْ﴾: حرف جزم أفاد التأكيد؛ لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿صَدَّقْتَ﴾: تحقق فيما فعلت
 ﴿الرَّؤْيَا﴾: حدث المقصود من رؤيتك بما فعلت بولدك، قال السدي: أنه وضع السكين على
 رقبة ولده؛ فلم تقطع ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله

(١) صحيح البخاري ٣١/٩ باب رؤيا إبراهيم عليه السلام.

(٢) مسند أحمد ٤٣٦/٤-٤٣٧ (٢٧٠٧) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات؛ رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي.. قال ابن حجر:
 مقبول، وقد وثقه ابن معين.

﴿بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد﴾ **كَذَلِكَ**: مثل هذا، أيضًا كما أخرجناك من هذه المحنة **﴿نَجْرِي﴾**: نكافئ ونُعَوِّضُ **﴿الْمُحْسِنِينَ﴾**: هكذا نصرّفُ عمّن أطاعنا الشدائد، ونفَرِّجُ الكربة. التكليف: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** [الطلاق-٢، ٣]

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ النَّبَاءُ الْمُبِينُ﴾ (١٠٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿هَذَا﴾**: حرف تنبيه وإشارةٍ إلى الأمر الربّاني الواضح والصعب؛ بذبح الولد **﴿لَهُوَ النَّبَاءُ﴾**: الاختبار **﴿الْمُبِينُ﴾**: الواضح الدلالة، إذ أمره ربّه بذبح ولده؛ فشرع في التنفيذ، واستسلم الولد لأمر الله **﴿راضياً﴾**.

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٧)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُقيدُ الحال عطفًا على طاعة الأب والابن **﴿فَدَيْنَاهُ﴾**: افتدى الله **﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾**: حرف باء السببية **﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾**: قال عليّ **﴿كبشٍ أبيضٍ﴾**، أقرن قد رُبط بسمرة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿تَرَكْنَا﴾**: أتى الله **﴿عَلَيْهِ﴾**: على إبراهيم ثناءً حسنًا **﴿فِي الْآخِرِينَ﴾**: في سير الشعوب إلى يوم القيامة.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٠٩)

﴿سَلَامٌ﴾: تحيةٌ وأمنٌ وأمانٌ **﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾**: لإبراهيم من ربّه **﴿لأنّه أطاع، وسلامٌ على ولده الذي أطاع، وفاز الاثنان برضا الله﴾**، والنجاة من البلاء العظيم.

﴿كَذَلِكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٠)

﴿كَذَلِكَ﴾: كما كإفاناً إبراهيم وإسماعيل **﴿نَجْرِي﴾**: نكافئ **﴿الْمُحْسِنِينَ﴾**: الذين عبدوا الله **﴿راضياً﴾**، وأطاعوه حق طاعته.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١١)

﴿إِنَّهُ﴾: شهادة ربّانية، تأكيدٌ من الله **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع **﴿عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾**: لنبيّ آمن وهو وصبي، وصبر على ابتلاء الحرق، ونجّاه الله **﴿وشهادة له وهو شيخٌ، وقد كان بين الجيلين وفيّاً لدينه وربّه﴾**.

﴿وَبَشِّرْنَا هَؤُلَاءِ بِسَبْحٍ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق، بعد قصة إسماعيل عليه السلام ﴿بَشْرَانَاهُ﴾: والبشرى هي إخبار بما يُرْحُ ويُبْهَجُ، وهي حُسْنُ اللون، وظهور السرور، جاءت بصيغة الجمع لعظم البُشرى، فقد بشر الله ﷻ إبراهيم بولدٍ آخر ﴿إِسْحَاقَ﴾: ليكون ﴿نَبِيًّا﴾: بشارة بأنه سيكونُ نبيًّا ﴿مِنْ﴾: حرف تمييز ليكون من بعض ﴿الصَّالِحِينَ﴾: جاء وصفه بالصلاح بعد النبوة تعظيمًا لشأنه، فلا حاجة إلى وجود المُبشِّر به وقت البشارة، لأنها جاءت من الله ﷻ الذي يعملون بما أمرهم الله ﷻ، وبدلاً من ذبح ولدٍ صار له ولدان.

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١١٣)

﴿و﴾: عطفاً على طاعة إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام ﴿بَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾: زدنا له في الخيرات والنعمة ﴿و﴾: أيضاً باركنا ﴿عَلَى إِسْحَاقَ﴾: ولد إبراهيم عليه السلام الثاني ﴿وَمِنْ﴾: أيضاً بعض ﴿ذُرِّيَّتِهِمَا﴾: وأكثرنا من أولادهما، فمنهم ﴿مُحْسِنٌ﴾: من يعبد الله ﷻ بيقين، يرجو جنته ويخشى عذابه، ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿ظَالِمٌ لِّ﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِهِ﴾: جوهر الإنسان ومنهم من سيكفر؛ فيظلم نفسه في الدنيا والآخرة ﴿مُبِينٌ﴾: واضح الظلم.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١١٤)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿مَنَّا﴾: أنعمنا وتفضلنا ﴿عَلَى مُوسَى وَ﴾: أيضاً منّا على ﴿هَارُونَ﴾: على الأخوين، أنعمنا عليهما بالنبوة، ونزول التوراة كتاباً، واضحاً، مفصلاً.

﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (١١٥)

﴿و﴾: عطفاً على طاعتها ﴿نَجَّيْنَاهُمَا﴾: سلّمناهما ﴿و﴾: أيضاً نجينا، بصورة عظيمة؛ لأنها جاءت بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحدٌ ﷻ ﴿قَوْمَهُمَا﴾: هم الذين آمنوا من بني إسرائيل الذين من نسلهم، وأقاربهم، وأصحاب ملّتهم من بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: من قهر واستعباد فرعون لهم، بقتل الأبناء، واستحياء النساء؛ كخدم في أحسن الأعمال، ومن حياة العبودية إلى حياة الحرية.

﴿وَوَصَّرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (١١٦)

﴿وَوَصَّرْنَاهُمْ﴾: جاء اللفظ بصيغة الجمع؛ لموسى وهارون وقومهما لعظم الحدث كان النصر على فرعون وجنوده الذي كان مستحيلاً، وقد يكون المقصود هو نجاة موسى وهارون تعظيماً لهما والله أعلم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب؛ بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿كَانُوا هُمْ﴾: تحديداً ﴿الْغَالِبِينَ﴾: المنتصرين الذين ورثوا أرض مصر، وأموال فرعون، وقومه. التكليف: مع الإيمان الصادق فإن الغلبة للمؤمنين مهما كانت قوة أعدائهم.

﴿وَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ (١١٧)

﴿و﴾: أيضًا ﴿آتَيْنَاهُمَا﴾ أنزلنا عليهما ﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة الكتاب العظيم؛ يوضح دين الإسلام
﴿الْمُسْتَبِينَ﴾: الفرقان، والضياء، الواضح في الأقوال والأفعال.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١٨)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿هَدَيْنَاهُمَا﴾: أرشدناهما وبيّنا لهم ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: المنهج
والسبيل الذي يوضح الفعل السليم، والقول السديد، الذي أمر به الله ﷻ؛ ليحقق الغاية، في
أقصر طريق.

التكليف: مهما كانت دساتير العالم ستبقى قاصرة عن تحقيق الغاية الكلية، سعادة الدنيا، والفوز
بالآخرة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٩)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿تَرَكْنَا﴾: أبقينا من بعدهم ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾: لهما نكرا
من بعدهم، نكرا طيبا، وثناء حسنا.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١٢٠)

﴿سَلَامٌ﴾: جاء اللفظ القرآني سلام على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى الثناء الحسن تحية من الله
ﷻ ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ﴾: أيضًا سلام على ﴿هَارُونَ﴾: تحية لهما في الآخرة وفي الأولى، وتحية
الله ﷻ هي النجاة من كل مكروه، هي منحة عظيمة.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢١)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛
للتعظيم والتوكيد ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا وأيضًا هذه سنن ﴿نَجْزِي﴾: نكافئ من فضل الله ﷻ الدائم
على عباده ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين يعبدون الله ﷻ بصدقٍ ويقينٍ، وهم من المتقين، وعلى كل
الأنبياء والمؤمنين، والمحسنين.

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٢)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هُمَا﴾: ضمير يفيد الاثنين؛ شهادة من الله ﷻ لعبديه
موسى وهارون، عليهما السلام، بصيغة التأكيد ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ﴾: أصحاب الإيمان العميق والصادق، والعاملين به والمُضْحِّين من أجله؛ لإظهارهما
أصالة أمره وجلال قدره ﷻ.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿إِلْيَاسَ﴾: يُذَكَّرُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ إِيَّاسَ هُوَ إِدْرِيسُ^(١)؛ واللّه أعلم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مِنْ﴾: بعض ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: من الذين أكرمهم الله ﷺ بالنبوة والرسالة؛ بعثه الله ﷻ في بني إسرائيل.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٢٤)

﴿إِذْ﴾: أيضاً حدث في الماضي حين ﴿قَالَ﴾: إلياس ﴿لِقَوْمِهِ﴾: هم جماعة من أصل واحد، ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه وتحذير ﴿تَتَّقُونَ﴾: ألا تخافون غضب الله ﷻ؛ بعبادتكم غيره، وعدم طاعته، وشرككم، واقترافكم المعاصي.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (١٢٥)

﴿أ﴾: حرف استفسار بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿تَدْعُونَ﴾: تترجون، وتتوسلون، وتطيعون ﴿بَعْلًا﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: يعني رباً،^(٢) وقال عكرمة، وقتادة: يعني الرب بلغة أهل اليمن، وقال عبد الرحمن بن زيد: اسم صنم، عبده أهل مدينة بعلبك، غربي دمشق، وقال الضحاك: صنم عبده ﴿و﴾: عطفاً على دعاءكم لبعل ﴿تَذَرُونَ﴾: تتركون عبادة ﴿أَحْسَنَ﴾: جاءت بصيغة الأفعال ﴿الْخَالِقِينَ﴾: المنشئ والمبدع للخلق دون سابق مثال.

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (١٢٦)

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: تتركون الله ﷻ مالك أمركم كله، وهو المستحق بالعبادة ﴿و﴾: هو أيضاً ﴿رَبُّ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالك أمركم كله ﴿آبَائِكُمْ﴾: لا شريك له، خالقكم ورازقكم أنتم ﴿الْأُولِينَ﴾: ومن قبلكم ومن بعدكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ مَحْضُرُونَ﴾ (١٢٧)

﴿ف﴾: بسبب ما قال وفي رد فعل سريع ﴿كَذَّبُوهُ﴾: لم يُصدقوا رسولهم إدريس عليه السلام، بل كذبوه ﴿فَأْتَهُمْ﴾: هم جميعاً بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿مَحْضُرُونَ﴾: ستحضرهم الملائكة في يوم القيامة؛ في العذاب، أو في النار؛ لأنّ الإحضار المطلق مخصوص بالشرّ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (١٢٨)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾: الذين أطاعوا الله ﷻ في كلّ مناحي حياتهم ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾: حق عبادته؛ الموحدين من قومه؛ فإنّهم ناجون من العذاب.

(١) صحيح البخاري ١٣٥/٤ باب ﴿وإن إلياس لمن المرسلين...﴾ .

(٢) صحيح البخاري ١٢٣/٦ باب سورة الصافات.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٢٩)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿تَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: تركنا خلفه، وأبقينا عليه ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: سيرةً عطرةً، وثناءً جميلاً في الأمم اللاحقة.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٣٠)

﴿سَلَامٌ﴾: تحيةٌ من الله ﷻ، وثناءٌ ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾: هو إيلياس، ولكن قيلت الياسين كما يقول بنو أسد عن إسماعيل. انظر [المائدة-١٦] والراجح أنّ إيل ياسين هم أنصاره.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣١)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كَذَلِكَ﴾: مثلما كافأنا إيلياس ﴿نَجْزِي﴾: نكافئ أيضاً ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: من عبادنا المؤمنين الذين عبدوا الله ﷻ بيقين.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢)

﴿إِنَّهُ﴾: إنّ إيلياس بالتأكيد ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿عِبَادِنَا﴾: من عباد الله ﷻ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: صادقي الإيمان. انظر [الصافات-١٢٢].

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣)

﴿و﴾: أيضاً يقول الحق ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لُوطًا﴾: إلى قومه ﴿لَمِنَ﴾: بعض ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: فهو رسول الله ﷻ بشيراً ونذيراً.

﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣٤)

﴿إِذْ﴾: حدث في الماضي يفيد هنا التوكيد ﴿نَجَّيْنَاهُ﴾: وأهله أجمعين من العذاب الذي نزل بقومه أهل الفاحشة، وهو لوط عليه السلام، جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث، لقد نجّاهُ اللهُ ﷻ ممّا عاقب به قومه ﴿و﴾: أيضاً نجّى اللهُ تعالى ﴿أَهْلَهُ﴾: أهل لوط عليه السلامه ﴿أَجْمَعِينَ﴾: جميعاً بلا استثناء.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (١٣٥)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿عَجُوزًا﴾: وهي زوجته التي باعت بعقابِ اللهِ ﷻ، ماتت، وصارت ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾: مع ممن هلك من قومه.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرِينَ﴾ (١٣٦)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابعَ الزمّي غيرَ السريعِ ﴿دَمَرْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الفعل، وهو الدمار، أزالها الله ﷻ، فجعل العالي منها سافلها ﴿الْآخِرِينَ﴾: أنزل الله ﷻ عليهم عقوبات مدمرة، انظر [الأعراف: ٨٠ حتى ٨٤].

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُمْسِحِينَ﴾ (١٣٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالِ ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد يا أهل مكة ﴿ن﴾: حرفٌ علّةٍ وسببٍ ﴿تَمْرُونَ عَلَيْهِمْ﴾: يا أهل مكة لتمرون على آثار مساكنهم، في أسفاركم إلى الشام، وتشمون الرياح المُنْتَنَةَ، من بحيرةٍ منتنةٍ، قبيحة المنظر، وقد يكون المقصود البحر الميت، الذي لا يطيق الإنسان مرارة وملوحة مائه ﴿مُمْسِحِينَ﴾: الأصل تقديم الليل؛ لأنّ العرب تورّخ بالليل، ولكن قدّم الله ﷻ الصباح لكي ينظروا ويتفكروا من أماكنهم، حتى إذا مروا عليهم في الليل يتذكرون، أن يكون المرور عليهم صباحًا حيث ضوء الشمس يوضح كل شيء، ولا يخفى الليل شيئًا.

﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٣٨)

﴿و﴾: أيضًا تمرون عليها ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿اللَّيْلِ﴾: فهي طريق تجاري في فلسطين؛ تمرون عليه ليلاً، والله أعلم ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهامٍ غرضه التوبيخ ﴿تَعْقِلُونَ﴾: أي اعقلوا، ألا تتعظون من تكذيبهم، وكفرهم، وارتكابهم الفواحش، بصورةٍ غير مسبوقةٍ.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩)

﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيدٍ ﴿يُونُسَ لَمِنَ﴾: بعض ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: قال رسول الله ﷺ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى^(١). انظر [يونس-٩٧، ٩٨، ٩٩].

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ (١٤٠)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يدلُّ على ما مضى من الزمن بمعنى حين ﴿أَبَقَ﴾: خرج يونس عليه السلام، بغير إذن ربّه، وهذا يعني أبق العبد، أي هرب من سيده، وركب ﴿الْفُلِكِ﴾: السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾: الممتلئة بالأمتعة والركاب.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (١٤١)

﴿ف﴾: في تتابعٍ سريعٍ ﴿سَاهَمَ﴾: شارك في القرعة بسبب زيادة الركاب والبضائع، حيث أوشكت السفينة على الغرق، فاقترح بعض الركاب أن يتخلصوا من العدد الزائد؛ وعملوا بذلك قرعة؛ فكان الاتفاق أن من وقع عليه أن يُلقى في البحر؛ لتخفيف زيادة حمولة السفينة ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿كَانَ مِنْ﴾: بعض ﴿الْمُدْحَضِينَ﴾: ممن ألقوا في البحر.

(١) صحيح البخاري ٥٠/٦ (٤٦٠٣).

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (١٤٢)

﴿ف﴾: لهذا السبب وهو وقوع يونس في البحر، وفي تتابعٍ سريعٍ ﴿الْتَقَمَهُ﴾: ابتلع ﴿الْحُوتُ﴾: يونس عليه السلام، والحوث نوعٌ من الأسماك الضخمة، عظيم الحجم ﴿وَهُوَ﴾: يونس عليه السلام ﴿مُلِيمٌ﴾: مُلِّمٌ لذهابه إلى البحر بغير أمر ربّه.

التكليف: وعن المدة التي قضاها يونس عليه السلام، في بطن الحوت قيل: ثلاثة أيّام، وقيل سبعة أيام وقيل أربعين يوماً، قال مجاهد: التقمه الحوت ضحى، ولفظه عشياً، وهذا هو الأقرب؛ وأخذاً بالأسباب أرى أنّ يونس عليه السلام، كان يتنفس من الهواء الموجود في معدة الحوت، كما الهواء الموجود في معدة الإنسان، خاصةً أنّ للحوث، مثل الأسماك، قدرةً على استخلاص الأكسجين الضروري للتنفس من ماء البحر.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣)

﴿فَلَوْلَا﴾: حرفٌ يحضُّ على الفعل؛ يُفيد التخصيص، أو الدلالة على فعلٍ؛ لوجود غيره ﴿أَنَّهُ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار ﴿كَانَ﴾: يونس عليه السلام، فيما مضى من عمره ﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: المكثرين للعبادة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسبيحه فيه؛ فقد كان كثير الصلاة في الرخاء، فأنجاه، وقد جاء قول الرسول ﷺ: تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ^(١).

التكليف: إنّ ذكر المخلوق لله ﷻ في الرخاء؛ يجلبُ ذكرَ الله ﷻ له في الشدة.

﴿لَلْبَثِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤٤)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿لَلْبَثِّ﴾: مكث أقام إقامة دائمة، بقي ﴿فِي بَطْنِهِ﴾: ليكون بطن الحوت له قبراً إلى ﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: إلى يوم القيامة.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥)

﴿ف﴾: بسبب ما سبق وفي تتابعٍ سريعٍ ﴿نَبَذْنَاهُ﴾: ألقيناهُ وحيداً جاء نبذناه بصيغة الجمع لعظم الحدث ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْعَرَاءِ﴾: قال ابن عباس: أرضٌ بلا نباتٍ، ولا بناءٍ، وقيل بجانب نهر دجلة، وقيل في أرض اليمن ﴿وَ﴾: حرفٌ عطفيّ يُفيد هنا الحال ﴿هُوَ سَقِيمٌ﴾: ضعيفُ البدن؛ وقال ابن مسعود: كفرخ الطير بلا ريش، وقال السدي: كالصبي يوم يُولد، وكلّها حالاتٌ ضعفِ جسدِ الإنسان؛ الناتجة من تعرض جسمه لحماض معدة الحوت، ونقص الأكسجين الضروري للتنفس.

(١) المعجم الكبير للطبراني ١١/٢٢٣(١١٥٦٠)، قال الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/٥٦٩: صحيح.

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ (١٤٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَنْبَتْنَا﴾: جعل الله ﷻ النبات يكبر بصورة كبيرة؛ لأنّ النص جاء بصيغة الجمع ﴿عَلَيْهِ﴾: على يونس عليه السلام ﴿شَجَرَةً مِنْ﴾: حرفٌ يُعرف من البيانية، من البيان؛ يُفيد بداية الغاية المكانية وهي نوع ﴿يَقْطِينٍ﴾: يتحقق به برد الظل ولين الملمس وكبر الورق، وطرده الذباب عن الجسد. ويحتوي اليقطين على مادةٍ قلويةٍ التي تساعد في طرد الذباب، وبناء الخلايا الجديدة في الجلد.

التكليف: تصل أعداد أنواع نبات اليقطين إلى حوالي (٧٥٠) نوعاً، منها الكوسة، والقرع، والشمام، والبطيخ، غير أنّ جمهور السلف يقولون إنّه نبات القرع، ومن خواص نبات القرع سرعة نباته؛ وتظليل ورقه العريض، ولا يحطّ عليها ذباب، وفائدته الغذائية عالية، يُؤكّل نيئاً ومطبوخاً دون تقشير، وقال ابن جرير: هي كلّ شجرةٍ لا ساق لها.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١٤٧)

﴿و﴾: أيضاً ﴿أَرْسَلْنَاهُ﴾: كلفه الله ﷻ بالرسالة؛ قال ابن عباس، وابن جرير: رسالته كانت بعد نبذ الحوت له، وقال مجاهد: أرسل قبل التقام الحوت له، ثم عاد إليهم بعد خروجه من بطن الحوت، وقال البغوي: أرسل إلى أمةٍ أخرى كان عددهم ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾: أمّا عددهم قال سعيد بن جبیر: يزيدون عن سبعين ألفاً، وقال مكحول: مائة ألف وعشرة آلاف.

﴿فَأَمَّنُوا فَمَرَّغَتْهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (١٤٨)

﴿ف﴾: بسبب معرفة قومه قصة يونس عليه السلام ﴿أَمَّنُوا﴾: هم القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام ﴿فَمَرَّغَتْهُمْ﴾: بعد إيمانهم، حيث مكثوا إلى وقت انتهاء آجالهم ﴿إِلَى حِينٍ﴾: أي لم ينزل عليهم غضبٌ من ربهم إلى وقتٍ قدره ﷻ.

التكليف: إنّ الطاعة تطيل العمر بإذن الله ﷻ، وتباركه.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اسْتَفْتِهِمْ﴾: سلّمهم يا محمد ﷺ وأنت مُنكرٌ لما قالوا ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض التقرير والتوبيخ ﴿ل﴾: حرف تمليك وتخصيص ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كلّهُ ﴿الْبَنَاتُ﴾: هل يرضون لله ﷻ ما لا يرضونه لأنفسهم؟ فيقولون لله البنات، وهم لهنّ كارهون ﴿و﴾: حرفٌ يفيد هنا التخيير؛ إنهم يقولون إنّ ﴿لَهُمْ﴾: تخصيماً ﴿الْبَنُونَ﴾: ولهم الذكور الذين يُحبّونهم لقوتهم؟ على أيّ أساس قسّموا؟

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (١٥٠)

﴿أَمْ﴾: حرف استفهام بمعنى هل؛ للتوبيخ ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجد الله ﷻ من غير سابق وجودٍ، أو مثال ﴿الْمَلَائِكَةَ إِنَاءً﴾: كيف حكموا أنّ الملائكة إناث ونحن الذين خلقناهم؟ وهم لم يحضروا خلقهم ﴿و﴾: أيضًا هل ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص، قوم محمد ﷺ تحديدًا ﴿شَاهِدُونَ﴾: هل شهدوا خلقهم؟ فعرفوا نوعهم؟

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهَمْ لَيَقُولُونَ﴾ (١٥١)

﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿مِنْ إَفْكِهَمْ﴾: ومن كذبهم ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَقُولُونَ﴾: يؤكّدون بألسنتهم من اكبر كذبهم قولهم: ولد الله.

﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٥٢)

﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾: أي أنّهم أولاد الله ﷻ ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد، وهنا تأتي شهادة الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف يفيد العلّة والسبب ﴿كَاذِبُونَ﴾: هم المشركون وهم في ذلك الذي أدعوه كاذبون.

التكليف: قال المشركون في الملائكة ثلاث كذبات، الأولى: جعلوا لله ولدًا؛ وهو ﷻ لم يلد ولم يولد، والثانية: جعلوا الولد أنثى، والثالثة: جعلوهم آلهة وعبدهم من دون الله ﷻ.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (١٥٣)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار، والتوبيخ، هل ﴿أَصْطَفَى﴾: اختار الله ﷻ ﴿الْبَنَاتِ عَلَى﴾: دون ﴿الْبَنِينَ﴾: وما حُجَّتكم في ذلك؟ وما الحكمة وعلوم التشريح الحديثة وعلوم النفس تؤكد تمايز الجنسين، وأنّ كلّ جنسٍ يُكَمّل الآخر.

التكليف: ضرورة تجنب التحيز الضار؛ تحت حُجّة مساواة الرجل بالمرأة، وحقوق المرأة، وحقوق الإنسان التي يروجها المشركون؛ للفساد في الأرض.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٥٤)

﴿مَا لَكُمْ﴾: هنا جملتان استفهاميتان، الأولى: استفهام إنكار ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام يُفيد التعجب ﴿تَحْكُمُونَ﴾: أين عقولكم؟ فبأيّ معيارٍ تحتكمون على ما تقولون؟ أنّ لله ﷻ بنات؛ هذا استتكارٌ وتوبيخٌ للذين عطّلوا في أنفسهم أجهزة الوعي.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٥)

﴿أَفَلَا﴾: حرف استفسارٍ بغرض الاستنكار، أفاد الاستفهام معنى الأمر، أي ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: تتفكرون وتتدبرون فيما تقولون؟

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥٦)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَكُمْ﴾: هل عندكم تخصيصًا ﴿سُلْطَانٌ﴾: حُجَّةٌ وأسبابٌ تدفعكم إلى كذبكم هذا؟ هل عندكم كتاب ﴿مُبِينٌ﴾: واضحٌ وصادقٌ يقول ذلك؟ وهل من شواهد علمية أو طبيعية أم هو العناد؟ إن كان عندكم:

﴿فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٥٧)

﴿ف﴾: حرف جواب الشرط بهدف ترتيب الأمر؛ ﴿أَتُوا﴾: هاتوا ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿كِتَابِكُمْ﴾: برهانكم من العلوم الصادقة أو من الكتب المنزلة من السماء ﴿إِنْ﴾: حرف شرط إذا ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: وهم بالتأكيد كذابون.

التكليف: هذا المنهج الرباني يحسم كل مسألة، فمن عنده تعاليم سماوية صحيحة، فليعرضها.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿جَعَلُوا﴾: اختلقوا ﴿بَيْنَهُ﴾: بين الله ﷻ وبين الملائكة ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾: هم الملائكة المستورون ﴿نِسْبًا﴾: جعل المشركون بين الله ﷻ وبين الملائكة نسبًا، أي قالوا: هم بنات الله، قال مجاهد: قال "كُفَّارُ فُرَيْشٍ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَأُمَّهَاتُهُنَّ بَنَاتُ سَرَوَاتِ الْجَنِّ"، قال الله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات-١٥٨] «سُحُضِرَ لِلْحِسَابِ»، ﴿جُنُدٌ مُحْضَرُونَ﴾ [يس-٧٥] «عِنْدَ الْحِسَابِ»^(١)، ﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي ﴿عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾: لقد علم الملائكة عندما سمعوا ذلك أنّ المشركين ادّعوا عليه هذا، ونسبوا إليهم كذبهم ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بكل تأكيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ بالتأكيد ﴿مُحْضَرُونَ﴾: إن الله ﷻ سيحضر المشركين، ليوم الحساب، وأدرك الذين كذبوا ذلك أنّ سينالهم العذاب يوم القيامة؛ لكذبهم.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩)

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزهه، وتعالى، وتقدس ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُصِفُونَ﴾: أن يكون له ولدٌ، وما يقوله الكفار عنه من أكاذيب.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (١٦٠)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾: الذين يؤمنون به ويطيعونه ﷻ ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾: الذين لا يصفونه إلا بصفاته الحسنى، وبما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والذين يتبعون الرسل، عليهم السلام؛ والله أعلم.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١)

(١) صحيح البخاري ١٢٦/٤ باب ذكر الجن وثوابهم وعقاب.

﴿فَاتَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد، خطابٌ من الله ﷻ إلى المشركين إتكم ﴿و﴾: أيضًا ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿تَعْبُدُونَ﴾: والذين تطيعونهم وتعبدون من الباطل، وأنتم وما تطيعون من دون الله ﷻ:

﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ (١٦٢)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتُمْ﴾: بالتحديد أيها المشركون ﴿عَلَيْهِ﴾: على أي إنسان، إتكم لن تُصرفوا أحدًا عن الحق، ولن تُضَلُّوا أحدًا ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿فَاتِنِينَ﴾: تلفتونها عن عبادة الله ﷻ، وعن اتباع دين الحق.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٣)

﴿إِلَّا﴾: يُستثنى من ذلك ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل، وهو هنا الإنسان ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا الذي قضى الله ﷻ عليه أن يكون ﴿صَالِ﴾: الذين يذوقون عذاب ﴿الْجَحِيمِ﴾: هم الذين يذوقون عذاب جهنم، هم أصحاب الجحيم، الذين كتب الله عليهم عذابها دائمًا أبدًا.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا﴾: لا أحد ﴿مِنَّا﴾: قالت الملائكة تؤكدُ عبوديتها لله ﷻ: كلُّ واحدٍ مِنَّا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿لَهُ﴾: حرف تخصيصٍ ﴿مَقَامٌ﴾: منزلٌ، وقيمةٌ، ومكانٌ ﴿مَّعْلُومٌ﴾: مخصصٌ في السموات؛ لعبادة الله ﷻ، قال ﷻ: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطب السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لصحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً^(١).

﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿ل﴾: حرف تخصيصٍ ﴿نَحْنُ﴾: ضمير رفع منفصل عن الجمع يفيد التعظيم، وقيل هم الملائكة، وقيل نحن المسلمون، والله ﷻ أعلم ﴿الصَّافُونَ﴾: لنقف صفوفًا في عبادة الله ﷻ، كان عمر ﷺ إذا قام للصلاة؛ قال أقيموا صفوفكم، استوتوا قيامًا يريد الله بكم هدى الملائكة، ثم يقول وإنا نحن الصافون تأخر يا فلان،

(١) سنن الترمذي ٥٥٦/٤ (٢٣١٢)، وقال: حديث حسن غريب.

تقدم يا فلان، ثم يتقدم؛ فيكبر، قال ﷺ: فَضَّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ^(١).

﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الْمُسْتَبِحُونَ﴾ (١٦٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَنَا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الملائكة بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد قال ابن عباس: نحن الملائكة، وتطبق على المسلمين من بني آدم أيضًا ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿نَحْنُ﴾: ضمير رفع منفصل يفيد الجمع من الملائكة ﴿الْمُسْتَبِحُونَ﴾: المنزهون لله ﷻ، نسبح الرب؛ فنحمده، ونقدسه عن النقائص، وقيل هم المؤمنون.

﴿وَأَنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ (١٦٧)

﴿وَأَنْ﴾: حرف توكيد القول ﴿كَانُوا﴾: كان الكفار، مشركو العرب في السابق قبل بعثة محمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿يَقُولُونَ﴾: ويتمنون.

﴿لَوْ أَنْ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾ (١٦٨)

﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿عِنْدَنَا﴾: نزل علينا ﴿ذِكْرًا﴾: جاء اللفظ القرآني "الذكر" على ستة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى الخبر، قالوا لو كان عندنا كتاب من الكتب السماوية، ﴿مِنَ الْأُولِينَ﴾: لو جاءنا من الأنبياء والكتب، التي نزلت على أممٍ سبقتنا مثل التوراة، وهم هنا يعترفون بنزول كتابين، وقالوا: ﴿وَأِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام-١٥٦].

﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (١٦٩)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿كُنَّا﴾: صرنا، نحن ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾: من المؤمنين الذين يطيعون الله ﷻ ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾: الصادقين في إيماننا، هذه من وسائل التهرب من التصديق بالإسلام.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٧٠)

﴿ف﴾: لهذا السبب، وفي تتابعٍ سريعٍ ﴿كَفَرُوا﴾: غطوا، وأنكروا ﴿بِهِ﴾: هذه شهادة الله ﷻ فيهم، وإخبارٌ بكفرهم السابق، وكفرهم برسالة محمد ﷺ ﴿فَسَوْفَ﴾: كلمة هنا توعدهم بعذابٍ في الدنيا ويوم القيامة في المستقبل؛ لتكذيبهم رسوله ﷺ ﴿يَعْلَمُونَ﴾: ما يأتيهم من العذاب الأليم يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١)

(١) صحيح مسلم ٣٧١/١ (٥٢٢).

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿سَبَقَتْ﴾: قلنا في الكتاب الأول، لعبادنا الرسل، كما في التوراة مثلاً ﴿كَلِمَاتُنَا﴾: إرادة الله ﷻ، التي لا مرد لها، وما قدره ﷻ، ولا راد لها ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿عِبَادِنَا﴾: الذين أطاعوا الله ﷻ بصدق ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: رسل الله ﷻ للناس. التكليف: كانت كلمة الله ﷻ السابقة ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَبْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة- ٢١].

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (١٧٢)

﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد هم، لقد كتبنا للرسل وأتباعهم وأنصارهم ﴿ل﴾: حرف تخصيص، وسبب ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْمَنْصُورُونَ﴾: لهم النصر في الدنيا، وجاء ذكر ذلك في أقوام لوط، ونوح، وصالح، وموسى عليهم السلام، وفي الآخرة هم منصورون، وتكون كلمة الله ﷻ هي العليا.

﴿وَأَنَّ جُنُودَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال فيما يشبه القسم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿جُنُودَنَا﴾: هم أنصار الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد، وهي هنا تحديداً بكل الصفات الدعوية، والجهادية، أنهم ﴿الْغَالِبُونَ﴾: المنتصرون، حتمية ربانية إذا كانوا جند الله ﷻ، غايتهم رفع رايته، ونشر دينه ﷻ.

﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١٧٤)

﴿ف﴾: لهذا السبب ودون تأخير ﴿قَوْلٌ﴾: ابتعد، وأعرض ﴿عَنْهُمْ﴾: حرفٌ يُفيدُ المجاوزة، وتجنب المجرمين، المشركين، واصبر على أذاهم ﴿حَتَّىٰ﴾: حرفٌ جرٌّ يدلُّ على انتهاء الغاية الزمنية، أي لن يُصدقوا إلا ﴿حِينَ﴾: مدة من الزمن، استمرار الدعوة والعمل.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٥)

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: راقبهم، وارتقب ما سيحلُّ بهم من العذاب والهزيمة؛ لتكذيبك ﴿ف﴾: بسبب كفرهم ﴿سَوْفَ﴾: كلمة تُفيدُ وعيداً في المستقبل القريب وليس بعيداً، يأتيهم في المستقبل الذي ﴿يُبْصِرُونَ﴾: جاء الإبصار هنا للتعبير عن قرب الأمر؛ كأنه حاضرٌ أمامه، متهيءٌ للانتقام منكم، سترون، وتدوقون العذاب، حيث لا ينفعكم سمعكم، ولا أبصاركم، ولا قلوبكم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٧٦)

يستكمل الكفار اعتراضهم ﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الإنكار ﴿فَبِعَذَابِنَا﴾: بسبب ما نعاني من ابتلاءٍ وهزائمٍ ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: هل هؤلاء الذين يستعجلون عذابنا حكماء أو عاقلون، فيتعجلون المواجهة، والحسم، والتي ستكون فيها عاقبتهم خُسْرًا.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾ (١٧٧)

﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر للمستقبل يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، ربط نزول العذاب بساحتهم على استعجال العذاب ﴿نَزَلَ﴾: أحاط وأصاب ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿سَاحَتِهِمْ﴾: هنا تشبيه العذاب الواقع بهم كأنه جيشٌ هجم عليهم بغتةً، فلم ينتصحو بنصيحة ناصح؛ ولا استعدوا للدفاع عن أنفسهم؛ فكانت النتيجة هزيمتهم وفنائهم، في مكانٍ معيشتهم، والمقصود فيهم هم أنفسهم، قال السدي: دارهم، إذا جاء العذاب ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ﴿سَاءَ﴾: حدث الشرُّ والضرر ﴿صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾: فبئس الصباح صباحهم، وهذا ما حدث، وهذا ما قاله يهود خيبر يوم جاءهم الرسول ﷺ، وجنود المؤمنين.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١٧٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق، وبسبب ما جاء ذكره ﴿تَوَلَّ﴾: ابتعد ﴿عَنْهُمْ﴾: تجاوزهم، وراقبهم، وانتظر مع العلم ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الزمنية، أي لن يُصدقوا إلا ﴿حِينٍ﴾: يأتي غضب الله عليهم.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٩)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿أَبْصِرْ﴾: انظر كيف حالهم عندما يحلُّ بهم العذاب ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿سَوْفَ﴾: كلمة تفيد السبب ووعدًا في المستقبل ﴿يُبْصِرُونَ﴾: يرون بأعينهم غضبه ﷻ عليهم، يوم لا ينفعهم بصرٌ، ولا سمعٌ، ولا قلبٌ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠)

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبَّى، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، ينزّه الله ﷻ نفسه الكريمة، ويُقدسها، ويبرئها من قول الكافرين المكذبين المعتدين، بوصفهم بصفات النقص ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: صاحب القوَّة والمنعة والجاه والسلطان التي لا تُرام، والقوَّة التي لا تُهزم ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يَصِفُونَ﴾: عن أقوالهم، وأكاذيبهم، واقتراءاتهم عليه وعلى رسله، ودينه، ووعدده، ووعدده.

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿سَلَامٌ﴾: الأمان والتحية من الله ﷻ، وهي الغنيمة العظمى، والجائزة الكبرى ﴿عَلَى﴾: حرف جر يدل على المصاحبة، بمعنى يحلّ السلام على ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: على رسل الله، عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الْحَمْدُ﴾: الثناء والشكر ﴿لِلَّهِ﴾: ﷻ في الأولى، والحمد لله في الآخرة، وفي كلّ حين، فهو المستحق بالثناء ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ربّ العرش العظيم، قال ﷻ: مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَكُونُ فِي مَجْلِسٍ فَيَقُولُ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ (١).

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ تتضح حاجة المسلم لتنزيه الله ﷻ عما يدّعيه المشركون، في كلّ عصرٍ، وتبيان حقيقة ودور الملائكة في نصرّة المؤمنين، ودور الشياطين في غواية النَّاسِ.



سورة ص سُمّيت بهذا الاسم في كتب التفسير، وكُتبت اسمُها في المصاحف، وهي سورة مكية في قول الجميع، ورقمها (٣٨) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة اقتربت الساعة وانشق، وقبل سورة الأعراف، وعدد آياتها (٨٨) عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرف ﴿ص﴾: ولفظها صاد؛ أرى، والله أعلم، أنّها كمعناها في اللغة من الصدّ والمنع، ويؤكد هذا ما جاء في الآية (٢) ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، وأيضًا جاء في الآية (٣) ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، وكان ذلك بسبب صدّهم أنفسهم وغيرهم عن الإيمان، وأيضًا ما جاء في الآية (٤) ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وهذا من الصد والرفض، وجاء في الآية رقم (٥) ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾، وجاء في الآية (٦) ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى

(١) مسند أحمد ٥٠٤/٢٤ (١٥٧٢٩)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

أَلِهَتِكُمْ»، وفي الآية (٧) ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾، وهذه من دلائل صدقهم، وبقية الآيات تؤكد هذا المنهج ﴿و﴾: واو القسم؛ يقسم الله تعالى ب ﴿الْقُرْآنِ﴾: يقسم الله ﷻ بالقرآن الكريم، والقسم بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو محلّه ﴿ذِي﴾: صاحب ﴿الذِّكْرِ﴾: المشتمل على ما ينفعه في الدنيا والآخرة، جاء اللفظ القرآني الذكر على ستة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى البيان، قال: قتادة، وابن جرير: فيه تذكيركم بما ينفع، وقال ابن عباس: ذي الشرف والشأن والمكانة.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (٢)

﴿بَلِ﴾: حرف عطف بمعنى لكن ويفيد هنا الإثبات ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يُفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: متكبرون على الحقّ مخالفون له. قال قتادة، وابن جرير: هذه جواب القسم، وقيل إنّ جواب القسم هو سياق السورة بكاملها ﴿فِي عِزَّةٍ﴾: هي مانعة فقط بسبب حمية استكبارٍ عن التوحيد ﴿وَشِقَاقٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "شقاق" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى خلاف، وعتاد، وفراق، ومكابرة ومجاهرة بالسوء، وعداوة للرسول ﷺ؛ كما جاء أيضًا في قوله ﷻ وَإِنْ ﴿خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء-٣٥] وفي قوله أيضا ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء-١١٥].

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (٣)

﴿كَمْ﴾: تفيد الكثرة ﴿أَهْلَكْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية الزمانية ﴿قَرْنٍ﴾: المقصود هو أهل زمانهم، أهل قرنهم، وقد يكون زمن من سبقهم من الأمم المكذبة، والله أعلم ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿نَادَوا﴾: استعاثوا وجأؤوا إلى الله ﷻ ﴿وَلَاتٍ﴾: قيل هي لا النافية، زيدت التاء، مثل تمت، وفي ربّ فيقولون ربّت ﴿حِينَ﴾: وقت ﴿مَنَاصٍ﴾: تأخر، لا وقت للتوبة، وتواصوا بالتوبة حين تولت الدنيا عنهم؛ يعني ليس الآن وقت توبة، ولا وقت فرار؛ والله أعلم.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤)

أسباب نزول: الآيات من [٤-٨]؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ قَالَ: وَشَكَّوهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ،

وَتُوَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجْمَ الْجَزِيَّةَ. قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً قَالَ: يَا عَمَّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ^(١).

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿عَجِبُوا﴾: تعجب الكفار ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾: من يُحذِّرهم وينصحهم وهو ﴿مِنْهُمْ﴾: بعضهم يعرفون أصله، وصدقته، وأمانته ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾: وهذا القول يرصد كفر أهل قريش ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾: عندما فشلوا في الحُجَّة؛ اتهموه بالسحر، وهو ليس فيه، وبالكذب وقد كانوا يقولون عنه الصادق الأمين.

التكليف: سيبقى هذا موقف المجرمين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ اتهام المسلمين بما ليس فيهم، بل بالذي في الكفار أنفسهم.

﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (٥)

﴿أ﴾: استفهامٌ بغرض الإنكار ﴿جَعَلَ﴾: ادعى وجعل ﴿الْآلِهَةَ﴾: كلُّ ما يُعبد، إنَّ الكفار يعجبون، وينكرون أنه ﷺ دعا إلى عبادةِ إلهٍ واحدٍ أحدٍ، وهم ورثوا عن أجدادهم عبادة الأوثان، وعشقت قلوبهم هذا الشرك، يقولون هل جعل المعبود ﴿إِلَهًا﴾: معبودًا ﴿وَاحِدًا﴾: ورفضوا عبادة الله ﷻ، الواحدِ الأحد، الفردِ الصمدِ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد الجملة الخبرية ﴿هَذَا﴾: الذي يدعو إليه محمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف تأكيد إضافي للجملة الخبرية ﴿شَيْءٌ عَجَابٌ﴾: غايةٌ في الغرابة والإنكار والعجب منهم.

﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَنْطَلِقَ﴾: خرج ﴿الْمَلَأُ﴾: القادة والزعماء ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف يُفيد بعض وبداية الغاية المكانية، هم السادة، والقادة، والرؤساء، والكبراء فقالوا ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿امْشُوا﴾: استمروا، واثبتوا على دينكم ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾: أيضًا استمروا في عبادتهم، ولا تسمعوا لمحمدٍ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿هَذَا﴾: ثباتكم على دينكم ومحاربة دين محمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف علَّةٍ وسبب ﴿شَيْءٌ يُرَادُ﴾: مرغوبٌ فيه؛ إنَّ ما نريده هو محاربة ما يريده محمدٌ الذي يريد أن ينزع منكم الشرف، وتكونوا له تبعًا، ويستعلي عليكم.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ (٧)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿سَمِعْنَا﴾: من قيل ﴿ب﴾: حرف باء التوكيد ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة، هنا إلى الدين الذي يدعو إليه محمدٌ؛ دين التوحيد ﴿فِي الْمِلَّةِ﴾: قال مجاهد، وقتادة: دين

^(١) سنن الترمذي ٣٦٥/٥ (٣٢٣٢) وقال: حسن صحيح.

قريش، وقال السدي، وابن عباس: النصرانية **﴿الْآخِرَةَ﴾**: مَلَّةٌ عَيْسَى عليه السلام، جاء اللفظ القرآني "الآخرة" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى الأخير **﴿إِنْ هَذَا﴾**: ما يقوله محمد **﴿الْأَيُّ﴾**: حرف استثناء **﴿اِخْتِلَاقٌ﴾**: هو الكذب بعينه.

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوفُوا عَذَابٍ﴾ (٨)
﴿أُ﴾: حرف استفسارٍ بغرض الاستفهام الإنكاري **﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾**: من السماء **﴿الذِّكْرُ﴾**: جاء اللفظ القرآني "الذكر" على ستة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى هو الوحي على محمد ﷺ **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع **﴿بَيْنِنَا﴾**: من دوننا؟ ونحن الرؤساء والأشراف والأكبر منه سنًا وأعظم منه شرفًا، وقد جاء: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾** [الحشر - ٢١] **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿هُمُّ﴾**: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي تحديدًا الكفار والمشركون **﴿فِي شَكٍّ﴾**: عدم يقينٍ **﴿مِنْ ذِكْرِي﴾**: في شكٍ من الوحي على محمد ﷺ **﴿بَلْ لَمَّا يَدُوفُوا﴾** والذوق هو فقط للطعام، وكإشارةٍ إلى أن كل أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها **﴿عَذَابٍ﴾**: كذب الكفار بعتة محمد ﷺ؛ لأنهم لو ذاقوا العذاب من قبل؛ ما كفروا.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (٩)
﴿أَمْ﴾: بمعنى هل هم يُنكرون على الله ﷻ أن يتصرف في ملكه؛ فيختار من يكلفه بالرسالة **﴿عِنْدَهُمْ﴾**: حرف يفيد ظرف يدلُّ هنا على الملك **﴿خَزَائِنُ﴾**: مفاتيح نِعَمِ رَبِّكَ حتى يعطوا نعمة النبوة لمن يشاؤون، فضلٌ وكرم **﴿رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾**: فهو مالك كلِّ أمرٍ، جاء اللفظ القرآني "رحمة" على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى النبوة هل يملكون الرأي فيمن يُرسل الله ﷻ؟ والإجابة: لا يملكون **﴿الْعَزِيزِ﴾**: المنيع صاحب العزة التي لا تُرام **﴿الْوَهَّابِ﴾**: الذي يعطي ما يشاء لمن يريد.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ (١٠)
﴿أَمْ﴾: هل **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا وتمليكيًا **﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾**: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها لكونها بيضاوية الشكل **﴿و﴾**: أيضًا له تعالى كل ما في وما على **﴿الْأَرْضِ﴾**: إذا كانوا أصحاب السموات والأرض **﴿وَمَا﴾**: الذي **﴿بَيْنَهُمَا﴾**: من هواءٍ، وسحابٍ ونجومٍ، وأقمارٍ **﴿ف﴾**: بسبب **﴿لن﴾**: حرف لام الأمر **﴿يَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾**: فليأخذوا بالأسباب الموصلة إلى السماء، قال ابن عباس: فليصعدوا طرق السماء، وقال الضحاك: ليصعدوا إلى السماء السابعة.

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ (١١)

﴿جُنْدٌ﴾: جاء التوين هنا للتقليل، والتحقير، وزيادةً جاء الحرف ﴿مَا هُنَالِكَ﴾: ظرف مكان، هؤلاء المكذبون وجنودهم ﴿مَهْرُومٌ﴾: هؤلاء الجنود المكذبون جند مهزومون، سيُهزَمون، ويُغلبون كما فعل الله ﷻ بأمثالهم ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية، وبمعنى بعض ﴿الْأَحْزَابِ﴾: كما هُزم الذين من قبلهم مثل يوم بدر، و من هُزم من بعدهم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ (١٢)

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: تذكر الآية الكريمة أمثلةً من أقوامٍ كَذَّبوا رسلهم؛ فانهمزوا مثل ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾: وقوم موسى عليهم السلام ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ أيضًا كَذَّب ﴿فِرْعَوْنُ﴾: حاكم مصر في عهد موسى ﷺ ﴿ذُو﴾: صاحب ﴿الْأَوْتَادِ﴾: قيل هي أربعة أوتادٍ ليُشد إليها من أراد تعذيبه. وهنا تشبيهه مُلك فرعون بخيمةٍ كسيرةٍ شُدت حبالها بالأوتاد؛ لتثبت في الأرض؛ في مواجهة الرياح العاتية، ومنهم الجنود الذين هم أركان ملكه، وهم كانوا أشدَّ قوَّةً من قريش، وقد يكون المعنى الأهرامات، والمسلات الحجرية العملاقة، والله أعلم.

﴿وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ (١٣)

﴿وَتَمُودٌ﴾: قوم صالح ﴿وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: هي الشجر الكثيف الملتف على بعضه، هم قوم شعيب ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للقريب والبعيد، الأمم السابقة الذين تحزَّبوا على الكفر والتكذيب واجتمعوا عليه، وهم ﴿الْأَحْزَابُ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأحزاب" هنا بمعنى كُفَّار أقوام نوح، وعادٍ، وثمودٍ، وقوم شعيبٍ، وفرعونَ كلَّها انهزمت؛ لما كذَّبت.

﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ (١٤)

﴿إِنْ﴾: حرف شرطٍ وتأکید ﴿كُلٌّ إِلَّا﴾: جميع هؤلاء، كلَّ قومٍ منهم ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: كَذَّبوا رُسُلهم ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿حَقَّ﴾: وجب عليهم ﴿عِقَابٌ﴾: عذابي ودماري في كلِّ قوم، بسبب تكذيبهم.

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ (١٥)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْظُرُ﴾: ينتظر أو يتوقع ﴿هَؤُلَاءِ﴾: ما ينتظر الكافرون وغيرهم من الخلق ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: هي نفخةُ الفزع، النفخةُ الثانية، التي يأمر فيها الله ﷻ المَلَكِ إسرَافيلَ أن يُطوِّلها، فلا يبقى أحدٌ في الأرض والسموات إلا فزع منها ﴿مَا لَهَا﴾: يوم القيامة تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿فَوَاقٍ﴾: لا تتوقف حتى يهلكوا جميعًا، لا رجوع فيها، هي مرَّةً واحدةً ليس لها ثانية.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (١٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق، أيضاً ﴿قَالُوا﴾: الكفار ﴿رَبَّنَا﴾: فهو مالك أمرنا كله ﴿عَجَل﴾: سرع ﴿لَنَا﴾: تخصيصاً ﴿قَطْنَا﴾: ما كُتِبَ علينا في الكتاب، وقيل الحظُّ والنصيب، وقيل تعجيل النصيب من الجنة إن كانت موجودة، يُنكر الله ﷻ عليهم دعاءهم على أنفسهم؛ بتعجيل العذاب قبل يوم القيامة ﴿قَبْل﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿يَوْمِ الْحِسَابِ﴾: قبل يوم القيامة، قال ابن جرير: الخير أو الشرّ في الدنيا، وقد يكون من باب الاستهزاء؛ والله ﷻ أعلم.

﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧)

﴿اصْبِرْ﴾: فعل أمر بالتحمل ﴿عَلَى مَا﴾: الذي ﴿يَقُولُونَ﴾: على تكذيبك ﴿و﴾: أيضاً ﴿ادْكُرْ﴾: قُصِّ قصة ﴿عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾: ﷺ وهو ﴿ذَا﴾: صاحب ﴿الْأَيْدِ﴾: المرجح أنّها لا علاقة لها باليد بل هي من الفعل آد، يؤيد، أيّداً بمعنى إذا قوي واشتدّ، ومنه التأييد والله ﷻ أعلم، وقيل الفضل والنعم، وقيل: القوة في العلم والعمل، وقال ابن عباس: القوة، وقال مجاهد: القوة في الطاعة، وقال قتادة: قوة العبادة وفقهاً في الإسلام؛ فقد كان يقوم ثلث الليل، ويصوم نصف الدهر، يصوم يوماً، ويُفطر يوماً ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿أَوَّابٌ﴾: كثير التوبة ورجاع دائم الرجعة إلى الله ﷻ في جميع أموره.

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ لتعظيم الفعل ﴿سَخَرْنَا﴾: أمر الله ﷻ الجبال؛ فأطاعت ﴿الْجِبَالَ﴾: أطاعت داود ﷺ ﴿مَعَهُ﴾ يُسَبِّحْنَ: تنزيه الله ﷻ عن النواقص تسبّح معه، ثمّجده، وتنزّه الله ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْعِشِيِّ﴾: في آخر النهار ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال، أيضاً تسبّح وقت ﴿الْإِشْرَاقِ﴾: في الصباح وقت إشراق الشمس.

﴿وَالطُّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (١٩)

﴿وَالطُّيْرَ﴾: هي كلّ ذي أجنحة يسبح في الهواء ﴿مَحْشُورَةً﴾ وسخرنا الطير معه مجموعة، محبوسة في السماء، مُسَخَّرَةٌ تُسَبِّحُ معه ﷻ، كانت الطيور تسمع داود وهو يقرأ الزبور؛ فتقف ﴿كُلٌّ﴾: الجميع ﴿لَهُ﴾: حرف تخصيص لداود ﷻ ﴿أَوَّابٌ﴾: مطيع؛ تُسَبِّحُ معه، وتجيبه الجبال الشامخات.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾ (٢٠)

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: جعلنا ملكه كاملاً من كلّ ما يحتاج إليه الملوك، قال مجاهد: كان أشدّ أهل الدنيا سلطاناً، وقال السدي: كان يحرسه أربعة آلاف ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَتَيْنَاهُ﴾:

وهبه الله ﷻ **﴿الْحِكْمَةَ﴾**: قيل هي النبوة، وقال مجاهد: الفهم، والعقل، والفتنة، وقيل: العدل، وقال قتادة: كتاب الله، وأتباع ما فيه **﴿و﴾**: أيضًا وهبناه **﴿فَصَلَ الْخِطَابِ﴾**: الحكم الحق، الشهادة والإيمان، وقال قتادة: شهادات على المُدْعَى أو يمين المدعى عليه، وقال مجاهد: إصابة الفهم الصحيح في القضاء، وقال الشعبي: هو أول من قال: أمّا بعد، وهذا فصل الخطاب.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١)

﴿و﴾: حرف يفيد هنا الاستئناف **﴿هَلْ﴾**: حرف للاستفهام يفيد هنا التعجب، والتشويق إلى استماع ما بعده لكونه أمرًا غريبًا **﴿أَتَاكَ﴾**: هل علمت **﴿نَبَأًا﴾**: خبر **﴿الْخَضْمِ﴾**: المتخاصمين الاثنتين **﴿إِذْ﴾**: حرف يدل على ما مضى من الزمن **﴿تَسَوَّرُوا﴾**: عندما مُنَعُوا من دخول باب مسجده فاعتلوا سوره ونزلوا من أعلى السور، جاء اللفظ "تسوروا" بصيغة الجمع مع كونهما اثنتين فقط؛ والهدف هو الإيحاء بالجمع من لفظ الخضم، وهل جاءك أيها الرسول خبر المتخاصمين الذين اعتلوا، أو قفروا من فوق السور، وأحاطوا ب **﴿الْمِحْرَابِ﴾**: على داود عليه السلام، في مكان عبادته.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَرِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢)

﴿إِذْ﴾: حرف يفيد ما حدث في الماضي **﴿دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَ﴾**: بسبب هذا **﴿فَرِعَ﴾**: خاف وارتاع **﴿مِنْهُمْ﴾**: من دخولهما عليه؛ لأنه كان في محرابه، وهو أشرف مكان في داره، ولا يدخله أحدٌ إلا بأمره، فدخل اثنان يسألانه أمرهما، فلما بدا خوفه **﴿قَالُوا لَا﴾**: حرف نهي **﴿تَخَفْ﴾**: للتخفيف من روعه، جئنا بسبب **﴿خَصْمَانِ﴾**: تخاصمنا نحن الاثنان، والموضوع هو **﴿بَغَى﴾**: جاء "البغي" هنا على سبيل الفرض والتقدير، أو على سبيل التعريض، والبغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، والبغي على جزأين أحدهما: محمودٌ وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والثاني: هو الظلم المذموم؛ وهو تجاوز الحق إلى الباطل **﴿بَعْضُنَا﴾**: ظلم أحدهما **﴿عَلَى بَعْضٍ﴾**: على الآخر، ومن المعلوم أنّ الملكين لا يبغيان على أحدٍ بغير ذنب **﴿ف﴾**: حرف جواب الشرط **﴿احْكَمْ﴾**: أفض **﴿بَيْنَنَا بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿الْحَقِّ﴾**: المعهود عليك **﴿وَلَا﴾**: حرف نهي **﴿تُشْطِطْ﴾**: احكم بالعدل ولا تتبعد عن الحقيقة ولا تتبالغ **﴿وَاهْدِنَا﴾**: أيضًا دللنا على الحق، والطريق الصحيح **﴿إِلَى سَوَاءِ﴾**: جاء اللفظ القرآني "سواء" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى عدل،

انظر لقوله ﷺ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة-١٠٨] **﴿الصِّرَاطِ﴾**: الطريق والمنهج.

التكليف: قد يكون السواء هنا هو منتصف الطريق كنايةً عن الحكم بالعدل.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾
(٢٣)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿هَذَا﴾**: حرف تنبيه وإشارة **﴿أَخِي لَهُ﴾**: هنا أخوة الدين، ليست أخوة النسب، يملك **﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي﴾**: أيضًا أنا أملك **﴿نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ﴾**: موضحةً ما يريد **﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾**: أعطني إياها، اجعلها ملكًا لي، تنازل عن ملكيتها **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿عَزَّنِي﴾**: قهرني وغلبنى **﴿فِي الْخِطَابِ﴾**: في حجة كلامه.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤)

﴿قَالَ﴾: أصدر داود عليه السلام، حكمًا، فقال لصاحب الدعوة **﴿لَقَدْ﴾**: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل **﴿ظَلَمَكَ بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿سُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾**: أفتى أن أخاه جارٍ عليه بضم نعمة المشتكي إلى نعاج أخيه **﴿وَإِنَّ﴾**: حرف تأكيد **﴿كَثِيرًا مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿الْخُلَطَاءِ﴾**: كثير من الشركاء **﴿ل﴾**: حرف للتوكيد ومعناها **﴿يَبْغِي﴾**: يعتدي **﴿بَعْضُهُمْ﴾**: جزء منهم **﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾**: بأخذ حقوق الباقيين ويظلمهم دون مراعاةٍ للحقوق **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد الجميع **﴿آمَنُوا﴾**: الذين يقضون بالعدل **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: أيضًا قالوا عملوا الأعمال الصالحة، ومنها الإنصاف **﴿وَقَلِيلٌ مَا﴾**: تفيد التأكيد على القلة والتعجب **﴿هُمْ﴾**: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص، وأعدادهم قليلة في الأمم **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿ظَنَّ دَاوُدُ﴾**: أيقن عليه السلام **﴿أَنَّمَا﴾**: أداة حصرٍ تفيد التوكيد **﴿فَتَنَّاهُ﴾**: قال ابن عباس: بمعنى اختبرناه، أوقعه الله ﷻ في فتنةٍ بهذه الخصومة، فلم يحكم بالعدل **﴿فَب﴾**: حرف يفيد السبب **﴿اسْتَغْفَرَ﴾**: طلب المغفرة من **﴿رَبِّهِ﴾**: فهو مالك أمره، من الله ﷻ **﴿وَخَرَّ﴾**: نزل إلى الأرض **﴿رَاكِعًا﴾**: أي ساجدًا بعد أن كان راكعًا، هذه السجدة ليست من عزائم السجود على مذهب الشافعي بما روى ابن عباس رضي الله عنهما **﴿وَأَنَابَ﴾**: أيضًا رجع وتاب، ويحتمل أن يكون ركع أولًا ثم سجد بعد ذلك.

التكليف: عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَسْجُدُ فِي ص؟ فَقَرَأَ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ حَتَّى أَتَى ﴿فَبِهَذَا هُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام-٩٠]. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نَبِيُّكُمْ ﷺ مِمَّنْ أَمَرَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ^(١)، وَعَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَيْسَ ص مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْجُدُ فِيهَا»^(٢).

﴿فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (٢٥)

﴿ف﴾: ولهذا السبب وفي تتابع سريع **﴿عَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾**: سامحه الله ﷻ **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿لَهُ﴾**: تخصيصًا لسليمان **﴿عِنْدَنَا﴾**: ظرف يدلُّ على الملك، عند الله ﷻ **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿زُلْفَى﴾**: إته من المُقْرِبِينَ، يُعْرَبُ اللَّهُ ﷻ يوم القيامة **﴿و﴾**: حرف عطف يُفِيدُ الحَال **﴿حُسْنَ مَآبٍ﴾**: وله مصير حسن في الآخرة، التي فيها من الدرجات العُلى في الجنة؛ لتوبته، وعدله التام في ملكه.

التكليف: لقد فسد قضاء العالم تقريبًا، ومنهم دول العالم الإسلامي، ونسوا قول الرسول ﷺ: الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ قَضَى بَعْدَ الْحَقِّ فَعَلِمَ ذَلِكَ فَذَكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ فَذَكَ فِي الْجَنَّةِ^(٣).

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٢٦)

﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد **﴿داوود﴾**: هذا أمر رباني جاء كوصية لداود عليه السلام، ولكل ولي أمر **﴿إِنَّا﴾**: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد **﴿جَعَلْنَاكَ﴾**: هيأناك، وملكانك لتكون **﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾**: هنا جاء تقديم الاستخلاف على الأرض؛ هذا من فضل الله ﷻ وهو أشرف من كان على الأرض **﴿ف﴾**: لهذا السبب، ودون تأخير **﴿احْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾**: وتعني عموم الخلق؛ المسلم والمؤمن وغيرهم من بني آدم عليه السلام **﴿ب﴾**: حرف باء السببية **﴿الْحَقِّ﴾**: بالعدل **﴿وَلَا﴾**: أيضًا نهي **﴿تَتَّبِعِ﴾**: لا تُحْكَمْ **﴿الْهَوَى﴾**: هنا إشارة إلى أن ما عوتب عليه ليس بعدل؛ بل فيه شائبة من اتباع هوى النفس، والله ﷻ أعلم **﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ﴾**: حرف جر يفيد التجاوز **﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: جاء اللفظ القرآني ضلال على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى الزلل، انظر في تفسير قوله ﷻ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُوبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبُ**

(١) صحيح البخاري ١٦١/٤ (٣٤٢١).

(٢) صحيح البخاري ١٦١/٤ (٣٤٢٢).

(٣) صحيح البخاري ٤٠/٢ (١٠٦٩).

أَنْ يَكْتُوبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ... . . . ﴿ [البقرة-٢٨٢] ، لا تظلم وهذا ما نهى الله ﷻ عنه ﴿إِنْ﴾ : حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾ : اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يُضِلُّونَ عَنْ﴾ : حرفٌ يفيد المجاوزة ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : يبتعدون عن منهج وتعاليم الله ﴿لَهُمْ﴾ : تخصيصاً وتمليكاً ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ : قاسٍ مؤلم بشدّة ﴿بِمَا﴾ : اسم موصول هنا بمعنى الذي، بسبب ﴿نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ : لم يضعوا يوم القيامة في حسابهم، وهي تعني لهم عذاباً شديداً يوم الحساب بما نسوا، قال السدي: لهم عذابٌ شديدٌ بما تركوا العمل ليوم الحساب؛ هذا القول أظهر؛ والله أعلم: حرف يفيد السبب، بمعنى بتركهم العمل لذلك صاروا اليوم بمنزلة الناسين.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧)

﴿وَمَا﴾ : حرف نفي ﴿خَلَقْنَا﴾ : أوجدنا من غير سابق وجود ﴿السَّمَاءَ﴾ : هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿و﴾ : أيضاً أوجدنا ﴿الْأَرْضَ وَمَا﴾ : الذي ﴿بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ : عبثاً ولهواً كما يظنُّ الكافر؛ إنّما خلقها الله ﷻ للدلالة على قدرته؛ ولتحقق دورها؛ وليعمل فيها بطاعته، لتعبده وتوحّده، ثم يحاسب الجميع؛ فيكافئ المؤمن بما يستحق، والكافر بما يستحق ﴿ذَلِكَ﴾ : إشارة للبعيد ﴿ظَنَّ﴾ : هذا اعتقاد ﴿الَّذِينَ﴾ : اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾ : الذين أنكروا، وغطّوا ﴿ف﴾ : حرفٌ يفيد السبب لإفادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنّهم الباطل، بمعنى فويلٌ لهم بسبب النار المترتبة على ظنّهم وكفرهم ﴿وَيْلٌ﴾ : هو وادٍ في جهنم أعدّ ﴿ل﴾ : حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ .

التكليف: هنا توجيهٌ لولاةِ الأمور أن يحكموا بالحق المنزّل من الله ﷻ، ولا يعدلوا عنه؛ فيضلّوا. ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨)

﴿أَمْ﴾ : هل، حرف استفهامٍ غرضه النفي بمعنى لن ﴿نَجْعَلُ﴾ : لن نساوي بين ﴿الَّذِينَ﴾ : اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾ : جاءت هنا بالاسم، المؤمنين بالله ﷻ عقيدةً وعملاً؛ طمعاً في رحمة الله ﷻ، وخوفاً من عذابه بالله يقيناً ﴿و﴾ : أيضاً ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ : جاءت هنا بالفعل فبعد أن آمنوا أتبعوا إيمانهم بعمل الطاعات ﴿ك﴾ : مثل أو كحال ﴿الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ : ليسوا كالذين أفسدوا عقيدتهم، وأفسدوا مجتمعاتهم بالمعاصي ﴿أَمْ﴾ : هل ﴿نَجْعَلُ﴾ : نساوي بين ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ : ولأن التقوى أمرٌ اعتقادي يكون خفياً غير ظاهر، وهو أقرب للثبوت ﴿ك﴾ : مثل أو حال ﴿الْفُجَّارِ﴾ : ولا نساوي بينهم وبين الظالمين، الباغين.

﴿كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩)

﴿كِتَابٌ﴾: القرآن الكريم ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: جاء بصيغة الجمع لتعظيم الحدث ﴿إِلَيْكَ﴾: أوحينا إليك وليس هو كلامك ﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير الخيرات ﴿لِي﴾: حرف علة وسبب ﴿يَدَّبَّرُوا﴾: يدرسوا بنية الفهم الصحيح ﴿آيَاتِهِ﴾: إن هذا الوحي الذي أنزلناه إليك كتاب مبارك جاء للتدبر والتفكر في آياته؛ ليقراءه الناس؛ ويفهموا براهينه، وحججه، ومعانيه، ومقاصده ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال، عطفًا على القراءة ﴿لِيَتَذَكَّرَ﴾: يتعظ ﴿أُولُو﴾: أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾: العقول؛ فالألبياب جمع لب؛ وهو العقل، والأهم هو تطبيق حدوده، قال الحسن البصري: والله ما تدبَّرُهُ بحفظِ حروفه، وإضاعةِ حدوده، حتى أن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلقٍ، ولا عملٍ.

التكليف: جاء هنا قصر التذكر على أصحاب العقول، وفيه تعريض بالذين لن يذكره؛ فأنزلهم منزلة غير العاقلين.

﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠)

﴿وَوَهَبْنَا﴾: أيضًا رزق الله ﷺ بغير عملٍ أو ثمن ﴿لِي﴾: حرف تخصيص ﴿ذَاوُودَ﴾: للتشريف له ولدًا هو ﴿سُلَيْمَانَ﴾: وجاء تأخير ذكر سليمان ليتم المعنى في قوله، ﴿نِعْمَ﴾: مدح وثناء ﴿الْعَبْدُ﴾: وهو من أفضل عباد الله ﷺ؛ ليكون نبيًا، مدح وثناء من الله ﷺ لسليمان ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد أي سليمان. عن أبي هريرة ؓ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لِأَطْوَفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تَسْعُ وَتَسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ^(١)، ﴿أَوَّابٌ﴾: رجاع؛ كثير الرجوع إلى الله ﷺ، والإنابة إليه يرجع إلى الله ﷺ في كل شيء، كثير التوبة؛ كثير الطاعة، والعبادة، والإنابة إلى الله ﷺ.

﴿إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ (٣١)

﴿إِذْ﴾: حرف يفيد السبب ﴿عَرِضَ﴾: شاهد وأطلع ﴿عَلَيْهِ﴾: على سليمان ﷺ جعل سؤاس "جمع سائس" الجياد تمر أمام سليمان ﷺ ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْعَشِيِّ﴾: العصر قبل الغروب ﴿الصَّافِنَاتُ﴾: واذكر حين عرِضَتْ عليه عصرًا الخيول ﴿الْجِيَادُ﴾: جمع جواد وهي الخيل القوية السريعة المعدة للسباق والحرب، وسبب التسمية أنها تجود على صاحبها بالخير

(١) صحيح البخاري ٢٢/٤ (٢٨١٩).

وقطع المسافات الطويلة بسرعة، هي الأصيلة، السريعة، والقوية، قال مجاهد: وهي الخيل، وقيل في الخيل: التي تقف على ثلاث، وطرف حافر الرابعة، وقيل الخيول السريعة، وقيل الخيل التي لها أجنحة.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٣٢)

﴿ف﴾: بسرعة وبسبب هذا ﴿قَالَ﴾: سليمان عليه السلام ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾: آثرت المال وبخاصة حب الخيل ﴿عَنْ﴾: حرف يُفيد بمعنى على ﴿ذِكْرِ رَبِّي﴾: عن صلاة العصر، لم يقطعها عمداً بل نسياناً، كما شغل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر في موقعة الخندق، فعن علي عليه السلام، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَعَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»^(١)، ﴿حَتَّى﴾: حرف جر يدل على انتهاء الغاية الزمنية، بمعنى إلى أن ﴿تَوَارَتْ﴾: اختفت ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْحِجَابِ﴾: المقصود الليل اختفت الشمس في موعدها، وحلّ الليل الذي يستتر ما فيه.

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣)

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾: طلب سليمان عليه السلام، أن يأتوا بالخييل، يرجعها إليه ﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿طَفِقَ﴾: شرع ﴿مَسْحًا﴾: المسح المقصود المسح باليد تشريعاً واستحساناً وإعجاباً بها؛ لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو في ذلك الزمان، وقيل بدأ يضرب بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾: يضرب سيقان الخيل ﴿و﴾: يضرب أيضاً ﴿الْأَعْنَاقِ﴾: وقطع رقاب الخيل؛ قال بهذا ابن جرير الطبري في تفسيره وهو الأوجه: حدث ذلك لأنها ألتهته عن صلاة العصر؛ بسبب مشاهدته للخيول فقام فصلّى ثم غلّد يكمل مشاهدته للخيول وطلب من السوّاس أن يأتوا بالخييل وأخذ يمسح على رقابها وسوقها وهذا علمياً واقع. وقد يكون المعنى غير ذلك أن متابعتة للخييل ألتهته عن العبادة فقام بالتخلص منها بقطع رقابها؛ فعوضه الله صلى الله عليه وسلم بخير منها؛ ما هو أسرع، وهي الريح التي تجري بأمره، رُخَاءً حيث أصاب، عُذُوها شهرٌ، ورواحها شهرٌ؛ فهذا أسرع، وأفضل من الخيل. والله صلى الله عليه وسلم أعلم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٣٤)

﴿وَلَقَدْ﴾: يفيد التحقق في الماضي ﴿فَتَنَّا﴾: اختبرنا، وابتلينا وليس ابتعاده عن الحق والله صلى الله عليه وسلم أعلم، ﴿سُلَيْمَانَ﴾: قال ابن عباس، وقتادة: أخذ الله منه الملك ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الاستئناف ﴿أَلْقَيْنَا﴾: بمعنى رمى ﴿عَلَى كُرْسِيِّهِ﴾: مقعد الملك ﴿جَسَداً﴾: شقاً، أي نصف ولد،

(١) صحيح البخاري ٤/٤٣ (٢٩٣١).

ولדתه واحدة من نسائه، حيث أقسم ليطوفن على جميع نسائه؛ لتأتيه إحداهن بولدٍ فارسٍ مجاهدٍ في سبيل الله ﷺ؛ ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل منهنّ إلا امرأةً واحدةً وجاءت بشقٍ ولد، فلما شاهد ذلك رجع إلى ربّه بالتوبة على ذنبه. وقيل كان المقصود هو شيطان وقيل: اسم الشيطان صخر، وقيل: اسمه آصف ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد الترتيب الزمني مع التراخي، غير السريع، ليس فوراً ﴿أَنَابَ﴾: عاد إلى ملكه، وسلطانه وعظمته.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥)

﴿قَالَ﴾: سليمان داعياً ﴿رَبِّ﴾: تعني كلمة الرب: المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك الأمر كله ﴿اغْفِرْ لِي﴾: بعد طلب المسامحة، أي المغفرة من الله ﷻ؛ سأل أن يهبه الله ﷻ ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿هَبْ﴾: امنحني، خصص ﴿لِي مُلْكًا لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْبَغِي﴾: لا يكون ولا يجب ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿أَحَدٍ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾: سأله ملكًا عظيمًا، فيها قولان: ملكًا لا يكون لأحدٍ من البشر مثله، وقيل ملكًا لا يسلبه أحدٌ من بعده، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إِنَّ عِفْرِيئًا مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، قَالَ رَوْحٌ: «فَرَدَّهُ خَاسِئًا»^(١).

التكليف: عن أبي الدرداء، قال: قام رسولُ الله ﷺ فسمِعناه يقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنَكَ بِلْعَنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فُقِلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنَكَ بِلْعَنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخَذَهُ، وَاللَّهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَحِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوتَقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلِدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ^(٢).

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦)

﴿ف﴾: لهذا السبب، أنه قال هب لي ملكًا ﴿سَخَّرْنَا﴾: سهلنا ويسرنا ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿الرِّيحَ﴾: ذلك الله ﷻ له بعد عقر الخيل غضبًا لله ﷻ؛ عوضه الله ﷻ الريح، تحمله وتقله بسرعة

(١) صحيح البخاري ١/٩٩ (٤٦١).

(٢) صحيح مسلم ١/٣٨٥ (٥٤٢).

﴿تَجْرِي بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿رُخَاءَ﴾ رِيحٌ لَيِّنَةٌ لَا تُحَرِّكُ شَيْئًا إِلَّا عَنْ ﴿أَمْرِهِ﴾: بقرارٍ منه، رواحها شهرٌ، وغدوها شهرٌ ﴿حَيْثُ﴾: حرفٌ ظرفٌ يَدُلُّ على الزمان والمكان ﴿أَصَابَ﴾: حيث أراد.

﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ (٣٧)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الشَّيَاطِينِ﴾: وسخر الله ﷻ له من الشياطين يستعملهن في أعماله ﴿كُلِّ﴾: جميع ﴿بِنَاءٍ﴾: فمنهم الذين يبنون القصور الكبيرة ﴿و﴾: أيضًا كلٌّ ﴿غَوَاصٍ﴾: ومنهم الغواصون الذين يستخرجون له اللؤلؤ، والجواهر النفيسة من البحر.

﴿وَأَخْرَيْنَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٣٨)

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾: ليس المعنى هنا تسخير آخرين مربوطين بالأصفاد، المقصود أن يُسَخَّرَ له الله ﷻ من الشياطين غير ﴿مُقْرَنِينَ﴾: إنَّ الذين هم مقيدون ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: الأغلال، لا ينفعونهم ﷻ، ليس من المتمردين العُصاة، ومن الذين امتنعوا عن الطاعة والله أعلم.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٩)

﴿هَذَا﴾: حرفٌ تنبيهٍ وإشارةٍ، الملك العظيم الذي سخره الله ﷻ لسليمان ﷺ ﴿عَطَاؤُنَا﴾: ما طلبته يا سليمان أعطيناك، عطاءً عظيمًا ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿امْنُنْ﴾: أعط من شئت ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التخيير أو التسوية ﴿أَمْسِكْ﴾: وامنع عن شئت؛ ﴿بِغَيْرِ﴾: حرف يفيد الاستثناء ﴿حِسَابٍ﴾: لا حساب عليك على ما تفعل.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ (٤٠)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا لسليمان ﷺ ﴿عِنْدَنَا﴾: إنَّ لسليمان عند الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿زُلْفَىٰ﴾: وإنَّ لسليمان عندنا في الدار الآخرة لقربة من الله ﷻ وحسن مرجع، ﴿و﴾: أيضًا له عند الله ﷻ ﴿حُسْنَ﴾: خير ﴿مَّآبٍ﴾: رجوعٍ بغور الآخرة.

﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (٤١)

﴿و﴾: أيضًا استأنف ذكر أيوب عليه السلام ﴿ادْكُرْ﴾: قُصَّ على المؤمنين قصَّة ﴿عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾: جاءت في سيرة ذكر المُبتليين من الرسل، إنَّ العبودية لله ﷻ منزلةٌ رفيعةٌ عند الله ﷻ ﴿إِذْ﴾: حدث في الزمن البعيد للتوكيد ﴿نَادَىٰ﴾: دعا أيوب ﷺ ﴿رَبَّهُ﴾: مالك أمره كله ﴿أَنِّي﴾: تحقق الفعل بالتأكيد ﴿مَسَّنِيَ﴾: نسب سيدنا أيوب ﷺ، ما ألمَّ به من تعبٍ وألمٍ شديدين للشيطان تأدبًا مع الله ﷻ؛ فقال أصابني في العمق من جسدي من الشيطان مرضٌ وضررٌ ﴿الشَّيْطَانُ﴾

ب: أسند سليمان عليه السلام، من باب التأدب مع الله ﷻ المرض والضرر الذي أصابه إلى الشيطان، وهذا لا ينفي أن الخير والشر بيد الله ﷻ لحمه يعلمها ﷻ **﴿نُضِبٌ﴾**: بتعب، خدمته بأمرٍ يُتعبني **﴿وَعَذَابٌ﴾**: لقد سبب الشيطان له أيضًا تعبًا ومشقةً وألمًا في جسده، يعذبه؛ حيث ألقى السبب على عدو الله، أنه أصابه في بدنه، وولده، وجسده؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ لَبِثَ فِي بَلَاءِهِ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَحْصَى إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُونَ إِلَيْهِ وَيُرْوَحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ، فَيُكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أُدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرٌ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذُكْرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعْ إِلَيَّ بَيْتِي فَأُكْفِرُ عَنْهُمَا كِرَاهِيَةً أَنْ يُذَكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتْ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ **﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾** فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَبَلَعَتْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيُّ بَارِكِ اللَّهُ، فَبَكَتْ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى، وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتَ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرُ الْقَمْحِ، وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ، أَفْرَعَتْ فِيهِ الدَّهَبَ حَتَّى فَاصَتْ، وَأَفْرَعَتْ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاصَتْ»^(١).

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢)

﴿ارْكُضْ﴾: أي ادفع **﴿ب﴾**: حرف باء الاستعانة **﴿رِجْلِكَ﴾**: الأرض بقدمك؛ ففعل **﴿هَذَا﴾**: حرف إشارة وتنبية **﴿مُغْتَسَلٌ﴾**: خرج الماء من الأرض؛ فأمره الله أن يغتسل منها، فبرأ جسده من كل ما فيه من أمراض، ثم أمره ﷻ أن يضرب الأرض؛ في مكانٍ آخر؛ فخرج منه ماء **﴿باردٌ﴾**: يقبله الجسم ولا يتضرر منه **﴿و﴾**: أيضًا **﴿شَرَابٌ﴾**: أمره أن يشرب من هذه المياه؛ فذهب ما في بطنه من سوء، وتعافى تمامًا.

التكليف: إن الله قادرٌ أن يقول لأيوب كلمةً فيشفى؛ لكن أمره بالعمل، ضرب الأرض بقدمه؛ فأخذ بالأسباب؛ ففعل.

^(١) صحيح ابن حبان ١٥٧/٧ (٢٨٩٨). قال الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم. والحاكم في المستدرک ٦٣٥/٢ (٤١١٥) وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم. ووافقه الذهبي.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٤٣)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾: أعطيناها هبةً من عندنا ﴿أَهْلَهُ﴾: قال قتادة، والحسن: أحياءهم الله ﷺ له بأعيانهم، وقيل جمعهم بعد تفرقهم ﴿و﴾: أيضًا وهب له الله تعالى ﴿مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾: وزادهم مثلهم معهم عددًا ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾: رافةً وشفقةً للعبد الصالح أيوب على صبره، وثباته، وتواضعه، واستكانته ﴿وَذِكْرَى﴾: أيضًا ليذكره الناس، ويتفكروا تجربته ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿أُولِي﴾: أصحاب ﴿أَلْبَابِ﴾: العقول؛ ليخلصوا إلى أن عاقبة الصبر الفرج، وأن مع العسر يسرًا.

﴿وَوَخَّذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٤٤)

﴿وَوَخَّذْ﴾: أمسك ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿بِيَدِكَ﴾: جاء ذكر اليد هنا لتقيد تمام النعم على أيوب عليه السلام، إشعارًا بأنه زُدت إليه قوته وغايبته كما كانت؛ فجاءت خذ بيدك ﴿ضِعْفًا﴾: وهي حزمة من شماريخ قنو البلح الفارغ؛ فيها مائة عود، وقيل حزمة من حشيش يابس ﴿فَ﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿أَضْرِبْ بِهِ﴾: ضربةً واحدةً بهذا الضغث ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَحْنُثْ﴾: بذلك تكون وقيت بيمينك، ونفذت نذكرك؛ مخرجًا للنبي عليه السلام، وزوجته الصابرين ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾: شهادة مدح من الله ﷻ لعبده الصابر أيوب ﴿نِعْمَ﴾: مدح ﴿الْعَبْدُ﴾: من العبيد المقبولين المحبوبين؛ فهو من الأخيار ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿أَوَّابٌ﴾: رجّاع عن الخطأ، مُنِيبٌ إليه ﷻ.

﴿وَوَادُّكَ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥)

﴿وَوَادُّكَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: وهؤلاء من أفضل عباد الله المرسلين؛ الأب، والابن، والحفيد ﴿أُولِي﴾: أصحاب ﴿الْأَيْدِي﴾: أصحاب النعم على الناس، وقال ابن عباس: أولي القوة، وقال مجاهد: القوة في طاعة الله ﷻ، وقال قتادة، والسدي: أعطوا قوةً في العبادة ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال؛ كانوا أصحاب ﴿الْأَبْصَارِ﴾: البصيرة النافذة؛ قال ابن عباس: الفقه في الدين، وقال مجاهد: البصر في الحق، وقال قتادة والسدي: بصرًا في الدين، هنا توافرت القوة العملية والعلمية، والتعبير عنهما بالأيدي والأبصار.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (٤٦)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَخْلَصْنَاهُمْ﴾: مننا عليهم، اختصصناهم ﴿بِ﴾: حرف باء التأكيد ﴿خَالِصَةِ﴾:

بخاصية، قال مجاهد: يعملون للآخرة، ولا يعملون لغيرها، وقال مالك بن دينار: نزع الله ﷻ من قلوبهم حبّ الدنيا، وأخلصهم بحبّ الآخرة **﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾**: قال سعيد بن جبیر: الجنّة، وقال ابن زيد: بذكرهم لها؛ جعل لهم أفضل شيء في الآخرة.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٤٧)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال **﴿إِنَّهُمْ﴾**: هم بالتأكيد هم **﴿عِنْدَنَا﴾**: في تقدير الله ﷻ لهم **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾**: المختارين، المجتبيين **﴿الْأَخْيَارِ﴾**: خصصناهم من دون أهل زمانهم واخترناهم، فهم مختارون لحمل الرسالة؛ وتبليغها؛ فهم الأكثر خيراً.

﴿وَأَذْكَرٍ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٤٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿أَذْكَرٍ﴾**: يا محمد ﷺ جاء الأمر هنا لمحمد، عليه الصلاة والسلام؛ لكي يتأسى بهم **﴿إِسْمَاعِيلَ﴾**: ابن إبراهيم، أبا العرب **﴿و﴾**: أيضًا أذكر **﴿الْيَسَعَ﴾**: أتى الله ﷻ عليهما ثناءً حسنًا **﴿و﴾**: أيضًا أذكر **﴿ذَا﴾**: صاحب **﴿الْكِفْلِ﴾**: إلياس عليه السلام، ومعناها صاحب النصيب **﴿وَكُلٌّ﴾**: أيضًا جميعهم **﴿مِنَ﴾**: حرف يُفيد بعض **﴿الْأَخْيَارِ﴾**: جاء نكر هؤلاء من جملة من صبر من الأنبياء وتحمل الشدائد في سبيل الله ﷻ، هؤلاء من الذين اختارهم الله ﷻ لحمل رسالته؛ وبذلك يستحقون الثناء منك.

﴿هَذَا ذَكَرٌ وَإِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ لِحُسْنٍ مَّآبٍ﴾ (٤٩)

﴿هَذَا﴾: حرف إشارة وتنبية، الذي جاء **﴿ذَكَرٌ﴾**: جاء اللفظ القرآني "الذكر" على ستة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى البيان، هو القرآن وشرف لك ولقومك، هذا فصلٌ فيه ذكرٌ لمن أراد أن يتذكر، وقال السدي: هو القرآن الكريم **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿الْمُتَّقِينَ﴾**: الذين عبدوا الله ﷻ قناعةً؛ طمعًا في رحمته، وخوفًا من عذابه **﴿لِحُسْنٍ مَّآبٍ﴾**: أفضل مرجع حسن في الدار الآخرة، وتفصيله:

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (٥٠)

﴿جَنَّاتٍ﴾: وليست جنّة واحدة **﴿عَدْنٍ﴾**: جنات إقامة دائمة **﴿مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ﴾**: تخصيصًا **﴿الْأَبْوَابُ﴾**: مفتحة لهم أبوابها، إذا جاؤوها فتحت لهم أبوابها احتفاءً وتكريماً.

التكليف: جاءت الكلمة القرآنية مفتحةً، منصوبةً على الحال بمعنى يدخلون الجنّة حال وجود الأبواب مفتوحةً لاستقبالهم.

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ (٥١)

﴿مُتَكِنِينَ﴾: متربعين مستندين ﴿فِيهَا﴾: على سررٍ تحت الحجال ﴿يَذُغُونَ﴾: مهما طلبوا ﴿فِيهَا﴾
 ب﴾: حرف باء التعددية ﴿فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾: جاء الاقتصار على جعل الفاكهة للإيدان بأن
 مطامعهم كان بغرض التفاكه والاستمتاع دون التغذية بألوانٍ وطعمٍ متنوعٍ، من الفاكهة وجدوها
 حاضرة ﴿و﴾: أيضًا ﴿شَرَابٍ﴾: كل ما يطلبون من شرابٍ جاءهم الخدم به كلما أرادوا، ووقتما
 أرادوا.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٌ﴾ (٥٢)

﴿وَعِنْدَهُمْ﴾: حرف زمان ومكان، معهم ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: زوجاتٌ لا ينظرن إلى غير
 أزواجهن ﴿أَثْرَابٌ﴾: هن الزوجات المُتساويات في العمر، وهذا يعني أنهن لا يكبرن ولا يهرمن.

﴿هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٥٣)

﴿هَذَا﴾: حرفٌ تنبيهٍ وإشارةٍ، هذه صفات الجنة ﴿مَا﴾: التي ﴿تُوَعَّدُونَ﴾: التي وعدها الله ﷻ
 وصفات أصحابها، عباد الله المتقين ﴿لِ﴾: بمعنى إلى ﴿يَوْمِ الْحِسَابِ﴾: يوم القيامة التي
 يصيرون إليها بعد نشورهم، وقيامهم من قبورهم، ونجاتهم من النار.

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٥٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَذَا﴾: حرفٌ تنبيهٍ وإشعارٍ إلى الذي جاء ذكره
 ﴿لَرِزْقُنَا مَا﴾: ليس ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿نَفَادٍ﴾: لا يخلص،
 ولا ينضب، وغير مقطوع.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ (٥٥)

﴿هَذَا﴾: الذي ذكرناه، جزاء المتقين بعد ذكر أهل الجنة؛ جاء ذكر أهل النار ﴿و﴾: حرف
 عطفٍ يُفيد الحال ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لِ﴾: حرف تخصيص
 ﴿الطَّاغِينَ﴾: الخارجين عن طاعة الله ﷻ، الناكبين عن اتباع رسله المبالغين في عصيانه ﷻ
 ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿شَرَّ﴾: ضررًا وأذى ﴿مَآبٍ﴾: سوء منقلب ومآل.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٥٦)

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلون جهنم، فتغمرهم النار من كلِّ الجهات ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد السبب
 ﴿بِئْسَ﴾: ذمٍ وقدح ﴿الْمِهَادُ﴾: شَبَّه ما تحتهم من النار بالفراش الذي يفترشه النائمون؛ أسوأ
 مقامٍ مهدوه لأنفسهم وهو الفراش.

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ (٥٧)

﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة هنا يكون الجزاء، العذاب هو جهنم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿بِدُوقُوهُ﴾: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أنّ كلّ أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها الحميم؛ لئُعذَّبوا بحريقها ﴿حَمِيمٌ﴾: الحارُّ الذي انتهى حرّه، الذي وصل أعلى حرارة، هل هو السائل المغلي؟ الله أعلم ﴿و﴾: أيضًا ﴿عَسَاقٌ﴾: هو ما سال من جلود أهل النَّار من الصديد، وقيل شديد البرودة.

﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ (٥٨)

﴿وَأَخْرَجَ﴾: أيضًا أشياء مثل ما سبق، الشيء ونقيضه، والعذاب في الحالتين عذاب آخر من هذا القبيل ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع ﴿شَكْلِهِ﴾: صورته، وجوهره ﴿أَزْوَاجًا﴾: أنواع ألوان العذاب؛ كالزمهرير، والسموم، وشراب الحميم، وأكل الزقوم، والصعود والوقوع، أي كلّ ما هو مضاد؛ وفي الحالتين عذاب.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ (٥٩)

﴿هَذَا﴾: تفيد التنبيه والإشارة ﴿فَوْجٌ﴾: طائفة دخلت النَّار، والقاتلون هم أهل النَّار لبعضهم في حال تخاصمهم فيها، وتبرأهم من بعض ﴿مُقْتَحِمٌ﴾: هذه جماعة من أهل النَّار داخلة معكم محشورٌ ﴿مَعَكُمْ﴾: فتردُّ طائفة أخرى من أهل النَّار ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿مَرْحَبًا﴾: يشتم الكفار بعضهم بعضًا، كلمة استقبال يستحقونها، لا أهلاً ولا سهلاً ﴿بِهِمْ﴾: يتلاعنون، ويكذب، ويكفر بعضهم بعضًا، ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿صَالُوا﴾: الذين يذوقون ﴿النَّارِ﴾: يقول بعض الكفار سيدخلون مثلنا النَّار، لا مرحبًا بهم.

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبئْسَ الْقَرَارُ﴾ (٦٠)

﴿قَالُوا﴾: هم الداخلون من الأتباع لسادتهم ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَنْتُمْ﴾: بالتحديد ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿مَرْحَبًا﴾: لا ترحيب ولا استحسان ﴿بِكُمْ﴾: لأنكم ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديداً ﴿قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: أنتم لا نرحب بكم؛ لأنكم دعوتونا إليه؛ وأوقعتمونا فيه؛ مما أفضى بنا إلى النَّار ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿بئس﴾: شرُّ وسوء ﴿الْقَرَارُ﴾: المستقر، ما أسوأ هذا المنزل، والمستقر، والمصير.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ (٦١)

﴿قَالُوا﴾: هم فوج من الأتباع من أهل النَّار ﴿رَبَّنَا﴾: اعترفوا بأنَّ الله ﷻ ربهم، مالك أمرهم كلّه، بعد فوات الأوان ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر، الجنس الذي يعقل ﴿قَدَّمَ لَنَا﴾: تخصيصاً ﴿هَذَا﴾: تفيد التنبيه والإشارة، ربنا من أضلنا في الدنيا عن الهدى، الذي دعانا إلى الكفر

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ﴿زِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾: اجعل عذابه مضاعفًا في جهنم.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (٦٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما جاء ﴿قَالُوا﴾: هم المتكبرون، زعماء الطغاة من أهل النار أيضًا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَنَا﴾: تخصيصًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نَرَى﴾: لماذا لا نرى في جهنم معنا ﴿رِجَالًا﴾: هم المؤمنون ﴿كُنَّا﴾: في حياتنا الدنيا ﴿نَعُدُّهُمْ﴾: نحسبهم ﴿مِنَ﴾: بعض ﴿الْأَشْرَارِ﴾: ويعنون بذلك الفقراء المسلمين؛ كعمار بن ياسر وخباب وصهيب وبلال وسلمان... كانوا بمعاييرنا في الدنيا من الأشرار، قال مجاهد: هذا قول أبي جهل: مالي لا أرى بلالًا، وعمارًا، وصهيب، وفلانًا والقضية عامة، والله أعلم.

التكليف: إنَّ الحقيقة الأولى هنا: هي تخاصم أهل النار في الدنيا، وفي الآخرة، والحقيقة الثانية: أنَّ معايير أهل النار في الدنيا؛ هي معاييرهم في الآخرة.

﴿اتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (٦٣)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار ﴿اتَّخَذْنَاَهُمْ﴾: هل أخطأنا لما جعلناهم لنا ﴿سِخْرِيًّا﴾: مواد استهزائنا وسخريتنا منهم في الدنيا ﴿أَمْ﴾: هل ﴿زَاغَتْ﴾: انحرفت ﴿عَنْهُمْ﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿الْأَبْصَارُ﴾: أم دخلوا النار، ولكن لا نراهم معنا في جنهم، وقد زاغت أعيننا، يُسرون عن أنفسهم، ويتمنون للمؤمنين أن يكونوا معهم في النار.

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (٦٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿ذَلِكَ﴾: الذي جاء ذكره في الزمن البعيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿حَقٌّ﴾: ما قلناه لك يا محمد ﷺ عن ﴿تَخَاصُمُ﴾: عداة ونزاع ﴿أَهْلِ﴾: السكان الدائمون في ﴿النَّارِ﴾: حيث يلعن بعضهم بعضًا، ويخاصم بعضهم بعضًا؛ حقيقة دون شك.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٦٥)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للمشركين من قومك ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تفيد التأكيد ﴿أَنَا﴾: رسول الله إليكم ﴿مُنذِرٌ﴾: مُحذّرٌ لكم من عذابٍ شديدٍ؛ يقع عليكم بسبب كفركم، كما في الأمم السابقة ﴿وَمَا﴾: أيضًا لا يوجد، هنا نفي لأي إله غير الله ﷻ ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾: معبود يستحق الطاعة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾: المُتفرّد في عظمته في ذاته وصفاته ﴿الْقَهَّارُ﴾ قهر وغلب كل شيء: وليس هناك إله يستحق العبادة إلا الله ﷻ وحده، لا شريك له، وحده يقهر كل شيء ويغلبه.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (٦٦)

﴿رَبُّ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للشيء في الكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو المالك المتصرف في ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا مالك ﴿الْأَرْضِ وَمَا﴾: والذي من المخلوقات غير العاقل ﴿بَيْنَهُمَا﴾: مالك الكون كلِّه، والمتصرف فيه ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنيع العظيم الذي لا يغالبه، ولا يقهره شيء ﴿الْغَفَّارُ﴾: الذي يسامح التائبين.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ لقومك ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا القرآن الكريم ﴿نَبَأٌ﴾: إنَّ خبر ومحتوى هذا القرآن ﴿عَظِيمٌ﴾: له شأنٌ بليغٌ، وقال مجاهد: إنَّ القرآن خبرٌ ذو شأنٍ عظيمٍ.

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ (٦٨)

﴿أَنْتُمْ﴾: أيها الكفار من الناس ﴿عَنْهُ﴾: عن الخبر العظيم ﴿مُعْرِضُونَ﴾: هنا توبيخٌ وتقريعٌ لهم لأنهم أعرضوا عنه ولم يتفكروا فيه، ليعلموا صدقه؛ ويستدلوا به على ما أنكروه من البعث والثواب والعقاب، فهم الغافلون، المتجاهلون، غير المقبلين عليه.

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٦٩)

﴿مَا﴾: أنا أنفي أنه ﴿كَانَ لِي﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿عِلْمٍ﴾: لم أعلم ﴿بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ﴾: ماذا كان بين الملائكة من حديث الملائكة لولا الوحي ﴿إِذْ﴾: حرف للتعليل يفيد هنا ما مضى من الزمن بشأن خلق آدم ﷺ ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: ما علمتُ باختلاف الملائكة الأعلى في شأن آدم ﷺ، وامتناع إبليس عن السجود، ومحاجته ربّه؛ لولا الوحي.

﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٠)

﴿إِنْ﴾: حرف شرطٍ إنَّمَا ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: يصلني العلم والخبرُ إلّا وحيًا بواسطة جبريل ﷺ ﴿إِلَّا﴾: استثناءً ﴿أَنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيدُ التوكيد ﴿أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: محذركم من عذاب شديد، وقد بينت لكم شرع الله ﷻ بوضوح.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٧١)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يدلُّ على ما مضى من الزمن وجاءت هنا للتوكيد ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: أخبر الله ﷻ مالك أمرك ﴿ل﴾: حرف تخصيصٍ ﴿الْمَلَائِكَةَ إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿خَالِقٌ﴾: مُوجدٌ من غير

سابق وجود ﴿بَشْرًا مِّن﴾: حرفٌ يُفيدُ بدايةَ الغايةِ المكانيةِ ﴿طِينٍ﴾: أنه ﷻ سيخلق بشرًا من طين. انظر [البقرة-٣٠ حتى ٣٨].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٧٢)

﴿فَإِذَا﴾: حرفٌ مفاجأةٌ وأمرٌ للمستقبل لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿سَوَّيْتُهُ﴾: أكملتُ خلقه وعدلتُ جسده ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿رُوحِي﴾: دبت فيه الروح، هي خلق من مخلوقات الله ﷻ، وأضاف لها حرف الياء للقداسة ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿قَعُوا لَهُ﴾: تحديداً ﴿سَاجِدِينَ﴾: اسجدوا إكراماً، واحتراماً؛ لأمر الله ﷻ.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣)

﴿ف﴾: ولهذا الأمر في تتابعٍ سريعٍ ﴿سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾: امتثلوا لأمر الله ﷻ فسجدوا ﴿كُلُّهُمْ﴾: هنا تأكيد أول بلا استثناء ﴿أَجْمَعُونَ﴾: وهنا التأكيد الثاني سجد الملائكةُ كُلُّهم أجمعون طاعةً وامتثالاً، ولم يتخلف منهم أحدٌ، وكان هذا قصد الإحاطة، وكان الثاني لقصد الاجتماع ويُفهم منه لم يبق منهم أحدٌ لم يسجد، وأنهم سجدوا جميعاً في وقتٍ واحدٍ.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿إِبْلِيسَ﴾: لم يسجد، لأنه لم يكن من الملائكة، وكان من الجنّ، خائنه طبيعته ﴿اسْتَكْبَرَ﴾: أنفةً واستعلاءً؛ أراد التكبر، فاستكف عن السجود ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿كَانَ﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال ﴿مِّن﴾: يفيد بداية الغاية المكانيةِ ﴿الْكَافِرِينَ﴾: فكان من العاصين المُنكرين والمُغطين حقيقة الإيمان.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ لإبليس، لعنه الله، وهو أعلم ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب وللبعيد ﴿إِبْلِيسُ مَا﴾: حرفٌ استفهامٍ ﴿مَنَعَكَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَسْجُدَ لِمَا﴾: للذي ﴿خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾: هنا دليلٌ على شرف ومكانة سيدنا آدم ﷺ، عند ربّه، إنّ الله يعلم لماذا، ولكنّه سأل إبليس لعنه الله؛ ليكشف كذبه ويوبخه ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿اسْتَكْبَرْتَ﴾: تعاليت على أمري؛ فامتعت عن السجود ﴿أَمْ﴾: أو، هل ﴿كُنْتَ﴾: من قبل ﴿مِّن﴾: بعض ﴿الْعَالِينَ﴾: هل كنت صاحب تكبرٍ وتعالٍ على الله ﷻ.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٧٦)

﴿قَالَ﴾: إبليس اللعين ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾: أفضل من آدم؛ بسبب أنك ﴿خَلَقْتَنِي﴾: حيث أوجدتني
﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿نَارٍ وَخَلَقْتَهُ﴾: وأوجدته ﴿مِنْ طِينٍ﴾: العجيب هنا أنّ
المخلوق يُكابِر على خالقه، ويُحدد لمن الخيرة في خلقه، ظنَّ إبليس أنّ النَّارَ خَيْرٌ من الطين،
مع أنّ النَّارَ مدمّرة، والطين مُثمرة.

﴿قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِئْتَكُمْ رَجِيمًا﴾ (٧٧)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ عقابًا لإبليس ﴿ف﴾: بسبب عصيانك، وما قلته ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾: أنت مطرودٌ
من الجنة ﴿فِئْتَكُمْ﴾: أنت تحديدًا ﴿رَجِيمًا﴾: مرجوم، مشتمومٌ، ملعونٌ، مذمومٌ، مطرودٌ مدحورٌ من
رحمة الله ﷻ بذكر المساوئ، وهي عكس المدح.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨)

﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌ يفيد الحال ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿عَلَيْكَ﴾: تحديدًا
﴿لَعْنَتِي﴾: طردني وإنّ عليك غضبي عليك، وإبعادي لك ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: إلى يوم القيامة،
يوم الحساب، الجنة أو النَّار.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٩)

﴿قَالَ﴾: إبليس ﴿رَبِّ﴾: يا مالِك الملك، إنّ إبليس لم يُنكر أنّ الله ﷻ ربّه، وربّ كلّ شيءٍ،
ولكنّه أبلس؛ بمعنى يئس من رحمة الله ﷻ، وبذلك يكون إبليس قد كفر لمعصية الله في خيرية
آدم ﷺ، واليوم يوجد الملايين ممن يُسمّون بالمسلمين، يُنكرون وجود الله ﷻ، ويقولون الحياة
مادّة، فهم أرذل من إبليس. أكمل إبليس طلبه من الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف استثناء بهدف ترتيب
الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ قال ﴿أَنْظِرْنِي﴾: أجلّ جزائي، وأخّر أجلي ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:
إلى يوم القيامة؛ لغاية خبيثة يعلمها الله ﷻ، وهو الذي استجاب لطلبه؛ لحكمة قدرها جلّ في
علاه.

﴿قَالَ فِئْتَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٨٠)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿ف﴾: بسبب ما أردته ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿مِنْ﴾: بعض ﴿الْمُنْظَرِينَ﴾:
فِئْتِكُمْ من المؤخّرين، ومن المؤجل حسابهم.

﴿إِلَى يَوْمِ النُّوْفِ الْمَعْلُومِ﴾ (٨١)

﴿إِلَى يَوْمِ النُّوْفِ الْمَعْلُومِ﴾: إلى يوم القيامة، فلما آمن إبليس النُّظرة؛ أي التأجيل؛ أعلن نيته،
والله أعلم بها منه.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢)

﴿قَالَ﴾: إبليس ﴿فَ﴾: بسبب ﴿بِ﴾: حرف باء القسم ﴿عَزَّتِكَ﴾: لم يُنكر إبليس عزة الله ﷻ وعظمته ﷻ؛ فأقسم بها، إنَّ إبليس هذا يعلم ما لم يعلمه الشيعيون وأمثالهم في هذا الزمان ﴿ل﴾: علةٌ وسببٌ ﴿أُغْوِيَتْهُمْ﴾: أُغرينهم وأضلَّوهم؛ أبناء آدم بالتأكيد ﴿أَجْمَعِينَ﴾: كلَّهم.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٨٣)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿عِبَادَكَ﴾: لن أقدر على هؤلاء ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾: الذين أخلصوا دينهم لله ﷻ؛ وأخلصهم الله ﷻ لعبادته وحده، وهم الاستثناء عن الغاوين، الذين يطيعون إبليس.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٤)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿الْحَقُّ﴾: منِّي ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿الْحَقُّ أَقُولُ﴾: لأنَّ الله ﷻ لا يقول إلا الحق.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥)

﴿ل﴾: حرف علةٌ وسببٌ ﴿أَمْلَأَنَّ﴾: بأدوات التأكيد اللام، والنون سوف أملاً ﴿جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾: أنت يا إبليس وذريتك ﴿وَمِمَّن﴾: أيضاً من الذين ﴿تَبِعَكَ﴾: أطاعك واتبع سبيلك ﴿مِنْهُمْ﴾ حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿أَجْمَعِينَ﴾: من الإنس الذين اتبعوك، هذا القسم يطال إبليس وأتباعه.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للمشركين، وهي دعوةٌ أتباعه أن يقولوا مثله ﴿مَا﴾: حرف نفيٍ إنَّني لا ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: لا أطلب منكم على تبليغي رسالة ربِّي ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿أَجْرٍ﴾: مالٍ أو عطاءٍ ﴿وَمَا﴾: أيضاً أنفي ﴿أَنَا﴾: أنني أكون ﴿مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾: المتقولين على الله ﷻ، لا أتكلف الزيادة على ما أمرني الله ﷻ به، وهذا منهج الرسل.

التكليف: قال عبد الله بن مسعود: يا أيها الناس من علم شيئاً؛ فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله ﷻ أعلم؛ فإنَّ من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٧)

﴿إِنَّ﴾: بمعنى ما ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا القرآن الكريم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطع ﴿ذِكْرٌ﴾: تذكيرٌ ﴿ل﴾: حرف تخصيصٍ ﴿الْعَالَمِينَ﴾: تخصيصاً، جاء اللفظ القرآني "ذكر" على ستة عشر وجهاً؛ هنا بمعنى التفكير، قال ابن عباس: هو لجميع المكلفين من الإنس؛ يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (٨٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ل﴾: حرف علةٌ وسبب ﴿تَغْلَمَنَّ﴾: أيها المشركون خير هذا القرآن وصدقه، ويدخل النَّاسُ في دين الله ﷻ أفواجًا، وأيضًا حين يقع عليكم العذاب، وتتقطع بكم السُّبُل ستعرفون بحق ﴿نَبَأَهُ﴾: خبر هذا القرآن وصدقه ﴿بَعْدَهُ﴾: حرفٌ يُفيدُ الزمن ﴿حِينَ﴾: وقتٍ، قال قتادة: بعد الموت، وقال عكرمة: يوم القيامة، ولا خلاف بين ما قيل: الموت، أو يوم القيامة؛ فمن مات فقد دخل في حكم القيامة، قال الحسن البصري: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ ندرك درجة الخصومة بين إبليس زعيم الباطل، وبين الأنبياء، عليهم السلام، وأتباعهم الكرام.



سُمِّيَتْ سورة الزمر في عهد النبي محمد ﷺ، ووجهُ التسمية لوقوع هذا اللفظ الزمر دون غيرها من سور القرآن، والسورة مكيةٌ كلّها عند الجمهور، وهي السورة رقم (٥٩) في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة سبأ، وقبل سورة غافر، وعدد آياتها (٧٥) عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: نزول القرآن الكريم من الله ﷻ عليك يا محمد ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ تحديد بداية الغاية، فهو من ﴿اللَّهِ﴾: ﷻ لا ريب في ذلك ﴿الْعَزِيزِ﴾: المنيع الجانب، الذي لا يُغالبه أحد ﴿الْحَكِيمِ﴾: في أفعاله وتدبيره وأقواله.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٢)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَنْزَلْنَا﴾: يعنى النزول من أعلى إلى أدنى ﴿إِلَيْكَ﴾: إلى محمدٍ ﷺ بأمرٍ من الله ﷻ ﴿الْكِتَابِ﴾: القرآن الكريم ﴿بِ﴾: حرفٌ باء السبب، أنزلناه بسبب ﴿الْحَقِّ﴾: وإظهاره، أو متلبسين بالحق، يحمل الحق، وجاء من الحقّ وحده، لا شريك له ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿اعْبُدِ اللَّهَ﴾: أطع الله ﷻ وحده لا شريك له ﴿مُخْلِصًا﴾: مُحرراً العبادة ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿الدِّينَ﴾: العبادة الخالصة دون شرك.

التكليف: تحمل الآية الكريمة دليل وجوب توافر النية وإخلاصها وتحريرها من المفسدات؛ لأنّ الإخلاص الذي هو من الأمور القلبية التي لا تتم إلا بأعمال القلب.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾
 إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

﴿أَلَا﴾: حرف يفيد التنبيه ﴿لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: قال قتادة: يُقْبَلُ الْعَمَلُ الْخَالِصُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ له وحده بلا شريك، وهي تطبيقٌ لشهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا أيضًا جميع مَنْ ﴿اتَّخَذُوا﴾: اختاروا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: أحبّابٌ وأنصار، الذين عبدوا الأصنام، وجعلوهم على صور الملائكة، وقالوا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿نَعْبُدُهُمْ﴾: نطيعهم ﴿إِلَّا﴾: استثناءٌ ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾: عبدوهم بحجة أن يشفعوا لهم عند الله ﷻ، يقربوهم عنده ﷻ منزلةً، فكانوا في حجتهم يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَيَلَكُمْ، قَدْ قَدْ" (١) فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ (٢)، ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: يوم القيامة، يوم الفصل الرباني ﴿فِي مَا﴾: الذي ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: سيفصل الله ﷻ بين الخلائق، يُظْهِرُ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ؛ ويجزي كلَّ عاملٍ بعمله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: لا يرشد، ولا يُسهل الهداية ولا يوفق للهدى بالحق ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس بني آدم ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، يعني هنا ﴿كَاذِبٌ﴾: الذي يكذب ويفتري على الله ﷻ كثيرًا فهو ﴿كَفَّارٌ﴾: مُنْكَرٌ وَمِبَالِغٌ فِي الْكُفْرِ، قَلْبُهُ كَافِرٌ بِآيَاتِ اللَّهِ ﷻ، مُصِرٌّ عَلَى الْكُفْرِ، وَمُتَمَسِّكٌ بِهِ.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾
 ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿أَرَادَ﴾: رغب وقرّر ﴿اللَّهُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَتَّخِذُ وَلَدًا﴾: يقول ﷻ لو أراد الله أن يتخذ ولدًا؛ لكان الأمر على خلاف ما يقول الكافرون، وهذا شرطٌ لا يلزم وقوعه، ولا جوازه؛ بل هو مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ ﷻ وَلَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ ﷻ زَوْجَةٌ، وَلَا مِجَانِسَةٌ بَيْنَهُمَا وَلَا مِثْلٌ؛ الْقَصْدُ هُوَ إِثْبَاتُ جِهْلِهِمْ، هَذَا شَرْطٌ مُعَلَّقٌ عَلَى الْمُسْتَحِيلِ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿اصْطَفَىٰ﴾: اختار ﴿مِمَّا﴾: من بعض ﴿يَخْلُقُ﴾: ما يشاء ولأختار من مخلوقاته ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿يَشَاءُ سُبْحَانَهُ﴾: تنزهه وتقدس وتعالى أن يكون له ولد

(١) قال عبد الباقي في حاشي صحيح مسلم ٨٤٣/٢: قال القاضي روى بإسكان الدال وكسرهما مع التنوين ومعناه كفاكم هذا الكلام فاقترضوا عليه ولا تزيدوا.

(٢) صحيح مسلم ٨٤٣/٢ (١١٨٥).

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾: الأحد، الفرد، الصمد ﴿الْفَهَّارُ﴾: الذي قهر الأكوان؛ فذلت لسلطانه.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (٥)

﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما هو علا الأرض، وما حولها؛ كونها كروية الشكل ﴿وَ﴾: خلق أيضاً ﴿الأَرْضِ﴾: ولم تكن شيئاً، وخلق ما بينهم، ووضع لها قوانين عملها ﴿بِالْحَقِّ﴾: لحكمةٍ بالغةٍ وليس عبثاً ﴿يُكَوِّرُ﴾: التكوير في الآية يشير إلى جريان الشمس في مطالعها، وانتقاص الليل والنهار، وازديادهما؛ جعل الشيء مستديراً وضَمَّ بعضه إلى بعض؛ فكان ﴿اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾: تغشاه الظلمة حتى يذهب ضوءه ﴿وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾: تغشاه الشمس حتى تذهب ظلمته؛ فيكون ضوءها على الأرض في النهار، في تعاقب لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ﴾: أيضاً خصَّص ﴿الشَّمْسَ وَ﴾: أيضاً ذلَّل ﴿القَمَرَ كُلَّ يَجْرِي﴾: يدور حول نفسه وحول الكواكب الأكبر ﴿لِأَجَلٍ﴾: إلى مدة ﴿مُّسَمًّى﴾: معلومةٍ عند الله ﷻ، تنقضي يوم القيامة، وقد يكون المقصود حركة دوران الأرض حول الشمس؛ لتحقيق الليل والنهار في أجلٍ، مدةٍ محدّدة من الليل والنهار، وتنقص على مدار السنة؛ فتكون الفصول الأربعة ﴿أَلَا﴾: حرفٌ تنبيهٍ لإظهار كمال الاعتناء بالمضمون، والمعنى تنبهوا أيها العباد؛ فالله ﷻ هو الغالب، السائر لذنوب خلقه بالمغفرة إنه ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يُغالبه أحدٌ ﴿الْغَفَّارُ﴾: عظيم المُسامحة للمذنبين.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي نُصْرَتُونَ﴾ (٦)

﴿خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم من غير سابق وجود، ذكوراً وإناثاً، وحدد ألوانكم، وألسنتكم ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد بداية الغاية المكانية ﴿نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها، من ذات وجوه آدم ﷺ، بلا أبٍ، ولا أمٍّ ﴿ثُمَّ﴾: يفيد الترتيب والتراخي الزمني، أي ليس فوراً، في تتابعٍ مع التباعد الزمني، ليس فوراً ﴿جَعَلَ﴾: أوجد ﴿مِنْهَا﴾: من نفس آدم ﷺ ﴿زَوْجَهَا﴾: وهي حواء عليها السلام، من ضلع آدم، فخلقها من أبٍ بلا أمٍّ ﴿وَأَنْزَلَ﴾: الإنزال هنا لا يحمل المعنى الحقيقي؛ لأن الأنعام لا تعش إلا بالنبات، والنبات لا يعيش، ولا ينمو إلا بالماء، والماء ينزل من السماء، فكانت الأنعام كأنها منزلة، وهذا ما يُعرف بالتدرج ﴿لَكُمْ﴾:

أنزل من قراره ﷺ السابق في اللوح المحفوظ إلى الأرض ﴿مِنْ﴾: بعض ﴿الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: لخلق من ظهور الأنعام ثمانية أزواج؛ أنواع من الإبل، والبقر، والضأن والمعز؛ انظر في تفسير قوله ﷺ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ فَلِىَ الذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام-١٤٣] ﴿يَخْلُقْكُمْ﴾: يوجدكم من غير سابق وجود ﴿فِي﴾: أرحامٍ في ﴿بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: قدركم في أرحام الأمهات، ومع أنّ الإنسان والأنعام تخلق في البطن التي بداخلها الأرحام هنا لتغليب جنس العاقل، ولتأكيد شرف الإنسان على سائر من خلق ﴿خَلَقْنَا﴾: طوراً ﴿مِنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾: بعد طورٍ، وأصل الحمل النطفة، والعلقة، والمضغة، ثم تتكون العظام، والعضلات، وأجهزة السمع، والبصر، ويُفخّ فيه الروح؛ فيصير طفلاً كاملاً ﴿فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾: ليس المقصود الإظلام لذاته ولكن المقصود وجود أغشية تحيط بالجنين، داخل الرحم، ثم داخل الغشاء الذي يحيط بجميع الجنين داخل الرحم، ثم داخل جدار البطن ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾: تعني كلمة الرب: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمركم كلّهُ، هو المالك المتصرف فيما يملك ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهٍ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، يعني هنا وهو خاصٌّ بالله ﷻ، لا يجب عبادة سواه ﷻ ﴿فَأَنَّى﴾: حرف استفهام أفاد الاستبعاد بمعنى كيف ولأي سبب ﴿تُضْرَفُونَ﴾: كيف تتصرفون عن عبادته، وكيف ينصرف عقلكم عن الحق.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَىٰ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٧)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَكْفُرُوا﴾: يا أيها الناس إذا لم تؤمنوا بربكم ولم تتبعوا رسله ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿اللَّهُ غَنِيٌّ﴾: ليس في حاجة إليكم وأنتم الفقراء إليه ﴿عَنْكُمْ﴾: حرف يفيد المجاوزة، أي ليس في حاجة إليكم ﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي يقبل ﴿يَرْضَىٰ﴾: لا يُجيزُ ولا يسمَحُ ولا يقبلُ ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿عِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾: لا يقبل، ولا يجب، ولا يأمر بالكفر ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿إِنْ﴾: حرف يفيد هنا التخيير ﴿تَشْكُرُوا يَرْضَىٰ لَكُمْ﴾: إنما يرضى لكم شكر نعمه ﷻ عليكم، يُحبه، ويقبله منكم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَزِرُ﴾: تحمل ﴿وَازِرَةٌ﴾: مُذنبَةٌ مخطئةٌ ﴿وِزْرَ﴾: خطأً أو ذنباً ﴿أُخْرَى﴾: أي لا تحمل نفسُ ذنبِ نفسٍ أُخرى ﴿ثُمَّ﴾: حرف

يُفيد تتابعًا زمنيًا مع تراخي الزمن، أي ليس فورًا ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾: مالك أمرمك كله ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مصيركم؛ كلُّكم ميتٌ، وكلكم يُبعث يوم القيامة؛ فتعودون إلى الله ﷻ؛ للحساب ﴿فَ﴾: لسببٍ وغايةٍ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يُخبركم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: ما عملتم في الخفاء والعلن، وبما كنتم تُسرون، وما كنتم تعملون ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿عَلِيمٌ بِ﴾: بآء المصاحبة ﴿ذَاتِ﴾: طبيعة القلوب مركز الإيمان أو الكفر التي هي في ﴿الصُّدُورِ﴾: لا تخفى عليه ﷻ خافيةً في الأرض، أو في السماء؛ ويعلم ما يضمُر المخلوق في نفسه.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٨) ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مَسَّ﴾: أصاب في العمق ﴿الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾: أصاب الكافر مكروهًا، كفقد الولد، أو المال، أو تسبب المرض ﴿دَعَا﴾: استجار ﴿رَبَّهُ﴾: سأل الله ﷻ مالك أمره ﴿مُنِيبًا﴾: ذكر ربّه فاستغاث به ودعا ﴿إِلَيْهِ﴾: به وحده ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿إِذَا خَوَّلَهُ﴾: وهبه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿نَسِيَ مَا﴾: الذي ﴿كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ﴾: يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: فإذا أجابه وكشف عنه الضرُّ ينسى دعاءه لله ﷻ وقت المكروه وتضرعه ﴿وَجَعَلَ﴾: أيضًا اصطنع ﴿لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: أشرك مع الله شركاء، ومنهم نفسه، ظنًّا أنّ ذلك تحقق بعلمه، وفهمه، أو بدعم ومساندة عائلته، أو حزبه ﴿ل﴾: حرف يفيد العاقبة ﴿يُضِلُّ﴾: يصرف النَّاسَ ويبعدهم ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد المجاوزة: الهداية التي هي التوحيد دين الإسلام ﴿سَبِيلِهِ﴾: يصرفه ويبعده عن المنهج الصواب ودينه الحق ﴿قُلْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ بالقول ﴿تَمَتَّعْ﴾: التمتع ﴿بِ﴾: حرف بآء السبب ﴿كُفْرِكَ﴾: إنكارك وتغطيتك حقيقة الإيمان والبراهين الدالة عليه ﴿قَلِيلًا﴾: بعمرِكَ القصير، وهنا التهديد مآل ووعيد أكيد ليشعر الكافر أنّه لا سند له وبخاصّة يوم القيامة، وعنده ستكون بالتأكيد ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿مِنْ أَصْحَابِ﴾: الذين يسكنون، ملازمون أبدًا ﴿النَّارِ﴾: أخبر الله ﷻ هذا الطراز أنّ تمتع بكفرِكَ؛ فهذا تهديدٌ، ووعيدٌ، وتحذيرٌ، قليلًا من الزمن، وهو عمرُكَ في الدنيا؛ ثم تكون من أهل النَّار، الخالدين فيها.

﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩)

﴿أَمَّنْ﴾: مَكُونٌ مِنْ ﴿أَمَّ﴾: للاستفهام التقريري ﴿مَنْ﴾: أي الذي صفته ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الذي هو ﴿قَانِتٌ﴾: قال ابن مسعود: مُطِيعٌ، مُقَرَّرٌ ﴿أَنَاءً﴾: ساعات ﴿اللَّيْلِ﴾: قال الحسن، والسدي، وابن زيد: جوف الليل، وقال الثوري: بين المغرب والعشاء، وقال الحسن، وقتادة: أوله وأوسطه وآخره، وهو الذي ليس فيه رياء ﴿سَاجِدًا﴾: جاء التقديم أولاً بالساجدين فهو من أفضل العبادات ﴿وَقَائِمًا﴾: أيضًا واقفًا كنايةً عن الصلاة ﴿يَحْذَرُ﴾: يخشى ويخاف ﴿الْآخِرَةَ﴾: جاء اللفظ القرآني الآخرة على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى يخشى عذاب جهنم ﴿وَيَرْجُو﴾: يأمل في ﴿رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾: فهو مالك أمر وصاحب ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام ﴿يَسْتَوِي﴾: يتساوى في الحكم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَعْلَمُونَ﴾: المؤمنون المصدقون بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ﴿وَالَّذِينَ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: هم المشركون، الذين لا يعلمون شيئًا، من هذه الحقيقة ﴿إِنَّمَا﴾: تحديدًا تخصيصًا ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: يسترجع ذاكرته الحيّة ﴿أُولُو﴾: أصحاب ﴿الْأَنْبَابِ﴾: أصحاب العقول السليمة.

التكليف: تُحدد الآية الكريمة صفات الذي يعلم، وصفات الذي جهل.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ
إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: عباد الله المؤمنين ﴿اتَّقُوا﴾: تجنبوا واحذروا غضب ﴿رَبِّكُمْ﴾: مالك أمركم كله بامتنال الأوامر واجتناب النواهي، عبده عبادة يقين؛ طمعًا في الجنة، وخوفًا من العذاب ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿أَحْسَنُوا﴾: عبدوا الله ﷻ كأنهم يرونه ﴿فِي هَذِهِ﴾: حرف إشارة للمفرد المؤنث ﴿الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: سيعطيه النصر، والصحة، والمال، والعيال، وفي الآخرة الجنة، ويحسنُ إليه ربُّه ﷻ في الدنيا والآخرة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾: قال مجاهد: إذا ضاقت عليكم مكة في دينكم؛ فهاجروا إلى المدينة، وجاهدوا واعتزلوا الأوثان، وإذا دُعيتم إلى معصية؛ فاهربوا ﴿إِنَّمَا﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿يُؤْفَى﴾: يكافأ ﴿الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ﴾: ثواب عملهم في الدنيا ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بما لا يقدر على حصره حاصرٌ، قال الأوزاعي: ليس بوزن كثير أو قليل؛ إنما يُعرف غرقًا، وقال ابن جريج: يُزاد على حسابهم، وقال السدي: في الجنة.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١١)

﴿قُلْ﴾: أيها الرسول وهي دعوة لكل مؤمن ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أُمِرْتُ﴾: جاءني أمر من الله ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَعْبُدْ﴾: أطيع ﴿اللَّهِ﴾: في كل شيء ﴿مُخْلِصًا﴾: محرراً العبادة ﴿لَهُ الدِّينَ﴾: عبادة لله ﷻ وحده خالصة من الشرك والرياء وطلب المدح والثناء.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أُمِرْتُ﴾: قال السدي: القائل هو محمد ﷺ؛ أو كُلُّ من آمن من أمته ﷺ ﴿ل﴾: حرف سبب وعلّة ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَكُونَ﴾: أصير ﴿أَوَّلَ﴾: تعيد السبق في الزمن ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾: جاء اللفظ القرآني "أول" على أربعة أوجه، هنا بمعنى أول من أسلم من أمتي أي الذي لم يسبقه أحد، وهذا ما كان؛ فهو ﷺ أول من خالف دين آبائه ودعا إلى التوحيد. انظر في تفسير ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف-٨١] وهي دعوة لكل مسلم من بعده، أن يكون من أمة محمد ﷺ، وهنا يبرز مفهوم وحدة الأمة الإسلامية في كل زمان وفي كل مكان.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٣)

﴿قُلْ﴾: أيها الرسول ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَخَافُ﴾: والخوف هنا طاعة، شيء محبوب؛ لأنه الخوف من الله ﷻ ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿عَصَيْتُ﴾: خالفت أمر ﴿رَبِّي﴾: عملت في الدنيا ما لم يأمر به مالك أمري كله، وهو الله ﷻ ﴿عَذَابَ﴾: عقابًا مؤلماً في ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم القيامة، يوم التمايز بين الحق وأهل الباطل، بين من يدخل الجنة ومن يدخل النار.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (١٤)

﴿قُلِ﴾: يا محمد ﴿اللَّهُ أَعْبُدُ﴾: جاء تقديم اسم الله ﷻ لإشعار الاختصاص، لا أعبد غيره أطيع الله وحده ﴿مُخْلِصًا﴾: صادقاً أرجو رضا الله ﷻ فقط ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً لله ﷻ ﴿دِينِي﴾: طاعاتي، وعملي خالصة؛ لنيل رضاه ﷻ.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٥)

﴿ف﴾: بسبب كفركم ﴿اعْبُدُوا﴾: أطيعوا ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل ﴿شِئْتُمْ﴾: من وما ترغبون ﴿مِنْ دُونِهِ قُلْ﴾: غيره ﷻ، هذا تهديد وتقرع وتوبيخ للمشركين، اعبدوا ما شئتم غير الله ﷻ، ولكن اعلما أنكم أنتم الخاسرون ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْخَاسِرِينَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الخاسر" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى المغبون، وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿خَسِرُوا﴾: ذهب أجور أعمالهم هباءً خسروا ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: لأنهم أوردوها النار

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿أَهْلِيهِمْ﴾: وخسروا الأقارب؛ لأنه الفراق الأبدي، وعدم الالتقاء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: جاء في المعنى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى-٧] ﴿أَلَا﴾: حرفٌ تنبيهٍ لتأكيد ما قبلها انتبهوا واجتهدوا ﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ للبعيد، خسران الأهل، ودخول النار ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﴿الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: إن هذا هو الخسران الواضح، وهذه الآية ليست منسوخة.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾
(١٦)

﴿لَهُمْ﴾: حرفٌ تخصيصٍ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ بيانٍ وتمييزٍ للنوع، يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿فَوْقِهِمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "فوق" هنا بمعنى أعلى ﴿ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾: هذا أسلوبٌ يبدو تهكمياً لأن لفظ الظل على النار المحرقة؛ والظل هو أعم من الفء، هو حجب ضوء الشمس أو القمر عن الشيء، كان هنا دخان، ولهب، وحرٌّ شديد، وهو ما يستظل به فوق رؤوسهم كما في قوله ﷺ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة-٦٣] ﴿و﴾: أيضاً لهم ﴿مِنْ﴾: حرفٌ بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِهِمْ﴾: من تحت أرجلهم ﴿ظُلَلٌ﴾: دخان، ولهب، وحرٌّ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ للبعيد المذكور: اللهب، والدخان، والحر في يوم القيامة ﴿يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾: وقد جاء أيضاً: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف-٤١] والغواش هي أغشية من نار، وجاء أيضاً: ﴿يَوْمَ يَعْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت-٥٥]؛ ليخوِّفَ الله ﷻ من يخافه بالغييب، أما الكافرون؛ فالعذاب واقعٌ بهم لا محالة.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (١٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال، فإن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ جميعَ مَنْ ﴿اجْتَنَبُوا﴾: ابتعدوا عن عبادة أي شيءٍ من دون الله ﷻ وهو ﴿الطَّاغُوتَ﴾: هو كل معبود من دون الله ﷻ ﴿أَنْ﴾: حرفٌ يفيدُ تحقق الفعل ﴿يَعْبُدُوهَا﴾: فلم يعبدوها ﴿و﴾: أيضاً ﴿أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾: وعادوا إلى عبادة الله ﷻ وحده ﴿لَهُمْ﴾: حرفٌ تمليكٍ ﴿الْبُشْرَى﴾: الخبر السار بالفوز في الدنيا، ودخول الجنة في الآخرة ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿بَشِّرْ﴾: أخبر بما يُسرُّ ويُفرحُ ﴿عِبَادِ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتفيد العموم أمرٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ وكلِّ المؤمنين، الموصوفين باجتتاب الأصنام، والإنابة إليه ﷻ وأن يحملوا البشرى للمؤمنين.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
(١٨)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾: بشرّ الذين إذا سمعوا موعظتك؛ وعقلوها، عملوا بها ﴿ف﴾: حرفسبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: يُطبِقون ﴿أَحْسَنَهُ﴾: هنا إيثار الاتباع وترك التقليد فقد أثنى الله ﷻ على المتبعين بكونهم مهتدين، الذين يعملون ما فهموا وعقلوا من القول الحسن ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للقريب والبعيد هم ﴿الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾: الذين دلّهم الله ﷻ، وسهّل لهم، وأعانهم، ووقفهم، ليكونوا من المهتدين، وليسوا من الضالّين ﴿وَأُولَئِكَ﴾: اسمٌ إشارةً هنا أيضًا للجمع القريب والبعيد ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص ﴿أُولُو﴾: أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾: العقول النافعة، وهذه حقيقة يعلمها كلُّ مسلمٍ في كلِّ مجتمعٍ في أيّ قارةٍ، وفي أيّ زمانٍ، هم من أدكى الأشخاص، وأعلمهم، وأبرزهم، جاء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر-٢٨].

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩)

﴿أَفَمَنْ﴾: هنا استفهام إنكاري أول بمعنى لا عليك أن تحزن يا محمد على عدم إيمان أبي لهب وولده ومن قراباتك ممن وجبت لهم النيران في سابق علم الله ﷻ فإنّ من حَقَّت عليهم النيران لا تستطيع إخراجهم منها فدع الأمر لله ﷻ وهون على نفسك ﴿حَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيْهِ كَلِمَةُ﴾: قرارٌ وحكمٌ الله ﷻ ﴿الْعَذَابِ﴾: هو الذي كَذَّبَ بحق؛ واستمر في غيِّه وعناده؛ فاستحق العذاب بحقٍ ﴿أَفَأَنْتَ﴾: استفهام استنكاري، هل أنت ﴿تُنقِذُ﴾: تُنجِّي ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿فِي النَّارِ﴾: إنّه لا حيلة لك أيها الرسول في إنقاذه؛ هل تملك أنت أن تُنقِذَ كافرًا من عذابِ النارِ المستحق؟ والإجابة لا يملك مخلوقٌ إذا أراد الله ﷻ له النار.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (٢٠)

﴿لَكِنَّ﴾: استدراكًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: أمّا الذين آمنوا ببقين؛ طمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه، يُخبرُ الله ﷻ عنهم يوم القيامة أنّ ﴿لَهُمْ﴾: تمليكًا وتخصيصًا ﴿غُرَفٌ﴾: يعيشون في قصورٍ شاهقةٍ ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد بداية الغاية المكانية ﴿فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ﴾: طبقاتٌ فوق طبقاتٍ، مُحكمة البناء، ومزخرفة، ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، جاء وصفها عن عليّ قال: قال النبي ﷺ: إنَّ في الجنةِ غُرَفًا تُرى ظُهورُها من بُطُونِها وبُطُونُها من ظُهورِها، فقامَ أعرابيٌّ فقال: لِمَنْ هي يا رسولَ اللهِ؟ قال: لِمَنْ أطاب

الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصَّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ^(١) ﴿تَجْرِي﴾: تسير دون توقف
 ﴿مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تسلك الأنهارُ بين الغرف كما شأوا، وكيف أرادوا هذا ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾:
 لعباده المؤمنين والله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُخْلِِفُ﴾: يغيّر أو يبَدِّل ﴿اللَّهُ الْمِعَادُ﴾: وعده
 ثوابًا أو عقابًا.

التكليف: جاء ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ كـمجازٍ عقلي أُسند فعل الجري للأنهار، والنهر لا
 يجري؛ وإنما هو الماء الموجود فيه؛ في علاقة مكانية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا
 أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢١)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلم علم مشاهدة، تُفيدُ دائمًا الوجع والعذاب، يُخبر الله ﷻ نبيه ﷺ والمؤمنين
 ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ أَنْزَلَ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية
 ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل، نزول الماء من
 السحاب ﴿مَاءً﴾: أصلُ الماء كان في البحار والأنهار فوق سطح الأرض، فتبخر بسبب حرارة
 الشمس، فحملته الرياح، ثم يُنزله الله ﷻ على الأرض ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع السريع والسبب
 ﴿سَلَكَهُ﴾: وضعه وجعله ﴿يَنَابِيعَ﴾: عيون ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: ثم جعله عيونًا تجري أنهارًا في
 باطن الأرض؛ تخرج منها الآبار والعيون ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التباعد الزمني مع التراخي ﴿يُخْرِجُ
 بِهِ﴾: بالماء ﴿زَرْعًا﴾: تنبت النباتات بالماء الذي نزل من السماء أو من باطن الأرض ﴿مُخْتَلِفًا
 أَلْوَانُهُ﴾: نجد اختلاف اللون في الأصناف، وحتى في الصنف الواحد؛ كالعنب، والبلح، والتفاح
 وغيرها ﴿ثُمَّ﴾: بعد فترة من الزمن ﴿يَهِيَجُ﴾: يجف ويبيس ﴿فِتْرَاهُ﴾: تُشاهده ﴿مُصْفَرًّا﴾: يذبل،
 ويصفّر ﴿ثُمَّ﴾: بعد فترة من الزمن ﴿يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾: يجفُّ؛ ويسهلُ تكسيره ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد
 ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في دورة حياة النبات ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿ذِكْرًا﴾: عبرة
 وعظة ﴿لِأُولِي﴾: أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾: العقول الواعية المستنيرة، هذه هي الدنيا، وهذا مصير
 الإنسان فيها.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ
 أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٢)

هنا مقارنة بين صنفين من البشر ﴿أَفَمَنْ﴾: استفهام هل يستوي الذي ﴿شَرَحَ﴾: سهّل ووسع
 ﴿اللَّهُ صَدْرَهُ﴾: وهو الذي يحوي القلب، مركز الوعي والإدراك ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾: سهّل الله ﷻ أمره

(١) سنن الترمذي ٣٥٤/٤ (١٩٨٤) وقال: هذا حديث غريب. قال الألباني: حديث حسن.

للإسلام؛ فأسلم سعد قبله والانقياد له والإيمان به ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الذي ﴿عَلَى نُورٍ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية ﴿رَبِّهِ﴾: فهو على بصيرةٍ من أمره، أصبح كالذي يمشي في الطريق المضىء؛ على هدى وبصيرة، وفي الطرف الآخر ﴿فَوَيْلٌ﴾: من العذاب، هو وادٍ في جهنم ﴿ل﴾: حرفٍ تخصيص ﴿أَلْفَاسِيَةً﴾: الجامدة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: ويلٌ وهلاكٌ وعذابٌ من الله ﷻ للذين قست قلوبهم التي لا تلين، ولا تخشع ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع ﴿ذَكَرَ اللَّهَ﴾: لذكر الله ﷻ ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: في تيهٍ وضياحٍ ﴿مُبِينٍ﴾: ظاهرٍ واضحٍ.

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٢٣)

﴿اللَّهُ نَزَلَ﴾: من أعلى لأسفل؛ على فتراتٍ وبحسب المناسبات، أمّا ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر-١] هنا تقيده؛ نزل دفعةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّ في السماء الدنيا ﴿أَحْسَنَ﴾: أفضل وأكرم ﴿الْحَدِيثِ﴾: هذا وصفٌ لله ﷻ لكتابه الكريم؛ القرآن ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾: متشابهاً في الحُسن والإحكام وفيه القصص والأحكام والحجج والبيّنات، قال مجاهد: كلمةٌ متشابهةٌ مع أخرى، وقال قتادة: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف، وقال الضحاك: ترديد القول؛ ليفهموا عن ربهم ﷻ، وقال عبد الرحمن بن زيد: مُرَدَّد، فقد ورد ذكر موسى في القرآن الكريم، وصالح، وهود، والأنبياء عليهم السلام في أمكنةٍ كثيرةٍ، وقال ابن عباس: يشبهه بعضه بعضاً، ويُرد بعضه على بعض ﴿تَفْشَعُ﴾: كنايةٌ عن التصديق الحق ﴿مِنْهُ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية من سماعه وتضطرب ﴿جُلُودُ﴾: عندما يفهمون الوعد والوعيد، والخوف والتخويف والتهديد تظهر على أجسادهم علامات الرهبة ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يَخْشَوْنَ﴾: يخافون ﴿رَبَّهُمْ﴾: هؤلاء الذين يخافونه؛ لما يعلمون من عظمتهم ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التباعُد الزمني مع التراخي ﴿تَلِينُ﴾: بمعنى ترق وتخشع ﴿جُلُودُهُمْ وَ﴾: أيضاً ترق وتخشع ﴿قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: عندما يُرجعون ويؤمنون من رحمته، وعطفه، والفرق بين المؤمنين والكافرين يمكن تلخيصه بالآتي: يطرب الفَجَّارُ لسماع المطربين والمطربات، والكلام البذيء، بينما تخشع قلوب المؤمنين لصوت القرآن، إذا سمع المؤمنون القرآن خرواً سُجداً وبُكياً، بأدبٍ، ورجاءٍ، وفهمٍ، وعلمٍ، وليسوا متشاغلين عنه، التزام الأدب عند سماع القرآن، لا صراخ، ولا شغب؛ بل سكونٌ، ووقارٌ، وثباتٌ، وخوفٌ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿هُدَى﴾: دليل ﴿اللَّهُ يَهْدِي﴾:

يقود إلى الصواب **﴿بِهِ مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يَشَاءُ﴾**: ويهدي بالقرآن من يشاء، الذي يؤمن أنّ القرآن دستور الأمة؛ يهديها إلى الطريق السليم **﴿وَمَنْ﴾**: أيضًا والذي **﴿يُضِلُّ اللَّهَ﴾** **﴿فَمَا﴾**: حرف نفي **﴿لَهُ﴾**: تخصيصًا **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع **﴿هَادٍ﴾**: إذا اختار الكافر الضلال، والضياع، وكتب الله ﷻ أنه من أهل الضلال؛ لا تهديه كلُّ دساتير العالم، ولا كلِّ قوانين الكون.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٢٤)
﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿مَنْ﴾**: بمعنى هل يستوي الذي من جنس العاقل، وهو الإنسان، هل يستوي مقارنةً بين صنفين من البشر، الذي **﴿يَتَّقِي﴾**: يتجنب ويحامي نفسه **﴿بِوَجْهِهِ﴾**: الذي هو أشرف الأعضاء في جسم الإنسان **﴿سُوءَ﴾**: كلِّ شرٍّ وضررٍ **﴿الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**: يتجنب أن تُصيبه نارُ جهنم يوم القيامة **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿قِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾**: يُقال للكافرين تخصيصًا **﴿ذُوقُوا﴾**: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أن كلِّ أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها **﴿مَا﴾**: الذي **﴿كُنْتُمْ﴾**: في الحياة الدنيا **﴿تَكْسِبُونَ﴾**: أصلوا النار والعذاب؛ عاقبة ما كنتم ترتكبون من الإثم، والكفر في الدنيا، وعدم اجتناب كلِّ ما نهى الله ﷻ عنه.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٥)

﴿كَذَّبَ﴾: أنكر **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع **﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾**: جاءت الرسل، عليهم السلام، إلى الأمم، بما أمر الله ﷻ؛ فأنكروهم وحاربوهم **﴿ف﴾**: لهذا السبب وفي تتابع سريع **﴿آتَاهُمْ﴾**: جاءهم **﴿الْعَذَابُ﴾**: الهلاك، والدمار، والخراب لهم، وليبوتهم، وممتلكاتهم، وهذه سُنَّةٌ، ثابتةٌ، جاء في المعنى: **﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَا لَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾** [الكهف-٥٩] **﴿مِنْ حَيْثُ﴾**: ظرف يدلُّ على الزمان والمكان **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَشْعُرُونَ﴾**: بلا توقُّع، أو علمٍ، يأتي العذاب فجأةً في صورةٍ من الصور المتعددة، التي لا يتوقعها منهم أحدٌ.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابَ الْآخِرَةَ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦)

﴿ف﴾: بسبب هذا الكفر **﴿أَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾**: أصاب الخزي كلِّ وسائل الحسّ والإدراك؛ التي تُدرك، وتشعر، كما يتذوق اللسان الطعم، يذوقون خزي **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**، من العذاب، وتشقى المؤمنون منهم، أقوام إبراهيم، ولوط، وموسى، وصالح وكلِّ الأنبياء عليهم السلام **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال **﴿ل﴾**: حرف علّة وسببٍ **﴿عَذَابِ الْآخِرَةِ﴾**: عذاب جهنم **﴿أَكْبَرَ لَوْ﴾**:

حرفٌ يُفيد استحالة **﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**: وينتظرهم عذابٌ أكبر، وأكثر ألمًا؛ جزاء ما ارتكبوا من آثام.

﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: يفيد تحقق في الماضي **﴿صَرَبْنَا﴾**: لقد وضَّحنا وبيَّنا **﴿لِلنَّاسِ﴾**: تخصيصًا للمشركين بالله ﷻ دون عامَّة بني آدم، **﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ﴾**: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية **﴿كُلِّ﴾**: تفيد العموم **﴿مَثَلٍ﴾**: من أمثال القرون الماضية؛ للتحذير والتخويف. وجاء المعنى في القرآن نعم المعاني، والإقناع، والوصول إلى الحقيقة في كلِّ نموذج ومثل، وهو أقرب إلى الوعي والإدراك، والاتعاظ **﴿لَعَلَّهُمْ﴾**: يفيد الإشفاق من الله ﷻ، والترجي من البشر **﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾**: حتى يُدركون عاقبة الذين من قبلهم، فتزجرهم الذكرى عمَّا كانوا يعملون.

﴿فَرَأْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢٨)

﴿فَرَأْنَا عَرَبِيًّا﴾: جاء بلسان العرب، واضحًا وفصيحًا **﴿غَيْرَ﴾**: حرف استثناء **﴿ذِي﴾**: ليس فيه **﴿عِوَجٍ﴾**: واضح الألفاظ، سهل المعاني، لا انحرافٍ فيه، أو اعوجاجٍ، لا لُبسٍ فيه، واضحٌ جلي **﴿لَعَلَّهُمْ﴾**: يفيد الإشفاق من الله ﷻ، والترجي من البشر **﴿يَتَّقُونَ﴾**: حتى يحذروا، ويتجنبوا ما جاء فيه من الوعيد، ولهم في الأمم السابقة الأمثال، بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه.

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩)

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ﴾: عبدٌ مملوكٌ لعددٍ من الشركاء **﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾**: يتنازعون في ذلك العبد؛ إن أرضى بعضهم أغضب الآخرين؛ فهو في كلِّ الأحوال مغضوبٌ عليه **﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾**: مملوكًا لواحدٍ فقط، يعرف ما يريد، ويعمل في اطمئنان **﴿هَلْ﴾**: حرف استفهام للإنكار والاستبعاد **﴿يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾**: هل تتساوى حالٌ كلِّ واحدٍ منهما مع الأخرى؟ والإجابة: لا **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾**: ثناءٌ أتى به على نفسه ﷻ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه؛ فكأنه قال: قولوا: الحمد لله، وهو الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية. **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿أَكْثَرُهُمْ﴾**: غالبية هؤلاء **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَعْلَمُونَ﴾**: بل أكثر المشركين لا يعلمون الحق فيتبعوه؛ لأنهم من الجاهلين؛ والحديث هنا عن المشركين، الذين هم جاهلون.

التكليف: المعنى هل يستوي الذي يخدم شركاء متشاكسين، أخلاقهم مختلفة، ونياتهم متباينة، يستخدمه كل واحدٍ منهم فيتعبه، وكلهم غير راضٍ عنه، أم هذا الذي يخدمُ واحدًا؛ لا ينازعه غيره فيه، إذا أطاعه رضى عنه، وإذا عصاه عفا عنه؟

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠)

﴿إِنَّكَ﴾: يا محمد ﷺ بالتأكيد ﴿مَيِّتٌ﴾: سيقع عليك الموت؛ سيحصل مستقبلًا فهو، عليه الصلاة والسلام، لم يمت عندما نزلت الآية الكريمة. جاء في السياق: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات-١٢]، ستموت وكل مخلوق ماله الموت ﴿و﴾: أيضًا ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم جميعًا بالتأكيد ﴿مَيِّتُونَ﴾: والكفار سيموتون لا محالة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (٣١)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفِيدُ التباعد والتراخي الزمني ﴿إِنَّكُمْ﴾: أيها الناس، بالتأكيد ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: وبعد الموت سنبعثون، وتقفون بين يدي الله ﷻ ﴿عِنْدَ﴾: أمام ﴿رَبِّكُمْ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للشيء حالًا فحال إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمر وصاحب، فهو ﷻ مالك أمركم في الدنيا وفي الآخرة ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾: يتخاصمُ المؤمن والكافر في الآخرة أمام الله ﷻ، كما اختصما في الدنيا؛ فيفصل الله ﷻ بينهما، عَنِ الرَّبِّ بْنِ الْعَوَامِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَالَ الرَّبِّيزُ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ أَيْكُرُّ عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصِّ الذُّنُوبِ؟ قَالَ: نَعَمْ لِيُكْرَرَنَّ عَلَيْكُمْ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي حَقِّ حَقُّهُ فَقَالَ الرَّبِّيزُ: وَاللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ^(١)، وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْلُ حَضْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ^(٢)، حيث سيخاصم الصادقُ الكاذب، والمظلومُ الظالم، والمهتدي الضال؛ والضعيفُ المستكبر، وقال ابن زيد: وتخاصم الروح الجسد، ويخاصم أهل الإسلام أهل الكفر.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢)

﴿فَمَنْ﴾: حرفٌ استقهامٍ استثنائي يُفِيدُ هنا لا يوجد ﴿أَظْلَمُ﴾: لا أحد أكثر ظلمًا ﴿مِمَّنْ﴾: من الذي من جنس العاقل ﴿كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ﴾: الذي جعل مع الله ﷻ آلهةً أخرى، الذي ادعى أن

(١) مسند أحمد ٤٥/٣ (١٤٣٤) قال الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات.

(٢) مسند أحمد ٦٠١/٢٨ (١٧٣٧٢) قال الأرنؤوط: حسن.

الملائكة بنات الله، وجعل له ولدًا ﴿و﴾: أيضًا ﴿كذَّب﴾: أنكر ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الصدِّقِ إذْ﴾: حدث في الماضي ﴿جاءه﴾: ما جاء به رسول الله ﷺ بما جاءتهم رُسُلهم بالكتب، والبيِّنات الواضحة؛ كذَّبوا بها ﴿أ﴾: حرف استفهام؛ بغرض التقرير ﴿ليس﴾: يكون أليس استفهامًا تقريريًا والإجابة هي تعني مكان الإقامة، هل لا يوجد في النَّار مأوى ومسكن للكافرين بالله ﷻ، الذين لم يُصدِّقوا محمدًا ﷺ ﴿في جهنَّم منوَّى﴾: ألا يوجد مآل ﴿للكافرين﴾: في جهنَّم؟ بلى.

التكليف: أفاد الاستفهام هنا معنى الإثبات والتقرير؛ لأنَّ الهمزة دخلت على نفي؛ فأفادت معنى الإنكار، والإنكار أفاد معنى النفي، ودخلت على نفي "ليس" فكان نفي النفي إثبات.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣)

في قوله وعمله من الأنبياء وأتباعهم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المُذكر ﴿جاء ب﴾: باء السببية ﴿الصدِّقِ﴾: قال ابن عباس: من جاء بلا إله إلا الله، وصدِّق به هو رسول الله ﷺ، وهذا هو الأرجح والله ﷻ أعلم، وقال مُجاهدٌ في قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر-٣٣] قَالَ: «هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ إِذْ عَمِلُوا بِهِ»^(١)، وقال البُخاريُّ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾: الْقُرْآنُ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾: الْمُؤْمِنُ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا الَّذِي أُعْطَيْتَنِي، عَمِلْتُ بِمَا فِيهِ^(٢)، وقال قتادة، وابن زيد: هو الرسول ﷺ، وقال السدي: هو جبريل عليه السلام، وقال ليث، ومجاهد: اختيار، وقال ابن كثير: كلُّ المؤمنين يجيئون يوم القيامة؛ فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا بما أمرتمونا ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿صدِّق به﴾: أهل القرآن، المسلمون ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للجمع القريب والبعيد ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْمُتَّقُونَ﴾: قال ابن عباس: الذين اتقوا الشرك، أي تجنبوه.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤)

﴿لَهُمْ﴾: حرف تخصيص ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَشَاءُونَ﴾: يرغبون ويشتهون ﴿عِنْدَ﴾: حرف زمان ومكان ﴿رَبِّهِمْ﴾: تعني كلمة الرَّبِّ: هو المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، ويضيف ﷻ لهم من أصناف الملذات التي لا تتقطع من الجنة؛ ماذا طلبوا فيها وجدوا ﴿ذَلِكَ﴾:

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص: ٩٦.

(٢) صحيح البُخاري ١٥٢/٩ باب سورة الزمر.

إشارة للبعيد هذا ﴿جَزَاءٌ﴾: ثواب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين عبدوا الله ﷻ بصدق؛ وأطاعوه ﷻ حقَّ الطاعة.

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٥)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يُكَفِّرُ﴾: ييسر الله ﷻ لهم ذلك ويوفقهم إليه، ليمحو عنهم ذنوبهم ويجزيهم بأضعاف ما كانوا يعملون في الدنيا من خيرات ﴿اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: حرفٌ يُفيد المجاوزة ﴿أَسْوَأَ﴾: أكثرُ ضررٍ وشرٍّ في ﴿الَّذِي عَمِلُوا﴾: ليغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم وأعمالهم السيئة في الدنيا ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿يَجْزِيَهُمْ﴾: يكافئهم ﴿أَجْرَهُمْ﴾: ثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ﴾: أفضل ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يتقبل عملهم ويكافئهم بأحسن عملهم، ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحابِ الجنة.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض إنكار النفي، ومبالغة في الإثبات ﴿أَلَيْسَ﴾: حرف استفهامٍ تقريرية؛ أفاد الإثبات للتوكيد ﴿اللَّهُ ب﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿كَافٍ عَبْدَهُ﴾: تفيد بلى ﷻ كافٍ عبده محمدًا ﷺ جميع عباد الله ﷻ نعم إنَّ الله يكفي عباده في أمر دينهم ودنياهم؛ بما شاء من الرزق، والحماية، والنصر ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بتداء ال بيانٍ وتمييزٍ النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿دُونِهِ﴾: غيره ﷻ، من آلهتهم، يحاول المشركون تخويف رسول الله ﷺ من أصنامهم وآلهتهم؛ عندما قالوا له إن لم تكف؛ لطلبنا من آلهتنا أن تُصيبك بالخبيل؛ فنزلت الآية ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُضِلِّلِ﴾: لا يُرشده ﴿اللَّهُ فَمَا﴾: حرف عطفٍ يُفيد الخبر ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: هَادٍ﴾: من كتب الله ﷻ عليه الضلالة؛ فلا يهديه أحدٌ من الخلق؛ هؤلاء الذين ختم الله ﷻ على قلوبهم.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ (٣٧)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿يَهْدِ اللَّهُ﴾: من اهتدى بفضل الله ﷻ إلى الإسلام ﴿فَمَا﴾: فخير ذلك ليس ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿مُضِلٍّ﴾: من يوفقه الله ﷻ للإيمان به وبكتابه واتباع رسوله ﷺ فلن يُضله إنسان، أو مأل، أو جاء ﴿أ﴾: حرف استفهامٍ للتأكيد ﴿أَلَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي، هنا استفهامٍ تقريرية يعني بلى إن ربي عزيز لا يقهره أحد ﴿اللَّهُ ب﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿عَزِيزٍ﴾:

في انتقامه من الكافرين وممن عصوه، لا يمنعه ولا يغالبه أحدٌ ﴿ذِي﴾: صاحب ﴿انْتِقَامٍ﴾: لا أحدٌ أعزَّ منه ﷺ، ولا أحدٌ أشدَّ انتقامًا منه، منيع الجناح، لا يُضام من اعتمد عليه، ولجأ إليه. ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣٨)

﴿وَلَيْنَ﴾: حرفٌ يُفيد الاستئناف ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: سألت المشركين ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿خَلَقَ﴾: بغير سابق مثال ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، ﴿و﴾: أيضًا مَنْ الذي خلق ﴿الْأَرْضَ لَ﴾: حرف يفيد السبب بالتأكيد ﴿يَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: إذا سألت يا محمد ﷺ المشركين، وهي قضيةٌ عامَّةٌ من بعده ﷺ، إذا سأل المؤمن الكافر: من خالق هذا الكون؟ قالوا الله، هذه إجابةٌ كفَّار عهد الرسول ﷺ، ولكنَّ كفَّار هذا الزمان يقولون: الطبيعة؛ فهم أشدُّ كفراً وإلحاداً ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ﴾: حرفٌ بيانٍ وتمييزٍ النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿دُونِ﴾: حرفٌ يفيد غير ﴿اللَّهِ﴾: هذه دعوة للكفار؛ أن يتفكروا في هذه المسألة ﴿إِنْ﴾: حرف شرط إذا ﴿أَرَادَنِي اللَّهُ بِ﴾: حرف باء السبب ﴿ضُرِّ﴾: إذا كتب الله ﷻ عليَّ ضرراً أو ابتلاءً ﴿هَلْ﴾: أداة استفهام ﴿هُنَّ﴾: أصنامكم، وأوثانكم ﴿كَاشِفَاتُ﴾: رافعات، مانعات ﴿ضُرِّهِ﴾: هل يمكن أن تحميني أصنامكم من هذا الضرر، والإجابة: لا ﴿أَوْ﴾: يتساوى هذا مع ﴿أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ﴾ أداة استفهام ﴿هُنَّ﴾: أصنامكم ﴿مُمْسِكَاتُ﴾: مانعات ﴿رَحْمَتِهِ﴾: هل تملك أصنامكم أن تمنع رحمة الله ﷻ عني، جاء اللفظ القرآني "رحمة" على أكثر من أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى النصر، والفتح، هل تملك أصنامكم، وأفكاركم، ودولكم الكافرة أن يمنعوا نعمة النصر التي أنعمها الله على عبد ما؟ ولهذا أمر ﷺ رسوله ﷺ بالقول ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: الله ﷻ كافيي ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ﴾: يعتمد ﴿الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ، قال: إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيْتَ، فَتَنَتَّحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟^(١).

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي فَسُوفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿يَا﴾: نداءً للقریب والبعید ﴿قَوْمِ﴾: والقوم هم كلُّ جماعةٍ من أصلٍ واحدٍ، أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ، أخبر يا محمد ﷺ، ويا كل من يؤمن بمحمدٍ ﷺ أن يقول للكافرين من

(١) سنن أبي داود ٤٢٥/٧ (٥٠٩٥)، قال الأرنؤوط: حديث حسن بشواهد.

أقوامهم المعاندين ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على حالتكم بكفركم، بطريقتكم، ومنهجكم، اسرقوا، وخونوا أوطانكم، وحاربوا الإسلام سرًّا، أو جهراً وارتكبوا كلَّ مُحَرَّمٍ، الذي ارتضىتموه لأنفسكم ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿عَامِلٌ﴾: وأنا سأعمل وأطبق كلَّ ما هداني الله ﷻ إليه من المنهج والوسائل ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد السبب ﴿سَوْفَ﴾: يكون في المستقبل البعيد والتأخير الزمني ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تدركون بحقِّ عاقبة كذبكم وحربكم على الله ﷻ، ورسوله، والمؤمنين، هذا تهديداً للكفار، وبشارةً واضحةً للمؤمنين.

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٤٠)

﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَأْتِيهِ﴾: ستعرفون من الذي سيُصاب في الدنيا ب ﴿عَذَابٌ﴾: يجعله يتألم ﴿يُخْزِيهِ﴾: يُحقره، ويذلّه، ويُهينه ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال ﴿يَحِلُّ﴾: يُنزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: ومن يحلُّ له العذاب الذي لا نهاية له في الآخرة، عذابٌ غيرُ منقطع. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَنْزَلْنَا﴾: من الأعلى للأسفل، جاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿عَلَيْكَ﴾: على محمد ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾: يُخبر الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ أنه أنزل القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾: تخصيصاً لهم ومن أجلهم، كتابٌ من أجلهم عامٌّ لكلِّ بني آدم ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق، وعلى كلِّ مخلوقٍ أن يختار ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿اهْتَدَىٰ ف﴾: حرفٌ يُفيد السبب، من عرف ما كُلف به وعمل بنوره ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٌ ﴿نَفْسِهِ﴾: ففنع هذا العمل يعود عليه نفسه، من أطاع ما جاء في القرآن الكريم فجازته لنفسه؛ هو المستفيد ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿ضَلَّ﴾: تاه عن الهدى ﴿فَإِنَّمَا﴾: بالتأكيد وحصرًا ﴿يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: فإن وبال عملهِ الضالِّ على نفسه ﴿وَمَا﴾: حرفٌ نفي ﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: ليست عليك يا محمد أمر هدايتهم إنّما أنت بشير ونذير، وإنّما عليك البلاغ، وعلى الله ﷻ الحساب. ولقد نسختها الآية رقم (٥) من سورة التوبة ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢)

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾: يقبض الله ﷻ الأرواح عند حلول آجالها، ويخرجها من الأبدان؛ وبدراسة هذه الآية الكريمة نرى أنّ كلمة "يتوفى" في اللغة معناها يقبض، والوفاة كما هي معروفة؛ خروج الروح أولاً وبعد ذلك تتوقف جميع أعضاء الجسم عن العمل، ويبدأ الجسد في التحلل، والتلف؛ بينما القتل هو تلف الجسم أولاً، الأمر الذي يؤدي إلى خروج الروح، إنّ الإنسان يتكون من ثلاثة أعضاء:

الأول: الجسم بما فيه من أجهزة الدورة الدموية، وجهاز التنفس، والجهاز الهضمي، والجهاز البولي، والعصبي، والتناسلي، وغيرها، وهذه هي التي تنفى بعد الموت في القبور.

والثاني: الروح: وهي مصدرُ الطاقة؛ التي تُعطي الجسم ما يجعله يعمل؛ فهي كشافحِ السيّارة، البطارية، وهذه هي التي تصعد إلى بارئها؛ وبذلك يتوقف الجسم عن العمل؛ وهنا يتحقق الموت.

والثالث: النّفس: وهي جوهر الإنسان، وهي التي تُعذب في القبر والله ﷻ أعلم، وتحاسب يوم القيامة ﴿و﴾: أيضاً يتوفى النفس ﴿الَّتِي لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَمَّتْ﴾: لم يحن موعد موتها ﴿فِي

مَنَامِهَا﴾: وهذه حالة النوم، فالله ﷻ يقبض الأنفس في منامها، ويقبضها عند موتها، والقبض هنا؛ للنفس أو الجوهر أو الذات، بعيداً عن الجسد المادي المحسوس، فالجسد لا يُقبض عند

النوم، بل يظل حياً يتنفس، و يتحرك بكلّ ما فيه من مظاهر حياة الجسد: وهي بقاء الجسد، وبقاء حياة الروح، وبقاء النفس، ولكن لا يوجد أوامر من العقل، فيبدو الإنسان ساكناً كالصخرة،

وما هو بميت، وهذه هي الوفاة الصغرى عند المنام، وجاء في المعنى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأعراف- ٦٠] ﴿ف﴾: حرف يُفيدُ السبب ﴿يُمَسِّكُ الَّتِي قَضَى﴾: حق ﴿عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾:

يُرسلُ الأخرى، نقف أمام الكلمتين إمساك وإرسال؛ فيهما دليلٌ على أنّ تلك النفس كائنٌ ماديٌّ محسوسٌ، يسري عليه الإمساك والإرسال، فليس في الآيات من أدوات المجاز شيء، إنّ تلك

النفس هي التي تموت وتحيا، فإذا كان الموت يقضي على النفس، بمعنى يُغنيها لما كان هناك إمساك، فالنفس تموت ولا تنفى بدليل إمساكها، وإذا كان الموت يقضي على النفس بنزع الحياة

منها، فالحياة هي بسبب الروح، وهي مخلوقٌ من خلق الله ﷻ؛ فالنفس تُقبض حين النوم، ويصعدُ بها الملائكةُ، ويؤخذُ منها عملُها، ثم تُردُّ إلى أجسادنا فنستيقظ، ونؤكد هنا مرّةً أخرى

أنه ليس في الآيات من المجاز من شيء، فإن كان جسدُ الميت وجسدُ الشهيد يصيران إلى التراب وتبقى النفس، فتكون نفسُ الميت قد قضى عليها الموت بنزع الروح منها، ولكنها لا تنفى

لقوله ﷻ: يُمسك، وتكون نفسُ الشهيد حيّةً ببقاء الروح فيها، وليس الجسد، فيقبض ملكُ الموت أرواحاً انتهى أجلها، هذه هي الوفاة الكبرى، أي تقبض الملائكةُ الحفظةُ الأرواحَ من الأبدان،

جاء اللفظ القرآني "نفس" على ستّة أوجه؛ هنا بمعنى حياة ﴿وَيُرْسِلُ﴾: يُؤجّل موت الأَنْفُسِ ﴿الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يُؤجّل موتها الكبرى إلى أجلٍ محدّدٍ، قال السدي: إلى بقية أجلها، وقال ابن عباس: يُمسك أنفُسَ الأموات، ويرسل أنفُسَ الأحياء ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: حالات القبض والإرسال والموت والحياة ﴿لِ﴾: حرف تأكيد ﴿آيَاتِ﴾: أدلّة وبيّنات ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمِ﴾: جماعة من أصلٍ واحدٍ، وأصحاب مذهبٍ واحدٍ أو أصحاب عقيدةٍ واحدةٍ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: يعتبرون، ويتعظون، ويؤمنون، بقدره الله ﷻ على البعث، والنشور من بعد موتهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشُهُ فَلْيُنْفِضْهُ بِصَنْفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيُقِلْ: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَصَعْتُ جَنِّي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْرُزْ لَهَا، وَإِنْ أُرْسَلَتْهَا فَاخْطُهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(١).

التكليف: لا بد هنا من المزيد من التكرار لمزيد من التوضيح؛ وبدراسة هذه الآية الكريمة نرى أنّ كلمة يتوفى في اللغة معناها يقبض، فالله ﷻ يقبض الأَنْفُسَ في منامها، ويقبضها عند موتها، والقبض هنا للنفس أو الجوهر أو الذات، بعيداً عن الجسد المادي المحسوس، فالجسد لا يقبض عند النوم، بل يظلُّ حياً يتنفس، و يتحرك بكلِّ ما فيه من مظاهر حياة الجسد، وفي قوله ﷻ يمسك التي قضى عليها الموت ومن هذه الدراسة نستخلص الحقائق التالية: أولاً: إنّ النفس لا تُطلق على الجسد بانفراده.

ثانياً: يقال للذات بجملتها نفس، جزء يطلق على كل، والذات بجملتها لا تقبض عند النوم ولا عند الموت.

ثالثاً: يُقال للنفس بتقردها نفس، وإذا كانت الروح والنفس شيئاً واحداً لما كان هناك نزعٌ وإبقاءٌ، وإذا كانت النفس هي الروح لصار الشيء الواحد سبباً لكماله و نقصانه معاً، ولحياته وموته معاً، وهذا مُحالٌ، ثم يُصوّر لنا ﷻ في ثلاث آيات مُعجزاتٍ كيف يتوفى الأَنْفُسَ حين نومها وحين موتها.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُوا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٣)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿اتَّخَذُوا﴾: نعم لقد اتخذ هؤلاء المشركون ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿دُونِ اللَّهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿شُفَعَاءَ﴾: وسطاء لهم، من الأصنام، والأنداد بلا تفكّرٍ، للانتفاع والمصلحة ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ وتكرهم هل هذا حق لهم ﴿أَمْ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستفهام والنفي ﴿كَانُوا لَا﴾: حرف نفي

(١) صحيح البخاري ١١٩/٩ (٧٣٩٣).

﴿يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾: ليس لهم من الأمر شيء ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: فهي حجارة، أو أوثان، لا عقل لها.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤٤)

﴿قُلْ﴾: للمشركين يا محمد ﷺ ﴿لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ﴾: لله ﷻ وحده الواسطة، ولا يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه ﴿جَمِيعًا﴾: كلها ﴿لَهُ﴾: ملكه ﷻ ﴿مَلِكُ السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا له ملك ﴿الْأَرْضِ﴾: هو ﷻ المتصرفُ في ملكه كيف شاء ﴿ثُمَّ﴾: بتتابع غير سريع وتراخٍ زمني ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿تُرْجَعُونَ﴾: تموتون، وتُحاسِبون يوم القيامة. التكليف: لأنَّ الله ﷻ هو مالك السماوات والأرض؛ فهو المتصرف فيها، فالواجب أن يطلب العبد الشفاعة من الله ﷻ.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَنْبِشُونَ﴾ (٤٥)

﴿وَإِذَا﴾: حرفٌ يعطفُ ما بعدها على ما قبلها ﴿ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾: قال مجاهد: انقبضت، وقال السدي: فُزعت، وقال قتادة: كفرت واستكبرت عن ذكر الله ﷻ ﴿قُلُوبُ﴾: وهي مركز الوعي والإدراك، ولم يقل عقولهم ﷻ ﴿الَّذِينَ لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْآخِرَةِ﴾: هي يوم القيامة، حيث البعث بعد الممات، والحساب، هؤلاء الكفار من صفاتهم ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِذَا﴾: حرف ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط، وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿ذُكِرَ﴾: جاء الحديث عن ﴿الَّذِينَ مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿دُونِهِ﴾: إذا جاء ذكر الأصنام، أو الأنداد، أو الرؤساء، أو الملوك، أو الزعماء، أو المفكرين المُلحدِين، أو الكافرين وغيرها ﴿إِذَا هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿يَسْتَنْبِشُونَ﴾: يفرحون، ويُسرّون.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦)

بعد ذكر حال الكافرين، يُحصّن الله ﷻ رسوله ﷺ والمؤمنين معه، والذين من بعده ﴿قُلِ﴾: ادعوا الله ﴿اللَّهُمَّ﴾: اسم نداءٍ واستغاثة وتمكين الجواب ودعاء لله ﷻ ﴿فَاطِرَ﴾: الذي أوجد من غير سابق وجود وأبدع على غير سابق مثال ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها لكونها بضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا خالق ﴿الْأَرْضِ﴾: الذي خلق الأرض والسماوات على غير مثال سبق ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾: الذي يعلم السرَّ وكلَّ ما خفي ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: أيضًا وهو

كل ما يُشاهد، والمعلن من العمل وما يقال **﴿أَنْتَ﴾**: وحدك **﴿تَحْكُمُ﴾**: تقضي وتفصل **﴿بَيْنَ عِبَادِكَ﴾**: جميعاً المؤمن والكافر **﴿فِي مَا﴾**: الذي **﴿كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**: من الإيمان بك، وبلقائك، وعبادتك، ووعدك، ووعيدك؛ فاهدني يا ربّ لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك، من القول والعمل. قالت عائشة بأبيّ شيءٍ كان نبيّ الله ﷺ يفتّح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل يفتّح صلاته اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فأطّر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكّم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنّك أنت تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم^(١).

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧)

﴿وَلَوْ﴾: حرف شرط **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع من **﴿ظَلَمُوا﴾**: أنفسهم بشركهم بالله ﷻ ومعصيته واقراف الذنوب لو أنّ لهؤلاء عند معاناة العذاب يوم القيامة **﴿مَا﴾**: الذي **﴿فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾**: ملك ما في الأرض جميعاً من أموال وكنوز وذخائر ونفائس **﴿و﴾**: أيضاً **﴿مِثْلَهُ مَعَهُ﴾**: أي ضعف ما في الأرض **﴿ل﴾**: حرف علّة وسبب **﴿افْتَدَوْا بِهِ﴾**: لوافقوا أنّ يقدموه فديةً ولم يترددوا أبداً **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد بداية الغاية **﴿سُوءِ﴾**: ما فيه ضرر وشرّ **﴿الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**: حتى لا يُحاسبوا على ذنوبهم **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد الحال **﴿بَدَأَ﴾**: ظهر واتضح **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية **﴿اللَّهِ﴾**: أظهر الله ﷻ لهم **﴿مَا لَمْ﴾**: حرف نفي **﴿يَكُونُوا﴾**: في الحياة الدنيا **﴿يَحْتَسِبُونَ﴾**: ما أعدّ الله ﷻ لهم من العذاب، ولم يصدقوه، ولم يتوقعوه، ولم يحسبوا له حساباً.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَبَدَأَ﴾: تكشّف وظهر **﴿لَهُمْ﴾**: تحديداً يوم الحساب جزاء التي اقترفوها من **﴿سَيِّئَاتٍ﴾**: هي جمع سيئة وهي وصفٌ إضافيٌّ إلى موصوفه وهو الموصول ب **﴿مَا﴾**: الذي **﴿كَسَبُوا﴾**: من مكاسبهم من، بمعنى "ما كسبوا من السيئات" جاءت بصيغة التأنيث وذلك لشهرة إطلاق السيئة على الفعلة الشنيعة **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد الحال **﴿حَاقَ﴾**: أحاط، وألّم **﴿بِهِمْ مَا﴾**: الذي **﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**: الذي كانوا منه يسخرون، وهو ما وعدهم الرسول، أو المؤمنون به في الدنيا.

(١) سنن أبي داود ٢٠٤/١ (٧٦٧)، قال الألباني: حسن.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩)

يخبر الله ﷻ أحوال الإنسان ﴿ف﴾: حرف مفاجأة وأمر ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مَسَّ﴾: أصاب في العمق ﴿الْإِنْسَانَ﴾: الكافر من بني آدم ﴿ضُرٌّ﴾: ضررٌ في عافيته أو ولده، أو ماله وغيره ﴿دَعَانَا﴾: لجأ إلى الله مُتضرعاً ﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: وهبنا له ﴿نِعْمَةً مِنَّا﴾: حرف يفيد هنا بداية الغاية، من الله ﷻ خيراً من مالٍ، أو ولدٍ، أو عافية ﴿قَالَ إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ؛ تُفيد التأكيد ﴿أُوتِيتُهُ﴾: أخذته وجاءني ﴿عَلَى﴾: حرف جر يفيد الاستعلاء الحقيقي ﴿عِلْمٍ﴾: بعضهم يدعي أنّ الله ﷻ يعلم إيمانه، وفضله، وحقه، وقد يعزو الكافر ذلك إلى جهده، وشطارته، ونكائه، وهؤلاء الملحدون ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هِيَ فِتْنَةٌ﴾: إنما الخير فتنة، واختبار؛ أيشكرُ العبد أم يكفر ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراكٍ ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: الغالبية منهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلم أنّ الرزق بيد الله ﷻ؛ يبسطه ويقبضه لغاية ﷻ.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥٠)

﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿قَالَهَا الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع، يُفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: هذا نمط قول الأمم السابقة قالوا إنّما أُوتيتُهُ على علمٍ مثل ما قال قارون وغيره ﴿فَمَا﴾: حرف يُفيد النفي، أو الاستفهام ﴿أَغْنَىٰ﴾: لم ينفعهم ولم يغن ولا دفع عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيئاً ﴿عَنْهُمْ﴾: يُفيد المجاوزة، لم يصح، ولم ينفعهم قولهم، ولا جمعهم ﴿مَا كَانُوا﴾: في حياتهم ﴿يَكْسِبُونَ﴾: الذي جمعه من وسائل القوة.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥١)

﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿أَصَابَهُمْ﴾: نزل بهم العذاب على ﴿سَيِّئَاتٍ﴾: ضررٌ وشرٌ ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَسَبُوا﴾: جزاء ما عملوا ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا مِنْ﴾: حرفٌ بيانٍ وتمييزٍ النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿هَؤُلَاءِ﴾: من الذين افتروا على الله الكذب، وقالوا إنّما أخذناه بعلمنا، واجتهادنا ﴿س﴾: حرفٌ يُفيد تأكيد الفعل والقول في المستقبل ﴿يُصِيبُهُمْ﴾: يُعاقبون على ﴿سَيِّئَاتٍ﴾: شرور وأضرار ﴿مَا﴾: الذي

﴿كَسَبُوا﴾: جرائم ارتكبوها ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿بِ﴾: باء العلة والسبب ﴿مُعْجِزِينَ﴾: بفائتين الله ﷻ ولا سابقيه ولا يعجز الله ﷻ أن يصيبهم بعذاب إذا أراد.

﴿أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢)
﴿أَوْلَمْ﴾: اسمٌ يُفيدُ استنهاماً واستنكاراً ﴿يَعْلَمُوا﴾: يخبر الله ﷻ أنه أخبر الناس ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد وإنكار النفي والشك ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ﴾: يُوسِّعُ ويزيدُ في ﴿الرِّزْقِ﴾: ما يحتاج إليه المخلوق ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: تفيد التبعية ﴿يَشَاءُ﴾: أراد ﴿وَيَقْدِرُ﴾: أيضًا يُضيقه، على من يشاء ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: حالات سعة وضيق في الرزق ﴿لَآيَاتٍ﴾: أدلة واضحة، وعبرٍ وحجج ﴿لِقَوْمٍ﴾: يُخَصُّ جماعة أصحاب مذهبٍ واحدٍ؛ هم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون حقًا وباطمنانٍ قلبي راسخ.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿يَا﴾: حرفُ نداءٍ للقريبِ والبعيد من ﴿عِبَادِي﴾: جاء اللفظ القرآني "عباد"، وابدوا على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى المماليك. انظر ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف- ١٥] ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿أَسْرَفُوا﴾: جاوزوا في المسموح، وبالغوا في المحرم؛ بالشرك وبالغوا فأثقلوا بالمعاصي ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: هؤلاء الذين زعموا أن المسيح هو الله، وأن المسيح ابن الله، وأن عزيزاً ابن الله، وأن الله فقير، وأن يد الله مغلولة، وأن الله ثالثُ ثلاثة، وفي العصر الحديث الذي أنكروه تماماً، ﷻ؛ وقالوا لا إله، والحياة مادة، ومنهم من قال أنا ربكم الأعلى؛ ومنهم من قال: ما علمت لكم من إله غيري ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَقْنَطُوا﴾: تياسوا ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: قال ابن عباس: من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا؛ فقد جحد كتاب الله عز وجل ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يَغْفِرُ﴾: يُسامحُ ويمحو ﴿الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾: فيها بشارةٌ للتائبين والمنيبين إلى ربهم ﷻ، ترتاح لها قلوبُ المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم، الصادقين في توبتهم الراجين جنته الذين لا يقنطون من رحمته بشرط أن يعود العبد، ويتوب، ويقطع عن المعاصي ويطلب المغفرة ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿الغفور﴾: المسامح ﴿الرحيم﴾: العطوف وصاحب الرفق بعباده، قال ابن عباس: إن أعظم آية في كتاب الله:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة-٢٥٥] وإن أجمع آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ [النحل-٩٠]، وأكثر آية فرحاً ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وأكبر آية في كتاب الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق-٢].

التكليف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَعْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ^(١)، يفتح الفتح العليم باب التوبة واسعاً، طوبى لمن تاب وأتاب قبل أن يدركه الموت.

التكليف: سأل أحد التائبين: إن كان الله ﷻ يرميننا بسهام القدر فكيف النجاة؟ فجاء الرد كُن بجانب الرامي تنجو.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ (٥٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَنِيبُوا﴾: دعوة إلى كل الكافرين وغيرهم؛ أن ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: إلى الله ﷻ ربكم المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ وهو المربي لخلقه إلى حدّ التمام، هو مالك أمركم كله، خالقكم وبارئكم ومصوركم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَسْلِمُوا لَهُ﴾: استسلموا له ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾: قبل أن يقع بكم ﴿الْعَذَابُ﴾: العقاب والنعمة في الحياة الدنيا، وقبل أن تموتوا ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع مع التباعد الزمني ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُنصِرُونَ﴾: عندها تكونوا قد خسرت التوبة، والمغفرة، وخسرت الجنة.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿اتَّبِعُوا﴾: أطيعوا، واعملوا بأوامره، وانتهوا عن نواهيه ﴿أَحْسَنَ﴾: أفضل وأشرف ﴿مَا﴾: الذي ﴿أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: وهو القرآن الكريم ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد بداية الغاية ﴿رَبِّكُمْ﴾: هو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ، وهو المربي لخلقه إلى حدّ التمام، هو مالك أمركم كله، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾: يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾: يحل بكم ﴿الْعَذَابُ﴾: غضبُ الله ﷻ ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، على غير توقع ﴿وَأَنتُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَشْعُرُونَ﴾: لا تعلمون متى يحل.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حَبْنِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (٥٦)

(١) صحيح مسلم ٢١٠٦/٤ (٢٧٤٩).

افعلوا هذا من قبل **﴿أَنَّ﴾**: حرف يفيد المصدر **﴿تَقُولُ نَفْسٌ﴾**: جاء تنكير نفس المجرم العاصي يوم القيامة وقد يكون سبب التكرار لتفيد الكثرة **﴿يَا﴾**: نداءً للقريب والبعيد **﴿حَسْرَتًا﴾**: يندم الكافرون **﴿عَلَى مَا﴾**: الذي كان من العمل والقول **﴿فَرَطْتُ﴾**: ضيقت التوبة في الدنيا **﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾**: أنني لم أستفد من جناب الله ﷻ، فرطت وضيقت ولم أكن من الطائعين **﴿وَأَنَّ﴾**: حرف شرط **﴿كُنْتُ﴾**: في الدنيا **﴿لِ﴾**: حرف علةٍ وسببٍ بالتأكيد **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿السَّاحِرِينَ﴾**: المستهزئين بالمصلين، وبالصائمين، وبالقائمين، وبالعاكفين، وبالمجاهدين، وبالمضحين في سبيل الله ﷻ.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧)

هي من كلمات الحسرة والندم يوم القيامة؛ والله يعلم أنهم لو رُدُّوا إلى الدنيا ما اهتدوا **﴿أَوْ﴾**: حرفٌ تسويةٍ بين متعاطفين **﴿تَقُولَ﴾**: تحتج بأن الله ﷻ لم يُقدِّر لك **﴿لَوْ﴾**: حرف استحالة **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿اللَّهُ هَدَانِي﴾**: دلّني على الإيمان **﴿لِ﴾**: لهذا السبب ودون تأخير **﴿كُنْتُ﴾**: في الحياة الدنيا **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿الْمُتَّقِينَ﴾**: عباد الله الممتثلين لأوامره، المنتهين عن نواهيه؛ إنهم هنا يحملون مسئولية ضلالهم على الله ﷻ.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨)

﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التنويع، الأنواع، أو إظهار الحسرة **﴿تَقُولَ حِينَ﴾**: وقت **﴿تَرَى﴾**: تُشاهد وتُعاین **﴿الْعَذَابَ﴾**: عندما تعاین العذاب؛ وترى مقعدها الذي فقدته في الجنة لو أنّها آمنت في الدنيا فتكون الحسرة والندامة **﴿لَوْ﴾**: حرف يفيد استحالة **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿لِي﴾**: تخصيصًا **﴿كَرَّةً﴾**: لو عدت إلى الدنيا مرةً أخرى **﴿فَ﴾**: بسبب هذا **﴿أَكُونَ﴾**: عندها **﴿مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ النوع يفيد ابتداء الغاية المكانية **﴿الْمُحْسِنِينَ﴾**: ساعد الله بيقين، وتصديق، فيأتيه الرد من الله ﷻ:

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٥٩)

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب للتصديق بمعنى نعم **﴿قَدْ﴾**: حرف جزمٍ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي **﴿جَاءَ تَكَ آيَاتِي﴾**: أرسلت فيكم الرسل، وأنزلت لك الكتب، وأوضحت لله ﷻ الحجج، والبراهين **﴿فَ﴾**: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ **﴿كَذَّبْتَ بِهَا﴾**: أنكرتها **﴿وَاسْتَكْبَرْتَ﴾**: أيضًا تعاليت على الطاعة، ونأت عن الدين **﴿وَو﴾**: حرف عطفٍ

يُفيد الحال **﴿كُنْتَ مِنْ﴾**: حرف بيانٍ وتمييزٍ النوع يفيد ابتداء الغاية المكانية **﴿الْكَافِرِينَ﴾**: الجاحدين، المُغطين للحق، المُنكرين للدين.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾
(٦٠)

هنا مشهدُ العصاةِ الكافرين **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى﴾**: تُشاهد، وتُعاين، وتعرف **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ تفيد جميع مَنْ **﴿كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾**: نسبوا لله ﷻ الشريك والولد **﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾**: وقد اسودت وجوههم من الخوف والألم، هؤلاء الذين أشركوا مع الله ﷻ معبوداً آخرًا، كذبًا، وافتراءً **﴿أ﴾**: حرف استفهامٍ لتقرير الفعل وهو اسوداد الوجوه **﴿أَلَيْسَ﴾**: حرف استفهامٍ تفريري للتوكيد والتعليل؛ ولكنه خرج عن الاستفهام لإفادة الإثبات؛ لأنّ نفي النفي إثبات، بمعنى بلى **﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾**: مقرٌ إقامةٍ دائمٍ **﴿ل﴾**: تخصيص وتتمليك **﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾**: نعم، إنّ جهنم كافيةٌ سجنًا وموئلًا للذين تكبروا عن عبادة الله ﷻ فيها الخزي، يُسقون من عصارة أهل النار، ومن طينة الخبال.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦١)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال **﴿يُنَجِّي﴾**: يُنقذُ ويُسلم **﴿اللَّهُ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصول يفيد هنا جميع من **﴿اتَّقَوْا﴾**: الذين أخلصوا العبادة؛ طمعًا في جنته، وخوفًا من عذابه، يُنجيهم ربهم من النار **﴿ب﴾**: باء السببية **﴿مَفَازَتِهِمْ﴾**: بدخولهم مكان الفائزين، وهي الجنة **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَمَسُّهُمْ﴾**: لا يصيبهم في العمق **﴿السُّوءُ﴾**: ما يسبب لهم شرًا، أو ضررًا **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿هُمْ﴾**: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص **﴿يَحْزَنُونَ﴾**: لا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا، ولا يحزنهم الفزع الأكبر، مُبعدون عن كلِّ شرٍّ؛ وينالون كلَّ خيرٍ.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢)

﴿اللَّهُ خَالِقُ﴾: الذي أوجد من غير سابق وجود **﴿كُلِّ﴾**: عموم الوجود **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة النكرة لتنفيد العموم في هذا الكون، في الأرض، أو في السماء، من غير سابق مثال **﴿وَهُوَ﴾**: **﴿عَلَى كُلِّ﴾**: تفيد عموم **﴿شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾**: هو الحفيظ، المُدبِّر لكلِّ أمر، المُتصرِّف في كلِّ شيءٍ من ملكه.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٣)

﴿لَهُ﴾: حرف تملك **﴿مَقَالِيدُ﴾**: جمع إقليد، والجمع على غير قياس؛ والمقصود مفاتيح خزائن السماوات والأرض؛ حيث أرزاق العباد وبقية المخلوقات **﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، يشبه الله ﷻ

الخيرات والبركات والأرزاق بخزائن وسماها مقاليد، أي المفاتيح؛ كل أمر بيده ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾: الذين أنكروا براهين وحجج الإسلام والإيمان ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للقريب والبعيد ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص ﴿الْخَاسِرُونَ﴾: خسروا الإيمان بالله ﷻ في الدنيا فخسروا دنياهم، ويدخلون جهنم؛ وهذا هو الخسران المبين.

﴿قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا النَّجَاهِلُونَ﴾ (٦٤)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار التويخي ﴿ف﴾: حرف ربط جواب الشرط ﴿غَيْر﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي﴾: تطلبون أن ﴿أَعْبُدُ﴾: أطيع وأتبع الأصنام، والأوثان، والأنداد، والأفكار، والمعتقدات الكاذبة، الضالَّة، المضلَّة ﴿أَيُّهَا﴾: نداءً للقريب والبعيد ﴿النَّجَاهِلُونَ﴾: وهذه حقيقتهم، يقولها خالقهم؛ الذي يعلم سرهم، وجهرهم؛ ﷻ، أنهم أصحاب الجهل التام وعدم معرفة الحقيقة، والمعنى هل تلتزمونني عبادة غير الله ﷻ؟

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥)

﴿وَلَقَدْ﴾: حدث في الزمن السابق ﴿أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: لقد أنزل الله ﷻ عليك وحياً ﴿وَإِلَى الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييزٍ للنوع يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: كما أنزلنا على الأمم التي سبقت الرسل، الذين سيقولون للإنسان؛ كلِّ إنسان ﴿لَئِنْ﴾: حرف شرط ﴿أَشْرَكْتَ﴾: هذا الخطاب جاء لغير الرسل، عليهم السلام، من باب التعريض؛ لأن الله ﷻ عصمهم عن الشرك والقصد هنا هو تحذير وإنذار للعباد عامة من الشرك، بمعنى إن عبدت من دون الله ﷻ، غيره ﴿لَيَحْبَطَنَّ﴾: إذا عبدت مع الله آلهةً أخرى؛ فسينتفخ ﴿عَمَلُكَ﴾: انتفاخ مرض أو فساد ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿لَتَكُونَنَّ﴾: تصير ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الخاصرون" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى العقوبة؛ للذين ضيَّعوا آخرتهم الباقية بالحياة الفانية، فكانت عقوبتُهم جهنم وبئس المصير.

﴿بَلِ اللَّهِ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦)

﴿بَلِ﴾: حرف إثبات تستعمل هنا للإبطال؛ إبطال عبادة ما دعا إليه المشركون وقصره ﷻ على عبادته ﷻ وحده، وأمر نبيِّه أن يكون من جملة الشاكرين على أنعم ﴿اللَّهُ فَ﴾: يفيد السبب والتتابع السريع، دون تأخير ﴿اعْبُدْ﴾: يرشد الله ﷻ نبيِّه ﷺ وكلَّ مؤمن؛ أن أخلص الطاعة لله ﷻ وحده، ولا تشرك به شيئاً ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿كُنْ﴾: أن تكون ﴿مِنَ﴾: حرف

بيان وتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿الشَّاكِرِينَ﴾**: الذين يشكرون، ويحمدون الله ﷻ، على ما أنعم به عليهم في الدنيا، والدعاء للفوز بالجنة في الآخرة.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾**: لقد أكرم المشركون في حق الله ﷻ إذ لم يُقدروا عظمة الحق الخالق البارئ المصور صاحب الملك والملكوت؛ فعبدوا معه غيره، عبدوا الذي لا يملك لنفسه ولا يملك لهم من الأمر شيئاً **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال؛ يعلموا أن **﴿الْأَرْضَ جَمِيعًا﴾**: الكرة الأرضية بكاملها في **﴿قَبْضَتُهُ﴾**: ضرب الله ﷻ مثلاً لعظمته وكمال قدرته وحقارة السماوات والأرض بالنسبة لقدرته ﷻ بمن قبض شيئاً عظيماً بكفه ﷻ **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**: وخص الله ﷻ يوم القيامة بالذكر هنا وإن كانت قدرته عامة وشاملة في كل حين، لدار الدنيا. عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَاوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ^(١) **﴿و﴾**: أيضاً **﴿السَّمَاوَاتُ﴾**: السبع وما بينها **﴿مَطْوِيَّاتٌ ب﴾**: باء الظرفية **﴿بِيَمِينِهِ﴾**: ويطوي السموات بيمينه؛ ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ **﴿سُبْحَانَهُ﴾**: تنزهه، وتقدس، وتعالى عن النواقص **﴿وَتَعَالَى﴾**: أيضاً سما وعلا **﴿عَمَّا﴾**: عن الذي **﴿يُشْرِكُونَ﴾**: تنزهه وﷻ عن أكاذيب وأعمال المشركين.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال **﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾**: قام الملك الكريم المكلف بالنفخ في الصور، هذه حادثة من أهوال يوم القيامة، نفخة الموت **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر؛ يفيد السرعة في التنفيذ **﴿صَعِقَ﴾**: مات كل **﴿مَنْ﴾**: كل جنس العاقل **﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾**: في كل ما فوق وعلا الأرض وما حولها **﴿و﴾**: أيضاً صعق **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿فِي الْأَرْضِ﴾**: نفخة الصعق هذه التي يموت فيها الأحياء، من أهل السموات وأهل الأرض **﴿إِلَّا﴾**: باستثناء جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل رضوان وحملة العرش وخزنة جهنم والهور العين **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿شَاءَ اللَّهُ﴾**: حتى تُقبض آخر روح؛ وهو ملك الموت، وينفرد الحي القيوم، الذي كان أولاً وهو الباقي آخرًا؛ صاحب البقاء والديمومة؛ يقول:

(١) صحيح البخاري ١٢٣/٩ (٧٤١٢).

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر-١٦]؛ ثلاث مرّات؛ فيقول ﷺ ﴿لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر-١٦]، ثم يُحْيِي الله ﷻ إسرأفيل ﷻ، ويأمره بالنفخة في الصور ﴿ثُمَّ﴾ وفي تتابع زمني مع التراخي، ليس بالسرعة الفورية ﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾: وهي نفخة البعث ﴿فَإِذَا﴾: حرف يفيد المفاجأة وأمرًا لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي جميع الخلق ﴿قِيَامٌ﴾: واقفون ﴿يَنْظُرُونَ﴾: تجمعت عظام ورفات الخلق من جديد، في سبيلهم إلى أهوال يوم القيامة.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٩)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَشْرَقَتِ﴾: أضاءت ﴿الْأَرْضُ﴾: بنور الله ﷻ؛ إذا تجلّى عليها بهاؤه ﷻ يوم القيامة ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿نُورِ رَبِّهَا﴾: جاء اللفظ القرآني "النور" هنا بمعنى نور الرب عز وجل، وبهاؤه ﷻ، وليس بالشمس أو القمر ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: قال قتادة: كتاب الأعمال. هي صحائف أعمال العباد الحاوي للحسنات والسيئات ﴿وَجِيءَ﴾: أحضر ﴿بِالنَّبِيِّينَ﴾: قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات ربهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: وجاء أيضًا من الملائكة الشهداء، الحفظة، على أعمال العباد من خيرٍ وشرٍ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾: جاء اللفظ القرآني "قضى" على عشرة أوجه؛ هنا بمعنى الفصل؛ أي الحكم، صدر الحكم الحق العدل ﴿وَهُمْ﴾: الكفار وجميع الخلق ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُظْلَمُونَ﴾: وهذا تأكيد أنه العدل.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٠)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿وُفِّيَتْ﴾: أخذت كاملاً ﴿كُلُّ﴾: تقيد الجميع ﴿نَفْسٍ﴾: هي جوهر الإنسان؛ جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد الجميع، نصيبها وافيًا، إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا؛ فعذاب أوفى ﴿مَّا﴾: الذي ﴿عَمِلَتْ﴾: جزاء عملها، لا ظلم اليوم ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم المطلق، الذي ليس فيه نقصان ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿يَفْعَلُونَ﴾: حتى يتحقق العدل؛ فالله ﷻ يعلم ما فعلوا وما قالوا.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧١)

﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿سِيق﴾: فعل ماضٍ مبني للمجهول كي يجعل الإنسان من البشر يسأل عن الفاعل وهم الملائكة بأمر ربّها يُدفعون بعنفٍ، وزجرٍ، وتهديدٍ، جاء في المعنى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ انظر [الطور-١٣]، وجاء أيضاً: ﴿وَنُسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدا﴾ [مريم-٨٦] ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: لا يسمعون، ولا يرون، ولا يردّون جاء في المعنى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمياً وَبُكماً وَصُماً﴾ [الإسراء-٩٧] ﴿رُماً﴾: الزمرة اسمٌ يُطلق على جماعةٍ تجمعها صفاتٌ مشتركة، جماعةٌ بعد جماعةٍ ﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا ﴿إذا﴾: ظرفٌ لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداةٌ ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جاءوها﴾: وهذا سبب ما سبق، وصلوا إلى جهنّم ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: بمجرد وصول أهل النار للنار؛ فُتحت أبوابها السبعة سريعاً؛ لتعجيل العقوبة ونفهم هنا أنّها كانت قبل ذلك مغلقة، ويُفهم من هذا الهدف وهو إيقاع الخوف في قلوب السجناء ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿حَزَنَتْهَا﴾: سأل خزنةُ جهنّم أهل النار تقرّياً ﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهامٍ تقريري بغرض التبكيت لإيقاع الخوف في قلوب السجناء الكفرة ﴿يَأْتِكُمْ﴾: جاءكم ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾: من جنسكم، رسلٌ تفهمون كلامهم ﴿يَتْلُونَ﴾: يقرؤون، ويشرحون، ويوضّحون ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتٍ﴾: الأدلّة والبراهين من ﴿رَبِّكُمْ﴾: تعني كلمةُ الربّ المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون الفسيح من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمر الكون. إنهم يعرضون عليكم، ويشرحون لكم، بالبراهين، والحُجج صحةَ دعوة الرسل ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾: يحذرونكم ويخوفونكم من ﴿لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: يوم القيامة، وقد حذروكم من شرِّ هذا اليوم الذي أنتم فيه، ولأنّه لا مجال للكذب اليوم ﴿قَالُوا﴾: قال الكفّار ﴿بلى﴾: جواب تصديق، نعم جاؤونا، وأنذرونا، وأقاموا الحُجّة علينا، اعترف أهل النار ﴿وَلَكِنْ﴾: استدراكاً ﴿حَقَّتْ﴾: وجبت ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾: قالوا كذبناهم وخالفناهم؛ فحق علينا العذاب.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٢)

﴿قِيلَ﴾: لم يُسند هذا القول إلى قائلٍ؛ فالكون يشهد عليهم، ولأنّ الحُكم عدل، والحاكم عليهم خيرٌ ﷻ؛ كان القرار: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: فُتحت أبواب جهنّم لكي يدخلوها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: يعني دخول النار أبداً، بلا خروج ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد سبب، ودون تأخير ﴿بئس﴾: ساء وُفِّحَ ﴿مَثْوًى﴾: مقر الإقامة الدائمة، ليس هناك أسوأ من هذا المصير؛ بئس مصير، وبئس

مُقام، وبئس مآل ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: الذين استكبروا عن عبادة الله ﷻ وطاعة رسله عليهم السلام في الحياة الدنيا. جاء اللفظ القرآني "مَثْوَى" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى المأوى، وجاءت بمعنى منزلة في قوله ﷻ ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف-٢١]، وفي قوله أيضًا ﴿وَرَاودَتْهُ النِّسَاءُ فِي بَنِينِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف-٢٣].

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٧٣)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد هنا الحال والاستئناف ﴿سِيقَ﴾: جاءت بصيغة الفعل الماضي للمبني للمجهول ليسأل كل واحدٍ من الذي يسوق؟ والإجابة هي الملائكة المكلفون بأمر ربهم ﷻ، بأهل الجنة سوقًا عزيزًا، وتشريفًا، وتكريمًا، والهدف من ذكر السوق هنا ليس كما يساق الكافرون؛ ولكن ليسرعوا إلى رضوان الله ﷻ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: يساق أهل الجنة، ليس دفعا، جماعةً بعد جماعةٍ وهم يركبون النجائب، وتستقبلهم الملائكة، ويدخلون أبواب الجنة إرشادًا، بلطفٍ، وترحابٍ، للذين صدقوا الرسل، وآمنوا طمعًا في جنة ربهم ﴿إِلَى الْجَنَّةِ﴾: ذات الأبواب الثمانية وقد تهيأت لاستقبالهم وتزينت مسبقًا ﴿زُمَرًا﴾: جماعةً بعد جماعةٍ، يكون المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، يكون الأنبياء مع الأنبياء، ويكون الصديقون مع بعضهم، والعلماء وأقرانهم، وهكذا ﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا ﴿إِنذًا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءُوهَا﴾: وصلوا أبواب الجنة، وقد جاوزوا الصراط، حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا نَقَوْا وَهَدَّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِأَحَدِهِمْ بِمَسْكِنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانِ فِي الدُّنْيَا^(١)، وَقَالَ ﷺ: أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ، صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، آيَتُهُمْ وَأَمْشَاتُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ وَالْكِلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مَخُّ سَاقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنْ

(١) صحيح البخاري ١٢٨/٣ (٢٤٤٠).

الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضُرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ^(٢) **﴿و﴾**: عطفًا على هذا هنا إشارة إلى حالة الأبواب التي فتحت لأهل الجنة قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله صلى الله عليه وسلم **﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾**: جاء اللفظ القرآني "فتح" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الفتح بعينه، والمقصود أن الأبواب كانت مفتوحة قبل وصولهم إليها، ويعزز هذا قوله صلى الله عليه وسلم **﴿جَنَّتْ عِنْدَ مَفْتَحِهِمُ الْبُوابُ﴾** [ص-٥٠] **﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿خَزَنَتْهَا﴾**: الملائكة خزنة الجنة **﴿سَلَامٌ﴾**: تسلم عليهم الملائكة على داخلي الجنة بأمن، واطمئنان، ومحبة **﴿عَلَيْكُمْ طِبْنُمْ ف﴾**: لهذا السبب ودون تأخير **﴿ادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾**: دخول إقامة بلا خروج، طابت أعمالكم، وأقوالكم، وطاب سعيكم وجزاؤكم؛ ادخلوا الجنة ماكنين فيها أبدًا.

التكليف: يا له من مشهدٍ عظيمٍ حيث الجائزة التي ليس لها مثل؛ لها فليعمل العاملون.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ

الْعَامِلِينَ﴾ (٧٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سمعوا **﴿قَالُوا﴾**: أهل الجنة **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾**: هذا وصف حال أهل الجنة الشكر والثناء والتلذذ بالنعيم، أن الحمد في الدنيا هو واجب، والحمد في الآخرة فهو للتلذذ بالنعيم **﴿الَّذِي صَدَقْنَا﴾**: حقق **﴿وَعَدَهُ﴾**: قال المؤمنون عندما رأوا الجنة، ولأنهم كانوا يحمدون الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا؛ قالوا إننا وعدنا عن طريق رسله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وها نحن فيها؛ فوعده الحق والصدق **﴿و﴾**: حرف عطف يُفيد الحال؛ نحمد الله تعالى ونشكره أن **﴿أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾**: هنا تشبيه التصرف في الأرض بحال الوارث، من الأبوين آدم وحواء عليهما السلام، يتصرفون فيها كما يتصرف الإنسان في إرثه كيف يشاء، جاء اللفظ القرآني أرض على سبعة أوجه؛ هنا بمعنى أرض الجنة، وهو ما قاله أبو العالية، وقتادة، والسدي **﴿نَتَبَوَّأُ﴾**: من باء نزل المنزل، جاء اللفظ

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٨٠ (٢٨٣٤).

(٢) صحيح البخاري ٣/٢٥ (١٨٩٧).

القرآني "باء" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى نزلوا وجاءت بنفس المعنى في قوله ﷺ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس-٩٣]، وفي قوله ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف-٥٦] ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْجَنَّةِ حَيْثُ﴾: ظرف دلالة على المكان والزمان ﴿نَشَاءُ﴾: نتعم فيها، مما نشاء من ملذات ﴿فَ﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر ﴿نِعْمَ﴾: مدح ﴿أَجْرٌ﴾: ثواب ﴿الْعَامِلِينَ﴾: مدح للمؤمنين وعملهم، وهذا جزاؤهم.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥)

وصفت الآيات السابقة مآل أهل النار فيها، ومآل أهل الجنة في الجنة، ثم جاء ذكر الملائكة والمكان ﴿وَ﴾: عطفاً على ما سبق ﴿تَرَى﴾: يكون ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾: يُشاهد الملائكة في هذا اليوم المشهود ﴿حَافِينَ﴾: مُحيطين ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿حَوْلِ الْعَرْشِ﴾: يحدقون من حول العرش المجيد، وقد رأوا ما حدث للخلائق ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: ينزهون ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يُمجّدونه، ويعظّمونه، ويقدّسونه، وينزهونه من النقائص والظلم ﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿قُضِيَ﴾: تم الحكم ﴿بَيْنَهُمْ﴾: بين الخلائق والعباد، وكلهم له ﷺ عبد ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْحَقِّ﴾: العدل الربّاني ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿قِيلَ﴾: نطق الكون كلّ، الذي ينطق، والذي لا ينطق من بهيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ﴾: هو ﷺ المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئُ للشيء حالاً فحال إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو مالك أمر وصاحب ﴿الْعَالَمِينَ﴾: هذه شهادة جميع المخلوقات لمالك الكون، وخالقه، قال قتادة: أفتتح الخلق بالحمد في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام-١].

مقاصد السورة: بدراسة هذه السورة الكريمة؛ نرى طبيعة الصراع بين التوحيد والشرك، وعاقبة كلٍ منهما، وخاصة شهادة الملائكة، وحال أهل الجنة: الحمد لله رب العالمين.

سُمّيت سورة غافر بهذا الاسم وأطلق عليها سورة المؤمن، ووردت هذه السورة في السنّة (حم المؤمن)؛ ووجه التسمية أنه ذُكرت فيها قصة مؤمن فرعون، ولم تُذكر في سورةٍ غيرها بوجه صريح، وهي سورةٌ مكّية بالاتفاق، وهي السورة رقم (٦٠) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الزمر، وقبل سورة فُصّلت، وعدد آياتها (٨٥) في عدّ أهل الشام والكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة أن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإنّ الحرفان ﴿حم﴾: أرى، والله أعلم، أنّها تعني اسم محمد ﷺ، ويعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٢) ﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ﴾ وهو القرآن الكريم الذي نزل من الله ﷻ على محمد ﷺ، وجاء في الآية (٤) ﴿فَلَا يَعْزُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾: والضمير يعود على محمد ﷺ وجاء في الآية (٦) ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ والضمير يعود على محمد ﷺ، وهو ما خاطب به الله ﷻ رسوله في كثير من الآيات.

﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٢)

﴿تَنْزِيلِ﴾: من السماء ﴿الْكِتَابِ﴾: تنزيل القرآن الكريم على محمد ﷺ وحيًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية ﴿اللَّهُ الْعَزِيزِ﴾: المنيع الذي لا يغلبه شيء، صاحب العزّة ﴿الْعَلِيمِ﴾: هنا تهديدٌ للمشركين؛ وبشارةٌ للمؤمنين، فذكر العزيز العليم للإيذان بظهور أثرهما في الكتاب بظهور من آمن وتمسك بهما، العارف بكلّ مصالح الخلق، وما يضرّهم جميعًا، وبكل ما يجري من شيء في هذا الكون.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٣)

﴿غَافِرِ﴾: الذي يمحو ﴿الذَّنْبِ﴾: ذنوب التائبين ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿قَابِلِ﴾: ويقبل ﴿التَّوْبِ﴾: التوبة من التائبين إليه بداية السورة توحى بترجيح جانب الرحمة والفضل على الخلق على جانب الغضب الربّاني، كان هذا قبل مجيء، وحتى يبقى العبد بين الرجاء والخوف جاء ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾: لمن أصرّ على العصيان ﴿ذِي﴾: صاحب ﴿الطَّوْلِ﴾: وتعني صاحب مطلق القدرة، القدرة الكاملة، وقال ابن عباس: صاحب السعة والغني، وقال يزيد بن الأصم: الخير

الوفير، وقال عكرمة: ذي المنّة، وقال قتادة: ذي النعم والفضل، والمعنى من الكلّ أنّ الله ﷻ هو المتفضل على عباده؛ المُنعَمُ عليهم بالنعم الوفيرة، جاء في المعنى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [النحل-١٨]: ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ الذي لا إله غيره، ولا معبود بحقٍ سواه ﴿إِلَيْهِ﴾: يعود ﴿الْمَصِيرُ﴾: مالك يوم الدين، يوم الحساب، والثواب، والعقاب.

التكليف: يقرن القرآن بين المغفرة لمن يستحق، والعذاب الأليم لمن يستحق؛ ليبقى الإنسان بين الرجاء والخوف.

﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (٤)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يُجَادِلُ﴾: الذين يُخاصمون، ويدفعون الباطل، ليدحضوا به الحق ﴿فِي آيَاتِ﴾: حجج وبراهين ﴿اللَّهِ﴾: في البيان الواضح، والبرهان الظاهر، للدين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: الجاحدون للحق المستحق للعبادة وحده، الذين يُخفون الحقائق بذكر الباطل، ويضيفُ الله ﷻ في توضيح بعض أحوال الكافرين ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا نهي عن ﴿يَغْرُوكَ﴾: لا يخدعك ويضلك ما هم فيه من قوةٍ وسلطانٍ ولا يخدعك ﴿تَقَلُّبُهُمْ﴾: تحركهم بحريةٍ واتساعٍ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾: مناطق الأرض من كثرة الأموال، والأتباع، والعالم اليوم خيرُ شاهدٍ؛ الصليبيون، والصهاينة، والملحدون، والعملاء يسيطرون على العالم، ويحاربون أولياء الله ﷻ بأموالهم وجيوشهم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالنَّبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٥)

﴿كَذَّبَتْ﴾: أنكرت ﴿قَبْلَهُمْ﴾: كان أول المكذبين بالدين هم ﴿قَوْمُ﴾: جماعةٌ من أصلٍ واحدٍ، وأصحابُ عقيدةٍ واحدةٍ ﴿نُوحٍ﴾: الذين عبدوا الأوثان، وكذبوا أول رسولٍ بعثه الله ﷻ للناس ﴿و﴾: أيضاً كذبت ﴿الْأَحْزَابُ مِنْ﴾: حرف جرٍ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِمْ﴾: الأمم التي جاءت بعد ذلك، عاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وفرعون ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿هَمَّتْ﴾: كادت ﴿كُلُّ﴾: تقييد الجميع ﴿أُمَّةٍ﴾: هم جماعةٌ كبيرةٌ من شعبٍ واحدٍ أو من أصلٍ واحدٍ أو أتباعٍ مذهبٍ واحدٍ، جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد الجميع ﴿بِرَسُولِهِمْ ل﴾: حرف يفيد العلة ﴿يَأْخُذُوهُ﴾: حرصت كلُّ أمةٍ كافرةٍ أن يقتلوا رسولهم، ومنهم من نجح في ذلك ﴿وَجَادَلُوا ب﴾: حرف باء الإصاق ﴿النَّبَاطِلِ﴾: استخدموا

كثرة الكلام، وضرب الأمثال، والشبهات **﴿لِيُنْجِضُوا﴾**: ليهزموا **﴿بِهِ﴾**: حرف باء الالتصاق **﴿الْحَقُّ﴾**: بكذبهم الحق؛ فيصرفوا الناس عن دينهم **﴿فَ﴾**: وبسبب كفرهم وجدالهم وفي تتابع سريع **﴿أَخَذْتُهُمْ﴾**: أهلكهم الله ﷻ بذنوبهم، وكفرهم **﴿فَكَتِفَ كَانَ﴾**: تحقق **﴿عِقَابٍ﴾**: يسأل الله ﷻ وهو يعلم، حتى يتفكر المؤمنون في هذه الأحداث؛ ليزدادوا إيمانًا.

التكليف: تُبَيِّنُ الآيةُ الكريمةَ متلازمةً تاريخيةً، وهي من سنن الله ﷻ في الكافرين في محاربتهم للرسول والدعاة أولاً: الجدال الشديد بفحش القول، والكذب، والتهديد، وثانيًا: اللجوء إلى الجريمة، بكلِّ أشكالها، وأعظمها القتل، وثالثًا: ينتصر الحق دائمًا مع تضحياتٍ، وآلامٍ من سجن، وإبعاد، ومصادرة أموال، وتضييق؛ لكنَّ العاقبة للمتقين.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٦)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل هذا وأيضًا **﴿حَقَّتْ﴾**: وجبت، ووقعت صدقًا **﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾**: مالك أمر الخلق جميعًا **﴿عَلَى الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيدُ جميعَ مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: في الأمم الكافرة السابقة **﴿أَنَّهُمْ﴾**: هم بالتأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿أَصْحَابُ﴾**: المصاحبون أبدًا **﴿النَّارِ﴾**: وهذه تختتم مصير الكافرين، الذين قضوا في الدنيا بالخسران المبين، وصحبة النار ملازمةً ودائمةً ولصيقةً بهم في جهنم.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ هنا جميعَ مَنْ **﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾**: هم أفضلُ الملائكة المقربون؛ ينزهون الله ﷻ عما لا يليق بجلاله؛ جاء **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾** [الحاقة- ١٧]، عددهم أربعة ويوم القيامة يُضافُ لهم أربعة آخرون ليصيروا ثمانية وهذا ما قال مجاهد: ما بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب: حجاب نورٍ وحجاب ظلمة **﴿وَمَنْ﴾**: الذين من جنس العاقل **﴿حَوْلَهُ﴾**: من الملائكة إليهم حول العرش **﴿يُسَبِّحُونَ﴾**: التسبيح الذي ينفى وينزه عن النقائص **﴿بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿حَمْدٍ﴾**: ثناءٍ ومدحٍ **﴿رَبِّهِمْ﴾**: هو مالك أمرهم كلِّه، والتحميد هو الذي يثبت المدح **﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾**: هنا إظهارُ شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه مع إن التسبيح والتحميد يكون مسبقًا بالإيمان، مُصدقون لله ﷻ الحق، خاشعون أذلاء بين يديه **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾**: يطلبون ويرجون المغفرة **﴿لِ﴾**: تخصيصًا **﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾**: من أهل الأرض، وهم يُؤْمِنُونَ على دعاء المؤمنين، قال النبي ﷺ: دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْعَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ

بِمَثَلٍ^(١)، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ﴾: أحطت وشملت بعلمك ورحمتك بلا حدودٍ أو نهاية ﴿كُلِّ﴾: تفيد الجميع ﴿شَيْءٍ﴾: تفيد جنس أو نوع ﴿رَحْمَةً﴾: جاءت الرحمة قبل العلم لأنها هي المقصودة بالذات هنا، لأن المقام مقام استغفار، والعلم متقدّم أصلاً، جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد الجميع ﴿وَعِلْمًا﴾: قال شهر بن حوشب: القائلون هم حملة العرش ثمانية؛ أربعة منهم أيضًا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حملك بعد علمك، و أربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، ﴿فَ﴾: بسبب هذا ﴿اغْفِرْ﴾: سامح وأعف ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ تَابُوا﴾: اصفح عن المسيئين الذين تابوا ﴿وِ﴾: عطفاً على توبتهم ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾: أطاعوا وعملوا بما أمرت من فعل الخيرات، وترك المنكرات ﴿وَقِهِمْ﴾: أبعدهم وأحفظهم من ﴿عَذَابِ الْجَحِيمِ﴾: جهنم.

التكليف: لفظة جميلة في الآية وهي وحدة وحبّ المؤمنين لبعضهم، الملائكة تدعو للبشر؛ لأنهم أصحاب عقيدة واحدة.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٨)

﴿رَبَّنَا﴾: يقول الملائكة المقربون، وهم يُنَزَّهون الله ﷻ بما يليق بجلال وجهه ﴿وِ﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: جنات الخلد ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾: ووعدك حق ﴿وَمَنْ﴾: أيضًا أدخل الذي من الناس ﴿صَلَحَ﴾: عمله عبادته ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية المكانية ﴿آبَائِهِمْ﴾: والأجداد ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾: نسائهم ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: أحفادهم، إنهم يدعون أن يجمع الله ﷻ بين العائلة الكبيرة في منازل متجاورة؛ فهو القائل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور - ٢١]؛ أي ساويت بين الجميع في المنزلة والمكانة ﴿إِنَّكَ﴾: أنت سبحانك بكل تأكيد ﴿أَنْتَ﴾: لا أحد غيرك ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يُمانع ولا يُغالب؛ ﴿الْحَكِيمُ﴾: صاحب الحق والصواب في قوله وفعله.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٩)

﴿وِ﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قِهِمْ﴾: من الوقاية؛ أي أحفظهم من ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: من كل قول وعملٍ فيه شرٌّ وضررٌ، وأحفظهم من كل فعلٍ وقول المنكرات؛ حتى لا يذوقوا وبال أمرهم ﴿وَمَنْ﴾: العاقل الذي ﴿تَقِ﴾: تُجنبه ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: ما يسبب الضرر والشر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فَقَدْ﴾: تحققت بالتأكيد ﴿رَحِمْتَهُ﴾: لطفت به، ونجيتّه من جهنم ﴿وَذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد

(١) صحيح مسلم ٢٠٩٤/٤ (٢٧٣٣).

﴿هُوَ﴾: ضمير للمفرد الغائب ﴿الْفَوْزُ﴾: النجاح ﴿الْعَظِيمُ﴾: كبيرُ الفائدة، هي الزحزحة عن النار، ودخول الجنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَثُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾
(١٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا يُنَادُونَ﴾: تتادي الملائكة على الكفار، وقد وقعوا في غمرات النيران ﴿ل﴾: حرف يفيد القسم، بمعنى والله لمقت الله أكبر ﴿مَثُ﴾: كرهه و غضبُ ﴿اللَّهِ﴾ ﷻ عليكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية ﴿مَقْتِكُمْ﴾: كرهكم ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: أشدُّ من غضبكم وكرهكم لأنفسكم؛ حيث أوردتموها هذا الجحيم، ويبغضُ أهلُ النار أنفسهم بُغْضًا شديدًا؛ فقد عرض الله ﷻ عليهم الإيمان؛ فتركوه في الدنيا؛ فكان مقت الله عليهم شديدًا ﴿إِنْ﴾: تحقق في الماضي بسبب ﴿تُدْعَوْنَ﴾: يُطلبُ منكم في الحياة الدنيا ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَ﴾: يكون ردُّكم السريع ﴿تَكْفُرُونَ﴾: دعاكم ربُّكم؛ فأبيتُم؛ فغضب الله ﷻ عليكم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (١١)
﴿قَالُوا﴾: الكفار وهم في النار ﴿رَبَّنَا﴾: يا مالك أمرنا كلّه، اليوم اعترفوا بأنّ الله ﷻ ربهم ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾: كان الموتُ الأوّل هو عدم الوجود أي العدم، والثانية هي الموت؛ جاء اللفظ القرآني الموت على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى النطفة التي لم تكبر بعد، كما في قوله ﷻ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة-٢٨] ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد الحال ﴿أَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾: خلقتنا في الحياة الدنيا، وأخيبتنا يوم القيامة ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اعْتَرَفْنَا بِ﴾: باء السببية ﴿ذُنُوبِنَا﴾: اليوم نعترف أننا أخطأنا ﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهام مع الشكّ في وقوعه ﴿إِلَى خُرُوجٍ﴾: من النار ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييزٍ للنوع ﴿سَبِيلٍ﴾: وسيلة؛ هم يطلبون أن يخرجوا من النار؛ ليعودوا إلى الدنيا؛ حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة-١٢] اليوم أدركوا قدرة الله ﷻ؛ فطلبوا الرجعة إلى الدنيا؛ بلا فائدة.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَذَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٢)
﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة للبعيد، هنا المقصود هو العذاب ﴿بِ﴾: حرف باء السبب ﴿أَنَّهُ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿دُعِيَ اللَّهُ وَخَذَهُ﴾: هذا حال؛ إذا سأل الرسلُ والدعاةُ أهلَ النار أن يؤمنوا بالله

ﷻ وحده، دون غيره ﴿كَفَرْتُمْ﴾: أخفيتم حقائق الإيمان ورفضتم، ونفيتم، وقاتلتم المؤمنين ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَشْرِكْ بِهِ تُوْمِنُوا﴾: وكنتم إذا دُعيتم إلى محاربة الله ورسوله والمؤمنين؛ تؤمنون بالأصنام، والمعتقدات الفاسدة؛ تتبعوهم ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿الْحَكْمُ﴾: قرار مصيركم ﴿لِلَّهِ﴾: أما اليوم؛ فهذا يوم الحكم الفصل، لا رجعة بعده ﴿الْعَلِيِّ﴾: المُتَرْفَعُ في ذاته وسلطانه ﴿الْكَبِيرِ﴾: الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، الظاهر ليس فوقه شيء، والباطن ليس دونه شيء، ﷻ.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، يعني هنا الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا بالواحد، الأحد، الفرد، الصمد، ﷻ ﴿يُرِيكُمْ﴾: الخطاب هنا للمؤمنين والله ﷻ أعلم، يُظهِرُ لخلقهِ ﴿آيَاتِهِ﴾: قدرته بما خلق لهم الأرض، ومن عليها، والسماء وما فيها، خلقاً عظيماً ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿يُنَزِّلُ﴾: من السماء ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كلّ ما فوق الأرض، وأحاط بها؛ ﴿رِزْقًا﴾: هو المطر، الذي به ينبت الزرع؛ فيأكل الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات، من الواضح أن إظهار الآيات قوام الدين، كما أنّ بالأرزاق قوام الأبدان ﴿وَ﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: يستوعب ويُدرك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل الذي ﴿يُنِيبُ﴾: أهل العقل والبصيرة، التائبون الراجعون إلى الحق؛ الذين يعبدون الله ﷻ.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤)

﴿ف﴾: حرف لربط جواب الشرط ﴿ادْعُوا﴾: اطلبوا من ﴿اللَّهِ مُخْلِصِينَ﴾: مُحررين ولاءكم ﴿لَهُ﴾: تحرير الولاء إلا لله ﷻ ﴿الدِّينَ﴾: العقيدة، وخالفوا المشركين في كلّ مسلكٍ وأسلوبٍ حياة؛ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، يَهُودِيًّا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ التَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُهَلِّكُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ^(١) ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الامتناع ﴿كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: كرهوا هذا؛ فأصابهم الهمُّ، والغمُّ، والغيظ.

(١) صحيح مسلم ٤١٥/١ (٥٩٤).

﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾
(١٥)

﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾: هذه من صفات الله ﷻ؛ ارتفاع عرشه، وعظمته، وكبريائه ﴿ذُو﴾: صاحب
﴿الْعَرْشِ يُلْقِي﴾: يُنَزِّلُ، جاء اللفظ القرآني "التلقي" على وجهين؛ هنا بمعنى النزول كما في
قوله ﷻ ﴿الَّذِي الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ [القمر-٢٥] ﴿الرُّوحِ﴾: الوحي،
وسمّي الوحي بالروح لأنّ الأجساد تحيا بالأرواح ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يُفيد بداية
الغاية ﴿أَمْرِهِ﴾: جاء اللفظ القرآني "من" على (١١) وجه؛ هنا كحرف البناء؛ ينزل الملائكة
بالوحي بأمره ﴿عَلَى مَنْ﴾: جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: يريد ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾: من يختار منهم ﴿ل﴾:
حرف تخصيص؛ ليكون رسولا ﴿يُنذِرُ﴾: يُحذِرُ وَيُخَوِّفُ من ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: قال ابن عباس:
اسمٌ من أسماء يوم القيامة؛ حذّر الله ﷻ منه عباده، وقال ابن زيد: يوم يلتقي فيه العباد، وقال
قتادة، والسدي: يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، والخالق، والخلق، وقال ميمون بن مهران:
يلتقي فيه الظالم والمظلوم، وقد يكون المقصود هو كلّ ما جاء في هذه الأقوال؛ والله أعلم.

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦)
﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص، لجميع الخلق
﴿بَارِزُونَ﴾: ظاهرون، لا شيء يُظَلِّمُهُم، أو يستترهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَخْفَى﴾: يغيب عن
رؤيته ﴿عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ﴾: جزء أو بعض ﴿شَيْءٍ﴾: الكلُّ ظاهرٌ حتى هؤلاء المستورون ﴿لِمَنِ﴾:
حرف استفهامٍ للتقرير ﴿الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾: يقولها الله ﷻ ثلاث مرّات؛ ثم يُجيبُ هو ﷻ ﴿لِلَّهِ
الْوَاحِدِ﴾: بلا شبيهه، أو مثل، أو شريك ﴿الْقَهَّارِ﴾: الذي قهر كلّ شيءٍ، وخضع له كلّ شيءٍ،
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتَكُمُ
السَّاعَةُ، فَيَسْمَعُهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ وَيُنزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُنَادِي: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^(١).

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧)

﴿الْيَوْمَ﴾: جاء اللفظ القرآني "يوم" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى يوم القيامة، كما في قوله ﷻ
﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي
شُغُلٍ فَاكِهِونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكئونَ﴾ [يس-٥٤، ٥٥، ٥٦] ﴿تُجْزَى﴾:
تُكَافَأُ ﴿كُلُّ﴾: تفيد الجميع ﴿نَفْسٍ﴾: جوهر الإنسان، جاءت نكرة؛ لتؤكد الجميع ﴿بِمَا﴾: اسم

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤٧٥/٢ (٣٦٣٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

موصول هنا بمعنى الذي **﴿كَسَبَتْ﴾**: في الدنيا من خيرٍ أو شرٍ، هذا وعدُ الله ﷻ للخلق يوم القيامة؛ الحسنَةُ بعشر أمثالها، والسيئةُ بمثلها **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿ظَلَمَ الْيَوْمَ﴾**: هذا يوم القضاء العدل **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار **﴿اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**: يُحاسب الخلق كلَّهُ، كما يحاسب نفسًا واحدة، جاء: **﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** [القمان-٢٨].

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾
(١٨)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال **﴿أَنْذَرَهُمْ﴾**: حذَّره، خوَّفهم **﴿يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾**: اسمٌ من أسماء يوم القيامة؛ بمعنى اليوم المقترَب **﴿إِذِ﴾**: حرف يفيد التحقق **﴿الْقُلُوبُ﴾**: هذا يوم القضاء العدل **﴿لَدَى﴾**: وصلت عند **﴿الْحَنَاجِرِ﴾**: كأنه من شدَّة الخوف ارتفعت القلوب من الصدور، ووصلت الأعناق، كنايةً عن شدَّة الخوف، قال قتادة، والسدي، وعكرمة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف، ومن المعلوم أنَّ الحناجر في الأعناق، أي خرجت القلوب من الصدور **﴿كَازِمِينَ﴾**: ساكتين يكتُمون أنفاسهم، لا أحد يتكلم إلا بإذن الله ﷻ، وقال ابن جريج: باكين **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾**: حرف جرٍ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية **﴿حَمِيمٍ﴾**: ليس للكافرين الذين ظلموا أنفسهم من أقارب **﴿وَلَا﴾**: ليس لهم **﴿شَفِيعٍ﴾**: ولا تُقبل شفاعَةُ شفيع **﴿يُطَاعُ﴾**: يشفع فيهم، ويُستجاب له.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩)

﴿يَعْلَمُ﴾: الله ﷻ علم المحيط التام بجميع الأشياء، صغيرها وكبيرها **﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾**: هي مسارقة النظر، أي النظر خلسة، إلى ما لا يحلُّ النظر إليه، جاء اللفظ القرآني "الخيانة" على خمسة أوجه، كما في قوله ﷻ **﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** [البقرة-١٨٧]، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قال قتادة: **﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾**: مِنَ النَّظَرِ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ^(١)، وقال ابن عباس: الخائن هو شخصٌ يُظهر ما لا يُبطن، فأمام النَّاسِ يَغْضُ البصر عن الحسناء، وفي نفسه غير ذلك، وقيل الغمزُ، وقيل أيضًا: يُعلم إذا اختلى بواحدةٍ ارتكب الفاحشة أم لا، وقال الضحاك: يقول الرجل رأيت وما رأيت **﴿وَمَا﴾**:

(١) صحيح البخاري ٥٠/٨ باب الاستئذان.

الذي **﴿تُخْفِي﴾**: لا تعلن **﴿الصدور﴾**: ما تسره الضمائر من معصية لله ﷻ، وقال السدي: الوسوسة، جاء لفظ الصدور؛ لأن فيها القلوب، والتي هي مركز الوعي والإدراك.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
(٢٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق فإن **﴿اللَّهُ يَقْضِي﴾**: يحكم **﴿ب﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿الْحَقِّ﴾**: بالعدل، قال ابن عباس: قادرٌ على أن يُجزى بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة **﴿وَالَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ممن **﴿يَدْعُونَ﴾**: يرجون **﴿مِنْ دُونِهِ﴾**: غيره ﷻ، هم الذي يعبدون الأصنام، والأوثان، والأنداد **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَقْضُونَ ب﴾**: باء الإلصاق **﴿شَيْءٍ﴾**: هنا تهكمٌ بهم؛ لأنهم لا يعلمون شيئاً لا يملكون شيئاً؛ ولا يحكمون ولا يقدرون على شيء؛ فكيف يكونون شركاء لله ﷻ **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾**: سميع لأقوال خلقه **﴿الْبَصِيرُ﴾**: المشاهد والشاهد بما عملوا.

﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (٢١)

﴿أَوْلَمْ﴾: حرف استفهام يفيد الحث والتخويف **﴿يَسِيرُوا﴾**: ألم يدرس هؤلاء الكفار التاريخ **﴿فِي الْأَرْضِ﴾**: تاريخ الأمم والشعوب التي سبقتهم **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب أن **﴿يَنْظُرُوا﴾**: فيدرسوا ويتأملوا **﴿كَيْفَ﴾**: حرف استفهام يفيد التعجب والتهديد **﴿كَانَ﴾**: في الماضي **﴿عَاقِبَةُ﴾**: خاتمة **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿كَانُوا﴾**: في الماضي **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع؛ يفيد هنا بداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهِمْ﴾**: كانت خاتمة ونهاية الأمم التي سبقت، وما حلّ بهذه الأمم المكذبة من العذاب والعقاب **﴿كَانُوا﴾**: في الحياة الدنيا **﴿هُمْ﴾**: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص **﴿أَشَدَّ﴾**: الأكثر شدة **﴿مِنْهُمْ﴾**: حرف تمييز **﴿قُوَّةً﴾**: بطشاً وزيادةً في عدد الرجال، ونوع العتاد **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال؛ أيضاً كانوا أكثر **﴿أَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾**: لم تنفعهم قوتهم وعظم أجيادهم، كانت لهم مزارع، وبيوت، ومعالم كثير **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب والتتابع السريع **﴿أَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾**: أصابهم بشدة **﴿ب﴾**: حرف باء السببية **﴿ذُنُوبِهِمْ﴾**: الآثام، بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام؛ عاقبهم الله ﷻ على ذنوبهم؛ لمخالفتهم رسله **﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿كَانَ لَهُمْ﴾**: تحديداً **﴿مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾**: لم يجدوا من يدفع عنهم عذاب الله ﷻ، ولم يقيم أحدٌ بأس الله ﷻ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٢)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارةً للبعيد، العذاب وما حدث ﴿بِ﴾: باء السبب ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك
﴿كَانَتْ﴾: في حياتهم الدنيا ﴿تَأْتِيهِمْ﴾: يُبعث فيهم ﴿رُسُلُهُمْ بِ﴾: باء الاستعانة ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾:
تحمل الدلائل الواضحة، والبراهين القاطعة، على صدق رسالتهم، وحقيقة الله ﷻ ﴿فَكَفَرُوا﴾:
أخفوا هذه الآيات، وجحدوا وأنكروا ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: ذهب بهم، دمرهم بسبب موقفهم من الرسل
الذين جاؤوا بالأدلة القاطعة على صدق دعواهم ﴿إِنَّهُ﴾: بعل تأكيد ﴿قَوِيٌّ﴾: قوته عظيمة
﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: وبطشه شديد أليم لمن كفر به وعصاه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٣)

جاء في الآية السابقة عذاب الأمم السابقة؛ التي كذبت رسلها؛ فضرب الله ﷻ هنا واحدةً منها
﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق ووقع في الماضي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعثنا بصيغة الجمع؛ للتخيم ﴿مُوسَىٰ بِ﴾:
حرف باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: براهين وحقائق الرسالات العظيمة الدالة على حقيقة ما أرسلوا به
﴿و﴾: أيضًا ﴿سُلْطَانٍ﴾: بالبرهان والعمل الصادق، والحجة البالغة ﴿مُبِينٍ﴾: ظاهر وواضح؛
مثل عصا موسى ﷺ، والآيات الأخرى.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٢٤)

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: هو ملك القبط في مصر ﴿و﴾: أيضًا أرسلناه إلى ﴿هَامَانَ﴾: وكان وزير
فرعون ﴿وَقَارُونَ﴾: الذي كان أغنى الناس في زمانه، مالا وتجارة؛ خصَّ الله ﷻ الثلاثة فرعون
وهامان وقارون بالذكر السيئ لأنهم محاور العمل ضد دعوة موسى ﷻ، وقيادات العدا
المكذبين بدعوته ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿قَالُوا سَاحِرٌ﴾: يُبهر أجهزة الإحساس عند الناس
بسحره ﴿كَذَّابٌ﴾: افتروا على موسى ﷻ الكذب، وقالوا ساحر، وكذاب.
التكليف: حدّدت الآية الكريمة مراكز القوة في أيِّ حكمٍ ونظامٍ؛ رأس النظام، ورأس الحكومة،
ورأس المال.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٢٥)

﴿فَلَمَّا﴾: في تتابعٍ وسببٍ ﴿جَاءَهُمُ﴾: موسى ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْحَقِّ مِنْ﴾:
حرف جرٍ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية المكانية ﴿عِنْدِنَا﴾: البراهين الخارقات للعادة،
الدالة على صدق النبوة، وقوة الله ﷻ لم يكتفوا بمعارضتها وإنكارها بل ﴿قَالُوا﴾: قرروا ﴿اقْتُلُوا﴾:
أنهوا حياة ﴿أَبْنَاءَ﴾: ذراري، أبناء وبنات ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا مَعَهُ﴾:
قتلوا الرسل، وقتلوا المؤمنين، وقتلوا أولادهم، وهم مصدر القوة المضادة ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾:

أبقوا نساءهم أحياء؛ لإذلال المؤمنين، وليردعوا من يفكر بالإيمان وليستعبدوهن ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَيْدٌ﴾: تآمرٌ وخيانةٌ وتدبير أهل الكفر إلّا في ذهابٍ وهلاك ﴿الْكَافِرِينَ﴾: الذين ينكرون الحق ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء بالتأكيد ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: فالضلال هو لكيد الكافرين. جاء اللفظ القرآني "الضلال" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى الخسارة كما في قوله ﷺ ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس- ٢٤] كانت خطئهم تقليل عدد بني إسرائيل من الذكور، وإهانتهم وإذلالهم. التكليف: كان قرارُ فرعون قتل موسى ﷺ، مرتين؛ الأولى وهو طفلٌ عندما خاف أن يذهب موسى بملكه، والثانية عندما جاءهم موسى ﷺ، نبياً بالبينات، وسيبقى منهج القتل سارياً في حياة كلِّ فرعون في كلِّ بلدٍ يحكمها كافرٌ؛ تحكّم في الحكم، والجيش، والمال.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٢٦)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي﴾: اتركوني، علمًا أن أحدًا منهم لا يمنعه، جاء اللفظ القرآني "ذروني" على وجهين، هنا بمعنى الذي لا يخاف منعه، الذي يطلب ويُستجاب طلبه، لم يطلب فرعون إذنًا، وإنما بيّن لأعوانه نيته أن ﴿أَقْتُلْ مُوسَى﴾: لأنّه يُشكّل خطرًا على ملكه، ومصالحه الشخصية ﴿وَلْيَدْعُ﴾: يطلب موسى ويستعين ويستغيث ﴿رَبَّهُ﴾: لا أبالي بربّه، وهذا قمة الغباء، وأسوأ تقدير، من حاكمٍ دخل معركةً خاسرةً ﴿إِنِّي﴾: فرعون بالتأكيد ﴿أَخَافُ﴾: لا أريد ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُبَدِّلُ﴾: يُغيّر ﴿دِينَكُمْ﴾: وهذه حُجج كلِّ الكافرين في كلِّ زمان، الخوف على المعتقد المنحرف من الكفر والإلحاد، وأسماء جديدة كالوطنية، والعلمانية، والشيعوية البديل عن الدين، والديمقراطية التي تقر فيها الأغلبية على حساب كلِّ دينٍ وعقيدةٍ ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التقسيم والتسوية، بمعنى يكون بديلاً ﴿أَنْ﴾: يتحقق ﴿يُظْهِرُ﴾: يُعلي شأن، ويرفع منزلة الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: منهج ﴿الْفَسَادَ﴾: وهذا اتهام قائمٌ ومستمرٌ لكلِّ برامج الإصلاح، وكأنّه خائف على مصالح الشعب.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما قال فرعون ﴿قَالَ مُوسَى﴾: في مواجهة هذا المجرم ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿عُدْتُ﴾: إنني ألتجئ وأستعين ﴿بِ﴾: بآء الصلة ﴿رَبِّي﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّدُ فهو مالكُ أمري كلّهُ ﴿و﴾: أيضًا هو تعالى ﴿رَبِّكُمْ﴾: هنا أدخل موسى فرعون وقومه في عباد الله ﷻ: أحتمي به، وأطلب العون منه، وليس من غيره،

وهو رَبِّي، ورب كل شيء، كان لا بد أن يُعلن موسى ﷺ، هذا صراحةً: إئتني استجرت بربي ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية المكانية، وتمييز النوع ﴿كُلٌّ﴾: تفيد العموم ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾: متعالٍ عن اتباع الحق وأيضًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُ﴾: أي يكفر ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿يَوْمِ الْحِسَابِ﴾: إنه لا يُصدّق بيوم القيامة، والعقاب الربّاني. التّكليف: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُرُورِهِمْ^(١).

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿قَالَ رَجُلٌ﴾: كان قبطيًّا ﴿مُؤْمِنٌ مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾: قال السدي: كان ابن عم فرعون؛ ﴿يَكْتُمُ﴾: يمنع بالقوة ﴿إِيمَانَهُ﴾: ولولا ذلك لقتله فرعون، وقال ابن عباس: هو الذي قال لموسى ﷺ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴿أ﴾: حرف استفسارٍ بغرض الإنكار والتوبيخ والتقريع ﴿تَقْتُلُونَ﴾: تقصدون قتل وتتهون حياة ﴿رَجُلًا﴾: وهو موسى ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَقُولَ رَبِّي﴾: مالك أمري هو ﴿اللَّهُ﴾: وقيل هو مؤمن آل فرعون وقال ابن أبي حاتم عن عمرو بن العاص: قيلت في عقبة بن أبي معيط، عندما أمسك بنشاب رسول الله ﷺ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الرُّبَيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنَقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [عافر-٢٨]^(٢)، ﴿وَقَدْ﴾: حدث وتحقق في الماضي ﴿جَاءَكُمْ بِ﴾: حرف باء التعددية ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: الأدلّة الصادقة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: هنا نسب الرب إليهم استدراجًا لهم حتى يعترفوا به؛ كيف تقتلونه وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاء به ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَكُ﴾: إذا ثبت أنه كان ﴿كَاذِبًا فَ﴾: حرف سبب ﴿عَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: سيحاسبه الله ﷻ على كذبه ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَكُ﴾: يكون ﴿صَادِقًا﴾: كانت دعوته حق ﴿يُصِيبْكُمْ﴾: ينالكم ﴿بَعْضُ﴾: جزء من ﴿الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾: وهو العذاب في الدنيا وجهنم في الآخرة ﴿إِنَّ﴾: حرف

(١) سنن أبي داود ٨٩/٢ (١٥٣٧)، قال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح البخاري ١٠/٥ (٣٦٧٨).

تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَهْدِي﴾**: لا يجعل قوله سديداً، ولا منهجه قويمًا **﴿مَنْ﴾**: الذي هو من جنس العاقل **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا من هو **﴿مُسْرِفٌ﴾**: المبالغ، المتجاوز للحدود المسموحة **﴿كَذَّابٌ﴾**: الذي يفترى عليه وعلى الله ﷻ ورسوله، وهو الذي لا يقول الصدق.

التكليف: ما أجمل أعمال العقل للوصول إلى الإيمان الراسخ، وكم هي عظيمة الحالة عندما تتجلى فصاحة مؤمنٍ من آل فرعون وهي ثمرة الوضوح في الرؤية وكم لها من تأثيرٍ في النفوس. لقد قيّض الله ﷻ لموسى ﷺ، رجلاً من القوم المعادين للدعوة؛ لينفذ أمته، ويحمي دعوته، كالذي قال إنّ الملائمة يؤتمرون بك ليقتلوك، والذي قال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ودعاهم إلى المناظرة العامة؛ لينتصر لموسى ﷻ.

﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٢٩)

وردًا على كذب فرعون قيّض الله ﷻ رجلاً صالحاً ينصح قومه قال **﴿يَا﴾**: حرف نداءٍ للبعيد والقريب **﴿قَوْمِ﴾**: جماعة من أصلٍ واحدٍ وأصحابٍ مذهبٍ واحدٍ، هم قوم فرعون **﴿لَكُمْ﴾**: تملكون **﴿الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾**: أنكم في هذا الزمن حُكَّامٌ وأصحابُ جاهٍ **﴿ظَاهِرِينَ﴾**: وأصحاب علوٍ، وغلبةٍ، وظهورٍ **﴿فِي الْأَرْضِ﴾**: عليكم مراعاة الله ﷻ بشكره وتصديق رسوله **﴿فَمَنْ﴾**: حرف استفهام استثنائي أفاد هنا النفي، لا أحد **﴿يَنْصُرُنَا﴾**: جمع نفسه معهم لأنه كان يتظاهر بأنه منهم، وأن الذي ينصحهم به هو مشركٌ لهم فيه، وأنه حريصٌ على دفع الشر عنهم **﴿مَنْ﴾**: حرف جرٍ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية **﴿بَأْسِ﴾**: قوة، وبطش وغضب **﴿اللَّهُ﴾**: ﷻ، احذروا نقمة الله إن عصيانه **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط إذا **﴿جَاءَنَا﴾**: إذا حلت بنا، حيث لا يغني الجنود **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا﴾**: حرف نفي **﴿أُرِيكُمْ﴾**: أقول وأعرض عليكم **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿مَا﴾**: الذي **﴿أَرَى﴾**: لا أقول لكم إلا ما أراه لنفسى، قال وهو كاذب؛ فقد كان يعلم صدق موسى ﷻ، وصدق الرجل المؤمن، هنا خان الحاكم رعيته؛ فأوردهم الهلاك **﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿أَهْدِيكُمْ﴾**: أدلكم وأرشدكم **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿سَبِيلِ﴾**: منهج وطريق **﴿الرَّشَادِ﴾**: ومن كذب فرعون قوله إني أرشدكم للحق، والصدق، ومما قاله كان قتل موسى ﷻ، وقد شهد الله ﷻ بكذبه فقد جاء: **﴿وَمَا أَمُرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾** [هود-٩٧].

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ (٣٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿قَالَ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المذكر ﴿أَمَّنْ يَا قَوْمِ﴾: مؤمن آل فرعون
﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَخَافُ﴾: أحرص ﴿عَلَيْكُمْ﴾: أخاف أن يُصيبكم ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾:
عذابُ الأمم السابقة المكذِّبين برسُلِ الله ﷺ من قبلكم.

﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (٣١)
﴿مِثْلَ دَابِّ﴾: كعادة ﴿قَوْمِ﴾: أهل وجماعة ﴿نُوحٍ﴾: من كفر من قوم نوح؛ فأغرقهم الله جميعاً
﴿و﴾: أيضًا حال قوم ﴿عَادٍ وَثَمُودَ﴾: هم قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع
﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِمْ﴾: يشمل هؤلاء كُفَّار
العرب، ومن بعدهم من كُفَّار كلِّ زمانٍ؛ حتى زماننا هذا وما بعده ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿اللَّهُ
يُرِيدُ﴾: يرغب ولا يعتمد ﴿ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾: تخصيصاً الذين أهلكهم الله ﷻ بذنوبهم، وتكذيبهم،
عدلاً وليس ظلماً.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (٣٢)
﴿وَيَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿قَوْمِ إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَخَافُ﴾: أخشى، وأشفق ﴿عَلَيْكُمْ﴾:
من عذاب ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾: يوم القيامة.

﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٣)
﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ﴾: هو يوم القيامة، والله أعلم، يوم تحاولون الهرب ﴿مَا﴾: الذي ليس
﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز للنوع هنا المقصود الغاية الكلية ﴿اللَّهُ مِنْ﴾:
حرفٌ جرٌّ لبيان وتمييز النوع يفيد بداية الغاية ﴿عَاصِمٍ﴾: مُدافعٍ عنكم؛ يمنع عذابكم ﴿و﴾:
عطفًا على ما سبق ﴿مَنْ﴾: والذي من البشر ﴿يُضْلِلِ اللَّهُ﴾: من كتب الله ﷻ عليه التيه
والضلال ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد الخبر ليس ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز
للنوع ﴿هَادٍ﴾: لا أحد غير الله ﷻ يهديه إلى الصواب؛ فينجو في الدنيا من الهزيمة وينجو في
الآخرة من النار.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ
يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (٣٤)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿جَاءَكُمْ﴾: بعثنا لكم ﴿يُوسُفُ مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ لبيان وتمييز
النوع يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلَ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: والحديث لا يزال إلى أهل مصر، وكان يوسف
ﷺ، عزيز مصر ﴿فَمَا﴾: حرفٌ يفيد خبرًا ﴿زِلْتُمْ﴾: لا تزالون، باقون ﴿فِي شَكٍّ مِمَّا﴾: من
الذي ﴿جَاءَكُمْ بِهِ﴾: ما أطاعوه، إلا لأنه وزير، وحاكم، وموزع الطعام، ولم يؤمنوا برسالته

﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هَلْكَ﴾: مات يوسف عليه السلام ﴿قُلْتُمْ لَنْ﴾: تُنفون أن ﴿يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾: أغلقتم باب النبوة من بعده ﴿كَذَلِكَ﴾: أيضًا مثل ضلالكم عن الحق ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا الفرد الذي هو ﴿مُسْرِفٌ﴾: متجاوزٌ لحدود الله ﷻ؛ المبالغُ في أفعاله وأقواله ﴿مُرْتَابٌ﴾: الذي في قلبه شكٌ حول الله ﷻ، والرسل، والجنّة، والنار.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥)

تأتي الآية توضح صنفًا آخر من الخاسرين، هم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يُجَادِلُونَ﴾: يُخاصمون، ويدفعون الحق بالباطل، ويستخدمون حُججًا بغير دليلٍ ﴿فِي آيَاتِ﴾: البراهين الصادقة ﴿اللَّهِ﴾: ليشككوا في آيات الله ﷻ؛ ليبطلوها ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿غَيْرِ﴾: حرف نفي ﴿سُلْطَانٍ﴾: ليس لديهم حُجَّةٌ، أو برهانٌ، أو دليلٌ، ولا علمٌ ﴿أَتَاهُمْ﴾: جاءهم ﴿كَبْرٌ﴾: زاد وتضخم ﴿مَقْتًا﴾: جدالهم وخصامهم ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان ومكان ﴿اللَّهِ﴾: يبغضهم الله ﷻ أشد البغض ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ويبغضهم المؤمنون أيضًا ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ضلالهم عن الحق وأيضًا ﴿يَطْبَعُ﴾: يختم فلا يتغير ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ﴾: تعيد الجميع ﴿قَلْبِ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد جميع قلوب ﴿مُتَكَبِّرِ﴾: يطبع على قلبه؛ فلا يعرف الحق من الباطل، فلا يُنكرُ منكرًا، ولا يعرف معروفًا، هذا بسبب تكبرهم، واستعلائهم عن اتباع الحق، وهذه صفات كلِّ ﴿جَبَّارٍ﴾: قاسٍ، ظالمٍ، معتدٍ، قال قتادة: هذه آية الجبارة التي تقضحهم.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦)

بعد توضيح صفات المُتَجَبِّرِينَ؛ جاء ذكر فرعون كنموذجٍ ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: حاكمُ مصر في زمن موسى عليه السلام ﴿يَا﴾: حرف نداء هنا للقريب ﴿هَامَانُ﴾: طلب فرعون من وزيره هامان ﴿ابْنَ﴾: شيد ﴿لِي﴾: تخصيصًا وتمليكيًا ﴿صَرِّحًا﴾: طلب أن يبني له قصرًا عاليًا شاهقًا، من الطين المحروق، الطوب الأحمر ﴿لَعَلِّي﴾: تُفيدُ هنا التوقع والرجاء لأتُها جاءت من عند البشر ﴿أَبْلُغُ﴾: حتى أصل وأعرف ﴿الْأَسْبَابَ﴾: طرق السماوات التي تُوصِلُ إلى الأبواب، جاء اللفظ القرآني "أسباب" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى أبواب السماء، كما جاء في قوله ﷻ ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص-١٠]

وفي قوله ﷺ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر- ٣٦، ٣٧]؛ وفي قوله ﷺ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة- ١٦٦].

﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (٣٧)

﴿أَسْبَابٍ﴾: قال سعيد بن جبیر: أبواب ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد السبب ﴿أَطَّلِعَ﴾: أشاهدُ وأرى وأعرف ﴿إِلَى إِلَهِ﴾: معبود ﴿مُوسَى﴾: أراد فرعون ادعاء محاولة أن يرى الله ﷻ، ويكذبُ بذلك، موسى ﷺ ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال ﴿إِنِّي﴾: أنا فرعون بالتأكيد ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٌ وسببٌ ﴿أَظُنُّهُ﴾: متيقن ﴿كَاذِبًا﴾: أنا متأكدٌ أن موسى كاذب ﴿وَكَذَلِكَ﴾: أيضًا ﴿زَيْنٌ﴾: جُمَلٌ وحُسْنٌ ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٌ ﴿فِرْعَوْنَ سُوءَ﴾: ما يجلبُ الشرَّ والضررَ من ﴿عَمَلِهِ﴾: الشرك والتكذيب فتماذى واستمر على منهج الطغيان؛ كان سوءُ خُلقه وطباعه الكافرة قد زينَ له أن يؤهم الناس أنه يريد أن يعرف إله موسى؛ ليقول إن موسى كاذب ﴿وَصُدَّ﴾: مُنِعَ ﴿عَنِ﴾: حرفٌ يفيد المجاوزة ﴿السَّبِيلِ﴾: الطريق المستقيم، وكما كفر فرعون يريد من الناس أن تكفر، وتتنكب الطريق السليم ﴿وَمَا﴾: حرفٌ نفي ﴿كَيْدُ﴾: مكرٌ وتأمُرُ ﴿فِرْعَوْنَ﴾: إن حيل، ووسائل فرعون ما هي ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء ﴿فِي تَبَابٍ﴾: هي التبا والتباب بمعنى الاستمرار في الخسران قال ابن عباس، ومجاهد: في خسارة.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المذكر ﴿آمَنَ﴾: مؤمن آل فرعون ﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿قَوْمِ﴾: نداء: يا من كفرتم واستكبرتم ﴿اتَّبِعُونِ﴾: أطيعوا ونفذوا ما أقوله لكم ﴿أَهْدِكُمْ﴾: أدلكم بحقٍ على ﴿سَبِيلِ﴾: طريق ﴿الرَّشَادِ﴾: الهداية إلى الحق والصواب.

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٣٩)

﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ ﴿قَوْمِ إِنَّمَا﴾: قال يا قوم لاستمالة قلوبهم إلى دعوته فهو منهم، فاستخدم أداة حصرٍ تُفيد التحديد والتخصيص ﴿هَذِهِ﴾: حرفٌ تنبيه وإشارة ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: يذكرُ هنا الدنيا؛ ليؤكد وجود الآخرة، وهذا منهجٌ تربويٌّ ناجحٌ ﴿مَتَاعٌ﴾: اختار الداعية لفظ متاع لأن

التمتع أمرٌ عرضيٌّ زائدٌ وزائلٌ، والعرض لا يبقى زمنين، ولأن التمتع مانعٌ من الزهد في الدنيا والتقشف، ولأن الآخرة دار المستقر وهذا يقتضي وجود الحرص على الأسباب التي توصل إليها، ومنها مُتَع النساء، والمال، والجاه؛ وهي وغيرها قليلةٌ، زائلةٌ، فانيةٌ، وقريبة **﴿وَأَنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿الْآخِرَةَ﴾**: يوم القيامة **﴿هِيَ﴾**: تحديدًا **﴿دَارٌ﴾**: بيت ومقام **﴿الْفَرَارِ﴾**: المستقر الدائم، إمّا في الجنة أو في النار، إنّها حياةٌ بلا زوال.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤٠)

﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل **﴿عَمِلَ سَيِّئَةً﴾**: ذنبًا، أو معصية، أو جريمة يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس **﴿فَلَا﴾**: حرفٌ تخصيصٍ ونهْيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هنا **﴿يُجْزَى﴾**: يُعاقب **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿مِثْلَهَا﴾**: بما يستحق عمّا عمل **﴿وَمَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾**: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، وهذا صنفُ المؤمنين **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ لبيان وتمييزٍ للنوع **﴿ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ﴾**: لا تمييز بين الجنسين **﴿وَ﴾**: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال **﴿هُوَ﴾**: يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر يعني هنا **﴿مُؤْمِنٌ﴾**: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر **﴿ف﴾**: حرف سبب **﴿أُولَٰئِكَ﴾**: إشارةٌ للقريب والبعيد جمعوا بين العمل الصالح والإيمان **﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾**: فمصيرهم دخول الجنة **﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا﴾**: ينالون من نعيمها رزقًا مباركًا من الله **﴿بِغَيْرِ﴾**: حرف استثناء، دون **﴿حِسَابٍ﴾**: محاسبة من الله **﴿ف﴾**، ويُرزقون الخير الذي لا يُقَدَّر، ولا ينقضي.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (٤١)

﴿وَيَا﴾: نداءٌ للقريب والبعيد **﴿قَوْمِ﴾**: جاء تكرر النداء لزيادة التنبيه لهم، وإيقاظهم من غفلتهم، وقوله جماعتي تعني أنّه وهم من أصلٍ واحدٍ **﴿مَا لِي﴾**: هنا استفهامٌ يفيد التعجب من حالهم فهو يدعوهم إلى النجاة والفوز بالجنة في الوقت الذي يدعونه فيه إلى النار؛ ما بالكم معي **﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾**: من النار وعذابها في الآخرة، وأدعوكم إلى الجنة ونعيمها المقيم، وذلك بعبادة الله وحده، وتصديق موسى **﴿وَتَدْعُونَنِي﴾**: أيضًا تريدون أن تأخذوني **﴿إِلَى النَّارِ﴾**: أن أخسر الدنيا؛ وأكون من أهل النار في الآخرة.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (٤٢)

نلاحظ هنا أنّ الداعية القبطي الذي آمن يُفعل دعوته سنّداً لدعوة موسى ﷺ، فهو منهم، وكانوا يصدّقونه؛ لأنّهم يعرفونه ﴿تَدْعُونِي﴾: تطلبون مني ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿أَكْفُر﴾: أجعل له شريكاً في العبادة، وأنّ أخفي حقيقة وجود اعتقادي الصحيح ﴿ب﴾: باء الصلّة ﴿اللّه﴾: حقيقة الله ﷻ الخالق الرازق ﴿وَأَشْرِكْ بِهِ﴾: أعبد معه شريكاً ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ يفيد النفي ﴿إِلي﴾: تخصيصاً ﴿بِهِ عِلْمٌ﴾: أنّ أجعل معه شركاء أعبدهم، وأنتم وأنا على جهلٍ بهم، وليس عندكم دليل على صدقهم ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ﴾: أطلب منكم ﴿إِلي العزير﴾: في ذاته وعظمته وكبريائه ﴿الغفار﴾: كثير المغفرة، واسع العفو، لمن أذنب، وتاب، وأتاب.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٤٣)

﴿لَا جَرَمَ﴾: قال ابن جرير: حقاً، وقال الضحاك: لا كذب ﴿أَنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيد التوكيد ﴿تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾: هم الأصنام والأنداد ﴿لَيْسَ﴾: فعلٌ ماضٍ يفيد النفي ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا﴾: ليس له قيمةٌ أو استجابةٌ حقيقيةٌ ﴿وَلَا﴾: أيضاً أنفي ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: قال مجاهد: ليس له شيء، وقال قتادة: لا ينفَع ولا يضرُّ، وقال السدي: لا يُجيب داعية لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿مَرَدَّنَا﴾: مرجعنا في الآخرة ﴿إِلي اللّه﴾: فيجازي الله ﷻ كلّاً بعمله ﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: والمسرف هو المُبَدِّر؛ هنا بمعنى الذين بالغوا بكفرهم وظلمهم ﴿هُم﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص ﴿أَصْحَابُ﴾: المصاحبون الذين لا يفارقون ﴿النَّارِ﴾: فلا خروج لهم من النَّار.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل والقول ﴿تَذْكُرُونَ﴾: سوف تعلمون علم اليقين ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَقُولَ لَكُمْ﴾: تخصيصاً، صدق ما دعوتكم إليه، وما نهيتكم عنه، ونصحت لكم، فعندها منكم من يشكر، ومنكم من لا ينفعه الندم ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَفَوضُ أَمْرِي﴾: أتوكل وأستعين ﴿إِلي اللّه﴾: بالله ﷻ وأفارقكم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللّه﴾: بالتأكيد ﴿بَصِيرٌ﴾: يرى فيعلم كل شيء ﴿بِالْعِبَادِ﴾: لا يخفي عليه شيء من عبادته، عليم بخلقه.

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (٤٥)

﴿ف﴾: يفيدُ السبب ﴿وَقَاهُ﴾: منعه وحفظه ﴿اللّه﴾: من ﴿سَيِّئَاتٍ﴾: شرٍّ وضررٍ ﴿مَا﴾: الذي ﴿مَكَرُوا﴾: من مكر الكفار السيئ؛ كما نجّ موسى ﷻ ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد الحال

﴿حَاقٌ﴾: أحاط ﴿بِآلٍ﴾: أصحابُ وأعاونُ وأقاربُ ﴿فِرْعَوْنَ سُوءٍ﴾: الضرُّ والشرُّ ﴿الْعَذَابِ﴾: جاء اللفظ القرآني "السوء" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى الشر أصابهم الغرق في الدنيا، ومأواهم النار، وبئس المصير.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦) ﴿النَّارُ﴾: جهنم ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: هنا تشبيهه حال أهل النار بحال متاعٍ؛ يتعرض للبيع، وجعل النار كالذي يطلب والراغب في الكفار؛ تُعرض أرواحهم على النار ﴿غُدُوًّا﴾: صباحًا ﴿وَعَشِيًّا﴾: أيضًا يعرضون على النار ﴿عَشِيًّا﴾: في المساء، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا﴾: اجمعوا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾: تُجمع أجسادهم، وأرواحهم في النار لتذوق ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾: الأشد ألمًا، والأعظم نكالًا، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّدَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»^(١).

التكليف: استدلل أهل السنة بهذه الآية على عذاب القبر، البرزخ، إذ يعني قوله ﷺ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ في القبر، قال ﷺ: وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ^(٢).

﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ (٤٧)

﴿وَإِذْ﴾: تحقق في الماضي ﴿يَتَحَاوُونَ﴾: تقع المخاصمة والعداوة المحاجة من الجانبين الذين اتبعوا والذين اتبعوا لكثرتها هنا تأتي من الطرف الضعيف فقط؛ يعرضُ حُجَّتَهُ ﴿فِي النَّارِ﴾: هذا حالُ تخاصم أهل النار، ومعهم فرعون ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿يَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾: الأتباع ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: الذين نشدوا ورجبوا من القادة، والسادة، والزعماء، وأصحاب الفكر الكافر ﴿إِنَّا﴾: هي ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر ﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿تَبَعًا﴾: اتبعناكم وأطعناكم في لهو الدنيا والضلال ﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهام هنا بغرض الطلب ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديداً ﴿مُغْنُونَ﴾: هل تحملون ﴿عَنَّا﴾:

(١) صحيح البخاري ٩٨/٢ (١٣٧٢).

(٢) صحيح البخاري ٩٤/٩ (٧٢٨٧).

حرف يفيد البدل **﴿نَصِيْبًا﴾**: جزءًا **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد هنا بداية الغاية المكانية **﴿النَّارِ﴾**: تأخذون قسطًا من عذابنا؟

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (٤٨)

﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿اسْتَكْبَرُوا﴾**: ردًا على طلب الأتباع **﴿إِنَّا﴾**: نحن، هي هنا في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الكافر المستكبر **﴿كُلٌّ﴾**: جميعنا **﴿فِيهَا﴾**: في النار، نحن لا نحمل عنكم من خطاياكم شيئًا، يكفيننا من العذاب والنكال الذي نحن فيه **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿اللَّهُ قَدْ﴾**: تحقق في الماضي وانتهى ولا راد لحكمه **﴿حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾**: حُجَّتْهم أن الله ﷻ قد قَسَمَ بيننا العذاب، بقدر ما نستحق، هنا رضوا بحكم الله؛ لأنّه في صالحهم، هم لا يريدون مزيدًا من العذاب، وهذا حالهم في الدنيا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٤٩)

﴿و﴾: أيضًا **﴿قَالَ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿فِي النَّارِ﴾**: المستكبرين والضعفاء الذين يبحثون عن تخفيف العذاب من التابعين والمتبوعين **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿خَزَنَةِ﴾**: حراس، عاملين في **﴿جَهَنَّمَ﴾**: بعد أن ينسوا من استجابة الله ﷻ لهم **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾**: وهذا من سوء الأدب؛ قالوا ربكم، ولم يقولوا ربنا. وتعني كلمة الرّب: المعبود، والمُرَبّي، وهو المنشئُ للشيء من طورٍ إلى طورٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، ومالك الأمر كلّهُ **﴿يُخَفِّفْ عَنَّا﴾**: حرفٌ يفيد البعد **﴿يَوْمًا﴾**: راحةٌ ولو ليومٍ واحدٍ **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع **﴿الْعَذَابِ﴾** جهنّم وبئس المصير.

﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٥٠)

﴿قَالُوا﴾: هم خزنة جهنّم للكافرين **﴿أَوْلَمْ﴾**: حرف استفهام تفريري يفيد التبكيت واللوم بغرض الاستتكار **﴿تَكُنْ﴾**: تكن **﴿تَأْتِيكُمْ﴾**: ألم يبعث الله ﷻ فيكم **﴿رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾**: ألم يُبلِّغكم رُسُلُ الله ﷻ والدعاة بالبراهين، والأدلة، وحدّروكم من النار **﴿قَالُوا بَلَى﴾**: نعم أقرّوا **﴿قَالُوا﴾**: هم خزنة جهنّم **﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿ادْعُوا﴾**: أنتم لأنفسكم؛ فنحن لا ندعو لكم، ولا نسمع منكم واعلموا **﴿وما﴾**: حرف نفي **﴿دُعَاءِ﴾**: طلب وتوسل **﴿الْكَافِرِينَ إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿فِي ضَلَالٍ﴾**: بطلان، وضياح، إنّ دعاءكم لا يُستجاب له.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١)

﴿إِنَّا﴾: القائل هو الله ﷻ ﴿لَن﴾: حرف علة وسبب للتأكيد أيضًا ﴿نُنْصِرُ﴾: بصيغة الجمع لعظم النصره ﴿رُسُلَنَا وَ﴾: أيضًا ننصر ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿آمَنُوا﴾: يؤكد ﷻ نصرته لرسله والذين آمنوا معهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: كان مصير الأنبياء مختلفًا في الحياة الدنيا؛ فمنهم من قتلهم الكفار مثل يحيى، وزكريا، وشعيبًا، عليهم السلام، ومنهم من خرج مُهاجرًا إلى الله ﷻ كإبراهيم، ومنهم من رُفِعَ إلى السماء مثل عيسى ﷺ، فأين نصره الدنيا؟ أجاب ابن جرير جوابين: خروج الخبر عامًا، والمقصود به بعضًا، وهذا معروف في اللغة، وقال الانتصار للرسول ممن آذاهم: فالذين قتلوا يحيى ﷺ؛ سلط الله عليهم من أعدائهم من آهانهم، وسفك دماءهم؛ فقد أخذ الله النمرود أخذًا عزيزٍ مقتدرٍ، أما اليهود الذين أرادوا صلب المسيح؛ فقد سلط الله ﷻ عليهم الروم؛ فأهانوهم وآذوهم؛ حتى ما قبل مائة عام؛ أي في القرن التاسع عشر الميلادي، وأهلك الله ﷻ قوم نوح، وعادًا، وشمود، وأصحاب الرّس، وقوم لوط، وأهل مدين، وأشباهم؛ بمرض الإيدز، قال السدي: لم يبعث الله عزّ وجلّ رسولًا قط إلى قومٍ فيقتلونه، أو قوم من المؤمنين يدعونه إلى الحق فيقتلون، فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله ﷻ من ينصرهم؛ فيطلب بدمائهم من فعل ذلك بهم في الدنيا، فكان الأنبياء والمؤمنون يُقتلون في الدنيا، وهم ينتصرون فيها، ولقد نصرَ الله ﷻ سيدنا محمدًا ﷺ بعد هجرته؛ فكانت موقعة بدر، وبعده فُتحت مشارق الأرض ومغاربها ﴿وَ﴾: أيضًا ينصرهم ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾: النَّاسُ من قبورهم ليوم الحساب ﴿الْأَشْهَادُ﴾: وهذه لا يدانيها نصرٌ في الدنيا، النعيم المقيم في الآخرة.

التكليف: هذه الآية لتسليية الرسول وبشرى له ولأتباعه في كلِّ زمانٍ مكانٍ.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٥٢)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾: لا تنفع المشركين ﴿مَعذِرَتُهُمْ﴾: لا قبول لعذر، ولا فدية، ولا أسف ﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿اللَّعْنَةُ﴾: الطرد من رحمة الله ﷻ ﴿وَلَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿سُوءُ﴾: الدار السيئة في الآخرة، فيه كلُّ شرٍّ وضررٍ ﴿الدَّارِ﴾: النَّار، المقام الدائم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ (٥٣)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿آتَيْنَا﴾: وهبنا ﴿مُوسَى﴾: ﷺ ﴿الْهُدَى﴾: يهدي ويدلُّ على الدين الحق من التوراة والمعجزات ﴿وَ﴾: أيضًا ﴿أَوْرَثْنَا﴾: أعطينا من بعده ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أبناء يعقوب ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾: وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة خلفًا عن سلفٍ؛ وورثوا ملك فرعون.

﴿هُدَى وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٥٤)

﴿هُدَى﴾: منهج حياة وطريق واضحة المعالم إلى سبيل الرشاد ﴿وَذَكَرَى﴾: أيضًا عظة وتذكرة ﴿لِ﴾: تخصيصًا ﴿أُولِي﴾: أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول السليمة.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (٥٥)

﴿فَ﴾: حرف يفيد ربط جواب الشرط ﴿اصْبِرْ﴾: والقائل هو الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: لقد وعدناك أنا سنُعطي لك ذكرك، ومن اتبعك ﴿وَوَعْدًا﴾: عطفًا على ذلك ﴿اسْتَغْفِرْ﴾: اطلب مغفرة الله ﷻ ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿ذَنْبِكَ﴾: ليقنتي بك في ذلك؛ وزيادة طهارة لروحك وتزكية لنفسك؛ هذا حثٌ للأمة على طلب المغفرة من الله ﷻ ﴿وَسَبِّحْ﴾: نزه الله ﷻ عن النواقص ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿حَمْدِ﴾: الشكر والثناء على ﴿رَبِّكَ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُرَبَّى، وهو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابِر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو مالك كلِّ أمرٍ، اذكر فضل الله عليك ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْعَشِيِّ﴾: آخر النهار ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾: أوائل النهار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٥٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يُجَادِلُونَ﴾: الذين يدفعون بالباطل ﴿فِي آيَاتِ﴾: براهين ﴿اللَّهِ﴾: ﷻ ليدحضوا به الحق، ويستخدموا الشبهة الفاسدة ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿غَيْرِ﴾: حرف استثناء ﴿سُلْطَانٍ﴾: دون دليلٍ ربّاني ﴿أَتَاهُمْ﴾: جاءهم ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾: قلوبهم التي هي مركز الوعي والإيمان ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿كِبْرٌ﴾: ما في صدورهم هو غمطُ الحق، واعتماد الباطل ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هُمُ بِ﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿بِالْغِيهِ﴾: لئن يُحققوا أهدافهم ﴿فَ﴾: حرف جواب الشرط بهدف ترتيب الأمر ﴿اسْتَعِذْ﴾: اطلب العون ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿اللَّهِ﴾: التجئ إلى الله ﷻ ليعينك ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾: يسمع ما خَفَت وما علا من الأصوات ﴿الْبَصِيرُ﴾: الذي يرى كلَّ شيء.

﴿لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧)

﴿لِ﴾: حرف اللام هنا يفيد القسم؛ يُقسمُ الله ﷻ أنْ ﴿خَلَقُ﴾: إيجابًا من غير سابق وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿وَوَالْأَرْضِ﴾: أيضًا خلق ﴿الْأَرْضِ﴾: إنَّ خلق

السموات والأرض **﴿أَكْبَرُ﴾**: أعظم **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ لبيان وتمييز للنوع يفيد هنا بداية الغاية المكانية **﴿خَلَقَ النَّاسَ﴾**: جاء اللفظ القرآني "الناس" على تسعة أوجه؛ هنا بمعنى عموم الناس، والكلّ عليه ﷺ يسير؛ إن الله ﷻ سعيّد الخلائق يوم القيامة؛ ذلك سهل يسير، فمن قدر على الخلق الأول؛ قادرٌ على الخلق الآخر **﴿وَلَكِنَّ﴾**: حرف استدراك **﴿أَكْثَرَ﴾**: أغلب **﴿النَّاسِ﴾**: بني آدم **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَعْلَمُونَ﴾**: لأنهم لم يتدبروا هذه الحقيقة، والتدبر وسيلة من وسائل التعلّم؛ لذلك هم جاهلون لا يعلمون.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾
(٥٨)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي **﴿يَسْتَوِي﴾**: لا يتساوى، وهناك فرق بين **﴿الْأَعْمَى﴾**: الذي لا يرى وبين **﴿الْبَصِيرُ﴾**: وبين الذي يرى، هنا استعارة استخدام لفظ الأعمى للدلالة على الكافر، واستعمل لفظ البصير للمؤمن **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿الْمُسِيءُ﴾**: ولا يستوي المؤمن، وصاحب العمل الصالح مع المسيء، من السوء وهو ما يسبب الضرر **﴿قَلِيلًا﴾**: من عيوب أكثر الناس أنهم قليلاً **﴿مَا﴾**: حرف مصدر **﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾**: ما تتعظون.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٩)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿السَّاعَةَ﴾**: يوم القيامة **﴿لَنْ﴾**: حرف تأكيد يعزز ما سبق من تأكيد **﴿آتِيَةٌ﴾**: ستقع حتماً **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿رَيْبٍ﴾**: لا شكّ **﴿فِيهَا﴾**: سوف تأتي؛ لا شكّ في ذلك فاعملوا لها **﴿وَلَكِنَّ﴾**: استدراكاً؛ اعملوا أنّ **﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُونَ﴾**: لا يُصدّقون بها، ويُنكرون حدوثها.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾
(٦٠)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك **﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾**: مالك أمركم كلّهُ، ندب الله ﷻ عباده أن يدعوه من كرمه وفضله **﴿ادْعُونِي﴾**: جاء اللفظ القرآني "الدعاء" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى سلوني؛ أي سؤال في طلب شيء؛ كما في قوله ﷻ **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [البقرة-٢٣] **﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**: تكفل ﷻ بالاستجابة لهم، عن أبي سعيد الخُدري، عن النبي ﷺ: ما من مُسلمٍ يدعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا

بِقَطِيعَةٍ رَجِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالَ: إِذَا نُكِّرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ. (١)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يتعالون ﴿عَنْ﴾: حرفٌ يفيد المجاوزة ﴿عِبَادَتِي﴾: الاستكبار عن عبادة الله ﷻ تعني أنهم لا يدعونني وأنا ربهم والذين لا يتذللون لي؛ والذين يتعالون عن طاعتي، ودعائي، وتوحيدي جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن النعمان بن بشير وصححه أن النبي ﷺ: قال: الدعاء هو العبادة ﴿س﴾: حرفٌ يفيد تأكيد الفعل في المستقبل ﴿يَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صاغرين حقيرين.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١)

يذكر الله ﷻ في هذه الآية واحدةً من النعم الكبرى على الإنسان، وغيره من المخلوقات الحيّة، وهي نعمة النوم ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالواحد، الأحد، الفرد الصمد ﷻ ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿اللَّيْلَ ل﴾: حرف تخصيص ﴿تَسْكُنُوا فِيهِ﴾: جاء اللفظ القرآني "السكن" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى القرار والهدوء حيث يبذل المخلوق الحيّ من جنس الإنسان، والحيوان، جُهدًا يحرق فيه مواد الطاقة، التي ينتج عنها عوادم ضارة بالجسم، إذا تراكمت، وبالنوم تتخلص الأجهزة المختصة منها، ويصحو المخلوق أكثر نشاطًا ﴿و﴾: جعل أيضًا ﴿النَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: هنا مجازٌ عقلي من إسناد الشيء إلى زمانه، بإسناد الإبصار إلى وقته، مُضيئًا للعمل، والسفر، والتحرك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَن﴾: حرف تملك ﴿ذُو﴾: صاحب ﴿فَضْلٍ﴾: كرم وجود ﴿عَلَى النَّاسِ﴾: كان قوله الحق: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل-١٨] ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك ﴿أَكْثَرَ﴾: غالبية ﴿النَّاسِ﴾: غالبية بني آدم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْكُرُونَ﴾: لا يحمدون الله ﷻ على نعمه؛ لأنّ أكثر الناس لا يؤمنون، جاء في المعنى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف-١٠٣].

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُوْفُقُونَ﴾ (٦٢)

﴿ذَلِكُمْ﴾: اسمٌ إشارةٍ ﴿اللَّهُ﴾: هو الذي أنعم عليكم هذه النعم، نعمة الخلق، والرزق، والحفاظ على النفس، والإيمان، والجنّة ﴿رَبُّكُمْ﴾: مالك أمركم كلّهُ ﴿خَالِقُ﴾: مُوجِدُ الوجود وما فيه؛ من

(١) مسند أبي يعلى الموصلي ٢/٢٩٦ (١٠١٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٤٩: رجاله رجال الصحيح. قال حسين أسد: إسناده جيد.

غير سابقة وجود ﴿كَلَّ﴾: تفيد الجميع ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد عموم المخلوقات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: الذي لا إله غيره، ولا رب سواه ﴿فَأَنَّى﴾: حرف استفهام أفاد الاستبعاد بمعنى كيف ولأي سبب ﴿تُؤَفِّكُونَ﴾: فكيف تتصرفون عن توحيد الله ﷻ؛ فكيف تعبدون من دونه أصنامًا، وخلقًا، وأفكارًا؛ لا تخلق شيئًا، ولا ترزق رزقًا.

﴿كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٦٣)

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل و أيضًا ﴿يُؤَفِّكُ﴾: صُرِفَتِ الأُمَمُ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كَانُوا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِ﴾: بأدلة وبراهين دالة على ﴿اللَّهِ﴾: على توحيده في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿يَجْحَدُونَ﴾: الذي عبدوا ما لا يستحق وأنكروا آيات الله ﷻ؛ فكان فضلوا.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤)

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد، وهنا المقصود هو الله الواحد الأحد ﴿جَعَلَ﴾: صيَّرَ وَسَخَّرَ ﴿لَكُمْ﴾: تمليكًا وتخصيصًا أيها الناس ﴿الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مُسْتَقَرًّا لَكُمْ، فيها رزقكم، وإقامتكم، وموتكم، ومنها تُبْعَثُونَ، وهناك رأيٌ آخرُ هو أنَّ الأرض قارة بكم، لا تتحرك بشكلٍ يُفسد ما عليها من إنشاءاتٍ وتعميرٍ ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿السَّمَاءَ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿بِنَاءً﴾: جعلها فوقكم محكمة البناء، سقفاً، مرفوعاً، غير قابلةٍ للسقوط، محفوظاً بقوانينٍ ناظمةٍ، غاية في الإبداع ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾: في أرحام أمهاتكم، جعل هيأتكم، وأشكالكم ﴿ف﴾: بهذا السبب ﴿أَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: لو لاحظ الإنسان أيَّ تغييرٍ ولو بسيطٍ في شكل الإنسان يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: كلُّ ما يستمتع به الجسد، وتقبله النفس من المأكَل، والمشرب، الحلال والزواج، ومياه البحر، والهواء، وبهذا يعيش الإنسان ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة للبعيد ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: مالك أمركم كلُّه؛ هذا من رزق الله لكم، هذا ربكم الذين أنعم عليكم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾: تعالى، وتقديس، وتنزه ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: مالك هذا الملك والملكوت.

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ ﴿الْحَيُّ﴾: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن أولاً وأبداً الذي له الحياة الكاملة التامة الأبدية ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: لا معبود يستحق العبادة إلا هو، ولا نظير، ولا عدل ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿ادْعُوهُ﴾: سلوه؛ اطلبوا منه حاجتكم ﴿مُخْلِصِينَ﴾:

بصدق عبادتكم ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿الَّذِينَ﴾: دينكم بعبادةِ صدقٍ وحقٍ، قاصدين وجهه فقط ﴿الْحَمْدُ﴾: الشكر والثناء ﴿لِلَّهِ رَبِّ﴾: المُعبود، والمُربي ﴿الْعَالَمِينَ﴾: وهذا من أفضل الدعاء .
﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٦)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للمشركين ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿نُهِيتُ﴾: منعتني ربي ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَعْبُدُ﴾: أَنْ أطيع ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصولٌ يفيد جميع من ﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: هم الذين لا يستحقون الطاعة؛ أحجارٌ وأوثانٌ، وأفكارٌ لا تملك لنفسها شيئاً ﴿لَمَّا﴾: ظرفُ زمانٍ يُدلّ على شيءٍ حدث في الماضي ﴿جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾: هو السيد؛ خالق الخلق، صاحب الخلق التي لا يستقيم حالها، ولا تؤدي دورها إلا باتباع تعاليمه ﷺ ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أُمِرْتُ﴾: أمرني الله ﷻ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أُسَلِّمَ﴾: أخضع وأستسلم مُقتنعاً راضياً ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّ﴾: مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: خالق كل شيء، ومالك كل شيء.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد، وهنا المقصود هو الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، ﷻ ﴿خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم من غير سابقٍ وجودٍ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿تُرَابٍ﴾: بعد أن خلق الله ﷻ آدم من تراب. انظر لتفسير قوله ﷻ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون-١٤] ﴿ثُمَّ﴾: اسمٌ يفيد تتابعَ زمنيٍّ غيرٍ سريعٍ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾: هو حيوان منوي من الذكر، وبويضة من الأنثى؛ يلتقيان في أنبوب الأنثى؛ ثم تعلق في جدار الرحم؛ فتكون ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: ثم تكون كقطعة طعام مضغة ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾: من رحم الأم، بعمليةٍ غايةٍ في الإبداع ﴿ثُمَّ﴾: حرف تتابع زمنيٍّ مع التراخي الزمني ﴿لِ﴾: حرف سبب ﴿تَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: وهي مرحلة الصبا والشباب ﴿ثُمَّ﴾: بمرور الأيام والسنين ﴿لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾: يصيبكم الهرم، والشيب، والضعف ﴿وَمِنْكُمْ﴾: بعضكم ﴿مَنْ﴾: الذي ﴿يُتَوَفَّى﴾: يموت ﴿مِنْ﴾: حرف بيانٍ وتمييزٍ للنوع يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلٍ﴾: من قبل أن يكون طفلاً، يسقط من رحم أمه، ومنكم من يموت وهو طفل، أو شاب، أو شيخ ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿لِتَبْلُغُوا أَجْلاً

مُسَمًّى: أجلاً؛ أي عمراً مُحدداً **﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾**: تفيد التوقع والترجي إذا جاءت من المخلوق **﴿تَعْقُلُونَ﴾**: إن التفكير في هذه المراحل؛ يؤدي إلى الاعتقاد السليم، والإيمان بالله ﷻ، ورسوله.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٦٨)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر يعني هنا الله ﷻ **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا الواحد، الأحد، الفرد، الصمد ﷻ **﴿يُحْيِي﴾**: يخلق ويجعل كلَّ شيءٍ حيًّا **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحال **﴿يُمِيتُ﴾**: هنا طباق من يحي ويميت الذي كتب الموت على كلِّ شيءٍ **﴿ف﴾**: حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب والسرعة **﴿إِذَا﴾**: حرف يفيد هنا المفاجأة والأمر، ظرف لما يُستقبل من الزمان، ويفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿قَضَىٰ﴾**: قرَّر **﴿أَمْرًا﴾**: من حياة، أو موت، أو رزقٍ **﴿فَإِنَّمَا﴾**: أداة حصر تُفيد التحديد والتخصيص **﴿يَقُولُ لَهُ﴾**: تخصيصاً **﴿كُنْ ف﴾**: حرفٌ استثناء بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿يَكُونُ﴾**: لا يخالفه أحدٌ، ولا يمنعه أحدٌ، ما شاء كان لا محالة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُضَرَّفُونَ﴾ (٦٩)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾: تفيد دائماً الحزن والوجع، يا محمد ﷺ ومن بعده كلِّ مسلمٍ **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول على سبيل الترجيح بالجماعة الذكور، ويشمل الإناث أيضاً **﴿يُجَادِلُونَ﴾**: يخاصمون، بحيث يخطون الحق بالباطل، بكثرة الكلام، وكثرة الأهواء **﴿فِي آيَاتِ﴾**: في أدلة وحقائق الخلق من **﴿اللَّهِ﴾**: ﷻ مثل الذين قالوا إن الخلق بدأ طفرة، ثم تطورت إلى مخلوقٍ بحريٍّ، ثم برمائيٍّ، ثم حيوان، ثم إنسان، وهي نظرية الشيوعيين، وأمثالهم التي سقطت بمرور الزمن **﴿أَنَّى﴾**: حرفٌ استتكارٍ يُفيد الاستحالة **﴿يُضَرَّفُونَ﴾**: جاء اللفظ القرآني "التصريف" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى التعديل من أجل الانحراف. انظر تفسير قوله ﷻ **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾** [الأعراف- ١٤٦]، أي انظر كيف ذهبت عقولهم، وانصرفت إلى الضلال، وإلى أي شيء بعد البيان يذهبون.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿كَذَّبُوا﴾**: رفضوا التصديق **﴿ب﴾**: حرف باء التعددية **﴿الْكِتَابِ﴾**: بالقرآن الكريم كان هدفهم الجدل، والتكذيب بجنس الكتاب، المُنزل على الأمم السابقة **﴿و﴾**: أيضاً كذبوا **﴿بِمَا﴾**: اسم موصول هنا بمعنى الذي **﴿أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾**: وهي

المُبينات، والهدى، والتعاليم ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿سَوْفَ﴾: تفيد وعدًا بالتنفيس للعليم بذلك ﴿يَعْلَمُونَ﴾: تهديدًا، ووعيدًا شديدًا، من الله ﷻ، بسوء الخاتمة.

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١)

﴿إِذِ﴾: حرفٌ يفيد ما حدث في الماضي، وهي هنا تعني كأنه تحقق ﴿الْأَغْلَالُ﴾: جمع غُلٍ وهي حلقةٌ من حديدٍ أو من جلد تحيط بالعنق، إنَّ هذا إذلالٌ لهذا المستكبر والمفسد في الدنيا؛ ستكون القيود، يسرد هنا القرآن أهوال يوم القيامة كأنها حدثت، ستكون القيود ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ﴾: أيضًا تطوَّق السلاسل الأعناق ومن ﴿السَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾: يجزّون ويُسحلون بما هو حول أعناقهم؛ متصلةً بأيدي زبانية جهنم، يسحبونهم بقوة، وشدة العذاب.

﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٢)

﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ﴾: تسحبهم زبانية العذاب في الماء المغلي، تارة يسحبونهم في عذابٍ شديد، ثم إلى الجحيم، في النار ﴿يُسْجَرُونَ﴾: تُسعر بهم جهنم؛ فهم حطبها؛ لتحترق أجسادهم.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (٧٣)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التتابع الزمني مع التراخي هنا لزيادة العذاب ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: توبيخًا، وتقريعًا، وتهكمًا، واستهزاءً بهم ﴿أَيْنَ﴾: حرف استفهام ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل ﴿كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: أين أصنامكم، وأوثانكم، وشياطينكم، ونظرياتكم والذين أطعتم.

﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤)

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع؛ يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿دُونَ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: استكمالًا للآية السابقة أين هم الذين كنتم تُشركون من دون الله ﷻ اليوم ﴿قَالُوا﴾: المعذبون في جهنم ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾: ذهبوا، وتاهوا وهربوا عنّا؛ فلم يعينونا ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿نَكُنْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿نَدْعُوا مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ شَيْئًا﴾: قالوا لقد عرفنا الحقيقة؛ لم تكن دعوتنا من دون الله شيئًا، كانت كذبًا ووهماً ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾: عرفنا كيف ضلّ الكافرون؛ وعرفنا الكذب، والخداع.

﴿ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (٧٥)

﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة للبعيد؛ ستقول لهم الملائكة ذلك العذاب بسبب ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في حياتكم الدنيا من غفلة ﴿تَفْرَحُونَ﴾: بما كنتم تقتربون من المعاصي؛ وتعطلون دعوة الله ﷻ ﴿فِي الْأَرْضِ ب﴾ في الدنيا ﴿غَيْر﴾: حرف استثناء ﴿الْحَقِّ﴾: بالكذب والخداع ﴿وَبِمَا﴾: بالذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في حياتكم الدنيا ﴿تَمْرَحُونَ﴾: جزاء سروركم الزائف، وبطركم، وتفاخركم.

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٦)

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: هذا منزلكم، وهي أصعب اللحظات، دخول أبواب جهنم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: لا خروج منها أبدًا ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿بِئْسَ﴾: هذا أسوأ والأكثر ذمًا بذكر المساوي، وهي عكس المدح ﴿مَثْوَى﴾: المقام، والإقامة، فيه الهوان والعذاب الأليم جزاء ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: الذين تكبروا على الرسل والإيمان بالله ﷻ وبما أنزل.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَأِمَّا يُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفِينَا فإِنَّا يُرْجِعُونَ﴾ (٧٧)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اصْبِرْ﴾: قول الله ﷻ تسلياً لرسوله الكريم؛ يأمره ﷻ بالصبر على ما يفعل، ويقول المجرمون، لقد كان هذا دواءً ربانياً عظيماً ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿فإِمَّا﴾: حرف تفضيل وتوكيد بمعنى أي ﴿رِيكَ﴾: بالتأكيد نجعلك تشاهد ﴿بَعْضَ﴾: جزءاً ﴿الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾: نريك في حياتك الدنيا ما تقرُّ به عينك فيهم، كما حدث يوم بدر، ثم فتح مكة ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية ﴿نتَوْفِينَا﴾: تموت قبل ذلك، جاء اللفظ القرآني التوفي، الموت على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى قبض الأرواح كما في قوله ﷻ ﴿الَّذِينَ نتَوْفَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل-٢٨]، وجاءت بمعنى قبض الذهن؛ أي النوم، وقيلت في عيسى عليه السلام، عندما قبضه الله ﷻ؛ انظر لتفسير قوله ﷻ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة-١١٧] ﴿ف﴾: حرف يفيد ربط جواب الشرط ﴿إِنَّا﴾: إلى الله ﷻ ﴿يُرْجِعُونَ﴾: يعودون إلى الله ﷻ؛ لن يفلتوا من العذاب؛ سيموتون، ويذيقهم عذاب الآخرة.

التكليف: لما جاء ذكر ذات الله ﷻ وصفاته جاء ذكر الحق مُعرفاً، ولما جاء ذكر لقاء الله ﷻ والجنة والنار جاء بصيغة النكرة؛ ليظهر الفرق في الحالتين، والله ﷻ أعلم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُنْظِلُونَ﴾
(٧٨)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿رُسُلًا مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع؛ يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع؛ يفيد هنا ابتداء الغاية، بعضهم ﴿مِنْ﴾: الذي ﴿قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾: من هؤلاء الرسل من أوحينا إليك نبأهم مع قومهم، وكيف كذبوهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ﴾: الذين ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾: وهم الأغلبية؛ أضعاف من قصصنا عليك ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ لِ﴾: حرف تخصيص ﴿رَسُولٍ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتِيَ﴾: يجيء ﴿بِ﴾: باء السبب ﴿آيَةٍ﴾: البينة الدالة على صدق دعوته ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِ﴾: باء السببية ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ خَارِقَةٍ لِلْعَادَاتِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ﴾، ويعطيه إياها، ويأمره أن يظهرها؛ ليدلّل بها على صدق دعوته ﴿ف﴾: حرف يفيد المفاجأة والأمر ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأمر" على ثلاثة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى قتل الكفار في بدر، وجاءت بنفس المعنى في قوله ﷻ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْثُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال-٤٤] إذا رفضوا جاءهم أمر الله بعذاب ونكال؛ يأخذ المكذبين ﴿قُضِيَ﴾: تم أمر الله ﷻ بالحكم ﴿بِالْحَقِّ﴾: فينجي الله ﷻ الذين آمنوا، ويأخذ الكافرين ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿خَسِرَ﴾: وخاب ﴿هُنَالِكَ﴾: عندئذ أي عند نزول العذاب فيهم ﴿الْمُنْظِلُونَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الباطل" على أربعة أوجه هنا بمعنى الكذب على الله ﷻ وعبادته غيره ﷻ.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٩)

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾: خلقها وسخرها للإنسان ﴿الْأَنْعَامَ﴾: وهي الإبل، والبقر، والغنم ﴿لِ﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿تَرْكَبُوا مِنْهَا﴾: حرف يفيد التبعية؛ سخرها للركوب والحمل، والسفر، والحرث للزراعة ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: من بعضها مثل الألبان، واللحوم مثل الإبل، والأغنام والأبقار.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (٨٠)

﴿وَلَكُمْ﴾: تخصيصًا وتمليًا ﴿فِيهَا مَنَافِعُ﴾: مثل أصوافها وأوبارها ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: لكل إنسان غايته من هذه الأرزاق، فمنهم من يُتاجر فيهم، ومنهم ما يؤكل، ومنها ما يُركب في السفر ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: تركبون، وتنتقلون، كانت هذه وسائل السفر في القديم، واليوم وهب الله ﷻ للإنسان السيارات، والشاحنات، والقطارات، والطائرات، ومراكب الفضاء.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿يُرِيكُمْ﴾: جعلكم الله ﷻ ترون ﴿آيَاتِهِ﴾: براهينه ودلالاته في الكون من حولكم الدالة على قدرته ﷻ ﴿فَأَيَّ﴾: حرف استفهام ﴿آيَاتِ﴾: أدلة وبراهين ﴿اللَّهُ تُنْكِرُونَ﴾: ما الذي تنكرونه من هذه البراهين الدالة على صدق دعوة نبيكم محمد ﷺ، وصدق القرآن، وصدق الآخرة؟

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢)

﴿أَفَلَمْ﴾: أداة للتأكيد والجزم؛ حتى تُؤخذ العبرة والعظة؛ هل عجزوا أن ﴿يَسِيرُوا﴾: إنكار عدم السير وما يترتب عليه من ضرورة النظر السليم. ألم يسيروا في البلاد؛ ليدرسوا تاريخ الشعوب والأمم السابقة، والمعاصرة؛ ويعلموا ما حدث ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: من المكذبين بالدين في تاريخ الأمم السابقة ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿يَنْظُرُوا﴾: يتفكروا ليعوا ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام يُفيد التعجب والاستنكار ﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: نهاية ومصير ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿مِن﴾: حرف بيان وتمييز للنوع يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: كيف دُمّرت الأمم التي كذّبت رسلها ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾: رجالًا، وثرًا، ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَشَدَّ قُوَّةً﴾: في بدنهم وأسلحتهم ﴿وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: أيضًا الذي أثروه أي ما جمعه من المال في الأرض، وما تركوه من تراث ﴿فَمَا﴾: حرف يفيد هنا النفي أو الاستفهام ﴿أَعْنَى عَنْهُمْ﴾: لم يمنعهم هذا من بطش الله ﷻ، عندما حلّ عليهم غضبه، ولم يدفع عنهم سخطه ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: يجمعون من وسائل القوة.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨٣)

﴿فَلَمَّا﴾: في تتابع وسبب ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِ﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: عرض رسل الله ﷻ، عليهم السلام، حججهم وبراهينهم على صدق دعوتهم، وهي خارقة، واضحة،

صريحة، لا لبس فيها ﴿فَرِحُوا بِمَا﴾: بالذي ﴿عِنْدَهُمْ مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان وتمييز النوع؛ يفيد هنا ابتداء المكانية ﴿الْعِلْم﴾: من العلم المنافي، والمغاير للذي جاء به الرسل، جاء اللفظ القرآني "الفرح" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى الرضا، وجاءت بنفس المعنى في قوله ﷺ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد- ٢٦]، وفي قوله ﷺ ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم- ٣٢]، استغنوا بما عندهم من العلم عن آيات الله ﷻ؛ فرحوا بما عندهم منها مِنَ الْعِلْمِ: قال مجاهد: قالوا نحن أعلم منهم، لن نُبعث ولن نُعذب، وقال السدي: فرحوا بما عندهم من العلم بحالتهم، قالوا نحن أعلم بحالنا ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿حَاقٌ﴾: أحاط، وأصاب، وطوّق ﴿بِهِمْ مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: يسخرون منه، وينكرون وقوعه.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يفيد تتابعا وسببا ﴿رَأَوْا﴾: شاهدوا بأعينهم ﴿بَأْسَنَا﴾: قوة الله ﷻ، جاء اللفظ القرآني "البأس" على ثلاثة أوجه، هنا بمعنى العذاب، وجاء بمعنى الفرح، والبطر في قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام- ٤٢]، وبمعنى القتال في قوله ﷻ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكْفَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء- ٨٤]، وفي قوله أيضا ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأَسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل- ٣٣] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾: وحدوا الله ﷻ، وكفروا بما هو دونه من الأصنام، والأوثان، والخرافات ﴿و﴾: أيضا قالوا ﴿كَفَرْنَا بِمَا﴾: بالذي ﴿كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾: قالوا تخلّصنا من عبادة ما كنّا به نشرك؛ فلم ينفعمهم إيمانهم اليوم، ولا تنفع المعذرة، ولا يُقبل الندم، وخير مثال هو فرعون؛ لما جاءه الغرق؛ قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس- ٩٠]، فلم يُقبل منه، وكان مصيره الغرق في الدنيا، والجحيم في الآخرة.

﴿فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥)

﴿فَلَمَّ﴾: حرفٌ تأكيد الخبر ﴿يَكُ﴾: يكن ﴿يَنْفَعُهُمْ﴾: لم يستفيدوا عند مشاهدة العذاب من ﴿إِيْمَانُهُمْ﴾: إعلان الإيمان وقت العذاب، عندما قالوا آمنا بالله وحده ﴿لَمَّا﴾: حينما ﴿رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: عند معاينة العذاب؛ انظر في تفسير قوله ﷻ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة- ٧٥] أي

شاهدوا قوة الله ﷻ في عقابهم، قال ﷺ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ، مَا لَمْ يُعْرِغْ^(١)
﴿سُنَّتْ﴾: قوانين وقواعد؛ جاء حرف "ت" منصوبًا على الإغراء والتحذير، أي احذروا أيها
المشركون سُنن ﴿اللَّهِ﴾: ﷻ الثابتة ﴿الَّتِي قَدْ﴾: حدثت في الماضي ﴿خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾:
السابقين لكم، إنه قانون رباني جرى في كلِّ عبادة ﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال ﴿خَسِرَ
هُنَالِكَ﴾: في ذلك الوقت والمكان ﴿الْكَافِرُونَ﴾: كانت النتيجة أنهم خسروا دنياهم ودينهم في
هذه اللحظات؛ فلم تُقبل توبتهم، ونعوذ بالله من هذا المآل، وهذا المصير.
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نراها تعالج الجدل القائم بين المؤمنين والكافرين
في كلِّ المجالات.

(١) سنن ابن ماجه ١٤٢٠/٢ (٤٢٥٣). قال الألباني: حسن.